أسفار
لنشر نفيس الكتب والرسائل العلمية
دولة الكويت

الطريق السالم إلى الله

تأليف

ابن الصباغ الشافعي
أبي نصر عبد السيد بن محمد البغدادي
(ت ٤٧٧هـ)

تحقيق

محمد خير رمضان يوسف

طبع بتمويل
ابتسام منصور يوسف علي الخليفي
جزاها الله خيرا وعلمها ولوالديها

الطريق السالم
إلى الله

الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

أسفار
لنشر نفيس الكتب والرسائل العلمية
دولة الكويت

E-mail: s.faar16@gmail.com
Twitter: @sfaar16



مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

* الفرع الرئيسي : حولي - شارع المثنى - مجمع البدري
ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦ فاكس: ٢٢٦١٢٠٠٤
* فرع حولي : حولي - شارع الحسن البصري ت ٢٢٦١٥٠٤٦
* فرع المصاحف : حولي - مجمع البدري ت ٢٢٦٢٩٠٧٨
* فرع الفحيحيل : البرج الأخضر - شارع الدبوس ت ٢٥٤٥٦٠٦٩ - ٩٥٥٥٨٦٠٧
* فرع الجهراء : الناصر مول - ت ٩٥٥٥٨٦٠٨
* فرع الرياض : المملكة العربية السعودية - التراث الذهبي: ٠٠٩٦٦ ٥٥٧٧٦٥١٣٨
ص. ب: ١٠٧٥٠ الرمز البريدي ٣٢٠١١ الكويت
الساخن: ت: ٠٠٩٦٥ ٩٤٤٠٥٥٥٩

E - mail: z.zahby74@yahoo.com  imamzahby

أسفار
لنشر نفيس الكتب والرسائل العلمية
دولة الكويت

الطريق السالم إلى الله

مختار

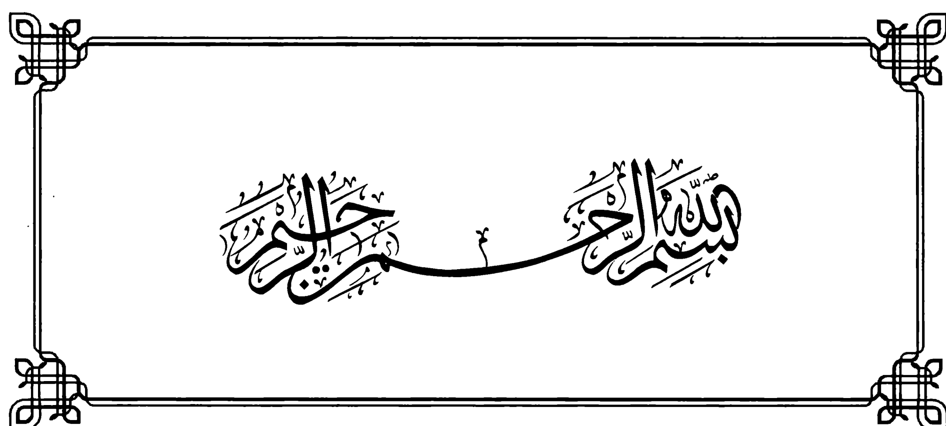
تأليف

ابن الصبَّاغ الشافعيّ
أبي نصر عبد السيّد بن محمّد البغداديّ
(ت ٤٧٧هـ)

تحقيق

محمّد خير رمضان يوسف

طبع بتمويل
إبتسام منصور يوسف علي الخليفي
جزاها الله خيراً وغفر لها ولوالديها


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم



يسرُّ «مشروع أسفار» أنْ يقدِّمَ للقارئ الكريم الإصدارَ السَّابع والثَّلاثين من إصدارات المشروع: (**الطَّريق السَّالم إلىٰ الله**)، لشيخ الشَّافعية الإمام أبي نصر بن الصبَّاغ (ت ٤٧٧).

فلمَّا كانت سعادةُ الدُّنيا والآخرة بالاستقامة علىٰ توحيدِ الله تعالىٰ ومتابعةِ الرَّسول ﷺ، وفعلِ الطَّاعات الظَّاهرة والباطنة، وكانت **الهدايةُ للصِّراط المستقيم** هي الغاية؛ اجتهَدَ العلماء والمتعبِّدون في طلبها، وصرفوا لها الأوقات وصنَّفوا فيها نفائس المصنَّفات.

ومنها كتابنا؛ أوَّلُ تراثٍ منشور لهذا العَلَم المشهور، سليل أُسرة علميَّةٍ عريقة، هو أشهرهم نسبةً فيها، من أوائل المدرِّسين في نظاميَّة بغداد، وإليه انتهت **رئاسةُ المذهب** وكان مقدَّماً علىٰ أبي إسحاق الشِّيرازي في معرفته، **عدَّهُ** تلميذُ الإمام ابن عقيل مِنَ الذين **كملت فيهم آلةُ الاجتهاد**، وقال فيه: «**ما كان يثبت** مع قاضي القضاة أبي عبدالله الدَّامغاني **ويشفي في مناظرته** من أصحاب الشَّافعي مثل أبي نصر الصَّباغ».

تعدَّدت مصنفاتُهُ بما يدلُّ علىٰ علميَّتِهِ؛ فله في الفقه: (الشَّامل شرح المزني)، وفي الأصول: (عدَّة العالم)، ولم ينس نصيبه من **علم السُّلوك والرَّقائق** فأبانَ عن: (**الطَّريق السَّالم إلىٰ الله**) وألَّفه إجابةً لسائلٍ مسترشدٍ عما يُوصِلهُ إلىٰ الله وينال به رضاه، وأودعه جملاً من القضايا، قال الإسنوي:

«مشتملٌ على مسائلَ ، وأحاديثَ ، وبعضِ تصوُّف ورقائق» ، **ومما تناول فيه:** (وحدانية الله تعالى ، والتفكُّر والتدبُّر في خلقه ونعمه ، ودلائل نبوة النبي ﷺ ، وفضائل الصَّحابة رضي الله عنهم ، وفضائل العلماء وورثة الأنبياء ، وبيَّنَ الإسلام والإيمان ، وفضائل الأعمال ، وما يرقِّق القلب من ذكر صفة الدنيا والتوبة ، وأورد على ذلك الاستشهادات من الأحاديث أو الآيات).

فنسأل الله تعالى أنْ يتقبَّل هذا العمل من مؤلِّفه ومحقِّقه والمتكفِّل بطبعه ونشره ، وأن يوفِّق القائمين على مشروع **(أسفار)** ، وأنْ يرقِّينا في مدارج السَّالكين إلى منازل السَّائرين إلى الله حتى نبلغ رضاه ، وننعم بلقياه بغير ضرَّاء مضرَّة ولا فتنة مضلَّة ، وأنْ يجعلنا من أهل النَّعيم المقيم ، أهل الفردوس الأعلى . والحمد لله تعالى على توفيقه .

أَسْفَار
لِنَشْرِ نَفِيسِ الكُتُبِ وَالرَّسَائِلِ العِلْمِيَّةِ
دَوْلَةُ الكُوَيْت

مقدمة التحقيق

الحمد لله القائل: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾، والصلاة والسلام علىٰ النبي القائل: «إنَّ هذا الدِّينَ يُسر، ولن يُشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلّا غلَبه، فسدِّدوا وقارِبوا، وأبشِروا ويسِّروا»، وعلىٰ آله وأصحابه، وكلِّ من بلَّغ هذا الدين سالمًا، كما أراد الله ورسوله.

وبعـد:

موضوع الكتاب

فلو قلت: إن الكتب المصنفة في موضوع الإسلام قليلة لتعجَّب الناس، مع أنه واقع وصحيح، قديمًا وحديثًا، ولكن كلٌّ يتناول جانبًا منه، أو جوانب، بحسب علمه واجتهاده، أو الحاجة إليه.

وذلك أن الإسلام دين عظيم شامل كامل، يحيط بجوانب الحياة كلها، إضافة إلىٰ علوم الآخرة، والإيمان والغيب، فمن كتب فيه فكأنه سبح في بحر، لا يدري متىٰ وكيف ينتهي إلىٰ شاطئ ليرسو عليه!

وهذا الكتاب يتناول جانبًا سديدًا في الإسلام، سمّاه مؤلفه «**الطَّريق السَّالم إلىٰ الله**»، ويعني: إرشاد المسلم إلىٰ سلوك الطريق الصحيح للالتزام بالدين، فالطريق السالم هو **الصراط المستقيم**، والسلامة في الاستقامة.

وقد اعتنىٰ مؤلفه بتسليط الضوء علىٰ «مدارات الدِّين» ومعالمه المستوعبة لأهم مبادئه الأساسية، كما أن للكتاب صلةً بمصطلح «المدخل إلىٰ الإسلام»، في جانب مهم منه، فتركيزه علىٰ الجانب السلوكي للمسلم، وتربيته، وتزكيته، مع علم ووعي بدين الإسلام وغايته وأهدافه، ليعرف المسلم: لماذا هو مسلم؟ وكيف يكون مسلمًا حقيقيًّا، ملتزمًا بهذا الدين، وليس مسلمًا صوريًّا، وتقليديًّا، وهذا ما كرره المؤلف في أكثر من موضع.

وقد قال المؤلف بإيجاز في مقدمة كتابه: «سألتَ وفَّقكَ الله... **أن أُبيِّن لكَ طريقاً سالماً تَسلكه، وأمراً رشيداً تعتمده، تحمدُ عقباه، وتنالُ به من اللهِ الكريمِ ثوابَهُ ورضاه، فأجبتُكَ إلىٰ بيانِ ذلك**».

وكأنه يقول للسائل بعد ذلك: فأنت ذو نهج سليم إذا أخذت بما في هذا الكتاب.

ولكن هذا النهج الذي اتخذه المؤلف جعله يبحث في موضوعات عدة، وإن كان تركيزه علىٰ الجانب العلمي والتربوي.

وتنوَّعت **أغراض الكتاب** لتخدم هذا المقصد الجليل: **فبدأ المؤلَّف في** التعرُّف إلىٰ الله تعالىٰ بآلائه ونعمه ومصنوعاته من خلقه، ثم الإيمان بالنبوات والرسالات السماوية، ودلائل نبوة محمد ﷺ وأعلامها، والبشائر به في التوراة والإنجيل، وصدقهِ فيما أخبر من المغيِّبات، وثنائه علىٰ أصحابه وحملة الدين من بعده، وتناول فضل علماء أمة الإسلام والثناء عليهم، وبيَّن حقائق الإسلام والإيمان، وأفاض في شعب الإيمان بياناً واستدلالاً، وبما يكون فلاح المؤمنين وزيادة إيمانهم ودنوّهم من ربِّهم، وفصَّل أنواع العبادات

البدنية والقلبية وآدابها، كالصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها، وتطرَّق للمفاضلة بين أحوال المتعبدين، وحقيقة الدنيا والزهد فيها، وتناول الذكر والأدعية والتوبة والاستغفار، وأبواب الفضائل والآداب والبرِّ والصلة.

بين الطريق السالم وإحياء علوم الدين

الحقُّ أنه صورة مصغَّرة من كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي، أو هو نواةٌ له، ولا أستبعد أن يكون هذا الإمام اطلع عليه فأعجبه طرحه ونهجه، فرغب في العمل علىٰ تطويره والزيادة عليه ومعالجته بأفضل منه، فقد كان أوسع اطلاعًا، وأكثر قدرة علىٰ تحليل النفس المسلمة وسبل تزكيتها. والهدف منه عندهما: إصلاح الجيل، واستنهاض مكامن القوة والانطلاق فيه، وهذا هو شأن تطوير العلوم، واحد يضيف إلىٰ الآخر، فالكتابان في موضوع واحد.

والفرق بين نهجيهما من جوانب لا تؤثر في الأساس، ولكل كتاب مزاياه: **فالإحياء** أطول نفساً وأوسع عبارة وأكثر تنظيماً وتقسيماً للأبواب وأشمل من غيره، **والطريق السالم** أخصُّ في موضوعه فجلُّ فكرته في «العبادات والمنجيات» وهي نصف ما تناوله الإحياء، فالكتاب أكثر اختصاراً ولباباً في قضاياه، وأخف في المطالعة فلا يمله القارئ، وقد كان الإمام الغزالي يتصف بنزعة صوفية واضحة، أما العلامة ابن الصباغ فلم يكن متصوفًا، وإن كان يستشهد بأقوال وسلوكيات أئمة لهم، بل **نقدَ فئةً منهم في قضية التغني والسماع** في هذا الكتاب.

وقد كان هذان الإمامان متعاصرَين، وهما من **أئمة الشافعية**. ولكن ابن الصبَّاغ كان سابقًا له، وتوفي قبله بسبع وعشرين عامًا. وكان مقدَّمًا على الغزالي في الفقه، فقد انتهت إليه رئاسة المذهب في بغداد. ويبدو أن الغزالي لم يره، فقد وصل إلى بغداد بعد وفاته بسبع سنوات، ودرَّس في المدرسة النظامية بعده.

وفي كتاب «إحياء علوم الدين» الكثير من الأقوال والآثار الموجودة في هذا الكتاب، ولكن يمكن أن يقال إن الغزاليَّ كان يأخذها من المصادر التي أخذ منها المؤلف. وقد تختلف ألفاظ بعض الأقوال في كتابيهما.

وهناك آثار قليلة في هذا الكتاب، لم أجدها في مصادر أخرى غير الإحياء.

مصادر المؤلف

أما مصادره فلعلها كافية ومتكاملة لتحقيق هدفه من تصنيف هذا الكتاب، فهي ـ بعد كتاب الله تعالى ـ: كتب الحديث، والزهد.

فالآيات القرآنية والاستشهاد بها وتفسيرها تشكل جزءًا لا بأس به من الكتاب، لكن الأحاديث الشريفة تشكل أكثر من ثلثه، تليها الآثار والوصايا والحكم والقصص الدينية، التي نقلها من كتب الزهد والرقائق، ثم الأخبار والأشعار والمواقف وما إليها، التي نقلها من كتب التاريخ والأخبار والأدب.

وأكثر كتاب في الحديث اعتمد عليه هو سنن أبي داود، فقد نقل منه بكثرة، دون غيره من الكتب الستة، إلا صحيح البخاري، فإنه أورد منه

أحاديث، بعضها من روايته، وأخرىٰ من رواية والده. ونقل كثيرًا منها من غير مصادرها الأصلية، وهو يوردها أحيانًا بسندها.

والأحاديث تتنوع بين الصحيح والضعيف، ومن النادر أن تجد بينها الموضوع، فلا تتعدىٰ الموضوعة منها بضعة أحاديث. وقد يقال في هذا الكتاب ما قاله النقّاد في أحاديث الإحياء، فكثير منها ضعيف. ولكن الكثير منها صحيح أيضًا.

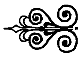
ومن المؤسف أن ينقل المؤلف بعضها من كتب الأدب والتاريخ، دون النظر في لفظها ودرجتها وراويها.

وربما اعتمد علىٰ حافظته، فرواها مختصرة، أو بغير ألفاظها، فيجد مخرِّجها عنتًا في البحث عنها، وتوثيقها وتخريجها.

أما كتب الزهد التي استفاد منها، فكثيرة، وأكثر ما اعتمد عليه كتاب الزهد لهنّاد، ثم الزهد لابن المبارك، وكتب أخرىٰ له. ومجموعة من كتب ابن أبي الدنيا، مثل كتاب الدعاء، ومداراة الناس، والعزلة، والهمّ والحزن، والتوبة، والقبور..

كما اعتمد علىٰ تفاسير، مثل تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، وتفسير الثعلبي، والنكت والعيون للماوردي، وربما تفسير الطبري، وتفسير ابن أبي حاتم... كما اعتمد علىٰ تفسير التبيان للطوسي في عدة استشهادات. ومن كتب علوم القرآن الأخرىٰ: فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام.

وكتبٍ أخرىٰ متنوعة، مثل أدب الدنيا والدين للماوردي، والمروءة




لابن المرزبان، وعيون الأخبار لابن قتيبة، وربما المجتنىٰ لابن دريد..

وعلىٰ كتب لفرق إسلامية، كالمعتزلة والشيعة، بما لا يتناقض مع نهج أهل السنة، من أخبار وحكايات، وحتىٰ إسرائيليات. وهي قليلة.

وما كان يذكر عناوين الكتب التي ينقل منها، من أوله حتىٰ آخره، بل يذكر اسم المؤلف، فيقول مثلًا: روي عن هناد، قال ابن المبارك...، وقد يقول: قال في كتابه، دون تحديد..

وربما لم يذكر في كتابه كله سوىٰ عنوانين أو ثلاثة!

ونقل من كتب كثيرة دون الإشارة إليها.

كما أورد آثارًا وأحاديث كثيرة بصيغة التمريض، مثل (رُوي)، و(قيل)، وهي صحيحة.

أهمية الكتاب العلمية

منها: أنه كتابٌ حافلٌ في الرقائق والسلوك وفضائل الأعمال من تصنيف أحد أئمة الفقهاء الشافعية الكبار، بأسلوب ماتع نافع وعبارةٍ مؤثرة في النفوس.

واحتوت مادته علىٰ جملة صالحة من تفسير القرآن وشرح للسنة النبوية الشريفة. وتميز بوفرة الاستشهاد بالنصوص الحديثية والآثار المروية.

ولم يخل الكتاب من المادة التاريخية من القصص وسير الصالحين المفيدة في الإرشاد.

وقد اشتمل علىٰ جملة من التعريفات الفقهية والأحكام الشرعية ، ولا بد فهو من فقهاء عصره.

واعتنىٰ مؤلفه بأهم أبواب فضائل الأعمال والوعظ والتذكير. وتنوَّعت نقوله في الكتاب وكثرت مصادره من دواوين الإسلام التي أفاد منها.

وظهرت عناية العلماء بهذا الكتاب فنقلوا عنه ، مما جعل الطريق السالم مصدراً علمياً أصيلاً في بابه. والحمد لله.

توثيق الكتاب

الكتاب معدود في كتب ابن الصبّاغ رحمه الله ، كما في ترجمته في المصادر.

وقد ذكر في كتابه هذا مصنَّفه المشهور «الشامل» في الفقه الشافعي ، فقال: «وقد ذكرنا شرحَ الدعاءِ وفروعَ ذلك في كتابِ الشامل».

وقال مرة أخرىٰ: وفروعُ هذه العبادات وشروطُها مشروحة في «الشامل».

ونقل منه الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) في كتابه البحر المحيط ٦/ ١١٦ قائلًا: قال أبو نصر بن الصباغ في كتاب الطريق السالم...

كما نقل منه في موضوع آخر في كتابه تشنيف المسامع ٤/ ٩٤٩.

وذكر جمال الدين الإسنوي (ت ٧٧٢ هـ) مصادر كتابه «المهمات في شرح الروضة والشافعي» من بينها هذا الكتاب ، وغيره من كتبه ، فقال في

١٢٣/١: ومنها: «الشامل» لابن الصباغ، وهو الكتاب الجليل المعروف، وكتاب «الطريق السالم» له، وهو مجلد قريب من حجم «التنبيه»، مشتمل علىٰ مسائل وأحاديث وبعض تصوف ورقائق، وكتاب «الكامل» في الخلاف بيننا وبين الحنفية، له أيضًا، وهو قريب من حجم «الشامل».

وكذا قال في وصفه ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية.

المخطوطة

للكتاب نسخة مخطوطة وحيدة، وهي من مقتنيات مكتبة أيا صوفيا في إستانبول، برقم (٢٠٠٤)، وظهر غلافها قديمًا ممزقًا، واختفت فيه كلمات وجمل.

ولكن ظهر فيها العنوان واضحًا: «كتاب فيه الطريق السالم إلىٰ الله»، وتحته بخط صغير "تعـ"ـالىٰ.

ووضع عنوان الكتاب في أعلىٰ الورقة الأولىٰ من متن الكتاب: «الطريق السالم إلىٰ الله». وهو مذكور هكذا في المصادر.

كما وضح اسمه تحت عنوان الكتاب: تصنيف الشيخ الإمام الأجلّ صدر الأئمة أبي نصر عبدالسيِّد بن محمد بن عبدالواحد بن الصبّاغ رحمه الله.

وتحته عدة تمليكات، من بينها تمليك العالم الموسوعي شيخ الإسلام، قاضي القضاة زكريا الأنصاري، صاحب المصنفات المشهورة والمرغوبة (ت ٩٢٦ هـ)، فقد قارنت خطه هنا بخطه علىٰ مخطوطات أخرىٰ فكان كما هو.

وعليه وقف السلطان الغازي محمود خان «وقفًا صحيحًا». وهناك سلطانان بهذا الاسم، الأول ابن مصطفىٰ الثاني (ت ١١٠٨ هـ)، والثاني ابن عبدالحميد الأول (ت ١٢٥٥ هـ).

ونُسخت في عام (٦٣٧ هـ)، فقد جاء في آخرها: كتبهُ الفقير إلىٰ رحمة الله تعالىٰ محمَّد بن سالم بن جناب المنبجيّ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، في أيَّام آخرها ثالث عشر المحرم، سنة سبع وثلاثين وستِّمئة، بدمشق المحروسة.

وبعدها، في ورقة منفصلة، وبخط مغاير، بيان بصفة صلاة الرَّغائب، في نصف صفحة.

وتقع في (٢٦٩) ورقة، في كل وجه (١٨) سطرًا.

وخطها واضح جدًّا، إلا عند الاشتباه بكلمة، وقد تعددت الأخطاء فيها، أشير إلىٰ كثير منها في الهوامش. ولا يستبعد وجود إضافة أو تغيير في صفات التبجيل للأعلام، وتعجبت من بعضها!

وورد في أكثر من موضع: «قال أيده الله»، مما يعني أنه قد يكون إملاء من مؤلفه، أو بعضه، أو يكون من قول أحد تلامذته، أو قراءة علىٰ بعضهم... وتكون الأخطاء من قبلهم، أو من قبل النساخ. والله أعلم.



ترجمة المؤلف

هو أبو نصر عبدالسيِّد بن محمد بن عبدالواحد بن الصبَّاغ البغدادي الشافعي. نسبته إلىٰ أحد أجداده، الذي كان صبّاغًا.

مولده في بغداد سنة (٤٠٠ هـ)، وكانت داره في (باب المراتب).

وبيته بيت علم: أبوه، وابن أخيه، وابن عمّه.

*** شيوخه:**

والده محمد بن عبدالواحد (ت ٤٤٨ هـ)، روىٰ عنه في هذا الكتاب.

وأخذ عن القاضي أبي الطيب الطبري.

وسمع الحديث من أبي علي بن شاذان.

ومن محمد بن الحسين بن الفضل بن القطان، سمع منه جزء ابن عرفة.

ورجَّح في المذهب علىٰ الشيخ أبي إسحاق الشيرازي.

*** تلامذته:**

روىٰ عنه الخطيب البغدادي في التاريخ ـ يعني تاريخ بغداد ٣/٣٦٤ ـ وهو أكبر منه سنًّا، وأبو بكر محمد بن عبدالباقي الأنصاري، وأبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي، وابنه أبو القاسم علي بن عبدالسيِّد.

وسمع منه أبو المحاسن هبة الله بن أحمد بن محمد بن السماك البروجردي، كما ذكره السمعاني في المنتخب من معجم شيوخ السمعاني ص ١٨٠٧، وفي الأنساب ٢٠٦/٧.

وسمع منه أبو النجم بدر بن صالح بن عبد الله الرازاني الصيدلاني، فقيه صالح، ذكره السمعاني في الأنساب للسمعاني ٣٣/٦.

وأبو العباس أحمد بن سلامة الكرخي، من كرخ جدان. الأنساب ٧٥/١١.

*** علمه والثناء عليه:**

وصفه ابن قاضي شهبة، وبعضه نقلٌ من السبكي، بأنه كان خيِّرًا، ديِّنًا، ورعًا، نزهًا، ثبتًا، صالحًا، زاهدًا، فقيهًا، أصوليًّا، محقِّقًا.

ووصفه التاج السبكي في طبقاته بأوصاف أجلّ.

وأورد قول أبي الوفاء بن عقيل الحنبلي: لم أدرك فيمن رأيت وحاضرت من العلماء على اختلاف مذاهبهم، مَن كملت له شرائط الاجتهاد المطلق إلا ثلاثة: أبا يعلى بن الفرّاء، وأبا الفضل الهمذاني الفرضي، وأبا نصر بن الصبَّاغ.

وقال غيره: كان ابن الصبّاغ يضاهي أبا إسحاق الشيرازي، وإليهما كانت الرحلة في المتفق والمختلف.

قال السبكي رحمه الله: مضاهاته له في المتفق ظاهرة، وأما المختلف، فما

كان أحد يضاهي أبا إسحاق في عصره فيه.

والمراد بالمتفق مسائل المذهب، وبالمختلف الخلافيات بين الإمامين.

وقال ابن كثير: إنه من أكابر أصحاب الوجوه.

ولابن خلِّكان: فقيه العراقين في وقته... كان تقيًّا حجَّة صالحًا... وكانت الرحلة إليه من البلاد.

* **أعماله:**

حدَّث بجزء ابن عرفة في بغداد وأصبهان.

ودرَّس بالمدرسة النظامية أول ما فُتحت، وذلك في سنة (٤٥٩ هـ)، ثم عُزل بعد عشرين يومًا بالشيخ أبي إسحاق. وكان نظام الملك بناها لأجل أبي إسحاق، ولكنه امتنع من التدريس فيها أولًا، ورفض الخروج من المسجد الذي يدرِّس فيه، وهو المسجد الذي بدرب الزعفراني، وكان الشافعي يدرِّس فيه. فدرَّس فيها أبو نصر، وطلب من الشيخ هو وغيره من تلاميذه، أن يدرِّس بدلًا منه، وألحُّوا عليه مرارًا، حتىٰ استجاب، وتسلَّم التدريس مكانه.

ثم درَّس بها ابن الصبّاغ بعد موت الشيخ سنة، وأضرّ، فتولّاها الشيخ أبو سعد عبدالرحمن بن المأمون المتولي النيسابوري، صاحب «تتمة الإبانة عن فروع الديانة»، ثم عُزل، وأعيد ابنُ الصباغ، ثم صُرف ابن الصباغ عام ٤٧٧ هـ، فحمله أهله علىٰ طلبها، فخرج إلىٰ نظام الملك بأصبهان، فلم يجب له، وأمر أن يُبنىٰ له غيرها، فعاد من أصبهان، ومات بعد ثلاثة أيام من عودته.

وأورد السبكي في آخر ترجمته روايات عنه، وفوائد وفتاوىٰ ومسائل،




منها عويصة ومتشابكة ومتفرعة وخلافية، تدلُّ علىٰ اجتهاده وإحاطته بالمذهب.

❋ وفاته:

توفي يوم الثلاثاء، ودفن يوم الأربعاء (١٤) جمادىٰ الأولىٰ سنة (٤٧٧ هـ)، ودفن بداره، ثم نقل إلىٰ باب حرب، وكان قد كفَّ بصره قبل وفاته بسنين.

❋ مؤلفاته:

ـ كتاب الشامل، قال ابن قاضي شهبة: وهو من أصح كتب أصحابنا وأثبتها أدلة.

ويبدو أنه أشهر كتبه، وبه عُرف.

ـ كتاب الكامل، في الخلاف بين الشافعية والحنفية، قريب من حجم الشامل.

ـ الطريق السالم إلىٰ الله. وهو هذا.

ـ عُدَّة العالم.

ـ كفاية السائل.

ـ الفتاوىٰ [1].

(١) مصادر ترجمته: طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي ٥/ ١٢٢، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٥٢، طبقات الشافعية للإسنوي ٢/ ٣٩، طبقات الشافعية للحسيني ص ١٧٣، وفيات الأعيان ٣/٢١٧، نكت الهميان ص ١٧٥، تاريخ الإسلام للذهبي ١٠/٤٠٩، سير أعلام النبلاء ١٤/١٤، مفتاح السعادة ٢/٢٩٤، واعتماده في ترجمته علىٰ طبقات السبكي=

منهج التحقيق

كان الاهتمام بنص الكتاب وسلامته هو الهدف البارز للمحقق، وبما أنه كان نسخة وحيدة فقد قارن كثيرًا من نصوصه بمصادرها، وخاصة عند الشك في كلمة، أو عدم وضوحها. أما الأحاديث الشريفة، فقد أخذت حظًّا أوفر من المقارنة بمصادرها الأصلية.

وتقسيم الكتاب لم يكن واضحًا، ولا تامًّا عند المؤلف، ففيه فصول، وفيه أبواب، وبعض الفصول بدون عناوين، وهكذا.. وتمت محاولة استدراك هذا النقص في الكتاب بوضع عناوين جديدة بين معقوفات؛ ليعلم أنها من صنع المحقق.

ووزع النص على فقرات، وأُحكمت بعلامات الترقيم، مع ضبط الكلمات، وحركات الإعراب خاصة.

وتخريج الآيات الكريمة، بذكر اسم السورة ورقمها، وتخريج

= وحدها، الأعلام للزركلي ٣/١٠، وفيه من مؤلفاته: تذكرة العالم، العدة في أصول الفقه، على خلاف ما نقلناه من طبقات السبكي «عدة العالم»، وقد اعتمد على وفيات الأعيان ونكت الهميان في ذلك، وهما مرجعان له. ولم يورد له هذا الكتاب؛ لأن مؤلفيهما دمجا عنوانه مع عنوان كتاب آخر، واكتفى الزركلي بإيراده مختصرًا، قسمه الأول، وهو «عدة العالم والطريق السالم». والحق أن هذا (الدمج) موجود في مصادر أخرى، فقد نقله الذهبي من السمعاني، كما في تاريخ الإسلام! ولكن لا يعني هذا أن الذهبي والسمعاني جعلاهما واحدًا، بل هو من توالي عنوان إثر آخر. ويبقى الإشكال واردًا.

الأحاديث والآثار جاء في توسط واعتدال، مع بيان حكم الأحاديث إذا وجدت، وهي كثيرة. واعتمد المحقق على أحكام المختصين في علم الحديث، ولم يستخدم رأيه في ذلك، وإذا لم يجده اكتفى بذكر مصدره، أو يقول إنه لم يقف على الحديث.

شرح المفردات الغريبة، والتعليق عند اللزوم بإيجاز، والابتعاد عن الأمور الخلافية.

وكانت المراجعة الدقيقة للنص والتحقيق من أسباب سلامة الكتاب من الأخطاء، وحسن ضبطه، وخاصة الأشعار التي فيه، فجزى الله صاحبها خيرًا.

والحمد لله الذي يسَّر هذا، والشكر له على توفيقه.

محمد خير يوسف

أوائل جمادى الآخرة ١٤٤٢ هـ

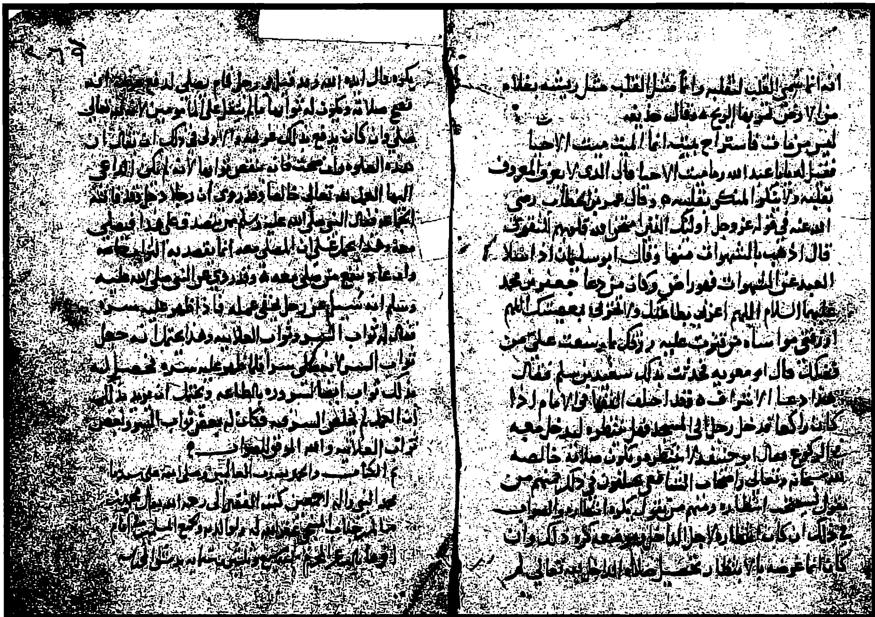
إستانبول

تصنيف الشيخ الإمام الأجل صدر الأئمة أبي نصر عبد السيد بن
محمد بن عبد الواحد بن الصباغ رحمه الله

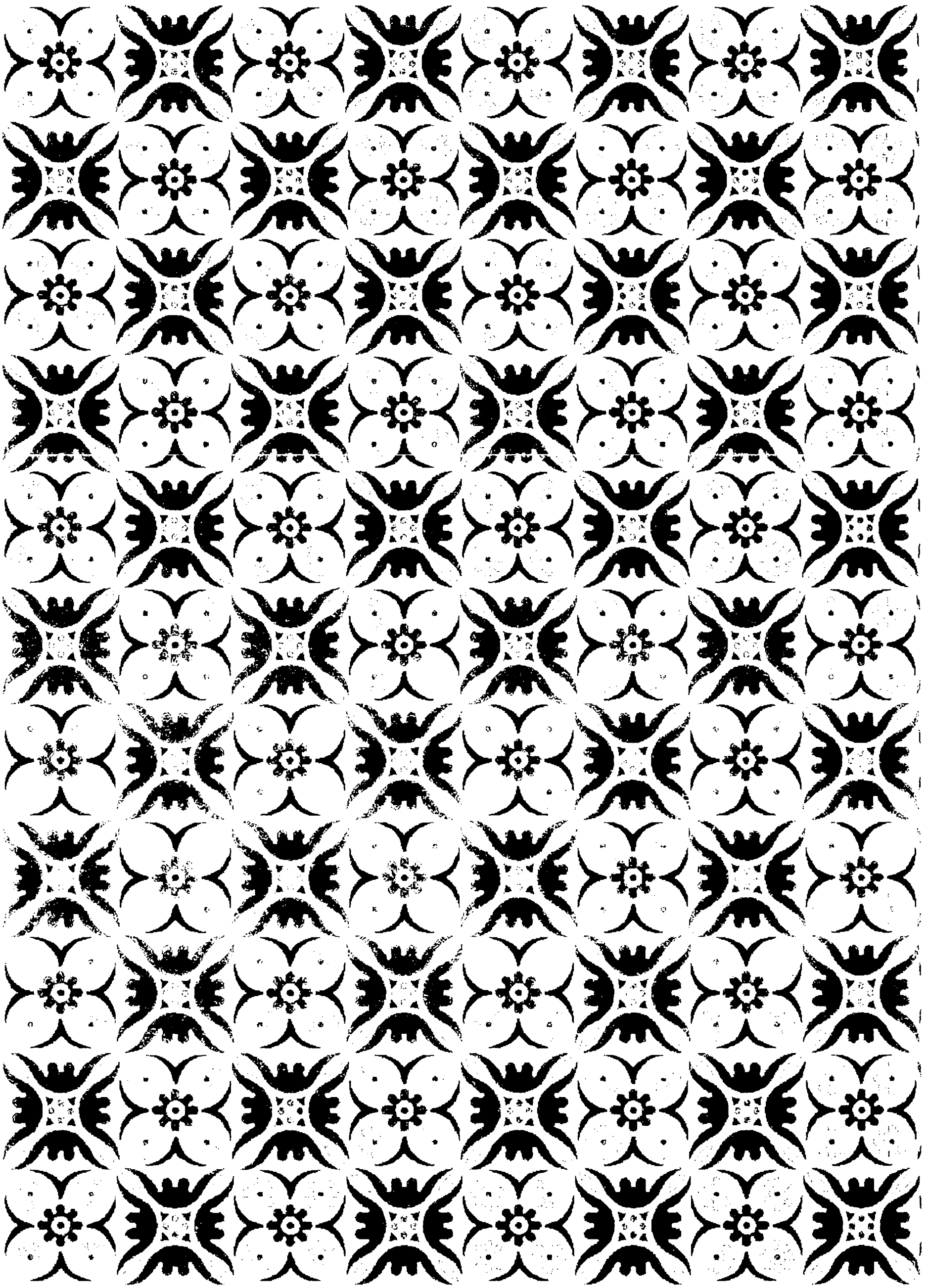
غلاف المخطوطة



الورقة الأولى من المخطوطة



الورقة الأخيرة من المخطوطة



الطريق السالم إلى الله

تأليف

ابن الصبّاغ الشافعيّ

أبي نصر عبد السيّد بن محمّد البغداديّ

(ت ٤٧٧ هـ)

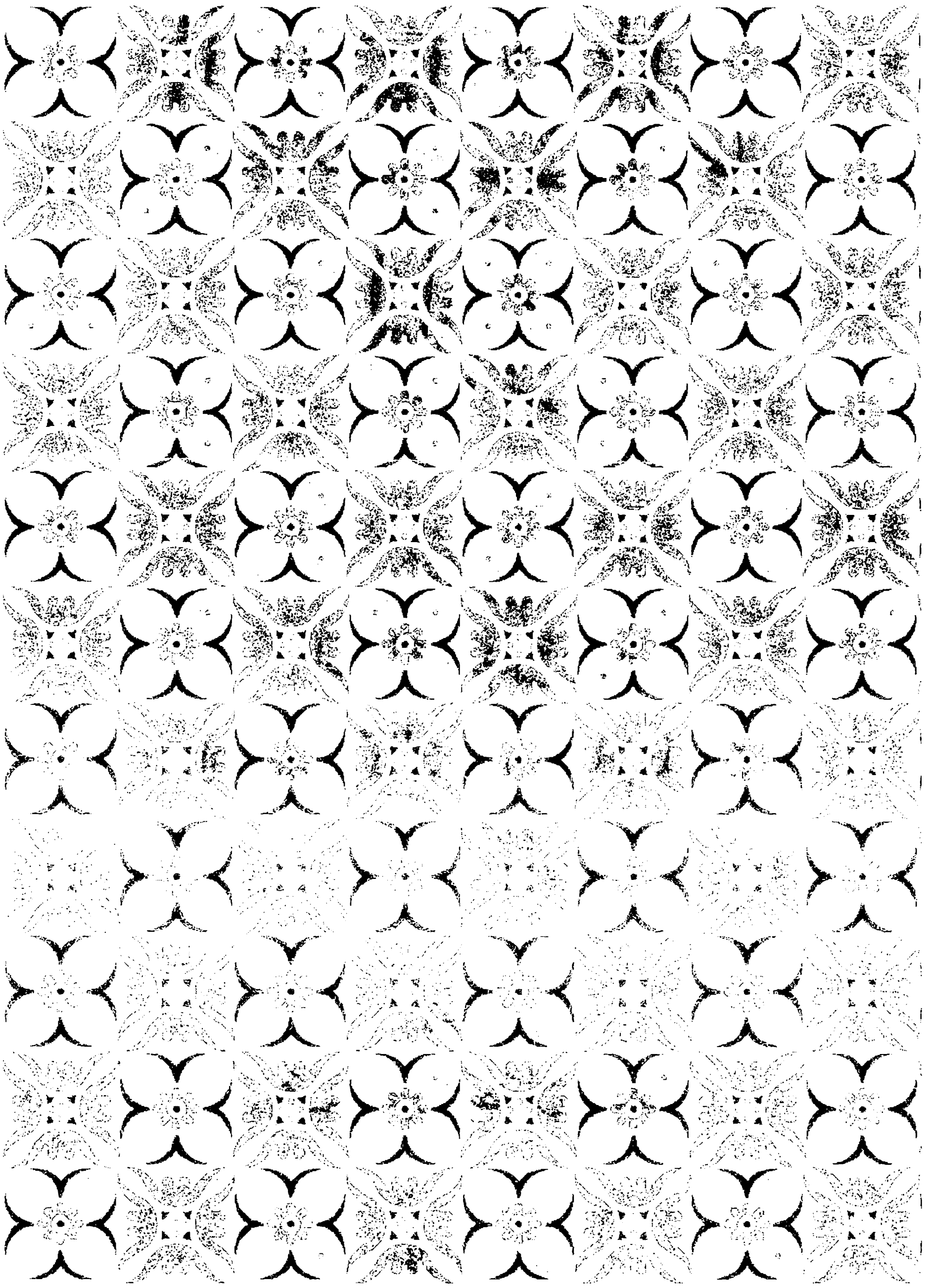
تحقيق

محمّد خير رمضان يوسف

طُبع بتمويل

إبتسام منصور يوسف علي الخليفي

جزاها الله خيراً وغفر لها ولوالديها



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يسِّر بخير

[مقدِّمة المؤلف]

الحمدُ لله الذي أنشأَنا برحمته، وبدأَنا بنعمته، وخصَّنا بكرامته، ودلَّنا علىٰ معرفتهِ ببدائعِ صنعته، وأوضحَ لنا سبيلَ قصدهِ بلطائفِ حكمته، حتَّىٰ شهدتِ العقولُ بربوبيَّته، وأيقنتِ النُّفوسُ بوحدانيَّته، وحكمتْ له الألبابُ بواسعِ قدرته، وقطعتِ البصائرُ بانفرادهِ عن خليقته، وأثبتَ الحجَّةَ بأفعالهِ علىٰ جميعِ بريَّته[1]، وأوجبَ عليهم شكرَهُ وطاعتَه، فيوصلهم إلىٰ دارِ كرامته، خالدين فيها أبداً برحمته، وبعثَ الرسلَ بواضحِ حُجَجه، وجعلَهم مبشِّرين لأهلِ طاعته، ومنذِرين مَن سلكَ غيرَ سبيلهِ ومحجَّته، وجعلَ نبيَّنا ﷺ أعمَّهم إيماناً، وأوضحَهم بياناً، وأبقاهُم حُجَّة، وأطهرَهم محجَّة، فصلَّىٰ الله عليه وعليهم أجمعين، وعلىٰ التَّابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدِّين.

سألتَ ـ وفَّقكَ الله وإيَّانا لرشده، وسلكَ بكَ وبنا سبيلَ الصَّالحين من خَلقه ـ أن أُبيِّن لكَ طريقاً سالماً تَسلكه، وأمراً رشيداً تعتمده، تحمدُ عقباه، وتنالُ به من اللهِ الكريمِ ثوابَهُ ورضاه، فأجبتُكَ إلىٰ بيانِ ذلك، معتمداً علىٰ توفيقِ اللهِ وهدايته، ومستمدًّا من اللهِ الكريمِ حُسنَ إرشادهِ ومعونته، وما توفيقي

(١) أصلها «البريئة»، بمعنىٰ الخليقة، من برأه اللهُ بمعنىٰ خلقه.

[٢/أ] إلَّا بالله، عليه توكَّلتُ وإليه أُنيب.

أمَّا بعد، فإنَّ أحقَّ ما جعلَهُ العاقلُ نصابَ همِّه، وعمادَ عزمه، وسراجَ فهمه، ما عادَ بخلاصِ نفسه، وشكرِ ربِّه؛ فإنَّها تجارةٌ ربحُها رضا الخالقِ المنَّان، والتنعُّمُ في مراتعِ الجِنان، وخسرانُها غضبُ الجبَّار، وأليمُ العذابِ والنَّار. تجارةٌ ربحُها سلامةُ النُّفوسِ وإكرامُها، وخسرانُها عَطبُها[1] وإهلاكُها. ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

فأيُّ ربحٍ بعد ذلك يُلتمَسُ ويُطلَب، وأيُّ خُسرانٍ سواهُ يُخافُ ويُرهَب؟ ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

[التفكر والتدبر]

فأوَّلُ ما عليكَ أيُّها العاقلُ الفكرُ والنَّظر، والوقوفُ على مكنوناتِ العِبر. وأوَّلُ ذلك فكرُكَ في نفسِك، واعتبارُكَ بتركيبِكَ وتدبيرِك، وحكمةِ صانعك. قالَ الله ﷻ: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

وقالَ سبحانه: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٠ ـ ٢٣].

(١) العَطَب: الضرر والهلاك..

وقالَ سبحانه: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ [الزمر: ٦].

الماءُ المهين: هو الذي لا غناءَ فيه، والمهينُ والحقيرُ والذليلُ نظائر.

القرارُ المكين: [٢/ب] هو الذي يمكنُ اللُّبثُ فيه طويلاً، ولهذا يقال: لا قرارَ لفلان، أي: لا يَثبتُ في موضع(١).

﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: إلى وقتٍ معلوم(٢).

﴿فَقَدَرْنَا﴾ أي: سوَّيناهُ على أحزمِ بناء، وأحسنِ نظام.

وقولهُ تعالى: ﴿خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ معناه: أنَّه خلقهُ مُضغةً، ثمَّ عَلَقةً، ثمَّ صوَّره، ثمَّ نفخَ فيه الرُّوح.

والظلماتُ الثلاث: البطن، والرَّحِم، والمشِيمة(٣).

وقد بيَّن الله سبحانهُ ذلك فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤].

الإنسان: آدم.

---

(١) في تفسير الطبري ٢٤/١٣٢: فجعلنا الماء المهين في رحمٍ استقرَّ فيها فتمكَّن.

(٢) تفسير الطبري ٢٤/١٣٢.

(٣) لابن عباس ومجاهد وقتادة. ينظر الدر المنثور ٧/٢١٢.

والسُّلالة: صفوُ الشيءِ التي تُستَلُّ منه، كأنَّ آدم استُلَّ من أديمِ الأرض[١].

والنُّطفة: القَطرة من المنيّ.

والقرارُ المكين: الموضعُ الذي يتهيَّا بالمكوَّن[٢] فيه.

والعلَقة: القطعةُ من الدم.

والمضغَة: القطعةُ من اللحم.

خَلقاً آخر: أي: يُنفَخُ فيه الرُّوح. وجعلَ له العقل، والأسنان، والشَّعر[٣].

فهل مفكِّرٌ في خَلقه، وناظرٌ في أمره، لا يَعرفُ قدرةَ صانعه، وحكمةَ بارئه؟

أليسَ خَلقَ من الماءِ أنواعاً مختلفة، عظماً، ولحماً، وعِرقاً، وعصَباً، وجلداً، وأشياءَ كثيرةً في باطنه، يَكثرُ تعدادُها، ويَدقُّ علمُها وبيانُها؟ كلُّ كبيرٍ منها وصغيرٍ لمنفعةٍ تختلُّ باختلافها، وتتمُّ بتمامها، قد أتتْ [٣/أ] عليها مشاهدتُك، وعرفتَها بحسِّكَ ومشارفتِك[٤]، يعجزُ عن فهمِها ودقيقِ حكمتِها المتبصِّرون، حتَّىٰ قَطعَ نظرُهم، واتَّفقَ فكرُهم بقدرةِ صانعِهم وحكمتِه، وعلمِه بالغيبِ ودفينِه[٥]، فإنَّما يَعلمُ صلاحَ الأمورِ مَن يَعلمُ فسادَها، ومَن علمَ ذلك

---

(١) أديم الأرض: ظهرها. المخصص لابن سيده ٣/٤٤.

(٢) «يتهيأ» كتبت في الأصل هكذا «يتهنا». والمثبت هو الصحيح، وهو مذكور في تفاسير. و «بالمكون» هذا أقرب رسم إلىٰ الكلمة، وقد تكون «بالكون».

(٣) ينظر تفسير الطبري ١٩/١٨.

(٤) من أشرف عليه: إذا اطَّلع عليه من فوق. تاج العروس ٢٣/٥٠٤.

(٥) الدفين: المدفون، ويعني المستتر. تنظر مادة (دفن) في النهاية لابن الأثير.

مِن غيرِ تجربةٍ ولا تبصرةٍ كان عالماً بعواقبِ الأمور. سبحانهُ ما أحسنَ لُطفه، وأكرمَ فعلَه، وأحسنَ ما صوَّر!

ثم خلقَ فيكَ إدراكَ المسموعات، وفهماً بالمفهومات، وعقلاً تدبِّرُ به الأمور، وبصراً تشاهدُ به الأشياء، ومنافعَ[1] يطولُ شرحها، ويَكثرُ تعدادُها.

تتكلَّمُ، وتَنظر، وتَفهمُ، وتَسمع.

خالفَ بين المياهِ في الوجه، فجعلَ في الفمِ ماءً عذباً لتُعرفَ الطُّعوم، وفي الأنفِ ماءً حامضاً حتَّىٰ لا يَفسد، وفي العينِ ماءً مالحاً لحفظِ الشَّحمة[2]، وفي الأُذنِ ماءً مرًّا ليمنعَ الهوام.

انظرْ إلىٰ كفِّكَ كيف خلقه، وجعلَ فيه الأصابعَ مختلفةَ القدِّ[3]، حتَّىٰ إذا انفرجتْ لقبضِ المقبوضِ ومَسكه، تساوتْ في إمساكه، وقوَّىٰ رؤوسَها بالأظافيرِ لمسكه، وجعلَ في باطنِها اللحمَ حتَّىٰ تَقبضَ المقبوض، وفي ظهرها العظامَ والعروقَ لتقوِّيها، وجعلَ فيها المفاصلَ لقبضِها وبسطِها.

ونقلَنا مِن خلقٍ إلىٰ خلق، قالَ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧ ـ ١٨].

ومعنىٰ ذلك أنَّ [٣/ب] الماءَ يتولَّدُ منه نباتُ الأرض، والبدنَ يغتذي بنباتها، فصارَ نباتهُ من الأرض، والإخراجُ يكونُ إعادةً إلىٰ الخلقِ الأولِ دونَ

(١) في الأصل: منافعا. والكلمة ممنوعة من الصرف.
(٢) شحمة العين التي تجمع البياض والسواد هي المقلة. مختار الصحاح مادة (م ق ل)، وغيره من المعاجم.
(٣) القدّ: القامة. لسان العرب، باب القاف.

الابتداء[1]. وهذا ممَّا يطولُ شرحُه، وتدقُّ حكمته، وفي بعضهِ كفايةٌ لمعتبر، ومقنعٌ لمتبصِّر.

ألستَ ترىٰ حائطاً مبنيًّا، وسقفاً موضوعاً[2]، فتقطعُ أنَّ له صانعاً، وأنَّه معمولٌ مرتَّب، رتَّبهُ عالمٌ بالبناء؟ فكيف ترتابُ بصانعِك، أو تشكُّ في حكمةِ مُحكمِك؟!

عصمَنا اللهُ وإيَّاكَ عن الزَّلَّةِ في الفكرة، والغفلةِ عن البصيرة.

وفكِّرْ في خلقِ السماواتِ والأرضِ والجبال، قالَ سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وروي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكَّرْ فيها**»[3].

والمفكِّر فيها يعلمُ قدرةَ صانعِها، وحكمتَهُ ولطفَهُ بخلقهِ ورأفتَه، قالَ تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً

---

(١) هذا اجتهاد من المؤلف رحمه الله في تفسير الآية، ومعناها عند المفسرين يعود إلىٰ أن أصل الإنسان مخلوق من الأرض. وأنبت هنا بمعنىٰ أنشأ. قال شيخ المفسرين الإمام الطبري في تفسيرها: والله أنشأكم من تراب الأرض، فخلقكم منه إنشاء.

(٢) هكذا في الأصل، ولعلها تصحيف من (مرفوعًا).

(٣) صحيح ابن حبان ٢/٣٨٧، وذكر الشيخ شعيب أن إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم. صحيح موارد الظمآن رقم ٤٣٢. وهو في السلسلة الصحيحة ١/١٤٧.

وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴾ [ق: ٦ ـ ٨].

من نظرَ إلىٰ السماءِ وعِظَمِ خَلقها، وإحكامِها وزينتِها ـ فشمسُها وقمرُها، وبروجُها ونجومُها، علىٰ سَيرٍ مقدَّر، وأمرٍ مرتَّب ـ عَظُمَ في نفسهِ خالقُها، وجلَّ عندهُ [٤/أ] بارئها.

ومن نظرَ إلىٰ الأرضِ وجبالها، وعرفَ أنهارَها وشجرَها ونباتَها؛ عظَّمَ حكمةَ صانعِها، وقدرةَ ربِّها.

ثمَّ اختلافُ الليلِ والنهار، قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًا﴾ [غافر: ٦١].

جعلَ الليلَ لباسًا، والنهارَ معاشًا.

ونظرَ إلىٰ الفُلكِ التي تجري في البحرِ بما ينفعُ الناسَ في تجاراتهم وحاجاتهم، ونقلِ أقواتهم ومتاعِهم، وبثَّ فيها من كلِّ دابَّةٍ للركوبِ والأكلِ والاعتبار.

وتصريفُ الرياح: اختلافُها من الجهاتِ الشمالِ والجنوبِ والصَّبا(١)، وقيل: إنَّها تأتي بالرحمةِ وتأتي بالعذاب(٢).

والسحابُ المسخَّرُ بين السماءِ والأرضِ لإحياءِ الأرضِ بمائه، وزينتُها بنباته، لَدلائلُ وعلاماتٌ لمن عقلَ وتدبَّر.

(١) ريح الصبا: التي تأتي من المشرق.

(٢) يذكر المؤلف هنا وجهًا في تفسير آية تصريف الرياح، وقد أورده الطبري في تفسيره عند تفسير الآية..

وقولهُ تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ التزيين: التحسين. والفروج: الشقوق. والبهيج: الحسنُ الذي له روعةٌ عند رؤيته. العبدُ المنيب: الراجعُ إلىٰ الحقّ.

وكذلكَ قوله: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣][1]: من يطلبُ الحقَّ والصواب.

وإنَّما عميتْ بصائرُ قومٍ اتَّبعوا أهواءهم، ولم يُنصفوا الفكرةَ والنظر؛ لأنَّ العلمَ الذي كلَّفهُ الله تعالىٰ خلقهُ إنَّما هو علمُ اكتساب، وإن كان ظهورهُ كالضروريّ، وأسبابهُ أقوىٰ من أسبابه، وإنَّما كلَّفَهُ لخلقهِ ولم ينتهِ به إلىٰ الضرورةِ ليُثيبَ المفكِّرَ المنصف، ويعذِّبَ المعرضَ المنحرف. قالَ اللهُ ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]. [٤/ب].

يقولُ تعالىٰ: هل يَنتظرون بإيمانهم أن يأتيَهم بعضُ آياتِ ربِّكَ القاهرةِ لهم، الموجبةِ للعلمِ الضروريّ، من الملائكةِ والعذابِ علىٰ الكفّار، والصواعقِ بهم؟

ثمَّ بيَّن تعالىٰ أنَّ مع وجودِ ذلك لا يكونُ الإيمانُ نافعاً لهم؛ لأنَّهم لم يكتسبوه، وإنَّما القربةُ والثوابُ في الإيمانِ المكتسَب، والطاعاتِ فيه والعمل، والمكتسَبُ ما ينفعُ عند النظرِ والاستدلال، ويجوزُ ورودُ الشُّبَهِ عليه[2].

---

(١) في الأصل «إنما يتذكر»، وهو خطأ. ولم أشر إلىٰ مثل هذه الأخطاء من بعد. فالأصل محفوظ، واللفظ معروف.

(٢) يعني أنهم آمنوا لما عاينوا العذاب، في الحياة الدنيا قبيل الموت، أو في الآخرة عند=

قالَ الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]. فالشيطانُ ينكتُ[1] في القلب، ويُلقي الشُّبهَ جهده، فإذا نظرَ وفكَّر، أو تذكَّرَ للنَّظرِ والاستدلال؛ وقعَ العلمُ، وزالتِ الشبهة.

وعلىٰ هذا تأويلُ قولهِ تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]. لم يكن إبراهيم ـ عليه السلام ـ شاكًّا في قدرةِ الله تعالىٰ علىٰ إحياءِ الموتىٰ، وإنَّما سأل الله تعالىٰ أن يريَهُ ذلك ليحصلَ له علمُ العِيان، ويزدادَ يقيناً بالعيانِ دون الاستدلال. وقيل: إنَّه رأىٰ ميتةً قد مزَّقتها السِّباع، فسأَلَ الله تعالىٰ أن يريَهُ كيف يُحيي مثلَ ذلك، ليشاهدَ ذلك[2]. ألا ترىٰ أنَّه تعالىٰ قال: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ﴾؟ والشَّاكُّ غيرُ مؤمن. فثبتَ أنَّه قصدَ حصولَ [٥/أ] العِيانِ مع صحَّةِ الإيمان.

فإذا فكَّرتَ بما قدَّمتُه، عرفتَ الصَّانعَ ﷻ بالقدرةِ والحكمةِ والعلم، ولم يداخلْكَ ريب، ولا تسلَّطَ عليكَ شبهةٌ مع وجودِ الفكرِ وصحَّةِ النَّظر، وعرفتَ أيضاً وحدانيته، إذ كانت المصنوعاتُ علىٰ استقامةِ النِّظام، لا تختلفُ ولا تتغيَّر، وذلك يشهدُ بأنَّ صانعَها واحد، ومدبِّرَها منفرد، قالَ سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ

= الحساب، ولا ينفع الإيمان حينها، كما وضحه أهل التفسير. وأفرده بتصنيف الملا علي القاري بعنوان «البينات في بيان بعض الآيات». وهو دقيق جدًّا، ردَّ فيه علىٰ البيضاوي في تفسيره، وعلىٰ آخرين.

(١) في الأصل: ينكث. وينكت بمعنىٰ يلقي، أو ينثر الشبه.

(٢) ذكر الواحدي أن هذا قول أكثر المفسرين. ينظر التفسير البسيط ٤/٣٩٨.

﴿فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

ولأنَّ المصنوعاتِ دلَّتْ علىٰ صانعِها، ولا تفتقرُ إلىٰ أكثرَ من واحد، ولا تدلُّ عليه[1]، قالَ سبحانه: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٦١].

فَصْلٌ
[الله سبحانه]

ومن عرفَ خالقَهُ وبارئَهُ عرفَ أنَّه قديم، لا أوَّلَ لوجوده؛ لأنَّه موجِدُ الأشياء، ولا يصحُّ أن يكونَ لموجِدِ الأشياءِ موجِد[2]؛ لأنَّ ذلك يؤدِّي إلىٰ ما لا نهايةَ له، وذلك مُحال، ولا بدَّ أن يكونَ صانعُ المحكماتِ حكيماً، عليماً، حيًّا، قادراً، تعالىٰ الله علوًّا كثيراً.

ولا يجوزُ التفكُّرُ في ذاتِهِ وصفاته؛ لأنَّ ما لا مِثْلَ له من الموجوداتِ تَضِلُّ الأفهامُ عن تصوُّره، وتَعجِزُ العقولُ عن إدراكه. قالَ ﷺ: «**لا تَفكَّروا في الله، ولكنْ تفكَّروا في خلقِ الله**»[3].

ولهذا لمَّا قالَ فرعونُ لموسىٰ عليه السلام: ﴿مَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؟ [٥/ب] ﴿قَالَ رَبُّ

(١) إما أن الضمير يعود إلىٰ (أكثر)، أو أن الصحيح: لا تدلُّ إلا عليه..

(٢) في الأصل «موجدًا». وهو اسم (يكون) المرفوع.

(٣) يأتي بألفاظ متقاربة، ومرفوعًا وموقوفًا، ويدور عليه حكم الضعف، وقد قال العجلوني في كشف الخفاء ١/٣٧١: أسانيده ضعيفة، لكن اجتماعها يكسبه قوة، ومعناه صحيح. ولهذا حسنه الألباني بالشواهد في السلسلة الصحيحة ٤/٣٩٦، وفي صحيح الجامع (٢٩٧٦).

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٢٤ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ﴾؟ [الشعراء: ٢٤ ـ ٢٥]، يريد: إنِّي أسألهُ عن الكيفية، وهو يجيبني بغيرِ ذلك!

ثمَّ عاودَ سؤالَه، فقال: ﴿رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، فقالَ فرعون: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ﴾! [الشعراء: ٢٦ ـ ٢٧]، يريدُ بذلك: إنَّ الذي يزعمُ أنَّه رسولٌ إليكم لمجنون؛ لأنِّي أسألهُ عن الكيفية، ويجيبني بغيرِ ذلك!

ثمَّ عاودَ سؤاله، فقال: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨].

وإنَّما أجابَ موسى عليه السلام بذكرِ الطريقِ الذي به يُعرَفُ الباري جلَّ جلاله، وأنَّه لا يُعرَفُ بجنس، ولا يُدرَكُ بالأوهامِ(١) له وصف. وإنَّما لم يَفهمْ فرعونُ موقعَ جوابه، وحسنَ إيراده، فأنكره، وعجبَ منه!

فَصْلٌ
[نعم الله وفضائله]



ومن عرفَ صانعَهُ ومُنشِئَهُ، عرفَ نعمتَهُ عليه، وإحسانَهُ إليه، قالَ الله سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وكيفَ لا يكونُ ذلك وقد خلقكَ في أحسنِ تقويم، وجعلَ لك حواسَّ(٢)

(١) في الأصل: الأوهام.

(٢) في الأصل: حواسا. وهي ممنوعة من الصرف.




تدركُ بكلِّ واحدةٍ منها ملاذَّ ومنافعَ[١]، بالبصرِ والسمعِ والذوقِ والشمِّ واللمسِ والعلم، فتَلَذُّ وتنتفعُ بمشاهدةِ المستحسَنات، ورؤيةِ المعجِبات، وسماعِ الأصواتِ الطيِّبة، والأخبارِ الماضية والآنفة[٢].

وكذلك الذوق، يذوقُ به الطيِّبات، ويَفصلُ به بين الأشياءِ المشتَبِهات، ويشمُّ الهواءَ[٣] فيعيش، ويشمُّ الطِّيبَ [٦/أ] والفواكهَ...[٤]، ويلتذُّ بلمسِ المستَحسناتِ ويَستمتع، وبمباشرةِ الناعمِ يلتذُّ ويَنتفع، وبعلمِ[٥] ما لم يَعلمْ يزهو ويرتفع، قالَ سبحانه: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢]. فيبيِّنُ الله نعمتَهُ في كونِ الأزواجِ من جنسِنا؛ لميلِ الجنسِ إلىٰ الجنس، وبذلك يحصلُ للحيوانِ الميلُ والأُنس.

والحفَدة: الخدم، وقيل: الأَخْتان[٦]، وقيل: أولادُ المرأةِ من غيره؛

---

(١) في الأصل: ملاذا ومنافعا.

(٢) الآنفة: الماضية القريبة.

(٣) في الأصل: الهوىٰ.

(٤) كلمة غير واضحة، رسمها: ـر بـد.

(٥) في الأصل: ويعلم.

(٦) قال ابن مسعود والنخعي: الحفدة أَختان الرجل علىٰ بناته، وعن ابن مسعود أيضًا أنهم الأصهار، فيكون معنىٰ الآية علىٰ هذا القول: وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجونهم، فيحصل بسببهم الأختان والأصهار. تفسير البغوي ٣/٨٨.

لأنَّهم أعوانٌ له[1].

وذمَّ الله في هذه الآيةِ مَن عَبدَ ما لا ينفعهُ ولا يضرُّه، ومَن لا قدرةَ له من الأصنامِ وغيرِها، وعدولَهُ عن عبادةِ مَن خلقَهُ وأنعمَ عليه، وذلك محلُّ العجبِ وموضعُ الاستنكار، فقال: ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾؟

واعلمْ أنَّ نعمةَ الخالقِ ﷻ معلومةٌ لا يخالطُها شُبهة، ولا ينالُها فَترة[2]، قالَ سبحانه: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣].

فإذا شكرتَ المنعِمَ ﷻ فقد عُلِمَتْ إصابتُك، ولم يُرْتَبْ[3] بحسنتِك. ولهذا قالَ العبدُ الصالحُ[4]: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢].

فهل في عبادتِكَ مَن فَطَرك، وشكرِكَ مَن خَلقكَ، مَطعنٌ لمعاند، أو شكٌّ لمرتاب؟

وإنَّما تقعُ الفَترةُ باستيلاءِ [٦/ب] الغفلة، وتركِ الاعتبارِ والفكرة. قالَ الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧ ـ ٨].

فذمَّهم، وأوجبَ لهم النَّارَ بالغفلةِ عن آياتهِ سبحانه.

وإنَّما اطمأنُّوا إلى الدنيا ولم يؤمنوا بالآخرة، لغفلتِهم عن الآياتِ

---

(١) روي هذا عن ابن عباس رضي الله عنهما. المصدر السابق.
(٢) الفترة: الانكسار والضعف.
(٣) الكلمة غير واضحة تمامًا.
(٤) هو الذي جاء من أقصى المدينة، كما ورد في الآية (٢٠) من سورة يس.

الباهرة، والدلائلِ الظاهرة، قالَ سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

فَصْلٌ
[الإيمان بالأنبياء ورسالاتهم]

فإذا فكَّرتَ أيُّها العاقلُ فيما جاءتْ به الأنبياءُ صلواتُ الله عليهم، كان ذلك طريقاً إلىٰ رشدِكَ قاصداً، وسبيلاً إلىٰ هدايتِكَ واضحاً، فإنَّهم ـ صلواتُ الله عليهم ـ مع كثرةِ عددهم ونجومِهم[١] من الأزمانِ الماضيةِ البعيدة، وتباعدِ ما بينهم من الظهور، اتَّفقوا علىٰ الدعاءِ إلىٰ عبادةِ الخالقِ ﷻ، وشكره، واعتمادِ طاعتهِ وأمره، وبشارةِ المحسنين، وإنذارِ المجرمين، من غيرِ أن يجتمعوا في زمانٍ واحد، ولا التقىٰ منهم اثنان في مكان.

وأنت أيُّها المفكِّر، تعلمُ أنَّه إذا أخبركَ عددٌ دونَ عددِهم بأمر، علمتَ أنَّهم لم يجتمعوا فيه، ولم يتواطؤوا عليه، قطعتَ بخبرهم، وسكنتْ نفسُكَ إلىٰ مخبرهم، فكيف ترتابُ بخبرِ عددٍ أضعافِ عددهم، في أزمانٍ [٧/أ] متفرِّقة، وأحوالٍ متباينة؟

ألا ترىٰ أنَّ ما تضمَّنتهُ كتبُ الأوائلِ وأخبارُهم عن الذين تعاطَوا الفلسفةَ والتنجيم، لا يكادُ يتَّفقُ اثنانِ منهم علىٰ أمرٍ واحد، ولم يأتوا بخبر، وإنَّما استدلُّوا بالشاهدِ علىٰ الغائب، واعتبروا الأشياءَ بعضَها ببعض، ولم يتَّفقوا، وطلبوا علمَ ما لم يعلموا.

---

(١) هكذا بدت الكلمة، وقد تعني: تفرّقهم. ويأتي بعد سطور أنهم كانوا في أزمان متفرقة.

والأنبياءُ صلواتُ الله عليهم أخبروا بالغيوبِ وصدَقوا، وأتوا بالمعجزاتِ الباهرة، والآياتِ القاهرة، واتَّبعَهم ذوو البصائر. وإنَّما خالفَهم وعاندَهم المتكبِّرون، والجبابرةُ المتعظِّمون، كِبْراً وشُحّاً على العلوِّ في الدنيا. فإنَّ الأنبياءَ عليهم السلام جاؤوا باتِّباع الدِّين، والتزامِ العدل، وتركِ التكبُّرِ والتجبُّرِ إلى قومٍ يتكبَّرون ويتجبَّرون، حتَّى قالَ قومُ نوحٍ له: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾؟ [الشعراء: ١١١].

وكذلك قالَ قومُ صالح: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥ ـ ٧٦].

وقد أَهلكَ إبليسَ استكبارُهُ عن السجودِ لآدمَ عليه السلام، مع أمرِ الله تعالى له بالسجود، ومعرفتهِ ما عليه في المخالفة، فلا عجبَ من المستكبرين.

وقد تواترتِ الأخبارُ بإهلاكِ الله تعالى قومَ نوحٍ بالطوفان.

وأهلكَ عاداً وثمودَ بالرِّيحِ والصَّواعق. وكانت العربُ لا ترتابُ بذلك، وتعرفُ الأخبارَ فيه، وتمرُّ على ديارِهم، وتشاهدُ آثارَهم.

قالَ سبحانهُ في قومِ لوط: [٧/ب] ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات: ١٣٦ ـ ١٣٨].

وكذلك أيضاً قصةُ إبراهيمَ عليه السلام والنمرودِ لعنهُ الله، وطرحهِ إبراهيمَ في النَّار، وكونِها عليه برداً وسلاماً.

وكذلك قصةُ موسىٰ عليه السلام مع فرعون، وقلبُ العصا حيَّةً، وإخراجُ يدهِ بيضاء، وجمعهُ له السحَرة، وإيمانُ السحَرةِ جميعِهم، وما لحقَهم علىٰ الإيمانِ من القطعِ والصَّلب، وصبرُهم علىٰ ذلك، وعلمُهم بما بين سحرِهم ومعجزتهِ صلواتُ الله عليه[1]، ومعرفتُهم بالفرقِ بين الحقِّ والباطل، وإنَّما لم يؤمنْ قومُ فرعونَ عناداً واستكباراً، وطاعةً لفرعونَ علىٰ مُلكهِ وجبروته، قالَ سبحانه: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤].

ألا تراهم حين جمعوا السحرةَ لمعارضةِ موسىٰ عليه السلام فيما أظهرَهُ من المعجزة، قالوا فيما أخبرَ الله سبحانهُ عنهم: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ﴾؟ [الشعراء: ٣٨ ـ ٤٠].

ولم يقولوا: «لعلَّنا نتَّبعُ الغالبَ منهما ونتبعُ الحقّ»، وإنَّما طلبوا اتِّباعَ السحَرة، فعَمُوا عن الحقِّ وغَفلوا، وعاندوا واستكبروا.

أوَليس فَلقُ البحرِ، وسلوكُ موسىٰ عليه السلام فيه وأسباطهِ اثنا عشرَ طريقاً، وغرقُ فرعونَ وقومهِ حين اتَّبعوهم، من المعجزاتِ الباهرة، والأمورِ الملجئة، مع تفجيرِ الماءِ من الحجر، وانطباقِ الجبل، وإحياءِ الموتىٰ[2]، مع الآياتِ الكبيرةِ في بني إسرائيل؟!

وكذلك ما جاءَ [٨/أ] به عيسىٰ عليه السلام، من إحياءِ الموتىٰ، وإبراءِ الأكمهِ

(١) الجواب مقدَّر، معروف، ويعني ما بين السحر والمعجزة (من اختلاف).

(٢) لعل المقصود قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣]. وكانوا من بني إسرائيل، ولكن ليس في عهد موسىٰ عليه السلام. تنظر الروايات في تفسير الطبري، عند تفسير الآية.

والأبرص، وكلامهِ في المهد، حتَّىٰ غلا فيه طوائف، ونسبوهُ إلىٰ الخروجِ عن حدِّ البشريَّة.

[دلائل نبوة محمد ﷺ]



ثمَّ بعث الله محمَّداً ﷺ بالدَّلائلِ الظاهرة، والمعجزةِ القاهرة، والشريعةِ المحكَمة، وأُنزِلَ عليه القرآنُ الحكيم، الناظمُ لأعلَىٰ مراتبِ الفصاحة، الجامعُ لأنواع اللَّسَنِ[1] والبراعة، المفصحُ عن الأخبارِ الماضيةِ والآتية، الهادي إلىٰ الدرجاتِ العالية، المبيِّنُ للسَّننِ والأحكام، المفرِّقُ بين الحلال والحرام، كلامُ الحكيمِ العلَّام، أعجزَ الفصحاءَ بفصاحته، وقَصروا عن معارضتهِ ومماثلته. فلمَّا أظهرَ ﷺ نبوَّته، بعد أن بلغَ أشدَّهُ أربعينَ سنة، وقد كان ناشئاً بينهم، يعرفونه بالصدقِ والأمانة، لا يُحسنُ الخطَّ والكتابة، ولا يقرأُ كتاباً، ولا يقولُ شعراً، ولا يُنسَبُ إليه خطبةٌ ولا فصاحة، ولا اشتغالٌ بغيرِ السدادِ والسلامة، موصوفٌ بالعقلِ والحصافة[2]، أُنزلَ عليه: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩].

وهذا يسمعهُ مَن شاهدَ مولده، وعرفَ نشوءَهُ وتربيته، من أقاربهِ وقومه، ولا ينكرُ أحدٌ منهم ذلك.

فلمَّا دعاهم إلىٰ الله تعالىٰ، وإلىٰ تحوُّلهم عن دينهم، وكسرِ أصنامهم،

---

(١) من لسِن لسَنًا، أي: فصح وبلغ.

(٢) في الأصل: الخصافة. والحصيف: الرجل المحكم العقل. لسان العرب، فصل الحاء المهملة.

وتسفيهِ [٨/ب] أحلامِهم، احتجَّ لنبوَّتهِ بآياتٍ نزلتْ عليه من القرآن. ولولا علمهُ بعجزهم عن مثلِها بخبرٍ من الواحدِ العلَّام، لم يُقدِمْ على الاحتجاجِ بكلامٍ لا يَعلَمُ أنَّهم يَعجزون عن مثله؛ إذ كانوا أربابَ الفصاحة، وأصحابَ الشِّعر والخطابة، والذي أتاهُم به من جنسِ كلامِهم، وهو أحدُهم من طبيعتِهم، فلو كان من كلامهِ لما ساغَ ذلك لقائلٍ أن يقولَه، وهو لا يأمنُ أن يأتوا بمثلهِ أو خيرٍ منه، ويكونُ ذلك إخراقًا به وإسقاطًا(١)، فلمَّا كان من عندِ الله ساغَ في العقلِ أن يتحدَّاهم به، فمنهم من صدَّقَهُ حين سمعَ دعوته، ووقفَ على تلاوته، وأكثرُهم كذَّبَهُ وعاداه، فتحدَّاهم بالإتيانِ بمثله، قالَ تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤]، فلم يَقدروا، فقال: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [هود: ١٣].

وإنَّما قالَ تعالى: ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ لأنَّهم قالوا: لا نَعرفُ أخبارَ الماضين فنأتي بمثله، فقال: ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ أي: كذب، ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(٢).

فلمَّا عجَزوا، قالَ سبحانه: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨]. فتحدَّاهم على أن يأتوا بسورةٍ مثله، ويَدعوا أصنامَهم، ويكونوا(٣) على دينِهم، ويكفَّ عنهم، فلم يأتوا بذلك، حتَّى قالَ بعضُ المتكلِّمين: إنَّ الله تعالى صرفَ [٩/أ] هِمَمَهم عنه، فكان ذلك هو

---

(١) في الأصل: إخراق به وإسقاط. والخُرْق: الحمق والجهل. (النهاية في غريب الحديث ـ خرق). ويأتي في معاجم مقرونًا بالإفساد.

(٢) في تفسير البغوي ٢/ ٤٤١: إن عجزتم على الإتيان بسورة مثله في الأخبار والأحكام والوعد والوعيد، فأتوا بعشر سور مثله من غير خبر ولا وعد ولا وعيد، وإنما هي مجرد البلاغة.

(٣) في الأصل: ويدعون... ويكونون.

الإعجاز[1]، والقرآن...[2].

وإنَّ تلاوتَهُ دلالةٌ لنبوَّتهِ ﷺ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وقالَ تعالىٰ بعدَ ذلك: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣ ـ ٢٤].

فتحدَّاهم بالإتيانِ بسورةٍ من مثله، وأخبرَ أنَّهم لا يقدرون علىٰ ذلك، ولو قدروا ـ مع معاندتهم له وعداوتهم إيَّاه ـ لكانوا أحرصَ الناسِ علىٰ تكذيبهِ في ذلك. ومُحالٌ أن يَقدروا، فلم يأتوا [بمثله][3]. كمن وَجدَ ما هو محتاجٌ إلىٰ شربهِ ولا مانعَ له، فمُحالٌ أن يتركه.

وقالَ تعالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وهذا تعجيزٌ لهم. وكيف يحتملُ العربُ التعجيزَ والتقريعَ وهي أشدُّ خلقِ

(١) أي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن، ويسمىٰ الصرفة. وهو قول النظّام ومن تابعه من المعتزلة. وهو مردود.

(٢) بياض بمقدار كلمتين أو ثلاث.

(٣) إضافة من قبل المحقق.

الله أَنَفة[1]، وأفرطُهم حميَّة، ثم لا تَبذلُ مجهودَها، وتُخرجُ مكنونَها؟!

فلمَّا قصرتْ عن [٩/ب] ذلك، كان ذلك من أوضحِ دليل، وأهدَىٰ سبيل.

وهذا أيضاً من الأخبارِ الصادقة.

وقد تضمَّنَ القرآنُ من الإخبارِ عن الغيوبِ ما أوضحَ فيها صدقَه، وتحقَّقَ فيها خُبْرُه[2]، قالَ سبحانهُ خطاباً لليهود: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٤ ـ ٩٥]، فأخبرَ تعالىٰ أنَّهم لا يتمنَّوه[3]. ومعلومٌ عند جميعِ العقلاءِ أنَّ من تمنَّىٰ الموتَ لا يموتُ بتمنِّيه[4]. وقد كانت اليهودُ حريصةً علىٰ الرَّدِّ علىٰ القرآن، وتكذيبِ النُّبوَّة، وكان ذلك يحصلُ بتمنِّيهم الموت، فلم يُقْدِمْ واحدٌ منهم علىٰ ذلك، ولا يجوزُ أن يقول لهم: إنَّكم لا تتمنَّونَهُ، مع تجويزِهِ أن يتمنَّوه، فيكذِّبونه.

وكذلك قالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧].

وذلك أنَّ الله تعالىٰ وعدَهم بالظفرِ بأبي سفيان ومَن خرجَ من مكةَ

---

(١) الأنفة: عزة النفس.

(٢) خُبره: علمه بالشيء.

(٣) الصحيح: لا يتمنونه، فـ(لا) هنا نافية.

(٤) لا أدري كيف ورد هذا. وقد صح في الحديث: «لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا». مسند أحمد (٢٢٢٦) قال الشيخ شعيب: صحيح علىٰ شرط البخاري.




لنصرته، فظفَّرهُ الله تعالى بجيشِهم، وقتلَ صناديدَهم، وأسرَ أعيانهم، ووعدَهم الله تعالى بذلك بقولهِ تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥].

ومن إخبارِ الغيبِ قولهُ تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ١ ـ ٣].

وكان أبو بكرٍ [١٠/أ] رضوانُ الله عليه خاطرَ أميةَ بنَ خلفٍ على ذلك، فغُلبتِ الروم، وأخذَ أبو بكرٍ رضي الله عنه الخَطَرَ(١).

وكذلك قولهُ تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥] ففعلَ الله تعالى ذلك.

وكذلك قولهُ تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

قيل: أرادَ بذلك في الحجةِ والدليل، وقيل: من العلوِّ والاستيلاء. وقد وُجِدا جميعاً بحمدِ الله ومنِّه، فإنَّه ليس أحدٌ من أهلِ الأديانِ إلَّا وهو ذمَّةٌ للمسلمين(٢).

وكذلك قولهُ تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ

---

(١) الخطر: الرهن والعوض. والخبر برواياته في تفسير ابن كثير عند تفسير الآية. وهو أبيّ بن خلف، وليس أمية. وفيه أناحبك، بدل أخاطرك.

(٢) أجمل المؤلف معناها، وتفصيلها في كتب التفاسير، مثل مفاتيح الغيب، وروح المعاني...

﴿ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧].

وكذلك قوله: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٠].

وأشباهُ ذلك من آياتِ القرآن، ما اشتملَ عليه من الحكمة، ومكارمِ الأخلاق، والوعدِ والوعيد، والحثِّ على المستحسَنات، والأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرات، والأخبارِ المتكررةِ من غيرِ اختلافٍ ولا تناقضٍ ولا تباين، قالَ سبحانه: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢].

والقارئُ له لا يَملُّه، والسامعُ يعجبه، والمفكِّرُ يَستعظمهُ [١٠/ب] حتَّى تشهدَ له نفسه، ويثقَ به علمهُ وعقله، قالَ الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٣٧]. وهذا تقريرٌ على السامعِ له أنَّ مثلَهُ لا يُفترى من دونِ الله سبحانه(١)، فوجبَ معرفتهُ دونَ معرفةِ المعجزةِ عن مثله، فكيف مع انضمامِ عجزِ العربِ المتحدَّين به ومَن بعدهم عن الإتيانِ بسورةٍ من مثله؟

ولا شكَّ أنَّ في كلِّ زمانٍ يوجدُ مخالفون لدينِ الإسلام، حريصين(٢) على الطعنِ فيه، ولم ينفردْ عصرٌ من الأعصارِ بفصاحةٍ لم توجدْ في غيره، وإن كان عصرٌ يكونُ ذلك أكثرَ فيه من عصر، فإنَّ مَن تقدَّمَ من الشعراءِ الفصحاءِ

(١) أي: مثل هذا القرآن لا يكون إلا من عند الله، ولا يشبه هذا كلام البشر. تفسير ابن كثير ٢/٥٠٨ (ط. دار الفكر).

(٢) الأقوى (حريصون) صفة لـ(مخالفون)، لكن النصب ليس خطأ، فقد وردت الحال عن النكرة بقلة.

والخطباءِ المجيدين لم يَخلُ عصرٌ من أن يكونَ فيه مَن يساويهم أو يقاربهم في شعرهم وخطبِهم، ولم يوجدْ للقرآنِ(١) ما يساويهِ أو يقاربه، ولم يزلْ للمسلمين أعداءٌ في كلِّ عصرٍ من الفصحاءِ والشعراء، ولو وَجدوا مسلكاً إلىٰ معارضةِ القرآنِ لم يعدِلوا عن ذلك، بل أخلَدوا إلىٰ الطعنِ في المتشابه، وادَّعَوا التناقضَ بما أكذبَهم فيه النظر، وخصمَهم الغير.

وممَّا يبيِّنُ عجزَ العرب، أنَّ مسيلمةَ(٢) حين تنبَّأَ ادَّعَىٰ قرآناً ليكونَ له حجةً مثلَ محمَّدٍ ﷺ، فقال: يا ضفدعُ بنتَ ضفدعَين، نِقِّي نِقِّي، الماءَ لا تكدِّرين، وشاربَهُ لا تمنعين.

وقال: والطاحناتِ طحناً، والعاجناتِ عجناً، والخابزاتِ خبزاً، والثارداتِ ثرداً، واللاقماتِ [١١/أ] لقماً(٣).

والفرقُ بين هذا والقرآنِ لا يحتاجُ إلىٰ بيان، ولهذا قال ثمامةُ بنُ أثالٍ الحنفيُّ(٤) لأصحابِ مسيلمةَ من بني حنيفة: ويلكم! أين قولُ مسيلمة: «يا ضفدعُ بنتُ ضفدعين»، من قولِ الله تقدَّستْ أسماؤه: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

(١) في الأصل: القرآن.

(٢) مسيلمة الكذاب من اليمامة، من بني حنيفة بنجد، مدَّعي النبوة. خبره مشهور. قُتل في معركة اليمامة سنة ١٢ هـ في عهد أبي بكر ﷺ. ينظر تاريخ الإسلام بتحقيق بشار ٢/٢٧.

(٣) ترد في أكثر من مصدر، منها البداية والنهاية ٧/٢٦١ (ط، دار هجر). كما ترد بصيغ أخرىٰ.

(٤) أبو أمامة ثمامة بن أثال اليمامي، الصحابي. ثبت في فتنة مسيلمة علىٰ إسلامه، ووعظ قومه وذكَّرهم في ذلك، وكان سيدهم. توفي سنة ١٢ هـ. ترجمته في الإصابة لابن حجر ١/٥٢٥ وغيره.

هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [غافر: ١ ـ ٣] ؟[١].

ومن معجزاتِ القرآنِ أنَّه محفوظٌ من الزيادةِ والنقصان، لم يقعِ الاختلافُ إلَّا في حروفٍ يسيرة، يجوزُ إثباتُها وتركُها[٢]، مع الاختلافِ الظاهرِ من أصحابِ محمَّدٍ ﷺ في الأذانِ والقراءةِ في الصلاةِ وإهلالِه بالحجِّ، وكلُّ ذلك يجري مجرى آياتٍ يسيرةٍ من القرآن، تقعُ مكررةً في كلِّ يومٍ مرّات....[٣] الجماعة في صلواتهِ وإحرامهِ وعندَ الأذان. ولم يختلفوا في القرآنِ مع كثرتهِ وتشابهه، فإنَّ الله تعالى قال: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحِجْر: ٩].

وقالَ تعالى: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢].

فصدقَ فيه الخبر، مع ما ذكرتهُ من النظر.

وكان سبيلُ معجزتهِ مع قومهِ سبيلَ معجزةِ غيرهِ من الأنبياءِ مع قومهم، فإنَّ موسى عليه السلام جاءَ بقلبِ العصا حيَّة؛ لأنَّه كان في زمانٍ قد كثرَ فيه السحرُ والسحَرة، فجاءَهم بما عجَزتْ عنه السحَرة، وعلموا أنَّه ليس ممَّا يَقدرُ عليه ساحر. فمعرفتُهم [١١/ب] بالسحر، وعلمُهم بمعانيه[٤]، ولو كانوا جاهلين بالسحر، لجوَّزوا أن يكونَ ذلك ممَّا يَقدرُ عليه السحَرة.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/٧٦.

(٢) ينظر منجد المقرئين لابن الجزري ١/٧١.

(٣) بياض بمقدار كلمة. وقد يقال: يحضرون معه، أو مرات كثيرة في الجماعة.

(٤) هنا سقط واضح، تقديره: دلَّهم على صحة المعجزة.

وكذلك عيسىٰ عليه السلام، جاءَهم بإبراءِ الأكمهِ والأبرص، وإحياءِ الموتىٰ[(١)]، وكان زمانَ الأطباءِ ومعرفتِهم بما ينفعُ فيه الطبيبُ والدواء، فلمَّا جاءَهم بما علموا أنَّه لا يقدرُ عليه طبيب، ولا ينفعُ فيه دواء، قامتْ عندهم بذلك معجزتُه، وعلموا صدقَه.

وكذلك سليمانُ عليه السلام، كان المُلكُ لقومهِ والقدرةُ، فكانت معجزتهُ تسخيرَ الريح، واستخدامَ الشياطين، فعلموا معجزتَهُ في مُلكه[(٢)].

وكذلك محمَّدٌ ﷺ، جاءَ قومَهُ بالفصاحةِ التي عجَزوا عن الإتيانِ بمثلِها، وهم أعرفُ الناسِ بالكلامِ وضروبه، وأنواعِ الفصاحةِ وصنوفِها؛ ليعلموا أنَّه ليس ممَّا يَقدرُ عليه فصيح، ولا يَبلغُ إليه خطيب، فعَلموا بذلك موقعَ معجزته، وبيانَ صدقه.

وقد كثرتِ الأخبارُ عن آياتهِ ﷺ وإن كانت أخباراً من طريقِ اللفظ، فإنَّها تواترٌ من طريقِ المعنىٰ؛ لأنَّ الأخبارَ الكثيرةَ لا يجوزُ أن تكونَ جميعها متقوَّلة، ألا ترىٰ أنَّ من قال: إنَّ أخبارَ الآحادِ المرويةَ عن النَّبيِّ ﷺ كلَّها غيرُ صحيحة، حكمتِ العقولُ بكذبه، وقطعتْ أنَّه لا يجوزُ أن يتفقَ [كونُ][(٣)] هذه الأخبارِ كلِّها متقوَّلة، وإن جازَ أن يكونَ فيها شيءٌ من ذلك؟ كذلك الأخبارُ التي وردتْ بآياتهِ ﷺ. [١٢/أ].

(١) قوله سبحانه: ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى﴾ [المائدة: ١١٠] والأكمه: الأعمىٰ. والأبرص: المبتلَىٰ بالبرَص، وهو بياض يُصيب الجسدَ لمرض.

(٢) قوله تعالىٰ: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾. [ص: ٣٦ ـ ٣٨].

(٣) إضافة من قبل المحقق.

فمن ذلك لمَّا أنزلَ الله تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، قرأ ذلك عليهم، فمضَوا إلىٰ أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه، فقالوا: هل لكَ عن صاحبك؟ يزعمُ أنَّه أتىٰ بيتَ المقدسِ من ليلتهِ ورجعَ فيها!

فقالَ لهم أبو بكرٍ رضي الله عنه: إن كان قالَهُ لقد صدق.

قالوا: والله إنَّ العِيرَ لتُطْرَد[١] فيكونُ ذهابُها شهراً وإقبالُها شهراً، فكيف ذهبَ محمدٌ ورجعَ في ليلته؟

فقال: أتعجبون من هذا؟ والله إنَّه ليُخبرني أنَّ الملَكَ يأتيهِ بالوحي من السماءِ إلىٰ الأرضِ في ساعةٍ واحدةٍ فأصدِّقه.

ثمَّ أتاهُ أبو بكرٍ رضي الله عنه والناسُ معه، فسألَهُ عمَّا قالوا، فقال: «نعم، صلَّيتُ العشاءَ بهذا الوادي، ثمَّ مررتُ البارحةَ إلىٰ بيتِ المقدس، ثمَّ رجعتُ وصلَّيتُ الغداةَ ها هنا، ولقد مررتُ بعِيرِ بني فلانٍ بوادي كذا وكذا، وفيها فلانٌ وفلان، وفلانٌ وفلان، فندَّ لهم بعير[٢]، فدللتُهم عليه وأنا ماضٍ إلىٰ الشام، ثمَّ رجعتُ ولهم إناءٌ فيه ماء، فشربتُ الماءَ وغطَّيتُ الإناء، ثمَّ أقبلتُ، حتىٰ إذا كنتُ بضَجنانَ[٣] مررتُ بعِيرِ بني فلانٍ فيها فلانٌ وفلان، ومعهم من الأمتعةِ كذا وكذا، فلمَّا صرتُ بالقربِ من مكةَ رأيتُ عِيرَ بني فلان، يَقدمُها جملٌ أورقُ

(١) العِير: قافلة الإبل المحملة بالطعام. والإطراد هو العوض في السباق. والمقصود الإسراع بها وكأنها في سباق. تنظر النهاية في غريب الحديث، مادة طرد.
(٢) ندَّ: شرد.
(٣) الكلمة بدون نقط في الأصل، والمثبت من السيرة لابن هشام. وهو جبل بناحية تهامة.

عليه غِرارتان[1]، إحداهما سوداء، والأخرىٰ [برقاء][2]». [١٢/ب] فوجدوا كلَّ ما قالَ علىٰ ما قالَ ﷺ[3].

ومن ذلك أيضاً أنَّه ظهرَ بمكةَ ولم يكنْ ذا مالٍ ولا أتباع، نشأ يتيماً، وكفلَهُ جدُّه، وربَّاهُ عمُّه، فدعاهم إلىٰ تركِ دينِهم ودينِ آبائهم واتِّباعِه، وسفَّه أحلامَهم، وطعنَ علىٰ آبائه وآبائهم، فقصدوهُ بالعداوة، وحرصوا علىٰ قتله، وناصبَهُ[4] جماعةٌ من أهله، والله تعالىٰ عصمَهُ منهم، وأخبرَهم أنَّه سيَظهرُ عليهم، ويُظهِرُ الله دينه، ويَكثرُ أتباعه، فكانَ كما قال.

ورويَ أنَّ أبا جهلِ بنَ هشام، وكان سيِّدَ أهلِ الوادي، وكان أشدَّ الناسِ في معاداته، وقد سمَّاهُ ﷺ **«فرعونَ هذه الأمة»**[5]، جاءَ إليه وهو يصلِّي، فأخذَ صخرة، وقالَ لبني مخزوم: إنِّي أريدُ أن أرضخَ[6] بهذه الصخرةِ رأسَ محمَّد، فإن شئتُم بعدُ فأسلِموني إلىٰ بني عبدِ مناف، وإن شئتُم فدَعوا. فقالوا: نحن لا نسلمُكَ لشيءٍ أبداً. فلمَّا دنا ليرضخَ رأسَهُ التصقتِ الصخرةُ بكفِّهِ ومضىٰ هارباً، فأنزلَ الله تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ [العلق: ٩ ـ ١٠][7].

---

(١) أورق: أسمر. والغِرارة: الكيس الكبير من الصوف أو الشعر. معجم لغة الفقهاء ص ٣٢١.

(٢) البرقاء: ما اجتمع فيها اللونان الأبيض والأسود. ولم ترد الكلمة في الأصل، وقد أثبتت من المصادر.

(٣) لفظه أقرب إلىٰ ما أورده ابن هشام في السيرة ١/٤٠٢، وابن كثير في البداية ٤/٢٧٣ ط، دار هجر، كلاهما من رواية ابن إسحاق في سيرته عن أم هانئ.

(٤) في الأصل: ناصته.

(٥) رواه أحمد لابن مسعود (٤٢٤٧) وضعف الشيخ شعيب إسناده، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٦/٨٢: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن وهب بن أبي كريمة وهو ثقة. وهذا القول فيه كان يوم مقتله ببدر.

(٦) بمعنىٰ أكسر.

(٧) يورده أهل التفسير عند تفسير الآية (٨) من سورة يس ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ=

وأخبارُهُ بمكةَ يطولُ شرحُها، فمن ذلك أنَّ خمسةَ[1] نفرٍ من مشيخةِ قريشٍ ومقدِّميهم كانوا ينفِّرون الناسَ عنه[2] ويستهزؤون به، ويمنعونَهم أن يسمعوا منه، وهم: الوليد بنُ المغيرة المخزومي، والعاص بنُ وائل السهمي، والأسود بنُ المطَّلب الأسدي، والأسود بنُ [١٣/أ] عبد يغوث الزهري، والحارث بنُ الطُّلاطلة. فجاءَ إليه جبريلُ ﷺ فقال: إنَّ الله قد أمرني بطاعتِكَ فيهم، فمُرْ فيهم بما أحببت. فاستندَ بجدارِ الكعبة، فمرَّ به الوليد بنُ المغيرة، فأومأَ إلىٰ أخمصِ رجليه، وكان قد مرَّ برجلٍ من خُزاعةَ وهو يريِّشُ نَبلاً[3]، فوطئَ علىٰ نصلٍ منها، فكان من ذلك مريضاً، ثمَّ اندمل، فانتقضَ بعد ذلك[4] ومات.

ومرَّ به الأسود بنُ المطَّلب وفي يدِ النَّبيِّ ﷺ ورقةٌ خضراء، فرمَىٰ بها وجهَه، وقال: «**اللهمَّ أعمِ بصره، وأثكلْهُ ولدَه**»، فعَميَ بصرُه، وقُتِلَ أولادُهُ يومَ بدر.

ومرَّ به العاص بنُ وائل، فأومأ إلىٰ رجله، فركبَ حماراً له يريدُ أرضَهُ بالطائف، فطرحَهُ الحمار، فدخلتْ في رجلهِ شوكة، فمات.

= ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾. مثل الزمخشري، والبغوي، والثعلبي، والبيضاوي، وآخرين. كما رواه ابن هشام في السيرة ١/٢٩٩. والآية التي أوردها المؤلف من سورة العلق، ترد في كتب الحديث لبيان سبب نزولها، وفيه قول أبي جهل: لأطأن علىٰ رقبته. ويبدو أن المؤلف دمج روايات بعضها مع بعض. والحديث في صحيح مسلم (٢٧٩٧) وغيره.

(١) في الأصل: خمس.

(٢) أي: يفرِّقونهم عنه.

(٣) أي: يلصق الريش علىٰ السهم.

(٤) أي: نُكس وفسد.

ومرَّ به الأسود بنُ عبد يغوثَ الزهري، فأومأ إلىٰ رأسه، فتمخَّضَ قيحاً[1]، ومات.

ومرَّ به الحارث بن الطُّلاطلة، فأومأ إلىٰ بطنه، فأكلَ سمكاً مملوحاً ونام، فلمَّا كان جوفُ الليلِ عطش، فقامَ إلىٰ قِرْبة[2] فيها ماء، فوضعَ فاهُ علىٰ فيها، فشربَ ولم يَرْوَ، حتىٰ انشقَّتْ بطنهُ ومات. ونزلَ في ذلك قولهُ تعالىٰ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ [الحِجر: ٩٥][3].

ولمَّا هاجرَ ﷺ هو وأبو بكرٍ رضي الله عنه، وخرجَ أهلُ مكةَ في طلبِهما، دخلا الغار، وأهلُ مكةَ يمرُّون عليهم وقد نَسجَ العنكبوتُ علىٰ بابِ [١٣/ب] الغار، فإذا رأوا ذلك انصرفوا عنه؛ لأنَّ مثلَ ذلك لا يحصلُ في اليومِ والأيام، وإنَّما يكونُ في الزمانِ المتطاول[4].

ومن ذلك أنَّه ﷺ لمَّا تلا علىٰ قريشٍ ما أُنزِلَ عليه، اجتمعتْ قريشٌ وتشاورتْ في أمرهِ ﷺ، فاتَّفقَ رأيهم علىٰ أن يبعثوا برجلين منهم إلىٰ اليهودِ

---

(١) بمعنىٰ تحرك واضطرب فأخرج قيحًا.

(٢) وعاء من جلد يحفظ فيه الماء.

(٣) سيرة ابن إسحاق ٢٧٣/١، السيرة النبوية لابن هشام ٤١٠/١، دلائل النبوة لأبي نعيم ٢٦٨/١، تاريخ الإسلام للذهبي ٢٢٤/١، وفيها وفي غيرها أن الذي كان يفعل بهم ذلك هو جبريل عليه السلام.

(٤) يأتي بألفاظ متقاربة، وهو في مسند أحمد (٣٢٥١) من رواية ابن عباس، قال الشيخ شعيب: إسناده ضعيف. وهو في السلسلة الضعيفة (١١٢٩)، لكن ذكر ابن كثير في البداية ٤٥٢/٤ أنه حسن بحاله من الشاهد. وحديث الهجرة موجود في الصحاح بسياق آخر، ينظر في صحيح البخاري (٣٦٥٢) وغيره.

بالمدينةِ ليخبروهم بأمرٍ يسألونَهُ عنه لا يعلمهُ إلَّا علماؤهم، فقالوا لهم: سَلُوهُ عن فتيةٍ كانت لهم قصةٌ عجيبة، وعن رجلٍ طوَّافٍ طافَ الشرقَ والغرب، وعن خبرِ يوسفَ وإخوته. فسألوهُ عن ذلك، فأنزلَ الله تعالىٰ في سورةِ الكهفِ خبرَ أهلِ الكهف، وخبرَ ذي القرنين، وأنزلَ حديثَ يوسفَ وإخوتهِ في سورةِ يوسف، فلم ينكرِ اليهودُ من ذلك حرفاً واحداً، ولا قالوا له قدَّمتَ مؤخَّراً، ولا أخَّرتَ مقدَّماً، ولا قالوا إنَّك أوردتَ ما لم يكن، ولا تركتَ ما كان. وهذا ممَّا لا يجوزُ أن يوردَهُ مَن قد تقدَّمتْ قراءتهُ له وعلمهُ به إلَّا ويكونُ فيه تحريفٌ أو غلط، فكيف يوردهُ الأمِّيُّ الذي لم يقرأْ كتاباً، ولا كان عندهُ ولا عند قومهِ خبرٌ من ذلك؟! ومَن أنصفَهُ عقلهُ قطعَ بأنَّ ذلك من عندِ علَّامِ الغيوب[(١)].

ومن ذلك أنَّه ﷺ لمَّا هاجرَ إلىٰ المدينةِ لحقَهُ سُراقة بنُ مالك بنِ جعشم[(٢)]، فلمَّا دنا منه أخذتِ الأرضُ قوائمَ فرسه، حتَّىٰ [١٤/أ] ناشدَهُ اللهَ أن يدعوَ الله فيخلِّصه، وسألَهُ أن يكتبَ له كتاباً، فكتبَ له، فقالَ ﷺ لسراقة: «إنَّك...[(٣)] بسواري كسرىٰ». فلمَّا فتحَ الله علىٰ المسلمين في زمانِ عمرَ رضي الله عنه، وأخذوا سواري كسرىٰ، فسوَّرَهُ عمرُ رضي الله عنه بهما، فصدقَ الخبر[(٤)].

---

(١) أورده المؤلف باستعمال ألفاظه، وقد رواه ابن حجر بسنده إلىٰ ابن عباس في كتابه موافقة الخبر ٧٠/٢ وفيه: عن رجل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. قال: حديث غريب، لولا هذا المبهم لكان سنده حسنًا. وأنكر فيه أيضًا السؤال عن الروح، وأنه كان في مكة، والثابت في الصحيحين أنه كان بالمدينة. اهـ. ويعني سؤال اليهود عن الروح، فهو في الصحيحين وغيرهما (صحيح البخاري ٤٧٢١، صحيح مسلم ٣٢).

(٢) أسلم رضي الله عنه بعد غزوة حنين، وحسن إسلامه. ت ٢٤ هـ. العبر في خبر من غبر ٢٧/١.

(٣) كلمة غير واضحة، رسمها: تسترفنىٰ، أو تشرفني.

(٤) البداية والنهاية ٤٦٦/٤، وينظر دلائل النبوة للبيهقي ٣٢٥/٦، ولأبي نعيم ٣٢٩/١، والخصائص الكبرىٰ ١٩٣/٢، وأصل خبر سراقة مع الرسول ﷺ في طريق هجرته،=

ومرَّ في طريقهِ بأمِّ معبد[١]، فاستسقَىٰ لبناً، فلم يكنْ عندها إلَّا شاة، أخَّرها عن الغنمِ الجهدُ والضرّ، فاستدعاها، وأمرَّ يدَهُ المباركةَ علىٰ ضرعها، فتَشخبَ لبناً[٢]، وشربَ منه ومَن كان معه. وهذه قصةٌ مشهورة[٣].

ولمَّا وردَ المدينةَ عادتْهُ اليهودُ وأنكروه، وكانوا من قبلُ يبشِّرون به، ويستنصرون بذكرهِ إذا قاتلوا المشركين، فلمَّا جاءَ إليهم حسدوهُ وأنكروه، وقالوا: ينبغي أن يكونَ النَّبيُّ الذي يُبعَثُ من بني إسرائيل، وهذا معنىٰ قولهِ تعالىٰ: ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩][٤].

وأنزلَ الله تعالىٰ عليه قصصَهم وما فعلوهُ بالأنبياء، وقولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، وقولهم: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا﴾ [البقرة: ٦١]، وأخبارَ موسىٰ عليه السلام ونبأه، فلم يُنكروا شيئاً من ذلك، حتىٰ قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١] [١٤/ب].

= في صحيح البخاري (٣٩٠٦، ٣٩٠٨)، وصحيح مسلم (٥٠، ٧٥، ٩١) وغيرهما.

(١) أم معبد الخزاعية، اسمها عاتكة، ومعبد ولدها. البداية ٤/٤٧٣.

(٢) الشخب: صوت درِّ اللبن.

(٣) دلائل النبوة لأبي نعيم ١/٣٣٧، المستدرك ٣/٥٤٣ من رواية هشام بن حبيش وأنه صحيح الإسناد. ورواه عن ابن إسحاق البيهقي في دلائل النبوة ٢/٤٩٣، وابن كثير في البداية والنهاية ٤/٤٧٣. ويأتي من رواية أبي بكر رضي الله عنه في صحيح البخاري (٣٦٥٢)، وفيه أنه غلام رجل من قريش بدل أم معبد.

(٤) أورده الإمام الطبري عند تفسير الآية.

وهل يجوزُ في العقولِ لبشرٍ أن يخبرَ قوماً عنهم وعن أسلافهم وأحبارهم فلا يردُّوا[١] منها خبراً واحداً من غيرِ أن يتقدَّمَ علمهُ بذلك إلَّا من جهةِ علَّامِ الغيوب؟!

ومن ذلك أنَّه تلا عليهم ما أُنزل، قولهُ تعالىٰ: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، ومحالٌ مِن حيثُ النظر، أن يقولَ من عُرِفَ عقلهُ وسياستهُ وتدبيرهُ لقوم: إنَّكم تعرفوني، وهم لا يعرفونه، فيكونُ ذلك طريقاً إلىٰ معرفتِهم بكذبه، وله عن ذلك مندوحة.

وقد رُوي عن عبدالله بن سلامٍ أنَّه قالَ لعمرَ رضي الله عنه: لَأنا كنتُ برسولِ الله ﷺ أعلمَ منِّي بابني، قال: كيف ذلك؟ قال: أعلمُ أنَّه رسولُ الله ﷺ، وأمَّا ابني فلا أعلمُ ما أحدثَهُ النساء[٢].

وأمَّا النصارىٰ، فآمنَ به النجاشيّ، وهو مَلِكُ الحبشة، ولم يره، وإنَّما وصلتْ إليه أخباره. ولمَّا ماتَ أخبرَ النَّبيُّ ﷺ بموتهِ يومَ مات، وصفَّ الناسَ وصلَّىٰ عليه[٣].

وقدمَ عليه الرهبانُ والقسَّاسون[٤] فآمنوا به، وأخبرَ الله تعالَىٰ بذلك في كتابه، فقالَ تعالىٰ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ

---

(١) في الأصل: يرد.

(٢) صاغه المؤلف بتعبيره، وهو في تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، وتفسير ابن كثير، عند تفسير الآية ١٤٦ من سورة البقرة.

(٣) وكان اسمه (أصحمة)، قال ﷺ حين موته: «ماتَ اليومَ رجلٌ صالحٌ، فقُوموا فصلُّوا علىٰ أخيكُم أصْحَمَةَ». صحيح البخاري (٣٨٧٧).

(٤) هذا جمع قياسي، والسماعي منه: قساوسة.

وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المائدة: ٨٢ ـ ٨٤](١) [١٥/أ].

ولمَّا قدمَ عليه نصارىٰ نجران: السيد، والعاقب، وعبد المسيح، قالوا له: يا محمَّد، ولمَ تذكرُ صاحبنا؟ قال: «**ومن صاحبكم**»؟ قالوا: المسيح، قال: «**وبمَ ذكرته**»؟ قالوا: زعمتَ أنَّه مخلوق، قال: «**نعم**»، قالوا(٢): فهل رأيتَ مخلوقاً من غيرِ ذكر؟ فأنزلَ الله ﷻ:

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩ ـ ٦١].

فخرجَ رسولُ الله ﷺ وأخرجَ معه أهلَ بيته: عليًّا(٣) والحسنَ والحسينَ وفاطمةَ رضوانُ الله عليهم(٤) وسلامه، ودعاهم إلىٰ المباهلة(٥)، فقالَ بعضُهم

---

(١) وكانوا من الحبشة أو من غيرها، كما انتهىٰ إليه ابن كثير في تفسيره.

(٢) في الأصل: قال.

(٣) في الأصل: علي.

(٤) في الأصل: عليه.

(٥) المباهلة: هي الملاعنة، وهي أن يجتمع القومُ إذا اختلفوا في شيء فيقولون: لعنة الله علىٰ الظالم منا، والمبطل منا. والبَهْلة بالفتح: اللعنة. التعريفات الفقهية ص ١٩٢.

لبعض: إنَّكم لتعلمون أنَّه صادق، ولا يُفلحُ مَن يباهلُ نبيَّاً. فقالوا: يا محمَّد، نعطيكَ الجزية، وابعثْ معنا من أصحابِكَ مَن يحكمُ بيننا. فبعثَ معهم أبا عبيدة، وقالَ ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لو باهلوني لأضرمَ الله عليهم الواديَ ناراً**»(1).

وما كان يجوزُ أن يدعوَهم إلىٰ المباهلةِ إلَّا أن يعلمَ يقيناً أنَّه يَظهرُ فيهم حُجَّةٌ له، وإلَّا كان يكونُ ذلك سبباً في ردِّ قوله، [١٥/ب] ورجوعِ أصحابه، وظهورِ المنافقين عليه، ولو كان القومُ يعتقدون فيه الخديعةَ والكذبَ لوافوا لموعدهم، لا سيَّما وقد سمعوا أنَّه توعَّدهم بالنَّار؛ ليبيِّنوا خُلفَهُ لموعده. فلمَّا امتنعوا من ذلك بانَ أنَّهم كانوا يعتقدون صدقه، وإنَّما منعَهم من اتِّباعهِ الحميَّةُ، والإلفُ لدينِهم.

ومن علاماتهِ الواضحة، ما حدثَ في زمانِ نبوَّتهِ من انقضاضِ الكواكب، ورجمِ الشياطين. يبيِّنُ ذلك أنَّ الله تعالىٰ أنزلَ فيما قُرئَ عليهم إخباراً عن الجنِّ أنَّهم قالوا: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٨ ـ ٩].

---

(1) ذكره البخاري عن حذيفة في صحيحه مختصرًا (٤٣٨٠). وما أورده المؤلف من كلام الرسول ﷺ يرد في كتب الشيعة خاصة. وقد ساقه السهيلي في الروض الأنف ٥/٢٠ بلفظ آخر، هكذا: روي أن بعضهم قال لبعض: إن لاعنتموه ودعوتم باللعنة علىٰ الكاذب اضطرم الوادي عليكم نارًا، وفي تفسير الكشي أن رسول الله ﷺ قال: «لقد تدلىٰ إليهم العذاب، والذي نفسي بيده لو باهلوني لاستؤصلوا من علىٰ جديد الأرض». ا هـ. وتنظر روايات للحديث عند ذكر سبب نزول الآية في تفسير ابن كثير. وخبر طويل للسيد والعاقب في السيرة النبوية لابن هشام ١/٥٧٣.

ومعلوم أنَّ العربَ لم يكنْ بينها وبين السماءِ حجاب، بل كانت تعرفُها، وتعرفُ منازلَ القمرِ والأنواء[1]، ولها في كلِّ ذلكَ كلامٌ موزون، وسجعٌ منظوم. وكانت تستدلُّ بالمطالعِ على الأوقاتِ في الأزمان. فلو كان عندها خلافُ ذلك لردَّتْ عليه، وكان ذلك حجَّةً لأعدائه، وطريقاً إلى تكذيبه، وردَّاً لمن اتَّبعَهُ عن اتِّباعه؛ لأنَّ ذلك ممَّا طريقهُ المشاهدةُ والضرورة. بل نُقلَ أنَّه لمَّا حدثَ ذلك فزعتِ العربُ إلى رؤسائها، فقالوا لهم: ما ترون هذه النجومَ تنقضّ، وهذا أمرٌ لم نسمعْ به، ولم نرَهُ فيما مضى من أعمارنا؟ فقالَ لهم بعضُهم: انظروا، فإن كانت هذه النجومُ هي النجومَ المعروفةَ [١٦/أ] التي يُهتدَى بها، فإنَّ هذا فناءُ الدنيا وهلاكُها، وإن كانت نجوماً لا تُعرَفُ فإنَّه لأمرٌ عظيم، فانظروا ما الذي حدث. فلمَّا سمعوا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: إنَّ هذا حدثَ عَلَماً لي[2]، أمسَكوا وأطرَقوا[3].

(١) النوء: النجمُ مال للغروب. والأنواء عند العرب ثمانية وعشرون معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها. التعريفات الفقهية ص ٢٣٣.

(٢) أي: دليلًا على نبوتي.

(٣) ذكره ابن إسحاق في السيرة ص ١١٣، عدا الجملة الأخيرة. وأطال ابن كثير في إيراده، وفيه ما ذكره أبو سفيان وغيره من أنه لظهور دعوة النبي ﷺ. تنظر البداية والنهاية ١٩/٣.
وكان رميُ الشَّياطين بالشُّهُب موجودًا قبل مبعثهِ ﷺ، ولكن أحيانًا بعد أحيان، وبعده كانت كثرةُ الشُّهب، والحرسُ الشَّديد.
ويحسن هنا إيراد لفظ البخاري في الموضوع: عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأُرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء؟ فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة عامدين=

۞ **فإن قالَ قائل**: فقد تكلَّمتِ القدماء في انقضاضِ الكواكب، فكيف يجوزُ أن يكونَ ذلك حادثاً في زمنِ النَّبيِّ ﷺ؟

❊ **فالجواب**: أنَّ ما أخبرَ الله تعالىٰ به وسمعَهُ أهلُ العصرِ المشاهِدون للسماءِ أعمارَهم، ولم ينكروه، مثبتٌ لما ذكرناه، لا يخالطهُ شكٌّ، ولا يعترضُ عليه قول. فأمَّا ما حُكيَ عن المتقدِّمين، فيحتملُ[1] أن يكونَ قد كان ذلك أيضاً في زمنِ بعضِ الأنبياءِ صلواتُ الله عليهم آيةً لهم، وانقطعَ ليكونَ حدوثهُ آيةً لمحمَّدٍ ﷺ، ويحتملُ أنَّ ذلك كان يكونُ نادراً لا يعلمهُ إلَّا أهلُ الرصد، لكثرةِ افتقادهم، فلمَّا حدثَ وتكررَ في زمنِ النَّبيِّ ﷺ علامةً له، شاهدَهُ من لم يكنْ شاهده، فلم يكنْ ما ذكرَهُ معترضاً علىٰ ما ذكرناه.

ومن أعلامهِ ﷺ[2] نصرةُ الله تعالىٰ له في يومِ بدر. وإنجازهُ ما وعدَهُ من قولهِ تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال: ٧].

وذلك أنَّ الله تعالىٰ وعدَهم أن يظفِّرهم إمّا بالعِير [١٦/ب] التي كانت مع

= إلىٰ سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء. فهنالك حين رجعوا إلىٰ قومهم، وقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن: ١ ـ ٢]. فأنزل الله علىٰ نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١]. وإنما أوحي إليه قول الجن. صحيح البخاري (٧٧٣)، صحيح مسلم (٤٤٩).

(١) في الأصل: فتحتمل.

(٢) أي: من دلائل نبوته ﷺ، ومنه كتاب «أعلام النبوة» للماوردي.

أبي سفيان(١)، أو بالمشركين الذين خرجوا في نصرته. وكانوا يحبُّون الظفرَ بالمال، فظفَّرهم الله بالمشركين، فقَتلوا سبعينَ من صناديدِهم، وأَسَروا سبعين، وكانوا ثلاثَ مئةٍ وكَسْرًا(٢)، والمشركون أضعافَ عددِهم بالعُدَدِ والسلاح(٣)، وقاتلتْ معهم يومئذٍ الملائكة(٤)، وكان الله تعالىٰ أنزلَ في كتابه: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]. وقَتلَ رسولُ الله ﷺ أُبيَّ بنَ خلف(٥)، وكان وعدَ بقتلهِ بمكة، ولم يقتلْ بيدهِ سواه، وكان تحتهُ فرسٌ قد انتخبه، وعليه درعٌ ولأمة(٦)، فطعنهُ برأسِ الرمح، فسقطَ وانخرع(٧)، فقالوا له: ما شأنك؟ فقال: والله لو بصقَ عليَّ لقتلني(٨).

وكان ﷺ قد أخبرهم بمصارعِهم، فقال: هذا مصرعُ عتبة، وهذا مصرعُ فلانٍ وفلان، وكان كما ذكرَ ﷺ(٩).

ولمَّا أُسِرَ العباس، قالَ له: «**يا عم! افدِ نفسكَ وابنكَ وابنَ أخيك**»، فقال: كنتُ مسلماً، فقال: «**ما كنتَ إلَّا معهم**»، فقال: ما لي مال، فقال: «**أين**

---

(١) وهي قافلة الإبل المحملة بالطعام، الآتية من الشام.

(٢) في الأصل: وكسر. وقد روىٰ البيهقي عن ابن سيرين رحمه الله، أن عدد المسلمين في بدر كان (٣١٣) رجلًا. دلائل النبوة ٣/٤٠.

(٣) كانوا ألفًا، كما صح في مسند أحمد (٩٤٨) وغيره.

(٤) قال ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

(٥) في الأصل «أمية بن خلف» وهو خطأ.

(٦) اللأمة: أداة الحرب، أو السلاح كله. (لسان العرب).

(٧) انخرع: استرخىٰ وانكسر.

(٨) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٨٤.

(٩) وهو في صحيح مسلم (٧٦، ٧٧) وغيره.

المالُ الذي تركتَهُ عند أمِّ الفضلِ بنتِ الحارثِ وقلتَ لها: إن أصابني أمرٌ فلعبدالله كذا، وللفضلِ كذا»؟ فقال: صدقتَ يا رسولَ الله، والله ما علمَ بهذا سواي، ولم يسبقْ أحدٌ بذلك. وآمن[1].

ومن ذلك أنَّه لمَّا قُتِلَ أميَّة بنُ خلف وعليُّ بن ثمامة، جلسَ صفوان بنُ أمية في الحِجر، ومعه عمير بنُ [١٧/أ] وهب الجمحي، فقالَ صفوان: لا خيرَ في الحياةِ بعد قتلىٰ بدر، فقالَ عمير: لولا بناتي ودَينٌ عليَّ لخرجتُ وقتلتُ محمَّداً، فقالَ له صفوان: دَينُكَ عليَّ، واجعلْ بناتِكَ مع بناتي، فيصيبُهنَّ ما أصابهنَّ من خيرٍ أو شرٍّ. فقامَ من عنده، فشحذَ سيفه، وركبَ راحلته، وسارَ حتَّىٰ وافىٰ المدينة.

قالَ عمرُ رضي الله عنه: وأنا مع جماعةٍ من الأنصارِ نتذاكرُ ما منَّ الله تعالىٰ يومَ بدر، فقلتُ للأنصار: قوموا معي فاجلسوا بقربِ النَّبيِّ ﷺ، ولا تدَعوهُ يدنو منه. ثمَّ قامَ عمرُ رضي الله عنه، فأخذَ سيفه، فجعلَ حمائلَهُ في عنقه، وأقبلَ يقودهُ حتىٰ أوقفَهُ علىٰ النَّبيِّ ﷺ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ لعمر: **«دعه»**، فقال: يا رسولَ الله، إنَّه عُمير، فقال: **«دعه»**، فقال: **«ما جاءَ بكَ يا عُمير»**؟ فقال: جئتُ إليكم أسألُكم أن تُحسنوا في فِدَىٰ ابني. وكان ابنهُ أسيرًا، أُسِرَ يومَ بدر، فقال: **«ما بالُ السَّيفِ معك»**؟ فقال: قبَّحَها الله من سيوف، وهل أغنتْ شيئاً؟! فقالَ له ﷺ: **«ولهذا جئت»**؟ قال: نعم، قال: **«لا، ولكنَّكَ جلستَ أنت وصفوانُ عند الحِجر، فتذاكرتُما قتلَىٰ بدر، فقالَ صفوان: لا خيرَ في الحياةِ بعدَ قتلَىٰ بدر، فقلت: لولا بناتي ودَينٌ عليَّ لخرجتُ وقتلتُ محمَّداً. ولهذا جئتَ، والله** ﷻ

(١) أورده المؤلف باختصار فيه إخلال، وهو عند أبي نعيم في دلائل النبوة ١/٤٧٦، وأحمد في المسند (٣٣١٠) وقد حسنه الشيخ شعيب، وضعفه أحمد شاكر.

حائلٌ بينكَ وبين ذلك» ، فقالَ عمير: أما والله ما كان معي ومع صفوانَ [١٧/ب] أحد ، ولا سبقني أحدٌ من مكَّة ، وما أتاكَ بهذا إلَّا مَن يأتيكَ بخبرِ السماء ، وإنِّي أشهدُ أن لا إله إلَّا الله ، وأنَّكَ رسولُ الله.

وكان عميرٌ استكتمَ صفوانَ ما جرىٰ ، وكان إذا تذاكرتْ قتلاها ببدرٍ يقولُ لهم صفوان: ستأتيكم وقعةٌ تُنسيكم وقعةَ بدر ، يعني قتلَ عميرٍ النَّبيَّ ﷺ(١).

❁ فإن قالَ قائل. . .(٢): في يومِ أُحدٍ لم تقاتلْ معهم الملائكة ، حتَّىٰ قُتِلَ منهم عددٌ كثير. وقالَ أبو سفيان: يا ابنَ أبي كبشة ، يا ابنَ أبي قحافة ، يا ابنَ الخطَّاب! يومٌ بيوم ، وحنظلةُ بحنظلة ـ وكانوا يسمُّون النَّبيَّ ﷺ ابنَ أبي كبشةَ تشبيهاً برجلٍ كان يسمَّىٰ بذلك ، وكان خالفَ قومَهُ في دينِهم ـ يعني: يومُ أُحدٍ بيومِ بدر ، ويعني أنَّ حنظلةَ بنَ الراهب(٣) قُتِلَ يومَ أُحدٍ بحنظلةَ ابنه ، قُتِلَ يومَ بدر(٤).

❁ والجواب: أنَّ هذا كلامُ مَن لا يفهمُ التكليف ، وذاكَ أنَّ الله تعالىٰ لم يجعلِ الإيمانَ ضرورة ، ولا نصبَ عليه أعلامَ الضرورة ، ألا ترىٰ أنَّه تعالىٰ

---

(١) الخصائص الكبرىٰ للسيوطي ١/٢٠٨ من رواية أنس ، وأخرىٰ عن موسىٰ بن عقبة وعروة بن الزبير ، والطبراني في المعجم الكبير (١١٧) ، والبيهقي في الدلائل ٣/١٤٧ ، وهذا الأخير عند الثلاثة مرسل ، ورواية أخرىٰ لابن شهاب في الطبراني (١١٩) ، وغيرها عن عاصم بن عمر بن قتادة في مغازي الواقدي ١/١٢٥.

(٢) بياض بمقدار كلمة.

(٣) حنظلة بن الراهب الذي غسلته الملائكة بعد استشهاده. وهو حنظلة بن أبي عامر. من الأوس ، وتفتخر به. ينظر: دلائل النبوة لأبي نعيم ١/٤٨٦ وغيره.

(٤) أورده المؤلف مختصرًا ، ويرد بألفاظ أخرىٰ من رواية ابن عباس ، منها في مستدرك الحاكم ٣/١٤ وصحح إسناده ، ومسند أحمد ٢٦٠٩ وحسَّن الشيخ شعيب إسناده.

قالَ لنبيِّهِ ﷺ: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤] ؟ وبيَّنَ الله تعالىٰ أنَّ الإيمانَ إذا كان ضرورةً لا يستحقُّ المؤمنُ به الثواب(١) ؛ لقولهِ تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨] [١٨/أ].

فلو كانتِ الملائكةُ تقاتلُ معهم في كلِّ موطنٍ صارَ الظَّنُّ من ذلك يقيناً، وصارَ العلمُ مشاهدة، والله تعالىٰ أعلمُ بالمصالح، مع أنَّهم كانوا يومَ بدرٍ ضعفاءَ لا عُدَّةَ لهم، وكانوا يومَ أُحدٍ أقوياء، وكانوا مستظهرين علىٰ المشركين قد هزموهم، وإنَّما كان رسولُ الله ﷺ وصَّىٰ الرُّماةَ ألَّا يبرحوا من مكانِهم، فلمَّا رأوا الغنيمةَ تركوا مكانَهم، فرجعَ المشركون عليهم، فأكرمَ الله من أكرمَ منهم بالشهادة.

وكان رسولُ الله ﷺ رأىٰ بقراً ذُبحت، فأوَّلَهُ أنَّ قوماً يُقتلون من أصحابه، فكان في عرضِ العسكر إذا ردَّ إنساناً يقولُ له: يا رسولَ الله! دعني، فلعلِّي أكونُ من النَّفر. ثقةً بدينه، وحرصاً علىٰ الشهادة. وما أحسنَ ما وفَّقهم الله تعالىٰ عليه من أمرهم، فقالَ تعالىٰ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٥١ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥١ ـ ٥٢].

---

(١) يفهم قصد المؤلف أنه يعني بالضرورة الإكراه علىٰ الإيمان، والإجبار عليه. وقد سبق أن ذكره مرة أخرىٰ.

قولهُ تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ أي: ما أصابنا من قتلٍ وجراحٍ أو ضرر، فإنَّ الله تعالىٰ يكتبهُ لنا ليثيبَنا عليه، ويجازيَنا عليه بالحُسنىٰ(١).

وقوله: ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ أي: إمَّا أن نظفرَ بكم ونغنمَ أموالَكم، [١٨/ب] فذلك حُسنىٰ لنا(٢)، أو تظفرون بقتلنا، فنكونَ شهداءَ عند الله، قد ربحنا الجنَّة. ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ إن قتلتُمونا، ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾: أن نقتلكم.

هذا، وإن كان المشركون ينكرونه، فليس ينكرون أنَّ ما يصيبُهم لا ثوابَ لهم فيه، ولا يعتقدون أنَّ لهم مرجعاً(٣) وجزاء.

ومن أعلامهِ ﷺ ما كان يومَ الخندق، حيث تجمَّعتْ عليه العرب، ونقضتِ اليهودُ الهدنةَ التي كانت بينه وبينهم، وظاهروا عليه المشركين، وظنُّوا أنَّهم يظفرون به، وقعدَ به المنافقون، وزُلزِلَ المؤمنون زلزالاً شديداً، وحفروا الخندقَ وهم جياع، حتَّىٰ إنَّ الرَّجلَ يشدُّ الحجرَ علىٰ بطنهِ من الجوع. فأرسلَ الله تعالىٰ عليهم ريحاً ترمي بيوتَهم، وتكفأُ قدورَهم(٤)، وتمنعُهم من الثَّبات، فانصرفوا خائبين، فأنزلَ الله تعالىٰ ذكرَ ذلك عليهم، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ

(١) أخذه المؤلف بمعناه الخاص، ويورده المفسرون بمعناه العام، مما قدَّره الله تعالىٰ وكتبه في اللوح المحفوظ. وقد أشار القرطبي في تفسيره إلىٰ شيء مما ذكره المؤلف.

(٢) في الأصل: حسنا لنا.

(٣) في الأصل: مرجع.

(٤) أي: تقلبها.




مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: ٩ ـ ١١].

ومعلومٌ أنَّ هذا الخطابَ كان لمن يشاهدُ ذلك.

وأتبعَ ذلك بذكرِ المنافقين وما ظهرَ منهم، [١٩/أ] فقالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]، يريدون من نصرِ الإسلامِ وإظهاره(١). وإنَّما حملَهم علىٰ ذلك كثرةُ من اجتمعَ علىٰ المسلمين، فنصرَهم الله، وهزمَهم.

وأمرَهُ بقتالِ اليهود، فقتلَ بني قُريظة، وأخذَ أموالَهم وديارَهم بحكمِ سعد بنِ معاذٍ فيهم، حين رَضُوا بحكمه(٢).

وممَّا كان في هذا اليومِ من أعلامهِ ﷺ، ما رواهُ جابر بنُ عبدالله الأنصاريّ، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يومَ الخندقِ وبطنهُ خَمْصٌ(٣) وهو يعملُ في الخندق، فجئتُ إلىٰ المنزل، وذبحتُ عناقاً(٤)، وشويتُها، وطحنتِ المرأةُ صاعَ شعيرٍ وخبزته، وجئتُ إلىٰ رسولِ الله ﷺ، فقلتُ له: يا رسولَ الله، قد

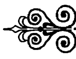
---

(١) وهو قول أهل النفاق: يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس، وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله، هذا والله الغرور. (تفسير البغوي).

(٢) نزلت بنو قريظة علىٰ حكم سعد، فقال له رسول الله ﷺ: «إن هؤلاء نزلوا علىٰ حكمك»، قال: فإني أحكم أن تُقتل المقاتِلة، وأن تُسبىٰ الذرية، قال: «لقد حكمتَ فيهم بحكمِ الملِك». صحيح البخاري (٣٠٤٣)، صحيح مسلم (١٧٦٨).

(٣) أي: ضامر، أو فارغ. وورد في الأصل: خمصا. ولفظه في الصحيحين: إني رأيت برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا.

(٤) العَناق: أنثىٰ المعز. (مختار الصحاح).




صنعتُ لكَ طعاماً، فصِرْ معي لتأكلَه، فقالَ للنَّاس: «**قوموا إلىٰ دعوةِ جابر**»، فجئتُ إلىٰ المرأةِ فخبرتُها، وقلت: هي الفضيحة، فقالت: أنت قلتَ له: وأصحابك؟ فقلت: لا، ولكنَّه لمَّا قال: «**أنا وأصحابي**»، استحييت، فقلت: أنت وأصحابك، فقالت: هو أعلمُ وما قال. فلمَّا جاءَ النَّبيُّ ﷺ قال: «**ما عندكم**»؟ فقلت: ما عندنا إلَّا عَناقٌ[1] في التَّنُّور، وصاعُ شعيرٍ خبزناه، فقال: «**خذِ اللَّحم، وغطِّ التَّنُّور، وخذِ الخبزَ من موضعهِ وغطِّه، وأقعدْ أصحابي عشرةً عشرة**»، ففعلتُ ذلك، وأكلوا كلُّهم. قالَ جابر: وأكلنا وقمنا[2].

وهذا من أبينِ الأمورِ وأوضحِها [١٩/ب].

ومن ذلك أنَّه لمَّا كان في غزاةِ الحديبية، شكا[3] أصحابهُ إليه قلَّةَ الزاد، فقالَ لهم: «**ائتوني بما بقيَ لكم من الزاد**»، فجاؤوا به، فجعلَ الخبزَ ناحية، والدَّقيقَ ناحية، والتَّمرَ ناحية، والسَّويقَ ناحية[4]، ثمَّ دعا ربَّهُ ﷻ، ففاضَ من الأنطاع، حتَّىٰ أكلوا، وتزوَّدوا حتَّىٰ ملؤوا كلَّ جِرابٍ ومِزوَد[5].

ومن ذلك أنَّه لمَّا انصرفَ هو وأصحابهُ من غزاةِ تبوك، شكا إليه عمر بنُ

---

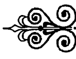
(١) في الأصل: عناقًا.

(٢) أصل الحديث في الصحيحين: صحيح البخاري (٤١٠٢)، صحيح مسلم (١٤١). وورد بألفاظ أخرىٰ في السيرة النبوية لابن هشام ٤/١٧٥، والوفا بتعريف فضائل المصطفىٰ ﷺ ١/٢٠١.

(٣) في الأصل: شكوا.

(٤) السويق: طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير.

(٥) إمتاع الأسماع ٥/١٤٨، دلائل النبوة للبيهقي ٤/١٢٠.
والنطع: بساط من جلد. والجِراب: وعاء من جلد يحفظ فيه الزاد. ومثله المزود، ويكون من جلد وغيره.




الخطَّاب رضي الله عنه ، فقال: قد نَفِدتْ أزوادُ النَّاس ، فقال: «**لينحروا الإبل**» ، فقالَ عمر: يا رسولَ الله ، لأن يبقَىٰ مع النَّاسِ ظهرُهم خيرٌ من أن يَبقوا بلا ظهر ، فادعُ بفضلِ الزَّاد ، وادعُ الله[1] تعالىٰ كما فعلتَ في غزاةِ الحديبية. قال: فنادَىٰ في العسكر: ائتوا ببقيةِ أزوادكم. فجاؤوا بذلك ، فجعلَ كلَّ صنفٍ منه علىٰ حِدة ، ودعا ، فأكلوا ، واكتفَوا ، وتزوَّدوا[2].

ومن ذلك أنَّه كان يخطبُ إلىٰ جذعٍ في المسجد ، فلمَّا بُنيَ له المنبرُ حنَّ الجذعُ إليه كما تحنُّ النَّاقة ، حتَّىٰ جاءَ إليه فالتزمَهُ ، فسكت[3]. وهذا بحضرةِ الجماعة ، وقد حضروا لاستماعِ الخُطبةِ والصَّلاةِ معه ، واشتُهِرَ ذلك ، حتَّىٰ سمِّيتِ الأسطوانةُ التي بُنيتْ موضعَ الجذعِ «الحنّانة» إلىٰ اليوم[4].

ومن أعلامهِ ﷺ ، أنَّه جاءَهُ وفدُ عبدِ القيس ، فقالَ لهم: «**إن شئتُم وصفتُ لكم بلادكم ، وإن شئتُم صفوها لي**» [٢٠/أ] ، فقالوا: بل صِفها أنت لنزدادَ إيماناً. ثمَّ وصفها لهم ، فقالوا: يا رسولَ الله ، والله لأنت أعلمُ ببلادنا منَّا. ثمَّ أخذَ أُذنَ شاةٍ لهم ، فابيضَّ موضعُ يده ، فكلَّما وَضعتْ تلك الشاةُ ولداً كان فيه تلك العلامة ، وكلُّ ما تناسلَ منها ، وذلك مشهورٌ بالبحرين إلىٰ اليوم[5].

---

(١) في الأصل: وادعوا.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤٥) ، بألفاظ أخرىٰ.

(٣) حديث حنين الجذع صحيح ، رواه الترمذي في السنن من رواية أنس (٣٦٢٧) وقال: حسن صحيح ، وأحمد كذلك (٢٢٣٧) في المسند ، وقال الشيخ شعيب إن سنده صحيح علىٰ شرط مسلم. ورواه آخرون.

(٤) ذكر الحنانة ورد في المصدرين المذكورين: الإمتاع ، والدلائل للبيهقي ، ولكن دلالة علىٰ الجذع نفسه.

(٥) أورد جانبًا منه الفخر الرازي في كتابه: الإشارة في علم الكلام ص ٣٦٣. ولم أره فيما =

ومن أعلامهِ ﷺ ، أنَّ امرأةً من خيبرَ أهدتْ إليه شاةً مسمومة ، قد حشتِ الشَّاةَ سُمًّا ، وخصَّت الذِّراع ، فإنَّها تعرفُ(١) أيَّ موضعٍ يعجبهُ من الشَّاة ، فقالوا: الذراع ، فلمَّا وُضِعتْ بين يديهِ أخذَ الذِّراع ، ثمَّ قال: «**إنَّ هذه(٢) الذِّراعَ تخبرني أنَّها مسمومة**». ودعا المرأة ، فسألها ، فاعترفت ، وقالت: إنَّك قتلتَ قومي ، فسمَّمتُ الشاة ، وقلتُ: إن كان نبيًّا فسيُطلِعهُ الله علىٰ ذلك ، وإن كان مَلِكاً قتلتهُ وأرحتُ منه(٣).

ومن ذلك أنَّه كان جالساً ومعه جماعةٌ من أصحابه ، منهم أبو بكرٍ وعمرُ وعثمانُ وأبو ذرّ ، فأخذَ كفَّاً من حصىٰ فسبَّحنَ في كفِّه ، ثمَّ وضعهنَّ فخرسن ، ثمَّ وضعهنَّ في يدِ أبي بكرٍ رضي الله عنه فسبَّحن ، ثمَّ وضعهنَّ علىٰ الأرضِ فخرسن ، ثمَّ وضعهنَّ في يدِ عمرَ فسبَّحن ، ثمَّ وضعهنَّ علىٰ الأرضِ فخرسن ، ثمَّ وضعهنَّ في يدِ عثمانَ فسبَّحن ، ثمَّ وضعهنَّ علىٰ الأرضِ فخرسن . وإنَّما كان ذلك علَماً له ﷺ [٢٠/ب] وإن كان في أيديهم(٤).

وقد مدحَ بعضُ الشعراءِ ابناً لعثمان ، فقال:

= اطلعت عليه من مصادر أخرىٰ.

(١) هكذا في الأصل ، وحقها أن تكون: سألت.

(٢) في الأصل: هذا.

(٣) أصل الحديث في الصحيحين: صحيح البخاري (٢٦١٧)، صحيح مسلم (٢١٩٠). ويرد بألفاظ أخرىٰ في مصادر غيرهما.

(٤) أورده المؤلف مختصرًا. وقد رواه الطبراني عن أبي ذر في الأوسط (٤٠٩٧)، وأبو نعيم عنه كذلك في دلائل النبوة ٦٤/٦ ، والبيهقي في الدلائل أيضًا ٥٩٢/١ . قال في المواهب اللدنية (٢٦٢/٢): وليس لحديث تسبيح الحصىٰ إلا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها ، لكنه مشهور عند الناس. اهـ. ولكن رواه ابن أبي عاصم في السنة عنه أيضًا (١١٤٦) وصححه الألباني في ظلال الجنة. ولكن بدا أنه صححه بحذر ، ولم يقطع به.

يا ابنَ الذي حنَّ الحصىٰ في كفِّه ❁ وأكرمِ من يرمي جمارَ المحصَّبِ(١)

ومثلُ ذلك كلامُ الذئبِ لوهبانَ بنِ أوسٍ الخزاعيّ(٢)، إنَّما كان علَماً للنَّبيِّ ﷺ، وذلك أنَّ وهبان بنَ أوس كان يرعَىٰ غنماً له، فجاءَ ذئبٌ فأخذَ شاةً منها، فسعَىٰ نحوه، فقالَ له الذئب: أتعجبُ من أخذي منكَ شاةً وهذا محمَّدٌ ﷺ يدعو إلىٰ الحقِّ ولا تجيبونه؟! فجاءَ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فأسلم. وكان يُدعَىٰ مكلَّمَ الذئب، ويُعرَفُ ولدهُ إلىٰ اليومِ بولدِ مكلَّمِ الذئب(٣).

---

(١) لعمرو بن مسلِّم الرياحي. كما في كتاب الورقة ص ٧٨، ومن اسمه عمرو من الشعراء ص ٢٨.
ولفظه فيهما:
يا ابنَ الذي حنَّ الحصىٰ في يمينه ❁ وأكرمِ من وافىٰ جمارَ المحصَّبِ
والمحصَّب: موضع رمي الجمار بمنىٰ.

(٢) أُهبان بن أوس الأسلمي، ويقال: وهبان. قديم الإسلام. صلَّىٰ القبلتين، ونزل الكوفة، ومات بها في ولاية المغيرة. الإصابة ١/٢٨٩. وتفصيل الاختلاف في الاسم في شرح الزرقاني علىٰ المواهب ٦/٥٤٧.

(٣) خبر مكلم الذئب ورد في مصادر عديدة، منها كتب تراجم الصحابة رضوان الله عليهم، مثل معرفة الصحابة لأبي نعيم ١/٢٨٩. وأورد قولًا في اسم مكلم الذئب أنه: أهبان بن عياذ الخزاعي. ورواه ابن سعد في الطبقات الكبرىٰ ٤/٣٠٩، وقال ابن حجر في الإصابة ١/٢٨٩: روىٰ البخاري في تاريخه من طريق أنيس بن عمرو، عن أهبان بن أوس، أنه كان في غنم له، فشدَّ الذئب علىٰ شاة منها، فصاح عليه، فأقعىٰ علىٰ ذنبه، قال: فخاطبني، فقال: من لها يوم يُشغل عنها؟ قال البخاريّ: إسناده ليس بالقويّ. قلت: لأن فيه عبد اللَّه بن عامر الأسلمي، وهو ضعيف اهـ. ولكن البيهقي أورد الخبر، علىٰ معنىٰ ما أورده المؤلف هنا، كما أورد حكم البخاري علىٰ الحديث، وقال من بعد: قد مضىٰ ما يقوِّيه. وأن إشهار الخبر في ولد مكلَّم الذئب قوة له أيضًا. ينظر دلائل النبوة له ٦/٤٣.
و(مكلم) يرد في المصادر غالبًا بكسر اللام، وفي بعضها بالفتح، وهو الصحيح، فالذئب كلَّمه، فهو المكلِّم، وأهبان هو المكلَّم.

وكذلك النورُ الذي كان في عِلَاقةِ سوطِ[1] الطُّفيل بن عمرو الدَّوسي[2] إنَّما كان علماً للنَّبيِّ ﷺ، وذلك أنَّه لمَّا أسلمَ قال: يا رسولَ الله، أذهبُ إلىٰ قومي فأدعوهم إلىٰ الله تعالىٰ؟ فقالَ له: «**اذهب**»، قال: إنِّي أريدُ أن يكونَ معي علامةٌ لأُعرَفَ أنِّي رسولُك، فقال: «**إنَّ الله تعالىٰ جاعلٌ لكَ علامة**»، فجعلَ في عِلاقةِ سَوطهِ نورًا يتوقَّد. فصارَ إلىٰ قومه، فدعاهم إلىٰ الله تعالىٰ، فأسلمَ ثمانونَ أهلُ بيتٍ منهم[3].

ومن أعلامهِ ﷺ، أنَّ قتادة بنَ النعمان الظُّفَريَّ الأنصاريّ[4]، ضُربَ ضربةً فسقطتْ عينه، [٢١/أ] فأخذها بيده، وجاءَ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ وعينهُ في يده، فأخذها ﷺ فردَّها إلىٰ مكانها، فكانت أقوىٰ عينيه[5].

ومن ذلك أنَّه كان في سفر، فأرادَ قضاءَ حاجةٍ في أرضٍ بيضاءَ ليس فيها ساتر، فرأىٰ نخلتين متباعدتين، فقال لهما: «**انضمَّا**»، فانضمَّا، فقضَىٰ ﷺ حاجته، ثمَّ عادتا[6] إلىٰ مكانيهما[7].

---

(١) العِلاقة: ما يعلق به السيف ونحو، ويكون من جلد وغيره.

(٢) صاحب رسول الله ﷺ، سيد مطاع، من أشراف العرب. ودوس بطن من أزد. أسلم قبل الهجرة. وكان يسمىٰ ذا النور، للخبر الوارد هنا. ينظر سير أعلام النبلاء ٣٤٤/١.

(٣) ينظر الخبر في دلائل النبوة للبيهقي ٣٦٠/٥، تاريخ ابن عساكر ١٨/٢٥، سير أعلام النبلاء ٣٤٤/١، أسد الغابة ٧٧/٣.

(٤) أخو أبي سعيد الخدري لأمه. شهد بدرًا وأُحدًا والمشاهد. توفي سنة ٢٣ هـ. معرفة الصحابة لأبي نعيم ٢٣٣٨/٤.

(٥) الحديث في المعجم الكبير للطبراني (١٢)، مصنف ابن أبي شيبة (٣٣٠٣١)، دلائل النبوة لأبي نعيم ١٨٤٨٣، وللبيهقي ٢٥١/٣، ورواه آخرون، ذكرهم السيوطي في الخصائص الكبرىٰ ٣٥٩/١. ويرد بألفاظ مختلفة، وزيادة ونقص.

(٦) في الأصل: ثم عادا إلىٰ مكانهما.

(٧) أورده السيوطي في الخصائص الكبرىٰ ٥٠/٢ من رواية جابر، ومن تخريج الخطيب في=

فَصْلٌ
[في إخباره ﷺ بالمغيبات]

ومن إخبارِهِ بالغيوبِ وصدقِهِ فيها، أنَّه ﷺ لمَّا كتبَ إلىٰ كسرىٰ، وكان أوَّلُ كتابه: «**من محمَّدٍ رسولِ الله إلىٰ كسرىٰ عظيمِ فارس**»، فلمَّا رأىٰ كسرىٰ أنَّه بدأ باسمِهِ قبل اسمِهِ مزَّقَ كتابه، فلمَّا بلغَهُ ذلك قال: «**اللَّهمَّ مزِّقْ مُلكَهُ كلَّ ممزَّق**».

ثمَّ كتبَ كسرىٰ إلىٰ عاملِهِ باليمنِ باذام: سِرْ إلىٰ هذا العبدِ الذي بدأ باسمِهِ قبلَ اسمي، ودعاني إلىٰ خلافِ ديني، فاحملْهُ إليَّ.

فوجَّهَ باذامُ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ برجلين من الفرس، يقالُ لأحدهما خرحسرة[1]. فلمَّا صارا إليه دعا النَّبيُّ ﷺ أُبيَّ بنَ كعب، فقرأ الكتاب، قالَ له خرحسرة: يا محمَّد، صِرْ معي إلىٰ الملكِ باذام، فيكتبَ معكَ كتاباً إلىٰ الملكِ شاهانشاه، ينفعكَ عنده. فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: «**أقِمْ إلىٰ غدٍ حتَّىٰ أجيبَك**».

فلمَّا كان من الغدِ صارَ إليه، فقال: ما تقولُ يا محمَّد؟ فقال: «**ارجعْ إلىٰ صاحبك، فإنَّ ربِّي خبَّرني** [٢١/ب] **أنَّه قُتِلَ البارحةَ كسرىٰ لسبعِ ساعاتٍ مضينَ**

= (رواة مالك). وإسماعيل الأصبهاني من رواية يعلىٰ بن مرة في دلائل النبوة ١/٢١٩، وابن عدي في الضعفاء ٣/٢٣٦ من رواية أنس، وفي سنده حسين بن سليمان الطلحي، ذكر أنه لا يتابعه عليه أحد.

(١) ويأتي في السطر التالي: حرحسرة. وفي تاريخ الطبري: خرخسرة. وفي البداية: خُرخرة، وفي الدلائل لأبي نعيم: خرخسرو...

من الليلِ على يدي ابنه»[1].

فلمَّا أخبرَهُ بذلك، وعلمَ بعد ذلك صدقه، أسلمَ باذام، وكلُّ من كان معه من الفرس، وثبتوا على الإسلامِ لمَّا ارتدَّتِ العرب، وقَتَلَ باذامُ العنسيَّ المدَّعي للنُّبوَّة، الكذَّاب[2].

ومن ذلك أنَّه خبَّرَ بموتِ النجاشيِّ يومَ مات، وصفَّ أصحابه، وصلَّى عليه بالمدينةِ والنجاشيُّ بالحبشة، وكان الخبرُ على ما أخبرَ به ﷺ[3].

ومن ذلك قولهُ ﷺ وهو على المنبر، وزيد بنُ حارثة وجعفر بنُ أبي طالب وعبدالله بنُ رواحة رضي الله عنهم بمؤتةَ من بلادِ الشام: **«قد أخذَ الرايةَ زيد»**،

(١) يأتي في مصادر عديدة، بتعابير وألفاظ أخرى، منها في دلائل النبوة لأبي نعيم ٣٤٨/١، تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٥٧/٢٧، سير أعلام النبلاء ١٤٤/٢. واللفظ الذي أورده المؤلف أقرب إلى رواية القاضي عبدالجبار المعتزلي في كتابه تثبيت دلائل النبوة ٤٣٩/٢. وفي الصحيح: عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى، مع عبدالله بن حذافة السهمي، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزَّقه، فحسبت أن ابن المسيب، قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق. صحيح البخاري (٤٤٢٤).

(٢) يأتي في مصادر عديدة، بتعابير وألفاظ أخرى، منها في دلائل النبوة لأبي نعيم ٣٤٨/١، تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٥٧/٢٧، سير أعلام النبلاء ١٤٤/٢. وفي الصحيح: عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى، مع عبدالله بن حذافة السهمي، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأه مزَّقه، فحسبت أن ابن المسيب، قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق. صحيح البخاري (٤٤٢٤).
أما قاتل الأسود العنسي، الذي ادعى النبوة واستولى على اليمن، فمختلف فيه، ينظر خبره في البداية لابن كثير ٤٣٠/٩ ط، دار هجر، والعبر للذهبي ٤٢/١، وفيه أنه فيروز الديلمي.

(٣) سبق أن ذكره المؤلف، وأوردنا قوله ﷺ حين موته: «ماتَ اليومَ رجلٌ صالحٌ، فقُوموا فصلُّوا على أخيكُم أصْحَمَةَ» صحيح البخاري (٣٨٧٧).

ثمَّ قال: «**قُتلَ زيدٌ ورُفِع سريره**»، ثمَّ بكىٰ، ثمَّ قال: «**أخذَ الرايةَ جعفر**»، ثمَّ قال: «**قُتل جعفرٌ ورُفعَ سريره**»، ثمَّ بكىٰ، وقال: «**أخواي وصاحباي ومؤنساي**»، ثمَّ قال: «**أخذَ الرايةَ عبدالله بن رواحة**»، ثمَّ قال: «**قُتلَ عبدالله بنُ رواحة**»، ثمَّ سكتَ حتَّىٰ تغيَّرتْ وجوهُ الأنصار، وظنُّوا أنَّه قد نُزِلَ في صاحِبِهم شيء، ثمَّ قال: «**ورُفع سريره، وإنَّه لمزْوَرٌّ عن سريرِ صاحبيه**»، فقيلَ له: ولِمَ يا رسولَ الله؟ قال: «**لأنَّهما أقدما وهو تردَّد**»، ثمَّ قال: «**أخذَ الرايةَ سيفٌ من سيوفِ الله تعالىٰ**»، يعني خالد بنَ الوليد. فقامَ خالدٌ بالحرب.

ثمَّ نزلَ عن المنبر، ودخلَ منزلَ جعفرٍ ونعاهُ إليهم.

وكان ما قالَ علىٰ ما قالَ ﷺ[1].

ومن ذلك أنَّه [٢٢/أ] لمَّا ظهرَ بخلافِ دينِ قومه، وسفَّهَ أحلامَهم، وقالَ لهم: «**إنَّكم لا تصلون إلىٰ قتلي، ولا تفلُّون حزبي، والله تعالىٰ يُظهرني عليكم**»، وتلا عليهم: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]. وكلٌّ منهم حرصَ علىٰ قتله، والله تعالىٰ يدفعُهم عنه ويعصمُه[2].

---

(١) لم أره بلفظه. وجزء منه في الاستيعاب لابن عبدالبر ٥٤٦/٢. وأصله صحيح مشهور يرد في مصادر حديثية، منها مسند أحمد ١٩٢/٣ الذي صحح إسناده الشيخ أحمد شاكر، وورد مختصرًا في صحيح البخاري (٤٢٦٢) عن أنس ﷺ، أن النبي ﷺ نعىٰ زيدًا، وجعفرًا، وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم، فقال: «أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب ـ وعيناه تذرفان ـ حتىٰ أخذ الراية سيف من سيوف الله، حتىٰ فتح الله عليهم».
أما ازورار السرير، فقد ورد في حلية الأولياء وغيره بلفظ «فرأيت في سرير عبدالله بن رواحة ازورارًا».

(٢) لم أقف علىٰ الحديث بلفظه. وعن عائشة ﵂ قالت: كان النبي ﷺ يُحرَس حتىٰ نزلت هذه=

ومن ذلك أنَّه صارَ إليه عامر بنُ الطُّفيل وأَرْبَد بنُ قيس الكلابيان، وقد تعاهدا على قتله، فقالَ عامرٌ لأَربد: إن شئتَ فاشغلهُ عنِّي حتَّى أقتلَه، وإن شئتَ شغلتهُ عنك حتَّى تقتله، فقال له: اشغلهُ عنِّي حتَّى أقتله. فصارا إلى المدينة، فقالَ له عامر: اخلُ معي حتَّى أكلِّمَك. وبيدِ أَربد السيف. فقالَ له عامر: لكَ المدَرُ ولي الوبَر[1]، فأبى ذلك عليه، فقالَ له: فاجعلْ لي الأمرَ من بعدك، فقال: «**لا أفعل**»، فقال: يا محمَّد، لأملأنَّها عليك خيلاً ورَجِلاً[2]، فقال: «**يكفيناكَ الله تعالى**».

ثمَّ أمرَ النَّبيُّ ﷺ أبا قتادةَ أن يُخرجَهما من المدينة، وقال: «**اللهمَّ اكفني عامراً وأربداً**».

فأمَّا عامرٌ فضربَهُ الله بالغُدَّة، فدخلَ خيمةً لامرأةٍ من بني سلول، وأقبلَ يضربُ برأسهِ الأرض، ويقول: غدَّةٌ كغدَّةِ البعير، وموتٌ في بيتِ سلولية! وأمَّا أربد فرُميَ بصاعقةٍ فاحترق[3].

= الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم: «يا أيها الناس، انصرفوا، فقد عصمني الله». رواه الترمذي في السنن (٣٠٤٦) وحسَّنه الألباني.

(١) يعني بهما: أهل الحضر، والبادية. والمدر: الطين، وتعني هنا البيوت.

(٢) يعني بالخيل والرجِل: الراكب والماشي. ويرد في مصادر: رجالًا.

(٣) رواه البيهقي في دلائل النبوة ٥/٣١٨، وأبو نعيم في الدلائل أيضًا (١٥٧)، والطبراني في الكبير (٥٧٢٤، ١٠٧٦٠). وقد أورده المؤلف مختصرًا، وهو أقرب إلى الحديث الثاني للطبراني، وفيه، وفي الدلائل لأبي نعيم، عبدالعزيز بن عمران، وهو ضعيف، كما أفاده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/٤٤، والأول في سنده عبدالمهيمن بن عباس، هو الآخر ضعيف. مجمع الزوائد ٦/١٢٨. كما ذكر الحافظ العراقي رواية الطبراني في الكبير والأوسط وأنها بسند لين. (تخريج أحاديث الإحياء بترقيم الحداد ٢٣٣٧). وفي هذا الأخير وصف الكلابيان بأنهما فارسا العرب وفاتكاهم. والفتك: الأخذ بقوة وبطش.

وفيه يقولُ لبيد بنُ ربيعة(١):

فجَّعَنــي الرعــدُ والصــواعقُ بالــ ❊ ـفــارسِ يــومَ الكريهــةِ النَّجُــدِ
أخشــىٰ علــىٰ أَربــدَ الحتــوفَ ولا ❊ أرهــبُ نــوءَ السِّـمَاكِ والأسَــدِ(٢)

[٢٢/ب] ومثلُ ذلك دعاؤهُ علىٰ قريشٍ والعرب، لما لقيَ من شدَّةِ أذاهم له وتكذيبهم إيَّاه، واستعانتِهم عليه بالأموالِ والرجال، دعا الله أن تجدبَ بلادُهم، وأن يدخلَ الفقرُ بيوتَهم، فقال: «**اللَّهمَّ اشدُدْ وطأتكَ علىٰ مُضَر، واجعلها عليهم سنينَ كسِني يوسُف**»(٣). فأمسكَ عنهم المطرَ حتَّىٰ ماتتِ الشَّجر، وذهبَ الثَّمر، وقلَّتِ المراعي، وماتتِ المواشي، حتَّىٰ اشتووا القَدّ، وأكلوا العِلْهِز(٤). وعند ذلك قدمَ حاجبُ بن زَرَارةَ(٥) علىٰ كسرىٰ يشكو إليه الجهدَ والأَزْل(٦)، ....

---

(١) عامري، شاعر مشهور، وهو القائل: ألا كل شيء ما خلا الله باطل. وفد علىٰ النبي ﷺ فأحسن إسلامه. وقيل مات في إمرة عثمان بالكوفة عن مئة وخمسين سنة. قيل: أنه ما قال شعراً منذ أسلم. العبر في خبر من غبر ٣٦/١.

(٢) بيتان من قصيدة طويلة أوردهما ابن هشام في السيرة النبوية ٥٦٩/٢. وفيه: البرق، بدل الرعد. ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ط، دار الأرقم، ص ٥٢.
والنجد: الشجاع. والسِّماك واحد السماكَين، وهما كوكبان نيّران: الرامح والأعزل. والأسد: من الأبراج.

(٣) رواه الشيخان وغيرهما. صحيح البخاري (٨٠٤)، صحيح مسلم (٢٩٤).

(٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أبو سفيان إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا محمد أنشدك الله والرحم قد أكلنا العلهز. يعني الوبر والدم. رواه الحاكم في المستدرك (٣٤٨٨) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
والقدّ: الجلد.

(٥) تميمي، من سادات العرب في الجاهلية. أسلم. ت نحو ٣ هـ. الأعلام ١٥٣/٢.

(٦) الأزْل: ضيق العيش وشدته.

ويستأذنُهُ في رعي السواد[١].

فلمَّا أصابَ مضرَ خصاصة، ونهكهم الأَزْل، وبلغتِ الحجَّة مبلغَها، وانتهتِ الموعظةُ منتهاها، قامَ إليه رجلٌ وهو على المنبر، فقال: يا رسولَ الله، ذهبَ الشجر، وماتتِ المواشي، فادعُ اللهَ أن يَسقينا. فاستسقَىٰ، فجاءَهم الغيث، وداومَهم المطر، حتَّىٰ قامَ إليه الرجلُ أو غيره، فقال: يا رسولَ الله، تهدَّمتِ البيوت، واحتبسَ الرُّكبان، فقالَ ﷺ: «**اللَّهمَّ حوالَينا ولا علينا**». فانجابَ السَّحابُ حولَ المدينةِ كالإكليل[٢].

ولمَّا أمحلَ النَّاسُ عامَ الرَّمادةِ في زمنِ عمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه، خرجَ يستسقي والنَّاسُ معه، فأخذَ بضَبْعَي العباسِ رضي الله عنه[٣]، وقال: اللَّهمَّ إنَّا نستسقيكَ بعمِّ نبيِّك. والنَّاسُ ينظرون إليهما، وإلىٰ السماءِ وهي كالزُّجاجة، فنشأتْ سحابة، [٢٣/أ] فلم تلبثْ أن طبقتِ الأفق، ثمَّ أرسلتْ عزالَيها[٤]، فما رجعوا إلىٰ رحالهم حتَّىٰ بلَّهم الغيث[٥].

(١) تثبيت دلائل النبوة ٨١/١.

(٢) هذا يرد في كتب الأدب خاصة، مثل رسائل الجاحظ ٢٦٧/٣، المحاسن والمساوئ ص٨، محاضرات الأدباء ٤٤٣/٢. أما الحديث نفسه فيرد في الصحاح وغيرها لجدب أصاب المدينة، مثل صحيح البخاري (١٠١٣)، صحيح مسلم (٨٩٧).
وانجاب بمعنىٰ انكشف. والإكليل: التاج.

(٣) الضبْع: وسط العضد. لسان العرب، مادة (ضبع).

(٤) أي: كثر مطرها، علىٰ المثَل. لسان العرب، مادة (عزل).

(٥) الدعاء للطبراني (٩٦٥)، فضائل الصحابة لابن حنبل (١٧٨٧). ولفظه عند البخاري في صحيحه (١٠١٠): «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا».

وهذا خبرٌ ظاهرٌ مشهور، وردتْ به الآثار، وافتُخِرَ به في الأشعار، حتَّىٰ لا يقدرَ معاندٌ علىٰ دفعه، ولا مخالفٌ علىٰ ردِّه.

وقد ذكرَ ذلك المتقدِّمون في أشعارهم، فقالَ الفضل بنُ العباس بنِ عتبة بنِ أبي لهب(١):

بعمِّي سقَىٰ الله الحجازَ وأهلَها ❊ عشيَّةَ يستسقي بشيبتهِ عمرْ
توجَّهَ بالعبَّاسِ في الجدبِ راغباً ❊ فما كرَّ حتَّىٰ جادَ بالديمةِ المطرْ(٢)

في أشعارٍ كثيرة، ولا يزالُ بنو العباسِ يذكرون ذلك في مفاخرهم ومناقبهم عصراً بعد عصر، وجيلاً بعد جيل.

ومن أخبارهِ ﷺ، ما حدَّثني أبو عبدالله الحسين بن محمَّد بن الحسن أخي الخلّال، عن أبي علي إسماعيل بن محمَّد بن حاجب(٣)، عن الفربري، عن البخاري قال: حدثنا أبو اليمان قال: حدثنا شعيب، عن عبدالله بن أبي حسين، عن نافع بن جبير(٤)، عن ابن عباس قال: قدمَ مسيلِمةُ الكذَّابُ علىٰ عهدِ رسولِ الله ﷺ، فجعلَ يقول: إن جعلَ لي محمَّدٌ الأمرَ من بعدهِ تبعته. وقدمَها في بشرٍ كثيرٍ من قومه، فأقبلَ إليه رسولُ الله ﷺ ومعه ثابت بنُ قيس بن شمّاس(٥) وفي يدِ رسولِ الله ﷺ قطعةُ جريد، حتَّىٰ وقفَ علىٰ مسيلِمةَ في

(١) شاعر مشهور، أحد شعراء بني هاشم وفصحائهم. وفد علىٰ معاوية، وعلىٰ عبدالملك بن مروان. تاريخ دمشق ٤٨/٣٣٥، الوافي بالوفيات ٢٤/٣٨.

(٢) نهاية الأرب ١٨/٢١٩، ١٩/٣٥٣.
والديمة: المطر يطول زمانه.

(٣) هو الكشاني.

(٤) في الأصل: عن نافع عن ابن جبير. وما أثبت من الصحيحين.

(٥) ثابت بن قيس الأنصاري. خطيب الأنصار. من نجباء الصحابة. شهد أحدًا وبيعة الرضوان.=

أصحابه فقال: «**إن سألتني هذه** [٢٣/ب] **القطعةَ ما أعطيتُكها، ولن تعدوَ أمرَ الله فيك، ولئن أدبرتَ ليعقِرنَّكَ الله**[١]**، وإنِّي لأراكَ الذي أُرِيتُ فيكَ ما رأيت**».

فأخبرني أبو هريرةَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**بينا أنا نائم، رأيتُ في يديَّ سِوارَين من ذهب، فأهمَّني شأنُهما، فأُوحيَ إليَّ في المنامِ أن انفخَهما، فنفختُهما، فطارا، فأوَّلتُهما كذَّابَين يَخرجان من بعدي**». فكان أحدُهما العنسيّ، والآخرُ مسيلِمةَ صاحبَ اليمامة[٢].

حدثنا الحسين قال: حدثنا الكشاني[٣]، عن الفِرَبري، عن البخاري قال: حدثنا صدقة بنُ الفضل قال: أخبرنا ابن عُيينة، عن ابن أبي نُجيح، عن مجاهد، عن أبي مَعمر[٤]، عن عبدالله بن مسعود قال: انشقَّ القمرُ على عهدِ رسولِ الله ﷺ شقَّتين، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**اشهدوا**»[٥].

وروى البخاريُّ أيضاً بإسنادِهِ عن أنس، أنَّه حدَّثهم أنَّ أهلَ مكةَ سألوا رسولَ الله ﷺ أن يُرِيَهم آية، فأراهم انشقاقَ القمر[٦].



= قتل في معركة اليمامة. سير أعلام النبلاء ١/٣٠٨.

(١) في الأصل «ليصرعنَّكَ الله». والمثبت من الصحيحين.

(٢) صحيح البخاري (٣٦٢٠، ٣٦٢١، ٤٣٧٣)، صحيح مسلم (٢٢٧٣).

(٣) الكلمة بدون نقط. والمقصود (الكشاني) إسماعيل بن محمد بن أحمد، فهو الذي يروي الصحيح عن الفربري.

(٤) في الأصل: أبي نعيم. وما أثبت من البخاري.

(٥) صحيح البخاري (٣٨٦٩، ٤٨٦٤، ٤٨٦٥). وورد في الأصل (شقين)، وتصحيحه من البخاري. كما ورد في موضع منه (فرقتين).

(٦) صحيح البخاري (٤٨٦٧).

فَصْلٌ
[البشارة به ﷺ في التوراة والإنجيل]



ومن أعلامهِ ﷺ: البشارةُ به في الكتبِ القديمة، وذكرهُ في التوراةِ والإنجيل.

فمن ذلك قولُ الله تعالىٰ في التوراة، في السِّفرِ الأولِ لإبراهيمَ عليه السلام: قد أجبتُ دعاءكَ في إسماعيل، وباركتُ عليه، وكثَّرته، وعظَّمتهُ جدًّا جدًّا، وسيلدُ اثني[1] عشرَ عظيماً، وأجعلهُ لأمَّةٍ عظيمة[2].

وأخبرَ موسىٰ عليه السلام بمثلِ [٢٤/أ] ذلك في هذا السِّفر، وزادَ شيئاً، قال: لمَّا هربتْ هاجرُ من سارةَ تراءىٰ لها ملَكٌ من ملائكةِ الله عز وجل، وقال: يا هاجرُ أَمَةَ سارة! ارجعي إلىٰ سيِّدتك، واخضعي لها، فإنِّي سأكثرُ ذرِّيَّتكِ وزرعكِ حتَّىٰ لا يُحصَوا[3] كثرة، وها أنتِ تحبَلين وتلِدين ابناً وتسمِّينه إسماعيل؛ لأنَّ الله تعالىٰ قد سمعَ خشوعك، وتكونُ يدهُ فوق الجميع، ويدُ الجميعِ مبسوطةٌ إليه بالخضوع[4].

وإذا تدبَّرتَ ذلك علمتَ أنَّه بشارةٌ بالنَّبيِّ ﷺ؛ لأنَّ إسماعيلَ لم تكنْ يدهُ فوق يدِ إسحاق، ولا كانت يدُ إسحاقَ وولدهِ مبسوطةً إليه بالخضوع؛ لأنَّ الملكَ والنبوَّةَ كان في يدِ ولدِ إسحاق، وإنَّما انتقلتِ النبوَّة إلىٰ ولدِ إسماعيلَ

(١) في الأصل: اثنا.
(٢) إمتاع الأسماع ٣/٣٨٣، الوفا بتعريف فضائل المصطفىٰ ص ٢٦.
(٣) في الأصل: يحصىٰ. وتصحيحه من المصدرين.
(٤) إمتاع الأسماع ٣/٣٨٣، الوفا بتعريف فضائل المصطفىٰ ص ٢٦.

حين بُعثَ محمَّدٌ ﷺ، وكانت يدهُ فوق يدِ الأمم، ودانَ له ولدُ إسحاقَ وغيرُهم[1].

ومن ذلك أيضاً قولهُ تعالىٰ في التوراةِ لموسىٰ عليه السلام، في السفرِ الخامس: إنِّي أقيمُ لبني إسرائيلَ نبيّاً من إخوتهم مثلك، أجعلُ كلامي علىٰ فيه.

وهذا بيِّن؛ لأنَّ إخوةَ بني إسرائيلَ هم بنو إسماعيل، ولو أرادَ من بني إسرائيلَ لقال: من أنفسهم. مع أنَّه لم يكنْ في بني إسرائيلَ نبيٌّ مثلَ موسىٰ عليه السلام[2].

ومن ذلك ما ذُكرَ في الإنجيل، أنَّ المسيحَ عليه السلام قالَ للحواريِّين: أنا أذهبُ وسيأتيكم البارقليط[3]، روحُ الحقّ، الذي لا يتكلَّمُ من قبلِ [٢٤/ب] نفسه، وهو يشهدُ عليّ، وأنتم تشهدون؛ لأنَّكم معي من قبلِ النَّاس، وكلُّ شيءٍ أعدَّ الله تعالىٰ لكم يخبركم به[4].

وفي حكايةِ يوحنّا عن المسيحِ عليه السلام أنَّه قال: البارقليطُ لا يجيئُكم ما لم أذهب، فإذا جاءَ وبَّخَ العالمَ علىٰ الخطيئة، ولا يقولُ من تلقاءِ نفسهِ شيئاً، ولكنَّه ممَّا يَسمعُ به يكلِّمكم، ويسوسُكم بالحق، ويخبركم بالحوادثِ والغيوب.

---

(١) هذا من كلام ابن قتيبة، كما نقل منه في المصدرين السابقين.

(٢) إمتاع الأسماع ٣/٣٨٦، الوفا بتعريف فضائل المصطفىٰ ص ٢٧. أورده ملخصًا.

(٣) وترد الكلمة بالفاء أيضًا: الفارقليط.

(٤) أعلام النبوة للماوردي ص ١٧١، إمتاع الأسماع ٣/٣٨٩، الوفا بتعريف فضائل المصطفىٰ ص ٣١، كنز الفوائد للكراجكي ١/٢٠٥. وعنده وعند الماوردي «يشهد لي كما شهدت له» وهو أصح.

والبارقليط: هو بلغتِهم لفظٌ من الحمد، إمَّا أحمد، أو محمود، أو محمَّد، وهذه كلُّها صفاتُ النَّبيِّ ﷺ[١].

وقالَ ابنُ شعيا النَّبيّ: مثلُ الريحِ العقيمِ يجيءُ[٢] من اليمن، فقالَ له بنو إسرائيل: قمْ على النظرةِ[٣] فانظرْ ماذا ترى، فقال: رأيتُ راكبين: أحدُهما على حمار، والآخرُ على جمل، فقال: ويلٌ لبابل، ويلٌ لبابل[٤]! فكم صنمٍ فيها يُكسَرُ ويُضرَبُ به الأرض!

وقالَ يوشعُ النَّبيّ: رأيتُ راكبين يسيران أضاءتْ لهما الأرض، أحدُهما على حمار، والآخرُ على جمل، فراكبُ الحمارِ عيسى عليه السلام، وراكبُ الجمل نبيُّنا ﷺ[٥].

وقالَ شمعونُ النَّبيُّ في زمنِ دانيال: جاءَ الله بالبيانِ من جبلِ فاران، وامتلأتِ السماواتُ والأرضُ من تسبيحِ أحمدَ وأمَّته[٦].

وقالَ أيضاً: تُحمَلُ خيلهُ في البحرِ كما تُحملُ في البرّ، وتَذلُّ له رقابُ الملوك[٧].

---

(١) أعلام النبوة للماوردي ص ١٥٨، المواهب اللدنية ٢/٥٥٣، الوفا بتعريف فضائل المصطفى ص ٣١.

(٢) الكلمة بدون نقط. ولم أقف على هذه الجملة في مصدر.

(٣) في كنز الفوائد: أقم على المنظرة.

(٤) في الأصل «ويل لنايل..»، والمثبت من كنز الفوائد.

(٥) كنز الفوائد ١/٢٠٥، وينظر شرح الزرقاني على المواهب ٤/١٩١، وتاريخ الخميس ١/١٢٥.

(٦) كنز الفوائد ١/٢٠٥.

(٧) الوفا بتعريف فضائل المصطفى ص ٢٨.

وفارانُ جبلٌ بقربِ مكة[1].

ومن ذلك أيضاً رؤيا بُخْتُ نَصَّر الملكِ [٢٥/أ] ببابل، وتأويلُ دانيالَ النَّبيِّ عليه السلام، فإنَّه قال: رأيتُ في المنامِ صنماً رأسهُ من ذهب، وصدرهُ وذراعاهُ من فضَّة، وبطنهُ وفخذاهُ من نحاس، وركبتاهُ وساقاهُ من حديد، وفيه خلطُ قليلٍ من فخّار، ثمَّ رأيتُ حجراً يُقطَعُ من جبلٍ عظيمٍ بغيرِ يدِ إنسان، فضَرَب ذلك الصنمَ فكسره، ثمَّ جعلَهُ مثلَ الرمادِ في يومِ ريح، وعَظُمَ الحجرُ بعد ذلك، حتىٰ رأيتُ الأرضَ امتلأتْ منه.

قالَ له دانيال: أمَّا الصَّنمُ الذي فيه الصورُ الكثيرة، فهم الملوكُ الذين مضَوا في سالفِ الأحقاب، والذين يكونون علىٰ غابرِ الأيام. وأمَّا الحجرُ فهو النَّبيُّ الذي يكونُ في آخرِ الزمان، خاتمُ الأنبياء. وأمَّا امتلاءُ الأرضِ منه، فهم[2] الذين يتَّبعونه، ويؤمنون به[3].

وقد ذكرَ الله تعالىٰ في القرآنِ أنَّه مذكورٌ في التوراةِ والإنجيل، وحكىٰ عن عيسىٰ عليه السلام: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُ﴾ [الصف: ٦]، وهذا يتلوهُ عليهم فيصدِّقونه[4]، فلا يجوزُ لعاقلٍ أن يحتجَّ علىٰ قومٍ بأمرٍ يدَّعيهِ عليهم فيعلمون بطلانَهُ ويمكنهُ أن

---

(١) فاران كلمة عبرانية، اسم لمكة، أو جبالها. معجم البلدان ٤/٢٢٥.

(٢) في الأصل «فهو»، والمثبت من كنز الفوائد.

(٣) لفظه من كنز الفوائد ١/٢٠٦. وأورده بأطول منه الطبري في تفسيره ١٧/٣٧٣، والملك المؤيد في المختصر في تاريخ البشر ١/٤٣، وابن ناصر الدين في كتابه جامع الآثار ١/٣٢٤. وفيها أن بختنصر نسي رؤياه، فذكّره بها دانيال، وأوّلها له.

(٤) في الأصل: فيصدقوه.

لا يحتجَّ بذلك عليهم، ومعلومٌ عقلهُ ﷺ، وحُسنُ سياستهِ ووفائهِ وحسنِ أخلاقه، وهذا ممَّا لا يدفعهُ موافقٌ ولا مخالف.

ويشهدُ لذلك أيضاً أنَّ من أسلمَ بالعراق، يحتجُّ على [٢٥/ب] أهلِ الدينِ الذي تركهُ بما يحتجُّ عليهم به مَن أسلمَ من أهلِ الشام، وكذلك من أسلمَ من أهلِ خراسان، ومحالٌ وقوعُ التواطؤِ في ذلك.

وقد ذكرتُ مما ذُكرَ من أخبارِ النَّبيِّ ﷺ، وأخبارِ أمَّته، ووقائعه، وأصحابه، قليلاً من كثير، فإنَّ ذلك ممَّا يطولُ به الكتاب، وفيما ذكرناهُ مقنعٌ لمنصف، ودليلٌ لمصدِّق.

فَصْلٌ

[ما ظهر من صدق أخباره بعد وفاته ﷺ، منها على يد أصحابه]



ومن أعلامهِ ﷺ ما صحَّ بعد موتهِ من أخباره، وظهورِ دينه، ونصرةِ الله تعالى أصحابَه، وكونِهم على ما وصفَهم الله تعالى به في كتابه، من الصدقِ والجهادِ وإقامةِ العدل، والحكمِ بالحق، وفتحِ البلاد، وإبادةِ الممالك، وأخذِ الجزيةِ من أهلِ الأديان.

فإن طعنَ طاعنٌ بأنَّ الصحابةَ اختلفت، وتقاتلوا واقتتلوا، فالجواب: أنَّ ما جرى من الفتنِ قد أخبرَ بها ﷺ، وكان حذيفةُ عندهُ خبرُ الفتن، يرويها عن رسولِ الله ﷺ(١)، وكان يقولُ لعمرَ رضي الله عنه: ....

(١) كان رضي الله عنه صاحب سرِّ رسول الله ﷺ، كما صح في الحديث. سنن الترمذي (٣٨١١) وقال: حسن صحيح غريب. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لواحد من أهل الكوفة: أليسَ فيكم صاحبُ=




أنت قفلُ الفتنة[1].

وقالَ ﷺ لعليٍّ عليه السلام: «**إنَّ أشقَى الأوَّلين والآخِرين مَن خضبَ هذه من هذه**»[2].

وقالَ فيما حدَّثناه الحسين، عن الكشاني، عن الفربري، عن البخاري، حدَّثنا صدقة، عن ابن عيينةَ قال: حدَّثنا أبو موسى قال: سمعتُ الحسن، سمعَ أبا بَكرة، سمعتُ النَّبيَّ ﷺ على المنبر، والحسنُ إلى جنبه، ينظرُ إلى النَّاسِ مرة، وإليه [٢٦/أ] مرة، يقولُ للحسن: «**إنَّ ابني هذا سيِّد، ولعلَّ الله أن يُصلِحَ به بين طائفتين من المسلمين**»[3].

وذكرُ خبرِ الخوارجِ أيضاً، فإنَّه قالَ للذي قالَ له: اعدلْ يا رسولَ الله،

= السرّ الذي كان لا يعلمه غيره؟ يعني حذيفة. صحيح البخاري (٦٢٧٨).

(١) كان يقال له ذلك رضي الله عنه، كما يقال له (غلق الفتنة). وفي صحيح البخاري (٣٥٨٦) قول حذيفة لعمر: «إن بينك وبينها بابًا مغلقًا» يعني الفتنة. كما وقفت على قول أبي ذر له في أكثر من مصدر، منها المعجم الأوسط للطبراني (١٩٤٥)، فروى لعمر قوله ﷺ: «لا تصيبكم فتنةٌ ما دام هذا فيكم». ويعني عمر. وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن الطبراني روى الحديث بإسناد رجاله ثقات. فتح الباري ٦/٦٠٦.

(٢) قال ابن الأثير: قيل من غير وجه: إن عليًّا كان يقول: ما يمنع أشقاكم أن يخضّب هذه من هذه؟ يعني لحيته من دم رأسه. الكامل في التاريخ ٢/٧٣٧. وفي الحديث الشريف من رواية عبيدالله بن أنس: «أشقى الأولينَ عاقرُ الناقة، وأشقى الآخرينَ الذي يطعنكَ يا عليّ». وأشارَ إلى حيثُ يُطعن. أورده في السلسلة الصحيحة (١٠٨٨) وذكر أنه صحيح بمجموع طرقه.

(٣) هكذا أورده المؤلف، ولفظه في الصحيح «إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». صحيح البخاري (٢٧٠٤). والذي أورده المؤلف مطابق للفظ الخرائطي في مكارم الأخلاق (٥٩١). وقريب منه في مسند أحمد (٢٠٤٧٣): «إن ابني هذا لسيد، إن يعش يصلح بين طائفتين من المسلمين».

فقال: «**يَخرجُ من ضِئضئِ هذا قومٌ يَمرقون من الدِّين كما يَمرقُ السهمُ من الرميَّة**»(١).

وأخبرَ عليًّا رضوانُ الله عليه أنَّه يَقتلُ ذا الثُّدَيَّة، فقتلهُ بالنهروان(٢). وكان تصديقُ ذلك أيضاً من معجزاته.

مع أنَّ ما جرىٰ بينهم من الخُلفِ والقتالِ لم يَظهرْ به عليهم عدوُّهم، ولا منعَهم من قوتهم علىٰ غيرهم، وإنَّما كان ذلك لشُبهٍ قامتْ لبعضهم، وليس بعضُهم معصوماً، وإنَّما جملتُهم معصومون، فإنَّهم لم يُجمِعوا علىٰ خطأ، وليس علينا تكليفٌ في تمييزِ شُبَهِهم، ولا ذمٌّ بعضِهم، ولم يستبنْ ممَّن كانت له صحبةٌ أمرٌ تعدَّىٰ عن شبهةٍ أو خلا عن تأويل، وإنَّما ظهرتِ الأمورُ المنكَرةُ ممَّن لم يكنْ له صحبةٌ برسولِ الله ﷺ، ولا قدمٌ في الدينِ ولا بصيرة.

وقد أثنىٰ الله تعالىٰ عليهم أحسنَ الثناء، فقالَ ﷻ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ

(١) لفظه في رواية عند البخاري (٤٣٥١): «إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا، لا يجاوزُ حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية». وفي رواية أخرىٰ: عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: بُعث إلىٰ النبي ﷺ بشيء، فقسمه بين أربعة، وقال: أتألفهم، فقال رجل: ما عدلت، فقال: «يخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين». (صحيح البخاري (٤٦٦٧).
والضئضئ: الأصل.

(٢) خوارج قاتلهم عليّ رضي الله عنه عام (٣٨) هـ، بينهم ذو الثدية هذا، وذلك في وقعة النهروان، القريبة من بغداد. الحديث والخبر ووصف الرجل المقتول في سنن أبي داود (٤٧٦٨) وصحح إسناده الشيخ الأرناؤوط.

كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح: ٢٩]. [٢٦/ب]

﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم﴾ قيل: هو الخشوعُ في أثرِ الصلاة(١)، وقيل: نورٌ يوم القيامة.

﴿كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ﴾: شطْءُ الزرع: فراخهُ وصغاره(٢).

﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾: يعني قوَّاه، مثلُ قوله: ﴿ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي﴾ [طه: ٣١].

﴿فَٱسۡتَغۡلَظَ﴾: صارَ مثلَ الزرعِ القويّ.

و﴿سُوقِهِۦ﴾: أصله(٣).

وهذا ضربَهُ الله مثلاً لخروجِ النَّبيِّ ﷺ وحدَه، ثمَّ لم يزلْ أتباعهُ وأصحابهُ يَقوون حتىٰ أظهرَ الله تعالىٰ بهم دينه. وبيَّنَ الله تعالىٰ أنَّ ذكرَهم كذلك في التوراةِ والإنجيل، فإنَّ الله تعالىٰ ذكرَ الأمةَ التي تكونُ من ولدِ إسماعيل، وكثرتَهم وتسبيحَهم وعبادتَهم.

وقولهُ تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ فاقتضىٰ ذلك أنَّ ثوابَهم وأجرَهم أكثرُ من ثوابِ غيرهم، وكيف لا يكونُ ذلك وبهم نشرَ الله الإسلام، وهزمَ الكفار، وأظهرَ دينَهُ علىٰ الأديان؟

---

(١) الصحيح أن يقال: من أثر الصلاة.

(٢) يقال منه: قد أشطأ الزرع: إذا فرَّخ، فهو يشطئ إشطاء. (الطبري).

(٣) ينظر تفسير الطبري، عند تفسير الآية. والصحيح «أصوله»، فالسوق جمع ساق.

ولقد توفيَ رسولُ الله فاضطربتِ العرب، فمنهم من ارتدَّ عن دينه، ومنهم من ادَّعىٰ النبوَّة، كمسيلِمة، وطليحة[1]، والعَنْسِيّ، وكلٌّ منهم وجدَ مساعداً، فساعدتْ مسيلمةَ بنو حنيفة، وطليحةَ بنو أسد، فأيَّدَ الله الخليفةَ بعدَهُ أبا بكر الصِّدِّيقَ رضوانُ الله عليه والصحابةَ علىٰ جهادِ المارقين، فظهرتْ قوَّتُهم باليقين، وثبوتُهم علىٰ الدين، ولم يتركْ لهم ﷺ أموالاً يستعينون بها، وإنَّما كانت أموالَهم بصائرُهم وقوَّتُهم ويقينُهم وتصديقُهم وعدَ [٢٧/أ] الله تعالىٰ لهم، فنصرَهم الله تعالىٰ علىٰ عدوِّهم، قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗا﴾ [النور: ٥٥]، فصدقَ ﷻ وعدَه، ومكَّنَ لهم دينَهم، وأظهرَهم علىٰ عدوِّهم، فعادَ من خرجَ من الدِّينِ إلىٰ نصابه، ودفعَ الزكاةَ من كان امتنعَ من دفعِ زكاته.

ثمَّ أقبلَ أبو بكرٍ رضوانُ الله عليه إلىٰ جهادِ الرومِ والفرس، وكانت مدَّتهُ يسيرة: سنتين وشهوراً[2].

ثمَّ استخلفَ رضوانُ الله عليه عمرَ رضي الله عنه، فشمَّرَ في دينِ الله، وجاهدَ أعداءَ الله، وأزالَ ملكَ كسرىٰ وملوكَ الشامِ من الروم، واتَّسعَ الإسلام، وقويَ المجاهدون، وحازوا الأموال، وصدَقهم الله سبحانهُ وعدَهُ في قوله: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةٗ تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ﴾ [الفتح: ٢٠]. وعدلَ بين المسلمين، وقسمَ فيءَ المسلمين بينهم علىٰ السويَّة، وأنصفَ ضعيفَهم من

(١) طليحة بن خويلد الأسدي. كان صحابيًا، فارتد، ثم حسن إسلامه، وكان يعدّ بألف فارس. استشهد يوم نهاوند سنة ٢٢ هـ. العبر في خبر من غبر ٢٦/١.

(٢) في الأصل: سنتان وشهور.

قويِّهم. وأبو بكرٍ ﷺ الذي قال: القويُّ عندي ضعيفٌ حتىٰ آخذَ منه الحقّ، والضعيفُ عندي قويٌّ حتىٰ أُريحَ عليه حقَّه(١).

ولقد أخبرَ في خطبةٍ خطبها بما يكون من الفتوحِ للمسلمين، فقالَ في خطبتهِ بعد أن حمدَ الله وصلَّىٰ علىٰ النَّبيِّ ﷺ: ألا إنَّ أشقَىٰ النَّاسِ في الدُّنيا [٢٧/ب] والآخرةِ الملوك!

فرفعَ الناسُ رؤوسَهم إليه، فقال: ما لكم معاشرَ النَّاس؟ إنَّكم لطعَّانون عَجِلون، إنَّ الملِكَ إذا ملكَ زهَّدَهُ الله فيما في يديه، ورغَّبَهُ فيما في يدِ غيره، وانتقصَهُ شطرَ أجله، وأَشرَبَ قلبَهُ(٢) الإشفاق، فهو يَحسدُ علىٰ القليل، ويسخطهُ الكثير(٣)، ويسأمُ الرخاء، وتنقطعُ عنه لذةُ البهاء(٤)، لا يستعملُ العبرة، ولا يسكنُ إلىٰ الثقة، وهو كالدرهمِ القَسِيّ، والسرابِ الخادع، جَذِلُ الظاهر(٥)، حزينُ الباطن، فإذا وجبتْ نفسه(٦)، ونضبَ عمره، وضحا ظلُّه(٧)، حاسبَهُ الله تعالىٰ فأشدَّ حسابه، وأقلَّ غَفْره(٨). ألا إنَّ الأمراءَ هم المحرومون(٩)، إلَّا من آمنَ بالله، وحكمَ بكتابِ الله، وسنَّةِ رسولِ الله ﷺ.

---

(١) البداية والنهاية ٨/٨٩.
(٢) في الأصل: وأشرب عليه. وتصحيحه من المصادر المثبتة.
(٣) لأنه يستقلُّه.
(٤) هكذا هنا وفي مصادر أخرىٰ. وفي البيان: الباءة. وهي الجماع.
(٥) أي: فرح.
(٦) وجبت النفس: ماتت.
(٧) ضحا ظل فلان: مات.
(٨) في البيان وغيره: عفوه. والغَفر والغفران بمعنىٰ.
(٩) في الأصل «المرحومون»! وهو خطأ. والمثبت من نثر الدر. ويأتي في مصادر أخرىٰ هكذا: ألا ان الفقراء هم المرحومون، وخير الملوك من آمن بالله وحكم بكتابه...

وإنَّكم اليومَ في خلافةِ نبوَّة[1]، ومفرقِ محجَّة، وسترون بعدي مُلْكاً عَضُوضاً، وملكاً عَنوداً[2]، وأمةً شَعَاعاً، ودماً مفاحاً، فإن كانت للباطلِ نزوة، ولأهلِ الحقِّ جولة، يعفو لها الأثر، وتموتُ لها السُّنن؛ فالزموا المساجد، واستشيروا القرآن، والزموا الجماعة، وليكنِ الإبرامُ بعد التشاور، والصفقةُ بعد طولِ التناظر، إن تكنْ بلادُكم خُرْسة، فإنَّ الله سيفتحُ عليكم أقصاها، كما فتح عليكم أدناها[3].

الدرهمُ القَسِيّ: الرديء. والعَضوض: الغاصب[4]. والخُرْسَة: القليل، وهو أولُ شيءٍ تَطعمهُ [٢٨/أ] المرأةُ الوالدة[5]. يريدُ أنَّه إن كانت بلادُكم قليلة، فستكثر، ويُفتَحُ عليكم أقصىٰ البلاد. وهذا ممَّا واعدَهم الله تعالىٰ به ورسولهُ ﷺ.

وقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: **«زُوِيَتْ ليَ الأرضُ فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها، وسيبلغُ ملكُ أمَّتي ما زُوِيَ لي منها»**[6].

---

(١) في الأصل: نبوية. والمثبت من مجموع المصادر.

(٢) في الأصل: عزوزًا. والمثبت من مجموع المصادر.

(٣) البيان والتبيين ٢/٣٠، عيون الأخبار ٢/٢٥٣، نثر الدر ٢/٧، العقد الفريد ٤/١٥١، جمهرة خطب العرب ١/١٨٣.

(٤) في النهاية لابن الأثير (٣/٢٥٣): «ثم يكونُ مُلْك عَضُوض» أَي: يُصيبُ الرَّعيَّة فيه عسفٌ وظُلم، كأنَّهم يُعَضُّون فيه عَضّاً. قال: وفي رواية «ثم يَكونُ مُلوك عَضُوض»، وهو جَمعُ: عِضٍّ بالكسر، وهو الخبيثُ الشَّرِس.

(٥) وهو موافق لما جاء في عيون الأخبار. وفي البيان والعقد ونثر الدر: خرشنة! وهو بلد بالروم، كما في تاج العروس، والقاموس المحيط.

(٦) لفظه في صحيح مسلم (٢٨٨٩) من رواية ثوبان: «إن الله زوىٰ لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها». وعند ابن ماجه: «زُويت لي الأرض=

وقوله: دماً مفاجاً، يعني سائلاً[1].

وهذا أيضاً ممَّا عرفوهُ من أخبارِ رسولِ الله ﷺ عن الفتن.

وانظرْ إلىٰ ما وَصفَ به الملِكَ وذمَّ الدنيا، فإذا كان الملكُ في الدنيا أكثرَ من السوقةِ حزناً؛ لكثرةِ ما يَعرضُ في مُلكهِ من الخلَل، وما يَطلب من الزيادة، ويخافُ علىٰ ما في يده، والخوفُ أشدُّ العذاب، وإنَّما يتعظَّمُ حالهُ في عينِ غيره، وهو مستقلٌّ لما هو فيه، يلحقهُ فيه السأمُ والضجر، وكذلك أحوالُ مَن دونه، علىٰ مراتبِهم في الدنيا.

ومن كلامهِ المستحسَنِ رضوانُ الله عليه، وصيَّتهُ لعمرَ رضي الله عنه: إنِّي مستخلِفُكَ من بعدي، وموصيكَ بتقوىٰ الله، فإنَّ لله عملاً بالليلِ لا يقبلهُ بالنَّهار، وعملاً بالنَّهارِ لا يقبلهُ باللَّيل، وإنَّه لا يَقبلُ نافلةً حتَّىٰ تؤدَّىٰ الفريضة. إنَّما ثقلتْ موازينُ مَن ثقلتْ موازينهُ يومَ القيامةِ لاتِّباعهم الحقَّ في الدنيا وثقلهِ عليهم، ويحقُّ لميزانٍ لا يوضَعُ فيه إلَّا الحقُّ أن يكونَ ثقيلاً، وإنَّما خفَّتْ موازينُ مَن خفَّتْ موازينهُ يومَ القيامةِ باتِّباعهم الباطلَ [٢٨/ب] وخفَّتهِ عليهم، وحُقَّ لميزانٍ لا يوضَعُ فيه إلَّا الباطلُ أن يكونَ خفيفاً.

إنَّ الله تعالىٰ ذكرَ أهلَ الجنَّةِ فذكرَهم بأحسنِ أعمالهم، وتجاوزَ عن

= حتىٰ رأيت مشارقها ومغاربها، وأُعطيت الكنزين الأصفر أو الأحمر، والأبيض ـ يعني الذهب والفضة ـ وقيل لي: إن ملكك إلىٰ حيث زوي لك». سنن ابن ماجه (٣٩٥٢). وصححه الألباني.

ومعنىٰ زويت: قُبضت وجُمعت. مشكل الصحيحين ٢١٨/١.

(١) ورد قبله بالحاء (مفاحًا)، وهنا ورد (مفاجًا). وفاح وفاج بمعنىٰ واحد. وأفاح الدم: أراقه. وفي البيان: ودمًا مباحًا.

سيِّئاتهم، فإذا ذكرتُهم أقول: إنِّي أخافُ ألَّا أكونَ من هؤلاء. وذكرَ أهلَ النَّارِ فذكرَهم بأسوأ أعمالهم، ولم يذكرْ حسناتهم، فإذا ذكرتُهم قلت: إنِّي لأرجو ألَّا أكونَ من هؤلاء.

وذكرَ آيةَ الرَّحمةِ مع آيةِ العذابِ ليكونَ العبدُ راغباً راهباً، ولا يتمنَّىٰ علىٰ الله غيرَ الحقّ، ولا يُلقي بيدهِ إلىٰ التهلكة.

فإن أجبتَ وصيَّتي فلا يكوننَّ غائبٌ أحبَّ إليكَ من الموتِ وهو آتيك، وإن ضيَّعتَ وصيَّتي فلا يكوننَّ[1] غائبٌ أبغضَ إليكَ من الموت، ولستَ معجزًا الله[2].

ولمَّا حضرتهُ الوفاةُ دعا كاتباً فقال: اكتب.

بسمِ الله الرَّحمن الرَّحيم. هذا ما وصَّىٰ به أبو بكرٍ عند آخرِ عهدهِ بالدنيا خارجاً منها، وأوَّلِ عهدهِ بالآخرةِ داخلاً فيها، حين يصدِّقُ الكاذب، ويتَّقي الفاجر. إنِّي ولَّيتُ عليكم عمر بنَ الخطَّاب، فإن يَعدلْ فظنِّي به ورجائي فيه، وإن غيَّرَ فالخيرَ أردتُ، ولا يعلمُ الغيبَ إلَّا الله ﷻ. ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧][3].

وأوصَىٰ عمرُ رضوانُ الله عليه الخليفةَ من بعده، فقال: أوصيكَ بتقوىٰ

(١) في الأصل «يكون» هنا وقبله، وتصحيحه من مجموع المصادر.
(٢) البيان والتبيين ٢/٣١، التذكرة الحمدونية ١/١٢٣، نثر الدر ٢/١٤.
(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ (١٦٥٧٦). وهو في تاريخ المدينة لابن شبة ٢/٦٦٧، الأوائل للعسكري ص ١٤٨، التعازي والمراثي ص ٢٢٤، الجليس الصالح ٦٣٥، لباب الآداب ١/٢١. والكاتب عثمان ﵁.

الله لا شريكَ له ، وأوصيكَ بالمهاجرين الأوَّلين خيراً ، أن تعرفَ لهم سابقتَهم ، وأوصيكَ بالأنصارِ [٢٩/أ] خيراً ، أن تقبلَ من مُحسنِهم ، وتجاوزَ عن مُسيئهم. وأوصيكَ بأهلِ الأمصارِ خيراً ، فإنَّهم ردءُ العدوّ(١) ، وجباةُ الفيء ، لا يُحمَلُ فيهم إلَّا عن فضلٍ منهم(٢). وأوصيكَ بأهلِ الباديةِ خيراً ، فإنَّهم أصلُ العرب ، ومادَّةُ الإسلام ، أن يؤخذَ من حواشي أموالهم(٣) ويردَّ على فقرائهم. وأوصيكَ بأهلِ الذِّمَّة خيراً ، أن تقاتل من ورائهم ، ولا تكلِّفَهم فوق طاقتهم ، إذا أدَّوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً ، أو عن يدٍ وهم صاغرون.

وأوصيكَ بتقوى الله وشدَّةِ الحذرِ منه ، مخافةَ مَقته ، أن يطَّلعَ منك على ريبة. وأوصيكَ بأن تخشى الله في الناس ، ولا تخشى الناسَ في الله. وأوصيكَ بالعدلِ في الرعيَّة ، والتفرُّغِ لحوائجهم وثغورهم ، ولا تؤثرَ غنيَّهم على فقيرهم ؛ فإنَّ ذلك بإذنِ الله سلامةٌ لقلبك ، وحطٌّ لوزرك ، وخيرٌ في عاقبةِ أمرك ، حتَّى تُفضيَ من ذلك إلى من يَعرِفُ سريرتك ، ويَحولُ بينكَ وبين قلبك.

وآمُرُكَ أن تشتدَّ في أمرِ الله ، وفي حدودهِ ومعاصيه ، على قريبِ النَّاسِ وبعيدِهم ، ثمَّ لا تأخذْكَ في أحدٍ الرأفةُ حتَّى تنتهكَ منه مثلَ جُرمه(٤). واجعلِ

---

(١) وهكذا يأتي في مصادر أخرى. والردء: الناصر والمعين. والمقصود «درء العدو» بمعنى دفعه ، كما في المعاجم. وورد في التعازي «غيظ العدو» ، وفي لسان العرب: «ردء الإسلام».

(٢) في البيان «لا تحمل إلا عن فضل منهم» ، وفي التعازي «لا تحمل فيئهم إلا عن فضل منهم».

(٣) حواشي الإبل: صغارها.

(٤) في الأصل: حرمه. والمثبت موافق لما في نثر الدر. وفي البيان والتبيين: حتى تنتهك منه مثل ما انتهك من حرمه.

النَّاسَ عندكَ سواء، لا تبالي علىٰ من وجبَ الحقّ، ولا تأخذْكَ في الله لومةُ لائم. وإيَّاكَ والأثرةَ والمحاباةَ فيما ولَّاكَ اللهُ ممَّا أفاءَ الله علىٰ المؤمنين فتجورَ وتَظلم، وتمنعَ نفسكَ من ذلك ما قد [٢٩/ب] وسَّعَهُ الله عليك، وقد أصبحتَ بمنزلٍ من منازلِ الدنيا والآخرة، إن اقترفتَ لدنياكَ عدلاً وعفَّةً عمَّا بسطَ لكَ اقترفتَ به إيماناً ورضواناً، وإن غلبكَ عليه وهو الهوىٰ، اقترفتَ به سخطَ الله(١). وأوصيكَ ألَّا ترخصَ لنفسِكَ ولا لغيرها في ظلمِ أهلِ الذِّمَّة.

وقد أوصيتُك، وخصصتُك، ونصحتُ لك، فابتغِ بذلك رحمةَ الله والدارَ الآخرة. واخترتُ من دلالتِكَ ما كنتُ دالًّا عليه نفسي وولدي، فإن عملتَ بالذي وعظتُك، وانتهيتَ إلىٰ الذي أمرتُك، أخذتَ به نصيباً وافراً، وحظًّا وافياً، وإن لم تقبلْ ذلك ولم يهمَّكَ، ولم تتركْ معاظمَ الأمرِ عند الذي يرضَىٰ الله به عنك، يكنْ(٢) ذلك [بكَ](٣) انتقاصاً(٤)، ورأيُكَ فيه مدخولاً؛ لأنَّ الأهواءَ مشتركة، ورأسَ الخطيئةِ إبليسَ ـ لعنهُ الله ـ داعٍ إلىٰ كلِّ مَهلكة، وقد(٥) أضلَّ القرونَ السالفةَ قبلك، فأوردَهم النَّار، ولبئسَ [الثمنُ](٦) أن

---

(١) هكذا.. وهو في البيان: «وإن غلبك الهوىٰ ومالت بك شهوة، اقترفت به سخط الله ومعاصيه». وفي نثر الدر: «إن غلبك فيه الهوىٰ اقترفت به غضب الله».

(٢) في الأصل: يكون.

(٣) إضافة من المصادر.

(٤) وردت العبارة في البيان والتبيين هكذا: وإن لم تقبل ذلك ولا يهمك، تنزل معاظم الأمور عند الذي يرضىٰ الله به عنك، يكن ذلك بك انتقاصًا.

(٥) في الأصل «قد»، والمثبت من المصادر.

(٦) ما بين المعقوفتين أصله بياض في الأصل، والمثبت من البيان والتبيين، وفي نثر الدر: وبئس الورد المورود، ولبئس الثمن.

يكونَ حظُّ امرئٍ موالاةً(١) لعدوِّ الله ، الداعي إلى معاصيه .

ثمَّ اركبِ الحقَّ ، وخضْ إليه الغَمرات ، وكنْ واعظاً لنفسك ، وأَنشدُكَ(٢) الله لما ترحمتَ على جماعةِ المسلمين ، فأجللتَ كبيرهم ، ورحمتَ صغيرهم ، ووقَّرتَ عالمهم ، ولا تضرَّهم فيَذلُّوا ، ولا تستأثرْ عليهم بالفيءِ فتغضبَهم ، ولا تَحرمهم عطاياهم عند محلِّها فتُفقِرهم ، ولا تُجهِدْهُم(٣) في البعوثِ فتَقطعَ نسلَهم ، ولا تجعلِ [٣٠/أ] المالَ دُولةً بين الأغنياءِ منهم ، ولا تُغلقْ بابكَ دونَهم فيأكلَ قويُّهم ضعيفَهم .

هذه وصيَّتي إيَّاك ، وأُشهدُ اللهَ عليك ، وأقرأُ عليكَ السَّلام(٤) .

وكتبَ عمرُ رضوانُ الله عليه إلى أبي موسى الأشعري(٥) : أمَّا بعد ، فإنَّ القضاءَ فريضةٌ محكَمة ، وسنَّةٌ متَّبعة ، فافهمْ إذا أُدليَ إليك ، فإنَّه لا ينفعُ تكلُّمٌ بحقٍّ لا نفاذَ له . آسِ بين النَّاسِ(٦) في مجلسِكَ ووجهك ، حتَّى لا يطمعَ شريفٌ في حيفك(٧) ، ولا يخافَ ضعيفٌ من جَورك(٨) . البيِّنةُ على من ادَّعى ،

(١) في الأصل «حظ له من موالاة» . والمثبت من البيان ونثر الدر .

(٢) في الأصل «واستدل» . وتصحيحه من المصادر .

(٣) في المصادر: ولا تجمرهم (وهو الصحيح) . وجمر الأمير الجيش: إذا أطال حبسهم بالثغر ولم يأذن لهم في القفل إلى أهليهم .

(٤) البيان والتبيين ٢/٣١ ، التعازي والمراثي ص ١٣٦ ، نثر الدر ٢/٣٨ .

(٥) صحابي جليل . مقرئ أمير . استعمله النبي ﷺ على عدن ، واستعمله عمر على الكوفة والبصرة ، وفتحت على يده عدة أمصار . العبر في خبر من غبر ١/٣٧ .

(٦) أي: سوِّ بينهم .

(٧) الحيف: الظلم .

(٨) ويأتي في مصادر: ولا ييأس ضعيف من عدلك .

واليمينُ علىٰ من أنكر ، والصلحُ جائزٌ بين المسلمين ، إلَّا صلحاً حرَّمَ حلالاً ، أو أحلَّ حراماً. ولا يمنعْكَ قضاءٌ قضيتَهُ بالأمس ، فراجعتَ فيه نفسك ، وهُديتَ فيه لرشدك ، أن ترجعَ إلىٰ الحقّ ، فإنَّ الحقَّ قديم ، ومراجعةَ الحقِّ خيرٌ من التَّمادي في الباطل.

الفهمَ الفهمَ فيما[1] تلجلجَ في صدرِكَ ممَّا لم يَبلغْكَ في كتابٍ ولا سنَّة ، اعرفِ الأمثالَ والأشباه ، وقسِ الأمورَ عند ذلك ، ثمَّ اعمدْ إلىٰ أحبِّها إلىٰ الله ، وأشبهِها بالحقِّ فيما ترىٰ. اجعلْ للمدَّعي أمداً ينتهي إليه ، فإن أحضرَ بيِّنتَهُ أخذتَ له بحقِّه ، وإلَّا وجَّهتَ عليه القضاء ، فإنَّ ذلك أجلَىٰ للعمَىٰ ، وأبلغُ في العذر.

المسلمون عدولٌ بعضُهم علىٰ بعض ، إلَّا مجلوداً حدَّاً ، أو مجرَّباً في شهادةِ زور[2] ، أو ظَنيناً في ولاءٍ أو قرابة[3] ، فإنَّ الله تولَّىٰ منكم السَّرائر ، [٣٠/ب] ودرأَ عنكم بالبيِّنات.

ثمَّ إيَّاكَ والتأذِّي بالنَّاس ، والتنكرَ للخصومِ في مواطنِ الحقِّ التي يوجبُ الله له بها الأجر ، ويَحسنُ بها الذِّكر ، فإنَّه من يُخلِصْ نيَّتَهُ فيما بينه وبين الله ولو علىٰ نفسه ، يَكفهِ الله ما بينه وبين النَّاس ، ومن يتزيَّنْ للنَّاسِ بما يعلمُ الله خلافَهُ منه ، يَهتكْ ستره[4].

---

(١) في الأصل «مما». وتصحيحه من المصادر.

(٢) في السنن الكبرىٰ: إلا مجلودٌ في حدّ ، أو مجرَّبٌ عليه شهادة الزور...

(٣) الظنين هو المنتمي إلىٰ غير مواليه.

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ (٢٠٥٦٧) ، وفي السنن الصغير (٣٢٥٩) ، مسند الفاروق بتحقيق إمام (٧٦١) ، سنن الدارقطني (١٥).

وخطبَ عليٌّ رضوانُ الله عليه، فقال:

أمَّا بعد، فإنَّ الدنيا قد أدبرتْ وآذنتْ بوداع، وإنَّ الآخرةَ قد أقبلتْ وأشرفتْ باطِّلاع، وإنَّ المضمارَ اليوم(1)، وغداً السِّباق. ألا وإنَّكم في أيَّامِ أملٍ من ورائِه أجل، فمن أخلصَ في أيَّامِ أملِه قبلَ حضورِ أجله، نفعَهُ عملهُ ولم يضرَّهُ أملُه، ومن قصَّرَ في أيَّامِ أملِه قبلَ حضورِ أجله، فقد خسرَ عملَه، وضرَّهُ أملُه. ألا فاعملوا لله في الرغبة، كما تعملون له في الرهبة. ألا وإنِّي لم أرَ كالجنَّةِ نامَ طالبُها، ولا كالنَّارِ نامَ هاربُها. ألا وإنَّه من لم ينفعْهُ الحقُّ يضرُّهُ الباطل، ومن لا يستقمْ به الهدىٰ يجرْ به(2).

ألا وإنَّكم قد أُمرتُم بالظَّعن(3)، ودُلِلتُمْ علىٰ الزَّاد، وإنَّ أخوفَ ما أخافُ عليكم اتِّباعُ الهوىٰ وطولُ الأمل، فانظرْ ـ أعانكَ الله علىٰ اتِّباعِ رشدِكَ ـ هؤلاء القومِ الذين كانوا في العمَىٰ منغمسين، ولدينِ الجاهليةِ متَّبعين، كيف بصَّرهم الله سبحانهُ فأبصروا، ولمَّا عرفوا الحقَّ إيَّاهُ اتَّبعُوا، وتركوا ما نشؤوا عليه وألِفوا، وشاهَدوا الرَّسولَ وأعلامَ صدقهِ [31/أ] فاهتدَوا، فزادهم الله بصيرةً إلىٰ بصائرهم، وهُدًىٰ إلىٰ هُداهم، قالَ سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: 17]. فهم أعلامُ الدِّين، وأئمَّةُ المتَّقين، قالَ سبحانه: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: 18](4).

(1) المضمار: ميدان السباق.

(2) هكذا. وفي المجالسة: من لم يستقم به الهدىٰ جار به الضلال. وفي البداية: من لا يستقم علىٰ الهدىٰ يجر به الضلال.

(3) الظعن: الارتحال.

(4) المجالسة وجواهر العلم (1293) وذكر محققه أن إسناده ضعيف، تاريخ دمشق 42/497، =

فَصْلٌ
فيما أخبر به ﷺ من فضائلهم



ممَّا رواهُ البخاريُّ في صحيحه: حدَّثنا أبو عبدالله الحسين بن محمَّد بن الحسن قال: حدَّثنا أبو علي إسماعيل بن محمَّد بن حاجب الكشاني، عن الفربري، عن أبي عبدالله محمَّد بن إسماعيل البخاري قال: حدَّثني عبدالله بن محمَّد قال: حدَّثنا أبو عامر، حدَّثنا فليح قال: حدَّثني سالم أبو النضر، عن بسر بن سعيد[1]، عن أبي سعيد الخدري قال:

خطبَ رسولُ الله ﷺ النَّاسَ وقال: «**إنَّ الله ﷻ خيَّر عبداً بين الدُّنيا وبين ما عنده، فاختارَ ذلك العبدُ ما عندَ الله**».

قال: فبكىٰ أبو بكر، فعجبنا لبكائه، أن يخبرَ رسولُ الله ﷺ عن عبدٍ خُيِّر، فكان رسولُ الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمَنا. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**مِن أمنِّ النَّاسِ عليَّ في صحبتِهِ ومالِهِ أبو بكر، ولو كنتُ متَّخذاً خليلاً غيرَ ربِّي لاتَّخذتُ أبا بكر، ولكنْ أخوَّةُ الإسلامِ ومودَّته. لا يبقينَّ في المسجدِ بابٌ إلَّا سُدَّ، إلَّا بابَ أبي بكر**»[2] [٣١/ب].

وفي لفظٍ رواهُ ابنُ عباسٍ أنَّه قال: «**ولكنْ أخي وصاحبي**»[3].

= البداية والنهاية ٦٤٢/١٠، عيون الأخبار ٢٥٦/٢، البيان والتبيين ٣٥/٢.

(١) في الأصل: حدثني شبل أبو الفضل بنُ بشر بن سعيد. وتصحيحه من الصحيح.

(٢) صحيح البخاري (٤٦٦، ٣٦٥٤). ولفظه من الموضع الثاني.

(٣) صحيح البخاري (٣٦٥٦).

حدَّثنا الحسين بنُ محمَّد بنِ الحسن قال: حدَّثنا الكشاني قال: حدَّثنا الفربري قال: حدَّثنا البخاريُّ قال: حدَّثنا الحميديُّ، ومحمَّد بن عبيدالله قال: حدَّثنا إبراهيم بنُ سعد، عن أبيه، عن محمَّد بنِ جبير بنِ مُطعم، عن أبيه قال:

أتتِ امرأةٌ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، فأمرها أن ترجعَ إليه، فقالت: أرأيتَ إن جئتُ ولم أجدك؟ كأنَّها تقول: الموت، قال: «**إن لم تجديني فأتي أبا بكر**»[1].

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني قال: حدَّثنا الفربري قال: حدَّثنا البخاريُّ قال: حدَّثنا هشام بن عمّار، حدَّثنا صدقة بنُ خالد قال: حدَّثنا زيد بن واقد، [عن بسر بن عبيدالله][2]، عن عائذ الله أبي إدريس[3]، عن أبي الدرداء قال:

كنتُ جالساً عند النَّبيِّ ﷺ، إذ جاءَ أبو بكر آخذًا[4] بطرفِ ثوبهِ حتَّىٰ أبدَىٰ ركبتيه[5]، فقال: إنِّي كان بيني وبين ابنِ الخطَّابِ [شيءٌ][6]، فأسرعتُ إليه، ثمَّ ندمت، فسألتهُ أن يغفرَ لي، فأبَىٰ عليَّ، فأقبلتُ إليك. فقال: «**يغفرُ اللهُ لكَ يا أبا بكر**». ثمَّ إنَّ عمرَ ندم، فأتَىٰ منزلَ أبي بكر، فسأل: أثمَّ أبو بكر؟ قالوا: لا، فأتَىٰ النَّبيَّ ﷺ، فجعلَ وجهُ النَّبيِّ ﷺ يتمعَّر[7]، حتَّىٰ أشفقَ أبو

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٥٩).

(٢) استدراك من الصحيح.

(٣) في الأصل: عائذ أبي إدريس. والمثبت من الصحيح.

(٤) في الأصل: اخذ.

(٥) في الصحيح: عن ركبتيه.

(٦) ما بين المعقوفتين من الصحيح. والعبارة فيه هكذا: «... حتىٰ أبدىٰ عن ركبته، فقال النبي ﷺ: «أما صاحبكم فقد غامر». فسلَّم، وقال: إني كان بيني...».

(٧) يتمعر: يتغير.

بكر، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسولَ الله، أنا كنتُ أظلم. مرتين. فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ الله بعثني إليكم فقلتم: كذبتَ، وقالَ أبو بكر: صدقتَ، وواساني بنفسهِ وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي**»؟ مرتين. فما أوذيَ [٣٢/أ] بعد هذه[١].

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشانيُّ قال: حدَّثنا الفربريُّ قال: حدَّثنا البخاريُّ قال: حدَّثنا معلَّى[٢] بنُ أسد قال: حدَّثنا عبدالعزيز بنُ المختار، حدَّثنا خالد الحذَّاء، عن أبي عثمان قال:

أخبرني عمرو بن العاص قال: قلتُ لرسولِ الله ﷺ:

أيُّ النَّاس أحبُّ إليك؟ قال: «**عائشة**»، قلت: من الرِّجال؟ قال: «**أبوها**»، قلت: ثمَّ من؟ قال: «**عمر بن الخطَّاب**»، فعدَّ رجالاً[٣].

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني قال: حدَّثنا الفربري قال: حدَّثنا البخاري، حدَّثنا عبدان، أخبرنا عبدالله، عن يونس، عن الزهريِّ قال: أخبرني ابنُ المسيِّب، سمعَ أبا هريرةَ يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

«**بينا[٤] أنا نائم، رأيتُني على قَليبٍ عليها دَلْو، فنَزعتُ منها ما شاءَ الله، ثمَّ أخذَها ابنُ أبي قحافة، فنزعَ بها[٥] ذَنوباً أو ذَنوبين، وفي نَزعهِ ضَعف،**

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٦١). وفيه: وقال أبو بكر: صدق.

(٢) في الأصل: يعلى. والمثبت من الصحيح.

(٣) صحيح البخاري (٣٦٦٢).

(٤) في الأصل «بينما». والمثبت من الصحيحين.

(٥) في الأصل «منها». وتصحيحه من الصحيحين. والمقصود الدلو، وهي مؤنثة، وقد تذكّر.

والله يَغفرُ له ضَعفه. ثمَّ استحالتْ غَرْباً، فأخذها ابنُ الخطَّاب، فلم أرَ عبقريًّا يَنزِعُ نَزْعَ عمر، حتَّىٰ ضربَ النَّاسُ بعطَن»[1].

العطن: موضعُ بروكِ الإبلِ إذا رَويت، كأنَّهُ سقاها حتَّىٰ رَويت[2].

والعبقري[3]. وهذا الضعفُ ليس بعائدٍ إلىٰ نظرهِ رضوانُ الله عليه؛ فإنَّه كان أقواهم في مجاهدةِ المرتدِّين وإقامةِ الدِّين، وإنَّما يرجعُ إلىٰ نقصانِ المسلمين، وما نقصَ وضعفَ من شوكتِهم بارتدادِ من ارتدَّ منهم، ومَن منعَ الزَّكاة، [٣٢/ب] حتَّىٰ قويَ الإسلام، واستقامَ العوجُ أيَّامَه. ألا ترىٰ أنَّ في الخبر: «ثمَّ استحالتْ غرباً، فأخذها عمرُ» رضوانُ الله عليه؟ وقد قويَ المسلمون[4]، فاشتغلَ بقتالِ الفرس، وأزالَ ملكهم، وفتحَ الأمصارَ والبلاد.

وقولهُ ﷺ: «**يغفرُ اللهُ لأبي بكرٍ ضَعفه**»: يحتملُ الغفرانُ السترَ عليه والإعانةَ له، والغفرانُ هو التغطية. وقد رُويَ عن عمر بنِ عبدالعزيز رحمةُ الله عليه أنَّه قال: ما لله سترٌ كسترهِ علىٰ أبي بكرٍ رضوانُ الله عليه؛ فإنَّه قامَ بعدَ النَّبيِّ ﷺ وانقطاعِ الوحي، فلم يفرِّقِ النَّاسُ بين زمانهِ وزمانِ رسولِ الله ﷺ.

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني قال: حدَّثنا الفربري قال: حدَّثنا

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٦٤). وهو عند مسلم أيضًا (٢٣٩٢).
والقليب: البئر المقلوب ترابها قبل الطي. والنزع: إخراج الماء للاستسقاء. والذَّنوب: الدلو الممتلئة. والغرب: الدلو العظيمة المتخذة من جلود البقر. (شرح المفردات مستفاد من فتح الباري ٤١٣/١٢).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: «ضرب الناس بعطن» أي: استقر أمرهم. وأصله من إقامة الإبل بمكانها بعد الشرب. فتح الباري ١٤٧/١.

(٣) هكذا توقف، ونسي أن يبين معناه. وهو السيد، وكل شيء عظيم في نفسه.

(٤) في الأصل: المسلمين.

البخاري، عن محمَّد بن كثير قال: حدَّثنا سفيان، حدَّثنا جامع بنُ أبي راشد قال: حدَّثنا أبو يعلىٰ، عن محمَّد بن الحنفية[1] قال:

قلتُ لأبي: أيُّ النَّاسِ خيرٌ بعد رسولِ الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثمَّ من؟ قال: ثمَّ عمر. وخشيتُ أن يقول: ثمَّ عثمان، قلت: ثمَّ أنت. قال: ما أنا إلَّا رجلٌ من المسلمين[2].

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني قال: حدَّثنا الفربري قال: حدَّثنا البخاريُّ قال: [حدَّثنا محمد بن مسكين أبو الحسن، حدَّثنا يحيىٰ بن حسّان، حدَّثنا سليمان، عن شريك بن أبي نمر][3]، عن سعيد بن المسيِّب [٣٣/أ] قال:

أخبرني أبو موسىٰ الأشعريُّ أنَّه توضَّأ في بيته، ثمَّ خرج، فقلت: لآتينَّ رسولَ الله ﷺ، ولأكوننَّ معه يومي هذا.

قال: فجاءَ المسجد، فسألَ عن النَّبيِّ ﷺ، قالوا: خرج. فخرجتُ علىٰ إثرِه أسألُ عنه، حتَّىٰ دخلَ بئرَ أَرِيس[4]، فجلستُ عند الباب، وبابُها من جريد[5]، حتَّىٰ قضىٰ رسولُ الله ﷺ حاجتَهُ وتوضَّأ، فقمتُ إليه، فإذا هو

---

(١) أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب، أمه الحنفية خولة بنت جعفر. ويقال: بل كانت من سبي اليمامة، وصارت إلىٰ علي ﷺ. وقيل غير ذلك. كان كثير العلم والورع، قوي الجسم، وله في ذلك أخبار عجيبة.. وفيات الأعيان (١٦٩/٤).

(٢) صحيح البخاري (٣٦٧١).

(٣) ما بين المعقوفتين من صحيح البخاري، وهو في الأصل هكذا: «حدَّثنا محمَّد بنُ بكير أبو الحسن قال: حدَّثنا بحر بنُ حسان قال: حدَّثنا سليمان، عن شريك».

(٤) بئر معروفة قريبة من مسجد قباء بالمدينة. النهاية في غريب الحديث.

(٥) جريد النخيل: غصنه المجرد من الورق.

جالسٌ على بئرِ أريس، وتوسَّطَ قُفَّها[1]، وكشفَ عن ساقيهِ ودلَّاهما في البئر، فسلَّمتُ عليه ثمَّ انصرفت، فجلستُ عند الباب، فقلت: لأكونَنَّ بوَّابَ رسولِ الله ﷺ اليوم.

فجاءَ أبو بكر، فدفعَ الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر، فقلت: على رِسلك. ثمَّ ذهبتُ فقلت: يا رسولَ الله! هذا أبو بكرٍ يستأذن، فقال: «**ائذنْ له وبشِّرهُ بالجنَّة**». فأقبلتُ حتَّى قلتُ لأبي بكر: ادخل، ورسولُ الله ﷺ يبشِّرُكَ بالجنَّة. فدخلَ أبو بكر، فجلسَ عن يمينِ رسولِ الله ﷺ معه في القُفِّ[2]، ودلَّى رجليهِ في البئرِ كما صنعَ رسولُ الله ﷺ، وكشفَ عن ساقيه.

ثمَّ رجعت، فجلست، وقد تركتُ أخي يتوضَّأُ ويلحقني، فقلت: إن يردِ الله بفلانٍ خيراً يأتِ ـ يريدُ أخاه ـ فإذا إنسانٌ يحرِّكُ الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عمر بنُ الخطَّاب، فقلت: على رسلك. ثمَّ جئتُ إلى رسولِ الله ﷺ [٣٣/ب]، فسلَّمتُ عليه، فقلت: هذا عمرُ يستأذن، فقال: «**ائذنْ له وبشِّرهُ بالجنَّة**»، فجئتُ فقلت: ادخل، وبشَّرَكَ رسولُ الله ﷺ بالجنَّة. فجلسَ مع رسولِ الله ﷺ في القُفِّ عن يساره، ودلَّى رجليهِ في البئر.

ثمَّ رجعتُ فجلست، فجاءَ إنسانٌ يحرِّكُ الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بنُ عفَّان، فقلت: على رسلك. وجئتُ إلى رسولِ الله ﷺ فأخبرته، فقال: «**ائذنْ له وبشِّرهُ بالجنَّةِ على بَلوى تُصيبه**». فجئت، فقلتُ له: ادخل، وبشَّرَكَ رسولُ الله ﷺ بالجنةِ على بلوى تُصيبك. فدخل، فوجدَ القُفَّ قد

---

(١) قف البئر: الدكة التي تجعل حولها.

(٢) في الأصل: من القف. والمثبت من الصحيح.

امتلأ، فجلسَ تجاهَهُ[1] من الشقِّ الآخر.

قالَ شريك: قالَ سعيد بنُ المسيِّب: فأوَّلتُها قبورَهم[2].

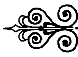
حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني قال: حدَّثنا الفربري قال: حدَّثنا البخاري، عن محمَّد بن بشّار[3] قال: حدَّثنا يحيىٰ، عن سعيد[4]، عن قتادة، أنَّ أنس بنَ مالكٍ حدَّثهم:

أنَّ النَّبيَّ ﷺ صعدَ أُحداً، ومعه أبو بكر وعمرُ وعثمان، فرجفَ بهم، فقال: «**اثبتْ أُحد، فإنَّما عليك نبيٌّ وصدِّيق وشهيدان**»[5].

ويكفي أبا بكر رضوانُ الله عليه **ثلاثُ فضائل**[6]:

إحداها: قولهُ تعالىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. ولا خلافَ [٣٤/أ] بين الأمَّةِ أنَّ الذي كان معه في الغارِ أبو بكر، يتَّفقُ علىٰ ذلك المخالفون والموافقون، بل النقلُ بذلك يوجبُ العلمَ ويقطعُ العذر، فقد أثبتَ الله تعالىٰ أنَّه نصرَهُ وليس معه من يَنصرهُ إلَّا واحد، وجعلَهُ ثانيَهُ في أمره، وهذا شرفٌ له، ومنزلةٌ لم يدانهِ[7] فيها أحد.

(١) في الصحيح: فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه.
(٢) صحيح البخاري (٣٦٧٤).
(٣) في الأصل: محمد بن يسار.
(٤) في الأصل: شعبة.
(٥) صحيح البخاري (٣٦٧٥).
(٦) بياض بمقدار كلمتين. وورد في الأصل: «ثلاثة فضائل أحدها». ولم ينص علىٰ (الثالثة) وإن ذكر محتواها، وتأتي.
(٧) في الأصل: يدانيه.




والثانية[1]: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قدَّمَهُ في مرضه، فصلَّىٰ في مكانهِ بأصحابهِ استخلافاً له في الصَّلاة، وتنبيهاً علىٰ غيرها. وهذا من الأخبارِ التي لم يُختلَفْ فيها. ولهذا لمَّا قالتْ له عائشةُ وحفصة: إنَّ أبا بكرٍ رجلٌ أسيفٌ لا يستطيعُ أن يقومَ في مقامك، فقال: «**إنَّكنَّ لصويحباتُ يوسف، يأبَىٰ اللهُ والمسلمون إلَّا أبا بكر**»[2].

❁ **فإن قالَ قائل**: فقد تقدَّمَ في زمانِ النَّبيِّ ﷺ عبدالرَّحمن بنُ عوف وغيره، وخلَّفوا رسولَ الله ﷺ في الصلاة[3].

❁ **والجواب**: أنَّ المسلمين قدَّموهم لمَّا غابَ رسولُ الله ﷺ، ورسولُ الله ﷺ قدَّمَ أبا بكر، ولمَّا وجدَ رسولُ الله ﷺ خِفَّةً[4] خرجَ وصلَّىٰ بأبي بكر والنَّاس[5]، ولم يصلِّ معه كما صلَّىٰ مع عبدالرَّحمن لمَّا أدركَهُ في الصَّلاة؛ لأنَّ تقديمَهُ أبا بكرٍ كان استخلافاً منه، وذلك لا يجوزُ مع حضورهِ ﷺ، ولهذا

(١) في الأصل: والثاني.

(٢) رواه بهذا اللفظ أحمد في فضائل الصحابة (١٤٠)، وأبو حنيفة في مسنده برواية الحصكفي (٤٩)، وذكر الحافظ العراقي أن أبا داود رواه مختصرًا، وأن إسناده جيد. تخريج أحاديث الإحياء ط، دار ابن حزم ١/١٨٥٢. وبلفظ «صواحبات» رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٥/١٨١)، وابن حبان في صحيحه (٨٥٨)، وابن خزيمة كذلك (١٦١٦) وذكر الشيخ الأعظمي أن إسناده صحيح.

(٣) صلاة الرسول ﷺ خلف عبدالرحمن بن عوف كان في غزوة تبوك، وقد رواه مسلم في صحيحه (٢٧٤) وغيره.

(٤) في الأصل «خفا». وخَفًّا وخِفَّةً مصدران لخفَّ. ولكن لم أره باللفظ الأول. ويعني النشاط من المرض.

(٥) الحديث في صحيح ابن حبان (٢١١٨)، ومسند أحمد ٣/٣٣٥ وذكر الشيخ أحمد شاكر أن إسناده صحيح، وسنن ابن ماجه، وصححه له في صحيحها (١٠٢٧).

لمَّا قدَّموا عمرَ قال: يأبىٰ الله والمسلمون إلَّا أبا بكر.

و[**الثالثة**][1]: الإخوانُ الصحابةُ[2] الذين [٣٤/ب] قالَ الله تعالىٰ فيهم: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٨ ـ ٩].

وقد قالَ الله تعالىٰ فيهم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقد أثنىٰ الله عليهم في غيرِ موضع.

هؤلاءِ رَضُوا بأن يَخلُفَ أبو بكرٍ رسولَ الله ﷺ، وبايعوه، وأطاعوه، ولم يختلفوا عليه، وليس بأعلاهم نسباً، ولا أكثرهم مالاً، ولا أكثرهم عشيرة.

وقد حُكيَ عن أبي قُحافة أنَّه لمَّا بلغَهُ أنَّ أبا بكرٍ خلفَ رسولَ الله ﷺ قال: أَوَرضيتْ بنو هاشمٍ بذلك؟ فقالوا: نعم، فقال: هذا أمرٌ من السماء.

وتلا ذلكَ أنَّهم أجمعوا علىٰ دفنهِ مع رسولِ الله ﷺ في قبرٍ واحد[3]،

(١) إضافة من قبل المحقق، لتكملة ترقيم الفضائل الثلاث لأبي بكر رضي الله عنه.
(٢) يعني المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار منهم.
(٣) دُفن عمر في بيت النبي ﷺ، وجُعل رأس أبي بكر عند كتفي النبي، وجُعل رأس عمر عند حقوي النبي ﷺ. الطبقات الكبرىٰ ٣/٣٦٨ (ط. دار صادر).

وهذا يبيِّنُ لكَ رأيَهم فيه[1]، ورضاهم عنه.

وأيضاً فحدَّثنا الحسين، عن الكشاني، عن الفربري، عن البخاري، حدَّثنا سعيد بن أبي مريم قال: حدَّثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني سعيد بن [٣٥/أ] المسيِّب، عن أبي هريرة قال:

بينا نحن عند رسولِ الله ﷺ إذ قال: «**بينا أنا نائم، رأيتُني في الجنَّة، فإذا امرأةٌ تتوضَّأُ إلىٰ جانبِ قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر. فذكرتُ غَيْرتَهُ، فولَّيتُ مُدبِراً**». فبكىٰ عمرُ ﷺ، وقال: أعليكَ أغارُ يا رسولَ الله؟![2].

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني قال: حدَّثنا الفربري قال: حدَّثنا البخاريُّ قال: حدَّثنا محمَّد بن الصَّلتُ أبو جعفر[3] الكوفيُّ قال: حدَّثنا ابنُ المبارك، عن يونس، عن الزهريِّ قال: أخبرني حمزة، عن أبيه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال:

«**بينا أنا نائم، شربتُ اللبنَ حتَّىٰ أنظرُ إلىٰ الرِّيِّ يجري في أظفاري، ثمَّ ناولتُ عمر**». قالوا: فما أوَّلت؟ قال: «**العلم**»[4].

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني، عن الفربري، عن البخاري،

(١) في الأصل «ايهم فيه». والمثبت من قبل المحقق.

(٢) صحيح البخاري (٣٢٤٢، ٥٢٢٧، ٧٠٢٣، ٧٠٢٥). ولم ترد في المخطوط كلمة «تتوضأ». وفيه «فقالت» بدل «فقالوا». وإثباتهما من الصحيح في المواضع كلها.

(٣) في الأصل «أبو حفص». والمثبت من الصحيح.

(٤) صحيح البخاري (٨٢، ٣٦٨١، ٧٠٠٦، ٧٠٠٧، ٧٠٢٧، ٧٠٣٢) ولفظه من الموضع الثاني.

حدَّثنا عبدان قال: أخبرنا عبد الله قال: حدَّثنا عمر بنُ سعيد، عن ابن أبي مليكة، سمعَ ابنَ عباس يقول:

وُضِعَ عمرُ رضي الله عنه على سريره، فتكنَّفَهُ النَّاسُ(١) يدعون ويصلُّون قبلَ أن يُرفع، وأنا فيهم، فلم يَرُعْني إلَّا رجلٌ آخذٌ بمنكبي، فإذا عليٌّ رضي الله عنه، فترحَّمَ على عمرَ رضي الله عنه، وقال: ما خلَّفتَ أحداً أحبَّ إليَّ أن ألقى الله بمثلِ عملهِ منك، وايمُ الله إنْ كنتُ لأظنُّ أن يجعلكَ الله مع صاحبيك، وحَسِبتُ أنِّي كنتُ كثيراً أسمعُ النَّبيَّ صلَّى الله عليه [٣٥/ب] وسلَّمَ يقول: «**ذهبتُ أنا وأبو بكر وعمر، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجتُ أنا وأبو بكر وعمر**»(٢).

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني، عن الفربري، عن البخاريِّ قال: حدَّثنا محمَّد بن حاتم بن بزيع قال: حدَّثنا شاذان قال: حدَّثنا عبدالعزيز بن أبي سلمة(٣) الماجشون، عن عبيدالله، عن نافع، عن ابن عمر قال:

كنَّا في زمنِ رسولِ الله ﷺ لا نَعدِلُ بأبي بكرٍ أحداً، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ نتركُ أصحابَ رسولِ الله ﷺ، لا نفاضلُ بينهم(٤).

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني قال: حدَّثنا الفربري قال: حدَّثنا البخاريُّ قال: حدَّثنا موسى بن إسماعيل قال: حدَّثنا أبو عوانة قال: حدَّثنا عثمان ـ هو ابنُ موهب ـ قال:

---

(١) أي: أحاطوا به. وورد في الأصل: فمكث الناس!
(٢) صحيح البخاري (٣٦٨٥). ورواه مسلم أيضًا (٢٣٨٩).
(٣) في الأصل: بن أبي مسلم.
(٤) صحيح البخاري (٣٦٩٧).

جاءَ رجلٌ من أهلِ مصرَ حجَّ البيت ، فرأىٰ قوماً جلوساً ، فقال: مَن هؤلاء القوم؟ فقالوا: قريش ، قال: من الشيخُ فيهم؟ قالوا: عبدالله بن عمر ، قال: يا ابنَ عمر! إنِّي سائلُكَ عن شيءٍ فحدِّثني ، هل تعلمُ أنَّ عثمانَ فرَّ يومَ أُحد؟ قال: نعم ، قال: تعلمُ أنَّه تغيَّبَ عن بدرٍ فلم يشهد؟ قال: نعم ، قال: تعلمُ أنَّه تغيَّبَ عن بَيعةِ الرضوانِ [فلم يشهَدْها][1]؟ قال: نعم ، قال: الله أكبر.

قالَ ابنُ عمر: تعالَ أبيِّنْ لك. أمَّا فرارهُ يومَ أُحدٍ فأَشهَدُ أنَّ الله تعالىٰ عفا عنه وغفرَ له.

وأمَّا تغيُّبُهُ عن بدر ، فإنَّه كانت تحتَهُ بنتُ رسولِ الله ﷺ ، وكانت مريضة ، فقالَ له النَّبيُّ [٣٦/أ] ﷺ: «**إنَّ لكَ أجرَ رجلٍ ممَّن شهدَ بدراً وسهمَه**».

وأمَّا تغيُّبُهُ عن بيعةِ الرضوان ، فلو كان أحدٌ أعزَّ ببطنِ مكةَ من عثمانَ لبعثَهُ مكانه ، فبعثَ رسولُ الله ﷺ عثمان ، وكانت بيعةُ الرضوانِ بعدما ذهبَ عثمانُ إلىٰ مكة ، فقالَ رسولُ الله ﷺ بيدِهِ اليمنىٰ: «**هذه يدُ عثمان**» ، فضربَ بها علىٰ يده ، وقال: «**هذه لعثمان**». فقالَ له ابنُ عمر: اذهبْ بها الآنَ معك[2].

وهذا ـ عافاكَ الله ـ من النَّبيِّ ﷺ ثقةً بعثمان ، وعِلماً بدينهِ ويقينه.

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني قال: حدَّثنا الفربري قال: حدَّثنا البخاريُّ قال: حدَّثنا قتيبة ، حدَّثنا عبدالعزيز ، عن ابن أبي حازم[3] ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال:

---

(١) ما بين المعقوفتين من صحيح البخاري.
(٢) صحيح البخاري (٣٦٩٨).
(٣) في الأصل: عن عبدالعزيز بن أبي حازم.

«**لأعطينَّ الرايةَ [غدًا] رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَهُ ـ أو قال: يحبُّهُ اللهُ ورسولهُ ـ يفتحُ الله علىٰ يديه**». قال: فباتَ النَّاسُ [يدوكون][1] ليلتَهم أيُّهم يُعطاها. فلمَّا أصبحَ النَّاسُ غدَوا علىٰ رسولِ الله ﷺ، كلُّهم يرجو أن يُعطاها، فقال: «**أين عليُّ بنُ أبي طالب**»؟ قالوا: يشتكي يا رسولَ الله عينيه، قال: «**فأرسِلوا إليه فائتوني به**». فلمَّا جاءَ بصقَ في عينيهِ ودعا، فبرأ، حتَّىٰ كأنْ لم يكنْ به وجع. فأعطاهُ الراية، فقالَ عليٌّ رضي الله عنه: يا رسولَ الله! أقاتلُهم حتَّىٰ يكونوا مثلنا؟ فقال: «**انفُذْ علىٰ رِسْلِكَ حتَّىٰ تَنزلَ بساحتِهم، ثمَّ ادعُهم إلىٰ الإسلام،** [٣٦/ب] **وأخبرهم بما يجبُ عليهم من حقِّ الله تعالىٰ فيه، فوالله لأن يَهديَ الله بكَ رجلاً واحداً خيرٌ لكَ من أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم**»[2].

حدَّثنا الحسين، حدَّثنا الكشاني، حدَّثنا الفربري قال: حدَّثنا البخاريُّ قال: حدَّثني محمَّد بن بشّار قال: حدَّثنا غُندر قال: حدَّثنا شعبة، عن سعد قال: سمعتُ إبراهيم بنَ سعد، عن أبيه، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ لعليٍّ رضي الله عنه:

«**أما ترضَىٰ أن تكونَ منِّي بمنزلةِ هارونَ من موسىٰ**»؟![3].

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني قال: حدَّثنا الفربري قال: حدَّثنا البخاريُّ قال: حدَّثنا أبو اليمان قال: حدَّثنا شعيب، عن الزهريِّ قال: حدَّثني عروة بنُ الزبير، عن عائشة:

---

(١) إضافة من الصحيح. ومعناها: يخوضون ويموجون فيمن يدفعها إليه. (النهاية في غريب الحديث).

(٢) صحيح البخاري (٣٧٠١، ٣٧٠٢) أدمج فيه المؤلف بين طريقين في الحديث. ولم ترد كلمة (غدًا) في الأصل، كما ورد فيه (عينه) في الموضعين. والمثبت من الصحيح.

(٣) صحيح البخاري (٣٧٠٦).

أنَّ فاطمةَ أرسلتْ إلىٰ أبي بكرٍ تسألهُ ميراثَها من النَّبيِّ ﷺ، ممَّا أفاءَ الله علىٰ رسوله، وتطلبُ صدقةَ النَّبيِّ ﷺ التي بالمدينة، وفدَك، وما بقيَ من خُمسِ حُنين.

قالَ أبو بكر: إنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لا نُورَث، ما تركنا**[1] **صدقة، إنَّما يأكلُ آلُ محمَّدٍ من هذا المال**» ـ يعني مالَ الله ـ ليس لهم أن يزيدوا علىٰ المأكل[2]. وإنِّي والله لا أغيِّرُ شيئاً من صدقاتِ النَّبيِّ ﷺ التي كانت عليها في عهدِ النَّبيِّ ﷺ، ولأعملنَّ فيها بما عملَ فيها رسولُ الله ﷺ.

فتشهَّدَ[3] عليٌّ عليه السلام، ثمَّ قال: إنَّا قد عرفنا يا أبا بكر [٣٧/أ] فضيلتك. وذكرَ قرابتَهم من رسولِ الله ﷺ وحقَّهم.

وتكلَّمَ أبو بكرٍ فقال: والذي نفسي بيده، لقرابةُ رسولِ الله ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصلَ من قرابتي[4].

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني قال: حدَّثنا الفربري قال: حدَّثنا البخاريُّ قال: أخبرني عبدالله بن عبدالوهاب قال: حدَّثنا خالد، حدَّثنا شعيب، عن واقد[5] قال: سمعتُ أبي يحدِّث عن ابنِ عمر، عن أبي بكر قال:

ارقُبوا محمَّداً في أهلِ بيته[6].

(١) في الأصل: ما تركناه.
(٢) في الأصل: الأكل.
(٣) في الأصل: وشهد.
(٤) صحيح البخاري (٣٧١١، ٣٧١٢). والتصحيحات والمستدركات منه.
(٥) في الأصل: أبي واقد.
(٦) صحيح البخاري (٣٧١٣)

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني قال: حدَّثنا الفربري، عن البخاري، عن أبي الوليد، عن ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابنِ أبي مليكة، عن المِسْوَر بن مَخرَمة، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال:

«فاطمةُ بضعةٌ منِّي، فمن أغضبَها أغضبني»(١).

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني قال: حدَّثنا الفربري، حدَّثنا البخاري، حدَّثنا يحيىٰ بن بكير، حدَّثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب قال: حدَّثنا أبو سلمة، أنَّ عائشة قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ يوماً:

«يا عائشة، هذا جبريلُ يُقرئكِ السَّلام»، فقلت: وعليه السلام ورحمةُ الله وبركاته. يَرىٰ ما لا أرىٰ. تريدُ رسولَ الله ﷺ(٢).

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني، عن الفربري، عن البخاريِّ قال: حدَّثنا عمرو، عن شعبة، عن عمرو بن مرَّة(٣)، عن أبي موسىٰ الأشعريِّ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ:

«كَمُلَ من [٣٧/ب] **الرِّجالِ كثير، ولم يَكملْ من النِّساء إلَّا مريمُ بنتُ عِمران، وآسيةُ امرأةُ فرعون، وفضلُ عائشةَ علىٰ النِّساءِ كفضلِ الثَّريدِ علىٰ سائرِ الطَّعام»**(٤).

---

(١) صحيح البخاري (٣٧١٤، ٣٧٦٧). وورد في الأصل «من أغضبها» بدون فاء.

(٢) صحيح البخاري (٣٧٦٨، ٦٢٠١). وفي الموضعين ورد «يا عائش». وبطريقين أخريين ورد «يا عائشة، هذا جبريل يقرأ عليك السلام». صحيح البخاري (٣٢١٧، ٦٢٤٩).

(٣) هكذا ورد سند البخاري في المخطوط، وهو في الصحيح: حدثنا آدم، حدثنا شعبة قال. وحدثنا عمرو، أخبرنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن مرة...

(٤) صحيح البخاري (٣٤٣٣، ٣٧٦٩).




ولو ذهبتُ في هذا الكتابِ إلىٰ ذكرِ فضائلِ جميعِ الصحابةِ علىٰ التفضيل، لكان ذلك عدلاً عن المقصودِ بالكتاب، وإنَّما اقتصرتُ علىٰ ما ذكرته، كما اقتصرتُ علىٰ ذكرِ بعضِ معجزاتِ النَّبيِّ ﷺ، وقد ذكرتُ ما أثنىٰ الله تعالىٰ به علىٰ الصحابةِ جميعِهم، وقد قالَ ﷺ: «**خيرُكم القرنُ الذي أنا فيه، ثمَّ الذين يلونُهم**»[1].

وقد نطقَ القرآنُ بفضلِ هذه الأمَّةِ جميعِها، بقولهِ تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقد قيلَ في قولهِ ﴿كُنتُمْ﴾: إنَّ هذه (كان) التَّامَّة، بمعنىٰ: وُجِدتُم خيرَ أمَّة.

وقيل: معنىٰ ذلك أنَّ هذه الأمَّةَ تقدَّمتِ البشارةُ بها، أي: كنتم مذكورين[2] بذلك.

وقيل: معناه: أوَّلُكم، وأنتم كذلك[3].

وقد دلَّتِ الآيةُ علىٰ أنَّهم لا يجتمعون علىٰ الخطأ، وأنَّهم معصومون عن ذلك؛ لأنَّهم إذا كانوا يأمرون بالمعروفِ وينهَون عن المنكر، فلا يجوزُ أن

---

(١) يأتي بألفاظ متقاربة، ولفظه في الصحيحين: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم...». صحيح البخاري (٢٦٥٢)، صحيح مسلم (٢٥٣٥). وباللفظ الذي أروده المؤلف يأتي في كتب الشيعة خاصة.

(٢) في الأصل: مذكورون.

(٣) تنظر الأقوال في جامع البيان للطبري عند تفسير الآية.

يجتمعوا علىٰ المنكر[1].

وكذلك قولهُ تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

قولهُ تعالىٰ: ﴿وَسَطًا﴾ أي: عَدلاً، والعدلُ هو الوسط.

﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ قيلَ فيه: شهداءَ عليهم بأعمالهم. وقيل: بتبليغِ أنبيائهم إيَّاهم بخبرِ النَّبيِّ [٣٨/أ] ﷺ. وقيل: بإقامةِ الحجَّةِ عليهم.

وقيلَ في قولهِ تعالىٰ: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ بأعمالِكم. وقيل: شهيداً بصدقِكم فيما تشهدون به. وهذا تفضيلٌ لهذه الأمة، وفيه دلالةٌ أيضاً علىٰ عصمتِها[2].

❁ **فإن قالَ قائل**: فقد قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٠ ـ ١٤]، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ الأوَّلين خيرٌ من هذه الأمة؟

❁ **والجواب**: أنَّ الأولين فيهم العددُ الكثيرُ من الأنبياءِ صلواتُ الله عليهم، مع كثرةِ الأمم، فيكونُ السابقون من الأممِ أكثرَ منهم في هذه الأمة. ويحتملُ أيضاً: الأولون من هذه الأمةِ يكونُ السابقون منهم أكثرَ من الآخِرين[3].

---

(١) ذكره الجصاص في أحكام القرآن ٢/٣٢٢.

(٢) أحكام القرآن للجصاص ١/١٠٩.

(٣) ذكرهما الماوردي في النكت والعيون ٥/٤٤٩.

فَصْلٌ
في فضل علماء الأمَّة

وذلك أنَّ أفضلَ الأمَّةِ العلماء، فإنَّهم ورثةُ الأنبياء، قالَ الله سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]. فجعلهم شهداءَ على الخلق، بتوحيدِهِ تعالى وقسطه. كما شهدَ لنفسهِ شهدتْ له به الملائكة، وهذا من أشرفِ المنازلِ وأعلاها.

وكذلك قولهُ لنبيِّه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، فأمرَهُ أن يسألَ الزيادةَ في علمهِ ليزيدَ شرفهُ بذلك ودرجاتُه، وما يزيدُ به منزلةُ الأنبياءِ صلواتُ الله عليهم حقيقٌ أن يَشرُفَ به غيرُهم.

وقالَ سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩] [٣٨/ب]

وقالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

وروى أبو داود في سننهِ بإسنادهِ عن كثير بنِ قيس قال: كنتُ جالساً مع أبي الدرداء في مسجدِ دمشق، فجاءَ رجلٌ فقال: يا أبا الدرداء! إنِّي جئتُكَ من مدينةِ الرَّسولِ ﷺ لحديثٍ بلَغني أنَّك تحدِّثُهُ عن رسولِ الله ﷺ، ما جئتُ لحاجة، قال: فإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

«**من سلكَ طريقاً يطلبُ فيه علماً، سلكَ اللهُ به طريقاً من طرقِ الجنَّة،**

وإنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها رضاً لطالبِ العلم، وإنَّ العالِمَ ليَستغفرُ له مَن في السماواتِ ومَن في الأرض، والحيتانُ في جوفِ الماء، وإنَّ فضلَ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكب، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وإنَّ الأنبياءَ لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنَّما ورَّثوا العلم، فمن أخذَهُ أخذَ بحظٍّ وافر»[(١)].

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني قال: حدَّثنا الفربري قال: حدَّثنا البخاريُّ قال: حدَّثنا سعيد [بن عفير] قال: حدَّثنا ابنُ وهب، عن يونس، عن ابنِ شهاب قال: حدَّثني حميد بن عبدالرحمن قال: سمعتُ معاويةَ [خطيبًا] يقول: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقول:

«مَن يُرِدِ اللهُ به خيراً يفقِّهْهُ في الدِّين، وإنَّما أنا قاسِم، واللهُ يُعطي، ولن تزالَ هذه الأمَّةُ قائمةً على أمرِ الله، لا يَضرُّهم مَن خالفَهم حتَّى [٣٩/أ] يأتيَ أمرُ الله»[(٢)].

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني قال: حدَّثنا الفربري، حدَّثنا البخاري، حدَّثنا الحميدي، حدَّثنا سفيان، حدَّثنا إسماعيل بنُ أبي خالد قال: سمعتُ قيس بنَ أبي حازم قال: سمعتُ عبدالله بن مسعود قال: قالَ النَّبيُّ ﷺ:

«لا حسدَ إلَّا في اثنتين: رجلٌ آتاهُ الله ﷻ مالاً فسلَّطَهُ على هلَكتهِ في

---

(١) سنن أبي داود (٣٦٤١) وحسَّنه الشيخ شعيب بشواهده، قال: وهذا حديث ضعيف لضعف كثير بن قيس. كما أخرجه الترمذي (٢٦٨٢)، وابن حبان في صحيحه (٨٨). وصححه في صحيح الجامع (٦٢٩٧).

(٢) صحيح البخاري (٧١). وما بين المعقوفات منه. كما ورد في نص الحديث من المخطوط «ولا تزال»، وتصحيحه منه.




الحقّ، ورجلٌ آتاهُ الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلِّمها»[1].

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني، عن الفربري، حدَّثنا البخاري، حدَّثنا محمَّد بنُ العلاءِ قال: حدَّثنا حمَّاد بنُ أسامة، عن يزيد بنِ عبدالله، عن أبي بردة، عن أبي موسىٰ، عن النَّبيِّ ﷺ قال:

«مثَلُ ما بعثني الله به من الهُدَىٰ والعلم، كمثَلِ الغيثِ الكثيرِ أصابَ أرضاً، فكان منها نقيَّةٌ قَبلتِ الماء، فأنبتتِ الكلأَ والعشبَ الكثير، وكانت منها أجادبُ أمسكتِ الماء، فنفعَ الله بها النَّاس، فشربوا وسَقَوا وزَرعوا، وأصابَ طائفةً أخرىٰ، إنَّما هي قِيعانٌ لا تُمسِكُ ماءً، ولا تُنبِتُ كلأً، فذلك مثَلَ مَن فَقُهَ في دينِ الله ونفعَهُ الله به، فعَلِمَ وعلَّم، ومثَلُ مَن لم يَرفَعْ بذلك رأساً، ولم يَقبَلْ هُدَىٰ اللهِ الذي أُرسِلْتُ به»[2].

ورویٰ أبو داود في سننهِ بإسنادهِ عن زيد بن ثابت قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

«نضَّرَ الله امرأً سمعَ منَّا حديثاً فحفظَهُ حتَّىٰ يبلِّغه، فربَّ حاملِ [٣٩/ب] **فقهٍ إلىٰ مَن هو أفقهُ منه، وربَّ حاملِ فقهٍ ليسَ بفقيه»**[3].

رویٰ أبو داود بإسنادهِ عن أبي هريرة قال: قالَ رسولُ الله ﷺ:

---

(١) صحيح البخاري (٧٣). ومعنىٰ «سلطه علىٰ هلكته» أي: علىٰ إهلاكه، أي: إنفاقه في الحق. فتح الباري (١٣/١٢٠).

(٢) صحيح البخاري (٧٩). والأجادب جمع جدبة، وهي الأرض التي لا تنبت الكلأ. وقيعان: جمع قاع، وهو الأرض المستوية الملساء التي لا تنبت. فتح الباري ١/١٧٧.

(٣) سنن أبي داود (٣٦٦٠)، سنن الترمذي (٢٦٥٦) وحسَّنه. وصححه في صحيح الجامع (٦٧٦٣).




«من تعلَّمَ علماً ممَّا يُبتغَىٰ به وجهُ الله ﷻ ، لا يتعلَّمهُ إلَّا ليُصيبَ به عرَضاً من الدنيا ، لم يجدْ عَرْفَ الجنَّةِ يومَ القيامة». يعني ريحَها[1].

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني قال: حدَّثنا الفربري قال: حدَّثنا البخاري ، حدَّثنا عمران بنُ ميسرةَ قال: حدَّثنا عبدالوارث ، عن أبي التيّاح ، عن أنس قال: قالَ رسولُ الله ﷺ:

«إنَّ من أشراطِ الساعةِ أن يُرفَعَ العلم ، ويَثبُتَ الجهل ، ويُشرَبَ الخمر ، ويَظهَرَ الزنا»[2].

ويكفي ـ وفَّقكَ الله ـ في الحثِّ علىٰ التفقُّهِ وتعليمِ الفقهِ قولهُ تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]. فسمَّاهم منذِرين ، كما سمَّىٰ أنبياءَهُ صلواتُ الله عليهم منذِرين.

وقد قيل: إنَّ الطائفةَ هي المتفقِّهةُ النَّاذرةُ لقومِهم إذا رجعوا إليهم.

وقيل: إنَّ النافرةَ هي المجاهِدة ، والمتفقِّهةَ هي الباقيةُ؛ ليُنذِروا المجاهِدةَ إذا رجعتْ إليهم[3]. وهذا ندبٌ من الله سبحانهُ وترغيب.

وقد رَويتُ فيما تقدَّمَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ لعليٍّ عليه السلام: **«لأنْ يَهديَ الله**

---

(١) سنن أبي داود (٣٦٦٤)، وصححه له في صحيح سنن أبي داود. كما رواه ابن حبان في صحيحه (٧٨) وآخرون.

(٢) صحيح البخاري (٨٠)، صحيح مسلم (٢٦٧١). واللفظ للأول.

(٣) ينظر أحكام القرآن للجصاص ٣٧٢/٤.

رجلاً بهُداكَ خيرٌ لكَ من حُمْرِ النَّعَم»[1].

فإذا طَلَبَ بالتعلُّمِ وجهَ الله سبحانه[2]، ولزِمَ التقوىٰ والورع، كانت درجتهُ أقربَ الدرجِ إلىٰ الأنبياء، وإن دخلَ عليه في تعلُّمِهِ مع ذلك [٤٠/أ] محبَّةُ رئاسةٍ أو دنيا، فقد نقصتْ درجته، وإن لم يتعلَّمْهُ إلَّا للدنيا فقد أسقطَ ثوابه، وقد لحقَهُ الوعيدُ في الحديثِ المبدي، أنَّه لا يَرُوحُ رائحةَ الجنَّة[3]، فإن راجعَ ربَّه، وعلَّمَ وهدَىٰ، فقد استحقَّ المنزلةَ والثواب.

وقد حُكيَ عن سفيان الثوري[4] أنَّه قال: تعلَّمنا العلمَ لغيرِ الله، فأبىٰ أن يكونَ إلَّا لله[5].

---

(١) لفظ الذي رواه من قبل هو: «لأن يهديَ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لكَ من أن يكونَ لكَ حُمرُ النَّعم»، الذي رواه البخاري في صحيحه (٣٧٠١). وباللفظ الذي أورده المؤلف هنا رواه أبو داود في السنن (٣٦٦١) بعبارة «يُهدَىٰ بهداك رجل واحد»، وصححه له في صحيح سننه، كما رواه أبو يعلىٰ في المسند (٧٥٣٧) بعبارة «يَهدي الله بهداك رجلاً واحداً»، وذكر الأستاذ حسين أسد أن إسناده صحيح.

(٢) في الأصل: لوجه.

(٣) في سنن أبي داود (٣٦٦٤) من رواية أبي هريرة: «من تعلم علماً مما يبتغىٰ به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عَرف الجنة يوم القيامة» يعني ريحها. وصححه له في صحيح الجامع (٦١٥٨). كما صححه بألفاظ متقاربة للترمذي من رواية كعب بن مالك في المصدر المذكور (٥٩٣٠)، وصحيح ابن ماجه من رواية أبي هريرة (٢١١). وورد في الأصل: لا يرح رائحة الجنة.

(٤) سفيان بن سعيد الثوري الكوفي الفقيه، سيد أهل زمانه علماً وعملاً. قال ابن المبارك: كتبت عن ألف ومئة ما فيهم أفضل من سفيان الثوري. وقال شعبة ويحيىٰ بن معين وغيرهما: سفيان أمير المؤمنين في الحديث. وكان لا يحدِّث عن صاحب بدعة. توفي سنة ١٦١ هـ. العبر في خبر من غبر ١/١٨١.

(٥) أدب الدنيا والدين ص ٨٠، إحياء علوم الدين ٢/٢٣٧.

وقد حُكيَ أنَّ رجلاً جاءَ إلىٰ بعضِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ، فقال: إنِّي أحبُّ أن أتعلَّمَ العلم، وأخافُ ألَّا أعملَ به، فقالَ له: لأنْ تَوسَّدَ العلمَ خيرٌ من أن تَوسَّدَ الجهل.

وجاءَ إلىٰ آخرَ فقالَ له مثلَ مقالتهِ للأول، فقالَ له: إنَّ العالمَ يُحشَرُ يومَ القيامةِ عالماً، والجاهلَ يُحشَرُ جاهلاً.

وجاءَ إلىٰ آخرَ فقالَ له: إنِّي أحبُّ أن أتعلَّمَ العلمَ وأخافُ أن أضيِّعه، فقال: ما تجدُ ضياعاً له أكثرَ من تركه[1].

ورويَ عن أبي هريرة أنَّه قيلَ له: لو قيلَ لك: إنَّكَ تموتُ غداً، ما كنتَ تصنع؟ قال: كنتُ أتعلَّمُ العلم[2].

وقد حُكيَ عن أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ أنَّهم قالوا: من حجبَ الله عنه العلمَ عذَّبَهُ علىٰ الجهل، وأشدُّ منه عذاباً من أقبلَ إليه العلمُ فأدبرَ عنه، ومن أهدىٰ الله إليه علماً فلم يعملْ به، فقد رغبَ عن هديَّةِ الله، وقصَّرَ بها[3].

وكان يقال: أوَّلُ العلمِ الصَّمت، والثاني الاستماع، والثالثُ الحفظ، والرابعُ العمل، والخامسُ نشره[4].

---

(١) المجالسة وجواهر العلم (١٦٩٤) وذكر محققه أن إسناده ضعيف، التعريف في فضل حملة العلم الشريف ص ١٥، حسن التنبه ٣/٥٧٣. والأجوبة لأبي ذر، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، رضي الله تعالىٰ عنهم.

(٢) لم أجده مرويًّا عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقد قيل لعبدالله بن المبارك رحمه الله: لو أن الله تعالىٰ أوحىٰ إليك أنك تموت العشية، فماذا تصنع اليوم؟ قال: أقوم وأطلب العلم. مفاتيح الجنان ليعقوب البرسوي ص ٥٤.

(٣) البيان والتبيين ٢/٢٣١، عيون الأخبار ٢/٣٥٩.

(٤) البيان والتبيين ٢/١٣٨، عيون الأخبار ٢/١٣٧، العقد الفريد ٢/٨٤ (ونسبه للأصمعي).

فَصْلٌ
الإيمان والإسلام

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني، عن الفربري، [٤٠/ب] عن البخاري، عن عبيدالله[1] بن موسىٰ قال: أخبرنا حنظلة بنُ أبي سفيان، عن عكرمة بن خالد، عن ابن عمر قال: قالَ رسولُ الله ﷺ:

«بُنيَ الإسلامُ علىٰ خمس: شهادةِ أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّداً رسولُ الله، وإقامِ الصَّلاة، وإيتاءِ الزَّكاة، والحجِّ، وصومِ شهرِ رمضان»[2].

ورویٰ ابنُ عمر، عن أبيهِ عمر بنِ الخطَّاب قال: بينما نحن عند رسولِ الله ﷺ ذاتَ يوم، إذ طلعَ علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثِّياب، شديدُ سوادِ الشَّعر، لا يُرىٰ عليه أثرُ السَّفر، ولا يعرفهُ منَّا أحد، حتَّىٰ جلسَ إلىٰ نبيِّ الله ﷺ، فأسندَ ركبتيهِ إلىٰ ركبتيه، ووضعَ كفَّيهِ علىٰ فخذيه، ثمَّ قال:

يا محمَّد، أخبرني عن الإسلام، قال: **«الإسلامُ أن تشهدَ أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّداً رسولُ الله، وتقيمَ الصَّلاة، وتؤتيَ الزَّكاة، وتصومَ شهرَ رمضان، وتحجَّ البيتَ إن استطعتَ إليه سبيلاً»**. قال: صدقت.

قال: فعجبنا أنه يسألهُ ويصدِّقه!

قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: **«أن تؤمنَ بالله، وملائكته، وكتبه، ورُسله، واليومِ الآخِر، والقدرِ كلِّه، خيرِهِ وشرِّه»**. قال: صدقت.

---

(١) في الأصل: عبدالله.

(٢) صحيح البخاري (٨)، صحيح مسلم (٢١).

قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: **«أن تعبدَ الله كأنَّكَ تراه، فإن لم تكنْ تراهُ فإنَّه يراك»**.

قال: فأخبرني عن الساعة، قال: **«ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائل»**.

قال: فأخبرني عن أمارَتِها، قال: **«أن تلدَ الأمَةُ ربَّتها، وأن ترىٰ الحُفاةَ العُراةَ العالةَ رِعاءَ الشَّاءِ يتطاولون في البنيان»**.

قالَ عمر: فلبثتُ مليًّا(١)، [٤١/أ] ثمَّ قالَ لي رسولُ الله ﷺ: **«يا عمر، هل تدري من السائل»**؟ قلت: الله ورسولهُ أعلم. قال: **«فإنَّه جبريلُ صلَّىٰ الله عليه، أتاكم ليعلِّمَكم أمرَ دينِكم»**(٢).

الإسلامُ هو الاستسلامُ للأمر، ومنه السِّلْمُ والسلامة، ومن ذلك قولهُ تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، والمرادُ بذلك: استسلَمنا(٣).

والإيمانُ هو في اللغةِ التصديق، يدلُّ علىٰ ذلك قولهُ تعالىٰ: ﴿قُلْ أُذُنُ

---

(١) في الأصل «ثلاثًا»، والمثبت من الصحيح.

(٢) لفظه من صحيح مسلم (٨). ورواه آخرون، الترمذي (٢٦١٠)، وأحمد ١/١٧٩...
ومعنىٰ «أن تلد الأمة ربتها» كما أفاده الإمام النووي: يعني السراري، ومعنىٰ ربها وربتها سيدها ومالكها، وسيدتها ومالكتها. قال الأكثرون من العلماء: هو إخبار عن كثرة السراري وأولادهن، فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها؛ لأن مال الإنسان صائر إلىٰ ولده، وقد يتصرف فيه في الحال تصرف المالكين، إما بتصريح أبيه له بالإذن، وإما بما يعلمه بقرينة الحال أو عرف الاستعمال. اهـ. وأورد أقوالًا أخرىٰ في معناه. ينظر شرح النووي علىٰ مسلم ١/١٥٨.

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني ٤/١٧٣.




خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٦١] أي: يصدِّق.

وكذا قوله: ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١] أي: لا يصدِّقون.

وقد اختُلفَ في قولهِ تعالىٰ: ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣]، فقيل: هو أيضاً من التصديق؛ لأنَّه تعالىٰ يصدِّقُ الحق، وقيل: إنَّه من الأمان، فإنَّه يؤمِّنُ المؤمنين(١).

فمن أقرَّ بالشهادتين، والتزمَ فرائضَها وأحكامَها، فهو مسلم، ومن آمنَ بالله وكتبهِ ورسلهِ وملائكته، وباليومِ الآخِرِ، والقرآنِ وأخباره، وصدَّقَ بما جاءَ به النبيُّون، وصدَّقَ ذلك بالأعمالِ الصالحة؛ فهو مؤمن، قالَ الله تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣].

وهذا يبيِّنُ أنَّ من فعلَ موجباتِ الإيمانِ فهو صادقٌ في إيمانه، ومن لم يفعلْ ذلك فهو كاذب.

والفتنة: هي(٢) الابتلاء بالتكليف، من الأوامر والنَّواهي(٣).

وفي معنىٰ ذلك قولهُ تعالىٰ: [٤١/ب] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَ﴾ [الحج: ١١].

---

(١) ذكرهما الإمام الطبري في تفسيره عند تفسير الآية الكريمة.
(٢) في الأصل: هو.
(٣) النكت والعيون للماوردي، عند تفسير الآية.




معنىٰ قوله: ﴿عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ قيل: علىٰ ضَعف ؛ لأنَّ ما تُرِكَ علىٰ حرفهِ كان ثباتهُ ضعيفاً. وقيل: علىٰ شكٍّ ، فإذا أصابَهُ الخيرُ سكنَ إليه ، وإذا أصابَهُ بلاءٌ ضعفَ إيمانهُ عن حمله ، فرجعَ عن دينه ، خسرَ الدنيا والآخرة ؛ لأنَّ بذهابِ دينهِ لم يزلْ عنه بلاؤه ، وخسرَ الآخرةَ باستحقاقِ العذاب[1].

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني قال: حدَّثنا الفربري قال: حدَّثنا البخاري ، حدَّثنا عبدالله بن محمَّد الجعفي ، حدَّثنا أبو عامر العقدي قال: حدَّثنا سليمان بن بلال ، عن عبدالله بن دينار ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال:

«الإيمان بضعٌ وستونَ شعبة ، والحياءُ شعبةٌ منه»[2].

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني قال: حدَّثنا الفربري ، عن البخاري ، حدَّثنا [آدمُ] بنُ أبي إياس ، حدَّثنا شعبة ، عن عبدالله بن أبي السفر ، [وإسماعيل بن أبي خالد] ، عن الشعبيّ ، عن عبدالله بن عمرو ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال:

«المسلمُ من سلمَ المسلمون من لسانهِ ويده ، والمهاجرُ من هجرَ ما نهَىٰ اللهُ تعالىٰ عنه»[3].

ورویٰ البخاريُّ أيضاً بإسنادهِ عن عبد الله بن عمرو ، أنَّ رجلاً قال:

يا رسولَ الله ، أيُّ الإسلامِ خير؟ قال: **«تُطعِمُ الطَّعام ، وتَقرأُ السَّلام ،**

---

(١) القولان في المصدر السابق ، عند تفسير الآية.

(٢) صحيح البخاري (٩). وورد في المخطوط: بضعة.

(٣) صحيح البخاري (١٠). وما بين المعقوفات منه ، كما ورد في الأصل «عبدالله بن عمر».




علىٰ من عرفتَ ومن لم تعرف»(١).

وروىٰ البخاريُّ بإسناده، أنَّ النَّبيَّ صلَّىٰ الله عليه [٤٢/أ] وسلَّمَ قال: **«لا تؤمنُ حتَّىٰ تحبَّ لأخيكَ ما تحبُّ لنفسك»**(٢).

وروىٰ أيضاً البخاريُّ بإسناده، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«ثلاثٌ من كنَّ فيه وجدَ حلاوةَ الإيمان: أن يكونَ الله ورسولُهُ أحبَّ إليه ممَّن سواهما، وأن يحبَّ المرءَ لا يحبُّهُ إلَّا لله، وأن يَكرهَ أن يعودَ في الكفرِ كما يَكرهُ أن يُقذَفَ به في النَّار»**(٣).

ورُويَ عن عبدالله بن عبيد بن عمير(٤) أنَّه كان يقول: الإيمانُ قائد، والعملُ سابق، والنَّفسُ حَرون(٥)، فإذا دنا قائدُها لم تستقمْ لسائقِها، وإذا دنا سائقُها لم تستقِم لقائدها(٦).

وحُكيَ عن الحسن أنَّه قال: ليس الإيمانُ بالتَّحلِّي ولا بالتَّمنِّي، ولكن ما وقرَ في القلوب، وصدَّقتهُ الأعمال، من قالَ حسناً وعملَ غير صالحٍ ردَّه الله، ومن قالَ حسناً وعملَ صالحاً رفعَهُ العمل. قالَ الله تعالىٰ: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ

---

(١) صحيح البخاري (١٢). وورد في الأصل «وتنشر السلام». والمثبت من الصحيح.

(٢) لفظه عند البخاري (١٣) من رواية أنس: «لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه». ولم أجده بلفظ المؤلف في مصادر أخرىٰ قريبة، ولعله رواه بتعبيره، أو من ذاكرته.

(٣) صحيح البخاري (١٦، ٦٩٤١) من رواية أنس.

(٤) في الأصل: عمر. وهو عبدالله بن عبيد بن عمير الليثي، يكنىٰ أبا هاشم. وثقه أبو حاتم. توفي عام ١١٣ هـ بمكة المكرمة. سير أعلام النبلاء ٤/١٥٧.

(٥) أي: جامحة، ترفض الانقياد.

(٦) صفة الصفوة ١/٤١٦، وفي ١/٤٥٧ منسوب لوهب بن منبه، وفي ذم الهوىٰ ص ٤٢ منسوب للقمان الحكيم.




ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠][(١)].

هذا يقتضي أنَّ الهاءَ عائدةٌ إلىٰ ﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾، وهذا ـ عافاكَ الله ـ يبيِّنُ لكَ أنَّ للعملِ عَلَقةً بالاعتقاد، وأنَّه يُبِينُ عنه ويوضِّحه.

❁ **فإن قالَ قائل:** إنَّ الإيمانَ هو التصديقُ بالقلب، وليس العملُ بالجوارحِ من أفعالِ القلوب، وإنَّما أرادَ النَّبيُّ ﷺ بإضافةِ العملِ إلىٰ الإيمانِ علىٰ وجهِ الاستدلالِ بما يدلُّكَ علىٰ إيمانه؟

❁ **والجواب:** أنَّ النَّبيَّ ﷺ سمَّىٰ ذلك إيماناً، وسمَّىٰ اللهُ تعالىٰ الصلاةَ إيماناً، فقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] يعني صلاتَكم، وذلك أنَّه لمَّا غيَّرَ القبلةَ عن بيتِ [٤٢/ب] المقدسِ إلىٰ الكعبة، فقالَ المسلمون: ما شأنُ من ماتَ منَّا قبلَ تغييرِ القبلة؟ فنزلتْ هذه الآية[(٢)].

وظاهرُ ذلك أنَّ الصلاةَ وهذه القُرَبَ من الإيمان؛ لأنَّ الاعتقادَ يصدَّقُ بذلك، يبيِّنُ لكَ ذلك أنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣].

ومعلومٌ أنَّ الله تعالىٰ يعلمُ اعتقادَ المعتقدين، فلولا أنَّ العملَ يبيِّنُ الاعتقادَ ويحقِّقَهُ ويصدِّقَهُ لم يكنْ للابتلاءِ فيه معنًىٰ، ولم يقفْ إيمانُهم علىٰ

---

(١) اقتضاء العلم العمل ص ٤٢. وبعضهم يورد أوله حديثًا، ولكنه لا يثبت، وقد ذكره الألباني ضمن الأحاديث الموضوعة في السلسلة الضعيفة (١٠٩٨).

(٢) النكت والعيون للماوردي. وقال رحمه الله عند تفسير الآية: فسمىٰ الصلاة إيماناً لاشتمالها علىٰ نية وقول وعمل.

الابتلاءِ فيه.

❁ **فإن قال:** إنَّما أرادَ الابتلاءَ بالتكليفِ في الطاعةِ بعد الإيمان، دونَ ما ذكرتَه؟

❁ **والجواب:** إنَّه لو كان كذلك لم يكنْ لقولِهِ تعالىٰ: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فائدة، وإنَّما يَعلَمُ بذلك الطائعين من العاصين، فلمَّا قال: الصادقين والكاذبين، ثبتَ أنَّه عائدٌ إلىٰ خبرهم بالإيمان، وأنَّ منه اعتقاداً صادقاً واعتقاداً غيرَ صادق[1]، وإن كانا في الاعتقادِ مشتركين. يؤيِّدُ ذلك قولُهُ تعالىٰ حين وصفَ المؤمنين فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٧٤][2]، والتحقيقُ يعودُ إلىٰ الإيمانِ دونَ الأعمال، فصارتِ الأعمالُ محققةً ومصدِّقةَ للإيمان.

❁ **فإن قالَ قائل:** إنَّ الإيمانَ ضدُّهُ الكفر، [٤٣/أ] ولا يوصَفُ مَن تركَ الأعمالَ بأنَّه كافر؟

❁ **والجواب:** أنَّ الكفرَ تركُ التصديق، وقد بيَّنَّا أنَّه مصدَّق، وإنَّما يَستحقُّ اسمَ الإيمانِ بالصدقِ من التصديقِ والقوةِ فيه. وهذا كما أنَّ اسمَ التقوىٰ لا يستحقُّهُ العُصاة، وإن كانوا متَّقينَ الكفرَ والشرك؛ لأنَّه اسمُ مدحٍ يقتضي كمالَ التقوىٰ، كذلك اسمُ الإيمان. وعلىٰ هذا يُحمَلُ ما رُويَ عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه أنَّه قال: «أنا مؤمنٌ إن شاءَ الله»[3]، يريدُ بذلك استحقاقَ هذا

(١) في الأصل: اعتقاد صادق واعتقاد غير صادق.
(٢) في الأصل دمج المؤلف بين آيتين كريمتين.
(٣) قوت القلوب ٢/٢٣١، وفي المسألة تفصيل، ينظر في إحياء علوم الدين ١/١٢١ وشرحه=

الاسمِ الذي شرَّفَهُ الله تعالىٰ به، وأوجبَ له الجنَّة، فقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٧].

ورُويَ عنه أنَّه قالَ لرجلٍ قالَ إنِّي مؤمن: ففي الجنةِ أنت؟ قال: إنِّي أخافُ الذنوب، قال: لو قلتَ الأُولَىٰ لأتبَعتَها الأخرىٰ. يريدُ أنَّك متىٰ علمتَ أنَّك مؤمنٌ علمتَ أنَّك في الجنة[1].

❁ **فإن قالَ قائل**: فقد رُويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**يخرجُ من النَّارِ من كان في قلبهِ وزنُ ذرَّةٍ من إيمان**»[2]، فقد أثبتَ الإيمانَ مع النَّار؟

❁ **والجواب**: أنَّا قد بيَّنَّا أنَّ الإيمانَ هو التصديق، وأنَّه يَزيدُ ويَنقص، والاسمُ يستحقُّ بكماله، وهذا الحديثُ يشهدُ لذلك؛ لأنَّه جعلَهُ أجزاء. فأمَّا ما رُويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرقُ السارقُ حين يسرقُ وهو مؤمن**»[3]، فهو موافقٌ لما قدَّمته، وأنَّه مع هذه الكبائرِ لا يستحقُّ هذا [٤٣/ب] الاسم، وإن كان معتقداً للتحريم؛ لأنَّه فارقَ صفاتِ المؤمنين، وأحكامَ الإيمانِ الصادقِ بذلك[4].

= إتحاف السادة المتقين ٢/٢٣٣ وغيرهما.

(١) قوت القلوب ٢/٢٣١، الغنية لطالبي طريق الحق ١/١٣٧.

(٢) لفظه عند البخاري (٤٤) من رواية أنس: «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»، ومن طريق أخرىٰ: «ذرة من إيمان». ومن رواية أبي سعيد الخدري عند الترمذي (٢٥٩٨) وغيره: «يخرج من النارِ من كان في قلبهِ مثقالُ ذرةٍ من الإيمان» وقال: حسن صحيح.

(٣) صحيح مسلم (١٠٠).

(٤) المسألة فيها تفصيل، ينظر شرح النووي علىٰ صحيح مسلم ١/١٤٦، وفيه نقل من محمد بن إسماعيل الأصبهاني قوله في كتابه التحرير في شرح صحيح مسلم: الإيمان في لسان الشرع=

فَصْلٌ
[تحقيق الكفر، وردُّ شبهات عن الإيمان]

إن سألَ سائلٌ عن قولهِ ﷺ: «سِبابُ المسلمِ فِسق، وقتالهُ كفر»(١).

وقولهِ ﷺ: «لا يؤمنُ مَن لا يَأمَنُ جارهُ بوائقَه»(٢).

وقولهِ ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفَّاراً يَضربُ بعضُكم رقابَ بعض»(٣).

وقوله: «الطِّيَرةُ شرك»(٤).

وقوله: «مَن حلفَ بغيرِ الله فقد كفر»(٥).

= هو التصديق بالقلب والعمل بالأركان، وإذا فسر بهذا تطرق إليه الزيادة والنقص، وهو مذهب أهل السنة. قال: فالخلاف في هذا على التحقيق إنما هو أن المصدق بقلبه إذا لم يجمع إلى تصديقه العمل بمواجب الإيمان هل يسمى مؤمناً مطلقاً أم لا؟ والمختار عندنا أنه لا يسمى به، قال رسول الله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»؛ لأنه لم يعمل بموجب الإيمان فيستحق هذا الإطلاق.

(١) بلفظ «سباب المسلم فسوق...» رواه الشيخان وغيرهما. صحيح البخاري (٤٨)، صحيح مسلم (١١٦). وباللفظ الذي أورده المؤلف أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٣٧٦٢) وذكر الألباني أن إسناده صحيح موقوفًا. ويرد بألفاظ أخرى قريبة.

(٢) في البخاري (٦٠١٦) قوله ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن»، قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه». وعند مسلم (٤٦): «لا يَدخلُ الجنةَ مَن لا يَأمنُ جارهُ بوائقَه». ويأتي بألفاظ أخرى متقاربة. ومعنى بوائقه أي: غوائله وشروره، واحدها بائقة، وهي الداهية. النهاية في غريب الحديث ١/١٦٢.

(٣) صحيح البخاري (١٢١)، صحيح مسلم (١١٨).

(٤) مسند أحمد ٥/٢٥٤ وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناده، صحيح ابن حبان (٤١٥٤)، الأدب المفرد (١٣١) وصححه الألباني، السلسلة الصحيحة (٤٢٩).

(٥) مسند أحمد ٨/٢٢٢ وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناده، سنن الترمذي (١٥٣٥) وحسنه،=

وقولهِ ﷺ: «**يقولُ الله تعالى: أصبحَ مِن عبادي مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب، ومؤمنٌ بالكوكبِ كافرٌ بي**»[1].

وأنَّ معنى ذلك أنَّ مَن فعلَ شيئاً من ذلك فقد استنَّ سنَّةَ الكفَّار، وتخلَّقَ بأخلاقهم، وهذا جائزٌ مستعملٌ في اللغة، وهذا مثلُ قولهِ ﷺ: «**من صامَ الدهرَ فلا صامَ ولا أفطَر**»[2]، ومعلومٌ أنَّه قد صام.

وكذلك قولهُ ﷺ: «**العينانِ تزنيان**»[3]، وإنَّما أرادَ أنَّ نظرَ العينين مشبَّهٌ بالزنا.

وكذلك قوله: «**أيُّما امرأةٍ استعطرت، ثمَّ مرَّتْ ليوجدَ ريحها، فهي زانية**»[4]، ومعنى ذلك أنَّ أخلاقَها أخلاقُ الزُّناة.

وتقولُ العربُ للذي لا يُحسِنُ الصناعة: إنَّه لحائك، وإن لم يكنْ كذلك، وإنَّما أرادوا أنَّه يُشبهه[5].

= السلسلة الصحيحة ٥/٦٩.

(١) بلفظه في مسند أحمد (١٧٠٦١)، وذكر الشيخ شعيب أن إسناده صحيح على شرط مسلم. وأصله في الصحيحين بألفاظ متقاربة: صحيح البخاري (٨٤٦)، صحيح مسلم (١٢٥).

(٢) مسند أحمد (١٦٣٢٣)، وذكر الشيخ شعيب أن إسناده صحيح على شرط مسلم، صحيح ابن خزيمة (٢١٥٥).

(٣) صحيح ابن حبان (٤٤١٩)، مسند أبي يعلى (٦٤٢٥) وذكر الأستاذ حسين أسد أن إسناده صحيح، مسند أحمد (٨٥٣٩) وذكر الشيخ شعيب أن إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٤) هكذا أورده المؤلف، ويعني الحديث الذي رواه أحمد في مسنده (١٩٧٤٧) بلفظ «أيما امرأة استعطرت، ثم مرت على القوم ليجدوا ريحها، فهي زانية». وذكر الشيخ شعيب أن إسناده جيد.

(٥) ينظر في هذا: الرسائل للجاحظ ٣/٢٤٢، وبقية المصادر تنقل منه، مثل التذكرة الحمدونية ٣/١٣٢، وربيع الأبرار ٥/٣٤٠.

وكذلك قولُهم للذي لا يَفهم: بهيمة، وللشجاع: أسد، أي: مشبَّه بذلك.

وكذا حديثُ عبدالله بن عمرو: «**شاربُ الخمرِ كعابدِ وثن**»(١)، [٤٤/أ] يريدُ أنَّه يُشبهه، لا أنَّه مثله، وإنَّما وجبَ العدولُ عن ظاهرِ ذلك لأنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾ [الحجرات: ٩]، فلم يُخرجْهُم قتالُ بعضِهم لبعضٍ من الإيمان.

فَصْلٌ

في بيانِ قولهِ تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].



قولهُ تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ إنَّما نزلَ ذلك عند تحويلِ القِبلةِ إلىٰ الكعبة؛ لأنَّه كثرَ خوضُ أهلِ الكتابِ في ذلك، فقال: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾.

قيل: فيه قولان: ليس كلَّ البرّ، وقيل: ليس البرَّ أن يولِّيَ النصارىٰ

---

(١) سنن ابن ماجه (٣٣٧٥) وحسنه له الألباني. ورواه آخرون. وهو في صحيح الجامع (٣٧٠١)، وفي السلسلة الصحيحة ٢/٢٨٨.

وجوهَهُم قِبَلَ المشرق، واليهودُ قِبَلَ المغرب، ولكنَّ البرَّ من آمنَ بالله... الآية[1].

وقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ قيلَ فيما يعودُ إليه الضميرُ قولان:

أحدهما: أنَّه المال، وقيل: الإيتاء، كأنَّه يعطيهِ ببِشرٍ وطلاقة.

وقيلَ في إيتاءِ المالِ: إنَّه غيرُ الزكاة؛ لأنَّه أمرَ بالزكاةِ مع ذلك، فيَدفعُ إلىٰ المحتاجين من ذوي القربىٰ والمحتاجين المضطرِّين من غيرهم. وقيل: [٤٤/ب] إنَّ المرادَ به الزَّكاة، والتَّكرارُ تأكيد.

وقولهُ تعالىٰ: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ﴾ المرادُ بذلك الإيمانُ بما أنزلَ الله تعالىٰ من الكتب، وهذا معنىٰ قولهِ تعالىٰ: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، فأمرنا الله تعالىٰ بالإيمانِ بالنَّبيِّين وما أُنزِلَ إليهم من ربِّهم.

وقوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ يريد: مطيعين ومستسلمين.

[التفكير السليم طريق إلى الإيمان]

والإيمانُ بالله ﷻ طاعةٌ مكتسبة، قد شرحتُ فيما تقدَّم دلائلها، وإنَّما يتمكَّنُ الإيمانُ من القلبِ بطولِ الفكرة[2].

(١) جامع البيان ٣/٣٣٨، النكت والعيون ١/٢٢٥.

(٢) ليتميز عن الإيمان بالتقليد والوراثة.

روى ابن عمر أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**تفكَّروا في آلاءِ الله ولا تفكَّروا في الله**»[1].

وإنَّما أُمِرَ بالتفكُّرِ في الآيةِ لأنَّ ذلك طريقٌ إلى معرفتهِ سبحانه، ونهى عن التفكُّرِ فيه لأنَّ ذلك ممَّا لا تدركهُ الأوهام، ولا تتخيَّلهُ العقولُ والأفهام؛ إذ كان سبحانهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، لا متجنِّس[2]، ولا متشخِّص، ولا متصوِّر، ولا متكيِّف.

ولهذا لمَّا سألَ فرعونُ موسى عليه السلام عن الجنسيَّة، بقوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣]؟ فقال له: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٢٤ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾؟! [الشعراء: ٢٤ - ٢٥]. يريدُ بذلك: أنِّي أسألهُ عن الجنسيَّةِ والكيفيَّة، وهو يجيبني بغيرِ ذلك!

ثمَّ عادَ لمسألته، فقال: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦]، فقالَ فرعون: [٤٥/أ] ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧]، يريدُ بذلك: أنَّ من يدَّعي أنَّه رسولٌ إليكم مجنون، فإنِّي أسألهُ عن أمرٍ ويجيبني بغيره.

ثمَّ عادَ لسؤاله، فقال: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨]، فلم يفهمْ فرعونُ جوابَ موسى عليه السلام؛ لأنَّ موسى أعرضَ عن

---

(١) سبق تخريجه، وأن الألباني حسنه لشواهده. وهذا لفظ شعب الإيمان (١١٩) قال البيهقي: إسناد فيه نظر، والعظمة لأبي الشيخ (١)، والمعجم الأوسط (٦٣١٩).

(٢) الجنس: الأصل، والنوع. (معجم لغة الفقهاء ص ١٦٧). وتجنست الأشكال: تماثلت. (معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة جنس).

سؤالهِ المحال، وأجابَهُ بالطريقِ إلىٰ إثباتِ الإلهِ سبحانه؛ لأنَّ العقولَ تثبتهُ لوجودِ صنعتهِ وحكمتهِ دونَ كيفيَّته، وإنَّما تتصوَّرُ النُّفوسُ ما له جنسٌ عرفَتْهُ، أو مِثْلٌ شاهدَتْهُ، أو حدٌّ حصرَتْهُ، وما يباينُ ذلك ويغايرهُ فلا طريقَ لها إلىٰ تصوُّره. وإذا فكَّرتَ في صنائعهِ وحِكمهِ ولطفهِ بخلقهِ ورأفته، وما خلقَ لهم من المنافع، وأوصلَ إليهم من اللذَّاتِ العاجلة، وادَّخرَ لكَ من اللذَّاتِ والمنافعِ الآجلة، وعرفتَ موضعَ قدرته، ومحلَّ جلالهِ وعظمته؛ أورثكَ ذلك الهيبةَ لجلاله، والتعظيمَ لكبريائه، والمحبَّةَ لكريمِ إحسانه.

حُكيَ عن طاوسٍ(١) أنَّه قال: قالَ الحواريُّون لعيسىٰ بنِ مريم عليه السلام: هل في الأرضِ مثلُك؟ فقال: نعم، من كان منطقهُ ذِكراً، وسكوتهُ تفكُّراً، ونظرهُ عبراً؛ كان مثلي(٢).

وقال محمَّد بن واسع(٣): ركبَ رجلٌ من أهلِ البصرةِ إلىٰ أمِّ أبي ذرٍّ بعد موتِ أبي ذرّ، يسألُها عن عبادةِ أبي ذرّ، قالت: كان نهارهُ أجمعَ في ناحيةٍ يتفكَّر(٤)!

وسئلت أمُّ أبي [٤٥/ب] الدَّرداء: أيُّ عمل أبي الدَّرداء كان أفضل؟

---

(١) طاوس بن كيسان، من أكابر التابعين. أصله من الفرس، ومنشؤه في اليمن، ت ١٠٦ هـ. حلية الأولياء ٤/٣، صفة الصفوة ٢/٢٨٤.

(٢) إحياء علوم الدين ٤/٤٢١، الزهد لأحمد (١٩٥٣).

(٣) محمد بن واسع بن الأخنس. إمام رباني قدوة، أحد الأعلام. قال العجلي: ثقة، عابد، صالح. وقال ابن شوذب: إذا قيل من أفضل أهل البصرة؟ قيل: محمد بن واسع. ت ١٢٧ هـ. سير أعلام النبلاء ٦/١١٨.

(٤) إحياء علوم الدين ٤/٤٢١، صفة الصفوة ١/٢٢٥.

قالت: التفكُّر[1].

وقالَ الحسن: الفكرةُ مرآةٌ تريكَ حسناتِكَ وسيِّئاتك[2].

وقيلَ لإبراهيم[3]: إنَّك تطيلُ الفكرة، فقال: الفكرةُ مخُّ العمل[4].

وكان سفيان بن عُيينة يتمثَّل فيقول:

إذا المــرءُ كانــت لــه فكــرة ❊ ففــي كــلِّ شــيءٍ لــه عبــرة[5]

وروى أبو سعيد الخدري قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**أعطُوا أعينَكم حظَّها من العبادة**». قالوا: يا رسولَ الله، وما حظُّها من العبادة؟ قال: «**النَّظرُ في المصحف، والتفكُّرُ فيه، والاعتبارُ عند عجائبه**»[6].

وروى هشام بن حسَّان، عن خالد الربعيِّ[7] قال: كان لقمانُ يطيلُ الجلوسَ وحده، فمرَّ به مولاه فقال: يا لقمان، إنَّك تطيلُ الجلوسَ وحدك، فلو جلستَ مع النَّاسِ كان آنسَ لك، فقالَ لقمان: إنَّ طولَ الوحدةِ أفهمُ

---

(١) الزهد لأبي داود (١٩٨).

(٢) حلية الأولياء ٨/١٠٨، معارف الإنعام ١/١٥٨، إحياء علوم الدين ٤/٤٢٤.

(٣) إبراهيم بن أدهم البلخي، الزاهد بالشام. كان أحد السادات، ت ١٦٢ هـ. العبر ١/١٨٣.

(٤) حلية الأولياء ٨/١٠٩، أدب المجالسة (٢٥٠) دون عزو.

(٥) إحياء علوم الدين ٤/٤٢٤، مفتاح دار السعادة ١/١٨٠.

(٦) رواه البيهقي في الشعب (٢٠٢٩)، وأبو الشيخ في العظمة (١٢)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ٣/٢٥٤. وقال في المغني عن حمل الأسفار ٩/٢٩٥: أخرجه ابن أبي الدنيا، ومن طريقه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة بإسناد ضعيف.

(٧) خالد بن باب الأحدب الربعي، ابن أخي صفوان بن محرز. تركه أبو زرعة. ينظر كتاب التاريخ وأسماء المحدثين وكناهم للمقدمي ص ٥٦، ٧٠، تاريخ الإسلام بتحقيق بشار ٣/٢٣٠.

للفكرة، وطولَ الفكرةِ دليلٌ على طريقِ الجنَّة[1].

وقال وهب بنُ منبِّه[2]: ما طالتْ فكرةُ امرئٍ قطُّ إلَّا فهم، ولا فهمَ امرؤٌ قطُّ إلَّا علم، وما علمَ امرؤٌ قطُّ إلَّا عمل[3].

وقال عمر بنُ عبد العزيز: الكلامُ بذكرِ الله حسن، والفكرةُ في نعمِ الله أفضلُ العبادة[4].

وقالَ وهب بنُ منبِّه: المؤمنُ مفكرٌ مذكرٌ مزدجَر[5]، تفكَّرَ فعلَتْهُ السَّكينة، تسكَّنَ فتواضَع، قنعَ فلم يهتمَّ، رفضَ الشهواتِ فصارَ حرَّاً، ألقَى الحسدَ فظهرتْ له المحبَّة، زهدَ في كلِّ فانٍ فاستكملَ العقل، رغبَ في كلِّ باقٍ [٤٦/أ] فعقلَ المعرفة، قلبهُ متعلِّقٌ بهمِّه، وهمُّهُ موكَّلٌ بمعاده، لا يفرحُ إذا فرحَ أهلُ الدنيا، بل دهرَهُ محزون، وفرحهُ إذا نامتِ العيون، يتلو كتابَ الله تعالى، يردِّدهُ على قلبه، فمرَّةً يفزعُ قلبُه، ومرَّةً تَهمَعُ عيناه، يقطعُ اللَّيلَ بالتلاوة، والنَّهارَ بالخلوة، مفكِّرٌ في ذنوبه، مستصغرٌ لأعماله، فذلك الذي ينادَى به يومَ القيامةِ على رؤوسِ الخلائق: قمْ أيُّها الكريمُ على اللهِ فادخلِ الجنَّة[6].

(١) إحياء علوم الدين ٤/٤٢٥، التبصرة لابن الجوزي ١/٦٥.

(٢) وهب بن منبه الصنعاني، الحبر العلامة. روى عن ابن عباس وجماعة. وكان شديد العناية بكتب الأولين وأخبار الأمم وقصصهم، بحيث كان يشبه بكعب الأحبار في زمانه. وهو ثقة. ت ١١٤ هـ، العبر ١/١٠٨، تقريب التهذيب (٥٨٤).

(٣) إحياء علوم الدين ٤/٤٢٥، التبصرة لابن الجوزي ١/٦٥، مختصر منهاج القاصدين ص ٣٧٨.

(٤) حلية الأولياء ٥/٣١٤.

(٥) مزدجر: مرتدع.

(٦) حلية الأولياء ٤/٦٨، العظمة لأبي الشيخ (٢٨) مع اختلاف كلمات.

قالَ أبو المنذرِ النضرُ[١] لإخوانه: زوروا الآخرةَ في كلِّ يومٍ بقلوبكم، وشاهدوا الموقفَ بتوهُّمكم، وتوسَّدوا القبورَ بفكركم، واعلموا أنَّ ذلك كائنٌ لا محالة، فمختارٌ لنفسهِ ما أحبَّ من المنافعِ والمضارِّ أيَّامَ إمكانها[٢]. وكان يبكي حتَّىٰ يقعَ بين أصحابهِ صريعاً.

قالَ الحسن رحمةُ الله عليه: رحمَ الله رجلاً نظرَ فتفكَّر، وفكَّر فاعتبر، واعتبرَ فأبصر، وأبصرَ فانتفع، فقد والله أبصرَ أقوامٌ فلم يصبروا، فما أدركوا ما طلبوا، ولا رجعوا إلىٰ ما فارقوا[٣].

حدَّث أحمد بن أبي الحواري، عن خِندِف بنِ سفيان[٤] قال: دخلتُ ديراً فيه رهبان، فقلت: هل ها هنا أشدُّ اجتهاداً في العبادةِ فيكم؟ قالوا: نعم، وأشاروا إلىٰ موضعٍ من الدَّير، فدخلته، فإذا قومٌ جلوس، فقلت: أيَّ شيءٍ تعملون؟ قالوا: نصفِّي، فظننتُ أنَّهم يُصفُّون ذهباً أو فضَّة، فقلت: أيَّ شيء تُصفُّون؟ فقالوا: نتفكَّر[٥].

وهذا معنىٰ [٤٦/ب] مليح؛ لأنَّ بالتفكُّر يخلصُ الحقُّ من الباطل، والحجَّةُ من الشُّبهة، ألا ترىٰ قولَهُ تعالىٰ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝٢١٩ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ [البقرة ٢١٩ ـ ٢٢٠]. قالَ الحسن، وتلا هذه الآية: والله ما هي إلَّا لمن

(١) وهو النضر بن المنذر، كما تورده المصادر.
(٢) التبصرة لابن الجوزي ١/٦٦، أهوال القبور ١/١٤٣، البحور الزاخرة ١/٤٠٤.
(٣) البيان والتبيين ٣/٩٠، التذكرة الحمدونية ١/١٨١. من وعظ طويل.
(٤) في الأصل جندب بن سفيان. والمثبت من المصدر، ومن الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف ٣/١٩٥.
(٥) تلخيص المتشابه في الرسم ٢/٧٧٨.

تفكَّرَ فيها فعلمَ أنَّ الدنيا دارُ بلاء، ثمَّ دارُ فناء، وعلمَ أنَّ الآخرةَ دارُ جزاء، ثمَّ دارُ بقاء(١).

وأمَّا قولهُ تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الروم: ٨]، فمن تفكَّرَ علمَ أنَّ الله تعالى قادرٌ حكيم، والحكيمُ تعالى لا يخلقُ شيئاً إلَّا لحكمة، لا يخلقهُ عبثاً لا غرضَ فيه؛ لأنَّ ذلك نقضُ الحكمة؛ لأنَّ الأفعالَ التي لا حكمةَ فيها ولا غرضَ تقعُ من المجانين والصبيان، فإذا علمَ بفكرهِ أنَّ الصانعَ تعالى حكيمٌ علمَ أنَّ ما فعلَهُ حكمةٌ وحقٌّ وصواب، وإذا كان خلقَ السماواتِ والأرضَ بالحقّ، وهو أنَّه تعالى يحكمُ بين من خلقَ ذلك له وبعثَهُ فيه إلى أجلٍ مسمًّى بالعدل، وأنَّ لهم موعدًا يُنتصَفُ لبعضهم من بعض، ويُجازَى المحسنُ بإحسانه، والمسيءُ بإساءته.

وفي معنى ذلك قولهُ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧]. وإنَّما ظنَّ الذين كفروا أنَّ خلقَ ذلك باطلٌ لأنَّهم جحدوا البعث، وأنكروا المجازاة، فصارَ خلقُ السماواتِ والأرضَ لغيرِ غرضٍ صحيح؛ لأنَّ مَن سكنَ الأرضَ يتظالمون، وبعضُهم غنيٌّ وبعضُهم فقير، وهم كلُّهم مكلَّفون، [٤٧/أ] جنسٌ واحد.

وكذلك قولهُ تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، فبيَّنَ تعالى أنَّه إذا لم يجازِ الخلقَ ويُنصِفْ بينهم، كان خلقُهم عبثاً لا حكمةَ فيه ولا غرض، فتعالى عن ذلك علوًّا كثيراً، وإنَّما

---

(١) الدر المنثور ٦١١/١، تفسير ابن كثير ٥٨١/١ بتحقيق سلامة، تفسير ابن أبي حاتم ٣٩٤/٢.

يكونُ حكمةً إذا بعثَهم بعد الموت، وأخذَ من الظالمِ للمظلوم، وجازَى المحسنَ بإحسانه، والمسيءَ بسوءِ فعله، خرجَ بذلك خلقُهم أن يكونَ عبثاً، فإذا جحدوا البعثَ فقد أثبتوا العبثَ من الخالقِ ﷻ.

فأمَّا قولهُ تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، قيلَ في الخليفة: إنَّهم يَخلفون الجنَّ الذين كانوا فيها، وقيل: يَخلفُ بعضُهم بعضاً(١). فلمَّا أعلمَهم(٢) سبحانهُ أنَّه يخلقُ في الأرضِ مستخلفين فيها من ولدِ آدم، هجسَ في نفوسِهم أنَّه يجري فيهم الفسادُ وسفكُ الدِّماء، وأنَّه لو كان منهم مستخلَفون في الأرض كانوا يسبِّحون ويقدِّسون، فأخبرهم الله تعالى أنَّ ذلك الأمرَ لا يعلَمونه، وأنَّه تعالى يعلمُ من الغيبِ ما لا يعلمون.

ثمَّ قال: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾، وهي اللغات(٣)، ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]، فبيَّن لهم أنَّهم لا يعلمون شيئاً من الغيب. وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [٤٧/ب]

---

(١) ذكرهما في تفسير الطبري ١/٤٥١.

(٢) أي: أعلمَ الملائكة.

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (النكت والعيون) وأن الله تعالى علم آدم الأسماء بجميع اللغات. وهو قول في وجه من أحد الأقوال، وليس المختار منها. واستنتجت من مجمل كلام المفسرين، أن الله تعالى علَّمَ آدمَ أسماءَ الأشياءِ كلِّها.. والملائكةُ لا حاجةَ لهم إلى هذه الأشياء؛ لأنَّها لا تناسبُ طبيعتَهم، بل هي مختصَّةٌ بابن آدم، ولذلك جُعلتِ الخلافةُ له في الأرض، لا لهم. (ينظر الواضح في التفسير، عند تفسير الآية).

قيلَ فيه: فيما ظننتموهُ ممَّا سألتُم عنه، وقيل: إن كنتُم صادقين فيما تخبرون به ممَّا سألَهم عنه.

﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، فشهدوا أنَّ العلمَ لله، وأنَّهم لا يعلمون إلَّا ما علَّمهم، وهذا ممَّا أخبرنا الله تعالىٰ به، حتَّىٰ لا يقعَ في نفوسنا تعجُّبٌ أو تبشعٌ[1] لأمرٍ لا نعرفُ غيبه، بل يجبُ أن نكلَ ذلك إلىٰ عالمِ الغيب، فإنَّ ذلك ممَّا يوسوسُ به الشيطان.

فإذا رأىٰ الفسادَ الواقعَ من المكلَّفين في الدنيا من الظلمِ والمعاصي علمَ أنَّ الله تعالىٰ قادرٌ علىٰ منعِهم منه، وأنَّ تمكينَهُ إيَّاهم من ذلك لأمرٍ يعلمهُ سبحانه. ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وقد بيَّنَ الله تعالىٰ لنا هذا المعنىٰ بياناً شافياً في قصَّةِ موسىٰ مع الخضرِ عليهما السلام[2]، فإنَّه لمَّا صحبَهُ فرأىٰ خَرْقَهُ السَّفينةَ أنكرَ ذلك، وكذلك قتلَهُ الغلام، وإقامةَ الجدار، فبيَّنَ الله تعالىٰ له أنَّ كلَّ واحدٍ من ذلك فيه حِكمةٌ ومنفعةٌ لم يعلمها.

فيجبُ تسليمَ الأفعالِ التي تقعُ من الباري تعالىٰ، أو ممَّن تثبتُ نبوَّتهُ، لحكمتهِ تعالىٰ، وعلمهِ الغيبَ والشهادة.

وهذا ـ عافاكَ الله ـ إذا تصوَّرتَهُ انكفَّ عنك من مكايدِ الشيطانِ فيه ما يؤذيكَ به.

---

(١) في الأصل: تعجبًا أو تبشعًا.

(٢) في الآيات ٦٠ ـ ٨٢ من سورة الكهف.

فَصْلٌ
[الإيمان باليوم الآخر]

واعلمْ أنَّ الإيمانَ باليومِ الآخرِ هو الإيمانُ بيومِ القيامةِ والبعثِ والنُّشور، وهو وإن كان قد وقعَ الخبرُ به من جهةِ الصَّادق، وجاءتْ به الأنبياءُ صلواتُ الله عليهم، [٤٨/أ] فقد ثبتَ أنَّ ذلك ممَّا اقتضتهُ الحكمة، وأوجبَهُ العقلُ أيضاً؛ لينتصفَ المظلومُ من الظالم، ويتميَّزَ المحسنُ من المسيء، وقد نطقَ كلامُ الله ﷻ بذلك، فقال تعالىٰ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]. فبيَّنَ سبحانهُ أنَّه لا يقتضي العقلُ التسويةَ بين المتَّقين والفجَّار. والتمييزُ إنَّما يكونُ إذا بعثهم الله تعالىٰ وميَّزَ بينهم. فأخرجَ سبحانهُ هذا الكلامَ علىٰ وجهِ التقريعِ والتوبيخِ لمن أنكرَ البعث.

وقد حُكيَ عن عبدالمطَّلب جدِّ رسولِ الله ﷺ ـ ولم يكنْ علىٰ دينٍ ـ أنَّه كان يقول: لا يموتُ جبَّارٌ ظالمٌ حتَّىٰ ينتقمَ الله منه في الدنيا، فقيلَ له: قد ماتَ فلانٌ علىٰ ظلمهِ وغَشْمهِ[1] ولم يُنتقَمْ منه؟ فأطرقَ مليّاً، ثمَّ رفعَ رأسَهُ وقال: يوشكُ أن يكونَ بعد هذه الدارِ دارٌ أخرىٰ يؤخَذُ فيها من الظالمِ للمظلوم.

فهذا ـ عافاكَ الله ـ من نتائجِ العقول، فإذا قالَ هذا العاقل، فكيف بالعالمِ العارف؟!

واعلمْ أنَّ مَن خلقَ هذا الخلقَ قادرٌ علىٰ أن يعيدَهم، وذلك أنَّ كلَّ مؤمنٍ

(١) الغشم: الظلم الشديد.

وكافرٍ مقرٌّ بأنَّ لهذا الخلقِ صانعًا[1]، فالمؤمنُ يعلمُ أنَّ الله تعالىٰ ابتدأَ خلقهم، والكافرُ يقول: إنَّه جمعَ بين الطبائعِ الأربعِ التي سبيلُها الافتراق، إذ كانت أضداداً متباينة، كالحرارةِ والبرودة، والرطوبةِ واليبوسة، وأنَّ الإلهَ جمعها، ومنهم من قسمتهُ الطبيعةُ الخامسة، [٤٨/ب] جمعها فصارتْ حيواناً، ثمَّ تتفرَّق.

ولا شكَّ أنَّ من ابتدأ الخلقَ علىٰ صفةٍ قادرٌ علىٰ أن يردَّهُ علىٰ تلك الصفة، قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]. وهذا احتجاجٌ علىٰ من خالفَ ذلك؛ لأنَّه إذا قدرَ علىٰ الابتداءِ فالإعادةُ أهون؛ لأنَّ الإعادةَ قد تقدَّمَ تمثيلُها، والله سبحانهُ لا يصعبُ عليه شيءٌ ويهونُ شيء، وكلُّ شيءٍ عندهُ هيِّن؛ لأنَّه قادرٌ علىٰ كلِّ مقدور، لا يُتعِبهُ شيء، ولا يُعجِزهُ شيء.

فأمَّا قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ قيلَ فيه: إنَّ أهونَ بمعنىٰ هيِّن، وقيل: إنَّه في نفسهِ أهون، وإن كان سبحانهُ لا يصعبُ عليه شيء[2]؛ لقولهِ سبحانه: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، وإن كان لا يكبرُ عليه شيء.

وكذلك قولهُ تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٨-٧٩].

وكان سببُ ذلك أنَّ أُبيَّ بنَ خلف[3] جاءَ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ ومعه عظمٌ بالٍ،

(١) في الأصل: صانع.
(٢) ينظر في هذا تفسير الطبري وغيره.
(٣) في الأصل: أمية بن خلف. والصحيح ما أثبت، كما في تفسير ابن كثير، وتفسير الصنعاني، وغيره.

فقال: يا محمَّد، ربُّكَ يحيي هذا؟ فأنزلَ الله تعالىٰ: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ﴾(١). يريدُ تعالىٰ أنَّه غفلَ أنَّه خُلِقَ ولم يكنْ إلَّا ماءً مَهيناً. فبيَّن أنَّ مَن خَلقَهُ مِن ماءٍ مهينٍ وابتدأه، قادرٌ أن يعيدَهُ كما أنشأه.

وكذلك قولهُ تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ﴾ [الحج: ٥] [٤٩/أ]. فبيَّنَ الله تعالىٰ أنَّ من كان في شكٍّ من البعثِ فيجبُ أن يَنظُرَ في خَلقه، فإنَّه خَلقَ آدمَ من تراب، ثمَّ ولدَهُ من نطفة، ثمَّ تصيرُ النُّطفةُ علقة، ثمَّ تصيرُ مضغة، ثمَّ يَخرجُ طفلاً، ثمَّ يَبلغُ أشُدَّه. وهذه أمورٌ مشاهَدةٌ معلومة، ومن شاهدَ ذلك لا يكونُ في شكٍّ من جوازِ البعثِ والإعادة، ويعلمُ أنَّ من ابتدأَ خَلقَهُ علىٰ هذه الصفاتِ يَقدرُ أن يُعيدَه، ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: ٧٩]: يعلَمُ جهاتِ الخلق، وهو قادرٌ عليها، لا يُعجِزُهُ خلقٌ يَبتدئهُ ويُنشئه، فكيف خلقٌ يعيدهُ ويُحييه؟!

فَصْلٌ

في بيانِ قولِهِ تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]



قال أبو عمرو بن العلاء(٢): الطيفُ الوسوسة، ....

(١) سنن سعيد بن منصور (١٨٠٢)، البعث والنشور للبيهقي (١٧)، تفسير الطبري ١٩/٤٨٥.
(٢) أبو عمرو بن العلاء المازني. من البصرة، أحد القراء السبعة، قرأ علىٰ أبي العالية الرياحي وجماعة، وروىٰ عن أنس وإياس. وهو ثقة. العبر ١/١٧٠، تقريب التهذيب ٦٦٠.

وقيل: اللَّمَم[1]، وذاك أنَّ الشَّيطانَ إذا وسوسَ في قلبِ ابنِ آدمَ بشبهة، أو شهوةٍ في معصية، تذكَّرَ آلاءَ الله وحججَهُ فأبصر، وتذكَّر أيضاً نعمَهُ وما على العاصي من نقمة، فيبينُ رشدهُ ويبصر. وليس عليه إثمٌ فيما ألقاهُ الشيطانُ في قلبهِ إذا صرفَهُ بالتَّذكُّرِ ولم يَتبعه؛ ولهذا قالَ سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ ﴾ [النور: ٢١].

وفي ذلك الحديثُ المرويُّ عن عائشة، أنَّه سألها سائلٌ فقال: يخطرُ في نفسي ما لو هوَيتُ [٤٩/ب] من السماءِ إلى الأرضِ كان أسهلَ عليَّ، فقالت: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن ذلك فقال: «**ذاكَ محضُ الإيمان**»[2] يريدُ بذلك أنَّ خوفَهُ بما ألقاهُ الشَّيطانُ محضُ الإيمان.

وحُكيَ عن بعضِ السَّلفِ أنَّه قال: إذا لم يوسوسني الشَّيطان اتَّهمتُ ديني؛ لأنَّ اللِّصَّ لا يدخلُ إلَّا إلى بيتٍ عامر.

يشهدُ لما قالَهُ هذا القائل، أنَّ الإنسانَ إذا كان مشغولاً بلذَّةِ الدنيا أو فضولها لا يوسوسهُ شيطان، فإذا اشتغلَ بعبادته، أو ذكرَ لمعاده، وسوسَهُ الشَّيطان. وهذه الوسوسةُ هي من البلاءِ الذي يُثابُ المكلَّفُ بالتذكارِ عندها، والمخالفةِ لها، ويكونُ طريقاً إلى تذكُّرِ الإيمان.

---

(١) تفسير الطبري ١٠/٦٤٧ ط. دار هجر.

(٢) حديث عائشة ﵂ رواه الطبراني في الأوسط ٨/٢٤٩ وقال: لم يرو هذا الحديث عن شهر بن حوشب إلا ثابت، تفرد به حماد. اهـ. وله روايات أخرى، منها حديث أبي هريرة الذي رواه أحمد (٩٨٧٦) وصححه الشيخ شعيب. ومن روايته أيضًا ما أخرجه مسلم (٢٠٩) بلفظ «ذاك صريح الإيمان».

حَكىٰ ابنُ أبي الدنيا في كتابه[1] ، عن إسماعيل بن أبي خالد قال: بلغني أنَّ عيسىٰ بنَ مريمَ عليه السلام كان متوسِّداً حجراً ، فجاءَهُ إبليسُ فقال: يا عيسىٰ ، قد رضيتَ من الدنيا بهذا الحجر؟ قال: فأخذَهُ عيسىٰ من عند رأسه ، فقذفَ به إليه وقال: هذا لكَ مع الدنيا ، لا حاجةَ بي إليه[2].

رُويَ عن ابن عباس أنَّه قال: ما من أحدٍ إلَّا علىٰ قلبهِ الوسواس ، فإن ذكرَ الله تعالىٰ خَنس[3] ، وإن غفلَ وسوس ، وتلا قولَهُ تعالىٰ: ﴿ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾[4] [الناس: ٤].

روىٰ أبو الأحوص ، عن عبدالله بن مسعود أنَّه قال: إذا خرجَ الرَّجلُ من بيتهِ فقال: بسم الله ، قالَ الملَك: هُدِيت ، وإذا قال: علىٰ الله التُّكلان ، [٥٠/أ] قالَ الملك: كُفِيت ، وإذا قال: لا حولَ ولا قوَّة إلَّا بالله ، قالَ الملَك: حُفظت ، فيقولُ الشَّيطان: كيف لي بمن هُدِيَ وكُفِيَ وحُفِظ؟![5].

وروىٰ موسىٰ بن وردان ، عن أبي هريرةَ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

(١) كتابه ذم الدنيا.
(٢) ذم الدنيا (٤١٠).
(٣) أي: اختفىٰ.
(٤) الدر المنثور ٨/٦٩٤.
(٥) أصله حديث أنس: «إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله ، توكلت علىٰ الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، قال: يقال حينئذ: هُديت وكُفيت ووُقيت ، فتتنحىٰ له الشياطين ، فيقول شيطان آخر: كيف لك برجل قد هُدي وكُفي ووُقي»؟. رواه أبو داود في السنن (٥٠٩٥) وصححه في صحيح الجامع (٤٩٩).

«إنَّ المؤمنَ يُنضي شيطانَهُ، كما يُنضي أحدُكم بعيرَهُ في السَّفر»(١).

ورُويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه كان معتكفاً، فأتتهُ صفيَّة بنتُ حُييّ، فتحدَّثتْ عنده، فلمَّا أمستِ انصرفت، فقامَ يمشي معها، فمرَّ به رجلان من الأنصار، فسلَّما ومضيا، فدعاهما ﷺ فقال: **«إنَّها صفيَّةُ بنتُ حُييّ»**، فقالا: يا رسولَ الله! فنظنُّ بكُ إلَّا خيراً؟ قال: **«إنَّ الشَّيطانَ يجري من ابنِ آدمَ مجرَىٰ الدَّم، وإنِّي خشيتُ أنْ يَدخلَ عليكما»**(٢).

روىٰ الشعبيُّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: **«ما من أحدٍ إلَّا ومعهُ شيطان»**، قالوا: وأنت يا رسولَ الله؟ قال: **«وأنا، ولكنَّ الله أعانني عليه فأسلم»**(٣).

وروىٰ جُبير بنُ مُطعِم، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بك من الشَّيطانِ الرَّجيم، من هَمزِهِ ونَفثِهِ ونَفخه»**(٤).

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان (٢٠)، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ١٣٢/١. ورواه أحمد من حديث أبي هريرة، وفيه ابن لهيعة. قاله العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢٣٩٠) بتحقيق الحداد. كما ضعفه في ضعيف الجامع (١٧٧٢).
وينضي شيطانه أي: يهزله.

(٢) صحيح البخاري (٢٠٣٨)، صحيح مسلم (٢١٧٥). وهذا لفظ الإحياء ٩١٤/١.

(٣) الشعبي تابعي، وحديثه في هذا مروي عن جابر يرفعه، رواه الترمذي في السنن (١١٧٢)، وذكر أنه غريب. والحديث له روايات أخرىٰ، منها لابن مسعود الذي رواه مسلم (٢٨١٤)، ولعائشة في مسند أحمد (٢٤٨٤٥) وحسن الشيخ شعيب إسناده.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٨٥٨) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ورواه أحمد في المسند (١٦٧٣٩) وحسنه الشيخ شعيب لغيره، وبآخره سؤال جبير ﷺ: يا رسول الله، ما همزه ونفثه ونفخه؟ قال: «أما همزه فالموتة التي تأخذ ابن آدم، وأما نفخه الكبر، ونفثه الشعر».

قال: عمرو بن مرَّة[١]: نفخةُ الكبر، ونفثةُ الشعر، وهمزةُ السرقة[٢].

قالَ الحسن: نبِّئت أنَّ جبريلَ ـ صلَّىٰ الله عليه ـ أتىٰ النَّبيَّ ﷺ فقال: «**إنَّ عفريتاً من الجنِّ يكيدُك، فإذا أويتَ إلىٰ فراشِكَ فاقرأْ آيةَ الكرسيّ**»[٣].

ورویٰ عاصم الأحول [٥٠/ب] عن الحسن أنَّه قال: إنَّ للشَّيطانِ ملعقةً ومكحلة، فملعقتهُ الكذب، ومكحلتهُ النَّومُ عند الذِّكر[٤].

وحُكيَ أنَّ إبليسَ لقيَ يحيىٰ بن زكريا عليه السلام في صورته، فقالَ له يحيىٰ: أخبرني يا إبليسُ بأحبِّ النَّاسِ إليك، وأبغضِ النَّاسِ إليك، قال: أحبُّ النَّاسِ إليَّ المؤمنُ البخيل، وأبغضُهم إليَّ الفاسقُ السَّخيِّ، فقالَ له: وكيف ذلك؟ قال: لأنَّ البخيلَ قد كفاني بخله، والفاسقَ أتخوَّفُ أن يطَّلعَ الله عليه في سخائهِ فيقبله. ثمَّ ولَّىٰ وهو يقول: لولا أنَّك يحيىٰ لم أخبرك[٥].

ورویٰ عاصم بن بهدلة، عن أبي وائل، عن عبدالله بن مسعود قال: خطَّ لنا رسولُ الله ﷺ يوماً خطًّا، فقال:

---

(١) عمرو بن مرة بن عبدالله المرادي الجَمَلي الكوفي الأعمىٰ. أحد الأعلام الحفاظ. يقال: إنه دخل في شيء من الإرجاء، وهو مجمع علىٰ ثقته وإمامته. تاريخ الإسلام ٣/٢٩١.

(٢) يرد مع الحديث في مصادر، منها مسند أبي يعلىٰ (٧٣٩٨) وذكر محققه حسين أسد أن إسناد الحديث جيد. المنتقىٰ لابن الجارود (١٨٠)، مسند ابن الجعد (١٠٥)... وليس في أي منها «وهمزه السرقة»، ويكون هذا مصحفًا في الغالب.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه مكايد الشيطان (٦٧) مرسلًا، وضعفه في ضعيف الجامع (٧٢)، وفي السلسلة الضعيفة (٦٩٦٥).

(٤) ذكره الشبلي في آكام المرجان ص ٢٢٨، وإسماعيل حقي في روح البيان ٣/٣٢٠.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (٥٣)، وهو في إحياء علوم الدين ٣/٢٥٦، ونزهة المجالس ١/٢١٠.

«هذا سبيلُ الله»، ثمَّ خطَّ عن يمين الخطِّ وعن شمالهِ فقال: **«هذه سُبلٌ، على كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه»**، ثمَّ تلا: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ للخطِّ الأول، ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] لتلك الخطوط[١].

وروى أبو هريرة، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«إنَّ الشَّيطانَ يَنفِرُ من البيتِ تُقرَأُ فيه سورةُ البقرة»**[٢].

فقد عرفتَ ـ عافاكَ الله ـ أنَّ الشَّيطان موكَّل، يُلقي في قلبِكَ الشُّبه، ويحرصُ على هلاكك، وقد بيَّنَ الله تعالى لكَ داءه، وعرَّفكَ بلاءه، وعرَّفكَ دواءه، وأخبركَ أنَّه عدوُّك، فلا ترجعْ إليه، واتَّخذْهُ عدوّاً. [٥١/أ] قالَ الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر: ٦].

وقد بيَّنَ الله تعالى أنَّه لا سلطانَ للشَّيطانِ عليك، وإنَّما مَكْنهُ الوسوسة[٣]، لتذكرَ الإيمانَ وتدفعَهُ بالحجج، فيكونُ ذلك إيماناً منك، وأماناً لك، وطاعةً لله تستحقُّ بها الثواب، قالَ الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سبأ: ٢١].

ومَن عرفتَ عداوتَهُ لزمكَ مخالفتُه، فكيف وقد أخبركَ الله تعالى أنَّه

---

(١) صحيح ابن حبان (٦)، مسند أحمد (٤١٤٢) وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر، وحسّنه الشيخ شعيب.

(٢) صحيح مسلم (٧٨٠).

(٣) يعني تمكينه، وهو سلطانه وقوته.

يدعوكَ لتكونَ من أصحابِ السَّعير ؟! فالحذرَ الحذرَ أن تطيعَهُ في قليلٍ فيتعذَّرَ عليكَ عصيانهُ في الكثير ، فإنَّك إن أطعتَهُ في هوىً يدعوكَ إليه تأوَّلتَ فيه على دينك ، قويتْ نفسُكَ عليه ، فقهرتك ، ومكَّنتَ الشيطانَ منك ، فغلبك .

فَصْلٌ

في بيانِ قولهِ تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] .



القولُ الثابت: التوحيدُ والإخلاص(١) ، فإذا قالوا ذلك ثبَّتَهم به في الدنيا ، وأعانَهم عليه ، وثبَّتَهم عند المساءلةِ في القبور ، وفي يومِ القيامةِ أيضاً ؛ جزاءً بما كسبوا. وهذا مثلُ قولهِ تعالى: ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ﴾ [مريم: ٧٦] .

وقالَ الحسنُ في قولهِ تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]: إذا جاهدَ [٥١/ب] نفسَهُ أعانَهُ الله وهداه .

وهذا يبيِّنُ لكَ ـ هداكَ الله ـ أنَّك إذا عَرضَ لك أمرٌ طلبتَ الهُدى فيه وجدته ، وكانت الهدايةُ تابعةً لحسنِ قصدك ، وعدولِكَ عن الهوى إلى طلبِ الحق ، قالَ الله تعالى: ﴿ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾ [غافر: ١٣] ، فبيَّن أنَّ من أنابَ إلى طلبِ الحقِّ تذكَّر ، وإذا تذكَّرَ تبصَّرَ وعرَفه .

وقالَ ﷻ: ﴿ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١]:

---

(١) ينظر تفسير الطبري ، عند تفسير الآية .

لا يؤمنون، ولا يصدِّقون. بيَّنَ الله تعالىٰ أنَّ الحججَ والآياتِ إنَّما تنفعُ من يقصدُ الحقّ، وإذا بانَ له الحقُّ صدَّقَهُ واتَّبعه، وأمَّا من يدفعهُ ويكذِّبه، أو يكونُ ذلك قصدَه، فإنَّ الآياتِ والحججَ لا تنفعه، وما يقعُ الاختلافُ بين العقلاءِ في الأدلةِ العقليةِ الموجبةِ للعلمِ إلَّا من حيثُ الهوىٰ واختلافِ المقاصد، فإنَّ من يهوىٰ ما ألِفَهُ من الدِّينِ الذي وَجدَ عليه أباهُ لا ينظرُ في الأدلةِ إذا نظرَ نظرَ مُنصف، بل يطلبُ تصحيحَ قوله، والميلَ فيه إلىٰ اعتقاده، فتتزيَّنُ له الشبهةُ حتَّىٰ تصيرَ كالحجَّة، وتضعفُ عندهُ الحجَّةُ حتَّىٰ تصيرَ كالشبهة. نسألُ الله الكريمَ التوفيقَ لحسنِ القصدِ واتِّباعِ الهدىٰ.

فَصْلٌ
[تفاوت الإيمان بتفاوت المعرفة]

وقد تتفاوتُ المعرفةُ في القلوب، فتكونُ المعرفةُ في بعضِها يقيناً، وتكونُ في بعضِها تصديقاً وإيماناً. يبيِّنُ ذلك أنَّ المؤمنَين تجدُ عند أحدِهما الخوفَ والرَّهبة، والتعظيمَ والمحبَّة، والاكتفاءَ بذلك عن الدنيا، وآخرُ مهملٌ لذلك، مشغولٌ [٥٢/أ] بأمورِ الدنيا، وإن كانا مؤمنَين بالله واليومِ الآخر، قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٤ ـ ٥].

ورُويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**لم يُعطَ عبدٌ بعد اليقينِ أفضلَ من المعافاة**»(١).

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥) وصحح إسناده الشيخان شاكر والأرناؤوط. ويأتي بلفظ (العافية) بدل (المعافاة).

وقالَ الحسن: باليقينِ عُبِدَ الله، وباليقينِ طُلبتِ الجنَّة، وباليقينِ هُربَ من النَّار[1].

وروىٰ أنس بنُ مالك أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ لحارثة[2]: «**كيف أصبحت**»؟ قال: أصبحتُ مؤمناً حقًّا. فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: «**وما حقيقةُ إيمانك، ولكلِّ إيمانٍ حقيقة**»؟ قال: عزفتْ نفسي عن الدنيا، فأسهرتُ ليلي، وأظمأتُ نهاري، وكأنِّي أنظرُ إلىٰ عرشِ ربِّي بارزاً، وكأنِّي أنظرُ إلىٰ أهلِ الجنَّةِ في الجنَّةِ يتزاورون، وأهلِ النَّارِ في النَّارِ يتعاوون. فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: «**عرفتَ فالزم**»، وقال: «**مؤمنٌ، نوَّرَ الله الإيمانَ في قلبه**»[3].

وقد وصفَ الله تعالىٰ الإيمانَ في قلبِ المؤمنِ[4] فقال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥] [٥٢/ب].

معنىٰ قولهِ تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أنَّه هادي أهلِ السماوات

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين (١٣)، ويأتي مع الحديث السابق، وتعليقًا من الحسن عليه.

(٢) يذكر في مصادر أنه الحارث بن مالك الأنصاري.

(٣) تعظيم قدر الصلاة (٧٩٦) بدون سند، وفيه: عرفت نفسي في الدنيا، المنتخب من مسند عبد بن حميد (٤٤٤)، شعب الإيمان (١٠١٠٧)، المعجم الكبير للطبراني (٣٣٦٧). وفي سندهم ابن لهيعة، المعروف بضعفه. وهو ما أفاده مخرجو الحديث، في مجمع الزوائد ٣٧٠/١ وغيره. وهو يشبه حديث معاذ، في حلية الأولياء ٢٤٢/١.

(٤) القول بأن المقصود به قلب المؤمن للحسن البصري ﷺ، كما أفاده التستري في تفسيره وغيره.

والأرض. ثمَّ شبَّهَ الهدايةَ في قلبِ المؤمنِ بالمشكاة، وهي الكوَّةُ التي لا منفذَ لها فيها مصباح.

وقيل: إنَّه مثَلٌ ضُرِبَ بقلبِ المؤمن، فالمشكاةُ صدره، والمصباحُ القرآنُ فيه، والزجاجةُ قلبه. رُويَ ذلك عن أُبيٍّ بن كعب، وقال: هو بين أربعِ خلال: إن أُعطيَ شكر، وإن ابتُليَ صبر، وإن حكمَ عدل، وإن قالَ صدق(١).

فإن سألَ سائلٌ عن هذه الزيادةِ في المعرفةِ والبلوغِ إلى درجةِ اليقين، هل ذلك هبةٌ مبتدأة، أو مكتسبةٌ بأسبابٍ هاديةٍ وطاعاتٍ موجبة؟

قيل: إنَّ هذه الدرجةَ في المعرفةِ واليقينِ لها أسبابٌ ترقى إليها، واهتداءٌ يوجبُ زيادتها، فإنَّ من عرفَ ووصلَ إلى الإيمانِ لزمَهُ المراقبةُ والاجتهاد، ولزومُ الرهبةِ والرغبة، وعرفَ عظمَ المعبودِ وجلاله، ولزمَهُ الحياءُ منه لما عرفَهُ من إنعامهِ عليه، وما يلزمهُ من شكرهِ وطاعته، وقصورِ غايةِ شكرهِ ووفائه، فزادَ بذلك معرفته، وتمَّتْ به حاله، فارتقَى إلى درجِ الخائفين، ولزمَ ذلك قلبه، فأورثَهُ ذلك الأُنسَ والمناجاة، فزادتْ معرفته، وقويَ يقينه، وقرَّبَهُ الله تعالى حين اجتهدَ وتعرَّف. وهذا معنى قولهِ ﷺ: «**يقولُ الله تعالى: من تقرَّبَ إليَّ ذراعاً تقرَّبتُ إليه** [٥٣/أ] **باعاً، ومن أتاني مشياً أتيتهُ هرولة**»(٢).

ومعنى ذلك أي: أقرِّبهُ وأُدنيه، وأؤنسهُ بمعرفتي، وألذِّذهُ بمناجاتي.

وقد روى عبدالله عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**استحيوا من الله حقَّ الحياء**»، قلنا: يا رسول الله، إنَّا نستحيي، قال: «**ليس ذلك، ولكن من استحيا من الله**

---

(١) تنظر الأقوال، مع قول أُبيّ، في تفسير الطبري، عند تفسير الآية.
(٢) متفق عليه. صحيح البخاري (٧٤٠٥)، صحيح مسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة.

حقَّ الحياءِ فليحفظِ الرأسَ وما حوَىٰ، ويحفظِ البطنَ وما وعَىٰ، وليذكرِ الموتَ والبِلَىٰ، ومن أرادَ الآخرةَ فليتركْ زينةَ الدنيا، فمن فعلَ ذلك فقد استحيا من الله حقَّ الحياء»[1].

ورُويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**الحياءُ شعبةٌ من الإيمان**»[2].

وقال أحمد بن أبي الحواري: قال أبو أحمد الخوَّاص: إنَّ العُبَّادَ عملوا لله علىٰ أربعِ خِلال: علىٰ الخوف، والرَّجاء، والتعظيم، والحياء، فأشرفُها منزلةً الحياءُ من الله تعالىٰ، فلمَّا علموا أنَّ الله يراهم علىٰ كلِّ حالٍ اجتزوا برؤيتهِ إيَّاهم من رؤيتهم إيَّاه، وقالوا: سواءٌ علينا رأيناهُ أو رآنا، فكان الحاجزَ لهم عن معاصيهِ الحياءُ منه[3].

وقيلَ لداود الطائي[4]: لو صعدتَ إلىٰ السطحِ باللَّيل؛ فإنَّ النَّاسَ ينسلخون حرًّا، فقال: إنِّي لأستحيي من ربِّي أن أخطوَ خطوةً يَعلَمُ من قلبي أنِّي أردتُ بها الراحةَ لبدني، حتَّىٰ يكونَ ربِّي هو الذي يُخرجني من سجنِ الدنيا إلىٰ روحِ الآخرة[5].

---

(١) مسند أبي يعلىٰ (٥٠٤٧) وذكر محققه حسين أسد أن إسناده ضعيف، المعجم الكبير (١٠٢٩٠)، والصغير (٤٩٤)، مسند أحمد (٣٦٧١)، سنن الترمذي (٢٤٥٨) وحسنه له الألباني، كما حسنه في صحيح الجامع (٩٣٥).

(٢) متفق عليه. صحيح البخاري (٩)، صحيح مسلم (٣٥). وهو جزء من حديث.

(٣) ربيع الأبرار ١٣٨/٢.

(٤) أبو سليمان داود بن نصير الطائي. سمع الفقه وتفقه، ثم اشتغل بالتعبد. وكان يجالس أبا حنيفة. أسند عن جماعة من التابعين، وتوفي سنة ١٦٥ هـ في خلافة المهدي. صفة الصفوة ١٣١/٣.

(٥) فضائل أبي حنيفة وأخباره (٥٤٣)، وأورده مختصرًا في حلية الأولياء ٣٥٤/٧.

وكانت أمُّ عطاءٍ من المتعبِّدات، وكانت تقول: إنِّي [٥٣/ب] أستحيي من الله تعالىٰ أن أضعَ يدي تحت رأسي في كمِّي إذا أردتُ النَّوم؛ مخافةَ أن تجدَ نفسي لينَ ثيابي فتستريحَ إلىٰ ذلك وأنا أدَّعي الشوقَ إلىٰ الله تعالىٰ.

وروتْ عائشةُ قالت: كان نبيُّ الله ﷺ يقول: «**مكارمُ الأخلاقِ عشرةٌ تكونُ في الرَّجل: صدقُ الحديث، وصدقُ البأس**[1]**، وإعطاءُ السائل، والمكافأةُ بالصنائع، وحفظُ الأمانة، وصلةُ الرَّحم، والتذمُّمُ للجار، والتذمُّمُ للصاحب، وإقراءُ الضَّيف، ورأسُهنَّ الحياء**»[2].

والحياءُ ـ عافاكَ الله ـ إنَّما يكونُ من المتذكِّرين، فإذا شاهدَ القلبُ استحيا كما يستحيي ممَّن يراهُ ببصره، فإذا عدمَ التذكُّرَ فقد زالتْ في حقِّه المشاهدةُ بالبصرِ والقلب، فلم يَجدِ الحياء، فقسا القلبُ، وأقدمَ علىٰ المعاصي. عصمنا الله وإيَّاكَ من ذلك.

فَصْلٌ
في بيانِ قولهِ تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾

[البقرة: ١٥٢]

قالَ سعيد بنُ جبير: اذكروني بطاعتي أَذكرْكُم برحمتي.

(١) في الأصل «الياس»، وهو كذلك في فوائد تمام (١٧٧٠). ويرد في بعض المصادر «الناس»، و «الباء».

(٢) شعب الإيمان (٧٣٢٣)، المؤتلف والمختلف للدارقطني (باب الثاء) ٣٢١/١. وذكر الألباني أنه ضعيف جدًّا، في السلسلة الضعيفة (٧١٩)، وفي ضعيف الجامع (٥٢٦٧). وتذمَّم لفلان: حفظ ذمَّته: عهدَه وحُرمته.

وقالَ آخر: أَثنُوا عليَّ بنعمتي أُثنِ عليكم بطاعتي.

وقيلَ أيضاً: اذكروني بالشكرِ أَذكرْكُم بالثواب.

وقيل: اذكروني بالدعاءِ أَذكرْكُم بالإجابة(١).

والذِّكر: حضورُ المعنى النَّفسَ، سواءٌ كان بالقلبِ أو بالقول. ويستعملُ بعد النِّسيان، وليس ذلك لازماً فيه، وإذا حضرَ المعنى النَّفسَ فقد ذكره(٢).

وقد تقدَّمَ فيما مضى أنَّ المراقبةَ والخوفَ والحياءَ [٥٤/أ] إنَّما يكونُ مبدؤهُ الذِّكرَ وحضورَ النَّفسِ المعنى، فإذا ذكرَهُ عرفه، وإذا عرفَهُ استحيا منه وراقبه، فكان الأمرُ بالذِّكر لأنَّه مبدأُ المعرفة.

ثمَّ حثَّ عليه سبحانهُ فذكرَ جزاءه، وسمَّاهُ باسمِ الذِّكر، فكان ذلك شرفاً للذَّاكرين، حيثُ جعلَ في مقابلةِ ذكرِهم له ذكرَهُ إيَّاهم، وإن كان المعنى مختلفاً، وإنَّما سمَّاهُ ذكراً لأنَّه جزاءُ الذِّكر.

وقالَ الله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

ورُويَ عن النَّبيِّ ﷺ، **أنَّه كان لا يتركُ ذكرَ الله تعالى على جميعِ أحيانه**(٣).

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ١/٣٦٠.

(٢) التفسير البسيط للواحدي ٣/٤١٩.

(٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه. صحيح مسلم (٣٧٣). وتعني في حال الجنابة وغيرها. ينظر تفصيله في شرح النووي على مسلم ٤/٦٨.

ورويَ عنه ﷺ أنَّه قال: **«ذاكرُ اللهِ في الغافلين كشجرةٍ خضراءَ بين شجرٍ يابس»**(١).

وحُكيَ عن الحسن البصريِّ أنَّه قال، فيما رواهُ عنه أبو عُبيد في الغريب: حادِثوا هذه القلوبَ بذكرِ الله تعالىٰ، فإنَّها سريعةُ الدثور، واقدَعوا هذه الأنفسَ فإنَّها طُلَعة(٢).

قوله: سريعةُ الدثور، يعني دروسَ ذكرِ الله فيها، يقالُ للمنزلِ إذا عفا ودَرَس: قد دَثَر. وقوله: واقدَعوا هذه النُّفوس: يعني كفُّوها وامنعوها، كما تُقدَعُ الدَّابَّة باللِّجام إذا كبحها. وقوله: فإنَّها طُلَعَة، قالَ(٣) الأصمعي: طلعة، يعني التي تُكثِرُ الاطِّلاع والاختباء.

روىٰ حذيفةُ قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا أخذَ مضجعَهُ من اللَّيل، وضعَ يدَهُ علىٰ خدِّه ثمَّ قال: **«اللَّهمَّ باسمِكَ أموتُ وأحيا»**، وإذا [٥٤/ب] استيقظَ قال: **«الحمدُ لله الذي أحيانا بعدَما أماتَنا وإليهِ النُّشور»**(٤).

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥٦١)، وأورده النووي في خلاصة الأحكام ٦٠١/١، مشيرًا إلىٰ ضعفه. وبلفظ «ذاكر الله في الغافلين كالشجرة في وسط الهشيم» ذكره الغزالي في الإحياء ٢٩٤/١، وضعفه الحافظ العراقي.

(٢) أورده له في لسان العرب ٢٧٦/٤ مع شرح أبي عبيد للقول، كما أورده القاسم بن سلام في غريب الحديث ٤٥٩/٤.

(٣) في الأصل: وقال.

(٤) رواه الشيخان وغيرهما، صحيح البخاري (٦٣٢٥) وفيه وفي مصادر أخرىٰ عديدة «تحت خده». صحيح مسلم (٢٧١١). ويأتي في مصادر أخرىٰ «علىٰ خده» من رواية حذيفة نفسه، مثل شعب الإيمان (٤٣٨٣)، وعمل اليوم والليلة لابن السني (٧٠٧). وفي بعضها الآخر لا يذكر.

رویٰ أبو هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إذا اضطجعَ أحدُكم فليقل: باسمِكَ اللَّهمَّ ربِّي وضعتُ جنبي، وبكَ أرفعه، فإن أمسكتَ نفسي فارحمها، وإن أرسلتَها فاحفظها بما تحفظُ به عبادكَ الصَّالحين، فإذا استيقظَ فليقل: الحمدُ لله الذي عافاني في جسدي، وردَّ إليَّ روحي، وأذنَ لي بذكره**»[1].

ورویٰ أبو هريرة، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**من قالَ حين يُصبح: لا إله إلَّا الله وحدَهُ لا شريكَ له، له الملك، وله الحمد، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير، عشرَ مرَّات، كتبَ الله له مئةَ حسنة، ومحَا عنه بها مئةَ سيِّئة، وكان كعَدْلِ رقَبة، وحُفِظَ بها يومَهُ حتَّىٰ يُمسي. ومن قالَ مثلَ ذلك حين يُمسي، كان له مثلُ ذلك**»[2].

رویٰ أبو هريرة أنَّ أبا بكر الصِّدِّيقَ قال للنَّبيِّ ﷺ: علِّمني شيئاً أقولهُ إذا أصبحتُ وإذا أمسيت، قال: «**قلْ إذا أصبحتَ، وإذا أمسيت، وإذا أخذتَ مضجعك: اللَّهمَّ عالمَ الغيبِ والشَّهادة، فاطرَ السَّماواتِ والأرض، ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكَه، أشهدُ أن لا إله إلَّا أنت، أعوذُ بك من شرِّ نفسي، وشرِّ الشَّيطانِ وشِركه**»[3].

ورویٰ أبَان بنُ عثمان بنِ عفَّان عن أبيه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**من**

---

(١) سنن الترمذي (٣٤٠١) وحسَّنه، وفيه «وردَّ عليَّ روحي». كما حسَّنه في صحيح الجامع (٧١٦).

(٢) مسند أحمد (٨٧١٩) وذكر الشيخ شعيب أن إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين. كما ذكر الحافظ الهيثمي في تخريجه في مجمع الزوائد ١٠/١١٥ أن رجاله رجال الصحيح. وهو في السلسلة الصحيحة (١١٣). وهو عند البخاري بألفاظ متقاربة (٣٢٩٣).

(٣) مسند أحمد (٥١) وذكر الشيخان شاكر وشعيب أن إسناده صحيح، ورواه الترمذي في السنن (٣٣٩٢) وقال: حسن صحيح.

قالَ حين يُصبح: بسمِ اللهِ الذي لا يضرُّ مع اسمِهِ شيءٌ في الأرضِ ولا في السَّماءِ وهو [٥٥/أ] **السَّميعُ العليم، ثلاثَ مرَّات، لم تَفجأْهُ فاجئةُ بلاءٍ حتَّىٰ يُمسي، ومن قالَها حين يُمسي لم تَفجأْهُ فاجئةُ بلاءٍ حتَّىٰ يُصبح، إن شاءَ الله»**(١).

وإنَّ أبان بنَ عثمان لمَّا أصابه، فقيلَ له: فأين ما كنتَ تحدِّثنا؟ فقال: إنِّي والله ما كَذَبتُ ولا كُذبت، ولكنَّ الله إذا أرادَ أن يبتليَني بالذي ابتلاني به أنساني ذلك الدعاء(٢).

ورویٰ شدَّاد بنُ أوس قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

«من قالَ إذا أصبح: اللَّهمَّ أنت ربِّي لا إله إلَّا أنت، خلقتَني وأنا عبدُك، وأنا علىٰ عهدِكَ ووعدِكَ ما استطعت، أعوذُ بكَ من شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لكَ بنعمتِكَ عليَّ، وأبوءُ بذنبي، فاغفرْ لي، إنَّه لا يغفرُ الذُّنوبَ إلَّا أنت. فماتَ مِن يومه، غُفِرَ له، وإذا أمسَىٰ قالَ مثلَ ذلك»(٣).

ورویٰ أبو هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقولُ إذا أصبح: **«اللَّهمَّ بكَ أصبحنا، وبكَ أمسينا، وبكَ نحيا، وبكَ نموت، وإليكَ النُّشور»**، ويقولُ إذا أمسىٰ: **«اللَّهمَّ بكَ أمسينا، وبكَ أصبحنا، وبكَ نحيا، وبكَ نموت، وإليكَ المصير»**(٤).

---

(١) مسند أحمد (٥٢٨) وحسَّنه الشيخ شعيب، وصححه شاكر، صحيح ابن حبان (٨٥٢) وصحح إسناده الشيخ شعيب.

(٢) قال ذلك حينما أصابه الفالج ﵀. تنبيه الغافلين للسمرقندي ص ٥٤٦.

(٣) السنن الكبرىٰ للنسائي (١٠٤٣٢)، وعمل اليوم والليلة له (٥٨١). وأصل الحديث في الصحيح وغيره. كما في البخاري (٦٣٠٦)، ولكن ليس بلفظ المؤلف كله، بل يأتي أوله: «سيد الاستغفار...».

(٤) سنن الترمذي (٣٣٩١) وحسَّنه، سنن ابن ماجه (٣٨٦٨)، سنن أبي داود (٥٠٦٨)، وصححه الألباني لهم.

وروىٰ أيضاً أبو هريرة، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**من قالَ حين يصبحُ وحين يُمسي: سبحان الله وبحمدهِ مئةَ مرَّة، لم يأتِ أحدٌ يومَ القيامةِ بأفضلَ ممَّا جاءَ به، إلَّا أحدٌ قالَ ما قال، أو زادَ عليه**»(١).

فَصْلٌ

في بيانِ قولهِ تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾

[المؤمنون: ١ ـ ٢]

اعلمْ ـ وفَّقكَ الله لرشدِكَ ـ أنَّ الصَّلاةَ هي [٥٥/ب] ذكرُ الله تعالىٰ، وقد سمَّاها الله تعالىٰ ذكراً، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٩١].

روىٰ عمران بنُ حصين عن النَّبيِّ ﷺ في تفسيرِ ذلك أنَّه قال: «**صلِّ قائماً، فإن لم تستطعْ فقاعداً، فإن لم تستطعْ فعلَىٰ جَنب**»(٢).

وقالَ تعالىٰ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤].

ثمَّ وصفَ سبحانهُ صلاتَهم بالخشوع، والخشوع: هو الخضوعُ والتذلُّلُ والخوف، وإنَّما يكونُ الخضوعُ والتذلُّلُ والخوفُ مع التذكُّر، ولا يوجدُ مع الغفلةِ والسهوِ والاشتغالِ بحديثِ النَّفسِ في أمورِ الدُّنيا، قالَ الله سبحانه: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٩٢).

(٢) تفسير الذكر بالصلاة هنا يأتي من قول ابن مسعود رضي الله عنه، كما في الدر المنثور للسيوطي ٢/ ٤٠٨ وغيره. أما الحديث فيرويه عمران لما كان به من البواسير، كما في صحيح البخاري (١١١٧).

واعلمْ أنَّه ليس الغرضُ من الصَّلاةِ أفعالَ الأبدانِ والأذكارَ باللسان، وإنَّما الغرضُ الذِّكرُ بالقلبِ والخشوع، وإنَّما أفعالُ الأبدانِ تُرادُ للمعونةِ على الذِّكرِ وحضورِ القلب، والأذكارُ أيضاً تُرادُ لحضورها، والتصوُّرِ لمذكورها. وخفَّفَ الله تعالىٰ عن المؤمنين، حيثُ لم يكلِّفهمْ تصوُّرَ الإيمانِ في جميعِ أزمانهم، وإنَّما ألزمَهم ذلك في حالِ صلاتِهم، فمعلومٌ أنَّ النائمَ والغافلَ له حكمُ الإيمان، وأمَّا وجودهُ منه فغيرُ حاصل، وإنَّما كُلِّفَ ذلك في حالِ الصَّلاة، ولهذا سمَّاها الله تعالىٰ إيماناً، فقالَ تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡ﴾ [البقرة: ١٤٣]. [٥٦/أ]

قيلَ في التفسير: صلاتَكم إلىٰ بيتِ المقدس(١).

وجرتِ الصَّلاةُ مجرَىٰ الإيمان، فإنَّ غيرَها لا يقومُ مقامَها، ولا يدخلُها نيابة، بخلافِ بقيَّةِ العبادات، فإنَّ الزكاةَ تدخلُها النيابة. وكذلك الحجُّ والصَّومُ ينوبُ عنه الإطعام، ولا يُقتَلُ بتركِ شيءٍ من ذلك سوىٰ الصَّلاة، كما يُقتَلُ بتركِ الشَّهادتين(٢).

ولا يسقطُ فعلُها عنه مع بقاءِ عقلِهِ وطهارته. فصارَ محلُّها محلَّ الإيمان.

والإيمانُ اعتقادٌ وتذكُّر، كذلك الصَّلاة؛ فالمصلِّي متوجِّهٌ إلىٰ الله سبحانه، وقائمٌ بين يديه، ومقبلٌ إليه. وقد جاءَ في الحديث: «**إنَّ العبدَ إذا أقبلَ علىٰ صلاتِهِ أقبلَ الله عليه، فإذا التفتَ أعرضَ عنه**»(٣).

---

(١) تفسير القرطبي ٥٩/١٦، تفسير البغوي ١٧٧/١، تفسير النسفي ١٣٩/١.

(٢) له تفصيل في المذاهب، والمؤلف شافعي، وقد قال القاضي حسين في التعليقة ٣٣٣/١: تارك الصلاة يقتل، وتارك الصوم لا يقتل. اهـ. وأصله حديث مشهور.

(٣) أخرجه البغوي في شرح السنة (٧٣٣) من رواية أبي ذر، وقال: صالح بن أبي الأخضر=

وقد قالَ ﷺ: «**صلِّ كأنَّكَ تراه، فإن لم تكُ تراهُ فإنَّه يراك**»(١).

وقالتْ عائشة رضي الله عنها: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن الالتفاتِ في الصَّلاة، فقال: «**خِلسةٌ يختلسُها الشَّيطانُ من صلاةِ أحدِكُم**»(٢).

وهذا الالتفاتُ إنَّما هو تركُ الإقبالِ على الصَّلاة، فأُمِرَ بالقيامِ متوجِّهاً إلى القِبلةِ ليَعلمَ أنَّه قاصدٌ إلى عبادةِ ربِّه، وأُمِرَ بنيَّةِ التعبُّد، ثمَّ يبتدئها بذكرِ الله تعالى بالتكبير، فإذا تصوَّرَ معنى التكبيرِ لأنَّه تعظيمٌ لله، وشهادةٌ له بالقِدَم؛ اقتضَى ذلك وجودَ الهيبةِ والتعظيم.

وشُرِعَ لها دعاءُ الاستفتاحِ والتضرُّعَ بالتوجُّهِ [٥٦/ب] بقوله: «**وجَّهتُ وجهيَ للذي فطرَ السماواتِ والأرض، حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، إنَّ صلاتي ونُسكي ومحياي ومماتي لله ربِّ العالمين**»(٣).

= ضعيف، يروي عن الزهري، وروى هذا الحديث عبد الله بن المبارك وغيره عن يونس، عن الزهري. كما ضعفه الألباني في تخريج أحاديث مشكاة المصابيح (٩٥٤)، وضعفه كذلك لأبي داود (٩٠٩) بألفاظ متقاربة في ضعيف سننه، لكن صححه لغيره الشيخ شعيب في تخريج أحاديثه. وهو في ضعيف الجامع (٦٣٤٥). ومن رواية جابر أورده ابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة ٤١٩ وصححه.

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٤٤٢٧)، والشهاب القضاعي في المسند (٩٥٢). وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة مقويًّا إياه بالطرق، كما صححه في صحيح الجامع (٣٧٧٦). وهو من رواية ابن عمر.

(٢) سألت عائشة رضي الله عنها النبيَّ ﷺ عن التفاتِ الرَّجلِ في الصَّلاةِ، فقال: «هو اختِلاسٌ يَختَلِسُ الشَّيطانُ من صلاةِ أحدِكُم». صحيح البخاري (٣٢٩١). ويأتي بألفاظ أخرى متقاربة، وهو في صحيح الجامع (٧٠٤٧).

(٣) صحيح مسلم (٧٧١)، صحيح ابن خزيمة (٤٩٩)، صحيح ابن حبان (١٧٧٢) من رواية علي بن أبي طالب في حديث طويل.

ويتعوَّذُ من الشَّيطان؛ لأنَّ الشَّيطانَ يناصبهُ في صلاته، لما فيها من قربتهِ إلىٰ ربِّه؛ ليفسدَها عليه؛ حسداً له علىٰ ذلك، وكلُّ أحدٍ يعلمُ أنَّه يَعرضُ له في صلاتهِ من حديثِ النَّفس، وتذكُّرِ أحوالِ الدنيا وأمورِهِ فيها ما لا يَعرضُ له خارجَها، وما ذلك إلَّا لمناصبةِ الشَّيطانِ فيها، ويعلمُ الإنسانُ تكرُّرَ ذلك منه في كلِّ صلاة، وإذا اشتغلَ بغيرِ الصَّلاةِ لا يجدُ في نفسهِ ممَّا يحدِّثُ به في الصَّلاةِ شيئاً.

ثمَّ يقرأُ فاتحةَ الكتاب، وهي تشتملُ علىٰ حمدِ الله والثَّناءِ عليه، والدُّعاء، وكلُّ نوعٍ من ذلك فإنَّما يتمُّ بالقصدِ إليه.

روىٰ أبو هريرةَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**يقولُ الله تعالىٰ: قَسمتُ الصَّلاةَ بيني وبين عبدي نصفَين، نصفُها لي، ونصفُها لعبدي، ولعبدي ما سأل، يقولُ العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾** [الفاتحة: ٢]**، فيقولُ الله تعالىٰ: حمدني عبدي، ويقولُ العبد: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾** [الفاتحة: ٣]**، فيقولُ الله تعالىٰ: أثنىٰ عليَّ عبدي، ويقولُ العبد: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾** [الفاتحة: ٤]**، فيقولُ الله تعالىٰ: مجَّدني عبدي، ويقولُ العبد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** [الفاتحة: ٥]**، فيقولُ الله سبحانه: هذه بيني وبين عبدي،** [٥٧/أ] **أوَّلُها لي، وآخرُها لعبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾** [الفاتحة: ٦] **إلىٰ آخرِ السُّورة، فيقولُ الله تعالىٰ: هذه لعبدي، ولعبدي ما سأل**»[(١)].

واعلمْ ـ وفَّقكَ الله ـ أنَّ من لم يعلمْ معنىٰ الحمدِ والثَّناء، متصوِّراً له،

---

(١) لفظه موافق لما رواه القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص ٢٢٣، وهو بألفاظ مقاربة في صحيح مسلم (٣٩٥)، وصحيح ابن حبان (١٧٨٤) وصحح محققه إسناده علىٰ شرط مسلم، ومسند أحمد ٢٣١/١٤ وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر.

لا يكونُ بلفظهِ حامداً ولا مثنياً، وكذلك الدعاء، إن لم يكنْ قاصداً إليه، متضرِّعاً فيه، لا يكونُ سائلاً ولا راغباً، ألا ترىٰ إلىٰ قولهِ تعالىٰ: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾؟ [الأعراف: ٥٥].

وحُكيَ أنَّ الله تعالىٰ أوحَىٰ إلىٰ داودَ عليه السلام: لا تَدعُني غفلةً فأجيبكَ سخطاً.

وفاتحةُ الكتابِ سورةٌ معظَّمة، قالَ الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].

روىٰ أبو هريرةَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال، وقد قرأَ عليه ـ أي أمَّ القرآن ـ: «**والذي نفسي بيده، ما في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزَّبور، ولا في الفرقان، مثلُها، إنَّها السَّبعُ المثاني والقرآنُ العظيمُ الذي أُوتينا**»[(١)].

تفكَّرْ أيضاً فيما تقرؤهُ بعد الفاتحة، فإن كان حمداً وثناءً قصدَ ذلك به، وإن كان وعداً سأله، أو وعيداً استعاذَ منه، وإن كان آيةً تفكَّرَ فيها، أو خبراً صدَّقَهُ وآمنَ به.

ثمَّ ركع، والركوعُ خضوعٌ بالفعل، يحتاجُ إلىٰ خضوعِ القلبِ وخشوعهِ وتسبيحه، وكذلك في سجوده، ويُكثرُ فيه من الدعاء، فقد رُويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أمَّا الرُّكوعُ فعظِّموا** [٥٧/ب] **فيه الرَّبَّ، وأمَّا السجودُ فأكثروا فيه من الدُّعاء، فقَمِنٌ أن يُستجابَ لكم**»[(٢)].

---

(١) مسند أحمد (٨٦٨٢)، وصحح محققه إسناده، لكن آخره فيه «الذي أُعطيت». ويأتي في رواية أبي سعيد بن المعلىٰ: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته». صحيح البخاري ٤٤٧٤.

(٢) صحيح مسلم (٤٧٩) من رواية ابن عباس رضي الله عنهما.

يقال: قَمِنٌ وقَمَنٌ، بكسرِ الميمِ وفتحها، ومعناه: فأحرىٰ أن يُستجابَ لكم.

ورویٰ أبو هريرةَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**أقربُ ما يكونُ العبدُ من ربِّهِ** ﷻ **وهو ساجد، فأكثِروا الدُّعاء**»[1].

وروتْ عائشةُ قالت: كان رسولُ الله ﷺ يكثرُ أن يقولَ في ركوعهِ وسجوده: «**سبحانكَ اللَّهمَّ ربَّنا وبحمدك، اللَّهمَّ اغفرْ لي**» يتأوَّلُ القرآن[2].

ورویٰ أبو هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقولُ في سجوده: «**اللَّهمَّ اغفرْ لي ذنبي كلَّه، دِقَّهُ وجِلَّه، وأوَّلَهُ وآخِرَه**»[3].

وروتْ عائشةُ قالت: فقدتُ النَّبيَّ ﷺ ذاتَ ليلة، فلحقتهُ في السَّحَر، فإذا هو ساجد، وقدماهُ منصوبتان، وهو يقول: «**أعوذُ برضاكَ من سَخَطِك، وأعوذُ بمعافاتِكَ من عقوبتك، وأعوذُ بكَ منك، لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ علىٰ نفسك**»[4].

ورویٰ عقبة بنُ عامر قال: لمَّا نزلَ قولهُ تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤] قالَ ﷺ: «**اجعلوها في ركوعِكم**»، ولمَّا نزلَ قولهُ تعالىٰ:

---

(١) صحيح مسلم (٤٨٢).

(٢) صحيح البخاري (٧١٨)، صحيح مسلم (٤٨٤). وتعني ﵂ بتأويله ﷺ القرآن، ما ورد في آخر سورة النصر: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُ﴾.

(٣) صحيح مسلم (٤٨٣).

(٤) صحيح مسلم (٤٨٦)، صحيح ابن حبان (١٩٣٣)، صحيح الجامع (١٢٨٠). مع اختلاف ألفاظ.

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] قال: «**اجعلوها في سجودِكم**»(١).

وروىٰ أبو داود في سننهِ بإسنادِهِ عن عوف بنِ مالك الأشجعيِّ قال: قمتُ مع رسولِ الله ﷺ [٥٨/أ] ليلة، فقام، فقرأ سورةَ البقرة، لا يمرُّ بآيةِ رحمةٍ إلَّا وقفَ فسأل، ولا يمرُّ بآيةِ عذابٍ إلَّا وقفَ فتعوَّذ، قال: ثمَّ ركعَ بقدرِ قيامه، يقولُ في ركوعه: «**سبحانَ ذي الجبروتِ والملَكوتِ والكبرياءِ والعظَمة**»، ثمَّ يسجدُ بقدرِ قيامه، ثمَّ قالَ في سجودهِ مثلَ ذلك، ثمَّ قامَ فقرأَ بآلِ عمران، ثمَّ قرأ سورةً سورةً(٢).

وروىٰ أيضاً أبو داود بإسنادِهِ عن حذيفة، أنَّه رأىٰ رسولَ الله ﷺ يصلِّي من اللَّيل، فكان يقول: «**الله أكبر (ثلاثاً)، ذو الملكوتِ والجبروتِ والكبرياءِ والعظمة**»، ثمَّ استفتحَ فقرأَ البقرة، ثمَّ ركع، فكان ركوعهُ نحواً من قيامه، فكان يقولُ في ركوعه: «**سبحانَ ربِّيَ العظيم**»، ثمَّ رفعَ رأسَهُ من الرُّكوع، فكان قيامهُ نحواً من قيامه، يقول: «**لربِّيَ الحمد**»، ثمَّ سجد، فكان سجودهُ نحواً من قيامه، وكان يقولُ في سجوده: «**سبحانَ ربِّيَ الأعلىٰ**»، ثمَّ رفعَ رأسَهُ من السجود، وكان يقعدُ فيما بين السَّجدتين نحواً من سجوده، وكان يقول: «**ربِّ اغفرْ لي، ربِّ اغفرْ لي**»، فصلَّىٰ أربعَ ركعات، فقرأ فيهنَّ البقرة، وآلَ عمران، والنِّساء، والمائدة، أو الأنعام، شكَّ شعبة(٣).

---

(١) سنن أبي داود (٨٦٩) وحسّن الشيخ شعيب إسناده، كما ذكر أن إسناده محتمل للتحسين في مسند أحمد (١٧٤١٤)، مسند أبي يعلىٰ (١٧٣٨) وحسن محققه الأستاذ سليم أسد إسناده أيضًا. وآخرون يضعفون الحديث من أجل (إياس) في السند، وقد عرّفه الشيخ شعيب.

(٢) سنن أبي داود (٨٧٣) وذكر محققه شعيب الأرناؤوط أن إسناده قوي، كما قوّىٰ إسناده في مسند أحمد (٢٣٩٨٠).

(٣) سنن أبي داود (٨٧٤) وذكر محققه الشيخ شعيب أنه حديث صحيح.

وقد روىٰ مطرِّف بنُ عبدالله بنِ الشِّخِّير عن أبيه قال: انتهيتُ إلىٰ رسولِ الله ﷺ وهو يصلِّي ولجوفهِ أزيزٌ كأزيزِ المرجَل، يعني من البكاء[1].

وروىٰ أبو عبيد [٥٨/ب] بإسنادهِ عن حُمْران[2] بنِ أَعْيَن قال: سمعَ رسولُ الله ﷺ رجلاً يقرأ: ﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ۝١٢ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا﴾ [المزمِّل: ١٢ ـ ١٣]، قال: **فصعقَ رسولُ الله ﷺ**[3].

وروي أيضاً عن الحسن قال: قرأ عمر بنُ الخطاب رضي الله عنه: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ﴾ [الطور: ٧ ـ ٨]، فربا لها ربوةً عِيدَ منها عشرين يوماً[4].

وروىٰ عبيد بن عمير[5] قال: صلَّىٰ بنا عمر بنُ الخطَّاب رضي الله عنه صلاةَ الصُّبح، فافتتحَ سورةَ يوسف، فقرأها، حتَّىٰ إذا بلغَ ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ﴾ [يوسف: ٨٤] بكىٰ حتَّىٰ انقطع، فركع.

ورويَ في هذا الحديثِ أنَّه انتهىٰ إلىٰ قولهِ تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي

---

(١) مسند أحمد (١٦٣١٧) وذكر محققه أن إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.
والأزيز: خنين من الخوف، وهو صوت البكاء. وقيل: هو أن يجيش جوفه ويغلي بالبكاء.
والمرجل: الإناء الذي يُغلىٰ فيه الماء. النهاية في غريب الحديث ١/٤٥، ٤/٣١٥.

(٢) في الأصل: عمران.

(٣) حمران يرويه عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي، كما في شعب الإيمان (٨٨٩)، وذكر البيهقي أنه مرسل (وهو من أنواع الضعيف)، فأبو حرب ووالده لم يلقيا رسول الله ﷺ. الكامل في الضعفاء ٣/٣٦٧، وذكر في نهاية ترجمة حمران أنه غريبُ الحديث ممن يكتب حديثه.

(٤) فضائل القرآن للقاسم بن سلام ص ١٣٦، تفسير ابن كثير ٧/٤٣٠، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٧/٦٣١.

(٥) في الأصل: عقبة بن عمير. والمثبت من المصدرين، وغيرهما.

وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [يوسف: ٨٦]، فبكى، حتَّى سُمِعَ نشيجهُ من وراءِ الصُّفوف[١].

وروي عن تميم الدَّاريِّ[٢]، أنَّه أتى المقامَ ذاتَ ليلة، فقام يصلِّي، فافتتحَ السُّورةَ التي يُذكَرُ فيها الجاثية، فلمَّا أتى على هذه الآية: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١]، فلم يزلْ يردِّدُها حتَّى أصبح[٣]!

ورويَ عن عبدالله بن مسعود أنَّه صلَّى ليلة، فلم يزلْ يردِّدُ آيةً حتَّى أصبح. قالَ ابنُ عون: بلغني أنَّ الآية: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[٤] [طه: ١١٤].

ورويَ عن عامر بنِ عبد قيس[٥] أنَّه قرأَ ليلةً من سورةِ المؤمن، فلمَّا انتهى إلى قولهِ تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ﴾ [غافر: ١٨]، [٥٩/أ] فلم يزلْ يردِّدُها حتَّى أصبح[٦].

ورُويَ عن أسماء بنتِ أبي بكر رضوانُ الله عليهما، أنَّها افتتحتْ سورةَ

(١) الرقة والبكاء لابن قدامة ص ١٦٥، وفي حلية الأولياء ١/٥٢: عن ابن عمر: صليت خلف عمر فسمعت خنينه من وراء ثلاثة صفوف.

(٢) تميم بن أوس الداري اللخمي، الصحابي الجليل، أسلم سنة تسع. وكان عابدًا، تلّاء لكتاب الله. سير أعلام النبلاء ٢/٤٤٢.

(٣) تاريخ الإسلام ٢/٣٤٤.

(٤) المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بكتاب الله العزيز ١/١٩٦.

(٥) عامر بن عبدالله، المعروف بابن عبد قيس العنبري. تابعي، ذكر أبو نعيم أنه أول من عُرف بالنسك واشتهر من عبّاد التابعين بالبصرة. مات في بيت المقدس نحو سنة ٥٥ هـ. حلية الأولياء ٢/٩٤، صفة الصفوة ٣/٢٠١.

(٦) المرشد الوجيز ١/١٩٦.

الطور، فلمَّا انتهتْ إلىٰ قولهِ تعالىٰ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧] فلم تزلْ تكرِّرُها وهي في الصلاة[١].

ورويَ عن سعيد بنِ جبير[٢] أنَّه كان يردِّدُ هذه الآية: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١] نيِّفًا وعشرين مرَّة[٣]!

ورويَ عنه أنَّه قرأ بمكَّةَ في نافلة: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾، فلم يزل بها حتَّىٰ نادىٰ منادي السَّحَر[٤].

قالَ أيَّدهُ الله: فقد بانَ لكَ ـ وفَّقكَ الله ـ أنَّهم آثروا قراءةَ آيةٍ واحدةٍ مع التَّذكُّرِ والتخضُّعِ والخشوع، علىٰ تلاوةِ كثيرةٍ من القرآن، وإنَّما ردَّدوا الآيةَ لحصولِ التذكُّرِ بها، فلم يؤثِروا أن ينتقلوا عنها خوفَ زوالِ خشوعِهم وذكرهم.

وممَّا يدعو إلىٰ التذكُّرِ والخشوعِ قراءةُ القرآنِ بالبيانِ والتثبُّتِ والترتيل، وقد أمرَ الله تعالىٰ بذلك، قالَ الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمّل: ١ ـ ٤]، وقالَ تعالىٰ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) سعيد بن جبير الوالبي الكوفي المقرئ، الفقيه المفسر، أحد الأعلام. قتله الحجاج وله نحو خمسين سنة، سنة ٩٥ هـ. وهو ثقة ثبت. العبر ١/٨٤، تقريب التهذيب ٢٣٤.

(٣) الزهد لأحمد (٢١٦٥)، المرشد الوجيز ١/١٩٦. وورد في الأصل: نيف وعشرين.

(٤) فضائل القرآن للقاسم بن سلام ص ١٤٨، المرشد الوجيز ١/١٩٧. ويعني سورة الانفطار، كما يفهم من المصدرين.

وروىٰ يعلىٰ بن مَمْلَكٍ[1] عن أمِّ سلمة، أنَّها نعتتْ قراءةَ رسولِ الله ﷺ قراءةً مفسَّرةً حرفاً حرفاً[2].

وروَىٰ ابنُ أبي مليكة [٥٩/ب] عن أمِّ سلمةَ قالت: **كان رسولُ الله ﷺ يقطِّعُ قراءته:** ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ③ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾[3] [الفاتحة: ١ ـ ٤].

وروىٰ إبراهيم قال: قرأَ علقمةُ[4] علىٰ عبدالله، فكأنَّه عجَّل، فقالَ عبدالله: فداكَ أبي وأمِّي، رتِّل، فإنَّه زينُ القرآن. قال: وكان علقمةُ حسنَ الصَّوت[5].

وروىٰ أيُّوب عن أبي حمزة[6] قال: قلتُ لابن عباس: إنِّي سريعُ القراءة، وإنِّي أقرأُ القرآنَ في ثلاث، فقال: لأن أقرأَ البقرةَ في ليلةٍ فأدَّبرها وأرتِّلها، أحبُّ إليَّ من أن أقرأَ كما تقول[7]. وفي لفظٍ آخر: أحبُّ إليَّ من أن

---

(١) في الأصل «مملوك». وتصحيحه من المصادر.

(٢) السنن الكبرىٰ للنسائي (١٣٧٩)، سنن الترمذي (٢٩٢٣)، وضعفه لهما الألباني، صحيح ابن خزيمة (١١٨٥) وضعفه محققه الأعظمي، مسند أحمد (٢٦٥٢٦) وضعفه محققه كذلك.

(٣) سنن أبي داود (٤٠٠١)، سنن الترمذي (٢٩٢٧)، وصححه في صحيح الجامع (٥٠٠٠).

(٤) علقمة بن قيس النخعي الكوفي الفقيه، صاحب عبدالله بن مسعود، وكان يشبه به في هديه ودله وسمته. وكان غير واحد من الصحابة يسألونه ويستفتونه. ت ٦٢ هـ. العبر في خبر من غبر ١/٤٩.

(٥) فضائل القرآن للقاسم بن سلام ص ١٥٧، جمال القراء ص ٤١، المرشد الوجيز ص ١٤٩.

(٦) ويرد في بعض المصادر: أبو جمرة. قال ابن معين: أبو جمرة وأبو حمزة رويا عن ابن عباس، فأبو جمرة الضبعي: نصر بن عمران، وأبو حمزة: عمران بن أبي عطاء واسطي ثقة. سير أعلام النبلاء ٥/٢٤٣.

(٧) أخلاق حملة القرآن ص ١٦٩، فضائل القرآن للقاسم بن سلام ص ١٥٧، المرشد الوجيز ص ١/١٩٧.

أقرأَ القرآنَ أجمعَ هذرمة[١].

وسأَلَ[٢] زيد بن ثابت عن قراءةِ القرآنِ في سبع، فقال: حسن، ولأن أقرأهُ في عشرين أو في النِّصف، أحبُّ إليَّ من أن أقرأهُ في سبع، وسلني عن ذلك أردِّدهُ وأقفُ عليه[٣].

وروىٰ سفيان، عن عبيد المُكتب[٤] قال: قلتُ لمجاهد: رجلٌ قرأَ البقرةَ وآلَ عمران، ورجلٌ قرأَ البقرة، قيامُهما واحد، وركوعُهما واحد، وسجودُهما واحد، وجلوسُهما واحد، أيُّهما أفضل؟ قال: الذي قرأَ البقرة، وقرأ: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ﴾[٥] [الإسراء: ١٠٦].

فَصْلٌ
[في حالات من الخشوع]

رويَ عن ابن سيرين أنَّه قال: كانوا يستحبُّون أن ينظرَ الرَّجلُ إلىٰ موضعِ سجوده.

---

(١) فضائل القرآن للقاسم بن سلام ص ١٥٧، الإيضاح في القراءات ص ٣٣١، فضائل القرآن لابن كثير ص ٢٣٧.

(٢) حقه أن يكون: سئل. وقد جاء هكذا لأنه مقطوع من سند، فهو في مصدريه التاليين: عن يحيىٰ بن سعيد، عن رجل حدثه عن أبيه، أنه سأل...

(٣) فضائل القرآن للقاسم بن سلام ص ١٥٨، البيان في عدّ آي القرآن ص ٣٢٤.

(٤) عبيد المكتب بن مهران مولىٰ لبني ضبة. وكان ثقة قليل الحديث. الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٦/٣٤٠.

(٥) فضائل القرآن للقاسم بن سلام ص ١٥٨، أخلاق حملة القرآن ص ١٧٠، الإيضاح في القراءات ص ٣٣١.

ورويَ عن مجاهد في قولهِ تعالىٰ: [٦٠/أ] ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] قال: من القنوت: الخشوعُ والركوع، وغضُّ البصر، وخفضُ الجناح، من رهبةِ الله ﷻ(١).

وقال عون بن عبدالله(٢): يَنظرُ في حالِ قيامهِ إلىٰ موضعِ سجوده، وفي حالِ ركوعهِ إلىٰ بين قدميه، وفي حالِ قعودهِ إلىٰ حِجره، ويستحبُّ للمصلِّي أن يُلِينَ كتفيه، فإنَّ ذلك من خشوعه(٣).

وكان عبدالله بنُ مسعود إذا قامَ في صلاةٍ خفضَ فيها يدَهُ وبصرَهُ وصوته(٤).

وكان ابنُ الزُّبير إذا قامَ في الصَّلاةِ كأنَّه عود(٥).

وقالَ محمَّد بن المنكدر(٦): ولو رأيتَ ابن الزُّبير يصلِّي لقلتَ غصنُ شجرةٍ تَصفقُها الرِّيح، إنَّ المنجنيقَ ليقعُ ها هنا وها هنا ـ يعني عن يمينهِ وعن شمالهِ ـ وما يلتفت(٧)!

---

(١) أورده له الإمام الطبري في تفسيره عند تفسير الآية، وأطال فيه.

(٢) عون بن عبدالله بن عتبة الهذلي، الزاهد العابد، ثقة، روىٰ له الجماعة سوىٰ البخاري. قال موسىٰ بن أبي عيسىٰ: كان عون يحدثنا ولحيته ترتش بالدموع. صفة الصفوة ١٠٠/٣، تهذيب الكمال ٤٥٣/٢٢.

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ٤٦١/١ وقول شريك فيه.

(٤) مجمع الزوائد ١٣٦/٢.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٧٢٤٥).

(٦) محمد بن المنكدر التيمي. من معادن الصدق. كان يجتمع إليه الصالحون. وهو من سادات القراء، لا يتمالك البكاء إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ. وهو ثقة حافظ. تهذيب الكمال ٥٠٣/٢٦.

(٧) تاريخ دمشق ١٧١/٢٨، الزهد لأحمد (١٠٣٧). ويعني عندما كان جيش الحجاج يرمي الكعبة بالمنجنيق، في حربه مع ابن الزبير ﵄.

فَصْلٌ

في بيانِ قولهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]



وذلك أنَّ المصلِّيَ ذاكرٌ لربِّه، خاشعٌ لعظمته، وهذه حالٌ تقتضي فعلَ المعروف، وتمنعُ من المنكر. وقيل: فعلُ الطاعةِ يقتضي فعلَ أمثالها، والامتناعَ من ضدِّها.

وقالَ ابنُ مسعود: الصَّلاةُ تأمرُ بالمعروف، وتنهَى عن المنكر، ولا تنفعُ إلَّا من أطاعها[1].

وإذا كان العبدُ متذكِّراً خاشعاً في صلاتهِ لم يذهبْ خشوعهُ بالفراغِ منها، بل يبقَى تذكارهُ وخشوعهُ إلى أن تأتيَ صلاةٌ أخرى، وهذا معنى قولهِ تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، وهو الخشوع، وقيل: الصُّفرةُ؛ للسَّهرِ والقيام[2].

وكذلك [٦٠/ب] معنى قولهِ تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]، وإنَّ المكفِّرَ للسَّيِّئاتِ إنَّما هو الخشوعُ والخضوعُ دون الأفعالِ المغفولِ عنها.

فأمَّا قولهُ تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾، فقد قيلَ فيه معنيان:

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/٤١، الدر المنثور ٦/٤٦٥.

(٢) القول بالخشوع لمجاهد، وبالصفرة للحسن، أوردهما لهما الطبري في تفسيره، عند تفسير الآية الكريمة.

أحدهما: أنَّ ذكرَ الله تعالىٰ عبادَهُ بالنِّعمِ والجزاءِ أكبرُ من ذكرهم إيَّاهُ بالعبادة.

وقيل: ذكرُ الله أكبرُ من سائرِ الأفعال(١).

وإنَّما يكونُ أثرُ الصَّلاةِ باقياً علىٰ المصلِّي إذا كان بها ذاكراً خاشعاً، فأمَّا الغافلُ فلا يبقىٰ عليه أثرٌ منها.

ورويَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ صلَّىٰ بالنَّاسِ صلاةً جهرَ فيها بالقراءة، فأسقطَ منها شيئاً، فلمَّا فرغَ قال: «**يا فلان، هل أسقطتُ من هذه السورةِ من شيء**»؟ قال: لا أدري، فسألَ آخر، حتَّىٰ سألَ اثنينِ أو ثلاثة، فكلُّهم يقول: لا أدري يا رسولَ الله، فقال: «**هل فيكم أُبيّ**»؟ فقالوا: نعم يا رسولَ الله، قال: «**فهو لها**»، قال: «**يا أُبيّ، هل أسقطتُ من هذه السورةِ من شيء**»؟ قال: نعم يا رسولَ الله، آيةَ كذا وكذا، فقال ﷺ: «**ما بالُ أقوامٍ يُتلَىٰ عليهم كتابُ الله ﷻ فلا يدرون ما تُليَ عليهم منه ممَّا تُرك؟! هكذا خرجتْ عظمةُ الله من قلوبِ بني إسرائيل، فشهدتْ أبدانُهم وغابتْ قلوبهم، ولا يقبلُ الله من عبدٍ عملاً حتَّىٰ يَشهدَهُ بقلبِهِ مع بدنه**»(٢).

وروىٰ ثابت البناني، عن صلة بنِ أشيم العدويّ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**من** [٦١/أ] **صلَّىٰ صلاةً لم يذكرْ فيها شيئاً من أمرِ الدُّنيا، ثمَّ سألَ الله تعالىٰ فيها شيئاً؛ أعطاهُ إيَّاه**»(٣).

---

(١) أورد فيها الماوردي سبعة أقوال، في النكت والعيون، تنظر عند تفسير الآية.

(٢) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١٥٧، ١٥٨)، وضعفه في السلسلة الضعيفة (٥٠٥٠).

(٣) رواه في إتحاف الخيرة المهرة (١٤٦٠) وقال: رواه الحارث مرسلاً ورجاله ثقات.

وروىٰ الأوزاعي عن حسَّان بن عطيَّة[1] قال: إنَّ الرَّجلين ليكونان في الصَّلاةِ الواحدة، وإنَّ بينهما من الفضلِ كما بين السَّماءِ والأرض، يكونُ أحدُهما مقبلاً علىٰ الله بقلبه، والآخرُ غافلاً ساهياً عن ربِّه[2].

وروىٰ عقبة بن عامر قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«من توضَّأَ فأحسنَ الوضوء، ثمَّ صلَّىٰ صلاةً غيرَ ساهٍ ولا لاهٍ؛ كُفِّرَ عنه ما كان قبلها من سيِّئاته»**[3].

وروىٰ عبادة بنُ الصَّامت، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«خمسٌ كتبهنَّ الله عليكم في اليومِ واللَّيلة، فمن أحسنَ وضوءهنَّ، وأتمَّ ركوعهنَّ وسجودهنَّ وخشوعهنَّ؛ كان له عند الله عهداً أن لا يعذِّبه، ومن لم يفعلْ ذلك فليس له عند الله عهد، إن شاءَ عذَّبه، وإن شاءَ غفرَ له»**[4].

وروىٰ أبو داود بإسنادِ عن البراء، أنَّ رسولَ الله ﷺ **كان ركوعهُ**

---

(١) حسان بن عطية الدمشقي. من العبّاد. قال الأوزاعي: ما رأيت أحداً أكثر عملاً منه في الخير. وقال: كان حسان بن عطية يتنحىٰ إذا صلىٰ العصر في ناحية المسجد، فيذكر الله عز وجل حتىٰ تغيب الشمس. وقد رمي بالقدر، قال الذهبي: لعله رجع وتاب. بقي إلىٰ حدود سنة ١٣٠ هـ. صفة الصفوة ٢/٣٧٩، سير أعلام النبلاء ٥/٤٦٧.

(٢) الوابل الصيب ص ٢١.

(٣) مسند أحمد (١٧٤٤٩) وذكر محققه أنه صحيح لغيره، وقال في مجمع الزوائد ٢/٢٨١: رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما ابن لهيعة وفيه كلام. وهو بألفاظ متقاربة.

(٤) سنن أبي داود (١٤٢٠) وذكر محققه الشيخ شعيب أن إسناده هنا ضعيف لكن الحديث صحيح، مسند أحمد (٢٢٦٩٣، ٢٢٧٢٠) وصححه محققه في الموضعين، مع الإشارة إلىٰ ضعف السند كما في سنن أبي داود، بسبب (المذحجي)، موطأ مالك (٤٠٠)، صحيح الجامع الصغير (٣٢٤٣). وهو بألفاظ متقاربة.

وسجودهُ وما بين السَّجدتين قريباً من السواء[1].

وروى أيضاً بإسنادِه عن أنس بنِ مالك قال: ما صلَّيت خلفَ رجلٍ أوجزَ صلاةً من رسولِ الله ﷺ في تمام، وكان رسولُ الله ﷺ إذا قال: سمعَ الله لمن حمده، قامَ حتَّى تقولَ قد أَوهَم، ثمَّ يكبِّرُ ويسجد، وكان يقعدُ بين السَّجدتين حتَّى تقول: قد أَوهَم[2].

وروى [٦١/ب] أيضاً بإسنادِه عن أبي مسعود البدري، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**لا تجزئُ صلاةُ الرَّجلِ حتَّى يُقيمَ ظهرَهُ في الرُّكوعِ والسُّجود**»[3].

فَصْلٌ

[في مقدار ما يقرأ في الصلوات المفروضة]

القراءةُ الواجبةُ في الصَّلاةِ تلاوةُ الفاتحة في كلِّ ركعة، وقراءةُ السُّورةِ بعدها مسنون، وسنَّةُ القراءةِ مختلفةٌ فيها، فيستحبُّ تطويلُ القراءةِ في صلاةِ الصُّبح، فيقرأُ فيها بقاف، والذَّاريات، وما أشبهَ ذلك، ويقرأُ في الظهرِ دونَ ذلك، مقدارَ ثلاثين آية، وفي العصرِ على النِّصفِ من ذلك، وفي المغربِ بقصارِ المفصَّل، كالعاديات، والزلزلة، والإخلاص، ويقرأُ في العشاءِ بأوساطِ المفصَّل، كسورةِ الصفّ، والجمعة، وما أشبهَ ذلك، وإن طوَّلَ موضعَ

(١) سنن أبي داود (٨٥٢) وذكر الشيخ شعيب أنه صحيح لغيره، وهو في صحيح مسلم (٤٧١) وغيره.

(٢) سنن أبي داود (٨٥٣) وذكر الشيخ شعيب أن إسناده صحيح، وهو في صحيح مسلم (٤٧٣).

(٣) سنن أبي داود (٨٥٥) وذكر محققه شعيب أن إسناده صحيح، صحيح الجامع (٧٢٢٤).

التقصير ، وقصَّرَ موضعَ التطويلِ جاز .

فَصْلٌ
في الدُّعاءِ في الصَّلاة

يستحبُّ له الدُّعاءُ في السُّجود ، وقد ذكرنا دعاءَ النَّبيِّ ﷺ فيه . ويستحبُّ أن يسألَ الله تعالىٰ فيه العفوَ والعافية ، وتمامَ النِّعمة .

روىٰ معاذ أنَّ النَّبيَّ ﷺ سمعَ رجلاً يقول: أسألُكَ تمامَ النِّعمة ، فقالَ له: **«وما تمامُ النِّعمة»** ؟ فقال: كلمةٌ رجوتُ فيها خيراً ، فقالَ ﷺ: **«تمامُ النِّعمةِ الجنَّة»**(١) .

ورويَ أنَّه سمعَ رجلاً يقول: يا ذا الجلالِ والإكرام ، فقال: **«وجب»**(٢) . يعني الإجابة .

وروىٰ أبو داود في سننه بإسنادِهِ عن عروة ، عن عائشة ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ [٦٢/أ] كان يدعو في صلاته: **«اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من عذابِ القبر ، وأعوذُ بكَ من فتنةِ المسيحِ الدَّجَّال ، وأعوذُ بكَ من فتنةِ المحيا والممات ، اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من المأثمِ والمغرم»** . فقالَ له قائل: ما أكثرَ ما تستعيذُ من المغرم! فقال:

---

(١) مسند أحمد (٢٢٠١٧) وحسن إسناده محققه الأرناؤوط ، حلية الأولياء ٢٠٤/٦ ، الأدب المفرد (٧٢٥) ، سنن الترمذي (٣٥٢٧) وضعفه لهما الألباني . وحسن إسناده الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٣٧٠٤) . وهو مع اختلاف ألفاظ .

(٢) قوله ﷺ: «قد استجيب لك فسل» . مسند أحمد (٢٢٠١٧) وحسن إسناده محققه الأرناؤوط ، فهو يأتي مع الحديث السابق .

«إنَّ الرَّجلَ إذا غَرِمَ حدَّثَ فكذَب، ووعدَ فأخلف»(١).

وروى أيضاً بإسنادِهِ عن عبدالرَّحمن بن أبي ليلى، عن أبيهِ قال: صلَّيتُ إلى جنبِ رسولِ الله ﷺ في صلاةِ تطوُّع، فسمعتهُ يقول: **«أعوذُ باللهِ من النَّار، ويلٌ لأهلِ النَّار»**(٢).

فَصْلٌ
في التَّطوُّع

روى أبو داود بإسنادِهِ عن عائشة، **أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يكنْ على شيءٍ من النَّوافلِ أشدَّ معاهدةً منه على ركعتين قبلَ الصُّبح**(٣).

وروى أبو هريرة **أنَّ النَّبيَّ ﷺ قرأَ في ركعتي الفجرِ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾**(٤).

وروِيَ أيضاً عن ابنِ عباس، **أنَّ النَّبيَّ ﷺ، كثيراً ما كان يقرأُ في ركعتي الفجرِ بـ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾** [البقرة: ١٣٦] **هذه الآيةُ في الركعةِ الأولى، وفي الركعةِ الأخرى بـ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**(٥) [آل عمران: ٥٢].

---

(١) سنن أبي داود (٨٨٠) وذكر محققه الأرناؤوط أنه حديث صحيح. وهو في صحيح البخاري (٨٣٢) وغيره.

(٢) سنن أبي داود (٨٨١)، مسند أحمد (١٩٠٥٥) قال محققهما الشيخ شعيب: إسناده ضعيف لضعف ابن أبي ليلى، وهو محمد بن عبدالرحمن.

(٣) سنن أبي داود (١٢٥٤)، مسند أحمد (٢٤١٦٧) وصحح محققهما الشيخ شعيب إسنادهما. وهو في الصحيحين: مسلم (٧٢٤)، البخاري (١١٦٩).

(٤) سنن أبي داود (١٢٥٦) وصحح محققه إسناده. ورواه مسلم (٧٢٦).

(٥) سنن أبي داود (١٢٥٩) وصحح محققه إسناده. ورواه مسلم (٧٢٧).

وروىٰ أبو داود أيضاً بإسنادهِ عن أم حبيبةَ زوجِ النَّبيِّ ﷺ قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«مَن حافظَ علىٰ أربعِ ركعاتٍ قبلَ صلاةِ الظُّهر، وأربعٍ بعدها، حُرِّمَ علىٰ النَّار»**(١).

ورويَ عن أبي أيُّوب، أنَّ النَّبيَّ ﷺ [٦٢/ب] قال: **«أربعٌ قبلَ الظُّهرِ ليس فيهنَّ تسليمٌ، تُفتَحُ لهنَّ أبوابُ السَّماء»**(٢).

ورويَ عن ابن عمر، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«رحمَ الله عبداً صلَّىٰ قبلَ العصرِ أربعاً»**(٣).

وروىٰ عاصم بنُ ضمرة عن عليٍّ رضي الله عنه، **أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يصلِّي قبلَ العصرِ ركعتين**(٤).

وروىٰ أيضاً بإسنادهِ عن عبدالله بن شقيق(٥) قال: سألتُ عائشةَ عن

---

(١) سنن أبي داود (١٢٦٩) وحسن محققه إسناده، صحيح ابن خزيمة (١١٩١) وذكر محققه الأعظمي أن إسناده صحيح.

(٢) سنن أبي داود (١٢٧٠)، مسند أحمد (٢٣٥٣٢) وذكر محققهما الأرناؤوط أن الحديث حسن لغيره. ولفظ أحمد مختلف.

(٣) سنن أبي داود (١٢٧١)، وحسن محققه إسناده، ورواه الترمذي (٤٣٠) وقال: حسن غريب.

(٤) سنن أبي داود (١٢٧٣) وقال الشيخ شعيب في تخريج وتعليق مهم: حسن بلفظ «أربع ركعات» وليس ركعتين، فإنها شاذة انفرد بها حفص بن عمر عن شعبة، وأصحاب شعبة يروونه «أربع ركعات» علىٰ الجادة، ورواه غير شعبة أيضاً عن أبي إسحاق علىٰ الجادة. ولم يتفطن لهذا الإمام النووي، فصححه في شرحه علىٰ مسلم عند الحديث (٧٢٨) وتبعه بعض الشراح. اهـ. ثم ذكر رواة آخرين للحديث.

(٥) من عقيل بن كعب. عمِّر حتىٰ صار في الطبقة الثانية [من التابعين]. مات بعد المئة. يكنىٰ أبا عبدالرحمن. الطبقات لخليفة بن الخياط ص ٣٣٧.

صلاةِ رسولِ الله ﷺ من التَّطوُّع، فقالت: **كان يصلِّي قبلَ الظُّهرِ أربعاً في بيتي، ثمَّ يخرجُ فيصلِّي بالنَّاس، ثمَّ يرجعُ فيصلِّي ركعتين، وكان يصلِّي بالنَّاسِ المغرب، ثمَّ يرجعُ إلىٰ بيتي فيصلِّي ركعتين، وكان يصلِّي بهم العشاء، ثمَّ يدخلُ بيتي فيصلِّي ركعتين، وكان يصلِّي من اللَّيلِ تسعَ ركعات، فيهنَّ[1] الوتر، وكان يصلِّي ليلاً طويلاً قائماً، وليلاً طويلاً جالساً، وإذا قرأَ وهو قائمٌ ركعَ وسجدَ وهو قائم، وإذا قرأَ وهو جالسٌ ركعَ وسجدَ وهو قاعد، وكان إذا طلعَ الفجرُ صلَّىٰ ركعتين، ثمَّ يخرجُ فيصلِّي بالنَّاسِ صلاةَ الفجر**[2].

روىٰ أبو داود في سننه، بإسنادِهِ عن أبي هريرةَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«أيَعجِزُ أحدُكم أن يتقدَّم، أو يتأخَّر، أو عن يمينه، أو عن شماله»؟ يعني في السبحة**[3].

وهذا الخبرُ يقتضي أنَّ الأَولَىٰ بالمصلِّي إذا فرغَ من الفريضةِ أن يصلِّيَ النَّافلةَ في غيرِ موضعِ الفريضة.

وقد كان ﷺ [٦٣/أ] يصلِّي ركعتي المغربِ والعشاءِ في بيته، وكذلك ركعتي الفجر، فإذا تنحَّىٰ عن مكانهِ كان ذلك تفريقاً بين الفريضةِ والنَّافلة.



(١) في الأصل: فهو.

(٢) سنن أبي داود (١٢٥١) وذكر محققه أن إسناده صحيح، صحيح ابن خزيمة (١١٩٩)، مسند أحمد (٢٤٠١٩) وقال محققه: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

(٣) سنن أبي داود (١٠٠٦) وذكر محققه أن إسناده ضعيف جدًّا. والسبحة: الصلاة.

فَصْلٌ
في الصَّلاة بين العشاءين

روىٰ أبو داود في سننهِ بإسنادهِ عن أنس بنِ مالك، أنَّه قالَ في هذه الآية: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦] قال: كانوا يتنفَّلون ما بين المغربِ والعشاء، يصلُّون. وكان الحسنُ يقول: قيامُ اللَّيل[١].

وروىٰ أبو الحسن البصري في كتابه، بإسنادهِ عن أبان بنِ أبي عياش، عن أنس بنِ مالك قال: كانوا ينامون إذا أمسَوا من قبلِ أن تُفرَضَ صلاةُ العشاء، فلمَّا فُرِضَتْ جعلوا لا ينامون حتَّىٰ يصلُّوا، فشقَّ ذلك عليهم، فنزلَ قولهُ تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ الآية[٢].

وروىٰ أيضاً بإسنادهِ عن هشام بن عروة، عن أبيه[٣] قال: منعتني أمِّي عائشة أن أتحدَّثَ بعد العشاء، فقالت: يا عُريَّة، ما هذا السَّمَر[٤]؟ **إني ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ نائماً قبلَ هذه الصَّلاة، ولا متحدِّثاً بعدها، إمَّا مصلِّياً فيغنَم، أو نائماً فيسلَم**[٥].

(١) سنن أبي داود (١٣٢١) وصحح إسناده الأرناؤوط، كما صححه له الألباني في صحيح أبي داود.
ولفظه في أبي داود وغيره «يتيقَّظون» بدل «يتنفلون».

(٢) تفسير يحيىٰ بن سلام الليثي ٢/٦٩٠.

(٣) عروة بن الزبير بن العوام الأسدي. ولد في أوائل خلافة عثمان، ثقة فقيه مشهور، ت ٩٤ هـ. تقريب التهذيب (٣٨٩).

(٤) في الأصل: ما هذا السمرات.

(٥) مختصر قيام الليل ص ١١٥، شعب الإيمان (٤٩٣٥) والأخير بلفظ: يا عروة.

وروىٰ أيضاً بإسنادِهِ عن جابر أنَّه قال: أخَّرَ رسولُ الله ﷺ العِشاءَ الآخِرة، ثمَّ خرج، فرأىٰ النَّاسَ من قائمٍ وجالسٍ ونائم، فصلَّىٰ بالنَّاس، ثمَّ قال: «**أبشِروا، فإنَّه** [٦٣/ب] **ليس في الأرضِ عصابةٌ يذكرون الله غيركم، مصلٍّ ينتظرُ الصَّلاة، جالسٌ ينتظرُ الصَّلاة، نائمٌ ينتظرُ الصَّلاة، فكلُّكم في صلاة، فأبشِروا، فإنَّكم لن تزالوا في صلاةٍ ما انتظرتم الصَّلاة**»[١].

ورويَ عن قتادة، عن أنس قال: كانوا يتنفَّلون ما بين المغربِ والعشاء، يصلُّون ما بينهما[٢].

وروىٰ أيضاً بإسنادِهِ عن [أبي هدبة، عن أنس][٣] قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**من صلَّىٰ بعد المغرب، قبلَ العشاء، عشرين ركعة، يقرأُ فيها بفاتحةِ الكتاب، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، حفظَ الله له أهلَهُ ومالَهُ ودينَهُ ودنياهُ وآخرته**»[٤].

وروىٰ أيضاً عن أبي سلمة بن عبدالرَّحمن، عن المغيرة بن شعبة قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من صلَّىٰ المغرب، ثمَّ قامَ قبلَ أن يتكلَّم، فصلَّىٰ ركعتين، يقرأُ فيهما: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾** [آل عمران: ١٩٠] **إلىٰ آخر الآية، وقرأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ سبعَ مرات؛**

---

(١) السنن الكبرىٰ للنسائي (١٦٠٢) وضعفه له الألباني، مسند أحمد بأطول منه (٤٠١٣) وذكر محققه أنه حسن لغيره، وأن إسناده ضعيف.

(٢) سبق قبل قليل.

(٣) في الأصل «عن أبو ابن... عن ابيه». والمثبت من مصدره.

(٤) رواه الرافعي في التدوين في أخبار قزوين ٢/٢١١، ٤/٦٠، وذكر الألباني أنه موضوع، في السلسلة الضعيفة (٣٣٠٦).

رُفِعتا له في علِّيين»(١).

وروى بإسناده عن ابن مسعود، أنَّه قالَ في قولهِ تعالى: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣] قال: صلاةُ العشاء، وهم يصلُّونها، وما سواهم من أهلِ الكتابِ لا يصلُّونها، وهذا معنى قولهِ تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ يعني: أمَّةٌ عادلةٌ ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾(٢).

وروى بإسنادهِ عن منصور قال: بلغني [٦٤/أ] في قولِ الله تعالى: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾ قال: آناءُ اللَّيلِ ما بين المغربِ والعشاء(٣).

وروى بإسنادهِ عن ذرِّ بن حُبيش قال: خرجَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ ليلةٍ لصلاةِ العشاء، فقال: **«ما أعلمُ أحداً من أهلِ الأديانِ يصلِّي هذه الصَّلاة»**، فنزلت: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ إلى قولهِ تعالى: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾(٤) [آل عمران: ١١٣ ـ ١١٥].

ويستحبُّ أن يقرأَ في هذا الوقتِ سورةَ الواقعة؛ لما روى أبو عبيد بإسنادهِ عن عبدالله بن مسعود أنَّه قال: إنِّي قد أَمرتُ بناتي أن يقرأنَ سورةَ

---

(١) فضل قيام الليل للآجري (٤٦)، المراسيل لأبي داود (٧٣) وذكر الشيخ شعيب أن رجاله ثقات.

(٢) مختصر قيام الليل ص ٤٠، تفسير النسفي ١/٢٨٤، الدر المنثور ٢/٢٩٧.

(٣) مختصر قيام الليل ص ٤٠، تفسير سفيان الثوري ص ٧٩.

(٤) رواه البزار في مسنده البحر الزخار (١٨١٩) وقال: لا نعلم رواه عن عاصم بهذا الإسناد إلا شيبان.

الواقعةِ كلَّ ليلة ؛ فإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من قرأَ سورةَ الواقعةِ كلَّ ليلةٍ لم تصبهُ فاقة**»[١].

وروىٰ أيضاً بإسنادهِ عن خالد بن معدان[٢] قال: كانَ رسولُ الله ﷺ لا ينامُ حتَّىٰ يقرأَ المُسبِّحات، ويقول: «**إنَّ فيها آيةً كألفِ آية**»[٣].

وروىٰ أيضاً عن أبي تميم قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**[إني نُسِّيتُ الليلةَ] أفضلَ المسبِّحات**»، فقالَ له أُبيّ: فلعلَّها ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، فقال: «**نعم**»[٤].

ويستحبُّ أن يقرأَ في هذا الوقتِ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ ؛ لما روىٰ أبو هريرة قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ سورةً من القرآنِ ثلاثين آيةً شفعتْ لرجلٍ حتَّىٰ غُفِرَ له، وهي ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾**»[٥]. [٦٤/ب].

روىٰ أبو عبيد بإسنادهِ عن جابر بن عبدالله، **أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان لا ينامُ**

---

(١) عمل اليوم والليلة لابن السني (٦٨٠)، شعب الإيمان (٢٤٩٩)، مسند الحارث (٧٢١)، وقال الزيلعي في تخريجه لأحاديث الكشاف: إن إسناد الحارث جيد. تخريج أحاديث الكشاف ٤١٢/٣.

(٢) في الأصل: سعدان.

(٣) السنن الكبرىٰ للنسائي (١٠٤٨٣). والحديث مرسل، فخالد تابعي. وقد ضعفه في ضعيف الترغيب (٩٧٧). وللحديث رواية عن العرباض بن سارية، رواه أبو داود (٥٠٥٧) وغيره، وقد ضعفها له الأرناؤوط والألباني.

(٤) رواه الدولابي في الكنىٰ والأنساب (١٣٣)، وما بين المعقوفتين منه، لم يرد في الأصل. وأبو تميم هو عبدالله بن مالك الجيشاني. تابعي. فالحديث مرسل.

(٥) سنن الترمذي (٢٨٩١) وحسَّنه، وصححه الألباني، مسند أحمد ١٢٩/١٥ وصححه أحمد شاكر، وهو في صحيح الجامع (٢٠٩١).

حتَّىٰ يقرأ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدة، و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾[1].

وروىٰ أيضاً بإسنادِهِ عن المسيَّب بن رافع[2] قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**تجيءُ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السجدةِ يومَ القيامةِ ولها جناحان، تُظِلُّ صاحبَها، تقول: لا سبيلَ عليك، لا سبيلَ عليك**»[3].

ويستحبُّ له أيضاً قراءةُ ياسين، قال شهر بنُ حَوشب[4]: يرتفعُ القرآنُ كلُّهُ عن أهلِ الجنَّةِ إلَّا طه وياسين[5].

وروىٰ معقل بنُ يسار قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**اقرؤوها علىٰ موتاكم**» يعني ياسين[6].



---

(١) سنن الترمذي (٢٨٩٢)، ورواه آخرون. وصححه له الألباني، وهو في صحيح الجامع (٤٨٧٣).

(٢) في الأصل: عن ابن المسيب عن رافع. والمثبت من المصدرين المثبتين في الهامش التالي. وهو تابعي.

(٣) فضائل القرآن لابن الضريس (٢١٥)، وفيه «لا سبيل عليه...». وأورده في جمع الجوامع (الجامع الكبير) (٤١٤١) وذكر راويه ابن الضريس، وأنه مرسل. وورد في الأصل «ولها جناحان بصاحبها».

(٤) شهر بن حوشب الأشعري الشامي. قرأ القرآن علىٰ ابن عباس. وكان عالمًا كثير الرواية، حسن الحديث، ت ١٠٠ هـ. العبر ١/٩٠، حلية الأولياء ٦/٥٩.

(٥) جمال القراء ص ١٣١، ولفظه فيه: يُرفَع القرآن عن أهل الجنة إلا طه ويس.

(٦) المعجم الكبير للطبراني (٥١٠، ٥٤١)، قال في مجمع الزوائد ٦/٣١٤: فيه راو لم يسم، وبقية رجاله رجال الصحيح، عمل اليوم والليلة للنسائي (١٠٧٥). وحكم بضعفه في ضعيف الترغيب (٨٨٤)، وبإنكاره في السلسلة الضعيفة (٦٨٤٣).

فَصْلٌ
في التَّهجُّد

قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩].

وقالَ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [المزّمّل: ١ ـ ٢] الآية.

وقولهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزّمّل: ٦]. ناشئةُ اللَّيل: ساعاتُ اللَّيل، وقيل: أوَّله[١]. وإنَّما كان أقومَ لخلوِّهِ للعبادة.

وقوله: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ [المزّمّل: ٧]؛ أي: فراغاً. وقد قُرِئَ: سبخاً بالخاء، ومعناه: توسُّعاً[٢].

وكان ﷺ مأموراً بقيامِ اللَّيلِ وأمَّته، ثمَّ نُسِخَ ذلك واستقرَّ الفرضُ علىٰ الخَمس، وقيل: إنَّ أوَّلَ السورة نُسخَ بآخرِها بعد سنة[٣].

روىٰ أبو أمامة الباهليُّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ [٦٥/أ] قال: «**عليكم بقيامِ اللَّيل، فإنَّه دأبُ الصَّالحين قبلَكم، وقربةٌ إلىٰ ربِّكم، وتكفيرٌ للسيِّئات، ومَنهاةٌ**

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/٦٨٢.

(٢) قرأها (سبخًا) ابن أبي عبلة، كما في الكامل في القراءات العشر ص ٦٥٢، كما ذكر النحاس أنه قرأها هكذا يحيىٰ بن يعمر. إعراب القرآن ٥/٣٩. وينظر غريب القرآن للسجستاني ص ٢٧٠، ومعترك الأقران ص ٣/٢١٠.

(٣) قالت عائشةُ ﵂: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ افترضَ قيامَ اللَّيلِ في أوَّلِ هذهِ السُّورة، فقامَ نبيُّ اللهِ ﷺ وأصحابهُ حَولاً، وأمسكَ اللهُ خاتمتَها اثنَي عشرَ شهرًا في السَّماء، حتَّىٰ أنزلَ اللهُ في آخرِ هذه السُّورةِ التَّخفيف، فصارَ قيامُ اللَّيلِ تطوُّعًا بعدَ فريضة». رواه مسلم (٧٤٦).

عن الإثم»[1].

وروىٰ معاذ بنُ جبل عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ في قولهِ تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] قال: «**قيام الليل**»[2].

وروىٰ أبو داود بإسنادهِ عن أبي هريرة قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**رحمَ الله رجلاً قامَ من اللَّيل، فصلَّىٰ، وأيقظَ امرأته، فإن أَبَتْ نضحَ في وجهها الماء، رحمَ الله امرأةً قامتْ من اللَّيل، فصلَّت، وأيقظتْ زوجها، فإن أبَىٰ نضحتْ في وجههِ الماء**»[3].

وروىٰ أيضاً بإسنادهِ عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إذا أيقظَ الرَّجلُ أهلَهُ من اللَّيل، فصلَّيا ركعتين جميعاً، كُتبا في الذاكرين**»[4].

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أفضلُ الصيامِ صيامُ أخي داود، كان يصومُ يوماً ويُفطِرُ يوماً، وأفضلُ القيامِ قيامُ أخي داود، كان ينامُ نصفَ اللَّيل، ويقومُ ثلثَهُ وينامُ سدسه**»[5].

---

(١) هذا لفظ الطب النبوي لأبي نعيم (١١٧)، وهو بألفاظ متقاربة في المستدرك (١١٧١) وذكر أنه صحيح علىٰ شرط البخاري، صحيح ابن خزيمة (١١٣٥) ونقل محققه الأعظمي أنه حسن بشواهده.

(٢) لفظ الحديث «قيام العبد من الليل» كما في مسند أحمد (٢٢٠٢٢)، وذكر محققه الأرناؤوط أنه صحيح بطرقه وشواهده، وأن إسناد الحديث ضعيف.

(٣) سنن أبي داود (١٣٠٨) وذكر محققه الأرناؤوط أن إسناده قوي، صحيح ابن خزيمة (١١٤٨) وصحح محققه الأعظمي إسناده، صحيح الجامع الصغير (٣٤٩٤).

(٤) سنن أبي داود (١٣٠٩) وذكر محققه الأرناؤوط أن إسناده صحيح.

(٥) وجدته بلفظه في (بحر المذهب) للروياني ٢/٢٣٤. ولعل المقصود الحديث الصحيح «أحب الصيام إلىٰ الله صيام داود، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وأحب الصلاة إلىٰ الله صلاة داود،=




وروتْ عائشةُ قالت: إنْ كان رسولُ الله ﷺ لَيوقظهُ الله ﷻ باللَّيل، فما يجيءُ السَّحَرُ حتَّىٰ يفرغَ من جُزئه(١).

وروىٰ سالم عن أبيه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لا حسدَ إلَّا في اثنتين؛ رجلٌ آتاهُ الله القرآنَ فهو يقومُ به آناءَ اللَّيلِ وآناءَ النَّهار، ورجلٌ آتاهُ الله مالاً فهو ينفقُ منه آناءَ [٦٥/ب] اللَّيلِ وآناءَ النَّهار»(٢).

وروىٰ ابنُ المبارك في «الزهد» عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «فضلُ(٣) صلاةِ اللَّيلِ علىٰ صلاةِ النَّهارِ كفضلِ صدقةِ السِّرِّ علىٰ صدقةِ العلانية»(٤).

وروىٰ عبدالله بن مسعود أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «لا حسدَ إلَّا في اثنتين؛ رجلٌ آتاهُ الله مالاً فسلَّطَهُ علىٰ هَلَكَتِهِ في الحقّ، ورجلٌ آتاهُ الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلِّمها النَّاس»(٥).

= كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه وينام سدسه». صحيح البخاري (٣٤٢٠).

(١) السنن الكبرىٰ للبيهقي (٤٦٥٨)، سنن أبي داود (١٣١٦) وحسّن الأرناؤوط إسناده. ويأتي في نسخ (حزبه) بدل (جزئه).

(٢) صحيح مسلم (٨١٥).

(٣) في الأصل: تفضيل.

(٤) الزهد لابن المبارك (٢٥). ورواه أبو نعيم في الحلية ٢٧٩/٧، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٨٣١)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٩٩٨، ٨٩٩٩، ١٠٣٨٢)، وذكر الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٥١٨) رواية الطبراني وأن رجاله ثقات، لكن ضعفه الألباني في الجامع الصغير (٣٩٧٦)، وفي السلسلة الضعيفة (٤٠١٠).

(٥) متفق عليه: صحيح البخاري (١٤٠٩، ٧١٤١)، صحيح مسلم (٢٦٨)، مسند أحمد (٣٦٥١). وكلمة «الناس» الواردة أخيرًا موجودة في المصدر الأخير دون الصحيحين.
وسبق بيان معنىٰ «سلطه علىٰ هلكته»، أي: علىٰ إهلاكه، بمعنىٰ: إنفاقه في الحق. فتح الباري ١٢٠/١٣.

وروى أبو أمامةَ الباهليُّ قال: سمعتُ عمرو بنَ عبَسَةَ يقول: لقيتُ رسولَ الله ﷺ وهو نازلٌ بعكاظ، فقلت: يا رسولَ الله، من معكَ في هذا الأمر؟ فقال: **«معي رجلان: أبو بكر وبلال»**، فأسلمتُ عند ذلك، ولقد رأيتُني رُبعَ الإسلام، قال: قلت: يا رسولَ الله، أنا عمرو بنُ عبَسَة، أحبُّ أن أسألكَ عمَّا تعلمُ وأجهل، وعما ينفعني ولا يضرُّك، قال: **«يا عمرو، إنَّك تريدُ أن تسألني عن شيءٍ ما سألني عنه أحدٌ ممَّن ترى، ولن تسألني عن شيءٍ إن شاءَ الله إلَّا أنبأتُكَ به»**، قال: قلت: يا رسولَ الله، فهل من ساعةٍ أقربُ من أخرى؟ قال: **«نعم، إنَّ أقربَ ما يكونُ العبدُ من الله تعالى جوفُ اللَّيل، فإن استطعتَ أن تكونَ ممَّن يدعو اللهَ في تلك السَّاعةِ فكن، فإنَّ الصَّلاةَ مشهودةٌ محضورةٌ إلى طلوعِ الشَّمس، فإنَّها تطلعُ بين قرنَي شيطان، وهي ساعةُ صلاةِ الكفَّار»**[1].

وروى مسلم بن مخراق [٦٦/أ] قال: قلتُ لعائشة: إنَّ رجالاً يقرأُ أحدُهم القرآنَ في ليلته، فقالت: قرؤوا أو لم يقرؤوا، **كنتُ أقومُ مع رسولِ الله ﷺ اللَّيلَ التِّمام[2]، فيقرأُ البقرةَ وآلَ عمران، ثمَّ النِّساءَ والمائدةَ والأنعام، فلا يمرُّ بآيةٍ فيها استبشارٌ إلَّا دعا ورَغِب، ولا يمرُّ بآيةٍ تخويفٍ إلَّا دعا واستعاذ**[3].

---

(١) صحيح ابن خزيمة (١١٤٧) ونقل محققه صحة إسناده من الألباني، وقد صححه للنسائي في سننه (٥٧١)، كما أورد صحته في صحيح الجامع (١١٧٣)، وهو باختلاف ألفاظ، ورواه بأطول منه أحمد في المسند (١٧٠١٩)، وذكر محققه أن إسناده صحيح على شرط مسلم. واستوفى إخراجه في طريق أخرى للحديث ضعيفة من المسند (١٩٤٣٣).

(٢) في الأصل «والليل»، وفي المسند «الليلة التمام». والليل التمام: قال ابن هشام: قمر تمام وتمام، بكسر التاء وفتحها، فأما الليل التمام، فبالكسر لا غير، حكى أبو العباس: والليالي التمام ليالي الشتاء الطوال، وقال ابن الأعرابي: الليالي التمام هي التي تطول على من قاساها، وإن قصرت.. شرح الفصيح لابن هشام اللخمي ص ٢٣٩.

(٣) رواه أحمد في المسند (٢٤٨٧٥) وذكر محققه أنه صحيح لغيره، وحسَّنه ابن حجر في نتائج=

وروى البخاريُّ بإسنادهِ عن أبي سلمةَ بنِ عبدالرَّحمن قال: سألتُ عائشةَ ﵂ عن صلاةِ رسولِ الله ﷺ كيف كانت في رمضان؟ فقالت: ما كان رسولُ الله ﷺ يزيدُ في رمضانَ ولا في غيرهِ على إحدَى عشرةَ ركعة، يصلِّي أربعاً، فلا تَسَلْ عن حُسنِهنَّ وطولهنَّ، ثمَّ يصلِّي أربعاً، فلا تَسَلْ عن حُسنِهنَّ وطولهنَّ، ثمَّ يصلِّي ثلاثاً[1]، فقلت: يا رسولَ الله، تنامُ قبلَ أن تُوتِر؟ فقال: «**إنَّ عينيَّ تنامان ولا ينامُ قلبي**»[2].

وروى أيضاً بإسنادهِ عن عائشةَ أنَّها قالت: **كان يسجدُ السَّجدةَ بقدرِ ما يقرأُ أحدُكم خمسينَ آية، قبلَ أن يرفعَ رأسه**[3].

وروى البخاريُّ بإسنادهِ عن ابنِ عباس قال: كان النَّبيُّ ﷺ إذا قامَ من اللَّيلِ يتهجَّدُ يقول: «**اللَّهمَّ لكَ الحمدُ أنت قيِّمُ السَّماواتِ والأرضِ ومَن فيهنَّ، [ولكَ الحمد، لكَ مُلْكُ السَّماواتِ والأرضِ ومَن فيهِنَّ]، ولكَ الحمدُ أنت نورُ السَّماواتِ والأرضِ ومَن فيهنَّ، ولكَ الحمدُ أنت مَلِكُ السَّماواتِ والأرضِ ومَن فيهنَّ، ولكَ الحمدُ أنت الحقُّ، ووعدُكَ الحقُّ، ولقاؤكَ حقٌّ، وقولُكَ حقٌّ،** [٦٦/ب] **والجنَّةُ حقٌّ، والنَّارُ حقٌّ، والنَّبيُّون حقٌّ، ومحمَّدٌ حقٌّ، والسَّاعةُ حقٌّ، اللَّهمَّ لكَ أسلمت، وبكَ آمنت، وعليكَ توكَّلت، وإليك أنبت، وبكَ خاصمت، وإليكَ حاكمت، فاغفرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرت، وما أسررتُ**

= الأفكار ٣/١٥٥. وفي الأصل اختلاف كلمات، وزيادة قراءة سورتي المائدة والأنعام، ولم أره بهذه الزيادة في جولة بين الأحاديث.

(١) تكررت كلمة (ثلاثًا) في الأصل.

(٢) صحيح البخاري (١١٤٧، ٢٠١٣)، ورواه مسلم (٧٣٨).

(٣) صحيح البخاري (٩٩٤، ١١٢٣)، وهو جزء من حديث.

وما أعلنت ، أنت المقدِّمُ وأنت المؤخِّر ، لا إله إلَّا أنت ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بك»[1] .

وقد رويَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قامَ حتَّىٰ ورمتْ قدماه ، فقيلَ له: يا رسولَ الله ، أليسَ الله قد غفرَ لكَ ما تقدَّمَ من ذنبِكَ وما تأخَّر ؟ فقال: «**أفلا أكونُ عبداً شكوراً**» ؟[2] .

وقالتِ امرأةُ عثمانَ حين دُخِلَ عليه: لأنْ قتلتموهُ لطالما أحيا اللَّيلَ بركعةٍ يقرأُ فيها القرآن![3] .

وروىٰ عبدالصَّمد بن معقل قال: مكثَ وهب بنُ منبِّه أربعين سنةً يصلِّي الصُّبحَ بوضوءِ العشاء[4] .

وكان أبو هريرة يقومُ ثلثَ اللَّيل ، وامرأتهُ ثلثَ اللَّيل ، وابنهُ ثلثَ اللَّيل[5] .

وروي عن عطيَّة بن قيس الكلابي[6] قال: أدركتُ النَّاسَ ومنهم من له في مسجدهِ العُروة[7] ، إذا نعسَ أدخلَ يدَهُ فيها ، ومنهم من يتوسَّدُ يمينه ، فإذا

(١) صحيح البخاري (١١٢٠) ، وما بين المعقوفتين منه ، لم يرد في الأصل.
(٢) متفق عليه: صحيح البخاري (٤٨٣٦) ، صحيح مسلم (٢٨١٩).
(٣) الانتصار للقرآن للباقلاني ١/١٨٩ ، التبصرة لابن الجوزي ص ٤٣٨ ، إتحاف السادة المتقين ٤/٥٠٨ .
(٤) إحياء علوم الدين ١/٣٥٩.
(٥) الزهد لأحمد (٩٨٨) ، ولأبي داود (٢٨٥).
(٦) مقرئ دمشقي قانت. غزا في دولة معاوية ، وكان قارئ الجند. كانوا يصححون مصاحفهم علىٰ قراءته. ت ١٢١ هـ. سير أعلام النبلاء ٥/٣٢٥.
(٧) العروة: العقدة.

خَدِرتْ قامَ إلىٰ الصَّلاة.

وروىٰ عبيدة بنُ ربيعة[1] قال: أتيتُ خلفَ المقام، فقلت: لا يَغلبني عليه اللَّيلةَ أحد، فجاءَ رجلٌ حسنُ الثِّياب، طيِّبُ الرِّيح، فقامَ إلىٰ جنبي، فصلَّىٰ حتَّىٰ أصبح! فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا عثمان بنُ عفَّان، أميرُ المؤمنين.

وروىٰ عبدالرَّحمن بن يزيد قال: كنَّا إذا غزونا [٦٧/أ] نرافقُ عطاءً الخراساني[2]، فكان عطاءٌ يقومُ اللَّيل يصلِّي ونحن نيام، فكان يقولُ لنا في بعضِ اللَّيلِ إذا سلَّمَ من صلاته: يا عبدالرَّحمن بنَ يزيد، ويا أميَّة بنَ يزيد، قوما فصلِّيا، فإنَّ مكابدةَ هذا اللَّيلِ الطَّويل، والظمأَ في الهواجر، أيسرُ من مقطعاتِ النيران، وسرابيلِ القَطِران[3].

ورويَ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنَّه لمَّا أصابَهُ الطاعونُ بالشَّامِ قالَ لجاريته: هل أصبحنا؟ فقالت: لا، فقال: أعوذُ بالله من صباحٍ إلىٰ النَّار. ثمَّ قال: اللَّهمَّ إن كنتَ تعلم أنِّي لا أحبُّ البقاءَ في الدنيا لغرسِ الأشجار، ولا لشقِّ الأنهار، وإنَّما أحبُّ البقاءَ لظمأ الهواجر، وافتراشِ الأذرع في السُّجودِ في ظلمةِ اللَّيل،

---

(١) عبيدة بن ربيعة العبدي، روىٰ عن عثمان وعبدالله بن مسعود وسلمان. الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٦/١٩٩.

(٢) عطاء بن أبي مسلم الخراساني، أبو عثمان، مولىٰ المهلب بن أبي صفرة، واسم أبيه أبي مسلم: عبدالله، ويقال: ميسرة. كان يحيي الليل كله إلا نومة السحَر. صدوق يهم كثيرًا ويرسل ويدلس. توفي بأريحا، فحمل ودفن في بيت المقدس سنة ١٣٥ هـ. تهذيب الكمال ٢٠/١٠٦، تقريب التهذيب (٣٩٢).

(٣) التذكرة الحمدونية ٤/٣٢٠ باختلاف ألفاظ.

وتزاحمِ العلماءِ بالرُّكب ؛ فاغفرْ لي . وماتَ رحمَهُ اللهُ(١) .

وروي أنَّ عامر بنَ عبد قيس بكىٰ عند الموت ، فقيلَ له: ما يبكيك ؟ فقال: ما أبكي جزعاً من الموت ، ولا حرصاً علىٰ الدنيا ، ولكن أبكي علىٰ ظمأ الهواجر ، وعلىٰ قيامِ ليالي الشتاء(٢) .

ورويَ عن عبيد بنِ عمير(٣) ، أنَّه كان إذا دخلَ الشتاءُ قال: يا أهلَ القرآن ، طالَ اللَّيلُ لصلاتكم ، وقصرَ النَّهارُ لصيامِكم ، فاغتنموا(٤) .

ورويَ عن أصبغ قال: كان أويسُ القرني(٥) إذا أمسَىٰ يقول: هذه اللَّيلةُ ليلةُ الركوع ، فيركعُ حتَّىٰ يصبح . وكان يقولُ إذا أمسىٰ: هذه اللَّيلةُ ليلةُ السُّجود ، فيسجدُ حتَّىٰ يصبح . وكان إذا أمسَىٰ تصدَّقَ [٦٧/ب] بما في بيتهِ من الفضلِ من الطَّعامِ والثياب ، ثمَّ يقول: اللَّهمَّ إنِّي أبرأُ إليكَ من كلِّ كبدٍ جائع ، وجسدٍ عار(٦) .

وحكيَ عن أبي مسعود البدري قال: إنَّ أهلَ السماءِ ليَعرفون بيوتَ المتهجِّدين ، عليها النُّورُ كأمثالِ المصابيح .

---

(١) كتاب المحتضرين (١٢٧) ، حلية الأولياء ١/٢٣٩ ، الرقة والبكاء لابن قدامة ص ٢٥٣ .

(٢) الزهد لابن المبارك (٢٨٠) ، ولأحمد ٢/١٧٦ ، كتاب المحتضرين (١٧٨) .

(٣) في الأصل (عتبة بن عمير) . والصحيح كما في مصدريه . وهو عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجندعي ، أبو عاصم . قاصُّ أهل مكة . ولد في زمان النبي ﷺ ، وقيل: له رؤية . ثقة ، روىٰ له الجماعة . حلية الأولياء ٣/٢٦٦ ، تهذيب الكمال ١٩/٢٢٣ .

(٤) التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا (٣٧٧) ، حلية الأولياء ٣/٢٦٧ .

(٥) أويس بن عامر بن جَزْء القرني . من اليمن . سيد التابعين في زمانه . أدرك حياة النبي ﷺ ولم يره . وفد علىٰ عمر ، وروىٰ قليلًا عنه ، وعن عليّ . ت ٣٧ هـ . سير أعلام النبلاء ٤/١٩ .

(٦) روض الرياحين في حكايات الصالحين ص ١٦٩ .

وروىٰ أبو هريرة قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**أفضلُ الصِّيامِ بعد شهرِ رمضانَ شهرُ اللهِ الذي تدعونَهُ المحرَّم، وأفضلُ الصَّلاةِ بعد المفروضةِ صلاةٌ في جوفِ اللَّيل**»[1].

وحُكيَ أنَّ شدَّاد بنَ أوس[2] كان إذا أخذَ مضجعَهُ من اللَّيلِ كالحبَّةِ علىٰ المِقْلَىٰ، ويقول: اللَّهمَّ إنَّ النَّارَ قد حالتْ بيني وبين النَّوم. ثمَّ يقومُ فيصلِّي، فلا يزالُ [يصلِّي] حتَّىٰ الصَّباح[3].

وحُكيَ عن مجاهد أنَّه قالَ في قولهِ تعالىٰ: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ﴾ [آل عمران: ٤٣] قال: كانت تقومُ حتَّىٰ وَرِمَ[4] كعباها[5].

وحُكيَ عن الحسن رحمه الله أنَّه قال: إنَّ لله عباداً كمن رأىٰ أهلَ الجنَّةِ في الجنَّةِ مخلَّدين، وكمن رأىٰ أهلَ النَّارِ في النَّارِ معذَّبين، قلوبُهم محزونة، وشرورُهم مأمونة، حوائجُهم خفيفة، وأنفسُهم عفيفة، صبروا أياماً قصاراً تعقبُ راحةً طويلة، أمَّا اللَّيلَ فصافَّةٌ أقدامُهم، تسيلُ دموعُهم علىٰ خدودِهم، يجأرون إلىٰ ربِّهم: ربَّنا ربَّنا، وأمَّا النَّهارَ فحلماءُ علماء، بررةٌ أتقياء، ينظرُ

---

(١) صحيح مسلم (١١٦٣)، مسند أحمد (٨٥٠٧) وصحح محققه إسناده علىٰ شرط الشيخين، كما صححه في مجمع الزوائد ٣/١٩٣، ولفظ المؤلف أقرب إلىٰ المصدر الأخير، لكن لفظ الصيام جاء عنده أولًا، مخالفًا لهما، وهو بهذا موافق لما رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ (٨٤٢٢)، وفي شعب الإيمان (٣٤٩٦).

(٢) شداد بن أوس الأنصاري، ابن أخي الشاعر حسّان. بدريّ، من فضلاء الصحابة وعلمائهم، أوتي علمًا وحلمًا. نزل بيت المقدس. ت ٥٨ هـ. سير أعلام النبلاء ٢/٤٦١.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٢٢/٤١٥، أسد الغابة ٢/٣٥٥. وما بين المعقوفتين منهما.

(٤) في الأصل «ـرم».

(٥) تاريخ الطبري ٦/٤٠١.

إليهم النَّاظرُ فيحسبهم مرضىٰ، وما بالقومِ من مرض، أو خولِطوا، ولقد خالطَ القومَ أمرٌ عظيم(١) [٦٨/أ].

قالَ إبراهيم بن أدهم: قال مالك بنُ دينار(٢): إنَّ من عرفَ الله لفي شغلٍ شاغل، ويلٌ لمن ذهبَ عمرهُ في الدنيا باطلاً(٣).

وحكىٰ جعفر بنُ سليمان قال: سمعتُ مالك بنَ دينار يقول: قالت ابنةُ الربيعِ لأبيها(٤): يا أبتاه، ما لي أرىٰ النَّاسَ ينامون ولا أراكَ تنام؟ فقال: يا بنيَّة، إنِّي أخافُ البَيات(٥).

كتبَ عمر رضي الله عنه إلىٰ عبدالله: انظرْ مَن يحضرُكَ من أهلِ القرآن، وكبِّرْ أثرَهُ عندكَ ومنزلته. قال: فنظرَ عبدالله في ذلك، فإذا أكثرُهم(٦) النخعُ والتيم، قال: فقالَ رجلٌ منهم: أوَليستْ منَّا المرأةُ التي تقول: إنِّي لأقومُ الوردَ من أورادي فيمنعُني أناطيرُ القرآنِ من النَّومِ حتَّىٰ أصبح؟ قالَ أبو عمرو الشيباني: الأناطير: العجائب.

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ١/٢٠٣، التخويف من النار ص ٤٦.

(٢) أبو يحيىٰ مالك بن دينار البصري، الإمام الزاهد الورع المعروف، من رواة الحديث. كان ورعًا يأكل من كسب يده، ويكتب المصاحف بالأجرة. توفي بالبصرة سنة ١٢٧ هـ. حلية الأولياء ٢/٣٥٧، العبر ١/١٢٦، الأعلام ٦/١٣٤.

(٣) العظمة لأبي الشيخ (٦٦)، حلية الأولياء ٨/٢٣.

(٤) الربيع بن خثيم الثوري، أبو يزيد. من الزهاد الثمانية المذكورين. كان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول له: يا أبا يزيد، لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك، وما رأيتك إلا ذكرت المخبتين. توفي بالكوفة في ولاية عبيدالله بن زياد عليها. حلية الأولياء ٢/١٠٥، صفة الصفوة ٣/٥٩.

(٥) التهجد وقيام الليل (٦٠).

(٦) في الأصل: أكثر.

وحكىٰ عون[1] بنُ أبي عمران الجوني قال: كانت أمِّي اللَّيلَ تصلِّي حتَّىٰ تَعصِبَ رجليها وساقيها بالخِرق، فيقولُ لها أبي أبو عمران الجوني: دونَ هذا يا هذه، فتقول: هذا عند طولِ القيامِ في الموقفِ قليل، فيسكتُ عنها[2]. وكان يقالُ لها: أمُّ عرفةَ العابدة.

وروىٰ أبو بكر بن عيَّاش قال: سمعتُ أبا إسحاق السبيعي[3] يقول: ما أقلتُ عيني غُمضاً من أربعينَ سنة[4].

وقال العلاء بنُ سالم: ضعفَ أبو إسحاق قبلَ موتهِ بسنتين، فلم يستطعِ القيامَ حتَّىٰ يُقام، فإذا استتمَّ قائماً قرأَ ألفَ آية[5]!

هارون بن الحسن قال: حدَّثني [٦٨/ب] محمَّد بن بشير قال: كان لي جارٌ شيخ، فقال: يا جعفر، اشتريتُ جاريةً في الحداثة، فلمَّا رحلَ من الليلِ ساعةٌ وضعتْ لي ولكلِّ من في البيتِ أتواراً من ماءٍ ومطاهر[6]، فجاءتْ إليّ، وجاءتْ إلىٰ مَن في البيت، فقالت: قوموا فتوضَّؤوا وصلُّوا، قلتُ لها: اذهبي ونامي، قال: فصفَّتْ قدميها، فلم تزلْ تصلِّي حتَّىٰ الصُّبح، فلمَّا أصبحنا قالت: الله الله فيَّ، ردُّوني، لا أريدُ أن أكونَ عندكم، أنتم لا تصلُّون بالليل. قال:

---

(١) في الأصل: عوين، أو عويف. والمثبت من المصدر

(٢) شعب الإيمان (٢٩٥٥). وفيه: تقوم الليل.

(٣) أبو إسحاق عمرو بن عبدالله بن علي الهمداني الكوفي الحافظ، شيخ الكوفة وعالمها ومحدثها. من العلماء العاملين، ومن جلة التابعين. ت ١٢٩ هـ. سير أعلام النبلاء ٥/٣٩٢.

(٤) التهجد وقيام الليل (١٠٣)، مسند ابن الجعد (٤٠٠)، تاريخ مدينة دمشق ٤٦/٢٢١.

(٥) التهجد وقيام الليل (٩٩)، صفة الصفوة ٢/٦٠.

(٦) الأتوار: جمع تَور: إناء معروف تذكره العرب. والمطاهر: جمع مطهرة: إناء يتطهر به. المصباح المنير.

فأدَّبتني ، فلستُ أتركُ الصَّلاةَ بالليلِ منذ ذاك .

وحُكيَ عن بكر العابد أنَّه قال: سمعتُ رجلاً بقزوين يقول:

قســـا قلبـــي فيـــأبىٰ أن يلينـــا ❊ أنـــامُ وأغـــبطُ المتهجِّـــدينا(١)

روىٰ أبو عبيد بإسنادهِ عن ابن سيرين ، أنَّ تميمًا الدَّاري(٢) قرأ القرآن في ركعة(٣).

وروىٰ عن سعيد بن جبير أنَّه قال: قرأتُ القرآنَ في ركعةٍ في البيت(٤).

وروىٰ منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، أنَّه قرأَ القرآنَ في ليلة. طافَ بالبيتِ أسبوعاً ، ثمَّ أتىٰ المقامَ فصلَّىٰ عنده ، فقرأَ بالطِّوال(٥) ، ثمَّ طافَ أسبوعاً ، ثمَّ أتىٰ المقامَ فصلَّىٰ عنده ، فقرأَ بالمثاني ، ثمَّ طافَ أسبوعاً ، ثمَّ أتىٰ المقام ، فصلَّىٰ عنده ، فقرأَ بقيَّةَ القرآن(٦).

---

(١) الهواتف لابن أبي الدنيا (١٧٣) ، التدوين في أخبار قزوين ٢/٣٥٧ .

(٢) تميم بن أوس بن خارجة بن الدار . وفد علىٰ رسول الله ﷺ ومعه أخوه نعيم بن أوس ، فأسلما ، وأقطعهما حبرىٰ وبيت عينون بالشام . وصحب تميم رسول الله ﷺ وغزا معه ، وروىٰ عنه ، ولم يزل بالمدينة حتىٰ تحول إلىٰ الشام بعد قتل عثمان بن عفان . وكان يكنىٰ أبا رقية . الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٧/٤٠٨ .

(٣) جمال القراء ص ١٩٢ ، فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ١٨٢ ، الإيضاح في القراءات ص ٣٣٣ .

(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ١٨٢ ، جمال القراء ص ١٩١ . وفي المصدر الأخير «في الكعبة» بدل «في البيت» .

(٥) في الأصل: بالطول .

(٦) فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ١٨٢ ، وفي الأصل نقص ، وتمامه في هذا المصدر . والأسبوع من الطواف: سبع مرات .

وروىٰ أيضاً أبو عبيد بإسناده، أنَّ سُلَيمَ بن عِتْر التُّجِيبي[1] كان يختمُ القرآنَ في اللَّيلةِ ثلاثَ مرَّات، ويجامعُ ثلاثَ مرَّات، فلمَّا ماتَ قالتِ امرأته: رحمكَ الله، إنْ كنتَ لَتُرضي [٦٩/أ] ربَّكَ وتُرضي أهلك. قالوا: كيف؟ قالت: كان يقومُ من اللَّيلِ فيَختمُ القرآن، ثمَّ يُلِمُّ بأهله، ثمَّ يغتسلُ ويعودُ فيقرأُ حتَّىٰ يَختم، ثمَّ يُلِمُّ بأهله، ثمَّ يغتسلُ ويعودُ فيقرأُ حتَّىٰ يَختم، ثمَّ يُلِمُّ بأهله، ثمَّ يغتسلُ فيخرجُ إلىٰ صلاةِ الصبح[2].

قال أبو الأحوص: كان أبو يونس[3] يطوفُ كلَّ ليلةٍ تسعينَ أسبوعاً، ثمَّ يخرجُ من الأبوابِ وهو يقول: عند الصَّباحِ يَحمَدُ القومُ السُّرَىٰ. وصامَ حتَّىٰ صارَ شبهَ الشَّنّ، وصلَّىٰ حتَّىٰ أُقعِد، وبكىٰ حتَّىٰ عَمي. وكان يسمَّىٰ أبا يونس القويّ[4].

---

(١) في الأصل «عقد التجيبي»، وتصحيحه من مصدره الذي نقل منه مؤلفه. وهو إمام فقيه، قاضي مصر وواعظها، وقاصها، وعابدها. حضر خطبة عمر بالجابية. وهو ثقة. ت ٧٥ هـ. سير أعلام النبلاء ٤/١٣١.

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ١٨٢.

(٣) يعرف بأبي يونس القوي. وهو الحسن بن يزيد العجلي، سمي بالقوي لقوته علىٰ العبادة. قال البخاري: قال أبو عاصم: قدم علينا أبو يونس فطاف في يوم واحد سبعين طوافاً. صفة الصفوة ٢/٧١.

(٤) أوله في تاريخ الإسلام ١٠/٣٠٤، وفيه: سبعين أسبوعًا. والأسبوع من الطواف كما ذكرنا: سبع مرات. وآخره في صفة الصفوة ٢/٧١، وفيه: صام حتىٰ صار كالحشفة. والشنّ: القِربة البالية، والحشف: اليابس الفاسد من التمر، وقيل: الضعيف الذي لا نوىٰ له. النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٣٩١. و «عند الصَّباحِ يَحمَدُ القومُ السُّرَىٰ» مثل قاله خالد بن الوليد رضي الله عنه، ويضرب للرجل يحتمل الشَّقةَ رجاء الراحة. مجمع الأمثال ٢/٣. وورد في الأصل «وكان يسمىٰ أبو يونس».

وروى الحسن بنُ ذكوان، عن الحسن البصريِّ أنَّه كان يقول: أولئك[1] النَّاحلون الشَّاحبون الذَّابلون المتقشِّفون، إذا جنَّهمُ اللَّيلُ فقيامٌ على أطرافهم، يناجون ربَّهم، تجري دموعُهم على خدودِهم، يفترشون وجوهَهم[2]، إذا نظرَ إليهم النَّاظرُ قالَ مرضى، وليسوا بمرضى، وقالوا مخالطين، وقد خالطَ القومَ همٌّ شديد؛ ذكرُ جهنَّمَ وعذابٌ شديد[3].

فَصْلٌ
في المختار من القراءة في التَّهجُّد

روى أبو عبيد بإسنادِه عن سعد بنِ المنذر الأنصاريِّ قال: يا رسولَ الله، أقرأُ القرآنَ في ثلاث؟ قال: «**نعم، إن استطعت**». وكان يقرؤهُ كذلك حتَّى توفِّي[4].

وروى بإسناده عن عَمرة، عن عائشة أنَّها قالت: **كان رسول الله ﷺ لا يختمُ القرآنَ في أقلَّ من ثلاث**[5].

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) في الأصل: يفرشون. وهو إشارة إلى كثرة السجود، كما أفاده في إتحاف السادة المتقين ٢٤٤/١٠.

(٣) إحياء علوم الدين ٤٠٩/٤ في كلام طويل للحسن ﷺ، ومع اختلاف كلمات.

(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم ص ١٧٩، قال في مجمع الزوائد ٢٧١/٢: فيه ابن لهيعة وفيه كلام. لكن ابن كثير جوَّد إسناده وأنه قوي حسن؛ لأن ابن لهيعة صرّح بالسماع. فضائل القرآن لابن كثير ص ٢٥٢، وصححه للطبراني في صحيح الجامع (١١٥٥)، وقال في الصحيحة ١٧/٤: إسناده جيد، رجاله ثقات.

(٥) فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم ص ١٧٩، وفي سنده الطيب بن سلمان، قال ابن كثير ﷺ:=

وروىٰ بإسنادِهِ عن عبدالله بن عمرو [٦٩/ب] قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يفقهُ من قرأهُ في أقلَّ من ثلاث»(١).

ورويَ عن عبدالله أنَّه قال: من قرأَ القرآنَ في أقلَّ من ثلاثةٍ فهو راجز(٢).

وروىٰ منصور، عن إبراهيم، عن الأسود، أنَّه كان يختم القرآن في كلِّ ليلتين(٣).

وروىٰ أبو عبيد بإسنادِهِ عن قيس بنِ أبي صعصعة(٤)، أنَّه قالَ للنَّبيِّ ﷺ: يا رسولَ الله، في كم اقرأُ القرآن؟ قال: «في كلِّ خمسَ عشرة»، فقال: إنِّي أجدني أقوىٰ من ذلك، فقال: «ففي كلِّ جمعة»(٥).

وروىٰ عبدالرَّحمن بن عبدالله بن مسعود قال: كان عبدالله بن مسعود في

= هذا حديث غريب جدًا، وفيه ضعف؛ فإن الطيب بن سلمان هذا بصري، ضعَّفه الدارقطني، وليس هو بذاك المشهور، والله أعلم. فضائل القرآن لابن كثير ص ٢٥٤.

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم ص ١٧٩، ورواه أحمد ٤٦/١١ وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر، وكذا الأرناؤوط، سنن أبي داود (١٣٩٤) وصححه في صحيح سنن أبي داود. وورد في الأصل «يفقهه»، والمثبت من المصدرين وغيرهما.

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم ص ١٨٠، فضائل القرآن للفريابي (١٤٦)، وفي الرقم التالي: «من قرأَ القرآنَ في أقلَّ من ثلاثةٍ فهو راجز: هذًّا كهذِّ الشعر، ونثرًا كنثر الدقَل» ـ ومنه يعرف معنىٰ الرجز هنا ـ، حلية الأولياء ٢٥٧/٧ وقال: مشهور من حديث مسعر، شعب الإيمان (١٩٨٣)، المعجم الكبير (٨٧٠١).

(٣) في شهر رمضان، كما في مصدره: فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم ص ١٨٠.

(٤) صحابي أنصاري من بني النجار. شهد العقبة وبدرًا، وكان علىٰ ساقة النبي ﷺ. الإصابة (٧٢٠٢).

(٥) فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم ص ١٧٧، تاريخ مدينة دمشق (٥٧٦٠) وفي سنديهما ابن لهيعة، جمال القراء ص ١٨٩.

غيرِ رمضانَ يقرأُ القرآنَ من الجمعةِ إلى الجمعة(١).

وروى أبو قلابة، عن أبي المهلَّب قال: كان أُبيُّ بن كعب يختمُ القرآنَ في كلِّ ثمان، وكان تميمٌ الدَّاريُّ يختمهُ في كلِّ سبع، وكان إبراهيم يختمُ القرآنَ في كلِّ سبع، وكان الأسودُ يختمُ القرآنَ في كلِّ ستّ، وكان علقمة يختمهُ في كلِّ خمس(٢).

وروى جابر أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**من كثرتْ صلاتهُ بالليلِ حسنَ وجههُ بالنَّهار**»(٣).

وروى البخاريُّ بإسنادهِ عن أنس بنِ مالك قال: دخلَ رسولُ الله ﷺ، فإذا حبلٌ ممدودٌ بين السَّاريتين، فقال: «**ما هذا الحبل**»؟ قالوا: حبلٌ لزينب، فإذا فترتْ تعلَّقت، فقالَ النبيُّ ﷺ: «**حلُّوه، ليصلِّ أحدُكم نشاطَهُ، فإذا فترَ فليقعد**»(٤).

وروى أيضاً بإسنادهِ عن عروة، عن عائشة قالت: [٧٠/أ] كانت عندي امرأةٌ من بني أسد، فدخلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ فقال: «**من هذه**»؟ قلت: فلانة، لا تنامُ اللَّيل، تَذكرُ من صلاتها، فقال: «**مَه، عليكم ما تطيقون من الأعمال**،

---

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم ص ١٧٧.

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم ص ١٧٨، ولابن كثير ص ٢٥٠، الإيضاح في القراءات ص ٣٣٣.

(٣) شعب الإيمان (٢٨٣٠)، مسند الشهاب (٤٠٨)، سنن ابن ماجه (١٣٣٣) وضعفه الألباني، كما ذكر ضعفه في ضعيف الجامع (٥٨١٦). وقال في المقاصد الحسنة (١١٦٩): لا أصل له.

(٤) صحيح البخاري (١١٥٠)، صحيح مسلم (٧٨٤). وورد في الأصل «حبل مشدود»، وتصحيحه منهما.

فإنَّ الله ﷻ لا يملُّ حتَّىٰ تملُّوا»[1]. ومعنىٰ ذلك أنَّ الله تعالىٰ يكرهُ أن تملُّوا، كما أنَّ الذي يملُّ يكرهُ العمل، فسمَّىٰ كراهتَهُ لملَلِكم ملَلاً.

وروىٰ البخاريُّ بإسنادهِ عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: قالَ لي النَّبيُّ ﷺ: «**ألمْ أُخبَرْ أنَّك تقومُ اللَّيلَ وتصومُ النَّهار**»؟ قلت: إنِّي أفعلُ ذلك، قال: «**فإنَّكَ إذا فعلتَ هجمَتْ عينُك، ونَفِهتْ نفسُك، وإنَّ لنفسِكَ حقًّا، ولأهلِكَ حقًّا، فصمْ وأَفطِرْ، وقُمْ ونَمْ**»[2].

فَصْلٌ
[كثرة النوم في الليل]



روىٰ البخاريُّ بإسنادهِ عن أبي هريرة، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**يَعقِدُ الشَّيطانُ علىٰ قافيةِ رأسِ أحدِكم إذا هو نامَ ثلاثَ عُقَد، يضربُ علىٰ كلِّ عُقدة: عليكَ ليلٌ طويلٌ فارقُد، فإن استيقظَ فذكرَ الله تعالىٰ انحلَّتْ عُقدة، فإن توضَّأَ انحلَّتْ عُقدة، فإن صلَّىٰ انحلَّتْ عُقدة، فأصبحَ نشيطاً طيِّبَ النَّفس، وإلَّا أصبحَ خبيثَ النَّفسِ كسلان**»[3].

وروىٰ بإسنادهِ عن أبي وائل، عن عبدالله قال: ذُكِرَ عند رسولِ الله ﷺ

---

(١) صحيح البخاري (١١٥١).

(٢) صحيح البخاري (١١٥٣). ومعنىٰ هجمت: غارت. ونفهت: كلَّت وأعيت.

(٣) صحيح البخاري (١١٤٢)، صحيح مسلم (٧٧٦). وقافية رأس أحدكم أي: مؤخر عنقه. وقوله «يضرب» أي: بيده علىٰ العقدة، تأكيداً وإحكامًا لها، قائلًا ذلك. وقيل: معنىٰ يضرب: يحجب الحسَّ عن النائم حتىٰ لا يستيقظ. فتح الباري لابن حجر ٣/٢٤. وآخره في الأصل: خبيث النفس ذليلًا. وتصحيحه من الصحيح.

رجلٌ، فقيل: ما زالَ نائماً حتَّىٰ أصبح، ما قامَ إلىٰ الصَّلاة، فقال: «**بالَ الشَّيطانُ في أذنه**»[1].

قالَ سفيان: معنىٰ الحديثِ أنَّه تركَ [٧٠/ب] الفريضة، ويحتملُ ما قاله، ويحتملُ أن يريدَ أنَّه أغراهُ بالنَّومِ عن القيام، علىٰ ما ذكرَهُ في الخبرِ قبلَ ذلك[2].

وروىٰ جابر بن عبدالله عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**قالتْ أمُّ سليمان بنِ داود لسليمانَ عليهما السلام: يا بنيَّ، لا تكثرِ النَّومَ بالليل، فإنَّ كثرةَ النَّومِ تَدَعُ الرَّجلَ فقيراً يومَ القيامة**»[3].

رويَ أنَّه ذُكِرَ عند حذيفة بنِ اليمان أنَّ قوماً يكابدون هذا اللَّيل، فإذا نعسَ أحدُهم ربطَ حَقْوَهُ[4] إلىٰ سماءِ البيت، فقالَ رجل: أولئك خيارُنا، فقالَ حذيفة: قبَّحَ الله قوماً أولئك خيارُهم، أولئك شرارُهم، خيارُكم من لم يذَرْ آخرتَهُ لدنياه، ولا دنياهُ لآخرته[5].

ومعنىٰ هذا الحديثِ أنَّه لا يَتركُ ما يحتاجُ إليه من الدنيا لمصلحتهِ

(١) صحيح البخاري (١١٤٤)، صحيح مسلم (٧٧٤).

(٢) ينظر هذا وزيادة عليه في فتح الباري ٢٨/٣.

(٣) سنن ابن ماجه (١٣٣٢)، وضعفه في ضعيف ابن ماجه. وذكر الشوكاني أن في إسناده متروكًا. الفوائد المجموعة (٣٥).

(٤) الحقو: موضع شدِّ الإزار، وهو الخاصرة. المصباح المنير، مادة ح ق و. وورد في مصدره (الدلائل) أدناه: جوزه، ويعني وسطه.

(٥) الدلائل في غريب الحديث (٥٠٤)، كنز الكتاب ومنتخب الآداب ٧٩٨/٢. والمكابدة: المشقة في الأمر.

ومصلحةِ أهله، فإنَّ ذلك معونةٌ له علىٰ إصلاحِ دينه، وهذا معنىٰ قولهِ ﷺ لعبدالله بن عمرو بن العاص: «**إنَّ لنفسِكَ عليكَ حقًّا، ولأهلِكَ حقًّا**».

وفي معنىٰ ذلك ما رُوِيَ أنَّ امرأةً جاءتْ إلىٰ عمر رضي الله عنه، فقالت: يا أميرَ المؤمنين، زوجي رجلٌ صالح، يصومُ النَّهار، ويقومُ اللَّيل، يُشبعُ بطني، ويكسو ظهري، فمرْهُ يحسنْ إليَّ، فقالَ عمر رضي الله عنه: زوجُكِ رجلٌ صالح، نعم الرَّجلُ زوجك، فكلَّما ردَّتْ عليه كلامَها ردَّ عليها مثلَ ذلك، فقالَ كعب بنُ سُوْرٍ الأزدي(١): يا أميرَ المؤمنين، إنَّها تريدُ نصيبَها من فراشه، [٧١/أ] فقال: فانظرْ في أمرها يا كعب، فقال: أراهُ بمنزلةِ رجلٍ له أربعُ نسوة، لها الرُّبعُ لا محالة، وهي تسمع، فقالتْ له:

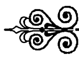
[يا] أيُّها [القاضي] الفقيهُ أرشدهْ ❊ ألهىٰ خليلي عن فراشي مسجدُهْ
زهَّدَهُ في مضجعي تعبُّدهْ ❊ نهارَهُ وليلَهُ ما يرقدهْ
ولستُ في أمرِ النِّساءِ أحمدهْ ❊ فاقضِ قضا كعبٍ ولا تردِّدهْ

فقالَ عمر رضي الله عنه: عليَّ بزوجها، قال: فأُتِي بزوجها وهو يقول:

إنِّي امرؤٌ زهَّدني ما قد نزلْ ❊ في سورةِ النُّورِ وفي السبعِ الطِّوَلْ
وفي الحواميمِ الشفا وفي النحلْ ❊ وفي كتابِ الله تخويفُ الرَّجلْ
فردَّها عنِّي وعن سوءِ الجدلْ

فقالَ عمر رضي الله عنه:

(١) في الأصل: كعب بن سوار. وهو قاضي البصرة، وليها لعمر وعثمان. وكان من نبلاء الرجال وعلمائهم. قُتل يوم الجمل، قام يعظ الناس ويذكّرهم، فجاءه سهم غرب فقتله. سير أعلام النبلاء ٣/٥٢٤.




إنَّ السـعيدَ بالقضـاءِ مَـن فصـلْ ❊ ومَـن قضَـىٰ بـالحقِّ حقًّـا وعـدلْ
إنَّ لهـا عليـكَ حقًّـا يـا بعـلْ ❊ فاجعلْ لها ذاكَ وذرْ عنك العللْ(١)

فهذا يبيِّنُ لكَ ـ عافاكَ الله ـ أنَّ الاقتصادَ في العبادةِ حسبَ ما يمكنُ المداومةُ عليه ويقومُ معه البدنُ أولىٰ، وقد قالَ ﷺ: «**إنَّ هذا الدِّين متين، فأوغلوا فيه برفق، فإنَّ المنبتَّ لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقىٰ**»(٢).

وهذا مثلٌ ضربَهُ لمن أجهدَ نفسَهُ جهداً يخافُ منه انقطاعَها وتعذُّرَ الثباتِ عليه، فشبَّهَ ذلك بمن يقطعُ أرضاً، فسارَ سيراً عنيفاً، فانقطعَ ظهرهُ [٧١/ب] الذي يركبه، ولم يبلغْ منتهىٰ أرضه(٣).

وقد قالَ ﷺ: «**أحبُّ العملِ إلىٰ الله تعالىٰ ما ديمَ عليه وإن قلَّ**»(٤).

---

(١) نهاية الأرب ٦/٢٨٦، تزيين الأسواق ص ١٩٥، الأذكياء ص ١٠٨. وفي الأصل اختلاف كلمات وجمل. وما بين المعقوفات من المصدر الأول.

(٢) الحديث يأتي من رواية جابر بن عبدالله، وقد اختلف في وصله وإرساله كما قال في كشف الخفاء ٢/٢٨٤، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٦٧: فيه يحيىٰ بن المتوكل أبو عقيل وهو كذاب. اهـ. لكن نقل السخاوي قول ابن عبدالبرّ في أبي عقيل هذا: هو عند جميعهم ضعيف. الأجوبة المرضية ص ١٢. وضعفه في ضعيف الجامع (٢٠٢٢).

(٣) وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث ١/٩٢: يقال للرجل إذا انقطع به في سفره وعطبت راحلته: قد انبتّ، من البتّ: القطع، وهو مطاوع بتّ، يقال: بتَّه وأبتَّه. يريد أنه بقي في طريقه عاجزًا عن مقصده، لم يقض وطره وقد أعطب ظهره..

(٤) قطعة من حديث تأتي في آخره، رواه الطبراني في الأوسط، قال في مجمع الزوائد ٢/٢٦٢: فيه الجارود بن يزيد وهو متروك. اهـ. وذكر الألباني أنه موضوع بهذا التمام في السلسلة الضعيفة (٣١٦٠). وهو يأتي صحيحًا عند الترمذي (٢٨٥٦) هكذا: سئلت عائشة وأم سلمة: أي العمل كان أحبَّ إلىٰ رسول الله ﷺ؟ قالتا: «ما ديم عليه وإن قلَّ». وقد صححه له في صحيح الترمذي.

فيستحبُّ للرَّجلِ أن يعملَ بطاعةِ الله تعالىٰ وعبادتهِ ما يحتملهُ جسده، ويثبتُ معه قلبه، وتسكنُ معه نفسه، فإن علتْ درجتهُ في العبادةِ الدائمة، وسكنتْ نفسهُ إليها، واحتملها بدنه، فذلك الفائزُ السابق، حسنتْ له الرعاية، وتمَّتْ له الولاية.

فَصْلٌ
[إخفاء العبادة إلا لداع]

ومن جملةِ طاعتهِ إخفاءُ عبادتهِ إلَّا أن يكونَ له في إظهارها إصلاحٌ لغيرهِ لها، أو تنبيهُ غيرهِ عليها. وقد حكىٰ المغيرة بنُ هشام قال: كنَّا مع عبدالواحد بن زيد رحمه الله[1] بعبَّادان[2]، في بعضِ خاناتها، وكان في عُلْوهِ ونحن في أسفلِ الخان، فكان إذا جنَّ عليه اللَّيلُ أشرفَ علينا من العُلْوِ وهو يقول:

يا من يصيرون إلىٰ الترابِ ❊ ما هكذا الموقنُ بالثَّوابِ

قال: ثمَّ يصلِّي، ثمَّ يشرفُ ويقول:

يا من يصيرون إلىٰ المقابرْ ❊ ما هكذا فِعلُ اللبيبِ الحاذرْ

قال: ثمَّ يرجعُ إلىٰ صلاته، ثمَّ يشرفُ ويقول:

يا من يصيرون إلىٰ الدَّيَّانِ ❊ انتبهوا من رقدةِ الوسنانِ

---

(١) بصري. شيخ العبّاد. نصب نفسه للكلام في مذاهب النسّاك، وتبعه خلق. وكان ممن غلب عليه العبادة حتىٰ غفل عن الإتقان. نُسب إلىٰ شيء من القدر ولم يُشهر. صفة الصفوة ٣٢١/٣، سير أعلام النبلاء ١٧٨/٧.

(٢) بلدة تقع قرب البصرة. معجم ما استعجم ٩١٦/٣.




فإذا كان في نصفِ اللَّيلِ أشرفَ علينا وهو يقول:

ألا فتًى يسمعُ ما أقولْ ❊ فيحسنُ الخدمةَ للمأمولْ

[٧٢/أ] ثمَّ يرجعُ إلىٰ صلاته، ثمَّ يشرفُ علينا وهو يقول:

ألا فتًى يهوىٰ لِقا حبيبهِ ❊ أذابَهُ الشوقُ علىٰ تعذيبهِ

فلا يزالُ كذلك حتَّىٰ يطلعَ الفجر، فإذا أحسَّ بطلوعِ الفجرِ أنشأَ يقول:

طالَ اشتياقي وطالتْ في الدُّجىٰ فِكَري ❊ واللَّيلُ ماضٍ وما أقضي بهِ وَطري(١)

الله يعلمُ أنِّي ما أحبُّ بَقًا ❊ في هذه الدَّارِ فانقلني إلىٰ حفري(٢)

فَصْل
في فضل شعبان



رویٰ هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشةَ رضي الله عنها أنَّها قالت: كانتْ ليلةُ النِّصفِ من شعبانَ ليلتي، فباتَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فلمَّا كان جوفُ اللَّيلِ فقدته، فأخذني ما يأخذُ النِّساءَ من الغَيرة، فتلفَّعتُ بمِرْطي(٣)، فطلبتهُ في حُجَرِ نسائهِ فلم أجده، فانصرفتُ إلىٰ حجرتي، فإذا به كالثَّوبِ الساقطِ علىٰ وجهِ الأرضِ ساجداً، وهو يقولُ في سجوده: «**سجدَ لك سوادي وخيالي، وآمنَ بكَ فؤادي، هذه يدي بما جنيتُ بها علىٰ نفسي، يا عظيماً يُرجَىٰ لكلِّ عظيم، اغفرِ الذَّنبَ العظيم، سجدَ وجهي للذي خلقَهُ وشقَّ سمعَهُ وبصره**». قالت: ثمَّ

(١) في الأصل: واللَّيلُ ماضٍ ولم أقضِ منه وطري، وهو مكسور.
(٢) حكي هذا عن محمد بن بشر المازني أيضًا، كما في ترتيب الأمالي الشجرية ١/٢٧١.
(٣) المرط: كساء تتلفع به المرأة، من خزّ أو صوف.

رفعَ رأسه، فعادَ ساجداً فقال: **«أعوذُ برضاكَ من سخطك، وبمعافاتِكَ من عقوبتِك، وبكَ منك، أنت كما أثنيتَ علىٰ نفسك، أقولُ كما قالَ أخي داود: أعفِّرُ وجهي في الترابِ لسيدي، وحُقَّ له أن يَسجد»**. ثمَّ رفع رأسه وقال: **«اللَّهمَّ ارزقني** [٧٢/ب] **قلباً نقيًّا من الشرك، لا كافراً ولا شقيًّا»**.

قالت: ثمَّ انصرف، فدخلَ معي في الخميلة، ولي نفَسٌ عالٍ، فقال: **«ما هذا النَّفَسُ يا حُميراء»**؟ فأخبرته، فطفقَ يمسحُ بيدِهِ علىٰ ركبتي ويقول: **«ويْسَ هاتين الركبتين، ماذا لقيتا في هذه الليلة، ليلةُ النصفِ من شعبانَ ينزلُ الله تعالىٰ إلىٰ السماءِ الدنيا، فيغفرُ لعباده، إلَّا لمشركٍ أو مشاحِنٍ»**[١].

ومعنىٰ النزول: قربُ رحمتِهِ تعالىٰ منهم، كما يقربُ النازل.

وقد روىٰ المصريُّ[٢] بإسنادِهِ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: **«من أحيا ليلتَي العيد، وليلةَ النِّصفِ من شعبان، لم يمتْ قلبهُ يومَ تموتُ القلوب»**[٣].

---

(١) الدعوات الكبير للبيهقي (٥٣١) أورده بإسنادين وقال: في هذا الإسناد بعض من يجهل وكذلك فيما قبله، وإذا انضم أحدهما إلىٰ الآخر أخذا بعض القوة، والله أعلم، ورواه في فضائل الأوقات أيضًا (٢٧)، وذكر ابن الجوزي أنه لا يصح، في العلل المتناهية ٥٥٧/٢. وقال ابن حجر في الأمالي المطلقة (١٢٠): هذا حديث غريب ورجاله موثوقون إلا سليمان بن أبي كريمة ففيه مقال. ثم أطال في تخريجه. والنص في هذا الكتاب أقرب إلىٰ ما أورده الحافظ. وويس: كلمة في موضع رأفة واستملاح. العين ٣٣٢/٧.

(٢) علي بن محمد المصري. ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية.

(٣) العلل المتناهية (٩٢٤) قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح. وقال الذهبي في ميزان الاعتدال ٣٠٨/٣: حديث منكر مرسل. وقال ابن حجر في الإصابة (٧٤٠٨) ـ وفي سند الحديث مروان بن سالم ـ: ومروان هذا متروك متهم بالكذب. اهـ. وقد ورد في الأصل «ليلة العيد» وتصحيحه من المصادر السابقة. ورواه ابن ماجه (١٧٨٢) بلفظ «من قام ليلتي العيدين محتسبًا لله لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»، قال في التلخيص الحبير (٦٧٥): الصحيح=

فَصْلٌ
في صلاة الضُّحى



روىٰ أبو داود في سننهِ بإسنادهِ عن معاذ بن أنس الجهني ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**من قعدَ في مصلَّاهُ حين ينصرفُ من الصُّبحِ حتَّىٰ يسبِّحَ ركعتي الضحىٰ ، لا يقولُ إلَّا خيراً ، غُفِرَ له خطاياهُ وإن كانتْ أكثرَ من زبدِ البحر**»(١) .

وروىٰ أيضاً بإسنادهِ عن أبي أمامة ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**صلاةٌ علىٰ أثَرِ صلاةٍ لا لغوَ بينهما كتابٌ في علِّيين**»(٢) .

وروىٰ أيضاً بإسنادهِ عن كُريب مولىٰ ابنِ عباس ، عن أمِّ هانئ بنتِ أبي طالب ، **أنَّ رسولَ الله ﷺ يومَ الفتحِ صلَّىٰ سُبْحةَ الضُّحىٰ ثمانِ ركعات ، يسلِّمُ من كلِّ ركعتين**(٣) .

وروىٰ أبو داود عن القَعنبي ، عن مالك ، عن [٧٣/أ] ابنِ شهاب ، عن عروة بنِ الزُّبير ، عن عائشة أنَّها قالت: **ما سبَّحَ رسولُ الله ﷺ سُبحةَ الضحىٰ**

= أنه موقوف علىٰ مكحول. وذكر الألباني أنه موضوع.

(١) سنن أبي داود (١٢٨٧) وضعفه له الشيخ شعيب ، كما ضعفه في ضعيف الجامع (٥٧٩٥) لأبي داود وأحمد. ومعنىٰ يسبح: يصلي. وفي المطبوع من السنن «صلاة الصبح» ، ويرد في مصادر أخرىٰ كما أثبته المؤلف.

(٢) سنن أبي داود (١٢٨٨) وضعفه له ولأحمد في ضعيف الجامع (٦٢٢٨). و «كتاب»: بمعنىٰ مكتوب. و «عليين»: ديوان الحفظة. بذل المجهود ٥/٥١٥. وفي المطبوع من السنن «في أثر صلاة» ، ويأتي في مصادر أخرىٰ كما هو عند المؤلف.

(٣) سنن أبي داود (١٢٩٠) وضعفه له الشيخ شعيب ، كما ضعفه الألباني له ولابن ماجه. ويأتي بلفظ آخر عند مسلم (٣٣٦).




قطُّ ، وإنِّي لأسبِّحها ، وإنْ كان رسولُ الله ﷺ ليدَعُ العملَ وهو يحبُّ أن يَعملَ به خشيةَ أن يعملَ به النَّاسُ فيُفرَضَ عليهم(١).

وروىٰ أيضاً بإسنادِهِ عن سِماك قال: قلتُ لجابر بنِ سَمُرَة: أكنتَ تجالسُ رسولَ الله ﷺ ؟ قال: نعم ، كثيراً ، **فكانَ لا يقومُ من مصلَّاهُ الذي صلَّىٰ فيه [الغداةَ] حتَّىٰ تَطلُعَ الشمس ، فإذا طلعتْ قام**(٢).

وروىٰ البخاريُّ بإسنادِهِ عن أبي هريرة قال: **أوصاني خليلي ﷺ بثلاث ، لا أدَعُهنَّ حتَّىٰ أموت: صومِ ثلاثةِ أيَّامٍ من كلِّ شهر ، وصلاةِ الضحىٰ ، ونومٍ علىٰ وتر**(٣).

وهذه الأخبارُ قد اختلفتْ في صلاةِ الضحىٰ ، إلَّا أنَّه قد رُويَ أنَّه رَغَّبَ فيها ، وفعلَها وتركَها ، فتكونُ مستحبَّةً بالترغيبِ فيها ، وجائزٌ تركُها ، والإثباتُ في ذلك أولَىٰ من النَّفي ، مع أنَّ فعلَ النوافلِ في غيرِ الأوقاتِ المنهي عنها مستحبَّة ، مرغَّبٌ فيها ، ووقتُ الضحىٰ تجوزُ فيه النوافلُ ولا تُكره.

وفي هذا الوقتِ يستحبُّ لمن فاتَهُ وردهُ ليلاً أن يأتيَ به ، لما رَوىٰ أبو

---

(١) سنن أبي داود (١٢٩٣) وصححه له في صحيح أبي داود ، كما رواه الشيخان: البخاري (١١٢٨) ، مسلم (٧١٨).

(٢) سنن أبي داود (١٢٩٤) وصححه له في صحيح أبي داود ، كما رواه مسلم (٦٧٠) ، وما بين المعقوفتين منهما. قال السهارنفوري: ولا مناسبة لهذا الحديث بصلاة الضحىٰ ، ولعل المصنف رحمه الله فهمَ من قوله: «فإذا طلعت قام» أي: قام إلىٰ تطوع الضحىٰ ، وقد أشار إليه في الحاشية: أي لصلاة الإشراق ، ولكن تتبعت طرق الحديث ، فلم أجد في طريقه ما يدل علىٰ أن هذا القيام كان لأداء الصلاة ، بل في بعض طرقه أن هذا القيام كان للرجوع والانصراف... بذل المجهود ٥/٥٢١.

(٣) صحيح البخاري (١١٧٨) ، صحيح مسلم (٧٢١).

داود بإسنادهِ عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«من نامَ عن حزبهِ** [٧٣/ب] **أو شيءٍ منه، فقرأهُ ما بين صلاةِ الفجرِ وصلاةِ الظهر، كُتبَ له كأنَّما قرأهُ من اللَّيل»**(١).

وفي معنىٰ ذلك قولهُ تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]: من فاتَهُ شيءٌ في وقت، أتىٰ به في وقتٍ آخر(٢).

وقد روىٰ أبو داود أيضاً في سننهِ بإسنادهِ عن عائشة، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«ما من امرئٍ يكونُ له صلاةٌ بليل، فغلبَهُ عليها نوم، إلَّا كُتِبَ له أجرُ صلاته، وكان نومهُ عليه صدقة»**(٣).

وهذا محمولٌ علىٰ المجتهدين، إذا غلبَ علىٰ أحدهم نومٌ مع اجتهاده، كُتِبَ له ما عَجَزَ عنه.

فَصْلٌ
[في فضل الصلاة والسجود]

رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: **«حبِّب إليَّ من دنياكم ثلاث: الطِّيب، والنِّساء، وجُعِلَ قرَّةُ عيني في الصَّلاة»**(٤).

---

(١) سنن أبي داود (١٣١٣)، صحيح مسلم (٧٤٧).

(٢) من قول ابن عباس. الدر المنثور ٦/٢٧٠.

(٣) سنن أبي داود (١٣١٤)، قال محققه الأرناؤوط: حديث حسن لغيره، وهذا سند فيه رجل مبهم. اهـ. وقد أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١١٧٤) من رواية أبي ذر، ونقل محققه الأعظمي أن رجاله ثقات.

(٤) سنن النسائي (٣٩٣٩) وذكر الألباني في صحيح سننه أنه حسن صحيح، مسند أحمد=

ومعنى ذلك أنَّه يلتذُّ بمناجاةِ ربِّه، والخشوعِ له، والخضوعِ بين يديه، قالَ الله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

وروى مسلم بن خالد(١) قال: سمعتُ عمراً(٢) يقول: الصَّلاةُ رأسُ العبادة(٣).

قال جعفر بن سليمان: سمعتُ ثابتًا(٤) البنانيَّ يقول: الصَّلاةُ خدمةُ الله تعالى في الأرض، لو علمَ الله تعالى شيئاً أفضلَ من الصَّلاةِ ما قال: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾(٥) [آل عمران: ٣٩].

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ لفاطمةَ عليها السلام: «**إن أردتِ اللَّحاقَ** [٧٤/أ] **بي فأكثري من السُّجود**»(٦).

ورويَ عن الأوزاعي أنَّه قال: كان عليُّ بن عبدالله بنِ عباس(٧) يسجدُ كلَّ يومٍ ألفَ سجدة(٨).

= (١٣٠٥٧) وحسنه له الأرناؤوط.

(١) في مصدره: الزَّنجي بن خالد. وهو أبو خالد مسلم بن خالد الزنجي.

(٢) يعني عمرو بن دينار، كما في المصدر.

(٣) التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا (٢٥).

(٤) في الأصل: قال سمعت ثابت.

(٥) التهجد وقيام الليل (٤٠٥) وذكر محققه (مصلح) أن إسناده حسن.

(٦) لم أره.

(٧) علي بن عبدالله بن عباس، أصغر ولد أبيه سنًّا. ثقة، قليل الحديث. أجمل قرشي وأوسمه، وأكثر صلاة، وكان يدعى السجّاد، وله عقب، وفي ولده الخلافة. توفي ١١٨ هـ. ينظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٣٧/٢١.

(٨) تاريخ مدينة دمشق ٤٩/٤٣، تهذيب الكمال ٣٨/٢١.

وقال ابنُ السَّائب: كان مرَّة بنُ شراحيل[1] يصلِّي في كلِّ يومٍ ألفَ ركعة، فلمَّا ثقلَ وبدنَ صلَّىٰ أربعَ مئةِ ركعة، وكنتُ أنظرُ إلىٰ مَباركهِ كأنَّها مباركُ الإبل[2].

فَصْلٌ
في قيام شهر رمضان

روىٰ أبو داود بإسنادهِ عن أبي هريرة قال: كان رسولُ الله ﷺ يُرغِّبُ في قيامِ رمضانَ من غيرِ أن يأمرهم بعزيمة، ثمَّ يقول: «**من قامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبه**». فتوفِّيَ رسولُ الله ﷺ والأمرُ علىٰ ذلك، ثمَّ كان الأمرُ علىٰ ذلك في خلافةِ أبي بكر، وصدراً من خلافةِ عمرَ رضي الله عنهما[3].

وروىٰ أبو داود بإسنادهِ عن عروة، عن عائشة، أنَّ النَّبيَّ ﷺ صلَّىٰ في المسجد، فصلَّىٰ بصلاتهِ ناس، ثمَّ صلَّىٰ من القابلة، فكثرَ النَّاس، ثمَّ اجتمعوا من اللَّيلةِ الثالثةِ فلم يخرجْ إليهم، فلمَّا أصبحَ قال: «**قد رأيتُ الذي صنعتم، فلم يمنعني من الخروجِ إليكم إلَّا أنِّي خشيتُ أن يُفرَضَ ذلك عليكم**»، وذلك في رمضان[4].

---

(١) مرة الطيب بن شراحيل الهمداني الكوفي. ويقال له أيضًا: مرة الخير؛ لعبادته، وخيره، وعلمه. حدَّث عن أبي بكر الصديق وعمر، وآخرين من جلة الصحابة. ذكر أنه سجد لله حتىٰ أكل التراب جبهته! ولم تكثر روايته. مات سنة نيف وثمانين بالكوفة. سير أعلام النبلاء ٤/٧٤.

(٢) حلية الأولياء ٤/١٦٢، حفظ العمر لابن الجوزي ص ٤٧.

(٣) سنن أبي داود (١٣٧١) وصححه له في صحيح سننه، وهو عند الشيخين أيضًا: صحيح البخاري (٢٠٠٩)، صحيح مسلم (٧٥٩).

(٤) سنن أبي داود (١٣٧٣) وصححه له في صحيح سننه، صحيح مسلم (٧٦١).

وروى أيضاً بإسنادهِ عن أبي سلمة بنِ عبدالرَّحمن، عن عائشة قالت: **كان النَّاس يصلُّون في المسجدِ أوزاعاً، فأمرني رسولُ الله ﷺ** [٧٤/ب] **فضربتُ له حصيراً، فصلَّى رسولُ الله ﷺ عليه**(١).

وروى أيضاً بإسنادهِ عن جُبير بن نُفير، عن أبي ذرٍّ قال: صُمنا(٢) مع رسولِ الله ﷺ رمضان، فلم يقمْ بنا شيئاً من الشهرِ حتَّى بقيَ سبع، فقامَ بنا حتَّى ذهبَ ثلثُ اللَّيل، فلمَّا كانتِ السَّادسةُ لم يقمْ بنا شيئاً، فلمَّا كانتِ الخامسةُ قامَ بنا حتَّى ذهبَ شطرُ الليل، [فقلتُ: يا رسولَ اللَّه، لو نفَّلتَنا قيامَ هذهِ اللَّيلة، قال]: فقال: «**إنَّ الرَّجلَ إذا صلَّى مع الإمامِ حتَّى ينصرفَ حُسِبَ له قيامُ ليلة**». فلمَّا كان في الرابعةِ لم يقم، فلمَّا كانت الثالثةُ جمعَ أهلَهُ ونساءَهُ والنَّاس، فقامَ بنا حتَّى خشينا أن يفوتَنا الفلاح. قال: قلت: وما الفلاح؟ قال: السُّحور. ولم يقمْ بنا بقيَّةَ الشَّهر(٣).

وروى بإسناده عن العلاء بن عبدالرَّحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: خرجَ رسولُ الله ﷺ، وإذا أناسٌ في رمضانَ يصلُّون في ناحيةِ المسجد، فقال: «**من هؤلاء**»؟ فقيلَ له: هؤلاء أناسٌ ليسَ معهم قرآن، وأُبيٌّ بن كعب يصلِّي وهم يصلُّون بصلاته، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**أصابوا، ونعمَ ما صنعوا**»(٤).

وروى أبو داود أيضاً بإسنادهِ عن الحسن، أنَّ عمر بنَ الخطَّاب جمعَ

---

(١) سنن أبي داود (١٣٧٤) وصححه له الأرناؤوط والألباني. والأوزاع: الجماعات.

(٢) في الأصل: قمنا.

(٣) سنن أبي داود (١٣٧٥)، مسند أحمد (٢١٤٤٧) وصحح إسناده لهما الشيخ شعيب.

(٤) سنن أبي داود (١٣٧٧)، وضعفه له الألباني والأرناؤوط، بسبب مسلم بن خالد. وفيه وفي غيره من المصادر: «ما هؤلاء»؟.

النَّاسَ علىٰ أُبيٍّ بنِ كعب، فكان يصلِّي بهم عشرينَ ليلة، ولا يقنتُ بهم إلَّا في النِّصف الثاني، فإذا كان العشرُ الأواخرُ تخلَّفَ فصلَّىٰ في بيته، فكانوا يقولون: أَبَقَ أُبيٌّ رحمه الله(١).

وهذا يبيِّن لك [٧٥/أ] أنَّ أُبيَّاً كان يرىٰ صلاتَهُ في بيتهِ أولىٰ، ويحتملُ أن يفعلَ ذلك لأنَّه يريدُ اتِّصالَ القيامِ في العشرِ الأواخرِ وإحياءَ ليله، فيكونُ ذلك أسهلَ عليه من أن يصلِّيَ في المسجدِ بالنَّاسِ ثمَّ يعودَ فيصلِّيَ في بيته، ومتىٰ كان المصلِّي لا يختلُّ المسجدُ بتركهِ الصلاةَ فيه، وكانت صلاتهُ في بيتهِ أكثر، وحضورهُ لقراءتهِ أكثر، كانتْ صلاتهُ في بيته أولَىٰ.

وكان معاذٌ يَخلُفُ أُبيَّاً إذا انصرف.

وعادةُ أهلِ مكةَ أن يقوموا الخمسَ ترويحاتٍ عشرينَ ركعة(٢)، يطوفون بين كلِّ ترويحتين سبعاً، وكان أهلُ المدينةِ يزيدون في القيام، فيقومون بستَّةٍ وثلاثين ركعة، يجعلون بين كلِّ ترويحتين ترويحة، بإزاءِ طوافِ أهلِ مكة، وليسَ لغيرِ أهلِ المدينةِ الزيادة، وإنَّما جُوِّزَ لهم معارضةُ أهلِ مكةَ لأنَّها مُهاجَرُ رسولِ الله ﷺ ومدفنه.



(١) سنن أبي داود (١٤٢٩)، وضعفه له في ضعيف أبي داود، كما ذكر ابن الملقن أنه منقطع، فالحسن لم يدرك عمر. البدر المنير ٤/٣٦٧.

(٢) في الأصل: يقومون الخمس ترويحات عشرون ركعة.




فَصْلٌ
في بيان ليلة القدر



روى أبو هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**من قامَ ليلةَ القدرِ إيماناً واحتساباً، غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذَنبه**»(١).

روى أبو داود بإسنادِه عن أبي سعيد الخدريِّ قال: كان رسولُ الله ﷺ يعتكفُ العشرَ الأوسطَ من رمضان، فاعتكفَ عاماً، حتَّى إذا كانت ليلةَ إحدى وعشرين، وهي الليلةُ التي يخرجُ فيها من اعتكافه، قال: «**من كان اعتكفَ معي فليعتكفِ العشرَ الأواخر، وقد رأيتُ هذه اللَّيلةَ ثمَّ أُنسيتُها**، [٧٥/ب] **وقد رأيتُني أسجدُ من صبيحتِها في ماءٍ وطين، فالتمِسوها في العشرِ الأواخر، والتمِسوها في كلِّ وتر**».

قال أبو سعيد: فمُطِرَتِ السماءُ من تلك الليلة، وكان المسجدُ على عريش، قال: فقالَ أبو سعيد: فأبصرَتْ عَينايَ رسولَ الله ﷺ وعلى جبهتِه وأنفهِ أثرُ الماءِ والطين، من صبيحةِ إحدى وعشرين(٢).

وروى أبو داود بإسنادِه عن ضَمرة بنِ عبدالله بنِ أُنَيس، عن أبيهِ قال: كنتُ في مجلسِ بني سلمةَ وأنا أصغرُهم، فقالوا: من يسألُ لنا رسولَ الله ﷺ عن ليلةِ القدر؟ وذلك صبيحةَ إحدى وعشرين من رمضان، فخرجت، فوافيتُ

---

(١) رواه الشيخان وغيرهما: صحيح البخاري (٢٠١٤)، صحيح مسلم (٧٦٠).

(٢) سنن أبي داود (١٣٨٢) وصححه له في صحيح سننه. وورد في الأصل «في صبيحتها». وجملة «فالتمسوها في العشر الأواخر» لا توجد في سننه، إنما هي عند البخاري وغيره. صحيح البخاري (٢٠٢٧).




مع رسولِ الله ﷺ صلاةَ المغرب، ثمَّ قمتُ ببابِ بيته، فمرَّ بي، فقال: «**ادخل**»، فدخلت، وأُتيَ بعَشائه، فرأيتُني أكفُّ عنه من قلَّته، فلمَّا فرغَ قال: «**ناولوني نعلي**»، فقام، وقمتُ معه، فقال: «**كأنَّ لكَ حاجة**»، فقلت: أجل، أرسلني إليكَ رهطٌ من بني سلمةَ يسألونكَ عن ليلةِ القدر، فقال: «**كم الليلة**»؟ فقلت: اثنتان وعشرون، فقال: «**هي الليلة**»، ثمَّ رجعَ وقال: «**أو القابلة**»، يريد: [ليلةَ] ثلاثٍ وعشرين(١).

وروىٰ أيضاً بإسنادهِ عن عبدالله بن أُنيس الجهني قال: قلت: يا رسولَ الله، إنَّ لي باديةً أكونُ فيها، وأصلِّي فيها بحمدِ الله ﷺ، فمُرني بليلةٍ أنزلها إلىٰ هذا المسجد، فقال: «**انزلْ ليلةَ ثلاثٍ وعشرين**»، فقلتُ لابنه(٢): [٧٦/أ] فكيف كان أبوكَ يصنع؟ فقال: يدخلُ المسجدَ إذا صلَّىٰ العصر، فلا يخرجُ منه لحاجةٍ حتَّىٰ يصلِّيَ الصُّبح، فإذا صلَّىٰ الصُّبحَ وجد دابَّتَهُ علىٰ بابِ المسجد، فجلسَ عليها، فلحقَ بباديته(٣).

وروىٰ أبو داود بإسنادهِ عن ابن مسعود قال: قالَ لنا رسولُ الله ﷺ: «**اطلبوها ليلةَ سبعَ عشرةَ من رمضان، وليلةَ إحدىٰ وعشرين، وليلةَ ثلاثٍ وعشرين**»، ثمَّ سكت(٤).

---

(١) سنن أبي داود (١٣٧٩) وصححه له الأرناؤوط والألباني، ولفظه موافق لما في سنن النسائي (٣٥٨٦)، ففي الأول «ناولني نعلي»... وما بين المعقوفتين من أبي داود، وورد في الأصل «ثلاث وعشرون».

(٢) السائل هو محمد بن إبراهيم، في السند. قاله في بذل المجهود ٦/٣٢.

(٣) سنن أبي داود (١٣٨٠) وصححه له الأرناؤوط والألباني.

(٤) سنن أبي داود (١٣٨٤) وصحح إسناده الأرناؤوط، لكن ضعفه الألباني في ضعيف سننه. وقال النووي في المجموع ٦/٤٧١: إسناده صحيح إلا رجلًا واحدًا، وهو حكيم بن سيف=

وروىٰ بإسنادِهِ عن معاوية، عن النبيِّ ﷺ في ليلةِ القدر، قال: «**ليلةُ سبعٍ وعشرين**»(١).

وروىٰ بإسنادِهِ عن سعيد بن جُبير، عن ابن عمرَ قال: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ ـ وأنا أسمعُ ـ عن ليلةِ القدر، فقال: «**هي في كلِّ رمضان**»(٢).

وروىٰ بإسنادِهِ عن زِرّ، قال: قلتُ لأُبيِّ بن كعب: أخبرني عن ليلةِ القدرِ يا أبا المنذر، فإنَّ صاحبَنا(٣) سُئِلَ عنها فقال: من يَقُمِ الحولَ يُصِبْها، فقال: رحمَ الله أبا عبدالرَّحمن، والله لقد علمَ أنَّها لفي رمضان، ولكنْ كرهَ أن يتَّكلوا، والله إنَّها لفي رمضانَ ليلةَ سبعٍ وعشرين، لا يَستثني، قلت: أبا المنذر، أنَّىٰ علمتَ ذلك؟ قال: بالآيةِ التي أخبرنا رسولُ الله ﷺ، قال: قلتُ [لزرٍّ](٤): وما الآية؟ قال: تصبحُ الشمسُ صبيحةَ تلك الليلةِ مثلَ الطَّسْت، لا شعاعَ لها حتَّىٰ ترتفع(٥).

ورويَ عن ابن عباس أنَّه كان يقول: هي ليلةُ سبعٍ [٧٦/ب] وعشرين، ويحتجُّ بأنَّ سورةَ القدرِ إذا عُدَّتْ كلماتُها كانت السابعةَ والعشرين قوله: ﴿هِيَ﴾(٦).

= الرقي، فقال فيه أبو حاتم: هو شيخ صدوق يكتب حديثه ولا يحتج به، ليس بالمتقن.

(١) سنن أبي داود (١٣٨٦) وصحح إسناده الأرناؤوط، ونص الحديث فيه: «ليلة القدر ليلة سبعٍ وعشرين»، وهو في صحيح الجامع (٥٤٧٤).

(٢) سنن أبي داود (١٣٨٧) وذكر الشيخ شعيب أنه صحيح موقوفًا علىٰ ابن عمر. وكذا قال في ضعيف أبي داود، كما أورد ضعفه في ضعيف الجامع (٦١٠٢).

(٣) يعني عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، كما في صحيح مسلم.

(٤) في الأصل: قلت له.

(٥) سنن أبي داود (١٣٧٨) قال محققه الشيخ شعيب: حديث صحيح وهذا إسناد حسن. ورواه مسلم (٧٦٢).

(٦) ذكره الفخر الرازي في تفسير الكبير، وذكر أنه أمارة ضعيفة. مفاتيح الغيب ٣٢/٢٣٢.




ورويَ عن أبي قلابة(١) أنَّه قال: إنَّها تنقلبُ في كلِّ سنة، تكونُ في ليالي العشر(٢). وفي إخفائها حثٌّ للعبيدِ على قيامِ العشرِ ليدركوها فيه.

وقيل: القدْرُ ليلةُ الحُكم، وهو تقديرُ الآجالِ والأرزاق(٣).

ومعنى قوله: ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر: ٣] معناهُ أنَّ العملَ فيها أفضلُ من العملِ في ألفِ شهرٍ ليس فيها ليلةُ القدر(٤).

وقوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ [القدر: ٤] يريدُ جبريلَ صلَّى الله عليه إلى سماءِ الدنيا(٥).

وقيل: فيها نزلَ القرآنُ إلى سماءِ الدنيا، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١](٦).

وقيل: أولُ ما نزلَ القرآنُ على النَّبيِّ ﷺ في ليلةِ القدر(٧).

---

(١) هو عبدالله بن زيد بن عمرو الجرمي، عالم بالقضاء والأحكام، ناسك، من أهل البصرة. أُريد على القضاء فهرب إلى الشام فمات فيها. وكان من رجال الحديث الثقات. حلية الأولياء ٢/٢٨٢، الأعلام ٤/٢١٩.

(٢) في الأصل: ليلة العشر. وقد روى أوله الترمذي في سننه (٧٩٢)، وفي البحر الزخار ٥/٢٨٧ قوله: تنقلب في العشر الأواخر كل سنة.

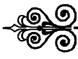
(٣) قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله تعالى قدر كل ما يكون في تلك السنة من مطر ورزق وإحياء وإماتة إلى مثل هذه الليلة من السنة الآتية، نظيره قوله ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]. تفسير النيسابوري غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٦/٥٣٦.

(٤) تفسير البغوي ٥/٢٨٨، تفسير القرطبي ٢٠/١٣١.

(٥) أي أن المقصود بالروح جبريل عليه السلام. ينظر تفسير ابن كثير ٨/٤٢٧ وغيره.

(٦) الدر المنثور ٨/٥٦٨.

(٧) يرد هنا قول الشعبي رحمه الله: المعنى: إنا ابتدأنا إنزاله في ليلة القدر. تفسير القرطبي ٢٠/١٣٠.




وقيلَ في قوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر: ٥]: إنَّ الملائكةَ يسلِّمُ بعضُهم علىٰ بعض[١]. وقيل: نزولُها بالخيرِ والبركة[٢].

ويستحبُّ في هذه الليلةِ التوفُّرُ علىٰ الطاعةِ والابتهالِ بالأدعيةِ إلىٰ الله تعالىٰ. روتْ عائشةُ قالت: قلت: يا رسولَ الله، صلَّىٰ الله عليك، إن أدركتُ هذه الليلةَ فما أسألُ فيها؟ قال: «**سَلي الله العفوَ والعافية**»[٣]. وهذه الدعوةُ تجمعُ خيرَ الدنيا والآخرة.

والأظهرُ في الروايةِ أنَّها في العشرِ الأواخر، وأنَّها في الأفرادِ منه، ومن أرادَ أن يُدركَها قامَ جميعَ العشر، وإن قامَ بعضَ [٧٧/أ] العشرِ في سنة، وباقي العشرِ في سنة، لم يتحقَّقْ إدراكُها؛ لأنَّه يجوزُ أن يكونَ في السنةِ الأوَّلةِ فيما تركه، وكذلك في الثانية؛ لجوازِ نقلِها وتغيُّرِها.

والحرصُ علىٰ إدراكِ العبادةِ في هذه الليلةِ من أربحِ التجارات؛ لأنَّ العملَ فيها خيرٌ من ألفِ عملٍ في غيرها، فمن يسافرْ في القِفارِ من البراري والأسفار، ويسهرِ الليلَ والنهار، ويركبِ البحارَ الزواخرَ في موجٍ كالجبالِ الغواشم[٤]، لدركِ ربحِ المثلِ أو دونه، وربَّما لم يدركه، بل يتلفُ بضاعته،

(١) لعل المقصود قول منصور بن زاذان أن الملائكة من حين تغيب الشَّمس إلىٰ أن يطلع الفجر يمرون علىٰ كل مؤمن يقولون: السَّلام عليك يا مؤمن. ينظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٨/٥٧٠.

(٢) ينظر تفسير الطبري ٢٤/٥٣٥.

(٣) ذكره أبو عبدالرحمن السلمي في كتاب الفتوة ص ٥١. ولعل المقصود قولها ﵂: يا رسول الله، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر، ما أقول فيها؟ قال: «قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني». رواه الترمذي (٣٥١٣) وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) هكذا.. والغواشم جمع غاشمة، وأصله الظلم، وقد يأتي بمعنىٰ القهر والغلبة، كما ذكره=

وتَزهقُ نفسُه، يقعدْ عن هذه التجارةِ المربحة، والنِّعمةِ المتحقِّقة. نسألُ الله حسنَ التوفيق، والتنبيهَ عن الغفلةِ والتسويف(١).

فَصْلٌ
في بيان الوتر

رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ الله زادكم صلاةً هي خيرٌ لكم من حُمْرِ النَّعَم**». يريدُ بذلك الوتر(٢).

وروى أبو داود بإسناده، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**الوترُ حقّ، فمن لم يوترْ فليسَ منَّا**»(٣).

وروى أيضاً بإسنادهِ عن أبي أيوب الأنصاري، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**الوتر حقٌّ على كلِّ مسلم، فمن أحبَّ أن يوترَ بخمسٍ فليفعل، ومن أحبَّ أن يوترَ**

= في معجز أحمد ص ٣٢٥ عند التعليق على البيت:

وقد فجعته بابنه وابن صهره ... وبالصّهر حملات الأمير الغواشم

ويكون مقصوده هنا: الجبال الشديدة، أو العظيمة.

(١) هكذا وردت العبارة، وقد يكون الصحيح: لم يقعد عن هذه التجارة...

(٢) لفظ الحديث من المعجم الأوسط للطبراني رواية عقبة بن عامر الجهني وعمرو بن العاص (٧٩٧٥)، وفي سنده سويد بن عبدالعزيز، ذكر الحافظ الهيثمي أنه متروك. مجمع الزوائد (٣٤٤٢)، ورواه أحمد في مسنده (٢٣٨٥١) من رواية أبي بصرة، قال محققه الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات. والحديث في السلسلة الصحيحة (١١٤١).

(٣) سنن أبي داود (١٤١٩)، قال الشيخ شعيب: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف. كما ضعفه في ضعيف سنن أبي داود، وفي ضعيف الجامع (٦١٥٠).

بثلاثٍ فليفعل، ومن أحبَّ أن يوترَ بواحدةٍ فليفعل»(١).

ووقتُها بعد العشاءِ إلىٰ طلوعِ الفجر.

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ لأبي بكر: «**متىٰ توتر**»؟ فقال: أولَ الليل، [٧٧/ب] وقالَ لعمر: «**متىٰ توتر**»؟ فقال: آخرَ اللَّيل، فقال: «**أخذَ هذا بالوثيقة، وأخذَ هذا بالقوَّة**»(٢). يريدُ أنَّ أبا بكر ـ رضوانُ الله عليه ـ فعلَ بالاحتياط؛ لأنَّه ربَّما نامَ عن الوتر.

وقد روينا فيما تقدَّمَ أنَّ أبا هريرة قال: أوصاني خليلي بثلاث، فذكر الوترَ قبلَ النَّوم(٣).

وإذا أوترَ بثلاثٍ بتسليمةٍ واحدةٍ كان جائزاً بالإجماع، وإذا أفردَ الواحدةَ كان في ذلك اختلاف.

ويقرأُ في الأوَّلةِ بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، وفي الثانيةِ بـ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وفي الثالثةِ بسورةِ الإخلاصِ والمعوِّذتين. رويَ ذلك عن عائشةَ رضوانُ الله عليها، عن النَّبيِّ ﷺ(٤).

وقد بيَّنَّا أنَّ القنوتَ في النِّصفِ الثاني من شهرِ رمضان.

---

(١) سنن أبي داود (١٤٢٢) وصححه له الأرناؤوط والألباني.

(٢) صحيح ابن خزيمة (١٠٨٤) ونقل درجته من الألباني من أن إسناده صحيح. وهو بألفاظ مقاربة في سنن أبي داود (١٤٣٤) وذكر محققه أن إسناده صحيح، وحسّن إسناده عند أحمد (١٤٣٢٣)، وفي مسند أبي يعلىٰ (١٨٢١) وحسن محققه حسين أسد إسناده.

(٣) وذكرنا تخريجه في الصحيحين.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (١١٤٤) وذكر أنه صحيح علىٰ شرط الشيخين، ووافقه الذهبي وذكر أن رواته ثقات.




وقد روىٰ أُبيٌّ بن كعب أنَّ النَّبيَّ ﷺ أوترَ بثلاثٍ بتسليمةٍ واحدة، وكان يقنتُ في الثالثة، إلَّا أنَّ أبا داود قال: ما فعلتهُ الصحابةُ يدلُّ علىٰ ضعفِ حديثِ أبيٍّ بن كعب(١).

والقنوتُ بعد الرُّكوع، ويقولُ في القنوت: اللَّهمَّ إنَّا نستعينُكَ ونؤمنُ بك، ونتوَّكلُ عليك، ونسألُ الخير كلَّه، ونشكرُكَ ولا نكفرُك، ونخلعُ ونتركُ من يَفجُرك، اللَّهمَّ إيَّاكَ نعبد، ولكَ نصلِّي ونسجد، وإليكَ نسعىٰ ونَحفِد، نرجو رحمتَك، ونخشىٰ عذابَك، إنَّ عذابكَ بالكفارِ ملحِق. اللَّهمَّ عذِّبْ كفرةَ أهلِ الكتابِ والمشركين بكَ الذين يصدُّون عن سبيلك، [٧٨/أ] ويتعدَّون حدودَك، ويكذِّبون رسلَك، ويَدعُون معكَ إلهاً آخر، لا إله إلَّا أنت سبحانكَ عمَّا يقولُ الظَّالمون والجاحدون علوًّا كثيراً. اللَّهمَّ اهدِنا فيمن هدَيت، وتولَّنا فيمن تولَّيت، وباركْ لنا فيما آتيت، وقنا شرَّ ما قضيت، إنَّك تقضي ولا يُقضىٰ عليك، إنَّه لا يعزُّ من عاديت، ولا يَذلُّ من واليت، تباركتَ ربَّنا وتعالَيت، فلكَ الحمدُ علىٰ ما قضيت، نستغفرُكَ ونتوبُ إليك(٢).

الحفدة: الخدم. ملحِق: الحرب. بكسرِ الحاء، ويجوزُ فتحها، والكسرُ أكثرُ في كلامهم(٣).

---

(١) يتحدث أبو داود عن حديثين في سننه (١٤٢٨، ١٤٢٩) قال بعدهما: وهذا يدل علىٰ أن الذي ذكر في القنوت ليس بشيء، وهذان الحديثان يدلان علىٰ ضعف حديث أُبيّ، أن النبي ﷺ قنت في الوتر.

(٢) رأيته موزعًا في كتب الحديث من كلام بعض الصحابة ﷺ، مع اختلاف ألفاظ، منها في الدعوات الكبير للبيهقي (٤٣٢)، ومختصر قيام الليل ص ٣٢١.

(٣) أورد له ابن الأثير عدة معان محتملة، ليس من بينها ما ذكره المؤلف. وملحق بمعنىٰ لاحق. علىٰ أن كلمة (الحرب) غير واضحة. ينظر النهاية في غريب الحديث ٤/ ٢٣٨.

ويرفعُ يديهِ إذا دعا بالقنوت. رويَ عن عثمانَ ـ رضوانُ الله عليه ـ أنَّه كان يرفعُ يديهِ حتَّىٰ يبدو ضَبْعاه. ورويَ عن ابنِ مسعود أنَّه كان يرفعُ يديهِ إلىٰ صدره، ورويَ عن ابنِ عباسٍ مثل ذلك[1].

وإذا فرغَ مسحَ بهما وجهه. رويَ عن ابنِ عباس أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إذا دعوتَ فادعُ الله تعالىٰ ببطونِ كفَّيك، ولا تَدْعُ بظهورهما، وإذا فرغتَ فامسحْ براحتيكَ علىٰ وجهك**»[2].

فَصْلٌ
في صلاة التَّسبيح

روىٰ أبو داود بإسنادهِ عن عكرمة، عن ابن عباس، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ للعباس بنِ عبدالمطلب: «**يا عباس، يا عمَّاه، ألا أعطيك، ألا أمنحُك، ألا أحبُوك، ألا أفعلُ بكَ عشرَ خصال، إذا أنت فعلتَ ذلك غفرَ الله ذنبك، أوَّلَهُ**

(١) ذكرهم ابن المنذر في الأوسط في السنن (٢٧١٠، ٢٧١١، ٢٧١٢)، وابن أبي شيبة في المصنف ٢/٢١٥، مع ملاحظة أن عثمان ليس بينهم، بل روىٰ أبو عثمان عن عمر كذلك. وابن عباس أيضًا دعا فرفع يديه حتىٰ مدَّ ضبعيه. والضبْع: العضد كلها، أو أوسطها بلحمها. تاج العروس، باب: ضبع.

(٢) أورده بهذا اللفظ ابن حجر في التلخيص الحبير (٣٧٣) ولم يذكر مصدره، وإنما يرد في كتب المذهب، أي المذهب الشافعي، مثل كفاية النبيه ٣/٢٤٥، والبيان في مذهب الشافعي ٢/٢٥٧. وقد رواه أبو داود بلفظ «سَلُوا الله ببطونِ أكفِّكُم، ولا تسألوه بظهورِها، فإذا فرغتُم فامسحوا بها وجوهَكم» سنن أبي داود (١٤٨٥). وفيه قوله ﷺ: روي هذا الحديث من غير وجه عن محمد بن كعب كلُّها واهية، وهذا الطريق أمثلها، وهو ضعيف أيضاً. اهـ. وفي الرقم التالي للحديث رواية أخرىٰ للحديث ذكر الشيخ شعيب أنه صحيح لغيره وإسناده حسن.

وآخره، قديمَهُ وحديثه، خطأَهُ وعمده، صغيرَهُ [٧٨/ب] وكبيره، سرَّهُ وعلانيته؟: أن تصلِّيَ أربعَ ركعات، تقرأُ في كلِّ ركعةٍ فاتحةَ الكتابِ وسورة، فإذا فرغتَ من القراءةِ في أوَّلِ ركعةٍ وأنت قائمٌ قلت: سبحانَ الله، والحمدُ لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر، خمسَ عشرةَ مرَّة(١)، ثمَّ تركعُ وتقولُها وأنت راكعٌ عشراً، ثمَّ ترفعُ رأسكَ من الركوعِ فتقولُها عشراً، ثمَّ تهوي ساجداً فتقولُها وأنت ساجدٌ عشراً، ثمَّ ترفعُ رأسكَ فتقولُها عشراً، ثمَّ تسجدُ فتقولُها عشراً، ثمَّ ترفعُ رأسكَ فتقولُها عشراً، فذلك خمسٌ وسبعون في كلِّ ركعة، تفعلُ ذلك في أربعِ ركعات، إن استطعتَ أن تصلِّيَها في كلِّ يومٍ فافعل، فإن لم تفعلْ ففي كلِّ جمعةٍ مرة، فإن لم تفعلْ ففي كلِّ شهرٍ مرة، فإن لم تفعلْ ففي كلِّ سنةٍ مرة، فإن لم تفعلْ ففي عمرِكَ مرة»(٢).

فَصْلٌ

في بيانِ قولهِ تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]

قيلَ في التفسير: المرادُ بذلك صلاةُ يومِ النَّحر.

وصلاةُ يومِ العيدِ سنَّةٌ في الفطرِ والأضحىٰ مؤكَّدةٌ من شعائرِ الإسلام، وقد اختلفَ في وجوبها.

وقد قيلَ في قولهِ تعالىٰ: ﴿وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا

(١) في الأصل: خمسة عشر.

(٢) سنن أبي داود (١٢٩٧) وحسن الشيخ شعيب إسناده، وذكر أن له شواهد يصح بها، كما صححه الألباني في صحيح أبي داود، وفي صحيح الجامع (٧٩٣٧).

هَدَىٰكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٥]: التكبيرُ ليلةَ العيدِ ويومَ العيد، وهذا التكبيرُ يومَ الفطرِ إلىٰ أن يصلِّيَ ويفرغَ من الخطبة، ويكبِّرُ في الأضحىٰ عقيبَ الصَّلوات، وأكملُ ما قيلَ في ذلك أنَّه يكبِّرُ عقيبَ صلاةِ الصُّبحِ من يومِ [٧٩/أ] عرفة، إلىٰ صلاةِ العصرِ من آخرِ أيامِ التشريق.

ويكبِّرُ في صلاةِ العيدِ في الأوَّلةِ سبعة، وفي الثانيةِ خمسة، زيادةً علىٰ التكبيرِ المشروعِ في سائرِ الصلوات.

ويومُ العيدِ يومٌ جعلَهُ الله لسرورِ المسلمين بقضاءِ عبادتهم، يُتِمُّ فيه نعمتَهُ عليهم، ويكفِّرُ عن سيئاتهم، والسعيدُ من قُبلتْ طاعته، وغُفرتْ زلَّته، وهو صاحبُ العيد، دونَ مَن رُدَّتْ عليه أفعاله، ولم تُقبلْ منه طاعته؛ لإصرارهِ علىٰ كِبْره، أو إقبالهِ علىٰ غيرِ طاعةِ ربِّه.

وقد حُكيَ عن الحسن ـ رحمةُ الله عليه ـ أنَّه قال: لو كُشِفَ الغطاءُ لشُغِلَ مقبولٌ بسروره، أو مردودٌ بردِّه، عن تجديدِ ثوب، أو ترجيلِ شَعر(١).

والتكبيرُ أن يقول: الله أكبر، ويفصلُ بين كلِّ تكبيرتين فيقول: الله أكبرُ كبيراً، والحمدُ لله كثيراً، وسبحانَ الله وبحمدهِ بكرةً وأصيلاً(٢)، وإن زاد: وصلَّىٰ الله علىٰ محمَّدٍ وسلَّمَ تسليماً، فلا بأس، إلَّا أنَّه لا يأتي بذلك بعد تكبيرةِ الافتتاح، وإنَّما يأتي بعدها بدعاءِ الاستفتاح، وإنَّما يأتي بذلك بعد بين تكبيرِ العيد(٣). ويكون التعوُّذ والقراءةُ بعد الفراغِ من التكبيرِ في الركعتين.

---

(١) بهجة المجالس ص ٢٤٧، آداب الحسن البصري ص ١٢٠.

(٢) ينظر التهذيب في فقه الإمام الشافعي ٢/٣٨٣.

(٣) هكذا... وقد ورد في أول الفقرة: «ويفصلُ بين كلِّ تكبيرتين فيقول...».

وأمَّا التكبيرُ الذي يأتي به عقيبَ الصَّلوات، وفي طريقه إلى المصلَّى، فيقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلَّا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد. وإذا قالَ عقيبَ ذلك: [٧٩/ب] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]؛ كان حسناً.

ويستحبُّ في عيدِ الفطر تقديمُ الفطرِ على الصَّلاة، وإخراجُ الفطرةِ قبلَ الصلاة، ويؤخِّرُ صلاةَ الفطرِ ليتمكَّنَ من أداءِ الفطرة، ويقدِّمُ صلاةَ الأضحى لأنَّ ذبحَ الأضحيةِ بعدها، ولا يأكلُ قبلها، بخلافِ الفطر؛ ليشاركَ الفقراءَ في زمانِ أكلهم، ولأنَّ يومَ الفطرِ يجبُ فطرهُ عن صومٍ تقدَّمهُ واجب، فاستُحِبَّ المبادرةُ إلى الفطر. **وكان رسولُ الله ﷺ يأكلُ ثلاثَ تمراتٍ أو خمساً**[1]، وعلى أيِّ شيءٍ أَفطرَ جاز، والمستحبُّ التمرُ أو الماء.

وصلاةُ العيدين سنَّةٌ مؤكَّدة، لا يؤذِّنُ لها ولا يُقيم، وإنَّما ينادي لها: الصَّلاةُ جامعة، ولا لها سنَّةٌ تتقدَّمها، ولا تَتبَعُها.

وإذا دخلَ المسجدَ لصلاةِ العيد، فإن كان إماماً بدأَ بصلاةِ العيد، وإن كان مأموماً دخلَهُ قبل خروجِ الإمامِ صلَّى تحيةَ المسجد، وإن أرادَ صلاةَ نافلةٍ لم يُكرَهْ له، إلَّا أن يكونَ ذلك قبل ارتفاعِ الشمس.

ويدخلُ وقتُ صلاةِ العيدِ بطلوعِ الشمس، ولا يفعلُ حتَّى ترتفعَ الشمسُ قِيْدَ رمح، ووقتُها يمتدُّ إلى زوالِ الشمس.

---

(١) عن أنس قوله: ما خرج رسول الله ﷺ يوم فطر حتى يأكل تمرات ثلاثًا، أو خمسًا، أو سبعًا، أو أقل من ذلك، أو أكثر من ذلك، وترًا. المستدرك على الصحيحين (١٠٩٠)، وسكت عنه الذهبي، صحيح ابن حبان (٢٨١٤) وذكر الشيخ شعيب أن إسناده حسن.

وفروعُ هذه العباداتِ وشروطُها مشروحةٌ في «الشامل»[1] بما يغني عن ذكرها.

فَصْلٌ
في بيانِ قولهِ تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]. [٨٠/أ]

وهذا أمرٌ بالصَّلاةِ [للهِ][2] تعالىٰ، وسنَّ النَّبيُّ ﷺ هذه الصَّلاة، فصلَّىٰ عند كسوفِهما، وذلك أنَّه روَىٰ البخاريُّ بإسنادهِ عن الحسن، عن أبي بكرةَ قال: كنَّا عند النَّبيِّ ﷺ، فانكسفتِ الشَّمس، فقامَ النَّبيُّ ﷺ، فصلَّىٰ بنا ركعتين حتَّىٰ انجلتِ الشمس، وقال: **«إنَّ الشَّمسَ والقمرَ لا يَخسِفانِ لموتِ أحد، فإذا رأيتم ذلك فصلُّوا وادعوا حتَّىٰ يُكشَفَ ما بكم»**[3].

وروىٰ البخاريُّ بإسنادهِ عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: خسفتِ الشمسُ في عهدِ رسولِ الله ﷺ، فصلَّىٰ بالنَّاس، فقامَ فأطالَ القيام، ثمَّ ركعَ فأطالَ الرُّكوع، ثمَّ قامَ فأطالَ القيام، وهو دونَ القيامِ الأول،

(١) كتابه «الشامل»، في فروع الشافعية.

(٢) في الأصل: فيه.

(٣) هكذا أورده المؤلف، ونصه في البخاري (١٠٦٣) من رواية أبي بكرة: خسفت الشمس علىٰ عهد رسول الله ﷺ، فخرج يجر رداءه حتىٰ انتهىٰ إلىٰ المسجد، وثاب الناس إليه، فصلىٰ بهم ركعتين، فانجلت الشمس، فقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، وإنهما لا يخسفان لموت أحد، وإذا كان ذاك فصلوا وادعوا حتىٰ يكشف ما بكم». وذاك أن ابنًا للنبي ﷺ مات يقال له إبراهيم، فقال الناس في ذاك.

ثمَّ ركعَ فأطالَ الركوع ، وهو دونَ الركوعِ الأول ، ثمَّ سجدَ فأطالَ السجود ، ثمَّ فعلَ في الركعةِ الثانيةِ مثلَ ما فعلَ في الأولىٰ ، ثمَّ انصرفَ وقد انجلتِ الشمس ، فخطبَ النَّاس ، فحمدَ الله وأثنىٰ عليه ، وقال: «**إنَّ الشَّمسَ والقمرَ آيتان من آياتِ الله ، لا يَخسِفان لموتِ أحدٍ ولا لحياته ، فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله ، وكبِّروا وصلُّوا وتصدَّقوا**» ، ثمَّ قال: «**يا أمَّةَ محمَّد ، والله ما من أحدٍ أغيرُ من الله أن يزنيَ عبدهُ أو تزنيَ أمَتُه** ، [٨٠/ب] **يا أمَّةَ محمَّد ، والله لو تعلمون ما أعلمُ لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً**»(١) .

وصلاةُ الكسوفِ ركعتان ، في كلِّ ركعةٍ ركوعان ، ويقرأُ في القيامِ الأولِ بأمِّ القرآن ، وسورةِ البقرة ، أو بقدرها من غيرها ، ثمَّ يركعُ فيسبِّحُ بقدرِ مئةِ آيةٍ من سورةِ البقرة ، ثمَّ يقومُ من الركوعِ فيقرأُ سورةَ آلِ عمرانَ أو بقدرها ، ثمَّ يركعُ فيسبِّحُ بقدرِ ثمانين آيةً من سورةِ البقرة ، ثمَّ يقومُ ثمَّ يسجدُ فيسبِّحُ طويلاً ، ثمَّ يجلس ، ثمَّ يسجدُ أخرىٰ ، ثمَّ يقومُ فيقرأُ بأمِّ القرآن ، ثمَّ بمئةٍ وخمسين آية ، أو سورةِ النِّساء ، ثمَّ يركعُ فيسبِّحُ بقدرِ سبعينَ آية ، ثمَّ يقومُ فيقرأُ بقدرِ مئةِ آية ، أو سورةَ المائدة ، ثمَّ يركعُ فيسبِّحُ بقدرِ خمسينَ آية ، ثمَّ يرفع ، ثمَّ يسجد ، ثمَّ يخطبُ خُطبتين يذكِّرُ فيهما ، ويَخفِتُ في القراءةِ في كسوفِ الشمس ، ويجهرُ في كسوفِ القمر ، ويخطب ، وإنَّما يصلِّي ما دامَ الكسوفُ باقياً ، فإن انجلتْ خفَّفَ إن كان مصلِّياً ، وإن كان لم يشرعْ في الصَّلاةِ لم يصلِّ ، إلَّا أن يكونَ القمرُ غابَ واللَّيلُ باقٍ فيصلِّي ؛ لأنَّ وقتَهُ باقٍ .



(١) صحيح البخاري (١٠٤٤).

فَصْلٌ

في بيانِ قولهِ تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾ [البقرة: ٦٠].

والاستسقاءُ من الجدبِ وتعذُّرِ القَطْرِ سُنَّة. وروىٰ البخاريُّ بإسنادِهِ عن عبدالله بن زيد، **أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرجَ إلىٰ المصلَّىٰ، فاستسقَىٰ، واستقبلَ القِبلة، وقلَبَ رداءه، وصلَّىٰ ركعتين**[1]. [٨١/أ]

وروىٰ أيضاً بإسنادِهِ عن أنس بن مالك، أنَّ رجلاً دخلَ المسجدَ يومَ الجمعةِ من بابٍ كان من نحوِ دارِ القضاء، ورسولُ الله ﷺ قائمٌ[2] يخطب، فاستقبلَ رسولَ الله ﷺ قائماً، ثمَّ قال: يا رسولَ الله، هلكتِ الأموال، وانقطعتِ السُّبل، فادعُ الله أن يُغيثَنا. فرفعَ رسولُ الله ﷺ يديهِ وقال: «**اللَّهمَّ أغثنا، [اللَّهمَّ أغثنا، اللَّهمَّ أغثنا]**». قالَ أنس: فلا والله ما نرىٰ في السَّماءِ من سحابٍ ولا قَزَعة، وما بيننا وبين سَلْعٍ من بيتٍ ولا دار، قال: فطلعتْ من ورائهِ سحابةٌ مثلُ التُّرس، فلمَّا توسَّطتِ السَّماءَ انتشرتْ ثمَّ أمطرت، فلا والله ما رأينا الشَّمسَ ستًّا. ثمَّ دخلَ رجلٌ من ذلك البابِ في الجمعة، ورسولُ الله ﷺ قائمٌ يخطب، فاستقبلَهُ قائماً، فقال: يا رسولَ الله، هلكتِ الأموال، وانقطعتِ[3] السبل، فادعُ الله يُمسِكْها عنَّا. فرفعَ رسولُ الله ﷺ يديهِ ثمَّ قال: «**اللَّهمَّ حوالَينا ولا علينا، اللَّهمَّ علىٰ الآكامِ والظِّراب وبطونِ الأوديةِ ومنابتِ الشَّجر**». قال: فأقلعت، وخرجنا نمشي في الشمس.

---

(١) صحيح البخاري (١٠١٢)، صحيح مسلم (٨٩٤).

(٢) في الأصل: قائمًا.

(٣) في الأصل: انقطع.

قالَ شَريك: فسألتُ أنس بنَ مالك: أهو الرَّجلُ الأول؟ فقال: لا أدري[1].

وإذا نزلَ بقومٍ جدب، وانقطعَ عنهم الغيث، أمرهم الإمامُ بالخروجِ إلىٰ الاستسقاء، وأن يقدِّموا علىٰ خروجِهم صيامَ ثلاثةِ أيام، والخروجَ [٨١/ب] من المظالم، والتَّوبةَ من المآثم، وتركَ المشاحنةِ بينهم، ويخرجُ معهم المشايخُ والصِّبيانُ والبهائم؛ لما رويَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**لولا مشايخُ رُكَّع، وصبيانٌ رُضَّع، وبهائمُ رُتَّع، لصُبَّ عليكم العذابُ صبًّا**»[2].

وإن خرجَ أهلُ الذِّمَّةِ لا يمنعُهم، ولا يأمرُهم بالخروج.

ويصلِّي ركعتين كصلاةِ العيد، ويخطبُ خُطبتين، ويُكثِرُ الاستغفار، ويحوِّلُ رداءَهُ في الثانية، فيجعلُ أسفلَهُ أعلاه، وما علىٰ يمينهِ علىٰ يساره. ويخرجُ في ثيابٍ بِذلَة[3]، وسكينةٍ وتواضع.

وقد ذكرنا شرحَ الدعاءِ وفروعَ ذلك في كتابِ «الشامل». وعمدةُ ذلك

---

(١) صحيح البخاري (١٠١٤)، صحيح مسلم (٨٩٧). وما بين المعقوفتين منهما.
والقزعة: القطعة من الغيم. وسلع: جبل. والآكام: جمع أكمة، وهي الرابية. والظراب: جمع ظَرِب، وهو الجبل الصغير. (مستخرجة من النهاية في غريب الحديث).

(٢) بلفظ «مشايخ» يرد في مظان أخرىٰ غير كتب الحديث. ولعل أقرب لفظ له ما ورد في مسند أبي يعلىٰ الموصلي من رواية أبي هريرة (٦٦٣٣) «مهلًا عن الله مهلًا، فإنه لولَا شيوخٌ رُكَّع، وشبابٌ خُشَّع، وأطفالٌ رُضَّع، وبهائمُ رُتَّع، لصَبَّ عليكم العذابَ صبًّا». وقد ضعف إسناده محققه حسين أسد. كما ضعف الحديث الحافظ الهيثمي لأبي يعلىٰ والطبراني في الأوسط وابن عدي في الضعفاء. مجمع الزوائد ١٠/٢٣٠. وضعفه كذلك في ضعيف الجامع (٤٨٥٧).

(٣) البذلة من الثِّياب: ما يلبس في المهنة والعمل ولا يصان. المعجم الوسيط، مادة بذل.

الاستغفار، قالَ الله تعالىٰ يخبرُ عن قولِ نوحٍ لقومه: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢].

فَصْلٌ
في صفةِ الصَّلاةِ وآدابها

فمن ذلك أنَّ المصلِّيَ يحتاجُ أن يكونَ طاهراً من الحدَث والنَّجَس، فطهارةُ الحدَثِ أن يُسبغَ وضوءَهُ وغسلَهُ إن كان جُنباً، فيتوضَّأُ بالماءِ الطَّاهر، ويغسلُ يديهِ ثلاثاً قبل إدخالها الإناءَ إن شكَّ فيها، وإن لم يشكَّ فيها أدخلَ يدَهُ وغسلها.

ويسمِّي الله تعالىٰ، ويستاك، ويتمضمض، ويبالغُ في المضمضمة، ويستنشقُ ويبالغُ فيه، حتَّىٰ يصلَ الماءُ إلىٰ خياشيمه، إلَّا أن يكونَ صائماً.

ويغسلُ وجهَهُ من وتدِ أذنهِ إلىٰ وتدِ أذنه(١)، [٨٢/أ] ومن قصاصِ شعرهِ إلىٰ منتهىٰ لحيته، ويَدلُكُ عارضَيه، ويخلِّلُ لحيته، ويغسلُ ذراعيه، ويديرُ الماءَ علىٰ مرفقَيه، ويمسحُ بجميعِ رأسه، يُقبِلُ بيديهِ من مقدَّمهِ إلىٰ مؤخَّره، ثمَّ يردُّهما إلىٰ مقدَّمه، ويمسحُ أذنيه، ظاهرَهما وباطنَهما، ويجعلُ إبهامَيه لظاهرهما، وسبَّابتَيه لباطِنِهما، ويُدخِلُ رأسَ أصبعهِ في صماخه، ويغسلُ رجليهِ مع كعبيه، وهما العظمان النَّاتئان من جانبي قدميه، ويخلِّلُ أصابعَ رجليه، ويكرِّرُ ذلك ثلاثاً.

---

(١) قال الأصمعي: وتد الأذن: هَنيَّة ناشزة في مقدَّمها. تهذيب اللغة، باب الدال والتاء.




فإذا فرغَ من وضوئهِ قالَ ما روىٰ عمر بنُ الخطَّاب رضي الله عنه، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**من توضَّأَ فأحسنَ وضوءه، ثمَّ قال: أشهدُ أن لا إله إلَّا الله، وحدَهُ لا شريكَ له، وأنَّ محمَّداً عبدهُ ورسوله، صادقاً من قلبه، فُتِحَ له ثمانيةُ أبوابِ الجنَّة، يدخلُ من أيِّها شاء**»(١).

وروىٰ أبو سعيد الخدري أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**من توضَّأ فقال: سبحانكَ اللَّهمَّ وبحمدك، أشهدُ أن لا إله إلَّا أنت، أستغفرُكَ وأتوبُ إليك؛ كُتِبَ في رَقٍّ، وطُبِعَ بطابعٍ [فلم يُكسَرْ] إلىٰ يومِ القيامة**»(٢).

ويستحبُّ له أن يقول: «**اللَّهمَّ اجعلني من التَّوَّابين، واجعلني من المتطهِّرين، واجعلني مع الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**»، هذا هو المنقول عن النَّبيِّ ﷺ(٣).

---

(١) لفظ رواية عمر عند مسلم (٢٣٤): «ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ ـ أو فيسبغ ـ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبد الله ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» وعند أبي داود: «ما منكم مِن أحدٍ يتوضَّأ فيُحسِنُ الوضوء، ثمَّ يقولُ حين يَفرَغُ من وضوئه: أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمَّداً عبدُهُ ورسولُه، إلا فُتِحَت له أبوابُ الجنَّةِ الثمانيةُ يَدخلُ من أيِّها شاء»، وذكر الشيخ شعيب أنه حديث قوي. وقريب من لفظه في مسند أحمد (١٧٣١٤)، قال فيه أيضًا: حديث صحيح وإسناده قوي. ولفظ المؤلف يرد في كتب الشافعية، مثل المجموع شرح المهذب ١/٤٥٦.

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرىٰ (٩٨٢٩) وذكر أن الصواب وقفه. كما رواه الحاكم في المستدرك (٢٠٧٢) ضمن حديث وذكر أنه صحيح علىٰ شرط مسلم. وأورد الحافظ ابن حجر الاختلاف في وقفه ورفعه في التلخيص الحبير ١/٢٦٤. لكن الألباني صححه بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (٢٣٣٣). وما بين المعقوفتين من المصادر.

(٣) يذكر مجموعه في بعض كتب الفقه، مثل الحلبي الكبير (غنية المتملي) ١/٧٩. أما أوله «اللَّهمَّ اجعلني من التَّوَّابين، واجعلني من المتطهِّرين» فقد رواه الطبراني في كتابه الدعاء=




فإن قالَ ما يقولُ النَّاسُ عند غسلِ وجوههم: اللَّهمَّ بيِّضْ وجهي يومَ تبيضُّ الوجوه، وعند غسلِ [٨٢/ب] يديه: اللَّهمَّ أعطني كتابي بيميني، وعند مسحِ رأسه: اللَّهمَّ حرِّمْ شعري وبشَري على النَّار، وفي مسحِ أذنيه: اللَّهمَّ اجعلني ممَّن يستمعُ القولَ فيتَّبعُ أحسنه، وعند غسلِ رجليه: اللَّهمَّ ثبِّتْ قدمي في طاعتِكَ وعلى صراطك؛ كان حسناً.

ولا يفرِّقُ وضوءه، ولا ينكِّسه، بل يرتِّبُهُ كما أمرَ الله تعالى به[1]، ويقدِّمُ يمينَهُ على شماله.

وإذا أحدثَ استجمرَ بالأحجار[2]، ثمَّ بالماء. وقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ لأهلِ قباء: «ماذا تصنعون؟ فقد أثنى الله عليكم، فقال: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾» [التوبة: ١٠٨]، فقالوا: إنَّ أحدَنا يحبُّ إذا خرجَ من الخلاءِ أن يستعملَ الماء، ويطهِّرَ بدنَهُ وثوبَه، والموضعَ الذي يصلِّي عليه أو يقعُ عليه ثوبُه[3].

ويصلِّي في ثوبيه[4]، قالَ الله سبحانه: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ

= مستقلًّا (٣٩٢)، ومع الحديث السابق «أشهد ألا إلى إلا الله...» رواه الترمذي (٥٥) وصححه الألباني.

(١) يعني الترتيب والموالاة، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

(٢) استجمر: استنجى بالجِمار، والجمار والجمرات جمع جمرة، وهي الحصاة الصغيرة.

(٣) رواه أهل الحديث بألفاظ أخرى، مثل الحاكم بلفظ: «ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم به»؟ فقالوا: يا نبي الله، ما خرج منا رجل، ولا امرأة من الغائط إلا غسل دبره ـ أو قال: مقعده ـ، فقال النبي ﷺ: «ففي هذا»، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. المستدرك للحاكم (٦٧٢).

(٤) يعني الإزار والرداء.

مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١]، والمصلِّي مناجٍ لربِّه، فيكونُ في أكملِ لباسه، وأطيبِ ريحه. وقد كان بعضُ الصالحين يتطيَّبُ لقيامه وتهجُّده(١).

ويطلبُ عينَ الكعبة بتوجُّهه، وينوي الصَّلاةَ مع تكبيره، فإنَّه إذا أخلصَ لربِّه، وتصوَّرَ مقامَهُ وقصده، لم ينسَ ذلك في حالِ تكبيره، ولم يَشغلْهُ التكبيرُ عن ذكره، فإذا كبَّرَ دعا دعاءَ الافتتاح، وهو ما روىٰ عليٌّ ﵁، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه كان يقول: «**وجَّهتُ وجهيَ للذي فطرَ [٨٣/أ] السماواتِ والأرضَ حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين، إنَّ صلاتي ونسكي ومحيايَ ومماتي لله ربِّ العالمين، لا شريكَ له، وبذلك أُمِرْتُ وأنا أولُ المسلمين**»(٢).

وعدَلوا عن قولهِ تعالىٰ: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣] إلىٰ قوله: «**وأنا من المسلمين**»(٣)، ليتميَّزَ الدعاءُ عن القرآن. وليس المرادُ بقوله: ﴿أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ أنَّه لم يتقدَّمْهُ مسلم، وإنَّما معنىٰ ذلك المسارعةُ إلىٰ الإسلام(٤). وكذلك معنىٰ قولهِ تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٤١]: النَّهيُ

(١) قال مجاهد: كانوا يكرهون أكل الثوم والبصل والكراث للقيام من الليل، ويستحبون أن يمسَّ الرجل عند قيامه من الليل طيبًا. شعب الإيمان (٢١٢١)، مختصر قيام الليل ص ١١٢.

(٢) سبق تخريجه، وأنه في صحيح مسلم (٧٧١)، وصحيح ابن خزيمة (٤٩٩)، وصحيح ابن حبان (١٧٧٢) من رواية علي بن أبي طالب، في حديث طويل.

(٣) التعديل موجود في أصل الحديث، كما في صحيح مسلم، لكن يرد مرة «أول المسلمين»، ومرة «من المسلمين» في الرقم نفسه. ولم يعلق عليه النووي في شرحه.

(٤) هذا اختيار المؤلف ﵀، وليس هو قول عامة المفسرين. وقد نقل الشوكاني هذا القول من «الانتصار»، كما في نيل الأوطار ٢/٢٢٤، وإذا كان المقصود الانتصار للباقلاني فلم أجده فيه. وهو اختلاف شكلي، فإن أول مسلم من هذه الأمة هو رسولنا محمد ﷺ، وأول من سارع إلىٰ الإسلام وامتثل أمر الله تعالىٰ هو نفسه ﷺ.

عن المسارعةِ إلىٰ الكفر.

وقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه كان يقول: «**سبحانكَ اللَّهمَّ وبحمدك، وتباركَ اسمُك، وجلَّ ثناؤك، ولا إلهَ غيرُك**»(١).

ورويَ عنه أنَّه كان يقول: «**اللَّهمَّ أنت الملِك، لا إله إلَّا أنت، أنت ربِّي وأنا عبدُك، ظلمتُ نفسي واعترفتُ بذنبي، فاغفرْ ذنوبي جميعاً، إنَّه لا يغفرُ الذُّنوبَ إلَّا أنت، واهدني لأحسنِ الأخلاق، لا يَهدي لأحسنِها إلَّا أنت، واصرفْ عنِّي سيِّئَها، لا يَصرفُ عنِّي سيِّئَها إلَّا أنت، لبَّيكَ وسعدَيك، والخيرُ بيديك، والشَّرُّ ليس إليك، والمهديُّ من هَديت، أستغفرُكَ وأتوبُ إليك**»(٢).

وروىٰ أبو هريرةَ قال: قلت: يا رسولَ الله، ما تقولُ بين تكبيرِكَ وقراءتك؟ قال: «**أقول: اللَّهمَّ بعِّد بيني وبين خطاياي كما بعَّدتَ بين المشرقِ والمغرب، ونقِّني من الذنوبِ كما** [٨٣/ب] **تنقِّي الثوبَ الأبيضَ من الدَّرَن، وطهِّرني بماءِ الثلجِ والبرَد**»(٣).

---

(١) المشهور لفظه هو: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالىٰ جدُّك، ولا إله غيرك». الذي أخرجه أبو داود (٧٧٦) من رواية عائشة، وذكر محققه أنه صحيح لغيره، كما رواه لها الترمذي (٢٤٣) وابن ماجه (٨٠٦) وصححه لهما الألباني، ورواه أبو يعلىٰ في مسنده (١١٠٨) من رواية أبي سعيد، وذكر محققه أسد أن إسناده جيد.

(٢) صحيح مسلم (٧٧١)، صحيح ابن حبان (١٧٧١) وصحح الشيخ شعيب إسناده. ورواه آخرون. وفيه اختلاف ألفاظ، فيؤخذ من مظان الحديث.

(٣) لعله أقرب إلىٰ لفظ مسلم (١٤٧) هذا، من رواية أبي هريرة: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقني من خطاياي كما ينقىٰ الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبرد». وفي رواية لمسلم أيضًا من حديث معاذ (٢٦١) فيها كلمة «الدرن».

وهذا كلُّه قد وردَ الخبرُ به، فإن قالَ جميعَهُ كان أولىٰ، وإن أتىٰ ببعضهِ فقد أصابَ السُّنَّة.

ثمَّ يتعوَّذُ فيقول: «أعوذُ باللهِ من الشَّيطانِ الرَّجيم»، ثمَّ يقرأُ بأمِّ القرآن، وسورة، علىٰ ما تقدَّمَ بيانُه، ثمَّ يرفعُ يديهِ حذوَ منكبيه، في تكبيرةِ الافتتاح، وتكبيرةِ الركوع، والرفعِ من الركوع، ويضَعُ يدَهُ اليمنَىٰ علىٰ اليُسرىٰ في حالِ قيامه، فيأخذُ رُسْغَهُ اليسرىٰ بيمينهِ تحت صدره.

ثمَّ يكبِّرُ فيركع، ويسوِّي ظهرَهُ وعنقَهُ ورأسَه، ويضعُ راحتيهِ علىٰ ركبتيه، ويقولُ في ركوعه: «سبحانَ ربِّيَ العظيم» ثلاثاً، ويقول: «اللَّهمَّ لكَ ركعت، ولكَ أسلمت، وبكَ آمنت، لكَ خشعَ شعري وبشَري وما استقلَّتْ به قدمي».

ثمَّ يرفعُ فيقول: «سمعَ اللهُ لمن حمده»، فإذا استوىٰ قائماً قال: «ربَّنا لكَ الحمد، ملءَ السماواتِ وملءَ الأرض، وملءَ ما شئتَ من شيءٍ بعد، أهلَ الثناءِ والمجد، حقًّا ما قالَ العبدُ كلُّنا لكَ عبد، لا مانعَ لما أعطيت، ولا مُعطيَ لما منعت، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منكَ الجَدُّ».

ثمَّ يسجد، فيمكِّنُ جبهتَهُ وأنفَهُ من الأرض، ويضعُ راحتيهِ حذوَ منكبيه، ويكشفُهما، ويضعُ ركبتيهِ علىٰ الأرض، ويَنصبُ قدميه، ويقولُ في سجوده: «سبحانَ ربِّي الأعلىٰ وبحمده» ثلاثاً، ثمَّ يدعو فيقول: «اللَّهمَّ اغفرْ لي ذنبي كلَّه، دِقَّهُ وجِلَّه، أوَّلَهُ وآخرَه، [٨٤/أ] علانيتَهُ وسرَّه، صغيرَهُ وكبيرَه»، وما أحبَّ من الدعاء، فإنَّ أقربَ ما يكونُ العبدُ من ربِّهِ في سجوده؛ فإنَّ السجودَ منتهىٰ الخضوعِ لربِّه. وَيعقلُ معنىٰ تسبيحه، ويخضعُ بقلبهِ مع خضوعِ بدنه؛ فإنَّ

خضوعَ البدنِ شُرِعَ لخضوعِ القلبِ وذكره.

ويقولُ أيضاً في سجوده: «سجدَ وجهي للذي خلقه، وشقَّ سمعَهُ وبصرَهُ بحولهِ وقوَّته، فتباركَ الله أحسنُ الخالقين».

ثمَّ يكبِّرُ ويرفعُ من السُّجودِ حتَّىٰ يستوي جالساً، ويقول: «ربِّ اغفرْ لي وارحمني واجبُرْني وارفعني وارزقني واهدني السَّبيلَ الأقوم وعافني».

ثمَّ يكبِّرُ ويسجدُ أخرىٰ، ويذكرُ فيها ما ذكرناه.

وإذا قرأَ آيةً فيها سجدةٌ في الصلاةِ كبَّرَ وسجد، ولم يرفعْ يديه، ويرفعُ مكبِّراً، ولا يرفعُ يديهِ في التكبير، وإذا قرأها في غيرِ الصلاةِ كبَّرَ ورفعَ يديهِ للإحرام، ثمَّ يكبِّرُ ويسجد، ويرفعُ مكبِّراً، ثمَّ يسلِّم.

وعزائمُ السجودِ أربعَ عشرةَ[(١)] سجدة، وسجدةُ ﴿صٓ﴾ سجدةُ شكر، قالَ ابنُ عباس: ليستْ من عزائمِ السجود، وإنَّما هي توبةُ نبيّ، وإذا قرأها في الصلاة، فسجد، جاز[(٢)].

وأولُ سجداتِ القرآنِ آخرُ سورةِ الأعراف، قولهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ [٢٠٦].

وفي سورةِ الرعد: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ [١٥].

---

(١) في الأصل: أربعة عشر.

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ص ليس من عزائم السجود، وقد رأيت النبي ﷺ يسجد فيها. صحيح البخاري (١٠٦٩).




وفي سورةِ النحل: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ [٥٠] [٨٤/ب].

وفي سورةِ بني إسرائيل: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

وفي سورةِ مريم: ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [٥٨].

وفي الحجِّ سجدتان، عند قولهِ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [١٨]، وقولهِ تعالىٰ: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [٧٧].

وفي سورةِ الفرقانِ عندَ قوله: ﴿أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورًا﴾ [٦٠].

وفي سورةِ النمل: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [٢٦].

وفي سورةِ سجدةِ تنزيل: ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [السجدة: ١٥].

وسجدةِ ص: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [٢٤].

وفي سورةِ سجدةِ الحواميم: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

وفي سورةِ النجم: ﴿فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ﴾ [٦٢].

وفي سورةِ الانشقاق: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ﴾ [٢١].

وفي سورةِ العلق: ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب﴾ [١٩].

وإذا جلسَ في الصَّلاةِ بين السجدتين، وفي التشهُّدِ الأول، جلسَ

مفترشاً ، وهو أن يفرشَ قدمَهُ اليسرىٰ ويجلسَ عليها[1] ، وينصبَ قدمَهُ اليمنىٰ ، وإذا جلسَ في الأخيرِ جلسَ متورِّكاً ، وهو يُفضي بوركهِ إلىٰ الأرض ، ويَنصبُ قدمَهُ اليمنىٰ ، وإذا جلسَ للتشهُّدِ جعلَ يدَهُ اليسرىٰ علىٰ فخذه ، وضمَّ أصابعه ، ووضعَ يدَهُ اليمنىٰ علىٰ فخذه ، ورفعَ سبَّابَتَهُ يشيرُ بها ، وضمَّ إبهامَهُ إلىٰ الوسطىٰ ، وضمَّ بقيَّةَ أصابعهِ علىٰ كفِّهِ كأنَّه عاقدٌ ثلاثًا وخمسين .

ويتشهَّدُ بما روىٰ ابنُ عباس قال: [٨٥/أ] كان رسولُ الله ﷺ يعلِّمُنا التشهُّدَ كما يعلِّمنا القرآن ، فيقول: «**قولوا: التَّحيَّاتُ المباركاتُ الصلواتُ الطِّيِّباتُ لله ، سلامٌ عليكَ أيُّها النَّبيُّ ورحمةُ الله وبركاته ، السَّلامُ علينا وعلىٰ عبادِ الله الصَّالحين ، أشهدُ أن لا إله إلَّا الله ، وأنَّ محمَّداً رسولُ الله**» . **ثمَّ يصلِّي علىٰ النَّبيِّ ﷺ فيقول: اللَّهمَّ صلِّ علىٰ محمَّدٍ وآلِ محمَّد ، كما صلَّيتَ علىٰ إبراهيمَ وآلِ إبراهيم ، وباركْ علىٰ محمَّدٍ وآل محمَّد ، كما باركتَ علىٰ إبراهيمَ وآلِ إبراهيم ، إنَّك حميدٌ مجيد ، ربَّنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرةِ حسنة ، وقِنا عذابَ القبر ، وعذابَ جهنَّم ، وفتنةَ المسيحِ الدَّجَّال ، وفتنةَ المحيا والممات ، برحمتِكَ يا أرحمَ الرَّاحمين** . ويدعو بما شاء من أمر دين ودنيا[2] .

---

(١) عن ابن عباس ﷺ قال: ص ليس من عزائم السجود ، وقد رأيت النبي ﷺ يسجد فيها. صحيح البخاري (١٠٦٩).

(٢) جمع بين عدة أحاديث ، فالتشهد الأول في المسند للشافعي ١١٩/١ ، وفي صحيح ابن خزيمة (٧٠٥) ، وسنن الترمذي (٢٩٠) وقال: حديث حسن صحيح غريب . والصلوات التي بعده في السنن الكبرىٰ للبيهقي (٢٨٥٢) ، وقريب منه في سنن أبي داود (٩٧٦) الذي صحح محققه إسناده . ومن الأدعية الواردة في آخره حديث أبي هريرة الذي رواه أحمد ، أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أربع: من عذاب جهنم ، وعذاب القبر ، وفتنة المحيا والممات ، وفتنة الدجال . مسند أحمد (٧٨٧٠) وقال محققه: حديث صحيح وهذا إسناد حسن .=

ثمَّ يسلِّمُ عن يمينه فيقول: «السَّلامُ عليكم ورحمةُ الله»، وينوي الخروجَ من الصَّلاة، والسَّلامَ على الحفَظة، والسَّلامَ على الإمامِ إن كان عن يمينه، والسَّلامَ على من على يمينهِ من المأمومين، وإذا سلَّمَ على يساره يرى السَّلامَ على الحفَظة، وعلى من على يسارهِ من المأمومين.

فإذا سلَّمَ قالَ بصوتهِ العالي: «لا إله إلَّا الله وحدَهُ لا شريكَ له، له الملك، وله الحمد، يُحيي ويميت، وهو حيٌّ لا يموت، بيدهِ الخير، وهو على كلِّ شيءٍ قدير، لا إله إلَّا الله، لا نعبدُ إلَّا إيَّاه، ولا نشركُ به شيئاً، له النِّعمةُ وله الفضل، [٨٥/ب] لا إله إلَّا الله مخلصين له الدِّينَ ولو كرهَ الكافرون، اللَّهمَّ منكَ السَّلام، وإليكَ يعودُ السَّلام، وأنت أحقُّ بالسَّلام، ودارُكَ دارُ السَّلام، تباركتَ وتعاليتَ يا ذا الجلالِ والإكرام، اللَّهمَّ لا مانعَ لما أعطيت، ولا معطيَ لما منعت، ولا رادَّ لما قضيت، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منكَ الجَدُّ».

ويقرأُ آيةَ الكرسيِّ[١]، وخواتيمَ سورةِ البقرة، و﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، و﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]، و﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وآياتِ التسبيح، وهي قوله[٢]: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم: ١٧]، وقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن

= ولم يذكر فيه موضع الدعاء، ولكن في كتاب الدعاء للطبراني (٦٢٠) تصريح بأنه كان يدعو به بعد التشهد. وقد ورد في كلام عبدالله بن مسعود: «يتشهد الرجل، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو لنفسه»، قال الحاكم: وقد أسند هذا الحديث عن عبدالله بن مسعود بإسناد صحيح. المستدرك (٩٩٠).

(١) الآية ٢٥٥ من سورة البقرة.

(٢) في الأصل: وهو قوله.

فِيهِنَّ ﴾ [الإسراء: ٤٤] ، وقولهُ تعالىٰ: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ إلىٰ آخرها [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢]. ثمَّ يقرأُ التحميداتِ أولَ سورةِ الأنعامِ إلىٰ قوله: ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ١ ـ ٣] ، وقولَهُ تعالىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا ﴾ إلىٰ آخرِ الآيةِ [الأعراف: ٤٣] ، وقولَهُ تعالىٰ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ [الإسراء: ١١١] ، وقوله: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ إلىٰ آخرها [الجاثية: ٣٦ ـ ٣٧].

ثمَّ يدعو فيقول: اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ بأنَّ لكَ الحمدَ لا إله إلَّا أنت ، يا بديعَ السَّماواتِ والأرض ، يا ذا الجلالِ والإكرام ، يا حيُّ يا قيُّوم ، يا ذا الفضلِ العظيم ، يا ربِّي وربَّ كلِّ شيء ، أن تقبلَ صلاتي وتجعلَها مسقطةً للفرض ، مكفِّرةً لذنوبي.

وأسألُكَ إيماناً دائماً ، ويقيناً صادقاً ، وديناً قِيَماً ، وعلماً نافعاً ، وعملاً متقبَّلاً ، والعافيةَ من كلِّ بلاء ، [٨٦/أ] وتمامَ العافية ، والشكرَ علىٰ العافية ، والغنىٰ عن النَّاس.

أسألُكَ الإخلاصَ في عملي ، واليقينَ في قلبي ، والصِّحَّةَ في جسمي ، والأمنَ في سرِّي ، والسعةَ في رزقي ، والسَّلامةَ في ديني ، والعافيةَ في بدني ، والراحةَ في قلبي.

اكفني اللهمَّ أمرَ عدوِّي ، اجعلِ اللهمَّ ذكركَ في قلبي وعلىٰ لساني برحمتِكَ يا أرحمَ الرَّاحمين.

اللَّهمَّ إنِّي أصبحتُ تائباً إليكَ من ذنوبِ الليلِ والنَّهار ، اللَّهمَّ إنَّك عفوٌّ




تحبُّ العفوَ فاعفُ عنِّي ، اللهُمَّ اعفُ عنِّي عفواً لا تثريبَ فيه ولا توبيخ ، أنت العالمُ بذنوبي فاغفرها ، وأنت العالمُ بعيوبي فاسترها ، وأنت العالمُ بأحوالي فأصلحها ، وأنت العالمُ بحاجاتي فاقضِها .

اللَّهمَّ اغفرْ لي جميعَ الذنوب ، واسترْ عليَّ جميعَ العيوب ، وتبْ عليَّ حتَّىٰ أتوب ، واعصمني حتَّىٰ لا أعود ، إنَّك أنت الغفورُ الودود .

اللَّهمَّ لا تحرمني عفوك ، والاعتصامَ بحبلك ، وارزقني حقيقةَ التَّوكُّلِ عليك ، وخالصَ الرغبةِ فيما لديك ، وامدُدْني بعوائدِ(١) خيرك ، واغفرْ لي بكرمِ وجهك ، ولا تذلَّني بالسؤالِ إلىٰ غيرك ، وافتحْ لي من خزائنِك رزقاً واسعاً ، وخفضَ عيشٍ يكونُ لخيرِ الدنيا والآخرةِ جامعاً .

اللَّهمَّ فرِّغني للعبادة ، وحبِّبْ إليَّ الزَّهادة ، واختمْ لي بالسعادة ، ولقِّني عند فراقِ الدنيا الشَّهادة ، واجعلني ممَّن يأتي آمناً يومَ القيامة .

اللَّهمَّ [٨٦/ب] اجعلْ أولَ يومي هذا صلاحاً ، وأوسطَهُ فلاحاً ، وآخرَهُ نجاحاً ، اللَّهمَّ اجعلهُ خيراً لي ، وما قبلَهُ وما بعدَهُ خيراً لي ، اقسمْ لي فيه من خشيتِكَ ما تحولُ بيني وبين معاصيك ، ومن طاعتِكَ ما تبلِّغني إلىٰ كرامتك ، ومن اليقينِ ما تسهِّلُ به عليَّ مصائبَ الدنيا ، ومتِّعني بسمعي وبصري ما أحييتَني ، واجعلهما الوارثَ منِّي ، لا تجعلِ الدنيا أكبرَ همِّي ، ولا مبلغَ علمي ، ولا تسلِّطْ عليَّ من لا يرحمني ، ولا تكلني إلىٰ نفسي طرفةَ عينٍ برحمتِكَ يا أرحمَ الرَّاحمين .

---

(١) في الأصل: بفوايد. وهو تصحيف.

اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ الثَّباتَ علىٰ الأمر، والمعونةَ علىٰ الرُّشد، ولساناً صادقاً، وقلباً سليماً، وأن تغفرَ لي ما تعلم، وترزقَني خيرَ ما تعلم، وتكفيَني شرَّ ما تعلم، إنَّك علَّامُ الغيوب، أسألُكَ صلاحاً في ديني الذي به عصمةُ أمري، وصلاحاً في دنيايَ التي فيها معاشي، وآخرتي التي إليها معادي، وأن تجعلَ الحياةَ زيادةً في الخيرِ لي، والموتَ راحةً لي من كلِّ شرّ، برحمتِكَ يا أرحمَ الرَّاحمين، صلِّ علىٰ محمَّدٍ وآلِ محمَّد.

وما سألتُكَ من خيرِ الدَّارَين فأعطني، وما لم أسألْكَ فابتدني[1]، وما قصَرَتْ عنه آمالي فبلِّغني. اغفرْ لي ولآبائي وأمَّهاتي، وإخوتي وأخواتي، وقراباتي وأصدقائي وجيراني، ومن استودعَني الدُّعاء، ومن استودعتُه، وجميعَ المسلمين، برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمين.

فأمَّا آدابها، فقد [٨٧/أ] قدَّمنا أنَّ مقصودَها الخشوعُ والخضوعُ والسكون، والهيبةُ والإجلال، وتجنُّبُ محادثةِ النَّفس. ويدفعُ الشيطان، ولا يلتفتُ في صلاته، ويرفعُ يديهِ حذوَ منكبيه، وإذا ركعَ سوَّىٰ ظهره، ويُجافي عضدَيهِ عن جنبَيه، ويُقِلُّ بطنَهُ عن فخذيه[2]، ويفرجُ بين قدميه. ولا يتخصَّرُ في الصَّلاة، وهو ألَّا يدَعَ يدَهُ في خاصرته. ولا يعبثُ بيده، ولا يمسحُ الحصىٰ في الصلاة، ولا يعدُّ الآي، إلَّا أن تكونَ طوالاً، ولا يتوالَىٰ فعلهُ العددَ[3]، وقد كانوا يعدُّون بيسارهم. فإذا جلسَ لا يعتمدُ علىٰ الأرضِ بيده. وقد قدَّمنا ذكرَ أطرافهِ وموضعَ نظره. ويجتهدُ في حسنِ التأدُّبِ بين يدي ربِّهِ تعالىٰ.

---

(١) هكذا في الأصل، ويعني: فابتدرني، أو فابتدئني، علىٰ السجع الذي ساقه.
(٢) يُقلّ: يرفع. ينظر فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب ص ٨٣.
(٣) أي: لا يتتابع ولا يتكرر.




وحُكيَ عن أحمد بن أبي الحواري[1] أنَّه قال: رأيتُ غلاماً حدَثاً مملوكاً يصلِّي، فأعجبني حسنُ صلاتهِ وحسنُ أدبهِ فيها، فلمَّا فرغَ دنوتُ منه وقلت: يا غلام، من علَّمكَ هذه الصَّلاة؟ فقالَ لي: ما علَّمني أحد، ولكنِّي كنتُ مملوكاً مع جماعةٍ لبعضِ الملوك، فكان أحبُّنا إليه أحسنَنا أدباً بين يديه، فاعتمدتُ ذلك بين يدَي ربِّي ﷻ.

❁ **فإن قالَ قائل**: ما دواءُ من ابتُليَ بمحادثةِ النَّفسِ وإعراضِ القلب؟

❁ **والجواب**: إنَّ من دخلَ في الصَّلاةِ مع كمالِ الرَّغبةِ في الدُّنيا والإعراضِ عن ذكرِ الآخرة، صعبَ عليه تركُها في الصَّلاة؛ لأنَّه يريدُ أن يصعدَ من أدنى المراقي إلى أعلاها بغيرِ واسطة، [٨٧/ب] وذلك يبعدُ ويتعذَّر، وإنَّما يتمُّ الخشوعُ في الصَّلاةِ والإقبالُ عليها لمتذكِّرٍ يرغبُ تارةً ويزهدُ أخرى، ويذكرُ الآخرةَ وإن كان في شغلِ الدنيا، فإذا دخلَ في الصَّلاةِ ورغبَ إلى الله في معونتهِ أعانَهُ ما سبقَ من ذكرهِ على رشدهِ في صلاته. واعلمْ أنَّ جماعَ الخيرِ في الزهدِ في الدنيا، وحبَّها رأسُ الخطايا.



(١) أبو الحسن أحمد بن عبدالله بن ميمون بن أبي الحواري الدمشقي الزاهد. كوفي الأصل، من قدماء مشايخ الشام. تكلم في علوم المحبة والمعاملات. صحب أبا سليمان الداراني، وأخذ طريقة الزهد من أبيه. كان الجنيد يقول: أحمد بن أبي الحواري ريحانة الشام. وهو ثقة. ت ٢٤٦ هـ. تهذيب الكمال ٣٦٩/١.

بَابُ
صفة الدنيا

قالَ الله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤].

قولهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ معناه: صفةُ الحياةِ الدنيا كصفةِ نباتِ الأرض، ممَّا يأكلُ الناسُ والأنعام.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا ﴾؛ أي: حسنتْ أقواتُها، كالزهرِ الذي يروقُ البصر، ولهذا زُخرِفَتِ الجنة؛ أي: حَسُنت.

﴿ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ ﴾؛ أي: ظنُّوا أنَّها تبقَىٰ لهم فيقدرون عليها.

ومعنىٰ ﴿ كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ﴾ أي: لم تقمْ علىٰ تلك الصفةِ فيما قيل، غَنِيَ بالمكان[1]: إذا أقامَ به، والمغاني: المنازل.

انظرْ ـ وفَّقكَ الله ـ كيف وصفَها ﷻ [٨٨/أ] بما تعرفهُ العقولُ وتشاهدهُ الأبصار، ولا يرتابُ فيه مرتاب، فبيَّنَ تعالىٰ أنَّ الواجدَ لها يظنُّ أنَّها تبقىٰ له،

---

(١) في الأصل: غنىٰ بالمكان. ينظر مختار الصحاح، والمصباح المنير، مادتا غ ن ىٰ، وغ ن ن. كما ينظر تفسير الآية في جامع البيان للطبري ١٥١/١٢.

ويغترُّ بوجودها، ولا يعتبرُ بغيرهِ فيها، فإذا ذهبتْ عنه كان حزنهُ بذهابها يوفي علىٰ سرورهِ بوجودها، بل في حالِ وجودِها يشغلهُ[1] عن سرورهِ بها تطلُّعهُ إلىٰ الزيادةِ فيها، وحسدهُ لمن نالَ منها أكثرُ ممَّا نالَهُ منها، فإذا فاتتهُ اشتدَّ حزنهُ عليها وأسفهُ علىٰ فواتها، مع ما يطرقهُ في حالِ وجودِها من طوارقِها ممَّا يكدِّر صفوَها[2]، ويُمِرُّ مذاقَها، ويشوبُ سرورها بحزنها، فصارَ خسرانُها أكثرَ من ربحها، وحزنُها أكثرَ من سرورِها.

وقالَ تعالىٰ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

وهذا يبيِّنُ لكَ أنَّه إنَّما يستمتعُ بالدنيا اللاهي واللاعبُ المتزيِّنُ بزخرُفِها، المفاخِرُ في الأموالِ والأولاد، دونَ الناظرِ إليها ببصيرةِ الفكر، والمتصفِّحِ لأحوالها بالعقلِ المتنبِّهِ لعواقبِها، والواقفِ علىٰ مكنونِ عيوبها، العالمِ بمنتهاها ومصيرِها.

وشبَّهها بالزرعِ الذي يُعجِبُ الزرَّاعَ [٨٨/ب] نباته، وسمَّاهم الكفَّارَ لأنَّهم يزرعون فيغطُّون البذر، والكفرُ: التغطية. ثمَّ هذا الزرعُ يَهِيجُ فيصفرُّ ويصيرُ حُطاماً، كما تُروعُكَ الدنيا بزينتِها، ثمَّ تذهبُ فتصيرُ كالحُطام.

ثمَّ بيَّنَ سبحانهُ فقال: ﴿وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾

(١) في الأصل: تشغله. وفاعلها: تطلُّعه.
(٢) الطوارق: الحوادث. تاج العروس ٨٢/٢٦.




يُدرَكان بالعمل ، فمن نظرَ إلىٰ ظاهرها فَراقَهُ ، وعملَ له ، كان له في الآخرةِ عذابٌ شديد ، ومن تركَ زينتها[1] ، وعملَ فيها بطاعةِ الله ، واستعانَ علىٰ طاعته بتركها ؛ كان له عند الله مغفرةٌ ورضوان .

وقوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ بيَّنَ الله سبحانهُ أنَّها تُغِرُّ بزينتِها ؛ لأنَّ المشاهِدَ لها لو نظرَ إلىٰ باطنِها لاستقبحَها ، فإذا سكنَ إلىٰ ما شاهدَهُ من حُسنِ ظاهرها غرَّته ؛ لأنَّه يطلبُها ويميلُ إليها مرهقةً بحلاوتها[2] ، وتجرُّهُ إليها بعاجلِها ، قالَ ﷺ: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧] . وإنَّما علموا ظاهرَها لأنَّهم سكنوا إلىٰ ظاهرِها وصاروا بذلكَ كالجاهلين بباطنها ، وإن كان كلُّ عاقلٍ يعلمُ أنَّها تفنَىٰ ، ويعودُ سرورُها حزناً ، فلمَّا كانوا فيها كالجاهلين بمصيرِها وتقلُّبها ، كانوا كالعالمين بظاهرها دونَ باطنها .

وإنَّما ذمَّها الله تعالىٰ ونفَّرَ عنها ، وأمرَ بالزهدِ فيها لعلمهِ بغرورِها وإعراضِ أهلِها عن الآخرة ، واشتغالهم بها عن طاعته ، [٨٩/أ] وإمالتِها إيَّاهم إلىٰ معصيته ، ولهذا قالَ ﷺ: «**رأسُ الخطايا حبُ الدنيا**»[3] ، يعني: أصلُ الخطايا .

---

(١) من ترك زينتها الحرام ، قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢] . وإذا ألهته زينة حلال عن القيام بواجب ، فهو السبب ، وليست الزينة . لكن يكون المؤمن علىٰ حذر شديد ، وليقرأ كلام المؤلف الآتي بتفكر ووجل .

(٢) هكذا . . ولعلها «مرهفة بحلاوتها» . والرهف: اللطف والرقَّة . أو تكون: فترهقه بحلاوتها .

(٣) المشهور لفظه: «حبُّ الدنيا رأس كل خطيئة» ، الذي ذكر كثير من مخرّجيه أن إسناده إلىٰ الحسن البصري مرسل حسن . ينظر الأسرار المرفوعة (١٨٨) . والحكم عليه بالضعف من قبل آخرين يعني لإرساله . والحكم عليه بالوضع قاله صاحب السلسلة الضعيفة (١٢٢٦) ،=




ورويَ عن وهب بنِ منبِّه قال: رأينا ورقةً تهفو بها الريح، فأرسلنا بعضَ الفتيانِ فأتىٰ بها، فإذا فيها: الدنيا دارٌ لا يُسلَمُ منها إلَّا بتركها، ما أَخذَ منها أهلُها لها خرجوا منه وحُوسبوا عليه، وما أخذَ منها أهلُها لغيرها خرجوا به ثمَّ أقاموا فيه[1].

وحكي أنَّ المسيحَ عليه السلام قال: الدُّنيا قنطرة، فاعبُروها ولا تعمُروها[2].

وروىٰ سفيانُ قال: أوحىٰ الله سبحانهُ إلىٰ نبيٍّ من أنبيائه: اتَّخذِ الدُّنيا ظئراً، والآخرةَ أُمًّا[3].

وقالَ أبو حازم[4]: ما الدنيا؟ أمَّا ما مضىٰ فحُلم، وأمَّا ما بقيَ فأمانيّ[5].

ويقال: إنَّ الدنيا والآخرةَ ضرَّتان، إن أرضيتَ إحداهما أغضبتَ الأخرىٰ[6].

وقيل: إنَّ المستغنيَ بالدنيا عن الدنيا كالمطفئ النَّارَ بالتبن[7].

= قال السيوطي: إسناده إلىٰ الحسن حسن، فلا دليل علىٰ وضعه. تدريب الراوي ١/٤٨٦.

(١) ذم الدنيا لابن أبي الدنيا (٤٧٢)، والزهد له أيضًا (٥٤١).

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤٧/٤٢٦.

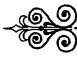
(٣) المجالسة وجواهر العلم (١٣٢٢)، وفي ذم الدنيا (١٤٤) من قول فرقد السبخي. والظئر: المرضعة غير ولدها.

(٤) هو سلمة بن دينار المديني الأعرج. مدني ثقة. من أقواله: إذا رأيت الله عزَّ وجلَّ يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره. ت ١٣٥ هـ. التاريخ وأسماء المحدثين ص ٩٦، صفة الصفوة ٢/١٥٦.

(٥) صفة الصفوة (١٨٥)، المدهش ١/٢٩٠.

(٦) أدب الدنيا والدين ص ١١٠ من كلام وهب، الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة ص ١٣٦ من كلام علي بن أبي طالب. وورد في الأصل: أحدهما.

(٧) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٠ من كلام عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، المجالسة وجواهر العلم ٥٤٨=




وهذا معنىٰ صحيح ؛ لأنَّ من أرادَ أن يأخذَ من الدنيا قدراً يُرضي به نفسه ، دعاهُ ذلك إلىٰ الزيادةِ منها ، وصارَ بمنزلةِ من طرحَ للنَّارِ ما تأكله ، فإنَّ بعضَها يدعو إلىٰ بعض .

وكان فيما أُنزِلَ علىٰ النَّبيِّ ﷺ: **«لو أنَّ لابنِ آدمَ واديين من ذهب ، لابتغَىٰ إليهما ثالثاً ، ولا يملأُ جوفَ ابنَ آدمَ إلَّا التراب»**[1] .

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: **«ما لي وللدنيا ؟ ما أنا إلَّا كراكبٍ استظلَّ بشجرةٍ ثمَّ انصرف»**[2] .

وسئلَ عليٌّ رضوانُ الله عليه [٨٩/ب] عن الدنيا فقال: صحيحُها آمِن ، ومريضُها نادم ، حلالُها حساب ، وحرامُها عقاب[3] .

وهذا كلامٌ حسن . ومعنىٰ «صحيحُها آمن»: المرادُ به أنَّه في أحوالِهِ كالآمن ، يمتدُّ أمله ، ولا يذكرُ أجلَه ، فإذا مرضَ ندمَ علىٰ ما فرَّطَ في صحَّته .

وقوله: «حلالُها حساب»: معناه أنَّ ما يحلُّ له من المكاسبِ والمآكلِ

= وإحياء علوم الدين ٣/٢١٠ من كلام بكر بن عبدالله المزني .

(١) حلية الأولياء ٣/٣١٦ من رواية ابن عباس ، وذكر أبو نعيم أنه حديث صحيح متفق عليه . . . ورواه مع اختلاف ألفاظ البخاري في صحيحه (٦٤٣٩) ومسلم (١٠٤٨) كلاهما من حديث أنس .

(٢) رواه بألفاظ متقاربة ابن حبان في صحيحه (٦٣٥٢) وذكر الشيخ شعيب أن إسناده قوي ، والحاكم في المستدرك (٧٨٥٨) وقال: صحيح علىٰ شرط البخاري ، وعلق الذهبي: علىٰ شرط البخاري ومسلم ، كلاهما من رواية ابن عباس . ولم أجد كلمة «انصرف» فيما اطلعت عليه من روايات الحديث .

(٣) ذم الدنيا (١٨) ولفظه فيه «من صح فيها أمن ، ومن سقم فيها ندم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنىٰ فيها فتن ، من حلالها حساب ، ومن حرامها النار» .




والمشاربِ يحاسَبُ علىٰ ما يشوبه، وما لا يكادُ ينفكُّ منه، من حيفٍ أو يمينٍ أو كذبٍ أو تدليس، وما كان من الحرام، مثل الفجور، وشربِ المحرَّمات، والعملِ بالمعاصي، يستحقُّ به العذاب.

وروي أنَّه ذمَّ رجلٌ الدنيا عند عليِّ بن أبي طالب عليه السلام، فقالَ عليٌّ كرَّمَ الله وجهه: الدنيا دارُ صدقٍ لمن صدَقها، ودارُ نجاةٍ لمن فهِمَ عنها، ودارُ غنًىٰ لمن تزوَّد منها، مهبطُ وحي الله، ومصلَّىٰ ملائكته، ومسجدُ أنبيائه، ومتجرُ أوليائه، ربحوا منها الرحمة، واكتسبوا فيها الجنَّة، فمن ذا يذمُّها وقد آذنتْ ببَينِها، ونادتْ بفراقها، فيا أيُّها الذَّامُّ للدنيا، المعلِّلُ نفسه، متىٰ خدعتكَ الدنيا، أم متىٰ استذمَّتْ إليك؟! أبمصارعِ آبائكَ في البِلىٰ، أم بمضاجعِ أمَّهاتِكَ في الثَّرىٰ؟ كم مرَّضتَ بيديك، وعلَّلتَ بكفَّيكَ تطلبُ لهم الشفاء، وتستوصفُ لهم الأطباءَ غداةَ لا يُغني عنك دواؤك، ولا ينفعكَ بكاؤك[1]!

وهذا الكلامُ ـ عافاكَ الله ـ لا يناقضُ كلامَهُ الأول، وإنَّما أرادَ أنَّ الحياةَ [٩٠/أ] فيها ليستْ مذمومة؛ لأنَّ الطائعَ فيها مكتسِبٌ رضا الله وثوابَه، فإنَّها دارُ التكليف. وبيَّنَ أيضاً أنَّ الدنيا قد وعظتك، وإنَّما يقعُ ذمُّ الدنيا لأنَّها تغرُّ أكثرَ أهلِها، وتدعوهم إليها بزينتِها وزخارفِها، فيعدِلون عن طريقِ النَّجاة فيها، فالذَّمُّ ينصرفُ إلىٰ هذه الحال، والمدحُ إلىٰ الحالِ الأخرىٰ.

وفي معنىٰ ذلك قولهُ ﷺ: **«النَّاسُ غاديان، فبائعٌ نفسَهُ فموبقُها، ومشترٍ نفسَهُ فمعتقُها»**[2].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤٢/٤٩٨، المجالسة وجواهر العلم ١٢١١، بهجة المجالس ص ٢٣٤، وأوله في أدب الدنيا ص ١٣١.

(٢) مسند أبي يعلىٰ (١٩٩٩) وذكر محققه حسين أسد أن إسناده قوي، وفي إسناده إسحاق بن=

فمن أعتقَ نفسَهُ باتِّباعِ أحسنِ ما فيها فهي ممدوحةٌ له، ومن غرَّتْهُ وفتنتهُ فهي مذمومةٌ له، إذ كانتِ السَّببَ في فتنتهِ وعدولهِ عن طريقه، وإنَّما يسلمُ منها من لم يطلبها، وإنَّما طلبَ الآخرةَ فيها.

قيلَ لمحمَّد بنِ واسع: إنَّك لترضَىٰ بالدُّون، فقال محمَّد: إنَّما رضيَ بالدُّونِ من رضيَ بالدنيا(١).

وقيلَ لعليِّ بن الحسين رضي الله عنه(٢): مَن أعظمُ النَّاس خطراً؟ قال: من لم يرَ الدنيا خطراً لنفسه(٣).

روىٰ سالم بنُ أبي الجعد، عن أبي الدَّرداء أنَّه قال: يا أهلَ حمص، ما لي أراكم تجمعون كثيراً، وتبنون شديداً، وتأمُلون بعيداً؟! إنَّ مَن قبلَكم جمعوا كثيراً، وبنَوا شديداً، وأمَّلُوا بعيداً، فصارَ جمعُهم بُوراً، وصارتْ مساكنُهم قبوراً، وأملُهم غروراً(٤).

وروىٰ داود(٥) بنُ المحبَّر، عن عبدالواحد بن الخطَّاب قال: [٩٠/ب]

= أبي إسرائيل، قال الحافظ الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير إسحاق بن أبي إسرائيل وهو ثقة مأمون. مجمع الزوائد ١٠/٢٣٣. ورواه أحمد بطريق أخرىٰ في مسنده (١٥٢٨٤) وقال محققه: إسناده قوي علىٰ شرط مسلم. وقال الهيثمي في رواية عبدالله بن مسعود: إسناده جيد. مجمع الزوائد ١٠/٢٣٩.

(١) المجالسة وجواهر العلم (١١٧٧)، محاضرات الأدباء ١/٦٠٠.

(٢) المعروف بزين العابدين. ت ٩٤ هـ.

(٣) عيون الأخبار ٢/٣٥٦، المجالسة (١٣٧).

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٤٧/١٣١، قصر الأمل (٢٦٠)، حلية الأولياء ١/٢١٣. والنداء في الأخيرين لأهل دمشق. والبور: الهلاك.

(٥) في الأصل: أبو داود. وتصحيحه من مصدره.

أقبلنا قافلين من بلادِ الرومِ نريدُ البصرة ، حتَّىٰ إذا كنَّا بين الرَّصافةِ وحمص ، سمعنا صائحاً يصيحُ من تلك الرمال ، سمعَتْهُ الآذانُ ولم ترَهُ الأعين ، يقول: يا مستور ، يا محفوظ ، اعقلْ في سترِ مَن أنت ، فإن كنتَ لا تعقلُ في سترِ مَن أنت فاتَّقِ الدنيا ، فإنَّها [جَمرُ الله ﷻ][1] ، فإن كنتَ لا تعقلُ كيف تتَّقيها فصيِّرْها شوكاً ، ثمَّ انظرْ أين تدَعُ قدميكَ منها[2].

وهذا كلامٌ حسن ، ومعنىٰ هذا أنَّك إذا كنتَ لا تقدرُ مع مخالطتِها علىٰ التَّقوىٰ فيها ، فاعتزلْ جميعَها ، إلَّا موضِعَ قدمِكَ منها ، وهو ما دعتِ الحاجةُ والضرورةُ إليه منها.

وحكيَ عن المأمونِ ـ رضي الله عنه[3] ـ أنَّه قال: لو سُئلتِ الدنيا عن نفسِها ما أحسنتْ أن تصفَ نفسَها صفةَ أبي نُوَاس لها ، في قوله:

إذا امتحنَ الدنيا لبيبٌ تكشَّفتْ ❊ له عن عدوٍّ في ثيابِ صديقِ[4]

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**من أصبحَ والدنيا أكبرُ همِّه ، شتَّتَ الله همَّه ، وجعلَ فقرَهُ بين عينيه ، ولم يأتِهِ من الدنيا إلَّا ما كُتِبَ له ، ومن أصبحَ والآخرةُ أكبرُ همِّه ، جمعَ الله همَّه ، وجعلَ غناهُ بين عينيه ، وأتتهُ الدنيا وهي صاغرة**»[5].

---

(١) بياض في الأصل ، والمثبت من المصدر.

(٢) الهواتف لابن أبي الدنيا (٢١).

(٣) يبدو أن هذا من تصرف النسّاخ ، فالترضي يكون عن الصحابة. ثم إن المأمون معتزليّ.

(٤) ديوان أبي نواس ص ٦٥٤.

(٥) رواه مع اختلاف ألفاظ: ابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال (٣٥٥) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/٢٢٧. وله روايات وتخريجات أخرىٰ.

وروىٰ أبو صالح عن أبي هريرة قال: قالَ عيسىٰ عليه السلام: يا معشرَ الحواريين، اتَّخذوا بيوتَكم منازل، واتَّخذوا المساجدَ [٩١/أ] مساكن، وكُلوا من بقلِ البرِّيَّة، واخرجوا من الدنيا بسلام(١).

وروىٰ عنه سليمان التيمي(٢) أنَّه قال: إنِّي أقولُ بحقّ، إن أنتم في الدنيا إلَّا عابرو سبيل، ألَا فاتخذوا مساجدَ الله بيوتاً، وبيوتَكم كمنازلِ الأضياف(٣).

ورويَ عن عمرَ رضي الله عنه، أنَّه كتبَ إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري: إنَّك لن تنالَ عملَ الآخرة بشيءٍ أفضلَ من الزهدِ في الدنيا(٤).

وقالَ وهب بنُ منبِّه: أعونُ الأخلاقِ علىٰ الدينِ الزهدُ في الدنيا، وأوشكُها ردًىٰ اتِّباعُ الهوىٰ، ومن اتِّباعِ الهوىٰ الرغبةُ في الدنيا، ومن الرَّغبةِ في الدنيا حبُّ المالِ والشَّرف، ومن حبِّ المالِ والشَّرفِ استحلالُ المحارم، ومن استحلالِ المحارمِ يَغضَبُ الله تعالىٰ، وغضبُ الله الداءُ الذي لا دواءَ له [إلا رضوانُ الله]، ورضوانُ الله الدواءُ الذي لا يضرُّ معه داء، فمن يريدُ أن يُرضيَ ربَّه يُسخِطُ نفسه، إن كان كلُّ شيءٍ يَثقلُ عليه من دينهِ يتركه، يوشكُ أن لا يبقىٰ معه شيء(٥).

---

(١) الدر المنثور ٢/٢١١. وكان في الأصل «وكلوا من فضل البرية»، فصحح من مصدره.

(٢) أبو المعتمر سليمان بن طرخان التيمي، أحد علماء البصرة وعبّادها. سمع أنسًا وطائفة. قال ابنه المعتمر: مكث أبي أربعين سنة يصوم يومًا ويفطر يومًا، ويصلي الفجر بوضوء العشاء، وعاش سبعًا وتسعين سنة. وهو تابعي ثقة، روىٰ له الجماعة. العبر ١/١٥٠، تهذيب الكمال ١٢/٥.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٤٧/٤٢٦.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٦١١)، الزهد لوكيع (٤)، ولأحمد (٦٤٧).

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (٣٦٣١٦). وآخر العبارة في مصدره أوضح: «إن كان كلما ثقل علىٰ الإنسان شيء من دينه تركه أوشك أن لا يبقىٰ معه شيء» وأوضح منه ما جاء في الزهد لأحمد=




رويَ عن عيسىٰ بنِ مريم عليه السلام أنَّه قال: إنَّ أولياءَ الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، الذين نظروا إلىٰ باطنِ الدُّنيا حين نظرَ النَّاسُ إلىٰ ظاهرها، وإلىٰ آجلِ الدُّنيا حين نظرَ النَّاسُ إلىٰ عاجلِها، فأماتوا منها ما خشُوا أن يُميتَ قلوبَهم، وتركوا منها ما سيتركُهم(١).

وقالَ عمر بنُ الخطَّاب رضوانُ الله عليه: النَّاسُ طالبان، فطالبٌ يطلبُ [٩١/ب] الدنيا فارفضوها في نحره، وما أدركَ الذي طلبَ منها، فهلكَ بما أصابَ منها، وربَّما فاتَهُ الذي طلبَ منها فهلكَ بما فاتَهُ منها، وطالبٌ يطلبُ الآخرة، فإذا رأيتم طالبَ الآخرةِ فنافسوه(٢).

وقالَ الحسنُ البصريّ: ما أُعطيَ رجلٌ شيئاً من الدنيا إلَّا قيلَ له: خذهُ ومثلَهُ من الحرص، وإذا سرَّكَ أن تنظرَ إلىٰ الدنيا بعدك، فانظرها بعدَ غيرك(٣).

وقيلَ لمحمَّد بن علي: مَن أعظمُ النَّاس قدراً؟ قال: من لا يبالي الدنيا في يدِ من كانت(٤)!

وقال محمَّد بن واسع: ما آسَىٰ من الدنيا إلَّا علىٰ ثلاث: بُلغةٌ من عيشٍ

= (٢١٧٧): «إن كان الإنسان كلما كره من دينه شيئا تركه أوشك أن لا يبقىٰ معه من دينه شيء». وما بين المعقوفتين من المصادر.

(١) الزهد لأحمد (٣٣٩)، حلية الأولياء ١/ ١٠.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ١٢٨، البيان والتبيين ٣/ ٩٤.

(٣) آداب الحسن البصري لابن الجوزي ص ٦٩، والشطر الثاني منه في شعب الإيمان (١٠٢٩٩)، وفي البيان والتبيين ٣/ ٩٩.

(٤) البيان والتبيين ٣/ ١١١، والسؤال فيه: من أشد الناس زهدًا؟، آداب الحسن البصري لابن الجوزي ص ٧٥، وقائله فيه الحسن بن علي.

ليس لأحدٍ عليَّ فيها منَّة ، ولا عليَّ فيها تَبعة ، وصلاةٌ في جمعٍ أُكفَىٰ سهوَها ، ويُدَّخَرُ لي أجرُها ، وأخٌ إذا ما اعوججتُ قوَّمني(١) .

وفيما ذكرناهُ من وصفِ الدنيا مزجِرٌ للعاقلِ عنها ، ومزهِّدٌ للراغبِ فيها ، وقد عابَ الله ﷻ المسرورين بها ، فقالَ جلَّ من قائل: ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ [الرعد: ٢٦] .

ولولا ضررُها وما يفوتُ من الآخرةِ بها لكان المسرورُ بها معذوراً ، فإنَّ له فيها مستمتَعاً وملاذاً من جنسِ ما وعدَهم الله تعالىٰ به في الجنَّة ، وقد بشَّرهم بالجنَّة ، وأوجبَ لهم السُّرورَ بها ، قالَ سبحانه: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١] .

ألا ترىٰ قولَهُ [٩٢/أ] تعالىٰ: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِ﴾ ؟ [التوبة: ٣٨] ، وكذلك قولهُ تعالىٰ: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠] .

فصارتا ضرَّتين ، إذا كان الرضا بالدنيا يُذهِبُ الأخرىٰ ، فمن قنعَ بما يكفيهِ من حلالها ، ولم يشغلْ نفسَهُ بطلبِ الزيادةِ ولا الرئاسة ، بل شغلَ نفسَهُ بطلبِ الآخرة ، فقد خلصَ منها ، فإن تعذَّرتْ كفايتهُ واحتاجَ إلىٰ طلبِ ذلك ، ولم يتَّسعْ طمعه ، ولا طمحَ إلىٰ غيرهِ بأمله ، فقد لحقَ بالزاهدين فيها ، فأمَّا تركُ الحلالِ الموجودِ فيها ، إذا وجدَهُ من غيرِ أن يشغلَ زمانَهُ عن عبادته ؛ كالماءِ البارد ، واللذةِ بالمطعومِ المباح ، فإن كان له في تركهِ حظٌّ مِن كسرِ نفسهِ مِن

---

(١) البيان والتبيين ٣/١١١ ، التذكرة الحمدونية ١/٢٠٥ ، نثر الدر ٤/١٠٨ .




تطلُّعِها إلىٰ ما ليس بموجودٍ عنده، أو شغلِ همِّهِ في عبادتهِ بمثله، كان تركهُ من الزهادة. وليس تركُ ذلك لغيرِ غرضٍ يعودُ إلىٰ مصلحةِ نفسهِ وعبادتهِ مندوباً إليه، إلَّا أن يكونَ شبهةً فيتنزَّهُ عنها.

فإن قالَ قائل: فيه تعذيبٌ للنَّفس.

قيل: لم يأمرِ الله تعالىٰ بتعذيبِ النَّفسِ إلَّا أن يكونَ إتعابُها في العبادةِ من الصَّومِ والصَّلاة.

وقد قالَ الله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

فإن كان ممَّن يتركُ ذلك ليؤثِرَ به غيره، كان ذلك غرضاً صحيحاً؛ لأنَّه متعبَّدٌ [٩٢/ب] بالصدقةِ والإطعام، قالَ الله سبحانه: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

❁ **فإن قالَ قائل**: فقد حُكيَ عن بعضِ الصَّالحين أنَّه قيلَ له: لم لا تبرِّدُ الماءَ لتشربه؟ فقال: إذا شربتُ الماءَ الباردَ فمتىٰ أحبُّ الموت[1]؟! فهل هذا غرضٌ صحيحٌ في تركِ المباح؟

❁ **والجواب**: أنَّ إتعابَ النَّفسِ ليحبَّ الموتَ ليس بغرضٍ صحيح، وقد قالَ ﷺ: «**لا يتمنَّينَّ أحدُكم الموتَ لضرٍّ نزلَ به**»[2].

(١) المجالسة وجواهر العلم (٥٧٨). وهو داود الطائي رحمه الله.

(٢) صحيح مسلم (٢٦٨٠). وورد في الأصل «لا يتمان».




۞ **فإن قال**: فقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**من أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءه**»[1]؟.

❁ **والجواب**: أنَّ ذلك ليس بتمنٍّ للموت، وإنَّما ذلك عند نزولِ الموتِ لا يكرَهُ لقاءَ ربِّه، بل يرجو رحمته، ولهذا قال: «**ومن كرهَ لقاءَ الله كرهَ الله لقاءه**». وكيف يطلبُ الموتَ من يرجو أن يزدادَ من طاعةِ الله ويبلغَ رضاه؟!

وقد رويَ عن عمرَ رضي الله عنه أنَّه قال: ليس لبقيَّةِ عمرِ المؤمنِ قيمة، يُحيي فيه ما أمات، ويَستدركُ فيه ما فات، ويبدِّلُ السيِّئاتِ حسنات.

وقوله: «ليس له قيمة» أي: لا يعرفُ قيمته؛ لعظمِ قدره[2].

والتائبُ قبلَ موتهِ مبدِّلٌ سيئاتهِ حسنات.

۞ **فإن قال**: إن كان يرجو الزِّيادةَ في طاعاتهِ فقد يخافُ الفتنةَ في دينه، وقد حُكي عن سفيان الثوري أنَّه كان إذا رأىٰ شابّاً قد تعبَّدَ يقول: أين الموت؟ خوفاً عليه من الرجوع.

❁ **والجواب**: أنَّ عادةَ الله تعالىٰ مع عبادهِ أن [٩٣/أ] الخائفَ من الفتنةِ مُعان؛ لأنَّ ذلك من الطاعاتِ والعبادات.

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٨٥).

(٢) قال الحافظ ابن رجب: قال بعضهم: بقية عمر المؤمن لا قيمة له، يعني أنه يمكنه أن يمحو فيه ما سلف منه من الذنوب بالتوبة، وأن يجتهد فيه في بلوغ الدرجات العالية بالعمل الصالح، فأما من فرَّط في بقية عمره فإنه خاسر، فإن ازداد فيه من الذنوب فذلك هو الخسران المبين. الأعمال بالخواتيم، من أصلح فيما بقي غفر له ما مضىٰ، ومن أساء فيما بقي أخذ بما بقي وما مضىٰ. لطائف المعارف ص ٣٠٢.

وقد حُكي عن الحسنِ في قولهِ تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩] قال: من جاهدَ نفسَهُ أعانَهُ الله.

فأمَّا ما حُكيَ عن سفيان، فإنَّ الخائفَ كان سفيان؛ لأنَّ الشابَّ التائبَ يُخافُ من صبوتهِ ورجعته، فأمَّا الخائفُ على نفسهِ فمُعانٌ مُوقى.

فَصْلٌ

في بيانِ قولهِ تعالى: ﴿ إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡۖ وَءَاتَيۡنَـٰهُ مِنَ ٱلۡكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ ﴾ [القصص: ٧٧].

قولهُ تعالى: ﴿ بَغَىٰ عَلَيۡهِمۡ ﴾ أي: جارَ عليهم، وإنَّما سمِّيَ من خرجَ على الإمامِ العادلِ باغياً لأنَّه جارَ عليه بخروجهِ عليه.

و﴿ ٱلۡكُنُوزِ ﴾ هي(١) المالُ الكثيرُ المجتمع، ويسمَّى بذلك ما كان مدفوناً في اللغة، والشرعُ سمَّى الكنزَ لما لم يؤدَّ زكاتُه، فإنَّ الله تعالى قال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [التوبة: ٣٤]، وإنَّما التوعُّدُ على تركِ الزكاةِ دونَ الدفن.

وقوله: ﴿ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ ﴾، والعُصبة، قيل: من العَشرةِ إلى الأربعينَ من

(١) في الأصل: هو.

الإبل[١]، وتنوءُ بها: تثقلها، وقيل: إنَّه من المقلوب، أنَّ العُصبةَ تنوءُ بها؛ أي: تحملها.

﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ قَوۡمُهُۥ لَا تَفۡرَحۡ ﴾ إنَّما نهوهُ عن الفرحِ الذي هو [٩٣/ب] البطَر؛ لأنَّ الفرحَ بالمالِ يُبطِر، فيكونُ منه البطَرُ والأَشَر[٢]، وإلَّا فقد أخبرَ الله تعالىٰ عن الشهداءِ أنَّهم ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٧٠].

﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ ﴾. والمالُ يُطلَبُ بالصدقةِ به وإنفاقهِ في البرِّ الدارُ الآخرة.

﴿ وَأَحۡسِن ﴾ بالعطاءِ والصدقة.

﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا ﴾ أي: حظَّكَ من الدنيا، بشكرِ الله تعالىٰ، والعملِ بطاعته؛ لتستوجبَ به الثوابَ في الآخرةِ الباقية؛ لأنَّ الدنيا سوقُ الآخرة.

ورويَ عن عليٍّ كرَّمَ الله وجهَهُ أنَّه قال: لا تنسَ صحَّتك ونشاطكَ وفراغكَ وشبابكَ أن تطلبَ به الآخرة[٣].

فـ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ ﴾ [القصص: ٧٨] قيل: معناه: علىٰ رضا

(١) من قول مقاتل، كما في تفسير السمرقندي بحر العلوم ٢/٦١٩. وقال به غيره. وليس فيه وفي غيره «من الإبل»، فالمقصود «العصبة»، وهي تخص الرجال، كما في حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي ١/٢٧١.
(٢) الأشر: البطر، وقيل: أشدُّ البطر. النهاية في غريب الحديث ١/٥١.
(٣) مجمع البيان للطبرسي ٧/٤١٥.

الله عنِّي وتفضيلي عليكم، وقيل: معناه: علمٌ بوجوهِ الكسب[1]، وكان عقباهُ أن خسفَ الله به الأرض، وأهلكَهُ ومالَهُ في الدنيا والآخرة، فما بالُ من عرفَ هذا الضررَ أن يطلبه، مع أنَّ الدنيا والمالَ لا يُدركان بالطلب؟ فإنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ﴾ [القصص: ٨٢]، وإنَّما الطالبُ يذهبُ عمرُه، ويتركُ حظَّه، ويطلبُ ما لا يصلُ إليه بالطلب، وهذا أمرٌ وإن كان معلوماً من جهةِ السمع، فهو مشاهَد، فإنَّ الدنيا تفوتُ أكثرَ طالبيها، وقد تحصلُ لمن لا يطلبها. وقد قيل: إنَّ من شغلَ [٩٤/أ] نفسَهُ بجمعِ المال، أفسدَ دنياهُ وآخرته.

وبيانُ ذلك أنَّه في الدنيا لا يفوتهُ الخوفُ والحسرة، فإنَّه خائفٌ علىٰ ما وجدَهُ منه، متحسِّرٌ علىٰ ما يفوتُ ممَّا تعلَّقَ به طمعه، وهما يفسدان عيشَ الدنيا، وأمَّا الآخرةُ فقد شغلَهُ شُغلهُ عنها، ففاتَهُ حظُّهُ منها، وقد يمنعُ ما عليه من حقوقِ الله تعالىٰ في المالِ لشحِّهِ عليه، فيدَّخرُ لنفسهِ العقابَ الأليم، والعذابَ العظيم.

وقد قالَ الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن: ١٥] يعني بلاء، فما بالُ العاقلِ يطلبُ لنفسهِ الفتنةَ والبلاء؟!

وقالَ تعالىٰ: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٥ ـ ٥٦]، فأخبرَ الله تعالىٰ أنَّ ما أعطاهم من المالِ والبنينَ ليس بخيرٍ لهم. ولذلك أمثالٌ كثيرةٌ في القرآن.

---

(١) تفسير النسفي ٣/١٨٥، فتوح الغيب للطيبي ١٣/٤٠٣.

وحُكيَ أنَّ عيسىٰ بنَ مريم عليه السلام، كان كثيراً يذمُّ المال، فقالَ له الحواريون: يا روحَ الله وكلمته، إنَّك تذمُّ المالَ وبه توصَلُ الأرحام[1]، ويُنفَقُ في سبيلِ الله وطاعته، فقال: إنَّ جامعَ المالِ لا يكادُ يجمعهُ من حلِّه، فقالوا: يا روحَ الله، فإن جمعَهُ من حلِّه؟ فقال: إنَّ صاحبَ المالِ لا يكادُ ينفقهُ في حلِّه، فقالوا: يا روحَ الله، فإن أنفقَهُ في حلِّه؟ فقال: إنَّ صاحبَ المال يعجَبُ به ويَفخَرُ به علىٰ النَّاس، قالوا: فإن لم يفعلْ ذلك؟ قال: فإن لم يفعلْ شيئاً من ذلك شغلَهُ [٩٤/ب] المالُ عن ربِّه.

وهذه الأقسامُ معلومةٌ عند من فكَّرَ فيها، لا يدخلهُ فيها شكٌّ ولا شبهة.

وروىٰ أبو ذرٍّ رضي الله عنه قال: كنتُ أمشي مع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في حرَّةِ المدينةِ عِشاء، ونحن ننظرُ إلىٰ أُحد، فقال: «**يا أبا ذرّ**»، فقلت: لبَّيكَ يا رسولَ الله، فقال: «**ما أحبُّ أنَّ أُحُداً عندي ذهباً أُمسي ثالثةً عندي منه دينار، إلَّا دينارٌ أَرصدهُ لدَين، إلَّا أن أقولَ في عبادِ الله هكذا وهكذا**»، قال: فحثَا بين يديه، وعن يمينه، وعن شماله، قال: ثمَّ مشينا فقال: «**يا أبا ذرّ**»، فقلت: لبَّيكَ يا رسولَ الله، فقال: «**إنَّ الأكثرين هم المقلُّون يومَ القيامة، إلَّا من قالَ هكذا وهكذا وهكذا**»، فحثا بين يديه، وعن يمينه، وعن شماله[2].

وروىٰ الحارث بن سويد، عن عبدالله قال: قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**أيُّكم مالُ وارثهِ أحبُّ إليه من ماله**»؟ قالوا: يا رسولَ الله، ما منَّا أحدٌ إلَّا مالهُ أحبُّ

---

(١) في الأصل: تصل الأرحام.

(٢) صحيح البخاري (٦٤٤٤، ٦٢٦٨)، صحيح مسلم (٩٤)، مع اختلاف ألفاظ قليلة. وحرَّة المدينة أرض ذات حجارة سود خارجها.

إليه من مالِ وارثه، فقالَ ﷺ: «**مالُكَ ما قدَّمت، ومالُ وارثِك ما أخَّرت**»(١).

وروتْ عائشةُ قالت: أُهديَ للنَّبيِّ ﷺ شاة، فقال: «**اقسمِيها**»، قالت: فخرجَ ورجع، فقال: «**ما فعلتِ الشاة**»؟ قلت: ما بقيَ منها إلَّا يدٌ أو رجل، فقال: «**بل بقيَ الذي أَعطيتِ، ولم يبقَ الذي عندكِ**»(٢).

وقالَ ﷺ: «**ليس لكَ من مالِكَ إلَّا ما أعطيتَ فأمضيت، أو لبستَ فأبليت**، [٩٥/أ] **أو أكلتَ فأفنيت**»(٣).

وروىٰ عمرو بن ميمون، عن أبيه قال: قيلَ لعبدالله بن عمر: توفيَ زيد بن حارثة الأنصاري، فقال: رحمَهُ الله، قيل: يا أبا عبدالرَّحمن، إنَّه قد تركَ مئةَ ألف، فقال: لكنْ هي لم تتركه(٤).

ومعنىٰ ذلك أنَّه قد تركها وفاتَهُ حظُّهُ منها، وأمَّا هي فلم تتركه؛ لأنَّه يحاسَبُ عليها، مطالَبٌ بتبعاتها.

وروىٰ عروة بن الزُّبير: لقد رأيتُ عائشةَ رضي الله عنها تصدَّقُ بسبعينَ ألفاً، وإنَّها لترقعُ جانبَ درعِها(٥).

وروىٰ محمَّد بن المنكدر عن أمِّ درَّة ـ وكانت تغشَىٰ عائشةَ ـ قالت:

---

(١) صحيح البخاري (٦٤٤٢)، وفيه: «فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخر». ويأتي في مصادر أخرىٰ بأطول منه.

(٢) الزهد لهناد (٦١١)، وضعف محققه إسناده، لكن أشار إلىٰ صحته من وجه آخر، فقد رواه الترمذي (٢٤٧٠) وقال: حديث صحيح.

(٣) صحيح مسلم (٢٩٥٨)، مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٤٨٠)، وغيرهما، مع تقديم وتأخير.

(٤) حلية الأولياء ١/٣٠٦.

(٥) الزهد لابن المبارك (٧٥٤)، الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة علىٰ الصحابة ص ٦٧.

بعثَ إليها ابنُ الزُّبير بمالٍ في غِرارتين ، قالت: أراهُ ثمانين ومئةَ ألف ، فدعتْ بطبقٍ وهي يومئذٍ صائمة ، فجعلتْ تَقسِمهُ بين النَّاس ، فأمستْ وما عندها من ذلك درهم! فلمَّا أمستْ قالت: يا جارية ، هلمِّي فطري ، فجاءتها بخبزٍ وزيت ، فقالتْ لها أمُّ درَّة: أما استطعتِ اليومَ ممَّا قسمتِ أن تشتري لنا بدرهمٍ لحماً نُفطِرُ عليه؟ فقالت: لا تعنِّفيني ، لو ذكَّرتيني لفعلت[1].

وروىٰ هناد عن أبي معاوية ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبدالله بن الربيعة قال: كنتُ جالساً مع عتبة بنِ فرقد وعمرو بنِ عتبة[2] ومعضد العِجلي[3] ، فقال عتبة بن فرقد: يا عبدالله ، ألا تعينني علىٰ ابن أخيكَ يعينني علىٰ ما أنا فيه من عملي؟ فقلت: يا عمرو ، أطعْ أباك ، فنظرَ [٩٥/ب] عمرو إلىٰ معضد ، فقالَ له معضد: لا تُطعهم ، واسجدْ واقترب ، فقالَ عمرو: يا أبَه ، إنَّما أنا رجلٌ أعملُ في فكاكِ رقبتي ، فدعني أعملْ في فكاكها. فبكىٰ عتبةُ ثمَّ قال: يا بني ، إنِّي أحبُّكَ حبَّين ، حبُّ الله تعالىٰ ، وحبُّ الوالدِ لولده ، فقالَ عمرو: يا أبَه ، إنَّكَ قد كنتَ أتيتني بمالٍ بلغَ سبعينَ ألفاً ، فإن كنتَ سائلي عنه فهو هذا فخذه ، وإلَّا فدعني أُمضيه ، قال: يا بنيَّ فأمضه ، قال: فأمضاهُ حتَّىٰ ما بقيَ منه درهم[4]!

هناد عن أبي معاوية ، عن هشام قال: ما رُئيَ الحسنُ متصدِّقاً بدراهمَ

---

(١) مسند ابن راهويه ٣٦/٢. والغرارة: وعاء من الخيش ونحوه يوضع فيه القمح وغيره.

(٢) تابعي جليل ، استشهد في غزاة أذربيجان في خلافة عثمان بن عفان. وقد شغلته العبادة عن الرواية. صفة الصفوة ٦٨/٣.

(٣) في الأصل: البجلي. وتصحيحه من المصدرين الأولين في الهامش الآتي.

(٤) الزهد لهناد ٣٨٣/١ ، ولأحمد (٢٠٥٣) ، صفة الصفوة ٣٢/٢.

عدداً قطّ، كان يَخرجُ عطاؤهُ فيحفِنُ منه لآلِ فلانٍ وآلِ فلان، حتَّىٰ يقولَ له ابنه: يا أبه، إنَّ لكَ عيالاً، فيطرحُ إليه ما بقي(١).

هناد عن عَبدة، عن محمَّد بن عمرو قال: حدَّثنا أبو سلمة، عن عائشةَ قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ في وجعهِ الذي ماتَ فيه: «**يا عائشة، ما فعلتِ القطعةُ الذهب**»؟ قلت: هي عندي، قال: «**ائتيني بها**»، فجئتُ بها، وهي بين السبعةِ والخمسة، فجعلها في كفِّه وقال: «**ما ظنُّ محمَّدٍ بالله لو لقيَ الله تعالىٰ وهذه عنده؟! أنفقيها**»(٢).

وروىٰ هناد عن وكيع، عن مسعر، عن عاصم بنِ أبي النَّجود، عن زِرّ، عن عائشةَ قالت: **ما تركَ رسولُ الله ﷺ ديناراً ولا درهماً، ولا عبداً ولا أمَة، ولا شاةً ولا بعيراً**(٣).

وروىٰ هناد عن وكيع، عن سفيان، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن الحارث الخزاعي [٩٦/أ] قال: **ما تركَ رسولُ الله ﷺ إلَّا بغلتَه، وسلاحَه، وأرضاً تركها صدقة**(٤).

---

(١) الزهد لهناد ٣٣٨/١، الزهد لأحمد (١٥٨٣). وحفن الشيء أو لفلان أخذه ملء الكف. وقد تكون الكلمة تصحيفًا من «فيحثو»، فلفظه عند أحمد: حثا لآل فلان.. والكلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) الزهد لهناد ٣٣٨/١، وذكر محققه أن إسناده حسن. كما رواه أحمد في المسند (٢٤٢٢٢)، وابن حبان في صحيحه (٣٢١٢)، وصحح الشيخ شعيب سند الأول، وحسّن الثاني. وفي جميعها: «ما فعلت الذهب».

(٣) الزهد لهناد ٣٧٨/٢، وذكر محققه الفريوائي أنه صحيح وإسناده حسن. كما رواه ابن حبان في صحيحه (١٤٣٨) وحسن محققه إسناده.

(٤) الزهد لهناد ٣٧٩/٢، ورواه البخاري مع جزء من الحديث السابق (٢٧٣٩).

وروىٰ أيضاً بإسنادهِ عن عائشةَ قالت: توفِّيَ رسولُ الله ﷺ وعندنا شطرٌ من شعير، فأكلنا منه ما شاءَ الله، ثمَّ قلتُ للخادمة[1]: كيليه، فكالته، فلم يلبثْ أن فَني، قالت: ولو كنَّا تركناهُ لأكلنا منه فيما أحسبُ أكثرَ من ذلك[2].

وروىٰ هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشةَ قالت: ما تركَ أبو بكرٍ رضي الله عنه ديناراً ولا درهماً ضربَ الله سِكَّتَه[3].

وروىٰ هناد عن يونس قال: حدَّثني عبدالرَّحمن بن عبدالله المسعودي، عن عمرو بن مرَّة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله قال: اضطجعَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ علىٰ حصير، فقامَ وقد أثَّرَ بجلده، فجعلتُ أمسحُ عنه التُّرابَ وأقول: ألا أذنتَ لنا حتَّىٰ نبسطَ لكَ علىٰ الحصيرِ شيئاً يقيكَ منه؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**وما أنا والدنيا؟ ما أنا والدنيا إلَّا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرة، ثمَّ راحَ وتركها**»[4].

حدَّثنا إبراهيم قال: حدَّثنا محمَّدٌ قال: حدَّثنا محمدٌ قال: حدَّثنا هنّاد، قالَ أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابنِ عمر قال: لا يصيبُ عبدٌ من الدنيا شيئاً إلَّا نقصَ من درجاتهِ عند الله عز وجل، وإن كان عليه كريماً[5].

وروىٰ بإسنادهِ عن أبي واقدٍ اللَّيثيِّ ـ وكانت له [٩٦/ب] صحبة ـ قال:

(١) في الأصل: للخادم، وفي مصدره: للجارية.

(٢) الزهد لهناد ٢/٣٧٩، صحيح البخاري (٦٤٥١)، صحيح مسلم (٢٩٧٣).

(٣) الزهد لهناد ٢/٣٧٩، وذكر المحقق أن رجاله ثقات وإسناده صحيح.

(٤) الزهد لهناد ٢/٣٨٢، وذكر المحقق أن رجاله ثقات وإسناده حسن. ورواه الترمذي بلفظ مقارب (٢٣٧٧) وقال: حسن صحيح.

(٥) الزهد لهناد ١/٣١٣، حلية الأولياء ١/٣٠٦ بالسند إلىٰ هناد.

تابَعْنا الأعمالَ نقول: أيُّها أفضل؟ فلم نجدْ شيئاً أبلغَ في طلبِ الآخرةِ من الزهدِ في الدنيا[١].

هناد عن أبي الأحوص، عن منصور، عن هلال بن يساف قال: كان عيسىٰ بنُ مريم ﷺ يأكلُ الشجر، ويلبسُ الشعر، ويبيتُ حيثُ أمسىٰ، لم يكنْ له ولدٌ يموت، ولا بيتٌ يخرب، ولا يخبِّئُ غداءً لعشاء، ولا عَشاءً لغداء، وكان يقول: كلُّ يومٍ يجيءُ يجيءُ معه رزقه[٢].

وقالَ عروة: كان داودُ صلَّىٰ الله عليه يصنعُ القُفَّةَ من الخُوصِ وهو علىٰ المنبر، ثمَّ يرسلُ بها يبيعُها ويأكلُ ثمنَها[٣].

وحُكي عن سليمان بنِ داود صلَّىٰ الله عليه أنَّه قال: كلَّ العيشِ قد جرَّبنا، ليِّنَهُ وشديده، فوجدناهُ يكفي منه أدناه[٤].

وروىٰ هناد عن قَبيصة، عن حماد بنِ سلمة، عن ثابت، عن أنس قال: جاءَ رجلٌ إلىٰ عمرَ ﵁، فقال: يا أميرَ المؤمنين، احملني فإنِّي أريدُ الجهاد، فقالَ عمرُ ﵁ [لرجل]: خذْ بيدهِ فأدخلهُ بيتَ المالِ يأخذْ ما يشاء. فدخل، فإذا هو ببيضاءَ وصفراء، فقال: ما هذا؟ ما لي في هذا حاجة، إنَّما أردتُ زاداً

(١) الزهد لهناد ١/٣١٣. وذكر محققه أن إسناده حسن، الزهد لأحمد (٩٥٧).

(٢) الزهد لهناد ١/٣١٣. وذكر محققه أن رجاله ثقات وإسناده صحيح، حسن التنبه للغزي ٥/٤٤.

(٣) الزهد لهناد ١/٣١٤. وذكر محققه أن رجاله ثقات وإسناده صحيح، الزهد لأحمد (٣٨٢). والقفَّة شبه زنبيل صغير يجتنىٰ فيه الرطب. والخوص: ورق النخل وما شاكله.

(٤) الزهد لهناد ١/٣١٤. وذكر محققه أن إسناده ضعيف، العقوبات لابن أبي الدنيا (٢٠٠)، وكتابه إصلاح المال (٣٣١).

وراحلة. فردُّوهُ إلىٰ عمرَ ﷺ، فأخبروهُ بما قال، فأمرَ له بزادٍ وراحلة، وجعلَ عمرُ ﷺ يُرحِّلُ له بيده. فلمَّا ركبَ رفعَ يده، فحمدَ الله وأثنىٰ عليه وقال: اللَّهمَّ وعمرَ فاجزهِ خيراً، وأومأَ بيدهِ إلىٰ رحله(١).

دخلَ سعد بنُ أبي وقَّاص علىٰ سلمانَ [٩٧/أ] يعوده، فبكىٰ سلمان، فقالَ له سعد: ما يبكيكَ يا عبدالله، توفِّيَ رسولُ الله ﷺ وهو عنكَ راضٍ، وتَردُ عليه الحوض، فقالَ سلمان: أما إنِّي ما أبكي جزعاً من الموت، ولا حرصاً علىٰ الدنيا، ولكنَّ رسولَ الله ﷺ عهدَ إلينا فقال: «**ليكنْ بُلغةُ أحدِكم مثلَ زادِ الراكب**»، وحولي هذه الأساود، قال: وإنَّما حولَهُ إجَّانة، أو جَفنة، أو مَطهرة، فقالَ له سعد: يا أبا عبدالرَّحمن، [اعهدْ] إلينا عهداً نأخذْ به بعدك، فقال: يا سعد، اذكرِ الله عند همَّتِكَ إذا هممت، وعند حكمِكَ إذا حكمت، وعند يدِكَ إذا قسَمت(٢).

قال عامر [بن عبدالله] بن عبد قيس: وجدتُ العيشَ في أربعِ خصال: النِّساء، والطعام، واللباس، والنوم، فدعوتُ الله فأعانني، فوالله ما أُبالي إلىٰ امرأةٍ نظرتُ أو إلىٰ جدار، وما أبالي بما واريتُ عورتي بصوفٍ أو غيره، وأمَّا الطعامُ والنومُ فإنَّهما غلباني، إلَّا أنِّي أنالُ منهما، وايمُ الله لأضرَّنَّ بهما جهدي.

---

(١) الزهد لهناد ٣١٤/١. وذكر محققه أن رجاله ثقات وإسناده صحيح. وما بين المعقوفتين منه. ومن جميل ما في الخبر ولم يذكره المؤلف، أن عمر ﷺ كان يمشي خلفه ويتمنىٰ أن يدعو له، فلما فرغ قال: اللهم وعمر فاجزه خيرًا...

(٢) الزهد لهناد ٣١٦/١. وذكر محققه أنه صحيح بمجموع طرقه وشواهده. وما بين المعقوفتين منه. كما حسّنه الألباني في صحيح الترغيب (٣٢٢٤)، ورواه مختصرًا ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين (١٧٤). والإجّانة: إناء تغسل فيه الثياب. والجفنة: القصعة. والمطهرة: كل إناء يتطهر منه، كالإبريق والسطل.

وكان الحسن يقول: فأضرَّ بهما والله جهده[1].

وروىٰ هناد عن أبي معاوية، عن جُويبر، عن الضحَّاكِ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**يقولُ الله: ثلاثٌ من النِّعمِ لا أسألُ عبدي عن شكرهنَّ، وأسألُهُ عمَّا سوىٰ ذلك: بيتٌ يكنُّه، وما يقيمُ به صُلبَهُ من الطعام، وما يواري به عورتَهُ من اللباس**»[2].

وقالَ سفيان: خيرُ الدنيا لكم ما لم تقبلوا بها، وخيرُها [٩٧/ب] لكم إذا ابتُليتُم بها ما خرجَ من أيديكم منها[3].

وكان سفيانُ يقول: من لم يعدَّ المنعَ عطاءً فليس بفقيه.

ومعنىٰ ذلك ـ عافاكَ الله ـ أنَّ المعطَىٰ مبتلىٰ، والممنوعَ قد كُفيَ البلوىٰ. ألا ترىٰ قولَهُ تعالىٰ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾؟ [الأنبياء: ٣٥].

فالعطاءُ يُعِينُ النَّفسَ علىٰ الهوىٰ، ويَشغلُ الهمَّةَ عن الفكرة.

وحُكيَ عن عيسىٰ صلَّىٰ الله عليه أنَّه قال: اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم، وانظروا إلىٰ هذه الطيرِ تغدو وتروحُ لا تزرعُ ولا تحصد، الله يرزقُها وإيَّاكم. فإن قلتم: نحن أعظمُ بطوناً من هذه الطير، فانظروا إلىٰ هذه الأباقرِ من الوحشِ تغدو وتروحُ لا تزرعُ ولا تحصد، الله يرزقُها وإيَّاكم. اتَّقوا فضولَ الدنيا، فإنَّ فضولَ الدنيا عند الله رِجز[4].

---

(١) الزهد لهناد ٣١٦/١. وما بين المعقوفتين منه، الجوع (١١٠).

(٢) الزهد لهناد ٣١٧/١. وذكر محققه أن إسناده ضعيف جدًّا.

(٣) الزهد لهناد ٣٢٠/١، ذم الدنيا (٤٠٣).

(٤) الزهد لهناد ٣٢١/١، القناعة والتعفف ص ٧١، حسن التنبه ٥١/٥.

قيلَ لعيسىٰ ﷺ: لو اتَّخذتَ حماراً تركبُهُ لحاجتك، فقال: أنا أكرمُ علىٰ الله من أن يجعلَ لي شيئاً يَشغلُني به(١).

وروىٰ هناد عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن سالم بن أبي الجعد، عن أبي كبشة الأنصاريِّ قال: ضربَ لنا رسولُ الله ﷺ مثَلَ الدنيا مثَلُ أربعة: **«رجلٌ آتاهُ الله مالاً وآتاهُ علماً، فهو يعملُ بعلمهِ في ماله، ورجلٌ آتاهُ الله علماً ولم يؤتهِ مالاً، فهو يقول: لو أنَّ الله آتاني مثلَ ما آتىٰ فلاناً لفعلتُ فيه مثلما يفعل، فهما في الأجرِ سواء، ورجلٌ آتاهُ الله مالاً ولم يؤتهِ علماً، فهو يمنعُ مالَهُ(٢) من حقِّه، وينفقهُ في الباطل، ورجلٌ لم يؤتهِ** [٩٨/أ] **مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أنَّ الله آتاني مثلَ ما آتىٰ فلاناً لفعلتُ فيه مثلما يفعل، فهما في الوزرِ سواء»**(٣).

❁ **فإن اعترضَ معترضٌ** علىٰ هذا الحديثِ فقال: كيف يكونُ المتمنِّي والعاملُ [سواءً](٤)، فيساويهِ في أجرهِ ووزره؟

❁ **والجواب**: أنَّ المتمنِّيَ لعملِ الخيرِ لو قدرَ عليه قد يكونُ أسلمَ من العامل، فإنَّ العملَ قد يشوبهُ الرياءُ والثناء، ويكونُ للنَّفسِ فيه حظٌّ، والمتمنِّي

---

(١) ذم الدنيا (١٣٠)، الزهد لابن أبي الدنيا (٧٥)، الزهد الكبير للبيهقي (٢٨٥)، الزهد لأحمد (٣٠٩).

(٢) في الأصل «حقه». وتصحيحه من مصدره.

(٣) الزهد لهناد ٣٢٣/١، وذكر محققه أن رجاله ثقات، مع إشارته إلىٰ الأعمش وعنعنته، وإرساله. ويرد أول الحديث أيضًا هكذا «مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر»، الذي رواه ابن ماجه (٤٢٢٨) وصححه له الألباني في صحيح سننه، وصححه لغيره في صحيح الترغيب (١٦).

(٤) إضافة من قبل المحقق.

الصادقُ يَخلصُ من ذلك، ويشهدُ لذلك ما رُويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**نيَّة المؤمنِ خيرٌ من عمله**»(١).

وروىٰ هناد عن أبي معاوية، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي داود، عن أنس قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**ما من ذي غنًىٰ إلَّا سيودُّ يومَ القيامةِ لو كان إنَّما أوتيَ من الدنيا قوتاً**»(٢).

وروىٰ أيضاً بإسنادهِ عن عبيد بن عمير قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**ما ازدادَ رجلٌ من السلطانِ قرباً إلَّا ازدادَ من الله بُعداً، ولا كثرتْ أتباعهُ إلَّا كثرتْ شياطينه، ولا كثرَ مالهُ إلَّا اشتدَّ حسابُه**»(٣).

وقال عبدالله: والذي لا إله غيره، ما يضرُّ عبداً يصبحُ علىٰ الإسلامِ ويُمسي عليه ما فاتَهُ من الدنيا.



---

(١) يأتي من رواية سهل بن سعد الساعدي، وأنس بن مالك، ويعتريه في الحالين حكم الضعف أو الوضع. فقد ضعف إسناده العجلوني في كشف الخفاء ٢/٤٣٠، والعراقي في تخريج الإحياء ٥/٩١، وابن حجر في الفتح ٤/٢٥٨، وبالوضع ذكره في الأسرار المرفوعة (٣٥٩)، والألباني ذكره مرة بالضعف وأخرىٰ بالوضع، في السلسلة الضعيفة وفي ضعيف الجامع. علىٰ أن هناك من رقّاه إلىٰ الحسن أو قريب منه. فحكمه مختلف فيه.

(٢) الزهد لهناد ١/٣٢٧، قال محققه: إسناده ضعيف جدًّا، بل موضوع. وضعفه السيوطي في ضعيف الجامع (٨٠١٣)، وحكم عليه الألباني بالوضع في السلسلة الضعيفة (٢٢٤٠)، وفي ضعيف الجامع (٥١٧٤)، ورواه ابن ماجه (٤١٤٠) وذكر الأرناؤوط أن إسناده ضعيف جدًّا، وهو بلفظ «ما من غني ولا فقير إلا ودَّ يوم القيامة أنه أُتي من الدنيا قوتًا».

(٣) الزهد لهناد ١/٣٢٧، وذكر محققه أن إسناده ضعيف. ورواه عنه أبو نعيم في الحلية ٣/٢٧٤، كما رواه وكيع في الزهد (١٧١)، وضعفه في ضعيف الجامع (٤٩٩٥).

فَصْلٌ
[المفاضلة بين الفقير الصابر والغني الشاكر]

وقد تكلَّمَ النَّاسُ وأكثروا في التفضيلِ بين الفقيرِ الصابرِ والغنيِّ الشاكر، فمنهم من فضَّلَ الغنيَّ الشاكر؛ لأدائهِ لحقوقِ ماله، وصرفهِ في وجوهِ البرِّ والطاعة، وصلةِ [٩٨/ب] رَحِمِه، وإنفاقهِ في وجوهه، واكتسابهِ الثَّواب به، وقد قالَ الله تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]، فجعلَ الدرهمَ بسبعِ مئة(١).

وقالَ الله تعالىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

انظرْ ـ وفَّقكَ الله ـ إلىٰ لطفِ ربِّكَ بك، كيف أعطاكَ مالاً، ثمَّ رغَّبكَ في اكتسابِ الثَّوابِ به وادِّخارِكَ أجرَهُ بأحسنِ لطفٍ وأشرفِ قول، فسمَّاكَ مُقرِضاً وهو مقترضٌ منك، وهو الغنيُّ عنكَ وأنت الفقيرُ إليه؛ لتسمحَ نفسُكَ بما فيه رشدُك، ويَطيبَ قلبُكَ بادِّخارِ مالِك، كما يطيبُ بقرضِكَ من احتاجَ إليكَ فرأيتَ أنَّك مفضَّلٌ بقرضه، مدَّخِرٌ لقرضه؛ مداراةً لنفسك، وتيسيراً عليكَ لشحِّك، قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. وشحُّ النَّفس: هو تألُّمُها عند فراقِ مالها، قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ۝٣٦ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ

---

(١) في مسند أحمد من حديث خريم بن فاتك (١٩٠٣٨): «من أنفق نفقة في سبيل الله تضاعف بسبع مئة ضعف»، وذكر محققه أن إسناده حسن.

أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٦ ـ ٣٨].

قوله: ﴿يُحْفِكُمْ﴾ الإحفاء: الإلحاح(١).

وقيلَ في قولهِ تعالىٰ: ﴿يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾، أنَّ البخلَ جاءَهُ من [٩٩/أ] قِبلِ نفسه، ويحتملُ: عن نفعِ نفسه؛ فإنَّ الله غنيٌّ عن ماله، ولهذا قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾.

فأمَّا قولهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٠] فالبخلُ ها هنا: منعُ الزكاة.

وقد رویٰ عبدالله بن مسعود أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**من كانَ له مالٌ لا يؤدِّي زكاته، مُثِّلَ له يومَ القيامةِ شجاعٌ أقرعُ له زبيبتان، يتبعهُ وهو يفرُّ منه حتَّىٰ يطوِّقه**»، وتلا قوله: «**﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾**»(٢).

فمن أدَّىٰ زكاةَ مالهِ خرجَ من اسمِ البخلِ المذمومِ في الكتاب.

---

(١) فيكون المعنىٰ: فيجهدكم بالمسألة، ويلح عليكم بطلبها. تفسير الطبري ٢١/٢٣١.

(٢) مسند أحمد (٣٥٧٧) وذكر الأرناؤوط أن إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين. وهو بلفظ مقارب. ورواه ابن خزيمة في صحيحه (٢٢٥٧) من رواية ابن عمر بألفاظ مقاربة أيضًا، وذكر محققه أنه صحيح. ورواه آخرون.
والشجاع: الحية الذكر. والأقرع: الذي لا شعر علىٰ رأسه، يريد حية، قد تمعط جلد رأسه لكثرة سمه وطول عمره. والزبيبة: نكتة سوداء فوق عين الحية. (النهاية في غريب الحديث، من مواضع متفرقة).

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤ ـ ٣٥]، والمرادُ بذلك من خبَّأ مالَهُ ولم يؤدِّ زكاته.

وقد روىٰ ابنُ عمرَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**ما أُدِّي زكاتهُ فليسَ بكنز**»[1].

ولأنَّ العقوبةَ إنَّما يستحقُّها بتركِ الواجب، وليس في المالِ حقٌّ سوىٰ الزكاة[2]، وإنَّما يحصلُ لهم بإنفاقِ المالِ في القُربِ التجارةُ المربحة، والعوَضُ الباقي، والنَّعيمُ الدائم، ويُتَّقىٰ النَّارُ والعذاب، قالَ الله سبحانه: [٩٩/ب] ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾ [البلد: ٨ ـ ١٦].

قولهُ تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ﴾ تقريراً علىٰ الإنسانِ أنَّ له عينين يبصرُ بهما، ولساناً وشفتين يتكلَّمُ بهما.

﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾: الطريقين، طريقَ الخيرِ ليعملَ به، والشرَّ ليجتنبه.

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ (٧٢٣٣). وذكر ابن حجر أنه يروىٰ مرفوعًا وموقوفًا عن ابن عمر، ثم أطال في التخريج. ينظر فتح الباري ٢٧٢/٣.

(٢) يرد هذا حديثًا ولكنه لا يصح، رواه ابن ماجه في السنن (١٧٨٩) وذكر الألباني أنه ضعيف منكر، وأورده البيهقي بدون سند في السنن الكبرىٰ (٧٢٤٢) وذكر أنه لا يحفظ فيه سندًا، وقال ابن حجر في التمييز في تلخيص تخريج أحاديث شرح الوجيز (١٠٢٧): ضعيف. كما ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٩٠٩).

﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾ والاقتحام: هو الدخولُ إلى الشيءِ بشدَّةٍ وصعوبة، والعقبة: هي[1] الموضعُ الذي يُرتَقى إليه مع شدَّةٍ ومخاطرة، فكأنَّه تعالى أراد: ألَا دخلَ[2] في البرِّ على صعوبةٍ كما يَقتحِمُ المرتقي إلى العقبةِ ليَسلمَ من الشِّدَّة والمخاطرة؟

وقولهُ تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾: أخرجها من الرقِّ إلى الحرية[3].

وقولهُ تعالى: ﴿ذِى مَسۡغَبَةٍ﴾ يعني ذي مجاعة.

﴿أَوۡ مِسۡكِينًا ذَا مَتۡرَبَةٍ﴾ قيلَ فيه: المتربة: الموضِعُ الذي فيه التراب، فكأنَّه ليسَ له ما يواريهِ عن الأرض. وقيلَ فيه: ذا فقر، من قولهم أتربَ الرجلُ إذا افتقر[4].

فقد بانَ لكَ ـ وفَّقكَ الله ـ أنَّ في إنفاقِ المالِ فكاككَ من النَّار، وقد قالَ ﷺ: «**اتَّقوا النَّارَ ولو بشِقِّ تمرة**»[5].

وقد قالَ منصور الفقيه ـ من أصحابنا[6] ـ يخاطبُ رجلاً علويًّا [١٠٠/أ]:

---

(١) في الأصل: هو.

(٢) في الأصل: «الارجل»، وتقرأ: ألا رجل. وتصحيحه من التبيان في تفسير القرآن للطوسي عند تفسير الآية، وعبارته فيه: هلا دخل في البر على صعوبة كصعوبة اقتحام العقبة؟

(٣) أخذ بقراءة «فَكَّ» بفتح الكاف، ولذلك قال: أخرجها. وهذه القراءة لابن كثير وأبي عمرو والكسائي. الإقناع في القراءات السبع ص ٣٩٤.

(٤) ينظر المصدر السابق (التبيان)، وتفسير الطبري، عند تفسير الآية الكريمة.

(٥) رواه الشيخان وغيرهما: صحيح البخاري (٦٥٤٠)، صحيح مسلم (١٠١٦).

(٦) يعني من الشافعية، وهو فقيه مصر، وشاعر ضرير علّامة، أبو الحسن منصور بن إسماعيل التميمي. له مصنفات في الفقه الشافعي، وشعر سائر، وله سهم في كل علم، وفيه تشيع، أصله من رأس العين، ت ٣٣٦ هـ. سير أعلام النبلاء ٢٣٨/١٤.

يـا شـريفاً ولـدَ الهـا ❁ دي رسـولُ اللهِ أُمَّـهْ
وأبـاهُ السَّـيِّدَ المقـ ❁ ـتولَ بـالطَّفِّ وعمَّـهْ
ثمـنُ الجنَّـةِ ـ والجنَّـ ❁ ـةُ مـا تعلـمُ ـ لقمـهْ
فـإنِ اللقمـةُ لـم يسـ ❁ ـمحْ بهـا المرءُ فكِلْمَـهْ
ليسـتِ النِّعمـةُ فيمـا ❁ هاهنـا، النعمـةُ ثمَّـهْ

وقد قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، فأثنىٰ تعالىٰ عليهم، حيث أطعموا مع حبِّهم للطعامِ وحاجتِهم إليه.

وقالَ ﷺ: **«يتصدَّقُ أحدُكم من درهمِهِ ومن ديناره، ومن صاعِ بُرِّه، فليس من أحدٍ يُطعِمُ أحداً علىٰ جوعٍ إلَّا أطعمَهُ الله من ثمارِ الجنَّة، ولا من أحدٍ يكسو أحداً علىٰ عُري إلَّا كساهُ الله من حُلَلِ الجنَّة، ولا من أحدٍ يسقي أحداً علىٰ ظمأٍ إلَّا سقاهُ الله من الرَّحيقِ المختوم»**[(١)].

وقالَ عطاء: كان الخليلُ صلواتُ الله عليه لا يتغدَّىٰ وحدَهُ حتَّىٰ يطلبَ من يتغدَّىٰ معه ميلاً في ميل[(٢)].

وقالَ عكرمة: كان إبراهيم خليل الله يسمَّىٰ أبا الضِّيفان[(٣)].

(١) لم أره بهذا اللفظ، ولفظه عند أبي داود: «أيما مسلمٍ كسا مسلماً ثوباً علىٰ عُري كساه الله من خُضْرِ الجنة، وأيما مسلم أطعمَ مسلماً علىٰ جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيُّما مسلمٍ سقىٰ مسلماً علىٰ ظمأٍ سقاه الله عز وجل من الرحيقِ المختوم». سنن أبي داود (١٦٨٢) وذكر الشيخ شعيب أن إسناده حسن.

(٢) الزهد لهناد ١/٣٤٧.

(٣) قرىٰ الضيف لابن أبي الدنيا (٧)، الزهد لهناد ١/٣٤٨.

وروي أنَّ ابن عمر اشتكىٰ، فاشتهىٰ حوتاً، فجيءَ بها إليه، فإذا سائلٌ علىٰ الباب، فقال: أعطوهُ الحوت، فقالت امرأته: نعطيهِ درهماً أنفعُ له، وتقضي أنت شهوتك، فقال: شهوتي ما أمرتُكِ[1].

وحُكيَ عن الربيع بن خُثَيم [١٠٠/ب] أنَّه قال: اصنعوا لنا خبيصاً، فصنعوا له خبيصاً، فدعا رجلاً به خبل، فجعلُ يُلقِمهُ ولعابهُ يسيل، فلمَّا ذهبَ قالَ له أهله: تكلَّفنا وصنَعنا وما يدري هذا ما أكل، فقالَ الربيع: لكنَّ الله يدري[2].

وورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه كان يقول: «**يا بني عبد المطَّلب، أطعِموا الطَّعام، وألِينوا الكلام**»[3].

وورويَ عن إسماعيل بن سعيد[4] قال: دخلتُ علىٰ حَبَّةَ العُرَنيّ[5]، فقدَّمَ إليَّ طبقاً فيه تمرٌ دَقَلٌ ورُطَبَة[6]، وقال: كُلْ، لو كان في البيتِ ما هو أطيبُ

(١) الزهد لهناد ٣٤٣/١، الجوع لابن أبي الدنيا (٢٩٠)، وينظر حلية الأولياء ٢٩٧/١.

(٢) الجوع (١٠٨)، صفة الصفوة ٦٥/٣. والخبيص: الحلواء المخبوصة من التمر والسمن. والخبل: مسٌّ من الجنون.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٩١١)، وفي الأوسط (١٥٢٤). قال الحافظ الهيثمي في الأول: فيه عمرو بن ثابت البكري وهو متروك. وقال في الثاني: فيه عبدالله بن محمد العبادي ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح. مجمع الزوائد ٢٠/٥.

(٤) في الأصل: إسماعيل بن سعد. وتصحيحه من المصدرين المثبتين.

(٥) في الأصل: حبه العدوي. وهو أبو قدامة حبَّة العرني، من أهل الكوفة. يروي عن علي، وروىٰ عنه أهل الكوفة. كان غاليًا في التشيع، واهيًا في الحديث. قال يحيىٰ بن معين: ليس بشيء. مات في أول ولاية الحجاج علىٰ العراق. كتاب المجروحين لابن حبان ٢٦٧/١.

(٦) في الأصل: تمر وقال ورطبه. والمثبت من الزهد لهناد، والدقل: أردأ التمر. وهو عند أحمد: «دقَّة ورطبة يعني القداح». والقَدَّاح ـ كما في لسان العرب ـ: أطراف النبات من الورق الغض.

من هذا أطعمتك، فإنَّ عليًّا رضي الله عنه كان يقول: إذا دخلَ عليكَ أخوكَ المسلمُ فأطعمهُ من أطيبِ ما في بيتك، فإن كان صائماً فادهنه(١).

وقال عطاء: أحبُّ الطعام إلى الله تعالى ما كثرت عليه الأيدي(٢).

وروى هناد بإسناده، أنَّ أعرابيًّا جاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أخبرني بعملٍ أَدخلُ به الجنَّة، فقال: «**تقولُ العدل، وتؤتي الفضل**»، فقال: لا أطيقُ هذا يا رسولَ الله، قال: «**فتطعمُ الطَّعام، وتُفشي السَّلام**»، فقال: وهذه يا رسولَ الله لا أُطيقُها، قال: «**فهل لكَ من إبل**»؟ قال: نعم، قال: «**فانظرْ بعيراً وسِقاء، فانظرْ أهلَ بيتٍ لا يستقون الماءَ إلَّا غِبًّا، فاسقِهم، فإنَّه بالحريِّ أن لا يهلكَ بعيرُكَ ولا يَنخرِقَ سِقاؤكَ حتَّى يُدخلَكَ الله سبحانهُ الجنَّة**»(٣).

وروى هناد بإسنادهِ عن أبي أمامة قال: بينما عمر بن [١٠١/أ] الخطَّاب رضي الله عنه في أصحابه أُتيَ بقميصٍ له كرابيس، فلبسه، فما جاوزَ تراقيَهُ حتَّى قال: الحمدُ لله الذي كساني ما أواري به عورتي، وأتجمَّلُ به في حياتي، ثمَّ أقبلَ على القومِ فقال: هل تدرون لمَ قلتُ هؤلاءِ الكلمات؟ قالوا: لا، إلَّا أن تخبرنا، قال: فإنِّي شهدتُ رسولَ الله ﷺ ذاتَ يوم، وأُتيَ بثيابٍ له جُدد، فلبسها وقال: «**الحمدُ لله الذي كساني ما أواري به عورتي، وأتجمَّلُ به في**

---

(١) الزهد لهناد ١/٣٤٧، قال محققه: رجاله ثقات، وإسناده مرسل. ورواه أحمد في الزهد (٢٣١٠).

(٢) الزهد لهناد ١/٣٤٧، بهجة المجالس ص ١٩٠.

(٣) الزهد لهناد ١/٣٤٩، وراوي الحديث هو كدير الضبي، والذي روى عنه أبو إسحاق، ذكر الحافظ ابن حجر في الإصابة ٥/٤٣٠ أن رجال السند رجال صحيح إلى أبي إسحاق، وأورد قول الإمام أحمد أن كديرًا ليس بصحابي... ثم أطال.
ويستقون غبًّا، أي: في أوقات متباعدة، وليس في كل يوم.

حياتي» ، ثمَّ قال: «والذي بعثني بالحقّ، ما من عبدٍ مسلمٍ كساهُ الله ثياباً جُدداً ، فعمدَ إلىٰ سَمَلٍ من أخلاقِ ثيابه ، فكساها عبداً مسلماً مسكيناً ، لا يكسوهُ إلا لله تعالىٰ ، إلَّا كان في حرزِ الله ، وفي جوارِ الله ، وفي ضمانِ الله ، ما كان عليه منها سِلْك ، حيًّا وميتاً»[1].

قال: ثمَّ مدَّ عمرُ رضي الله عنه كمَّه ، فوجدَ فيه فضلاً علىٰ أصابعه ، فقالَ لابنه عبدالله: أي بني ، هاتِ الشفرة ، أو المُدية ، فقام ، فجاءَ بها ، فمدَّ كُمَّ قميصهِ علىٰ يده ، فنظرَ ما فضلَ علىٰ أصابعه ، فقدَّه ، قالَ أبو أمامة: فقلنا: يا أميرَ المؤمنين ، ألا نأتي بخياطٍ فيكفَّ هذه؟ قال: لا ، قالَ أبو أمامة: فلقد رأيتُ عمرَ رضي الله عنه بعد ذلك وإن هُدْبَ[2] ذلك القميصِ منتشرٌ علىٰ أصابعه ، ما يكفُّه .

فَصْلٌ
[في الفقير الصابر]

وأمَّا الفقيرُ الصَّابر ، وهو الذي يرضَىٰ بحاله ، ويشكرُ الله تعالىٰ [١٠١/ب]

---

(١) الزهد لهناد ١/٣٥٠ ، سنن ابن ماجه (٣٥٥٧) ، سنن الترمذي (٣٥٦٠) وقال: غريب ، مسند أحمد (٣٠٥) وضعف الشيخ شعيب إسناده ، والمستدرك ، (٧٤١٠) ، الدعاء للطبراني (٣٩٣) . وضعفه في ضعيف الجامع (٥٣٩٥) .
وورد في الأصل «سحل من أخلاف ثيابه» ، والمثبت من الزهد لابن المبارك ، والمستدرك للحاكم ، وفي (الدعاء) للطبراني: (شمل) بدل (سمل) .
والكرابيس جمع كِرْباس ، وهو القطن . والتراقي جمع تَرقوة ، وهي العظمة المشرفة في أعلىٰ الصدر . وسملَ الثوبُ: أخلقَ وبَلي . والسلك: الخيط . وقدَّ: قطع . والهدب في الثوب: خيوط تبقىٰ في طرفيه من عرضيه .

(٢) في الأصل «لهدب» ، وتصحيحه من محض الصواب ٢/٥٦٩ وغيره .

عليها، فقد وعدَهُ الله تعالىٰ من الأجرِ بأكثرَ ممَّا وعدَ المعطيَ للمال، فإنَّه تعالىٰ قال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

وقد اختارَ الله تعالىٰ لأنبيائهِ عدمَ الغنىٰ، وقالَ ﷺ: «**اللَّهمَّ أحيني مسكيناً، وأمِتْني مسكيناً، واحشُرني في زُمرة المساكين**»(١).

ورويَ أنَّ جبريلَ صلَّىٰ الله عليه نزلَ عليه ومعه مفاتيحُ الأرض، فقالَ له: إن شئتَ فخذْ هذه، ولا تنقصُكَ عند الله تعالىٰ، فالتفتَ إلىٰ ميكائيلَ صلَّىٰ الله عليه كالمستشيرِ له، فقالَ له: يا محمَّدُ تواضع، فقال: «**اللَّهمَّ أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين**»(٢).

❁ **فإن قالَ قائل**: فقد سألَ سليمانُ عليه السلام ربَّهُ مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ بعده؟

❁ **والجواب**: أنَّ عامَّةَ الأنبياءِ لم يكنْ لهم غَناء، وحالُ الأكثرِ أفضل، مع أنَّ الله ﷻ أخبرَ عنه أنَّ المالَ شغلَهُ عن صلاته، فقالَ تعالىٰ: ﴿إِذْ عُرِضَ

---

(١) سنن الترمذي (٢٣٥٢) من رواية أنس، وقال: غريب، وأورد ابن حجر ضعفه في الفتح ٢٧٤/١١، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٦١)، وحسَّنه لشواهده في السلسلة الصحيحة (٣٠٨)، ونقد الشيخ شعيب تحسينه عند تضعيفه حديث ابن ماجه (٤١٢٦) وذكر أنه وهم.

(٢) نص الحديث نفسه السابق، أما مقدمته فلم أره مضمومًا إليه، ولكن يأتي مستقلًا بألفاظ وعبارات أخرىٰ، وهو تخييره ﷺ بين أن يكون نبيًّا عبدًا أو نبيًّا مِلكًا، وقد ذكر ابن حجر في الفتح ٥٤١/٩ أنه مرسل أو معضل، كما ضعف الألباني إسناده في تخريج أحاديث المشكاة (٥٧٧٤) وهو من رواية ابن عباس، وذكر الحافظ الهيثمي أن في سنده بقية بن الوليد وأنه مدلس. مجمع الزوائد ٢٢/٩.

عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴾ [ص: ٣١ ـ ٣٣]. فاستجازَ قطعَها[١] حين قطعتهُ عن عبادةِ ربِّه. [١٠٢/أ] فإذا كان سليمانُ عليه السلام مع جلالتِه وانفرادِه عن الأغنياء بتخشِّيه ـ فإنَّه يقال: إنَّه كان يجلسُ على المسوح[٢]، ولا يرفعُ رأسَهُ إلى السَّماءِ حياءً من ربِّه ـ لم يسلمْ من حبِّ المال، فكيفَ بغيره؟!

ورُويَ عن ابنِ عمر أنَّه باعَ حماراً، فقيلَ له: لو أمسكته، فقال: لقد كان لنا موافقاً، ولكنَّه أذهبَ بشعبةٍ من قلبي، فكرهتُ أن أشغلَ قلبي بشيء[٣].

وروى هناد بإسنادِه عن أبي الأحوص، عن عبدالله قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«الفقرُ أزينُ للمؤمنِ من العِذارِ الحسنِ على خدِّ الفرَس»**[٤].

وروى أيضاً بإسنادِه عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«يدخلُ فقراءُ أمَّتي الجنَّةَ قبلَ الأغنياءِ بنصفِ يوم، خمسِ مئةِ عام»**[٥].

---

(١) يعني أعناق الخيل.

(٢) جمع مِسْح، وهو الكساء من الشعر.

(٣) ذم الهوى ص ٦٥.

(٤) الزهد لهناد ٣٢٤/١، وضعف محققه إسناده، وذكر فيه علَّتين، لكن بيَّن أن له شواهد. وضعفه كذلك في ضعيف الجامع (٤٠٢٩) من رواية شداد بن أوس.
وعِذار الفرس: ما سال من اللجام على خدِّه.

(٥) الزهد لهناد ٣٢٤/١، حلية الأولياء ٢٥٠/٨، وآخره فيه «بمئة عام»، مسند أحمد (١٠٧٣٠) قال محققه الأرناؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد ضعيف (وفيه رواية شتير، أو سمير بن نهار عن أبي هريرة)، سنن ابن ماجه (٤١٢٤) من رواية عبدالله بن عمر، وذكر محققه الأرناؤوط أنه صحيح لغيره، وإسناده ضعيف.

وروىٰ سلمة بن أبي سلمة بنُ عبدالرَّحمن[1] بن عوف عن أبيهِ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الشيطانَ قال: لن ينجوَ الغنيُّ منِّي من إحدىٰ ثلاث: إمَّا أن أزيِّنهُ في عينهِ فيمنعَهُ من حقِّه، وإمَّا أن أسهِّلَ عليه له سبيلَهُ فينفقَهُ في غيرِ حقِّه، وإمَّا أن أحبِّبَهُ إليه فيكسبَهُ من غيرِ حقِّه**»[2].

وقالَ عبدالله بن مسعود: إنَّ الشَّيطانَ يريدُ الإنسانَ بكلِّ رَيْدَة فيمتنعُ منه، فيجثمُ له عند المالِ فيأخذُ بعنقه[3].

وروىٰ أنس أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الله يعطي الدنيا علىٰ** [١٠٢/ب] **نيَّةِ الآخرة، ولا يعطي الآخرةَ علىٰ نيَّةِ الدنيا**»[4].

وهذا ـ عافاكَ الله ـ معلوم؛ لأنَّ من طلبَ الدنيا لا يستحقُّ بذلك شيئاً من الآخرة؛ لأنَّ الله تعالىٰ حذَّرَهُ الدنيا وقبَّحها عنده، بقولهِ تعالىٰ: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [فاطر: ٥]، وغرورُها السكونُ إلىٰ الموجودِ منها، والنسيانُ لمصيرها، والطمأنينةُ إليها، قالَ سبحانه: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الروم: ٧]: ينظرون إليها بالأبصارِ فيروقُهم زخرفُها، ولا ينظرونها

---

(١) في الأصل: «روىٰ أبو سلمة بن عبدالرحمن...»، والمثبت من مصدره، وإضافته ضرورية، فالحديث مرسل.

(٢) الزهد لابن المبارك (٥٤٧)، وهو مرسل. ويأتي مرفوعًا عند الطبراني في معجمه الكبير (٢٨٨)، وحسَّنه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٨/١٠، وهو بلفظ: «قال الشَّيطانُ لعنه الله: لن يسلَمَ منِّي صاحبُ المالِ من إحدىٰ ثلاث، أغدو عليه بهنَّ وأروحُ بهنَّ: أَخذِه المالَ من غيرِ حِلِّه، وإنفاقِه في غيرِ حقِّه، وأُحَبِّبُه إليه فيمنَعُه من حقِّه».

(٣) الزهد لابن المبارك (٥٤٨)، تهذيب الآثار (٥٤٨). والريدة: المطلب. من فعل أراد.

(٤) الزهد لابن المبارك (٥٤٩)، مسند الشهاب (١١٠٨)، وضعفه صاحب السلسلة الضعيفة (٣١٥٦)، كما أورد ضعفه في ضعيف الجامع الصغير (١٧٤٤).

بالبصائرِ فيزجُرهم عنها عُقباها.

قالَ سبحانه: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٢٤]. وهذا الذي وصفَها الله تعالىٰ به قد شاهدتَهُ بعينك، وعرفتَهُ بنفسك، فإنَّك شاهدتَ الملوكَ حين أتاهم الموتُ إنْ دامتْ لهم الدنيا[١]، وقد خَربتْ منازلُهم، وسوِّدتْ معاقلُهم[٢]، وذُلَّ أهاليهم، وطُفئت مصابيحُهم، وذهبَ ما كانوا شيَّدوه، وتفرَّقَ ما كانوا جمعوه، كما أنَّ الزرعَ إذا أُكملَتْ بهجته، وحَسُنَ منظره، جفَّ وانتثر، وذهبَ حُسنه، [١٠٣/أ] وصارَ هشيماً تذروهُ الرِّياح، إن لم تلحقْهُ قبل ذلك آفةٌ تُهلكه.

وإنَّما وصفَها الله تعالىٰ لك بما شاهدتَهُ منها لغفلتِكَ عنها، وشهوتِكَ لها، وتغافلِكَ عن مساوئها؛ لبلوغِكَ أربكَ منها، وقد ذكَّرَكَ ما تعرفُه، ونبَّهكَ علىٰ ما [تيقَّنتَهُ][٣]؛ لطفاً بك، ورحمةً لك.

روىٰ هنادٌ بإسنادِهِ عن أبي أمامةَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**أُريتُ أنِّي أُدخلتُ الجنَّة، فنظرتُ فإذا أكثرُ أعالي أهلِ الجنَّةِ فقراءُ المهاجرين وذراري المؤمنين، وإذا ليس فيها أحدٌ أقلَّ من الأغنياءِ والنساء**»، [قال: «**فقلت: ما لي لا أرىٰ أحدًا فيها أقلَّ من الأغنياء**»؟]، قال: «**فقيلَ لي: أمَّا الأغنياءُ فإنَّهم**

(١) (إنْ) هنا نافية بمعنىٰ (ما).

(٢) قد تكون «سورت معاقلهم». والمعاقل: الملاجئ والحصون.

(٣) كلمة غير واضحة في الأصل، رسمها: قيفته، أو فيقته؟

علىٰ البابِ يحاسَبون [ويمحَّصون]، وأمَّا النِّساءُ فألهاهمُ الأحمران: الذهبُ والحرير»، قال: «ثمَّ خرجتُ من أحدِ الثمانيةِ الأبواب، فجعلوا يَعرضون عليَّ أمَّتي رجلاً رجلاً، فاستبطأتُ عبدالرَّحمن بنَ عوف، فلم أرهُ إلَّا بعد إياس، فلمَّا رآني بكىٰ، فقلت: عبدالرَّحمن، ما يبكيك؟ فقال: والذي بعثكَ بالحقِّ ما رأيتُكَ حتَّىٰ ظننتُ أنِّي لا أراكَ أبداً»، قال: «قلت: وممَّ ذلك؟ قال: من كثرةِ مالي، ما زلتُ أحاسَبُ بعدكَ وأُمحَّص»[1].

وحكيَ أنَّ رجلاً قدمَ إلىٰ المدينةِ يطلبُ عبدالرَّحمن بن عوفٍ ليسألَهُ عن شيء، فطلبه، فقيلَ له: إنَّه في أرضه، فجاءَ إليه، فوجدَ بيدهِ مسحاةً يعملُ في أرضه، فعجبَ الرجلُ منه، فقال له: يا عبدالرَّحمن، [١٠٣/ب] هل علمتَ مِن هذا ما لم نعلم، أم بلغكَ ما لم يبلغنا[2]؟ فقال: ما بلغني من ذلك إلَّا ما بلغكم، وما علمتُ إلَّا ما علمتُم، غيرَ أنَّنا قومٌ ابتُلينا بالفقرِ فصبرنا، وابتُلينا بالدنيا فلم نصبر[3].

وهذا يبيِّنُ لكَ أنَّ الدنيا تميلُ النَّفسُ إليها حتَّىٰ تُطلبَ بأدبها، ولهذا قالَ ﷺ: **«لو أنَّ لابنِ آدمَ واديين من ذهبٍ لابتغَىٰ إليهما ثالثاً، ولا يملأُ جوفَ**

(١) الزهد لهناد ١/٣٣٠، وذكر محققه أن إسناده ضعيف. وما بين المعقوفات منه، لم يرد في الأصل. وقال في مجمع الزوائد ٩/٥٩: رواه أحمد والطبراني بنحوه باختصار، وفيهما مطرح بن زياد وعلي بن يزيد الألهاني، وكلاهما مجمع علىٰ ضعفه، ومما يدلك علىٰ ضعف هذا: أن عبدالرحمن بن عوف أحد أصحاب بدر والحديبية، وأحد العشرة، وهم أفضل الصحابة. والحمد لله.

(٢) هذا السؤال جاء بعد كلام حذفه المؤلف، لا يفهم سببه إلا بالرجوع إليه.

(٣) الزهد لهناد ٢/٣٩٧، باختصار، وذكر محققه أن في إسناده ضعفًا، لكن أشار إلىٰ شواهد له عند ابن المبارك والترمذي وأبي نعيم.

ابنِ آدمَ إلَّا التراب»[١].

وحُكيَ عن عيسىٰ بن مريمَ ﷺ أنَّه قالَ للحواريين: أنتم أغنَىٰ من أصحابِ الأموال، فقالوا: كيف يكونُ ذلك ولا نملكُ صفراءَ ولا بيضاء[٢]؟! فقال: إنَّكم لا تملكون ذلك، ولا تطلبونه، وهم يملكون الأموال، وهم يطلبون الزيادة، والغنيُّ من استغنَىٰ عن الطلب.

وكذا قالَ أبو حازم الأعرج، لمَّا قالَ له سليمان بنُ عبدالملك: ألكَ مال؟ قال: نعم، لي مالان، أحدُهما اليأسُ من النَّاس، والآخرُ الثقةُ بالله ﷻ، وقد قيل: من أيسَ من شيءٍ استغنَىٰ عنه[٣].

وروىٰ سيَّار[٤] بنُ حاتم العنزي قال: حدَّثنا جعفر بنُ سليمان قال: حدَّثنا المعلَّىٰ بن زياد قال: بلَغنا أنَّ عيسىٰ بنَ مريم مرَّ في ناس، فإذا لَبِنةٌ من ذهبٍ ملقاة، فقالَ عيسىٰ عليه السلام: إنَّ هذه فتنةٌ قد عَرضتْ لكم [١٠٤/أ] فلا تمسُّوها، ولا تنظروا إليها. فمضَىٰ عيسىٰ عليه السلام وأصحابهُ معه، وتخلَّفَ ثلاثةٌ ممَّن كانوا معه، فقالوا: من يتركُ لبنةً من ذهب؟! متىٰ نصيبُ نحن مثلَ هذه؟ وتخلَّفوا، وأحرزوها، ثمَّ قطعوا منها قطعةً وقالوا لأحدهم: انطلقْ إلىٰ هذه القريةِ فاشترِ لنا ما يُصلحنا. فلمَّا انطلقَ جاءَ إبليسُ إلىٰ الرَّجلين، فوسوسَ لهما، فقالَ أحدُهما لصاحبه: إنِّي أحدِّثُ نفسي بشيء، قال: وما ذاك؟ قال: صاحبُنا الذي بعثناهُ يجيءُ الآنَ فيأخذُ ثلثَها، فحديثُ نفسي أن لو قتلناهُ

(١) سبق تخريجه، وأنه في الصحيحين وغيرهما.
(٢) الصفراء والبيضاء: الذهب والفضة. لسان العرب ٤/٤٦٠.
(٣) ربيع الأبرار ٥/٣٢٨.
(٤) في الأصل «سنان» وهو خطأ.

فصارتْ لي ولك، وقالَ الآخر: إنِّي قد حدَّثتُ نفسي بذلك، قال: وتفعل؟ قال: نعم، فقالا: إذا جاءَ لم نكلِّمه حتَّىٰ نقتله. فلمَّا جاءَ المبعوثُ قالَ له إبليس: ترضَىٰ أن يكونَ لك ثلثها؟! فلو سمَّمتَ هذا الطعامَ صارتْ لكَ اللبنةُ كلُّها. فسمَّ الطعامَ حين جاء، فوضعَه، فقاما إليه فقتلاه، ثمَّ أكلا من الطعامِ فماتا، فمرَّ بهم عيسىٰ عليه السلام، فحدَّثهم بحديثِهم هذا.

قالَ عبيدالله بن شميط: سمعتُ أبي يقول: بلَغنا أنَّ أبا الدرداءِ كان يقول: ألا أنبِّئكم بدائكم ودوائكم؟ أمَّا داؤكم فحبُّ الدنيا، وأمَّا دواؤكم فذكرُ الله عز وجل(١).

وقالَ جعفر بنُ عمر بنِ عبدالرَّحمن الصنعاني(٢): سمعتُ وهب بنَ منبِّه يقول: لقيَ رجلٌ رجلاً [١٠٤/ب] فوقَهُ في العبادة، فقالَ له: كم آكل؟ قال: فوق الجوعِ ودونَ الشِّبع، قال: فكم أضحك؟ قال: حتَّىٰ يُسفِرَ وجهُك، ولا يُسمَع صوتُك، قال: فكم أبكي؟ قال: لا تملَّ أن تبكيَ من خشيةِ الله تعالىٰ، قال: فكم أُخفي من عملي؟ قال: حتَّىٰ يرىٰ النَّاس أنَّك لا تعملُ حسنة! قال: فكم أُظهِرُ من عملي؟ قال: حتَّىٰ يأتمَّ بك الحريص، وتنفيَ عنك قولَ النَّاس(٣).

روىٰ سيَّار عن أبي عاصم العبّاداني، عن الحسن بن ذكوان، عن الحسن قال: قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«ما من أحدٍ يمشي علىٰ الماءِ إلَّا ابتلَّتْ قدماه»**،

---

(١) شعب الإيمان (١٠١٦٣).

(٢) فيه زيادة (قال) هنا.

(٣) الفوائد والزهد ص ٢٢، البصائر والذخائر ٣٢/٨، حياة الحيوان الكبرىٰ ٣/٥، وفي الأخير أن المجيب يحيىٰ.

قالوا: نعم، قال: «**كذلك صاحبُ الدنيا لا يَسلَمُ من الذنوب**»[1].

وقالَ أبو واقد الليثي ـ وكانت له صحبة[2] ـ: تتبَّعنا الأعمالَ فلم نجدْ شيئاً أبلغَ في طلبِ الآخرةِ من الزهادةِ في الدنيا.

وقيل: مكتوبٌ في صحفِ الله تعالىٰ القديمة: إنَّ أحبَّ خَلقي إليَّ المساكينُ الذين يطيعون أمري، ويحفظون وصيَّتي، إنَّ من كرامتِهم عليَّ ألَّا أعطيَهم مالاً ينفتلون به عن طاعتي.

وكتب عمر بنُ عبد العزيز إلىٰ الحسن بن أبي الحسن البصري، أن عِظني وأوجز، فكتبَ إليه: إنَّ الدنيا مَشغَلةٌ للقلبِ والبدن، وإنَّ الزهدَ راحةٌ للقلبِ والبدن، وإنَّ الله يسائلُنا عمَّا نعمنا في حلاله، فكيف بما نعمنا في حرامه؟ واذكرِ [١٠٥/أ] انفرادكَ بالوحشةِ في تلك الحفرة، واعلمْ أنَّها إن جاءتك علىٰ أسوأِ حالاتِكَ لن تنالَ رفعة[3]، ولن تُقالَ عثرة. وأجملْ في طلبِ رزقك؛ فإنَّكَ لا تُعطىٰ رزقَ غيرك، ولا رزقُكَ مصروفٌ عنكَ إلىٰ سواك، وشدَّةُ الطلبِ لا يزيدُ في رزقك، غير أنَّه تعبٌ علىٰ البدن[4].

وروىٰ عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ**

(١) الزهد الكبير للبيهقي (٢٥٧)، شعب الإيمان (٩٩٧٣) وهو عن الحسن عن أنس رفعه ـ وأشار إلىٰ أن هناك من يرسله عن الحسن ـ، وضعفه بالرفع في ضعيف الجامع (٦٠٩٥)، وفي السلسلة الضعيفة (٤٧٤١).

(٢) مختلف في اسمه. وقال ابن حبان البستي: اسمه الحارث بن عوف، كان ممن شهد بدرًا، وتوفىٰ بالمدينة سنة ثمان وستين وهو ابن سبعين سنة. مشاهير علماء الأمصار (١١١).

(٣) في الأصل: تنل رفعة.

(٤) أوله في الزهد الكبير (٢٦).

ممَّا أخافُ عليكم من بعدي ما يُفتَحُ لكم من زهرةِ الدنيا وزينتِها» ، فقالَ رجل: يا نبيَّ الله ، أوَيأتي الخيرُ بالشرّ ؟ فقال: «**إنَّه لا يأتي الخيرُ بالشرّ ، وإنَّ ممَّا يُنبِتُ الربيعُ لمَا يقتلُ حَبطاً أو يلمّ**»[1] . بالحاء ، غيرُ معجمة ، يريدُ أنَّها تُحبِطُ من المرعىٰ ما طابَ لها ، فتنتفخُ به بطونُها وتَسمَنُ به ؛ لأنَّها تأكلهُ بعيونها ، فربَّما تفقَّأتْ سِمَناً فتهلك ، فأرادَ أنَّ من حصلتْ له زهرةُ الدنيا ألهتْهُ عن إصلاحِ دينه ، وشغلَهُ عن العملِ لآخرته ، فيهلكُ كما هلكتِ الماشية .

وكان ابنُ مسعود يقول: ما أبالي بأيِّهما ابتُليت ، بالفقرِ أو بالغنىٰ ، إنَّ حقَّ الله فيهما لواجب ، أمَّا في الغنىٰ فاللينُ والعطف ، وأمَّا الفقرُ فالرضا والصبر[2] .

وحُكيَ عن عمر بنِ الخطَّاب رضي الله عنه أنَّه قال: ما أبالي علىٰ أيِّ جنبيَّ أصبحت ، إن تكنِ السَّرَّاءُ فمنِّي الشُّكر ، وإن تكنِ الضَّرَّاءُ فمنِّي الصَّبر[3] .

---

(١) الحديث في الصحيحين وغيرهما ، ولكن المؤلف أورده باختصار مخلّ ، ولفظه عند مسلم (١٠٥٢): قام رسول الله ﷺ فخطب الناس فقال: «لا والله ، ما أخشىٰ عليكم أيها الناس إلا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا» ، فقال رجل: يا رسول الله ، أيأتي الخير بالشر ؟ فصمت رسول الله ﷺ ساعة ، ثم قال: «كيف قلت» ؟ قال: قلت: يا رسول الله ، أيأتي الخير بالشر ؟ فقال له رسول الله ﷺ: «إن الخير لا يأتي إلا بخير ، أو خير هو ، إن كل ما ينبت الربيع يقتل حبطًا أو يلم ، إلا آكلة الخضر ، أكلت ، حتىٰ إذا امتلأت خاصرتاها استقبلت الشمس ، ثلطت أو بالت ، ثم اجترت ، فعادت فأكلت ، فمن يأخذ مالًا بحقه يبارك له فيه ، ومن يأخذ مالًا بغير حقه فمثله كمثل الذي يأكل ولا يشبع» . وراه البخاري (١٤٦٥) .

(٢) الزهد لهناد ١/٣٣٠ ، ولأحمد (٨٤٧) .

(٣) أوله في موعظة القلوب ٢/٦٦ ، وإحياء علوم الدين ٤/٣٤٦ ، وبأطول منه في بهجة المجالس ص ٢١٥ .




وهذه الحالُ ـ عافاكَ الله ـ حالٌ مثلُها لا يكادُ [١٠٥/ب] ينالُها إلَّا من كان مثلَهما.

❁ **فإن قالَ قائل**: فهذا يدلُّكَ على استواءِ الحالين عندهما، لم يفضِّلا إحداهما على الأخرى.

❁ **والجواب**: أنَّ قولَهما ذلك لا يقتضي استواءَ الحالين في الفضل، وإنَّما قصدا بذلك التسليمَ لله تعالى، وتركَ الاعتراض، وفعلَ ما كُلِّفَ في كلِّ واحدٍ منهما.

وممَّا يبيِّنُ لك الفرقَ بين الحالين، وحصولَ الغَررِ بالغنى، أنَّ الغنيَّ غيرَ الشاكر أسوأُ[١] حالاً من الفقيرِ غيرِ الصابر؛ لأنَّ غيرَ الشاكرِ مَن لم يؤدِّ حقوقَ المال، ومَلَكَهُ شحُّهُ وشَغلَهُ عن الله تعالى وحقوقِ ماله، والفقيرُ غيرُ الصابرِ حرمَ[٢] نفسَهُ فضيلةَ الرضا وأجرَ الصابرين، ولم يكنْ ذلك مؤدِّياً إلى المعاصي؛ لأنَّ حبَّ ما لا ينالهُ لا يُكتَبُ عليه في المعاصي.

فَصْلٌ

في بيانِ قولهِ تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ

وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].



(١) في الأصل: اسا.
(٢) في الأصل: احرم.

الكفَّار: هم الزرَّاع؛ لأنَّ الكفرَ التغطية، وهم يغطُّون ما يزرعونهُ بالأرض، وقد بيَّنَ الله تعالىٰ صفةَ الدنيا، وأنَّ لذَّةَ الدنيا إنَّما تكونُ في هذه الأشياء، وأنَّ هذه الأشياءَ كمثَلِ الزرع، تراهُ أخضر، ثمَّ يَهيج، بأن يَيْبَس[1]، فتدخلُ فيه الريح، فيُسمَعُ له صوتٌ كما يصيحُ [١٠٦/أ] الهائج، ثمَّ يصيرُ حطاماً، وذلك هلاكه.

وقيل: قولهُ تعالىٰ: ﴿أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ﴾ يريدُ أنَّها تزولُ كما يزولُ اللعبُ واللهو؛ فإنَّ اللاعبَ يسأم، واللاهي يمَلُّ، وما هذا سبيلهُ في الفناءِ لا يشغلُ العاقلَ عن العملِ الصالح، الذي يصلُ به إلىٰ النَّعيمِ الدائمِ والراحةِ الأبدية[2].

وفي الحديثِ المرفوع: «**موضعُ سَوطٍ في الجنَّةِ خيرٌ من الدنيا**»[3]. ومعلومٌ أنَّ اليسيرَ الباقي خيرٌ من الكثيرِ الفاني.

وحُكي أنَّه مرَّ سليمان بنُ داود عليه السلام ـ ومعه جندهُ من الإنسِ والجنِّ والطيرِ ـ علىٰ راهبٍ في صومعة، فسمعَ الراهبُ لهم ضوضاءَ عظيمة، فاطَّلع، فرأىٰ مُلكَ سليمان، فقال: لَتسبيحةٌ في صحيفةِ امرئٍ مسلمٍ خيرٌ من مُلكِ هذا، فقيلَ له: كيف ذلك؟ فقال: لأنَّ ثوابَ التسبيحةِ يبقىٰ، ومُلكَ هذا يزول.

وقولهُ تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ لأنَّ الناظرَ إلىٰ ظاهرِها وزينتِها يغرُّهُ ما لم يفكِّرْ في مصيرها وفنائها، وما يعقبهُ من الحسرةِ

---

(١) في الأصل: يبس.

(٢) ذكر معناه هذا الطوسي في التبيان، عند تفسير الآية.

(٣) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه (٦٤١٥)، ورواه غيره.

علىٰ ما فاتَ من العملِ الصالحِ فيها.

وقولهُ تعالىٰ: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞ﴾ بيَّن الله تعالىٰ أنَّ من اتَّبعَ لهوها وزينتَها والتفاخرَ فيها، أدَّاهُ ذلك إلىٰ عذابِ الآخرة، فإنَّه يشغلهُ عن الأعمالِ الصالحة، ويدعوهُ إلىٰ الأعمالِ السيِّئة، ومن تركَ زينتَها ولم يشغلْ نفسَهُ [١٠٦/ب] بها، وعقلَ ما وصفها الله تعالىٰ به، فزهدَ فيها، كان له عند الله تعالىٰ مغفرةٌ ورضوان.

وقد قيلَ في وصفِ الدنيا: إنَّها تغرُّ وتمرُّ وتعرُّ، فإنَّها تمرُّ عنه، وتعقبهُ المعرَّةَ في الآخرةِ باتِّباعها[١].

❁ قيل: فإن قالَ قائل: لا بدَّ للإنسانِ من الدنيا؛ فإنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، وقيلَ في مناكبها: جبالِها، وقيل: طرقِها وفجاجِها، وقيل: نواحيها[٢]؛ لحوائجهم، ﴿وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ﴾: يَحتملُ الأمر، ويحتملُ الإباحة. ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**كفىٰ بالمرءِ إثماً أن يضيِّعَ من يَقُوت**»[٣].

❁ **والجواب**: أنَّ حبَّ الدنيا المذمومَ هو حبُّ الفضول، وهو الزيادةُ علىٰ الكفاية، فإنَّ من اقتنعَ من الدنيا بما يكفيهِ أَمِنَ فتنتَها وغرورَها؛ لأنَّ

---

(١) من معاني المعرَّة: الأذىٰ، الغُرم، الإثم.

(٢) ذكرها الماوردي في النكت والعيون ٦/٥٤.

(٣) رواه أبو داود في السنن (١٦٩٢)، وحسَّنه في صحيح سننه، وفي صحيح الجامع (٤٤٨١)، كما رواه مسلم (٩٩٦) بلفظ: «كفىٰ بالمرء إثمًا أن يَحبِسَ عمن يملك قوتَه».

الكفاية لها حدٌّ تنتهي إليه[١]، والفضولُ لا حدَّ له[٢]، ومن سعىٰ في طلبِ كفايةِ نفسهِ وعائلتهِ[٣] علىٰ أجملِ الوجوه، كان مثاباً في ذلك.

حدَّثني والدي رحمه الله قال: حدَّثنا عثمان بن عمرو بن محمَّد بن المنتاب قال: حدَّثنا أبو محمَّد بن صاعد قال: حدَّثنا الحسين بن الحسن المروزي قال: حدَّثنا عبد الله بن المبارك قال: أخبرنا فِطْر، عن[٤] شرحبيل بن سعد، عن ابن عباس قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«ما من رجلٍ يدركُ له بنتان، فيُحسِنُ إليهما ما صحبتاهُ** [١٠٧/أ] ـ أو قال: **ما صحبَهما ـ إلَّا أدخلتاهُ الجنَّة»**[٥].

حدَّثني والدي رحمه الله قال: حدَّثنا ابن المنتاب قال: حدَّثنا يحيىٰ بن صاعد قال: حدَّثنا الحسين بن الحسن قال: حدَّثنا عبدالوهاب الثقفي قال: حدَّثنا أيوب، عن إبراهيم بن ميسرة، أنَّ أعرابيًّا اطَّلع علىٰ أصحابِ رسولِ الله ﷺ، فأعجبَهم شبابهُ وقوَّتهُ ونشاطه، أو نحوُ هذا، فقالوا: لو كان شبابُ هذا ونشاطهُ وقوَّتهُ في سبيلِ الله عز وجل، فسمعَ ذلك رسولُ الله ﷺ، فقال: **«أوَما في سبيلِ الله عز وجل إلَّا من قاتل؟** ـ أو قال: **غزا ـ من سعَىٰ علىٰ والدَيه ليعفَّهما ففي سبيلِ الله، ومن سعَىٰ علىٰ عيالهِ ليعفَّهم ففي سبيلِ الله، ومن سعَىٰ علىٰ نفسهِ ليعفَّها ففي سبيلِ الله، ومن سعَىٰ مكاثراً ففي سبيلِ الشيطان»**.

---

(١) في الأصل: إليها.

(٢) في الأصل: لها.

(٣) في الأصل: وعيلته. والعيلة والعالة: الفاقة والحاجة. وعِيل جمع عائل، وهو الفقير، كما في لسان العرب ٤٨٩/١١.

(٤) في الأصل: مطر بن. وتصحيحه من مصادر التخريج.

(٥) صحيح ابن حبان (٢٩٤٥) وحسنه الشيخ شعيب بشواهده، مسند أحمد ١٤٢/٥ وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناده، سنن ابن ماجه (٢٩٧٥) وحسنه الألباني في صحيح سننه.

وقد روىٰ هذا الحديثَ ابنُ صاعد بإسنادِهِ عن أبي هريرة نحوَ ما ذكرناه(١).

حدَّثني أيضاً والدي رحمه الله قال: حدَّثنا ابن المنتاب، عن يحيىٰ بن صاعد، عن الحسين بن الحسن، عن عبدالوهَّاب الثقفي قال: حدَّثنا أيوب السختياني، عن عمرو(٢) بن سعيد، عن حميد بن عبدالرَّحمن الحميري قال: حدَّثني ثلاثةٌ من بني سعد بن أبي وقَّاص، كلُّهم يحدِّثُهُ عن أبيه، أنَّ رسولَ الله ﷺ دخلَ علىٰ سعدٍ يعودهُ بمكة، فبكىٰ سعد، فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: **«ما يبكيك»**؟ قال: قد خشيتُ أن أموتَ بالأرضِ التي هاجرتُ منها [١٠٧/ب] كما ماتَ سعد بنُ خولة، فقال: **«اللَّهمَّ اشفِ سعدًا»** ثلاثاً، فقال: يا رسولَ الله، إنَّ لي مالاً كثيراً، وإنَّما يرثني ابنة، أفأوصي بمالي كلِّه؟ قال: **«لا»**، قال: فبالثلثين؟ قال: **«لا»**، قال: فبالنصف؟ قال: **«لا»**، قال: فبالثلث؟ قال: **«الثلث، والثلثُ كثير، إنَّ صدقتكَ من مالِكَ لكَ صدقة، وإنَّ نفقتكَ علىٰ عيالِكَ لك صدقة، وإنَّ ما تأكلُ امرأتُكَ من طعامِكَ لكَ صدقة، وإنَّكَ إنْ تَدَعْ ولدكَ بخيرٍ** ـ أو قال: **بعيشٍ ـ خيرٌ لكَ من أن تدَعَهم عالةً يتكفَّفون النَّاس»**، وقالَ بيده(٣).

وحُكيَ عن الشعبيِّ أنَّه قال: قحطَ المطرُ علىٰ عهدِ عيسىٰ بنِ مريم عليه السلام، فمرَّتْ سحابة، فنظرَ عيسىٰ عليه السلام فإذا فيها ملَكٌ يسوقُها، فقال: إلىٰ أين؟ فقال:

---

(١) حلية الأولياء ٦/١٩٦، المعجم الأوسط (٤٢١٤)، السنن الكبرىٰ للبيهقي (١٧٨٢٤). وذكر الألباني أنه صحيح بمجموع طرقه. السلسلة الصحيحة (٢٢٣٢). وهو بلفظ مقارب، من رواية أبي هريرة.

(٢) في الأصل: حدثنا أيوب بن عمرو. والمثبت من صحيح مسلم.

(٣) رواه الشيخان وغيرهما. صحيح البخاري (٥٦٥٩)، صحيح مسلم (١٦٢٨) وهو الموافق للفظه.

إلىٰ أرضِ فلان، فانطلقَ عيسىٰ عليه السلام حتَّىٰ أتاه، فإذا هو يصلحُ بالمسحاةِ سواقيها، فقالَ له: أردتَهُ أكثرَ منه؟ يعني المطر، فقال: لا، فقال: فأقلَّ منه، قال: لا، قال: فما صنعتَ في زرعِكَ عامَ أوَّل؟ قال: جعلتهُ أثلاثاً؛ ثلثهُ للبقرِ والأرضِ والعمَّال، وثلثهُ للفقراءِ والمساكينِ وابنِ السبيل، وثلثهُ لأهلي، فقالَ عيسىٰ عليه السلام: ما أدري أيَّ هذه الثلاثةُ أعظمُ أجراً(١)!

ومعنىٰ هذا أنَّ كلَّ ثلثٍ له حظٌّ من الطاعةِ والبرِّ من جنسٍ يخالفُ الآخر؛ لأنَّ دفعَهُ إلىٰ الأُجراءِ وأصحابِ البقرِ والأرضِ وإنصافَهم فيه ثوابُ الواجبِ [١٠٨/أ] والعدل، وما صرفَهُ إلىٰ الفقراءِ فهو صدقة، وما أنفقَهُ علىٰ أهلهِ فهو بمنزلةِ الصدقة، بل هو مقدَّمٌ عليها، فقصدَ بذلك أنَّ كل ثلثٍ منها فيه أجر.

وروىٰ حبيب بن أبي ثابت عن حسين بن علي أنَّه قال: لأن أقوتَ أهلَ بيتٍ من أهلِ المدينةِ صاعاً أو صاعين، كلَّ يومٍ شهراً، أحبُّ إليَّ من حجَّةٍ في إثرِ حجَّة(٢).

وقد كان بعضُ الوعَّاظِ يقول: يا معشرَ المسلمين، ليس بينكم وبين الوصولِ إلىٰ الله إلَّا تركُ الفضول. يريدُ أنَّ من تركَ من الدنيا ما له عنه غنىٰ، أوصلَهُ ذلك إلىٰ رضوانِ الله تعالىٰ، فإذا كان طلبهُ من الدنيا ما يكفيهِ ويصلحُ عيلتَهُ(٣) دونَ الزيادة، فذلك غيرُ مذموم، بل هو قبولٌ لفرضٍ يلزمه، وقائمٌ بأمرٍ يجبُ عليه، ألا ترىٰ أنَّ ذلك غيرُ داخلٍ فيما وصفَها الله تعالىٰ به علىٰ سبيلِ

---

(١) الزهد لابن المبارك ٢/٣٢، وقريب منه في روضة العقلاء ص ٢٢٨.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة (١٣٣٥١).

(٣) العَيلة: الفقر والحاجة.

الذَّمّ، من اللعبِ واللهوِ والزينةِ والتفاخرِ والتكاثر، غيرَ أنَّه يلزمهُ أن يتحرَّىٰ في اكتسابِ ما يكتسبهُ من حلِّه، ويطلبهُ من وجهه، وقد قالَ ﷺ: «**الحلالُ بيِّن، والحرامُ بيِّن، وفيما بين ذلك شبهات لا يعلمُها إلَّا القليل، فمن تركَ الشبهاتِ فقد استبرأَ لدينه، ومن دارَ حولَ الحِمَىٰ يوشكُ أن يقعَ فيه**»(١).

وهذا كلامٌ حسن؛ فإنَّ من لم يتركْ شبهةً يوشكُ أن يواقعَ المحرَّم؛ لأنَّ المشتبهَ يجوزُ تحريمه، وهذا كما [١٠٨/ب] أنَّ ما حماهُ السلطانُ لخيلِ المجاهدين إذا رعىٰ رجلٌ خيلَهُ أو غنمَهُ حولَهُ ولم يدَعْ بينه وبينه واسطةً تفصلُ بين الحِمَىٰ وبين غيره، يوشكُ أن يقعَ رعيُها في الحمىٰ. وشبَّهَ محارمَ الله تعالىٰ بالحِمَىٰ لأنَّ الله تعالىٰ حماها ونهىٰ عنها، كما حمىٰ السلطانُ موضعَ الرعي.

فإن قالَ قائل: ما الحلالُ من الشُّبَهِ ومن الحرام؟

قيل: الحلالُ ضروب:

فمن ذلك ما هو متيقَّن، مثلُ شربِ الماءِ من البحارِ والأنهارِ غيرِ المملوكة، وصيدِ البحرِ والبرّ، والاحتشاشِ والاحتطاب، فإنَّ هذا متيقَّنٌ إباحتُه؛ لأنَّه لم يجرِ عليه مُلكٌ لأحد، وقد أباحَهُ الله تعالىٰ.

وحلالٌ من حيثُ الظاهر، وهو ما أُخِذَ من المشركين بالقهرِ أو برضاهم، وإنَّما لم يكنْ متيقَّناً لجوازِ أن يكونَ ما في يدِ المشركِ غصبَهُ من مسلم، وكذلك ما وجدَهُ في يدِ رجلٍ مسلمٍ أو معاهَدٍ يذكرُ أنَّه ملكٌ له، فوهبَهُ منه، أو باعَهُ إيَّاهُ

(١) رواه بألفاظ متقاربة الشيخان وغيرهما، صحيح البخاري (٥٢)، صحيح مسلم (١٥٩٩). ولم أره باللفظ الذي أورده المؤلف تمامًا: «وفيما بين ذلك شبهات لا يعلمُها إلَّا القليل».

بعوضٍ جائزٍ وبيعٍ حلال، فهذا حلالٌ من حيثُ الظاهرِ وحكمِ الشريعة، فلا ورعَ في تركهِ إلَّا أن يقعَ له شبهةٌ في كسبه.

وأمَّا الشبه، فما كان في يدِ مَن يكتسبُ حراماً وحلالاً ولا يعلمُ أنَّ ما يأخذهُ منه حرام[1]، فهذا شبهةٌ يدعوهُ الورعُ إلىٰ تركه، وتفسحُ له الشريعةُ في التأويلِ فيه، وأنَّ ما في يدِ الإنسانِ ظاهرهُ أنَّه ملكه، ولا يعلمُ أنَّه أخذَهُ بعينهِ بغيرِ حقّ.

وأمَّا مَن [١٠٩/أ] جميعُ كسبهِ من الحرام، أو علمَ أنَّه حرام، فلا يجوزُ له أخذهُ من يدِ من هو في يده، إلَّا لردِّهِ إلىٰ صاحبهِ إن عرفه.

وقد حُكيَ أنَّ رجلاً جاءَ إلىٰ الشَّعبيِّ ﵀، فقالَ له: يا عامر، دلَّني علىٰ حلالٍ لا شبهةَ فيه، فقالَ له الشعبيُّ كالمستبعِدِ لذلك: إن أردتَ ذلك فامضِ إلىٰ ساحلِ البحرِ في الموضعِ الفلاني، فإنَّه ينبتُ فيه البَرديّ، فاقطعهُ بيدك، واعملْ منه ما تلبسه، واصطَدْ[2] من سمكِ البحرِ بيدك، واشوهِ في الشمسِ وكُله، فهذا حلالٌ لا شبهةَ فيه.

ثمَّ مضىٰ علىٰ ذلك زمنٌ طويل، فلمَّا هربَ الشعبيُّ من الحجَّاجِ مضىٰ إلىٰ ساحلِ البحر، فرأىٰ رجلاً قائماً يصلِّي وعليه حصيرُ بَرديٍّ قد لبسه، وبقربهِ حوتٌ قد شويتْ في الشمس، وقد أكلَ بعضها[3]، فلمَّا رآهُ فكَّرَ فيه، فعرفَ أنَّه الذي كان قد سألَهُ عن الحلال، فانتظرَ فراغَهُ من صلاته، فلمَّا فرغَ من

---

(١) في الأصل: حراما.

(٢) في الأصل: واصطاد.

(٣) هكذا جاء تأنيث الحوت، وهو مذكر، ولعل تأنيثه من قبل المؤلف لدلالته علىٰ السمكة.

صلاتهِ دنا منه وسلَّمَ عليه، وقال: يا فتىٰ أتعرفني؟ فقالَ الفتىٰ: نعم، أنت الذي تداوي السقمَ وأنت سقيم.

فَصْلٌ
[الدنيا بلاغ]

رويَ عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أنَّه قالَ لأبي بكر رضي الله عنه حين قسمَ الفيءَ وسوَّىٰ بين الناسِ فيه: تسوِّي بين من آمنَ باللهِ ورسولهِ وهاجرَ إلىٰ اللهِ ورسولهِ وبين من دخلَ في الإسلامِ بالسيف؟ فقالَ أبو بكر رضوانُ اللهِ عليه: إنَّما عملوا لله، وإنَّما أجورُهم علىٰ الله، وإنَّما الدنيا بلاغ. يريدُ أن [١٠٩/ب] يوفِّرَ أجورَهم عند الله، وأنَّ الدنيا لا تكونُ ثواباً بالطاعة، وإنَّما هي بلاغٌ إلىٰ الآخرة[١].

وقالَ أبو حازم: وما الدنيا؟ أمَّا ما مضىٰ فحُلم، وأمَّا ما بقيَ فأمانيّ[٢].

وقد قيلَ في معنىٰ ذلك: من لم يُغنهِ من الدنيا ما يكفيه، فليس في الدنيا شيءٌ يُغنيه[٣].

وكان يقال: لأن تطلبَ الدنيا بأقبحِ ما تطلبُ به الدنيا، أحسنُ من أن تطلبَها بأحسنِ ما تطلبُ به الآخرة[٤].

---

(١) معرفة السنن والآثار (١٣١٧٧)، شرح السنة للبغوي ١٤١/١١.

(٢) صفة الصفوة (١٨٥)، المدهش ٢٩٠/١.

(٣) العزلة للخطابي ص ٤٣.

(٤) المجالسة وجواهر العلم (٣٣٩٨)، حلية الأولياء ٩٨/٨.

وبيان ذلك أنَّ من طلبَ الدنيا بما تُطلَبُ به فقد أساءَ بطلبِ الدنيا، ومن طلبها بما تُطلَبُ به الآخرةُ فقد أساءَ بطلبِ الدنيا، وأساءَ بأن صرفَ ما يفعلُ لله إلىٰ أن فعلَهُ للدنيا، وذلك يتضمَّنُ ضرباً من النفاق.

وقالَ آخرُ يذمُّ الدنيا:

حتوفُها رَصَدٌ وعيشُها رنقُ ❊ وكرُّها نكدٌ ومُلكُها دولُ[1]

وحُكيَ عن بعضهم أنَّه قال: من كانت الدنيا همَّه، طالَ فيها غمُّه[2].

فَصْلٌ
في بيانِ قولهِ تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان: ٦٧].

الإسراف: الزيادةُ علىٰ العدل، والإقتار: النقصانُ منه، فأمرَ الله تعالىٰ بالعدلِ والاقتصادِ في النفقة، وقد قالَ ﷺ لهند بنتِ عتبة لمَّا شكتْ إليه شحَّ أبي سفيان: إنَّه لا يعطيني ما يكفيني وولدي، أفآخذُ من ماله: «**خذي ما يكفيكِ وولدَكِ بالمعروف**»[3].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾ [لقمان: ١٥].

فعلىٰ ذي العَيلةِ أن ينفقَ عليهم بالمعروف، لا [١١٠/أ] سرفاً ولا إقتاراً.

---

(١) المحاسن والأضداد ص ١٦٦، المدهش ص ١٩٤، عيون الأخبار ٣٥٤/٢. ولفظه من المصدر الأخير.

(٢) ذم الدنيا (٢٩٤)، تاريخ مدينة دمشق ٢٤٤/٦٧. والقول لأبي معاوية الأسود.

(٣) صحيح البخاري (٥٣٦٤، ٧١٨٠).

والقتَرة: الدخان، والإقتارُ شبَّهَ به في الإضرار.

وحُكيَ أنَّ عمر بنَ عبدالعزيز كان إذا دخلَ على عبدالملك بن مروان ـ وكان عمرُ صهرَهُ وابنَ أخيه ـ فكلَّمَهُ استحسنَ كلامَه، فحسدَهُ على ذلك أولادُ عبدالملك، فقالوا: إنَّ عمر يُعَدُّ ما يتكلَّمُ به عندك. فدخلَ عليه عمرُ يوماً، فقالَ له: يا عمر، كيف نفقتك؟ فقال: حسنةٌ بين سيئتينِ يا أميرَ المؤمنين، فاستحسنَ ذلك منه، وقال: هل أَعَدَّ هذا[1]؟!

ومعنى قولِ عمرَ رضي الله عنه أنَّها ليستْ سرَفاً ولا إقتاراً.

وقد حُكي عن ابنِ عباس رضي الله عنه في هذه الآية أنَّ الإسرافَ الإنفاقُ في المعاصي، والإقتارَ منعُ حقوقِ الله تعالى في المال[2]. والتفسيرُ الأولُ أظهر؛ فإنَّ الله تعالى قالَ في آيةٍ أخرى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، فنهى تعالى عن بسطِ اليدِ في الإنفاقِ لئلّا يقعدَ محسوراً بغيرِ مال، فلم يتضمَّنْ نهيهُ أنَّه يسبِّبُ الإنفاقَ في المعاصي.

ومثلُ ذلك قولهُ تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾ [النساء: ٥]، وذلك أنَّ مَن له بضاعةٌ يتَّجرُ بها وينفقُ على نفسهِ وعائلته[3] فضلَها، لا ينفقُها إسرافاً ويقعدُ محتاجاً إلى الصدقة، ولا ينفقُ أيضاً إقتاراً ليزيدَ بضاعتَهُ

(١) نفائس الأصول للقرافي ٣٦٠١/٦.

(٢) قول ابن عباس كما في تفسير الطبري: «هم المؤمنون لا يسرفون فينفقون في معصية الله، ولا يُقترون فيمنعون حقوق الله تعالى».

(٣) في الأصل: وعيلته. والعيلة كما سبق بيانه تعني الفقر والحاجة.

ويُكثِرَ ماله، فإن لم يفِ كسبهُ بنفقتهِ أنفقَ بالعدل، ووثقَ برزقهِ [١١٠/ب] من الله تعالىٰ؛ فإنَّ الله تعالىٰ قد جعلَ لمن لا يكتسبُ ما يكفيهِ حظًّا من الصدقة، فأمَّا من ضاقَ عليه مكتسبهُ ولم يُدفَعْ إليه حقُّهُ من الصدقات، فلينفقْ ما يجد، ويصبرْ علىٰ ذلك، ويرضَ بحاله؛ ليدَّخِرَ ثوابَ ذلك وأجرَه.

وقد روتْ عائشة ﵂، قالت: **ما شبعَ رسولُ الله ﷺ من خبزِ بُرٍّ ثلاثةَ أيَّامٍ تباعاً حتَّىٰ مضَىٰ لسبيله**(١).

وروىٰ هنادٌ بإسنادِهِ عن النعمان بن بشير أنه كان يقول: ألستم في طعامٍ وشرابٍ ما شئتم؟ **لقد رأيتُ نبيَّكم ﷺ وما يجدُ من الدقَلِ ما يملأُ بطنه**(٢).

وروىٰ هناد قال: حدَّثنا حاتم بن إسماعيل(٣)، عن محمَّد بن عجلان، عن القعقاع بن حكيم، عن القاسم بن محمَّد، عن عائشة أنَّها قالت: إنْ كان ليأتي علينا الشهرُ ونصفُ الشهرِ ما يدخلُ بيتَنا نارٌ لمصباحٍ ولا غيره، قال: قلت: سبحانَ الله! فبأيِّ شيءٍ كنتم تعيشون؟ قالت: بالتمرِ والماء، وكان لنا جيرانٌ من الأنصارِ ـ جزاهم الله خيراً ـ كانت لهم منائح، فربَّما أرسلوا إلينا بالشَّيء(٤).

---

(١) صحيح البخاري (٥٤٢٣، ٥٤٣٨، ٦٦٨٧)، صحيح مسلم (٢٦٧٠، ٢٩٧١)، الجوع (٦)، مسند إسحاق بن راهويه (١٥٥٣)، الزهد لهناد ٢/٣٧٦، ولفظه من الأخير.

(٢) الزهد لهناد ٢/٣٧٦، صحيح مسلم (٢٩٧٧). والدقل: أردأ التمر.

(٣) في الأصل: جابر بن إسماعيل. وتصحيحه من مصدره.

(٤) الزهد لهناد ٢/٣٧٧، وبمعناه في صحيح البخاري (٦٤٥٩)، وصحيح مسلم (٢٩٧٢).
والمنيحة: الناقة الممنوحة، وكذلك الشاة، ثم سميت بها كل عطية، أن يعطي الرجل النخلة لآخر ليأكل ثمرتها، أو البقرة ليحتلب لبنها، فإذا انقطع ردَّها. معجم الفقهاء ص ٤٦٦.

وحُكي عن عمر بن عبدالعزيز رحمةُ الله عليه، أنَّه دخلَ إليه يوماً مسلمة بنُ عبدالملك(١) وهو جالسٌ بعد صلاةِ الصُّبحِ في محرابه، فإنَّه كان لا يتكلَّمُ إلَّا بذكرِ الله تعالىٰ حتَّىٰ تطلعَ الشَّمس، وكان بين يدي عمرَ صينيةٌ فيها تمرٌ صيحاني، فأخذَ عمرُ في يدهِ كفًّا منه وقال: يا مسلمة، أيكفي هذا رجلاً [١١١/أ] مسلماً يأكلهُ في يومه، ويشربُ فوقهُ الماء؟ فسكتَ مسلمة، فرفعُ عمرُ فوق يدهِ شيئاً آخرَ من التمرِ وقال: أيكفي هذا رجلاً مسلماً يأكلهُ في يومهِ ويشربُ عليه الماء؟ فقالَ مسلمة: نعم يا أميرَ المؤمنين، فقالَ عمرُ ﷺ: فعلامَ يدخلُ الناسُ النار(٢)؟!

ومعنىٰ هذا أنَّ من يكفيهِ هذا القدرُ يعيشُ به، فما بالهُ يطلبُ زيادةً علىٰ حاجتهِ حتَّىٰ يُدخلَهُ ذلك النَّار؟!

وحُكيَ عن داود الطائي رحمه الله(٣)، أنَّه كان معه ثلاثةَ عشرَ ديناراً، أنفقَها في عشرين سنة، وكان قوتهُ كلَّ يومٍ رغيفًا مدقوقًا(٤) يشربهُ بالماء، فقالت له والدته: يا بني، ألا أكلتَهُ رطباً! فقال: نظرتُ بين أكلي له رطباً وشربي له فتيتاً قراءةَ خمسين آية، ولم أكنْ لأضيعَ تلاوةَ خمسين آية(٥).

---

(١) الأمير الأموي. ويلقب بالجرادة الصفراء. كان موصوفًا بالشجاعة والإقدام، والرأي والدهاء. ولي أرمينية وأذربيجان مرات، وإمرة العراقَين، وغزا القسطنطينية في خلافة أخيه سليمان. وهو أخو فاطمة زوجة عمر بن عبدالعزيز. ت ١٢١ هـ. العبر ١/١١٨..

(٢) الزهد لعبدالله بن المبارك (٧٨٣)، الورع لابن حنبل (٣٣٠).

(٣) داود بن نصير الطائي، أو سليمان. سمع الحديث وتفقه، ثم اشتغل بالتعبد. وكان يجالس أبا حنيفة رحمه الله. أسند عن جماعة من التابعين، وتوفي سنة ١٦٥ هـ في خلافة المهدي. صفة الصفوة ٣/١٣١.

(٤) في الأصل: رغيف مدقوق.

(٥) شعب الإيمان (٥٣٠٢)، تنبيه النائم ص ٦٠، حلية الأولياء ٧/٣٥٠، صفة الصفوة ٢/٨١.

وهذا ـ عافاكَ الله ـ مقامُ العاملين العارفين.

وقد رويَ عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أنَّه قيل له: يا أميرَ المؤمنين، لو ألنتَ من طعامِكَ وشرابك، فإنَّ المسلمين محتاجون إلىٰ صلاحك، فقال: إنِّي أعلمُكم برقيقِ العيش، لبابُ البُرِّ، وصغارُ المعز، ولكن رأيتُ الله عز وجل عابَ علىٰ قومٍ أكلوا شهواتهم في الدنيا فقال: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠][(١)].

وحُكيَ أنَّه اجتمعَ عليٌّ وعثمانُ وطلحةُ والزُّبيرُ رضي الله عنهم، فتذاكروا أمرَ عمرَ رضوانُ الله عليه، وزيادةَ عَيلته، فقالوا: قد كثرتْ عيلته، [١١١/ب] فلو زدناهُ في عطائهِ من مالِ المسلمين ليكفيَهُ ذلك، فقالَ بعضهم: لا تذكروا له شيئاً فإنَّه لا يؤمَنُ سخطه، ولكن ائتوا حفصةَ فاذكروا لها فتذكرهُ له. فأتَوا حفصةَ أمَّ المؤمنين رضي الله عنها، فذكروا ذلك لها، وقالوا لها: لا تُعلِميهِ مَن ذكرَ ذلك حتَّىٰ تنظري ما عنده. فلمَّا دخلَ عليها عمرُ رضي الله عنه ذكرتْ ذلك له ولم تسمِّهم، فقال: من قالَ هذا؟ فقالت: لا سبيلَ إلىٰ علمِهم حتَّىٰ أعلمَ رأيك، فقال: والله لو عرفتُهم لسؤتهم[(٢)]، أنتِ بيني وبينهم، أَنشدُكِ الله، ما أفضلُ ما اقتنىٰ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في بيتكِ من الملبس؟ قالت: ثوبين ممشَّقين، كان يلبَسُهما للوفود، ويخطبُ فيهما للجُمَع، قال: وأيُّ طعامٍ نالَهُ عندكِ أرفع؟ قالت: خبَزنا خبزةَ شعير، صبَبنا عليها وهي حارَّةٌ عُكَّة لنا، فجعلناها هشَّةً دسمةً حلوة[(٣)]، فأكلَ منها واستطابه. قال: فأيُّ مبسطٍ كان يَبسطهُ عندكِ كان أوطأ؟ قالت: كساءٌ لنا

---

(١) كتاب التوابين ص ١١٠، الآداب الشرعية ٣/٢٠٣.

(٢) في الأصل: لساتهم.

(٣) في الأصل: فجعلنا هشا دسما حلوا. ولا يوجد في المصدرين «حلوًا».

ثخين، كنَّا نُربعهُ[1] في الصيف فنجعلهُ تحتنا وطاء، فإذا كان الشتاءُ انبسطنا نصفَهُ وتدثَّرنا بنصفه. قال: يا حفصة، أبلِغيهم عنِّي أنَّ رسولَ الله ﷺ قدرَ فوضعَ الفضولَ مواضعَها[2]، وتبلَّغَ بالتزجية، وإنَّما مثَلي ومثَلُ صاحبيَّ كثلاثةٍ سلكوا طريقاً، فمضَىٰ الأولُ وقد تزوَّدَ زاداً فبلَغ، [١١٢/أ] واتَّبعَهُ الآخرُ فسلكَ طريقَهُ فأفضَىٰ إليه، ثمَّ اتَّبعَهُ الثالث، فإن لزمَ طريقَهما ورضيَ بزادِهما لحقَ بهما، وإن سلكَ غيرَ طريقِهما لم يجامعْهُما[3].

وروىٰ هنادٌ بإسنادِهِ عن ابنِ عمر، أنَّه سمعَ رجلاً يقول: أين الزاهدون في الدنيا، الراغبون في الآخرة؟ فأراهُ قبرَ النَّبيِّ ﷺ وأبي بكرٍ وعمرَ ﵄، ثمَّ قال: عن هؤلاءِ تسأل[4].

وروىٰ هناد عن أبي معاوية، عن جويبر، عن الضَّحَّاكِ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**يقولُ الله تعالىٰ: ثلاثٌ من النعمِ لا أَسألُ عبدي عن شكرهنَّ، وأسألهُ عمَّا سوىٰ ذلك: بيتٌ يكنُّه، وما يقيمُ صُلبَهُ من الطعام، وما يواري به عورتَهُ من اللِّباس**»[5].

وينبغي أن يكونَ شكرُ ذلك أداءَ حقوقِ المال، والقَدْرُ الذي يحتاجُ إليه

---

(١) في الأصل: نرفعه.

(٢) في الأصل: قدر فوضع، ووضع الفصول مواضعها. والمثبت من تاريخ الرسل.

(٣) تاريخ الرسل والملوك ٣/٦١٦، أنساب الأشراف ١٠/٣٧٦.
والثوب الممشق: هو المصبوغ بالمِشق، وهو طين أحمر. العين ٥/٤٧. والعكة: الزق الصغير للسمن. معجم لغة الفقهاء ص ٣١٨. والتزجية: دفع الشيء، والمزجىٰ: القليل، وكذلك المزجاة. المحيط في اللغة ٢/١٣٠.

(٤) الزهد لهناد ١/٣١٤، ولأحمد (٢٣٦٥)، شعب الإيمان (١٠٠٤١).

(٥) الزهد لهناد ١/٣١٧. وذكر محققه أن إسناده ضعيف جدًّا. (وقد سبق تخريجه بهذا).

لا حقَّ عليه فيه، لا واجبٌ ولا ندب.

فَصْلٌ

[في حدِّ الزهد]

حُكيَ عن بعضِ الزُّهَّاد أنَّه قال: ليسَ الزَّاهدُ من لا يملكُ شيئاً، إنَّما الزَّاهدُ الذي لا يمكلهُ شيء(١).

وهذا ـ عافاكَ الله ـ كلامٌ صائب، فإنَّ من لا يملكهُ شيءٌ لا يطلبُ الأشياء، ولا يمنعُها إذا وجدها، وهذا هو الزُّهدُ في الدنيا، فإنَّ من ملكَ شيئاً وأمسكَهُ لمنفعةٍ تصلحهُ لا لشهوتهِ فيه وميلهِ إليه؛ فهو زاهد. وهذا كما يحُكىٰ أنَّ سفيان الثوري كان له بضاعةٌ يحصلُ له من ربحِها ما يمونه، وكان يقول: لولا هذه لتلاعبوا [١١٢/ب] بنا هؤلاء. يعني السلاطين(٢).

فإذا كان له شيءٌ يمسكهُ لأنَّ به حاجةً إليه أمسكَهُ لحاجته، ولم يتطلَّعْ إلىٰ زيادةٍ في ذلك فهو زاهدٌ في الدنيا. وهذا معنىٰ قولهِ ﷺ: **«لا صدقةَ إلَّا عن ظهرِ غِنىٰ»**(٣).

فإنَّه إذا كان محتاجاً إلىٰ شيءٍ وقفَهُ علىٰ حاجتهِ ولم يتصدَّقْ به، وإنَّما

---

(١) قوت القلوب ١/٤٤٧. وهو من قول أبي يزيد البسطامي.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٤/٣٨٢.

(٣) رواه أحمد في المسند (٧١٥٥) وذكر الأرناؤوط أن إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم، ورواه أبو يعلىٰ في مسنده (٢٢٢٠) وذكر محققه حسين أسد أن رجاله ثقات، وأورده البخاري معلقًا، باب قوله تعالىٰ: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾.

يتصدَّقُ بما زادَ علىٰ قدرِ حاجته.

❁ **فإن قالَ قائل**: فقد رويَ عن أبي بكر خلافُ ذلك، فإنَّه رويَ أنَّ رسولَ الله ﷺ أمرَ بالصدقة، فجاءَهُ عمرُ رضوانُ الله عليه بنصفِ ماله، فقالَ له ﷺ: «**ما أبقيتَ لعيالك**»؟ فقال: مثلَهُ يا رسولَ الله، فجاءَهُ أبو بكر بجميعِ ماله، فقالَ له ﷺ: «**ما أبقيتَ لعيالِكَ يا أبا بكر**»؟ فقال: اللهَ ورسولَه، فقالَ عمر: والله لا أسابقُ أبا بكرٍ قطّ. ولم يمنعْ ﷺ أبا بكرٍ رضي الله عنه من التصدُّقِ بجميعِ ماله(١).

❁ **والجواب**: أنِّي ذكرتُ صفةَ الزاهد، وأمَّا هذه الحالُ فحالُ التوكُّلِ والإيثار، وهو أشرف، ألا ترىٰ قولَهُ تعالىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾؟ [الحشر: ٩].

ومن صرفَ ما وجدَهُ في حاجته، ورفعَ به خَلَّته(٢)، لم يحطَّهُ ذلك عن الزهد، وإن كان إذا آثرَ به كان مُؤثِراً ممدوحاً، فقد بانَ في ذلك من الدنيا، فإن كان لا يسعىٰ في طلبِ الزِّيادة، إلَّا أنَّه إذا وجدَها أمسَكها، فإن كان [١١٣/أ] تركُهُ للسعي فيها عجزاً أو توانيًا(٣) فليس بزاهد، وإن كان لقلَّةِ رغبةٍ فيها، ويمسكُ الموجودَ لشهوته، فمنزلتهُ دونَ منزلةِ الزاهدِ المقدَّمِ ذكره، وإن كان لا يطلبُ ولا يجد، إلَّا أنَّ له همَّةً يشتهيها، فهو دون منزلةِ الزاهدِ أيضاً، وإنَّما يكونُ ذلك أولَ درجِ الزهد؛ لأنَّه يريدُ الزهد، فإنَّ القلوبُ والأهواءَ لا يملكها

---

(١) بلفظ «ما أبقيت لأهلك» رواه أبو داود في السنن (١٦٧٨) وحسنه الشيخ شعيب، ورواه الترمذي (٣٦٧٥) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) الخَلَّة: الحاجة.

(٣) في الأصل: توان.




العبد ، وإنَّما يتسبَّبُ إلىٰ ذلك بإذكارِ نفسهِ واعتيادِ التَّرك .

وقد حُكيَ عن بعضِ الرهبانِ أنَّه قيلَ له: يا راهب ، أنت في الصومعةِ وقلبُكَ في الصومعة ، أو قلبُكَ خارجَ الصومعة ؟ فقال: بل أنا في الصومعةِ وقلبي خارجَ الصومعة ، فقيل له: فما ينفعُكَ كونَكَ في الصومعةِ وقلبُكَ خارجها[١] ؟ فقال: أحبسُ الظاهرَ إلىٰ أن ينحبسَ الباطن .

وهذا قولٌ صحيح ؛ لأنَّ مَن نفسُهُ طلَّاعة ، عليه التوصُّلُ إلىٰ ردِّها بحبسِ ظاهره ، واعتيادِ فقدهِ الأشياء ، وصبرهِ عنها ، وهذا معنىٰ ما رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ الله تعالىٰ يحمي عبدَهُ الدنيا كما تحمون مريضَكم الطعامَ والشراب**»[٢] .

وروىٰ هناد بإسنادهِ عن الحسن ، عن النَّبيِّ ﷺ ، أنَّه جاءَ إلىٰ أهل الصُّفَّةِ فقال: «**كيف أصبحتم**» ؟ فقالوا: بخير ، فقال: «**أنتم اليومَ خيرٌ أم إذا غُدِيَ علىٰ أحدِكم بجَفنةٍ ورِيْحَ عليه بأخرىٰ ، وسَترَ أحدُكم بيتَهُ كما تُسترُ** [١١٣/ب] **الكعبة**» ؟ فقالوا: يا رسولَ الله ، ذاك ونحن علىٰ ديننا ؟ قال: نعم . قالوا: فنحن يومئذٍ خير ، نُصيب ، فنتصدَّقُ ونَعتق[٣] ، فقال: «**بل أنتم اليومَ خير ، إنَّكم إذا طلبتُموها تقاطَعتم وتحاسَدتم وتدابَرتم وتباغَضتم**»[٤] .

---

(١) هكذا وردت معاملة (خارج) في النص ، وهو ظرف مكان مختص فلا بد من أن يجر بحرف الجر (في) ، فيقال: هل قلبك في خارج الصومعة ، وكذلك الداخل .

(٢) مسند أحمد (٢٣٦٢٧) وذكر محققه الأرناؤوط أنه حديث صحيح ، وأن إسناده جيد ، شعب الإيمان (٩٩٦٦) ومنه لفظه . وهو من رواية محمود بن لبيد .

(٣) في الأصل: فنصدق وننفق . والمثبت من مصدريه .

(٤) الزهد لهناد ٢/٣٩٠ ، وذكر محققه الفريوائي أن إسناده ضعيف ، حلية الأولياء ١/٤١٧=




وأُتيَ رسولُ الله ﷺ بطعامٍ بعد عَتَمة ، فأرسَل إلىٰ قومٍ دونَ قوم ، فلمَّا أصبحوا تذاكروا ذلك ، فخرجَ إليهم يعتذر ، فقال: «**أُتينا بطعامٍ بعد عَتَمة ، فأرسلنا إلىٰ أقوامٍ غيرُهم أحبُّ إليَّ منهم ؛ مخافةَ هلعِهم وجوعِهم ، وأَكِلُ أقواماً إلىٰ فضلِ ما عندهم من اليقين**»[1] .



= بإسناده إلىٰ هناد. والحديث من مراسيل الحسن رحمه الله.

(١) الزهد لهناد ٢/٣٩١. وهو من رواية الحسن أيضًا. وللحديث رواية أخرجها البخاري بلفظ آخر لعمرو بن تغلب رضي الله عنه ، تنظر في صحيح البخاري (٧٥٣٥).

بَابٌ
في التوكُّل

التوكُّلُ على الله ﷻ هو تفويضُ الأمرِ إلى الله ﷻ، والثقةُ بحسنِ تدبيره. وأصلهُ الاتِّكالُ عليه. ومنه اشتُقَّتِ الوكالة، فإنَّ الموكِّلَ يفوِّضُ الأمرَ إلى الوكيل، قالَ الله ﷻ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**لو اتَّكلتُم على الله حقَّ توكُّلِهِ لغذّاكم كما يغذِّي الطير، تغدو خِماصاً، وتَروح بِطاناً**»[(١)].

وحُكيَ عن سعيد بن جبير أنَّه قال: التوكُّل على الله جماعُ الإيمان[(٢)].

روى وكيع عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية[(٣)] قال: ضمنَ الله تعالى لمن توكَّلَ عليه أن يَكفيه، ثمَّ قرأ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

قال أبو معاوية: حدَّثنا الأعمش، [عن مسلم]، عن [١١٤/أ] مسروق في

---

(١) لم أعرف مصدر لفظ المؤلف. ولفظه المشهور: «لو توكلتم على اللهِ حقَّ توكُّله، لرزقكم كما تُرزَقُ الطير، تَغدو خِماصًا، وتَروحُ بِطانًا»، الذي رواه الترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، وصححه لهما الألباني، كما صححه الأرناؤوط لأحمد (٣٧٠).

(٢) الزهد لهناد ١/٣٠٤، والزهد لأحمد ـ الزوائد (٦٨).

(٣) أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري. أدرك الجاهلية، وأسلم بعد موت النبي ﷺ بسنتين، ودخل على أبي بكر الصديق، وصلى خلف عمر. كان عالمًا بالقرآن، ولم يكن له رواة فذهب علمه. وهو ثقة، مجمع على ثقته. ت ٩٠ هـ. تهذيب الكمال ٩/٢١٤.

قولهِ تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] قال: مخرجهُ أن يعلمَ أنَّ الله هو يرزقه، وهو يعطيه، وهو يمنعه، قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ قال: ليسَ كلُّ من توكَّلَ عليه كفاه، إلَّا أنَّ من يتوكَّلْ [علىٰ الله] ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [الطلاق: ٥]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣] فيمن توكَّلَ عليه وفيمن لم يتوكَّلْ عليه، ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ قال: أجلاً ووقتاً(١).

ومعنىٰ ما ذكره، أنَّ توكُّلَهُ علىٰ الله إنَّما هو الرضا بما يدبِّرهُ له، إمَّا أن يدفعَ عنه في الدنيا، أو يثيبَهُ علىٰ ما يصيبهُ في الأخرىٰ، وليس يجبُ أن يدفعَ عنه ما يستدفعهُ بالتَّوكُّل؛ لأنَّه قد يكونُ الثوابُ خيراً له. وفي معنىٰ هذا قولهُ تعالىٰ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ معناه: يكتبُ لنا ثوابَهُ وعوضه(٢)، ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، فأثبتَ لهم التوكُّلَ مع ما يصيبهم.

وقد أبانَ ذلك بقولهِ تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ [التوبة: ٥٢]، ومعنىٰ ذلك أنَّكم تربَّصون بنا أو تظفرون(٣) بنا فيكونُ ذلك لنا حسنة؛ لأنَّ الله تعالىٰ يجازينا عليه ويعوِّضُنا خيراً ممَّا أصابنا، أو نظفرُ بكم فيحصلُ لنا الغنيمةُ والأجر، ونحن نتربَّصُ بكم أن يصيبَكم الله بعذابٍ من عنده إن ظفرتم بنا،

(١) شعب الإيمان (١٢٢٨)، النكت والعيون للماوردي ٦/٣١.
(٢) عامة المفسرين علىٰ أن المقصود هو ما قضاه الله لنا وقدَّره في اللوح المحفوظ.
(٣) في الأصل: تظفروا.

أو بأيدينا إن ظفرنا بكم.

روىٰ الشعبي عن عبدالله بن [١١٤/ب] عمرو قال: لمَّا أُلقي إبراهيمُ عليه السلام في النيرانِ قال: حسبيَ الله ونعمَ الوكيل[١].

روىٰ عكرمة عن ابنِ عباس في قولهِ تعالىٰ: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] قال: ليسَ من أحدٍ إلَّا وهو يفرحُ أو يحزن، ولكن يجعلُ الفرحَ شكراً، والمصيبةَ صبراً[٢].

وروىٰ معاوية بن قرَّة قال: لقيَ عمر بنُ الخطَّاب رضي الله عنه أناساً من أهلِ اليمن، فقال: ما أنتم؟ فقالوا: نحن متوكِّلون، قال: كذبتم، أنتم متأكِّلون، ألا أخبركم بالمتوكِّل؟ رجلٌ ألقىٰ حَبَّهُ في بطنِ الأرض، وتوكَّلَ علىٰ ربِّه[٣].

ومعنىٰ هذا أنَّ من أظهرَ الفقرَ والتوكُّلَ فإنَّما يستطعمُ النَّاس، فهو متأكِّل، ومن طلبَ الرزقَ بالتوكُّلِ فهو[٤] يَبذرُ الأرضَ ويتوكَّلُ علىٰ ما ضمنَهُ الله تعالىٰ له من الرزق، فإنَّ الله تعالىٰ هو الذي يُنبتُ الزَّرعَ ويرزقهُ منه، وكذلك التاجرُ يشتري المتاع، ويطلبُ فضلَ الله تعالىٰ فيه، ويتوكَّلُ عليه في تيسيرِ رزقهِ منه، فلو أنَّ رجلاً جلسَ في بيتهِ ليس له ما يأكله، ولا يعرفُ أحدٌ حالَهُ حتَّىٰ هلكَ

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ وليس عن ابن عمرو ـ قال: كان آخرَ قولِ إبراهيمَ حين أُلقِيَ في النّار: حَسْبِيَ اللَّهُ وِنعْمَ الوَكِيلُ. صحيح البخاري (٤٥٦٤). ويرد في بعض الكتب حديثًا مرفوعًا، وقد حكم عليه الألباني بالوضع في السلسلة الضعيفة (٧٨٨)، وفي ضعيف الجامع (٥).

(٢) تفسير السمرقندي بحر العلوم ٣/٣٨٨، ومن قول عكرمة في مصادر تفسيرية أخرىٰ، منها تفسير ابن كثير ٨/٥٩، وتفسير البغوي ٥/٣٢.

(٣) ربيع الأبرار ٤/٣٠٢.

(٤) في الأصل: وهو، وعدِّل لأجل استقامة الجملة ودلالتها.

كان آثماً، جانياً علىٰ نفسه؛ لأنَّ الله تعالىٰ لا يخرقُ العادةَ إلَّا علىٰ سبيلِ المعجزةِ والكرامة، وهذا ليس لأحدٍ أن يعتمدَ عليه، فإن كان رجلًا معروفًا[1] بالحاجة، فإذا جلسَ في بيتهِ وتوكَّلَ علىٰ الله تعالىٰ جاز؛ لأنَّ ذلك طريقٌ إلىٰ حصولِ [١١٥/أ] الرزقِ له من غيرِ خرقِ العادةِ فيه، فإن تأخَّرَ عنه، لزمَهُ أن يطلبَ لنفسهِ ويُعلِمَ الناسَ بحاله.

يبيِّنُ ذلك أنَّ موسىٰ والخضرَ عليهما السلام لمَّا دخلا القريةَ استطعما أهلَها، فأبَوا أن يضيِّفوهما، ولو كان لهما طريقٌ إلىٰ حصولِ الرزقِ بغيرِ ذلك لم يفعلاه[2].

❁ فإن قالَ قائل: يحتملُ أن يكونَ فَعلَ ذلك الخضرُ ليبيِّنَ لموسىٰ عليهما السلام تأويلَ ما فعلَهُ من إقامةِ الحائط.

❁ والجواب: أنَّه لو كان كذلك لانفردَ له الخَضِرُ عليه السلام كما انفردَ بإقامةِ الجدارِ دونَ موسىٰ عليه السلام، ولكان موسىٰ عليه السلام ينكرُ ذلك عليه كما أنكرَ عليه ما فعلَهُ من خرقِ السفينة، وقتلِ النَّفس، وإقامةِ الجدار.



(١) في الأصل: رجل معروف.

(٢) قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾ [الكهف: ٧٧].

باب
العبادة

قالَ الله تعالى لنبيِّهِ ﷺ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] يعني الموت[١].

وقالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وقالَ تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص: ٤٥ ـ ٤٧].

قالَ ابنُ عباس: ﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ الأيدي: القوةُ في العبادة، والأبصار: الفقهُ في الدِّين، وقيل: ﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي﴾: [١١٥/ب] أولي الأعمالِ الصالحة[٢].

وقولهُ تعالى: ﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾: أخلصَهم لنعيمِ الجنانِ بلطفهِ[٣] بخالصةِ ذكرِ الدار: العملِ للدارِ الآخرة.

حدَّثنا أبو محمَّد الجوهريُّ قال: حدَّثنا ابن حيوة[٤]، حدَّثنا ابن صاعد،

(١) تفسير ابن كثير ٤/٤٧٤.
(٢) ينظر في هذا تفسير الطبري ٢٠/١١٥، وتفسير ابن فورك ٢/٢٩٢.
(٣) هذا من التبيان للطوسي، عند تفسير الآية.
(٤) هكذا، وكتابته «ابن حيُّويه»: وهو أبو عمر محمد بن العباس الخزاز. تحدث عنه محقق الزهد لابن المبارك (الأعظمي) في مقدمته.




حدَّثنا الحسين بن الحسن المروزي قال: أخبرنا ابنُ المباركِ قال: أخبرنا عبدالله بن سعيد بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن عباس قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«نعمتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ من النَّاس: الفراغ، والصِّحَّة»**(١).

حدَّثنا الجوهري، حدَّثنا ابن حيُّويه(٢) عن ابن صاعد قال: حدَّثنا الحسين قال: أخبرنا ابن المبارك قال: أخبرنا جعفر بن برقان، عن زياد بن الجرَّاح، عن عمرو بن ميمون قال: قالَ رسولُ الله ﷺ لرجلٍ وهو يعظه: **«اغتنمْ خمساً قبل خمس: شبابكَ قبلَ هرمِك، وصحَّتكَ قبلَ سَقَمِك، وغِناكَ قبلَ فقرك، وفراغكَ قبلَ شُغلك، وحياتكَ قبلَ موتِك»**(٣).

وروىٰ ابنُ المبارك أيضاً بإسنادهِ عن أبي هريرة، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«ما ينتظرُ أحدُكم إلَّا غنًىٰ مُطغياً، أو فقراً مُنسِياً، أو مرضاً مُفسِداً، أو هَرماً مُفنِّداً، أو موتاً مُجهِزاً، أو الدَّجَّال، والدَّجَّالُ شرُّ غائبٍ يُنتظَر، أو السَّاعة، والسَّاعةُ أدهَىٰ وأمرُّ»**(٤).

---

(١) الحديث الأول من كتاب الزهد لابن المبارك، كما صدَّر به البخاري كتاب الرقاق في جامعه الصحيح (٦٤١٢).

(٢) في الأصل: أبو حـمـوه.

(٣) الحديث الثاني من كتاب الزهد لابن المبارك، وقد صحح الألباني إسناده في تخريج مشكاة المصابيح (٥١٠٢) وفي صحيح الجامع (١٠٧٧) عن ابن عباس. وعن ابن عمرو بن ميمون يكون مرسلًا.

(٤) الزهد لابن المبارك (٧)، المستدرك للحاكم (٧٩٠٦) وصححه علىٰ شرط الشيخين، قال الذهبي تعقيبًا عليه: إن كان معمر سمع من المقبري فهو صحيح علىٰ شرط البخاري ومسلم. مسند أبي يعلىٰ الموصلي (٦٥٤٢) وذكر محققه حسين أسد أن رجال إسناده ثقات. [وفيه معمر عن المقبري]، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٣١٥).

وهذه الأخبارُ حثٌّ[1] علىٰ العملِ بما يعرفهُ الإنسانُ من أحوالِ الدنيا، فإنَّ من تمكَّنَ من عملٍ صالحٍ يعملهُ لنفسه، فأخَّرَ ذلك ليعملَهُ في مستقبله، كان تاركاً لحظِّ نفسهِ [١١٦/أ] في وقته، وغيرَ واثقٍ بالإمكانِ في غده، فإنَّ الغنيَّ يفتقر، والقويَّ يَضعف، والصحيحَ يَسقم، والشَّابَّ يَهرم، والموتَ يَخترم، فلم يأخذْ بالوثيقةِ لنفسه، بل ضيَّعَ الحزمَ بتركِ عملهِ في اليومِ إلىٰ غد. وكان عون بنُ عبدالله يقول: كم من مستقبِلِ يومٍ لا يَستكمله، ومنتظرِ غدٍ لا يَبلغه، لو تنظرون إلىٰ الأجلِ ومسيره، لأبغضتمُ الأملَ وغروره[2].

وروىٰ ابن المبارك بإسنادهِ عن ابن عمر قال: أخذَ رسولُ الله ﷺ ببعضِ جسدي فقال: «**كنْ كأنَّك غريبٌ في الدنيا، أو عابرُ سبيل، وعُدَّ نفسكَ في أهلِ القبور**»[3].

قال: وقالَ ابنُ عمر: إذا أصبحتَ فلا تحدِّثْ نفسكَ بالمساء، وإذا أمسيتَ فلا تحدِّثْ نفسكَ بالصَّباح، وخُذ من صحَّتِك قبلَ سقمِك، ومن حياتِكَ قبل موتِك، فإنَّك لا تدري يا عبدَ الله ما اسمُكَ غداً[4].

وقيل: مكتوبٌ في التوراة: ابنَ آدم، أقبلْ علىٰ عبادتي أملأْ قلبكَ غنًىٰ، وأسدَّ فقرَك، وإن لا تفعلْ أملأْ قلبكَ شُغلاً، ولا أسدُّ فقرَك[5].

(١) في الأصل: حثا.

(٢) قصر الأمل (٥٨، ١٠٨)، صفة الصفوة ١٠٣/٣.

(٣) الزهد لابن المبارك (١٣)، صحيح البخاري (٦٤١٦)، قصر الأمل (١، ٢).

(٤) الزهد لابن المبارك (تابع للرقم ١٣)، قصر الأمل (تابع للرقم ١)، شعب الإيمان (٩٧٦٦)، سنن الترمذي (٢٣٣٣) وأشار إلىٰ أنه يرد مرفوعًا أيضًا، كما رفعه أبو نعيم في الحلية ٣١٢/١.

(٥) الزهد لهناد ٣٥٤/٢، ولأحمد (٥٠٥).




وروى أبو صالح عن ابنِ عباس أنَّه قال: كلُّ أهلِ سماءٍ أشدُّ عبادةً من الذين دونهَم، وأهلُ السماءِ السابعةِ كلامُهم التهليل، وهم أشدُّ أهلِ السماواتِ عبادة، وإذا كان يومُ القيامةِ قالوا: سبحانك، ما عبدناكَ حقَّ عبادتك[1].

وروى أبو هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ [١١٦/ب] كان يصلِّي حتَّى ورمتْ قدماه، فقيلَ له: يا رسولَ الله، أليسَ قد غفرَ الله لكَ ما تقدَّمَ من ذنبِكَ وما تأخَّر؟! فقال: «**أفلا أكونُ عبداً شكوراً**»[2]؟

وبيانُ ذلك أنَّ العملَ الصالحَ شكر[3]، قالَ الله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

وقد حثَّ الله تعالى نبيَّهُ ﷺ على العمل، ووعدَهُ عليه الرفعةَ والكرامة، قالَ الله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، والنافلة: الزيادةُ في الطاعةِ المندوبِ إليها، والمقامُ المحمود: قيلَ إنَّه الشفاعة، وقيل: لواءُ الحمد، والتهجُّد: التيقُّظُ بما ينفي النَّوم، والهجود: النوم.

---

(١) في حديث لم أقف على درجته، رواه السمرقندي في تنبيه الغافلين (٥٨٧) رفعه عدي بن أرطاة: «إن لله ملائكة في السماء السابعة سجودًا منذ خلقهم الله إلى يوم القيامة، ترعد فرائصهم من مخافة الله، فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم، وقالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك».

(٢) سنن ابن ماجه (١٤٢٠)، وصححه له الألباني، وقال الحافظ الهيثمي: روي بأسانيد ورجال أحدها رجال الصحيح. مجمع الزوائد ٢/٢٧٤. وأخرجه البخاري من رواية المغيرة بن شعبة (٦٤٧١)، ومسلم كذلك (٢٨١٩).

(٣) في الأصل: شكرًا.

ورويَ أنَّ عمرَ رضي الله عنه قالَ لكعب: يا كعب، عظني، فقالَ له: يا أميرَ المؤمنين، اعملْ عملَ من لو عملَ عملَ سبعينَ نبيَّاً لاستحقرَ عملَهُ يومَ القيامة(١).

وقالَ ابن شوذب في قولهِ تعالىٰ: ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ﴾: كان لا يفارقُ مسجدَ بيتِ المقدسِ أحدٌ من آلِ داودَ عليه السلام، يتداولون اللَّيل والنَّهار(٢).

وحُكيَ عن مجاهد في قولهِ عز وجل: ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾ [آل عمران: ٣٥] قال: جعلتْهُ محرَّراً للعبادة، فلا تجعلُ للدنيا منه شيئاً(٣).

وقالَ معمر في قولهِ تعالىٰ: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [مريم: ١٢] قال: بلَغنا أنَّ الصبيانَ قالوا ليحيىٰ: اذهبْ بنا نلعب، قال: ما للَّعبِ خُلِقت(٤).

وقالَ ابنُ مسعود: [١١٧/أ] ليسَ للمؤمنِ راحةٌ دونَ لقاءِ الله عز وجل(٥).

وروىٰ حماد بن زيد، عن أنس بن سيرين قال: بلَغنا أنَّ مسروق بنَ الأجدع(٦) كان يفرُّ من الطاعون، فأنكرَ ذلك محمَّد بن سيرين، فقالوا: انطلقوا

---

(١) بمعناه في حسن التنبه ٥/٢٦٧، التذكرة بأحوال الموتىٰ ص ٥٦٦، تنبيه الغافلين ص ٦٤.

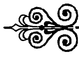
(٢) تفسير القرآن للسمعاني ٤/٣٢٢ فيه ـ وفي غيره ـ ما أورده المؤلف، دون ذكر بيت المقدس، ودون النسبة إلىٰ ابن شوذب.

(٣) تفسير ابن المنذر/١٧٤.

(٤) تفسير القرطبي ١١/٨٧، الدر المنثور ٥/٤٨٥.

(٥) الدر المنثور ٥/١٠٦.

(٦) مسروق بن الأجدع الهمداني الوادعي الكوفي، أبو عائشة، ثقة صالح، صلىٰ حتىٰ تورمت قدماه، ذكر الشعبي أنه أعلم بالفتوىٰ من شريح، وشريح أعلم بالقضاء منه. ت ٦٣ هـ.=




بنا إلىٰ امرأته، فانطلقوا، فدخلوا عليها، فسألوها عن ذلك، فقالت: كذبوا، ما كان يفرُّ، ولكن كان يقول: إنَّها أيامُ تشاغل، فأحبُّ أن أخلوَ للعبادة. وكان يتنحَّىٰ فيتخلَّىٰ للعبادة، فيصلِّي حتَّىٰ تُورَمَ قدماه، فربَّما جلستُ خلفَهُ أبكي ممَّا يصنعُ بنفسه[١].

وروىٰ شعبةُ عن أبي إسحاق قال: حجَّ مسروق، فما نام إلَّا ساجداً[٢].

وحُكيَ أنَّ الأسود بنَ يزيد[٣] كان يجتهدُ في العبادة، ويصومُ في الحرِّ حتَّىٰ يخضرَّ جسدهُ ويصفرَّ، وكان يقولُ له علقمة: لمَ تعذِّبُ هذا الجسد؟ فكان يقول: إنَّ الأمرَ جِدّ، إنَّ الأمرَ جِدّ[٤].

وقالت معاذة: ما كان صِلَةُ بن أشيمَ[٥] يجيءُ من مسجدِ بيتهِ إلىٰ فراشهِ إلَّا حبواً، يقومُ حتَّىٰ يفترَ في الصَّلاة[٦].

= تهذيب الكمال ٢٧/٤٥١.

(١) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٦/٨١، تاريخ مدينة دمشق ٥٧/٤٢٧. و «تورم قدماه» في الطبقات، وعند ابن عساكر: «ترم قدماه».

(٢) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٦/٧٩، تاريخ مدينة دمشق ٥٧/٤٢٥، سير أعلام النبلاء ٤/٦٥.

(٣) الأسود بن يزيد بن قيس النخعي، خال إبراهيم النخعي. كان رأسًا في العلم والعمل، ومن أكبر أصحاب ابن مسعود، ثقة مكثر فقيه. روىٰ له الجماعة. ت ٧٥ هـ. معرفة القراء الكبار ١/٥٠، تهذيب الكمال ٣/٢٣٣، تقريب التهذيب (١١١).

(٤) بغية الطلب ٤/١٨٥٥، السلوك في طبقات العلماء والملوك ١/٨٥.

(٥) صلة بن أشيم العدوي، الصحابي الجليل، قتل بسجستان سنة ٣٥ هـ. ترجمته في أسد الغابة ٣/٢٩، وصفة الصفوة ٣/٢١٦.

(٦) المعرفة والتاريخ ٢/٧٩، شعب الإيمان (٢٩٤٠). والراوية معاذة العدوية، كما في المصدر الأول.

وروىٰ الحسنُ عن عامر بنِ عبد قيس قال: واللهِ لأجتهدنَّ، واللهِ لأجتهدنَّ، فإن نجوتُ فبرحمةِ الله، وإن هلكتُ فبعدَ جهدي[١].

وقالَ هرم بنُ حيان[٢]: لو قيلَ لي إنَّك من أهلِ النَّارِ ما تركتُ العمل؛ لئلّا تلومني نفسي: ألَا فعلت؟ ألَا صنعت[٣]؟

وكان ابنُ عمر يقول: اجتهدوا في العمل، فإن يكنِ الأمرُ في شدَّةٍ كنتم قد أخذتم بالوثيقة، وإن يكنِ الأمرُ فيه لينٌ كانت أعمالُكم درجات[٤] [١١٧/ب].

وروىٰ ضمرة بن حبيب ـ مولىٰ لأبي ريحانة ـ عن أبي ريحانة ـ وكان من أصحابِ رسولِ الله ﷺ[٥] ـ أنَّه قفلَ من بعثٍ غزا فيه، فلمَّا انصرفَ إلىٰ أهلهِ تعشَّىٰ من عَشائه، ثمَّ دعا بوَضوءٍ فتوضَّأ منه، ثمَّ قامَ إلىٰ المسجد[٦]، فقرأَ سورة، ثمَّ أخرىٰ، فلم يزلْ كذلك دأبه، كلَّما فرغَ من سورةٍ افتتحَ أخرىٰ، حتَّىٰ أذَّنَ المؤذِّنُ من السحَر، فشدَّ عليه ثيابه، فأتتهُ امرأتهُ فقالت: يا أبا ريحانة، قد غزوتَ فغبتَ في غزوك، ثمَّ قدمتَ فلم يكنْ لنا منكَ حظٌّ ونصيب، فقال: بلىٰ، والله ما خطرتِ لي علىٰ بالٍ ولا ذكرتك، ولو ذكرتُكِ

(١) الزهر الفائح ص ١٧، صفة الصفة ١١٩/٢.

(٢) هَرم بن حيان العبدي الأزدي، من بني عبد القيس، من كبار النسّاك من التابعين، من الزهّاد الثمانية، سكن البصرة. قائد فاتح، أمير بني عبد القيس في الفتوح. حلية الأولياء ١١٩/٢، الأعلام ٧٦/٩.

(٣) الزهد الكبير للبيهقي (٧٧٢)، صفة الصفوة ١٢٦/٢.

(٤) صفة الصفوة ١٣١/٢، محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (٧٢)، من قول مطرف بن عبدالله.

(٥) أبو ريحانة شمعون الأزدي، وقيل: الأنصاري، صحابي جليل، من أهل الصفَّة. من المجتهدين في العبادة، المكثرين من السجود. حلية الأولياء ٢٨/٢.

(٦) في المصدر: مسجده.

كان لكِ حقّ، قالت: فما الذي أشغلكَ يا أبا ريحانة؟ قال: لم يزلْ قلبي فيما وصفَ الله ﷻ، من جنَّتهِ وأزواجها ولباسها ولذَّاتها ونعيمِها، حتَّىٰ سمعت المؤذن[1].

وحُكيَ عن ابنِ مسعود أنَّه قال: لا ألفينَّ أحدَكم جيفةَ ليلٍ، قُطربَ نهار[2]. يشبِّهُ النائمَ بالميت. وقطربُ نهار: هو الذي يقطعُ النَّهارَ بحديثه.

وحُكيَ عن مجاهد أنَّه قالَ في قولهِ تعالىٰ: ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ﴾ [آل عمران: ٤٣]، أنَّها كانت تقومُ حتَّىٰ تتورَّمَ كعباها[3].

وروىٰ منصور عن هلال بنِ يساف قال: كان الرَّجلُ من أهلِ المدينةِ إذا بلغَ الأربعينَ تفرَّغَ للعبادة[4].

وروىٰ سفيان بنُ عيينة، عن مالك بنِ مغول، عن مسروق أنَّه قال: إذا بلغتَ الأربعين فخذْ حذرك[5].

وروىٰ أبو عبدالرَّحمن [١١٨/أ] السُّلمي، أنَّ رجلاً من قومهِ أتىٰ إلىٰ الشَّام، فلقيَ أبا الدَّرداء، فإذا هو يصلِّي من الضحىٰ حتَّىٰ ينتصفَ النَّهار، ومن الظهرِ إلىٰ العصر.

---

(١) الزهد لابن المبارك (٨٧٦)، حلية الأولياء ٢/٢٩.

(٢) الزهد لأبي داود (١٧٧)، المعجم الكبير للطبراني، (٨٧٦٣)، حلية الأولياء ١/١٣٠، صفة الصفوة ١/١٥٦، حسن التنبه ١٠/٥٠٧.

(٣) الزهد لوكيع (١٥٧)، الدر المنثور ٢/١٩٥.

(٤) لطائف المعارف ص ٣٠٣، وفيه: «كثير من السلف» بدل «من أهل المدينة».

(٥) المصدر السابق.

وروى أبو المسيَّب، أنَّ أبا سفيان بنَ الحارث[1] كان يصلِّي في الصَّيفِ حتَّى تُكرَهَ الصَّلاة، ثمَّ يصلِّي من الظهرِ إلى العصر، ويصلِّي في الشتاءِ إذا حلَّتِ الصلاةُ إلى العصر[2].

وروى يزيد بن أبي يزيد قال: كان ثابت البناني يصلِّي كلَّ يومٍ ثلاثَ مئةِ ركعة[3].

وقال أبو عمرو الشيباني[4]: كان رجاء بنُ حَيوة[5] يرى تأخيرَ العصر، وكان يصلِّي من الظهرِ إلى العصر[6].

وكان ثابت البنانيُّ يقول: اللَّهمَّ إن كنتَ أعطيتَ أحداً من خلقِكَ أن يصلِّيَ لكَ في قبرهِ فأعطني ذلك[7].

وكان علي بنُ عبدالله بنِ عباس[8] يسجدُ كلَّ يومٍ ....

---

(١) في الأصل أبا شقيق بن الحارث. والصحيح ما أثبت. وهو ابن عم النبي ﷺ: المغيرة بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم، وأخوه في الرضاعة، أرضعتهما حليمة. وكان يشبهه ﷺ، وممن ثبت معه في حنين، وكان شاعرًا. ت ٢٠ هـ. سير أعلام النبلاء ١/٢٠٥.

(٢) المصدر السابق، والطبقات الكبرى لابن سعد ٤/٣٩، وليس فيهما لفظ «الشتاء».

(٣) صفة الصفوة ٢/١٥٤.

(٤) في مصدريه: يحيى بن أبي عمرو الشيباني.

(٥) أبو المقدام رجاء بن حيوة الكندي الشامي. كان شريفًا نبيلًا. سيد أهل الشام. روى عن معاوية وطبقته. ت ١١٢ هـ. العبر ١/١٠٦.

(٦) حلية الأولياء ٥/١٧٢، بغية الطلب ٨/٣٦٢٣، وفيهما: يصلي ما بين الظهر والعصر.

(٧) حلية الأولياء ٢/٣١٩.

(٨) الملقب بالسجّاد. ولد يوم مقتل عليّ رضي الله عنه فسمي باسمه. وكان جسيمًا وسيمًا طوّالًا. وكان هو وأولاده قد خاف منهم هشام، وأسكنهم بالحميمة من البلقاء. توفي ١١٨ هـ. سير أعلام النبلاء ٥/٢٥٣.

ألفَ سجدة(١).

وروي أنَّ ابن عمرو(٢) مرَّ علىٰ المقابر، فلمَّا نظرَ إليها نزلَ وصلَّىٰ ركعتين، فقيلَ له: هذا شيءٌ لم تكنْ تصنعه، فقال: ذكرتُ أهلَ القبورِ وما حيلَ بينهم وبينه، فأحببتُ أن أتقرَّبَ إلىٰ الله تعالىٰ(٣).

وروىٰ أبو حازم عن أبي هريرة قال: مرَّ رسولُ الله ﷺ علىٰ قبرٍ دُفنَ حديثاً، فقال: «**ركعتان خفيفتان يزيدُهما هذا في عمله، أحبُّ إليه من بقيةِ دنياكم**»(٤).

وروىٰ أبو هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**ما من رجلٍ يموتُ إلَّا ندم**»، قيل: يا رسولَ الله، وما [١١٨/ب] ندامته؟ قال: «**إن كان محسناً ندمَ أن لا يزيدَ في إحسانه، وإن كان مسيئاً ندمَ أن لا يكونَ نَزَعَ عن ذلك**»(٥).

وقد عقلَ قومٌ ـ عافاكَ الله ـ ذلك، فأجهدوا نفوسَهم، وبلَغوا الجهدَ في عبادتهم، فرُويَ أنَّ أبا عثمان النهدي(٦) كان يصلِّي بين المغربِ والعشاءِ مئتي

---

(١) حلية الأولياء ٣/٢٠٧، تاريخ مدينة دمشق ٤٣/٤٨، سير أعلام النبلاء ٥/٢٥٣.

(٢) في الأصل «ابن عمر»، وتصحيحه من مصدريه.

(٣) الزهد لابن المبارك (٣٠)، تاريخ مدينة دمشق ٣١/٢٦٥.

(٤) الزهد لابن المبارك (٣١)، ولفظه فيه «ركعتان خفيفتان مما تحقرون وتنفلون يزيدهما هذا في عمله أحب إليه من بقية دنياكم». وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥١٨)، وفي السلسلة الصحيحة (١٣٨٨).

(٥) سنن الترمذي (٢٤٠٣)، قال الألباني: ضعيف جدًّا، الزهد لابن المبارك (٣٣)، الزهد الكبير للبيهقي (٧١٦)، وضعفه السيوطي في الجامع الصغير (٧٩٦٨).

(٦) هو عبدالرحمن بن ملّ بن عمرو النهدي الكوفي، سكن البصرة. أدرك الجاهلية، وأسلم علىٰ عهد النبي ﷺ، وصدَّق إليه ولم يلقه. وكان له يتامىٰ يحضرون طعامه، فوقع الطاعون،=

ركعة، وحُكي أنَّه كان يصلِّي حتَّىٰ يُغشَىٰ عليه[1].

ويحكىٰ أنَّ كرزًا الحارثيَّ[2] كان يقرأُ في اليومِ والليلةِ ثلاثَ ختمات، وكان محمَّد بن طارق يقول: سمعتُ أبي يقول: لم يرفعْ كرزٌ رأسَهُ إلىٰ السماءِ أربعين سنة[3].

وكان محمَّد بن طارق[4] يطوفُ بالبيتِ في اليومِ والليلةِ سبعينَ أسبوعاً[5]!

وحكىٰ ابنُ عُيينة أنَّ ابنَ شُبرمةَ قال:

لـو شـئـتَ كنـتَ ككـرزٍ فـي تعبُّـدهِ ❊ أو كابنِ طارقَ حولَ البيتِ في الحرمِ
قد حالَ دونَ لذيذِ العيشِ خوفُهما ❊ وسارعا في طِلابِ الفوزِ والكرمِ[6]

قالُ ابن عُيينة: فقيلَ لابنِ شبرمة: قد أحسنتَ القولَ فيهما، فصفهما، فقال: أمَّا كرزٌ فلا يُرىٰ في ساعةِ صلاةٍ إلَّا وهو مصلٍّ، وأمَّا ابنُ طارقٍ فلو كان أحدٌ يجتزي بالترابِ لاجتزَىٰ به[7].

= فماتوا، فكان يقول: مات أصحابي. ت ١٠٠ هـ. تهذيب الكمال ٤٢٤/١٧.

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ١٢٠٦/٢.

(٢) كرز بن وبرة الحارثي، من أهل الكوفة، نزيل جرجان، دخلها غازيًا، واتخذ بها مسجدًا قرب قبره. وكان له صيت بليغ في النسك والتعبد. ت نحو ١١٠ هـ. سير أعلام النبلاء ٨٤/٦.

(٣) المصدر السابق ٨٤/٦، ٨٥، وحلية الأولياء ٨١/٥.

(٤) محمد بن طارق المكي، يروي عن طاوس ومجاهد، روىٰ عنه الثوري وابن عيينة. الثقات لابن حبان ٣٧٨/٧.

(٥) صفة الصفوة ٤١٨/١. والأسبوع: الطواف سبع مرات.

(٦) حلية الأولياء ٨١/٥، صفة الصفوة ٤١٨/١.

(٧) المصدران السابقان، وفيهما قول ابن شبرمة: «لو اكتفىٰ أحد بالتراب كفىٰ ابنَ طارق كفٌّ من تراب».

بَابٌ
في الصِّيام

قالَ الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

الصِّيامُ في اللغة: [١١٩/أ] الإمساكُ في الجملة، وهو في الشرع: تركُ الأكلِ والشربِ والجماعِ وغيرِها.

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ معناهُ أنَّ الصائمَ أقربُ إلىٰ التقوىٰ، وهذا مثلُ قولهِ تعالىٰ: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقيل: الصبرُ الصوم(١).

حدَّثنا أبو عبدالله الحسين بن محمَّد بن الحسن المؤدِّب قال: حدَّثنا الكشاني، عن الفربري، حدَّثنا البخاريُّ قال: حدَّثنا مسلم بن إبراهيم قال: حدَّثنا هشام قال: حدَّثنا يحيىٰ، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال:

«من صامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفرَ له ما تقدَّمَ من ذنبه»(٢).

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني، عن الفربري، عن البخاريِّ قال: حدَّثنا خالد بن مخلد قال: حدَّثنا سليمان بن بلال قال: حدَّثنا أبو حازم، عن

---

(١) قول، أورده الماوردي في النكت والعيون ١/٢٠٩.

(٢) صحيح البخاري (١٩٠١)، صحيح مسلم (٧٦٠).

سهل، عن النَّبيِّ ﷺ قال:

«إنَّ في الجنَّةِ باباً يقالُ له الريَّان، يدخلُ منه الصَّائمون يومَ القيامة، لا يدخلُ منه غيرُهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخلُ منه أحدٌ غيرُهم، فإذا دخلوا أُغلق، فلم يدخلْ منه أحد»[1].

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني، عن الفربري، عن البخاري، عن إبراهيم بن موسىٰ، حدَّثنا هشام بن يوسف، عن ابن جريج قال: أخبرني عطاء بنُ أبي صالح، أنَّه سمعَ أبا هريرةَ يقول: قالَ رسولُ الله ﷺ:

«قالَ الله تعالىٰ: كلُّ عملِ ابنِ آدمَ له إلَّا الصوم، فإنَّه لي، [وأنا أجزي به. والصيامُ جُنَّة، وإذا كان يومُ صومِ أحدِكم فلا يرفثْ ولا يصخب]، فإن سابَّهُ [١١٩/ب] **أحدٌ أو قاتلَهُ فليقل: إنِّي امرؤٌ صائم. والذي نفسُ محمَّدٍ بيده، لَخلُوفُ فمِ الصائمِ أطيبُ عند الله من ريحِ المسك. للصَّائمِ فرحتان يفرحُهما، إذا أَفطَرَ فَرِح، وإذا لَقيَ ربَّهُ ﷻ فَرِحَ بصومه»**[2].

قولهُ ﷺ: **«يقولُ الله تعالىٰ: كلُّ عملِ ابنِ آدمَ له إلَّا الصَّوم، فإنَّه لي»**، وفي روايةٍ أخرىٰ: **«إنَّه لي، وأنا أجزي به»**[3]، قد اختُلِفَ في معناه، فقالَ قوم: معناهُ أنَّ أعمالَ ابنِ آدمَ تصرفُ في تبعاتهِ ومظالمهِ سوىٰ الصَّوم، فإنَّه يُجزَىٰ به. وهذا قولٌ فيه بُعد؛ لأنَّ ذلك ممَّا لا يقتضيهِ الكلام، ولا فيه أثرٌ يخصُّه؛ لأنَّ عباداتهِ كلَّها لله تعالىٰ بحكمِ التعبُّد، والفاعلُ بحكمِ استحقاقِ

---

(١) صحيح البخاري (١٨٩٦)، صحيح مسلم (١١٥٢).

(٢) صحيح البخاري (١٩٠٤). وما بين المعقوفتين منه، سقط من الأصل.

(٣) «إن الصوم لي وأنا أجزي به» عند مسلم في صحيحه (١١٥١).

الثواب، وإن صُرفتْ في المظالمِ أو لم تُصرف، فليسَ يتغيَّرُ حكمُ الإضافةِ فيما ذكرناه.

ومنهم من قال: معنىٰ ذلك أنَّ سائرَ عباداتهِ يدخلُها الرياءُ إلَّا الصوم، فإنَّه سرٌّ بينه وبين ربِّه، لا يدخلهُ رياء. وهو أيضاً ممَّا يبعدُ من وجهٍ آخر؛ لأنَّ أعمالَهُ كلَّها لا تكونُ رياء، وإذا كانت رياءً فلا تكونُ له، فإنَّها لا تكونُ قربةً يستحقُّ الجزاءَ عليها.

ومنهم من قال: إنَّما أرادَ بذلك أنَّ أعمالَهُ كلَّها لها ثوابٌ معلوم، وهو: كلُّ حسنةٍ بعشرةٍ إلىٰ سبعِ مئة، وأرادَ أنَّ الصومَ «**أنا أجزي به**»، ولم يبيِّنْ ثوابه. وتعلَّقَ هؤلاء بأنَّه روىٰ أبو هريرة عن النَّبيِّ ﷺ [١٢٠/أ] أنَّه قال: «**الحسنةُ بعشرِ أمثالها إلىٰ سبعِ مئةِ ضعف، إلَّا الصومَ فإنَّه لي، وأنا أجزي به**»[(١)]، فكأنَّه وكَّلَ جزاءَ الصومِ إليه، وهذا أيضاً فليس يقتضيهِ الخبر؛ لأنَّ قولَهُ له لا يفيدُ تقديرَ ثوابه، ولأنَّ الصومَ داخلٌ في قولهِ تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

قالَ أيَّدَهُ الله: وعندي معنًىٰ أقربُ من ذلك، أنَّ سائرَ أعمالِ الخيرِ أو أكثرَها لنفسِ العاملِ فيها حظٌّ إلَّا الصوم، فإنَّ الصدقةَ فيها تفضُّلٌ للمتصدِّق، وعلوٌّ علىٰ المتصدَّقِ عليه، ولهذا قالَ ﷺ: «**اليدُ العليا خيرٌ من [اليدِ] السُّفلىٰ**»[(٢)].

---

(١) هذا لفظ المسند لأحمد (٤٢٥٦) قال الشيخ شعيب: صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف. وورد في الأصل «بعشرة أمثالها».

(٢) صحيح البخاري (١٤٢٩)، صحيح مسلم (١٠٣٣)، وما بين المعقوفتين منهما، ومن غيرهما من مصادر الحديث الشريف.

وكذلك صلةُ الرَّحم، وكذلك الحجُّ فيه حظُّ المشاهدةِ لما لم يشاهده، والاجتماعُ مع النَّاسِ فيه، ومشاهدةُ كثرتهم وحسنِ مناسكهم، وكذلك الصَّلاة، فيها مناجاةٌ وخشوعٌ وسجود، وقد قالَ ﷺ: **«حُبِّبَ إليَّ من دنياكم ثلاث: الطِّيب، والنِّساء، وجُعل قرَّةُ عيني في الصَّلاة»**[1].

وأمَّا الصَّوم، فإنَّه لا حظَّ للنَّفسِ فيه إلَّا جوعُها وعطشُها، فكان معنىٰ الخبرِ أنَّ أعمالَ ابنِ آدمَ له، أنَّ له فيها حظًّا[2] إلَّا الصوم، فإنَّه لي جميعه، وأنا أجزي به علىٰ قدرِ ذلك.

❁ **فإن قالَ قائل**: فقد قالَ بعضُ الصالحين: لولا ظمأُ الهواجرِ ما أحببتُ الحياة[3].

❁ **والجواب**: أنَّ ذلك [١٢٠/ب] ممَّا لا تستطيبهُ النَّفس، وإنَّما يفرحُ بالثوابِ فيه والقربة، وكذلك الزاهد، يجدُ الراحةَ من همِّ الدنيا.

فأمَّا قولهُ ﷺ: **«فإن سابَّهُ أحدٌ فليقلْ إنِّي صائم»**، وهذا يحتملُ أن يكونَ معناهُ خطابَ نفسهِ بذلك في سرِّه؛ ليكفَّ نفسَهُ عن المسابَّة، ويحتملُ أن يقولَ ذلك لمن سبَّهُ ليكفَّ عن مسابته؛ لأنَّ من سبَّ غيرَهُ فلم يجبهُ كفَّهُ عنه، وإنَّما ذكرَ له سببَ كفِّه عن ذلك ليغلبَهُ علىٰ ظنِّهِ أنَّه لا يجيبهُ عن سبِّهِ فيكفَّ.

فأمَّا قولهُ ﷺ: **«للصائمِ فرحتان، فرحةٌ عند فطره، وفرحةٌ عند لقاءِ**

---

(١) سبق تخريجه وأنه صحيح.

(٢) في الأصل: حظ.

(٣) قاله عامر بن عبد قيس، وقد سبق توثيقه.

ربِّه»[1] ، فمعناهُ أنَّ الصائمَ تتوقُ نفسهُ إلىٰ الطعام ، فإذا جازَ له أكلُ الطعامِ فرحتْ بذلك نفسه ، ولا يكونُ ذلك الفرحُ لغيرِ الصائمِ عند الأكل ؛ لأن غيرَ الصائمِ لا يدَعُ نفسَهُ تتوقُ وتجوع ، فلا يكونُ سرورهُ بالأكلِ كسرورِ الصائم. والفرحةُ الأخرىٰ عند مشاهدةِ الثواب ، ودخولهِ الجنَّةَ من بابِ الريَّان ، وهذا وجهُ الحديث.

وقد ذهبَ قومٌ إلىٰ أنَّ الفرحةَ عند إفطارهِ إنَّما هو بتمامِ صيامه ؛ لأنَّه قبلَ ذلك خائفٌ علىٰ صومهِ من الإفسادِ والجرح ، فإذا أَفطَرَ سُرَّ بذلك. وهذا هو حالُ الخصوصِ من الصائمين ، والأولُ حالُ العموم ، واللفظُ يقتضي العموم.

فأمَّا قولهُ ﷺ [١٢١/أ]: **«لَخلوفُ فمِ الصائمِ أطيبُ عند الله من ريحِ المسك»** ، والخلوف: هو تغيُّرُ الفمِ للجوع ، ومعنىٰ **«أطيبُ من ريحِ المسك»** ، يريدُ أنَّه أثرُ عبادتهِ وطاعته ، فهو عندهُ مَرْضيٌّ ، كما يُرضي أحدَنا ريحُ المسك.

وروىٰ أبو هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«الصيامُ جُنَّة ، وحصنٌ حصينٌ من النَّار»**[2].

وروىٰ جابر أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ لكعب: **«يا كعب ، الصَّلاةُ قُربان ، والصِّيامُ جُنَّة ، والصَّدقةُ تُطفِئ الخطيئةَ كما يُطفِئ الماءُ النَّارَ»**[3].

---

(١) صحيح مسلم (١١٥١). وسبق أن أورده المؤلف بلفظ آخر.

(٢) مسند أحمد (٩٢٢٥) ، قال مخرجه الشيخ شعيب: حديث صحيح ، وهذا إسناد حسن. ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٢٩٣). وأوله في الصحيحين ، صحيح البخاري (١٨٩٤) ، صحيح مسلم (١١٥١).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥٣٧٧) ، وأبو يعلىٰ في مسنده (١٩٩٩) ، قال محققه حسين أسد: إسناده قوي ، وابن حبان في صحيحه (١٧٢٣) قال محققه الأرناؤوط: إسناده صحيح=

ورويَ أنَّ أبا أمامةَ قال: يا رسولَ الله، مُرني بعملٍ أعمله، قال: «**عليكَ بالصَّوم، فإنَّه لا مثلَ له**»، قال: وكان أبو أمامةَ وامرأتهُ وخادمهُ لا يُلفَون إلَّا صياماً، قال: وكان إذا رؤيَ في دارهم دخانٌ بنهار قيل: ضيفٌ نزلَ بهم[1].

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**لكلِّ شيءٍ باب، وبابُ العبادةِ الصِّيام**»[2].

ومعنى ذلك أنَّ الصائمَ تسهلُ عليه العبادة، ويخفُّ قلبهُ للذِّكر؛ لبعدهِ بالصَّومِ عن حالِ الغافلين.

وروى أبو داود بإسنادهِ عن مجيبة الباهلية، عن أبيها أو عمِّها، أنَّه أتى النَّبيَّ ﷺ، ثمَّ انطلقَ فأتاهُ بعد سنةٍ وقد تغيَّرتْ حالهُ وهيئته، فقال: يا رسولَ الله، أما تعرفني؟ قال: «**ومن أنت**»؟ قال: أنا الباهليُّ الذي جئتُكَ عامَ أول، قال: «**فما غيَّركَ** [١٢١/ب] **وقد كنتَ حسنَ الهيئة**»؟ قال: ما أكلتُ طعاماً منذ فارقتُكَ إلَّا بليل، فقالُ رسولُ الله ﷺ: «**لمَ عذَّبتَ نفسك**»؟ ثمَّ قال: «**صُمْ شهرَ الصبر، ويوماً من كلِّ شهر**»، قال: زدني، فإنَّ فيَّ قوة، قال: «**صُمْ يومين**»، قال: زدني، قال: «**صُمْ ثلاثةَ أيام**»، قال: زدني، قال: «**صُمْ من**

= على شرط مسلم، وأحمد في المسند (١٥٢٨٤) قال محققه أيضًا: إسناده قوي على شرط مسلم.

(١) رواه أحمد في المسند (٢٢٢٢١) قال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم، وابن أبي شيبة في المصنف (٨٩٨٨)، وهو في السلسلة الصحيحة (١٩٣٧).

(٢) ضعفه الحافظ العراقي لابن المبارك في الزهد، في تخريجه لأحاديث الإحياء، ورواه أبو الشيخ (تجميع، رقم ٧٢٢، من طريق ابن المبارك) وضعفه الألباني لأبي الشيخ في ضعيف الجامع (٤٧٢٠)، كما ذكر ضعفه في السلسلة الضعيفة (٢٧٢٠).

الحُرمِ واترك، صُمْ من الحُرمِ واترك، صُمْ من الحُرمِ واترك»، وقالَ بأصابعهِ الثلاثة، فضمَّها ثمَّ أرسلها[1].

وروىٰ أيضاً أبو داود بإسنادهِ عن ابن المسيِّب وأبي سلمة، عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: لقيَني رسولُ الله ﷺ فقال: «**ألمْ أُحَدَّثْ عنكَ تقول: لأقومنَّ الليل، ولأصومنَّ النَّهار**»؟ قال: أحسبهُ قال: نعم يا رسولَ الله، قد قلتُ ذلك، قال: «**قمْ وَنمْ، وصُمْ وأَفطِر، وصُمْ من كلِّ شهرٍ ثلاثةَ أيام، وذلك مثلُ صيامِ الدهر**»، [قال: قلت: يا رسولَ الله، أُطيقُ أفضلَ من ذلك، قال: «**فصُمْ يوماً وأفطِرْ يومين**»]، قال: قلت: يا رسولَ الله، أُطيقُ أفضلَ من ذلك، قال: «**فصُمْ يوماً وأَفطِرْ يوماً، وهذا أعدلُ الصيام، وهو صيامُ داودَ**» قال: فقلت: إني أُطيُق أفضلَ من ذلك، فقال: «**لا أفضلَ من ذلك**»[2].

فَصْلٌ
في صوم المحرَّم ويوم عاشوراء

روىٰ أبو داود بإسنادهِ عن أبي هريرة، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**أفضلُ الصيامِ بعدَ شهرِ رمضانَ شهرُ الله ﷻ المحرَّم، وإنَّ أفضلَ الصلاةِ بعد المفروضةِ صلاةٌ**

(١) سنن أبي داود (٢٤٢٨)، وابن ماجه (١٧٤١) قال محققهما الشيخ شعيب: إسناده ضعيف لجهالة مجيبة الباهلية (أو أبي مجيب الباهلي). كما رواه البيهقي في الشعب (٣٤٦٣)، وفي السنن الكبرىٰ (٨٤٢٦)، وضعفه في ضعيف الجامع (٣٤٩١).

(٢) سنن أبي داود (٢٤٢٧)، قال محققه: إسناده صحيح. ورواه البخاري (٦١٣٤). وما بين المعقوفتين من مصدره، لم يرد في الأصل.

من الليل»[1] [١٢٢/أ].

وروى أبو داود في سننه بإسناده عن ابن عباس أنَّه قال: حين صامَ النَّبيُّ ﷺ يومَ عاشوراءَ وأمرَ بصيامه، قالوا: يا رسولَ الله، إنَّه يومٌ يعظِّمهُ اليهودُ والنصارى، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**فإذا كان العامُ المقبلُ صُمنا يومَ التاسع**»، فلم يأتِ العامُ المقبلُ حتَّى توفيَ رسولُ الله ﷺ[2].

وروى سعيد بنُ جبير عن ابنِ عباس قال: قدمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ واليهودُ تصومُ يومَ عاشوراء، قال: «**ما هذا**»؟ قالوا: يومٌ عظيم، أنجى الله تعالى فيه موسى، وغرقَ فيه فرعون، فصامَهُ موسى عليه السلام شكراً لله تعالى، فقال: «**أنا أولَى بموسى منكم، وأحقُّ بصيامه**»، فصامه، وأمرَ بصيامه[3].

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**صومُ يومِ عاشوراءَ كفَّارةُ سنة**»[4].

وروى أبو سعيد الخدريُّ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَن أوسعَ على أهلهِ يومَ عاشوراء، أوسعَ الله عليه في سنتهِ كلِّها**»[5].

---

(١) سنن أبي داود (٢٤٢٩)، قال محققه: إسناده صحيح. وهو في صحيح مسلم (١١٦٣) وغيره.

(٢) سنن أبي داود (٢٤٤٥)، قال محققه: إسناده صحيح. صحيح مسلم (١١٣٤) وغيره.

(٣) مسند أحمد (٣١١٢)، قال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وهو في صحيح البخاري (٣٣٩٧) وغيره.

(٤) هذا لفظ شعب الإيمان (٣٧٦٢)، وأمالي ابن بشران (١٥٨١)، ولفظه عند مسلم (١١٦٢): «صيام يوم عاشوراء، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله».

(٥) بلفظ «وسَّع» رواه البيهقي في الشعب (٣٥١٤) وأورد له روايات أخرى وبألفاظ متقاربة، ثم قال: هذه الأسانيد وإن كانت ضعيفة، فهي إذا ضُمَّ بعضها إلى بعض أخذت قوة. وبلفظ «على عياله» أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠٠٠٧) من رواية ابن مسعود.=

فَصْلٌ
في عشر ذي الحجة ويوم عرفة

روىٰ أبو داود بإسنادهِ عن بعضِ أزواجِ النَّبيِّ ﷺ قالت: **كان رسولُ الله ﷺ يصومُ تسعَ ذي الحجَّة، ويومَ عاشوراء، وثلاثةَ أيامٍ من كلِّ شهر: أولَ اثنينِ من الشهرِ ويومَ الخميس**[(١)].

ورویٰ أبو داود أيضاً بإسنادهِ عن [١٢٢/ب] سعيد بنِ جبير، عن ابنِ عباس قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«ما من أيامٍ العملُ الصَّالحُ [فيها] أحبُّ إلىٰ الله ﷻ من هذه الأيام»** يعني أيامَ العشر، قالوا: يا رسولَ الله، ولا الجهادُ في سبيلِ الله؟ قال: **«ولا الجهادُ في سبيلِ الله، إلَّا رجلٌ خرجَ بنفسهِ وماله، فلم يرجعْ من ذلك بشيء»**[(٢)].

ورویٰ أبو داود بإسنادهِ عن الأسود، عن عائشة أنَّها قالت: **ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ صائماً العشرَ قطّ**[(٣)].

= وقد ضعف الألباني الحديث في السلسلة الضعيفة (٦٨٢٤)، وفي ضعيف الجامع (٥٨٧٣).

(١) سنن أبي داود (٢٤٣٧) وذكر الأرناؤوط أنه ضعيف لاضطرابه، ورواه أحمد في المسند (٢٢٣٣٤) وقال فيه محققه ما قال في حديث أبي داود وزيادة. كما ضعفه الزيلعي في نصب الراية ٢/١٥٧.

(٢) سنن أبي داود (٢٤٣٨) وذكر الشيخ شعيب أن إسناده صحيح. ورواه البخاري بلفظ مقارب (٩٦٩).

(٣) سنن أبي داود (٢٤٣٩) وذكر مخرجه الشيخ شعيب أن إسناده صحيح. ورواه مسلم في صحيحه (١١٧٦).

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**من صامَ يومَ عرفة، كفَّرَ الله عنه سنةً أمامَهُ وسنةً خلفه**»[1].

ورويَ عنه ﷺ أنَّه **نهىٰ عن صيامِ يومِ عرفةَ بعرفة**[2]، وإنَّما نهىٰ عن ذلك رفقاً بالحاجّ، فإنَّه يأتي من سفرِهِ وربما كان بعيداً، ويكونُ مكشوفَ الرأسِ للشمسِ في بلادٍ حارَّة، فإذا صامَ أضعفَهُ العطشُ عن الدعاء، والمقصودُ في ذلك اليومِ الدعاء، والفطرُ معيَّنٌ عليه، فلهذا أُمِرَ به.

فَصْلٌ
في صيام ستٍّ من شوَّال



روىٰ أبو داود بإسنادِهِ عن أبي أيوب صاحبِ رسولِ الله ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**من صامَ رمضانَ وأتبعَهُ بستٍّ من شوَّال، فكأنَّما صامَ الدهر**»[3].



---

(١) أورده بهذا اللفظ الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب ٢/١٣٠، وذكر الألباني في تخريجه له أنه صحيح لغيره، وكذا قال في تخريج سنن ابن ماجه. وقد رواه مسلم (١١٦٢) بلفظ: «صيام يوم عرفة، أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله، والسنة التي بعده».

(٢) نصه في مسند أحمد (٨٠٣١): عن عكرمة مولىٰ بن عباس قال: دخلت علىٰ أبي هريرة في بيته، فسألته عن صوم يوم عرفة بعرفات، فقال: نهىٰ رسول الله ﷺ عن صوم يوم عرفة بعرفات. قال الشيخ شعيب: إسناده ضعيف... لم يثبت أن النبي ﷺ قد نهىٰ عن صيام هذا اليوم بعرفات نصًّا، لكن ثبت أنه ﷺ لم يصمه.

(٣) سنن أبي داود (٢٤٣٣)، وصححه له الألباني، صحيح مسلم (١١٦٤).

فَصْلٌ
في صيام شعبان

روىٰ أبو داود بإسنادِهِ عن أبي سلمة، عن عائشةَ أنَّها قالت: **كان رسولُ الله** [١٢٣/أ] ﷺ **يصومُ حتَّىٰ نقولَ لا يُفطِر، ويُفطِرُ حتَّىٰ نقولَ لا يصوم، وما رأيتُ رسولَ الله** ﷺ **استكملَ شهراً إلَّا رمضان، وما رأيتهُ في شهرٍ أكثرَ صياماً منه في شعبان**(١).

وروىٰ أيضاً أبو داود بإسنادِهِ عن عبدالله بن أبي قيس(٢)، أنَّ عائشةَ رضي الله عنها كانت تقول: **كان أحبَّ الشهورِ إلىٰ رسولِ الله** ﷺ **أن يصومَهُ شعبان، ثمَّ يصلهُ برمضان**(٣).

وقد رويَ عنه ﷺ أنَّه قال: «**إذا انتصفَ شعبانُ فلا صيام**»(٤).

وهذا الحديثُ يخالفُ ما روته عائشة، وهو محمولٌ علىٰ أنَّ ذلك في

---

(١) سنن أبي داود (٢٤٣٤)، وذكر الشيخ شعيب أن إسناده صحيح، كما رواه البخاري في صحيحه (١٩٦٩).

(٢) في الأصل: أنيس.

(٣) سنن أبي داود (٢٤٣١)، وذكر محققه أن إسناده صحيح، مسند أحمد (٢٥٥٤٨)، وذكر محققه أنه صحيح علىٰ شرط مسلم.

(٤) مستخرج أبي عوانة (٢٩١٥) ط. الجامعة الإسلامية. والحديث مختلف فيه، وقد ذكر رواياته وطرقه بألفاظه المختلفة العيني في عمدة القاري ٢٨٨/١٠، ومما قاله: وقد جمع بين الحديثين بأن حديث العلاء محمول علىٰ من يضعفه الصوم، وحديث الباب مخصوص بمن يحتاط بزعمه لرمضان، وقيل: كان أبو هريرة يصوم في النصف الثاني من شعبان، فقال: من يقول العبرة بما رأىٰ أن فعله هو المعتبر، وقيل: فعله يدل علىٰ أن ما رواه منسوخ...

حقٍّ من يضعفهُ الصوم، فيتقوَّىٰ بالإفطارِ علىٰ صومِ شهرِ رمضان.

ورويَ عنه ﷺ أنَّه قال: «**لا تَقدَّموا الشهرَ بيومٍ ولا يومين، إلَّا أن يوافقَ صوماً كان أحدُكم يصومه**»[1]. وهذا يوافقُ حديثَ عائشة.

فَصْلٌ
في صوم الاثنين والخميس

روىٰ أبو داود بإسنادهِ عن مولىٰ أسامة بنِ زيد، أنَّه انطلقَ مع مولاهُ إلىٰ [وادي] القُرىٰ في طلبِ ماله، فكان يصومُ يومَ الاثنينِ ويومَ الخميس، فقالَ له مولاه: لمَ تصومُ يومَ الاثنينِ ويومَ الخميسِ وأنت شيخٌ كبير؟ فقال: إنَّ رسولَ الله ﷺ كان يصومُ يومَ الاثنينِ ويومَ الخميس، فسُئلَ عن ذلك فقال: «**إنَّ أعمالَ النَّاسِ تُعرَضُ يومَ** [١٢٣/ب] **الاثنينِ ويومَ الخميس**»[2].

فَصْلٌ
في صيام ثلاثة أيَّام من كل شهر

روىٰ أبو داود بإسناده عن ابن ملحان، عن أبيهِ قال: كان رسولُ الله ﷺ

(١) سنن الترمذي (٦٨٤) وقال: حديث حسن صحيح، مسند أحمد (٩٦٥٤) وقال محققه: حديث صحيح وهذا إسناد حسن.

(٢) سنن أبي داود (٢٤٣٦) وذكر محققه أن المرفوع منه صحيح، إلا أن سنده ضعيف، وكذا قال في تخريجه في مسند أحمد (٢١٧٤٤)، وأنه صحيح بطرقه وشواهده. وما بين معقوفتين من مصدره.

يأمرنا أن نصومَ البيض: ثلاثَ عشرة، وأربعَ عشرة، وخمسَ عشرة، قال: وقال: «**هنَّ كهيئةِ الدهر**»(١).

وروى أبو داود بإسناده عن زرّ، عن عبدالله قال: **كان رسولُ الله ﷺ يصومُ من غرَّةِ كلِّ شهرٍ ثلاثةَ أيام**(٢).

وروى أبو داود بإسناده عن حفصة قالت: **كان رسولُ الله ﷺ يصومُ ثلاثةَ أيامٍ من الشهر: الاثنين، والخميس، والاثنين من الجمعةِ الأخرى**(٣).

وليس بين هذه الأخبارِ تناف، ويجوزُ أن يكونَ ﷺ تارةً يصومُ كذا، وتارةً كذا، أو كان يجمعُ بين ذلك كلِّه.

وقد روى أبو داود بإسنادهِ عن معاذةَ قالت: قلتُ لعائشة: أكانَ رسولُ الله ﷺ يصومُ من كلِّ شهرٍ ثلاثةَ أيام؟ قالت: نعم، قلت: من أيِّ الشهرِ كان يصوم؟ قالت: **ما كان يبالي من أيِّ أيامِ الشهرِ كان يصوم**(٤).

---

(١) سنن أبي داود (٢٤٤٩)، قال محققه: حديث صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف، لجهالة ابن ملحان القيسي. وورد في الأصل «هو كهيئة الدهر»، وتصحيحه من مصدره. سنن ابن ماجه (١٧٠٧)، قال محققه الشيخ شعيب: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف، لجهالة عبدالملك، والصواب أن اسمه عبدالملك بن قتادة بن مِلحان القيسي، وأخطأ شعبة فسماه: عبدالملك بن المنهال. ورواه أحمد في مسنده (٢٠٣١٦) بلفظ «هي كصوم الدهر»، وقال محققه ما قاله في حديث ابن ماجه.

(٢) سنن أبي داود (٢٤٥٠)، قال محققه: إسناده حسن. ولفظه فيه: كان رسولُ اللهِ ﷺ يصومُ ـ يعني من غُرَّةِ كل شهر ـ ثلاثةَ أيامٍ.

(٣) سنن أبي داود (٢٤٥١)، مسند أحمد (٢٦٤٦٠) قال محققهما الأرناؤوط: إسناده ضعيف... ثم إن الإسناد منقطع.

(٤) سنن أبي داود (٢٤٥٣)، قال محققه: إسناده صحيح. فضائل الأوقات للبيهقي (٣٠١).

وهذا يدلُّ على أنَّ صومَهُ كان يختلفُ في الشهر(١).

فَصْلٌ
في صيام يوم الجمعة



روى المصريُّ بإسناده عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، **أنَّ النَّبيَّ ﷺ نهى عن صيامِ يومِ الجمعة، إلَّا أن** [١٢٤/أ] **يُصامَ يومٌ قبلَهُ أو يومٌ بعده**(٢).

وهذا ـ عافاكَ الله ـ نهيُ اختيار؛ لأنَّ يومَ الجمعةِ شُرِعَ فيه عبادةٌ استُحِبَّ لها الاجتماع، **وسمَّاهُ** ﷺ **عيداً**(٣)، فكُرِهَ فيه أن يُقصَدَ بالصوم. وأجازَ أن يُصامَ مع غيره(٤)، ولو كان صومهُ غيرَ جائزٍ لذكرَهُ مع الستةِ الأيامِ التي نهى عن الصومِ فيها.

روى أبو الحسن المصري(٥) في كتابهِ قال: حدَّثنا أحمد بن محمَّد بن

---

(١) قال الإمام البيهقي في المصدر السابق: وفي هذا دلالة على أنه ﷺ كان يدور على جميع ما ذكرنا، فكل من رآه يفعل نوعًا من هذه الأنواع أو يأمر به أو أخبر عنه، وعائشة ﵂ حفظت الجميع فقالت: ما كان يبالي من أي الشهر كان يصوم.

(٢) مسند أبي يعلى (٦٤٣٣)، قال محققه حسين أسد: إسناده صحيح، شرح معاني الآثار (٣٣١٢).

(٣) «يوم الجمعة يوم عيد» حديث أبي هريرة المرفوع، رواه أحمد وغيره (١٠٨٩٠) وقال محققه الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٤) كما في الحديث قبل السابق.

(٥) يبدو أن المقصود به أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد الواعظ، المعروف بالمصري، وهو بغدادي أقام بمصر مدة طويلة، فقيل له: المصري، ثم رجع إلى بغداد. سمع من جماعة=

رشدين قال: حدَّثنا إسحاق بن إبراهيم الزبيدي قال: حدَّثنا عمرو بن الحارث قال: حدَّثني عبدالله بن سالم عن الزبيدي قال: حدَّثنا الفضل بنُ فضالة، أنَّ خالد بنَ معدان حدَّثه، أنَّ عبدالله بن بُسر حدَّثه، أنَّه سمعَ أباهُ يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ **نهىٰ عن صيامِ يومِ السبت**، وقال: «**فإن لم يجدْ أحدُكم إلَّا أن يمضغَ لِحاءَ شجرةٍ فلا يَصُمْ يومئذ**». وقالَ عبدالله بن بسر: إن شككتُم فسَلوا أختي، قال: فمشَىٰ إليها خالد بنُ معدان، فسألها عمَّا قالَ عبدالله، فحدَّثتهُ بذلك(١).

وهذا ممَّا لم يذكرهُ أحدٌ من أهلِ العلم، ولم ينهَ عن الصَّومِ في هذا اليومِ أحدٌ من الفقهاء، ولا عُمِل بهذا الحديث.



= بمصر وبغداد. وكان ثقة أمينًا عارفًا، جمع حديث الليث بن سعد وابن لهيعة، وصنف كتبًا كثيرة في الزهد، وكان له مجلس يتكلم فيه بلسان الوعظ. ت ٣٣٨ هـ. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٤/٧٧.

(١) رواه الخطيب في المتفق والمفترق (١١٥٠)، وأورده السيوطي في جمع الجوامع (٢/١١٧) من جـ ١٩، وأورد محققوه طرقه بشكل جيد، وتأتي بألفاظ. ورواه الترمذي (٧٤٤) بلفظ: «لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم، فإن لم يجد أحدكم إلا لحاء عنبة أو عود شجرة فليمضغه» وقال: هذا حديث حسن. قال الترمذي ﷺ: ومعنىٰ الكراهية في هذا: أن يختص الرجل يوم السبت بصيام؛ لأن اليهود يعظمون يوم السبت. اهـ. وورد في الأصل: «فلا يصوم يومئذ».

بَابٌ
في صوم الدَّهر والاجتهاد في الصَّوم



روىٰ المصريُّ بإسنادِهِ عن أنس قال: **كان رسولُ الله ﷺ يصومُ حتَّىٰ يقال: صامَ صامَ**(١).

ورویٰ إبراهيم بن [١٢٤/ب] سعد عن أبيه قال: كانت عائشةُ رضي الله عنها تصومُ الدهر، وكان عمرُ يسردُ في آخرِ زمانه(٢).

ورویٰ أيضاً عن ثابت، عن أنس، أنَّ أبا طلحة سردَ الصَّومَ بعد وفاةِ رسولِ الله ﷺ أربعينَ عاماً، لا يُفطِرُ إلَّا يومَ فطرٍ أو أضحىٰ، وكان إذا وقعَ البَرَدُ أكله، فيقال له: تأكلُ وأنت صائم؟! فيقول: بركةٌ علىٰ بركة(٣).

ورويَ عن الليث بن سعد قال: حدَّثني عبد الرحمن بن أبي هلال قال: يقال: من صامَ الدَّهرَ ذاك الذي وهبَ نفسَهُ لله تعالىٰ(٤).

ورویٰ عبدالله بن وهب قال: سمعتُ معاوية بن صالح يحدِّثُ عن عامر بن جشيب، أنَّه سمعَ زُرعةَ بن ثُوَب(٥) يقول: سألتُ عبدالله بن عمر عن صيامِ

---

(١) صحيح مسلم (١١٥٨)، مسند أحمد (١٢٦٢٤).

(٢) أوله في سنن البيهقي (٨٤٨٣)، وشرح السنة للبغوي (١٨٠٦)، وسير أعلام النبلاء ١٨٧/٢، وخبر عمر في السنن الكبرىٰ للبيهقي (٨٤٨١).

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٤٢٠/١٩، عمدة القاري ١٢٥/١٤.

(٤) بلفظ «من صام الدهر فقد وهب نفسه لله»، أورده حديثًا في كنز العمال (٢٤١٦١) لأبي الشيخ من حديث أبي هريرة.

(٥) في الأصل: عامر بن حبيب، أنَّه سمعَ زُرعةَ بن ثور. وتصحيحه من ابن خزيمة والبيهقي.

الدهر ، قال:

كنَّا نعدُّ أولئك فينا من السابقين ، قال: وسألتهُ عن صيامِ يومٍ وإفطارِ يوم ، قال: لم يدَعْ ذلك لصائمٍ[1] مصامًا ، وسألتهُ عن صيامِ ثلاثةِ أيامٍ من كلِّ شهر ، قال: صامَ الدهرَ وأفطره[2].

وروىٰ أبو إدريس قال: صامَ أبو موسىٰ[3] حتَّىٰ عادَ كأنَّه خِلَال ، فقيل له: لو أجممتَ نفسك ، فقال: إجمامَها أريد ، إنِّي أرىٰ السوابقَ من الخيلِ المضمرة. قال: وربَّما كان يخرجُ من بيته ، فيلتفتُ إلىٰ امرأتهِ فيقول: يا أمَّ موسىٰ ، شدِّي رَحلَكِ ، فإنَّه ليس علىٰ الجسرِ مَعبر[4].

وكان الأسود بنُ يزيد يجتهدُ في العبادة ، ويصومُ في الحرِّ حتَّىٰ [١٢٥/أ] يخضرَّ جسدهُ ويصفرّ ، قال: وكان يقولُ له علقمة: لم تعذِّبُ هذا الجسد ؟ فكان يقول: إنَّ الأمرَ جِدّ ، إنَّ الأمرَ جِدّ[5].

وكان سعيد بنُ المسيِّب يسردُ الصَّوم[6].

وروىٰ ابن المبارك عن الزُّبير بن عبدالله ، أنَّ جدَّته[7] ـ وكانت خادماً

(١) في الأصل: الصائم.
(٢) صحيح ابن خزيمة (٢١٥٦) وضعف محققه إسناده ، السنن الكبرىٰ البيهقي (٨٤٨٢).
(٣) أبو موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.
(٤) صفة الصفوة ٢١٣/١. والخلال: العود الرفيع. وأجممت بمعنىٰ استرحت. وورد في الأصل: شدي رحلتك. وآخره في المصدر: ليس علىٰ جسر جهنم معبر.
(٥) سبق توثيقه.
(٦) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ١٣٢/٥ ، صفة الصفوة ٣٤٦/١.
(٧) في الأصل: «عن أبي الزُّبير بن عبدالله ، أنَّ أمَّه». والمثبت من مصدره.

لعثمان ـ أنَّ عثمان رضي الله عنه كان يصومُ الدهر(١).

وروى هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة قالت: جاءَ حمزة الأسلمي إلى النَّبيِّ ﷺ فقالَ له: إنِّي رجلٌ أسردُ الصَّوم، أفأصومُ في السَّفر؟ فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: «**إن شئتَ فصُم، وإن شئتَ فأَفطر**»(٢).

وروى أبو بردة بن أبي موسى قال: كان أبو موسى يتوخَّى اليومَ الشديدَ الحرّ، الذي يكادُ ينسلخُ فيه الإنسان، يصومُه(٣).

وكان عروةُ يصومُ الدَّهر(٤).

وقالَ عديُّ بنُ الفضل: أدركتُ البصرةَ وكان أحسنَ مَن بها حُميدٌ الطويل، وكان إذا أفطرَ عُدناه.

وحكى عطاء بنُ السائب قال: قالَ عبدةُ بنُ هلال الثقفي: إنَّ لله عليَّ أن لا يشهدَ عليَّ شمسٌ بأكلٍ أبداً، ولا ليلٌ بنومٍ أبداً، قال: فعزمَ عليه عمرُ رضي الله عنه أن يُفطِرَ العيدين(٥).

وروى مسروق بن الأجدع قال: كنَّا جلوساً عند عبدالله بن مسعود، فأُتيَ بشراب، فقال: ناولْ علقمة، فقال: إنِّي صائم، فقال: ناولْ مسروقاً، فقلت:

---

(١) الزهد لابن المبارك (١٢٣٣)، ولأحمد (٦١٧)، وفيه جده بدل جدَّته. وفي صفة الصفوة ١/١١٣: عن جدة له يقال لها رهيمة.

(٢) صحيح مسلم (١١٢١)، صحيح البخاري (١٩٤٣).

(٣) التبصرة لابن الجوزي ٢/٢٤٨، صفة الصفوة ١/٢١٣.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/١٨٠، صفة الصفوة ١/٣٥٠.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/١٦٥.




إنِّي [١٢٥/ب] صائم، فقال: لكنِّي لستُ بصائم، وأخذَ فشرب، ثمَّ نظرَ في وجهِهما فقال: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧][١].

وكان عيسىٰ بن زاذان[٢] يصومُ حتَّىٰ انحنىٰ وانقطعَ صوته، وكان إذا قرأَ شهدتْ له القلوبُ بأنَّه يخشَىٰ الله تعالىٰ[٣].

ورَوىٰ أبو بردة بنُ أبي موسىٰ عن أبيه قال: بينا نحن غزاةٌ في البحر، وسفينتُنا تجري بنا، إذ سمعنا منادياً ينادي: يا أهلَ السفينةِ قفوا نخبرْكم قضاءً قضاهُ الله علىٰ نفسه، قلنا: لا نقدرُ علىٰ أن نقف، فما الذي تخبرنا به؟ قال: أخبركم أنَّ الله ﷻ قضىٰ أنَّه من عطَّشَ نفسَهُ في يومٍ حارٍّ صائماً، كان حقيقاً علىٰ الله أن يرويَهُ يومَ القيامة[٤].

روىٰ عبدالله بن محمَّد بن يزيد بن خنيس عن أبيه قال: كان رجلٌ من أهلِ الطائف، وكان فاضلاً، وكان يدخلُ من الطائفِ لشهرِ رمضان، وكان رمضانُ يُصامُ في الصيف، فإذا كان آخرَ شعبانَ جاءَ من مكةَ إلىٰ الطائف، وكان النَّاسُ يأتون من مكةَ إلىٰ الطائفِ لأنْ يصوموا بالطائف؛ ليكونَ أهونَ عليهم، وكان هو يأتي من الطائف، فيتلقَّاهُ النَّاسُ في الطريق، فيقولون: يا فلان، النَّاسُ يفرُّون من الحرِّ وأنت تأتي إليه؟! فيقولُ لهم: ألا من الحرِّ أفرُّ،

(١) الزهد لابن المبارك (١٤٢٨).

(٢) قال ابن حبان: عيسىٰ بن زاذان الأبلي، من عبّاد البصريين، ما له حديث مسند، إنما له الرقائق والحكايات في العبادة. روىٰ عنه عبيدالله بن صدقة القيسي. الثقات لابن حبان (١٤٦١٠).

(٣) أوله في الغنية لطالبي الحق ٢/١٢٨، وصفة الصفوة ٢/٢٥٤.

(٤) الهواتف (١٣)، الترغيب والترهيب ٢/٨٤، لطائف المعارف ص ٣٢٢.

ألا من الحرِّ أفرُّ(١).

قال: وسمعت أبي يحدِّث عن وهيب(٢) قال: يقال: [١٢٦/أ] لمظَ العابدون بحلاوةِ العبادة، فتجشَّموا لذلك سهرَ الليلِ والرواحَ بالهواجر، كما لمظَ أهلُ الدنيا بحلاوةِ الدنيا فتجشَّموا لذلك ركوبَ البحارِ والأسفارِ في المفاوز.

قالَ وهيب: وكان ابنُ وهب يقول: والله لهو أحلىٰ عندي من العسل(٣).

وحُكيَ أنَّ الحجَّاجَ خرجَ يوماً إلىٰ الصيد، فأرادَ أن يتغدَّىٰ، فقالَ لحاجبه: انظرْ من ترىٰ فاستدعهِ ليتغدَّىٰ معي، قال: فذهبَ حاجبه، فرأىٰ رجلاً شيخاً عليه شملةٌ من صوفٍ وهو نائم، فجاءَ إليه، فركلَهُ برجله، فانتبه، فقالَ له: أجبِ الأمير، فلمَّا جاءَ إلىٰ الحجَّاجِ قالَ له: أيُّها الشيخ، اجلسْ فتغدَّ معي، فقالَ له: قد دعاني قبلكَ مَن أجبته، قال: ومن دعاك؟ قال: دعاني الله تعالىٰ إلىٰ الصومِ فأجبته، فقالَ له: أتصومُ في هذا اليومِ الشديدِ الحرّ؟ فقال: نعم، أصومُ ليومٍ أشدَّ حرًّا منه، قالَ له: فأفطرِ اليومَ وصُمْ غداً، قال: وهل يضمنُ لي الأميرُ البقاءَ إلىٰ غد؟ قال: لا، قال: فكيف تأمرُ بذلك؟! قالَ له: أيُّها الشيخ، إنَّه طعامٌ شهيّ، فلو نلتَ منه، فقالَ له: أيُّها الأمير، ما أنت طيَّبته، ولا طيَّبَهُ الخبَّاز، وإنَّما طيَّبتهُ العافية(٤).

---

(١) لعلها نفسها، أو مثيلها، التي ترويها كتب الأدب عن الأصمعي وخبر الأعرابي، كما في الكامل في اللغة والأدب ١/١٦٣، وكتاب الصناعتين ص ٢٢٠. والحكاية صياغتها ركيكة ومكررة.

(٢) في الأصل «وهب»، في موضعين. وهو وهيب بن الورد، كما في مصدريه.

(٣) حلية الأولياء ٨/٤٢، تهذيب الكمال ٣١/١٧٣. وهو ناقص في المصدرين. ولمظ بمعنىٰ تذوق.

(٤) البداية والنهاية ١٢٨٥١٨، بغية الطلب ٥/٢٠٣٦، عيون الأخبار ٢/٣٩٥، العقد الفريد ٤/٣٢.

وحُكيَ عن الأصمعيِّ أنَّه قال: حججتُ مع المهديّ، فلمَّا أن كنَّا بواقِصةَ[1] استطابَ موضعاً، فقال: يا أصمعي، نأكلُ طعامَنا ها هنا، فلمَّا وُضِعَ الطعامُ إذا بأعرابيٍّ قد أقبلَ ومعه أمَة، [١٢٦/ب] فقالَ لي المهدي: سيفسدُ هذا الأعرابيُّ علينا طعامنا، فلمَّا قربَ منَّا سلَّمَ علينا، فرددتُ عليه السلام، وقلت: يا أعرابي، ادنُ فكُل، فقال: إنِّي صائم، فقلت: وفي مثلِ هذا اليومِ مع حرِّهِ وشدَّةِ وعكه؟! فقالَ لي: يا ابنَ أخي، كانت الدنيا ولم أكن، وتكونُ ولا أكون، وإنَّما أكونُ فيها أيَّاماً قلائل، أفأتركُها تذهبُ عبثاً؟! وأنشأَ يقول:

وما هذه الأيَّامُ إلَّا معارةٌ ❊ فما اسطعتَ من معروفِها فتزوَّدِ
فإنَّكَ لا تدري بأيَّةِ بلدةٍ ❊ تموتُ ولا ما يُحدِثُ الدَّهرُ في غدِ
يقولون لا تبعدْ ومن يكُ فوقَهُ ❊ ذراعان من تُربِ الحفيرةِ يَبعُدِ

ثمَّ قال: أفيكم من يحسنُ يكتب؟ فقلت له: نعم، فأخرجَ من جيبهِ قطعةً من جراب، وقالَ لي: اكتبْ ولا تُعِدْ ما أملي عليك: بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيم. هذا ما أعتقَ عقيل[2] بن عبدالله جاريتَهُ لؤلؤة ابتغاءَ وجهِ الله عز وجل، وخوفاً من اقتحامِ العقبة[3]، لا سبيلَ لأحدٍ عليها إلَّا سبيلَ الولاء، وهي وأنا في الحقِّ سواء. ثمَّ أخذها وولَّى، فقالَ المهديّ: والله الذي لا إله إلَّا هو لقد أحسنَ الشيخُ في العهدة، وسألتُكَ بالله يا أصمعيُّ إلَّا اشتريتَ لي ألفَ مملوك، وكتبتَ عهدتهم بهذه العهدة، قالَ الأصمعيّ: ففعلتُ ذلك[4].

---

(١) منزل في طريق مكة.

(٢) في الأصل: عقبل.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝١١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝١٢ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١١ ـ ١٣].

(٤) إكمال تهذيب الكمال ١٨٠/٨. والأبيات وحدها في عيون الأخبار ٢٠٣/٣، والعقد الفريد ٢٩/٤.




فَصْلٌ
[في معنى صيام الدهر]



رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: [١٢٧/أ] «**من صامَ الدَّهرَ فلا صامَ ولا أفطر**»[١].

وقد ذكرنا تأويلَ ذلك، وأنَّه أراد: إذا صامَ الأيامَ التي نُهيَ عن الصيامِ فيها، كالفطرِ والأضحى وأيامِ التشريق. وهذا فيه بُعدٌ من التأويل؛ لأنَّه إذا صامَ يوماً نُهيَ عن الصَّومِ فيه، لا يمنعُ ذلك صومَهُ في بقيةِ سنته، فنصفُ أنَّه ما صام. ويُحتملُ أن يريدَ بذلك أنَّ من عوَّدَ نفسَهُ صومَ الدهرِ صارَ ذلك عادة، وخفَّ عليه الصوم، وصارَ كالطبع، وزالَ في حقِّه استشعارُ الصَّومِ ومشقَّته، ومن صامَ وأَفطَرَ كان ذاكراً لصومه، محتملاً لمشقَّته، ولهذا قالَ ﷺ لعبدالله بن عمرو: «**صُمْ يوماً وأفطرْ يوماً**»، فقال: أجدني أقوى من ذلك، فقال: «**لا أفضلَ من ذلك**»[٢].

وكذا رويَ عنه ﷺ أنَّه قال: «**أفضلُ الصيامِ صيامُ أخي داود، كان يصومُ يوماً ويُفِطُر يوماً**»[٣].



---

(١) مسند أحمد (١٦٣٢٣)، وذكر محققه أن إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) سبق تخريجه وأنه صحيح.

(٣) سبق تخريجه بلفظ مقارب وأنه صحيح.

الوصال

رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه نهىٰ عن الوصال، فقيل: يا رسولَ الله، إنَّك تواصل، فقال: «**لستُ كأحدكم، إنِّي أظلُّ عند ربِّي فيُطعمني ويَسقيني**»[1].

ورويَ أنَّه واصلَ فواصلَ قوم، فقال: «**لو مُدَّ لي في الشهرِ لواصلتُ وصالاً يَدَعُ المتعمِّقون تعمُّقَهم**»[2].

والوصال: هو تركُ الطعامِ والشرابِ يومينِ وأكثر.

وقولهُ ﷺ: «**إنِّي أظلُّ عند ربِّي فيُطعمني** [١٢٧/ب] **ويَسقيني**» معناه: فيقوِّيني كما يقوِّي الطعامُ والشراب.

ومعنىٰ «**أظلُّ عند ربِّي**» أي: يكونُ قلبي مشغولاً بربِّي عن الطعامِ والشراب، كما قيل: إنَّ الملائكةَ تغتذي بالتسبيحِ والتقديس، وذاكَ أنَّ الهمَّةَ إذا اشتغلتْ بذكرِ الله استغنتْ عن غيره.

وقوله: «**لو مدَّ لي في الشهر**»، يعني لو كان قد بقيَ من الشهرِ أيامٌ كثيرة، لواصلتُ وصالاً يَعجِزُ عنه المتعمِّقُ الذي يطلبُ التشبُّهَ بي. وإنَّما سمَّاهُ متعمِّقاً لأنَّه تجاوزَ حدَّه، ويتكلَّفُ ما يَعجِزُ عنه، كالمتعمِّقِ في الكلام.

وقد كان ابنُ الزُّبير يواصلُ سبعةَ أيام! فإذا مضتِ السبعةُ شربَ اللبنَ

(١) صحيح البخاري (٧٢٩٩) من رواية أبي هريرة، سنن أبي داود (٢٣٦١) من رواية أبي سعيد الخدري، وذكر محققه أن إسناده صحيح، مسند أبي يعلىٰ (٢٩٧٢) من رواية أنس، وذكر محققه أن إسناده صحيح. وهو بألفاظ متقاربة.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري (٧٢٤١)، صحيح مسلم (١١٠٤).

حتَّىٰ تفتقَ أمعاؤه[1]!

وهذا يقتضي أن يكونَ نهيُ النَّبيِّ ﷺ إمَّا أن يكونَ لم يبلغه، أو حملَهُ علىٰ أنَّه قالَ ذلك ليخفِّفَ عنهم ما يَشقُّ عليهم ويَضعفوا عنه.

وقد حكىٰ أبو الحسن المصري في كتابهِ بإسنادهِ عن سعيد بن جبير أنَّه قال: أكلتُ في عشرةِ أيامٍ أكلة، وشربتُ شربة[2].

وحُكيَ أيضاً عن حجَّاج بن الأسود، أنَّ الحسنَ أُتيَ بعَشائه وقد ظلَّ صائماً، فقرأَ هذه الآية: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمّل: ١٢ ـ ١٣]، فقالَ للجارية: ويحك! ارفعي العَشاء. وأصبحَ صائماً. فلمَّا أمسَىٰ أُتيَ بعَشائه، فقرأَ الآيةَ أيضاً، فلمَّا كانت [١٢٨/أ] الليلةُ الأخرىٰ ذهبَ أخوهُ إلىٰ ثابت البنانيِّ وأصحابه، فأخبرهم بفعله، فقامَ ثابتٌ وأصحابهُ حتَّىٰ أتوا الحسنَ عند المساء، فلمَّا رآهم قال: يا جارية، هاتي العَشاء. فأكل، وأكلوا معه[3].



(١) تهذيب الآثار، مسند عمر (١٠٤٣)، ولفظه فيه: كان ابن الزبير يواصل سبعة أيام حتىٰ تيبس أمعاؤه، فإذا كان اليوم السابع أتىٰ بسمن وصبر فتحسَّاه حتىٰ تفتق الأمعاء. اهـ. وتنظر أخبار مثلها عجيبة في تاريخ مدينة دمشق ٢٨/١٧٧، ١٧٨.

(٢) هذا يذكر عن شعيب بن حرب، كما في مصادر عديدة، ويبدو أن «سعيد بن جبير» تصحيف عن «شعيب بن حرب». ينظر سير أعلام النبلاء ٩/١٩٠، وتاريخ بغداد ٩/٢٤١، وتاريخ الإسلام ٤/١١٢٦، وتهذيب الكمال ١٢/٥١٥.

(٣) الزهد لأحمد (١٦٤٠)، التخويف من النار ص ١٥٦، التبصرة لابن الجوزي ١/٨٢.

فَصْلٌ
[الصوم في الشتاء]

رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**الصَّومُ في الشِّتاءِ الغنيمةُ الباردة**»(١).

يريدُ بذلك أنَّه غنيمةٌ من غيرِ مشقَّة؛ لقصرِ نهاره، وطيبةِ وقته.

ورويَ عنه ﷺ أنَّه قال: «**الشتاءُ ربيعُ المؤمن، قَصُرَ نهارُهُ فصامَه، وطالَ ليلهُ فقامَه**»(٢).

فَصْلٌ
في تنزيه الصَّوم

رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**من لم يدَعْ قولَ الزُّورِ والعملَ به، فليسَ لله حاجةٌ أن يدَعَ طعامَهُ وشرابه**»(٣).

وهذا معناهُ أنَّ الغرضَ بصومهِ صيانةُ نفسهِ ولسانه، فإذا لم يكفَّهُ الصَّومُ فقد فاتَهُ المقصودُ به، فلا فائدةَ فيه.

وأولَىٰ ما تجنَّبهُ الصائمُ الغيبة، فإنَّ الله تعالىٰ شبَّهها بأكلِ لحومِ الميتة،

(١) شعب الإيمان (٣٦٥٧) من رواية جابر، و (٣٦٥٨) من رواية أنس، وقد صحح روايتيهما في صحيح الجامع (٥١٤٩)، وحسَّن رواية عبدالله بن مسعود في السلسلة الصحيحة (١٩٢٢) لشواهدها.

(٢) فضل قيام الليل للآجري (١٣) من رواية أبي سعيد الخدري. قال الحافظ العجلوني: لهذا الحديث شواهد فيصير حسنًا لغيره. كشف الخفاء (١٥٣٣). وذكر الألباني أن في إسناده ضعفًا، ذكره في السلسلة الصحيحة ٤/٥٥٦.

(٣) صحيح البخاري (١٩٠٣).

فقالَ تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢]. والأكلُ مفسدٌ للصَّوم.

وروىٰ هناد بإسنادهِ عن ثابت، عن أنس أنَّه قال: ما صامَ مَن ظلَّ يأكلُ لحومَ النَّاس(١).

وروىٰ بإسنادهِ عن أبي المتوكِّل التَّاجي قال: كان أبو هريرةَ وأصحابهُ إذا صاموا جلسوا في المسجدِ وقالوا: [١٢٨/ب] نطهِّر صيامَنا(٢).

فَصْلٌ

[دعاء الصائم]

ويستحبُّ للصائمِ أن يدعوَ الله تعالىٰ قبلَ إفطاره، لما رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**للصَّائمِ دعوةٌ مجابة**»(٣).

ويجبُ أن يدعوَ بالمغفرة، فإنَّ فيها جماعَ الخير.

---

(١) هكذا ورد في الأصل! وبمقارنته بمصدره تبيَّنَ رفعه، ففي كتاب الزهد لهناد ٢/٥٧٣ ما لفظه: عن يزيد بن أبان، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما صام من ظل يأكل لحوم الناس». وذكر محققه أنه ضعيف. كما يرد حديثًا مرفوعًا لأنس في مصادر أخرىٰ، مثل المصنف لابن أبي شيبة (٨٩٨٣)، وقد ضعفه في السلسلة الضعيفة (٤٤٥١).

(٢) الزهد لهناد ٢/٥٧٣. وذكر محققه أن إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٣) إذا كان المقصود حديث ابن عمر «لكل صائم عند فطره دعوة مستجابة» فقد ضعفه في السلسلة الضعيفة (٤٣٢٥)، وإذا كان المقصود حديث ابن ماجه (١٧٥٣) الذي رواه عبدالله بن عمرو بن العاص: «إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد»، فقد قال فيه محققه الأرناؤوط: إسناده حسن. ولم أقف علىٰ اللفظ الذي ساقه المؤلف.

وقد حُكيَ عن رجلٍ كان عليه دَين، أنَّه جاءَ إلىٰ بعضِ الصالحين، فسألَهُ أن يدعوَ الله تعالىٰ أن يقضيَ دَينه، فقالَ الصالح: اللَّهمَّ اغفرْ له، فقال: إنَّما سألْتُكَ أن تدعوَ لي أن يقضيَ الله تعالىٰ دَيني، فقال: يا هذا، من غفرَ الله له انصلحتْ حاله.

وقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه كان يقولُ إذا أفطر: «**ذهبَ الظمأ، وابتلَّتِ العروق، وثبتَ الأجر [إن شاء الله]**»[1]. وهذا حثٌّ علىٰ الطاعاتِ منه ﷺ، فإنَّ كلَّ عاملٍ يذهبُ تعبهُ وعناؤه، ويبقىٰ ثوابهُ وجزاؤه.

فَصْلٌ
[تفطير الصائمين]

ويستحبُّ للرجلِ أن يفطِّرَ الصائمين؛ لما رُويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**من فطَّرَ صائماً كان له مثلُ أجره، من غيرِ أن يَنقُصَ من أجرِ الصائمِ شيء**»[2].

وقد حُكيَ أنَّ بعضَ الصالحين جاءَ إلىٰ صديقٍ له وهو صائم، فأَفطَرَ عنده، وقال: ليسَ بي حاجةٌ إلىٰ ذلك، ولكنِّي أحببتُ أن يكونَ لكَ مثلُ أجري، من حيثُ لا يضرُّني ذلك.

(١) سنن ابن ماجه (٢٣٥٧) قال محققه: إسناده حسن. كما حسَّنه في صحيح الجامع (٤٦٧٨). وما بين المعقوفتين من مصدره.

(٢) سنن الترمذي (٨٠٧) وقال: حسن صحيح. كما صححه في صحيح الترمذي، وفي صحيح الجامع (٦٤١٥). ورواه البيهقي في السنن الكبرىٰ (٨١٣٨)، والنسائي في السنن الكبرىٰ كذلك (٣٣١٦).

وقد روىٰ أبو داود بإسناده عن هشام، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إذا دُعيَ أحدُكم فليُجب، فإن كان** [١٢٩/أ] **صائماً فليصلِّ، وإن كان مُفطِراً فليَطْعَم**». والصلاة: الدعاء(١).

ويستحبُّ له إذا كان متطوِّعاً ودُعيَ إلىٰ طعامٍ ينكسرُ أهلهُ بامتناعه، أن يُجيبَ ويُفطِر، ويستحبُّ أن يصومَ يوماً مكانه. وإن كان صوماً واجباً أو تطوُّعاً في زمانٍ شُرِعَ الصومُ فيه، كعاشوراءَ وعرفة، لم يُفطر، ويدعو لهم.

فَصْلٌ

[الأيام المنهيُّ عن صومها]



رويَ عن النَّبيِّ ﷺ **أنَّه نهىٰ عن صيامِ ستةِ أيام: يومِ الفطر، ويومِ النَّحر، وأيَّامِ التشريق، واليومِ الذي يُشَكُّ فيه من رمضان**(٢).

فَصْلٌ

[رمضان شهر الغفران]



روىٰ أبو هريرة، أنَّ رسولَ الله ﷺ رقيَ المنبرَ فقال: «**آمين، آمين،**

---

(١) سنن أبي داود (٢٤٦٠)، قال محققه: حديث صحيح وهذا إسناد قوي، صحيح مسلم (١٤٣١). وقوله بعد الحديث «الصلاة الدعاء» من قول هشام، راوي الحديث عن ابن سيرين.

(٢) مسند البزار (٨٤٤٥)، وفيه عبدالله بن سعيد المقبري، قال الحافظ الهيثمي: وهو ضعيف. مجمع الزوائد ٢٠٦/٣.

آمين» ، فقالَ له قائل: ما كنتَ تصنعُ هذا ، فقال: «قالَ لي جبريلُ صلَّىٰ الله عليه: رَغِمَ أنفُ ، أو بَعُدَ ، مَن دخلَ عليه رمضانُ ثمَّ لم يُغفَرْ له ، فقلت: آمين ، فلمَّا رَقِيتُ الثانيةَ قال: بَعُدَ مَن أدركَ عندهُ أبواهُ الكِبَرَ أو أحدُهما فلم يُدخِلاه الجنَّة ، فقلت: آمين ، فلمَّا رَقِيتُ الثالثةَ قال: بَعُدَ من ذُكِرتَ عندهُ فلم يصلِّ عليك ، فقلت: آمين»[1] .



(١) مسند البزار (٨١١٦) ، وفيه كثير بن زيد الأسلمي ، قال الحافظ الهيثمي: وثقه جماعة وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد ١٠/١٦٩. وفي رواية ابن عباس قال الألباني: ضعيف جدًّا. ضعيف الترغيب (١٠٤٠).

بَابُ
الاعتكاف

قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن محمَّد بن الحسن المؤدِّب قال: حدَّثنا إسماعيل بن محمَّد بن حاجب الكشاني قال: حدَّثنا الفربري قال: حدَّثنا البخاري [١٢٩/ب] قال: حدَّثنا إسماعيل بن عبدالله قال: حدَّثني ابن وهب، [عن يونس]، أنَّ نافعاً أخبرَهُ عن عبدالله بن عمر قال:

كان النَّبيُّ ﷺ يعتكفُ العشرَ الأواخرَ من شهرِ رمضان(١).

وروىٰ البخاريُّ بإسنادهِ عن أبي سعيد الخدريّ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يعتكفُ العشرَ الأوسطَ من شهرِ رمضان، فاعتكفَ عاماً، حتَّىٰ إذا كان ليلةَ إحدىٰ وعشرين قال: «**من كان اعتكفَ معي فليعتكفِ العشرَ الأواخر**»(٢).

وروىٰ البخاريُّ أيضاً عن عبدالله بن يوسف قال: أخبرنا مالك، عن يحيىٰ بن سعيد، عن عمرة بنت عبدالرَّحمن، عن عائشة ﵂، أنَّ النَّبيَّ ﷺ أرادَ أن يعتكف، فلمَّا انصرفَ إلىٰ المكانِ الذي أرادَ أن يعتكفَ إذا أخبية: خِباءُ عائشة، وخِباءُ حفِصة، وخِباءُ زينب، فقال: «**ألبرَّ يُردن**»؟، ثمَّ انصرف، فلم يعتكفْ حتَّىٰ اعتكفَ عشراً من شوَّال(٣).

---

(١) صحيح البخاري (٢٠٢٥)، وما بين المعقوفتين في السند منه.

(٢) صحيح البخاري (٢٠٢٧)، وقد أورده المؤلف مختصرًا.

(٣) صحيح البخاري (٢٠٣٤)، وفيه قوله ﷺ: «ألبر تقولون بهن». وتفصيله في الرقم=

وروى البخاريُّ بإسناده عن مسروق، عن عائشة قالت: **كان النَّبيُّ ﷺ إذا دخلَ العشرُ شدَّ مئزره، وأحيا ليله، وأيقظَ أهله**[1].

والاعتكافُ من أخصِّ العبادات؛ لأنَّه مقامٌ على بابِ الله تعالى، وحبسَ نفسَهُ عن الدنيا.

ومن سنَّتهِ الصيامُ فيه، وإدامةُ الذكر.

ويدخلُ في قولهِ تعالى: [١٣٠/أ] ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [النور: ٣٦-٣٧].

فإنَّ من أقامَ في المسجدِ كان ذلك داعياً له إلى الذكر، وكاسرَ نفسهِ عن التطلُّعِ إلى الشهوات.

وحُكيَ عن يعلى بن منبِّه[2] أنَّه أتاهُ مولًى له يستعينهُ في حاجة، فقال: دعني أعتكفْ ساعة[3].

وروي عن عطاء أنَّه قال: كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ يقولُ بعضُهم لبعض: انطلقوا بنا نعتكفْ ساعةً في المسجد[4].

= (٢٠٤٥)، وفيه قوله ﷺ: «ألبر أردن بهذا، ما أنا بمعتكف».

(١) صحيح البخاري (٢٠٢٤).

(٢) هو يعلى بن أمية الثقفي، أحد بني حنظلة، أمه مُنْيَة، وهو الذي يقال له يعلى بن منبِّه. وهو صحابي. مشاهير علماء الأنصار ص ٥٨، معرفة الصحابة ٥/٢٨٠١.

(٣) ينظر الهامش الآتي.

(٤) كأنه نفسه السابق. ففي مصنف ابن أبي شيبة (٩٤٧٥): عن يعلى بن أمية أنه كان يقول=

وهذا يبيِّنُ أنَّ الاعتكافَ يجوزُ قليلهُ وكثيره.

وروتْ عائشةُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ **كان يعتكف، فيمرُّ بالمريضِ من أهله، فيسألُ عنه ولا يعرِّجُ عليه، وكان لا يخرجُ إلَّا لحاجةِ إنسان**(١).

والاعتكاف يستحبُّ في مساجدِ الجماعات.

وحُكيَ عن النخعيِّ أنَّه قال: كانوا يستحبُّون أن يخرجَ المعتكفُ يومَ الفطرِ إلىٰ المصلَّىٰ قبلَ أن يرجعَ إلىٰ أهله(٢).

فَصْلٌ

في بيانِ قولهِ تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا

= لصاحبه: انطلق بنا إلىٰ المسجد فنعتكف فيه ساعة. وفي معرفة الصحابة ٥/٢٨٠١: عن عطاء قال: إن يعلىٰ بن أمية كانت له صحبة، وكان يعقد في المسجد ساعة، ينوي به الاعتكاف.

(١) في التمهيد لابن عبدالبرّ ٨/٣٢١: عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يعتكف فيمر بالمريض في البيت فيسلم عليه ولا يقف. قال: وهذا معضل لا وجه له، إنما هو فعل عائشة، ليس ذكر النبي ﷺ من هذا الحديث في شيء، وهذا الوهم من ابن لهيعة فيما نرىٰ. والله أعلم.

قلت: ويعني قولها ﵂ كما في صحيح مسلم (٢٩٧): إن كنتُ لأدخل البيت للحاجة، والمريض فيه، فما أسأل عنه إلا وأنا مارة، وإن كان رسول الله ﷺ ليُدخل عليَّ رأسه وهو في المسجد فأرجّله، وكان لا يدخل البيت إلا لحاجة، إذا كان معتكفًا.

(٢) وقال الإمام مالك: يكون يوم الفطر في معتكفه، ويشهد العيد مع الناس، ويرجع إلىٰ المسجد، لا إلىٰ بيته، ولا يعتد بذلك اليوم. الجامع لمسائل المدونة ٣/١٢٠٠.

يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥] [١٣٠/ب].

رمضانُ مشتقٌّ من شدَّةِ الحرّ، قالَ ابنُ دريد: الرمضُ شدَّةُ وقعُ الشمسِ على الرملِ وغيره[١]، ويقال: رمضَ يومُنا إذا اشتدَّ حرُّه، وإنَّما أضافوهُ إلىٰ الحرِّ لوقوعِ الحرِّ؛ لأنَّه كان يقعُ فيه، كما قالوا: جُمادَىٰ، لجمودِ الماءِ فيه. وكانت العربُ تكسرُ في كلِّ ثلاثِ سنينَ شهراً، فيُسقطون شهراً، وهو النَّسيءُ الذي حرَّمَهُ الله تعالىٰ، فإنَّهم كانوا يجعلون صفرَ المحرَّم، ويحلُّون المحرَّم، ﴿فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ تعالىٰ[٢].

وذكرَ بعضُهم أنَّه سمِّيَ رمضانَ لأنَّه يحرقُ الذنوب[٣]، وهذا مسمًّىٰ بذلك قبلَ فرضِ الصومِ فيه، وكفَّرَ به الذنوبُ بعد تسميته.

وقولهُ تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ قيلَ فيه قولان:

أحدهما: أنَّ القرآنَ نزلَ فيه إلىٰ سماءِ الدنيا جملةً واحدة، ثمَّ نزلَ بعد ذلك علىٰ النَّبيِّ ﷺ نجوماً.

والثاني: أنَّ ابتداءَ نزولِ القرآنِ كان فيه[٤].

---

(١) أورده له الطوسي في تفسيره التبيان، عند تفسير الآية الكريمة، ومعلومات أخرىٰ مأخوذة منه أيضًا.

(٢) قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡ﴾ [التوبة: ٣٧].

(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان، عند تفسير الآية الكريمة.

(٤) النكت والعيون للماوردي ١/٢٤٠، وغيره.

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ﴾ يريد: من كان حاضراً فيه.

﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ المريض: الذي يخافُ بالصومِ زيادةً يجوزُ له أن يُفطر، والمسافرُ سفراً مباحاً يكونُ ستةَ عشرَ فرسخاً يجوزُ له الفطر، وإذا لم يخفِ التلفَ بالصومِ أولَىٰ[1].

وقولهُ تعالىٰ: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾، إنَّما يكونُ ذلك بإكمالِ [١٣١/أ] العددِ ثلاثين، إن لم يُرَ هلالُ شوّال، وإن رأوا هلالَ شوّالٍ فقد كملتِ العِدَّة، فإنَّ الشهرَ ما بين الهلالين، أو ثلاثونَ يوماً[2] إن غُمَّ الهلال، فإذا غُمَّ هلالُ شعبانَ أكملوهُ ثلاثين، ثمَّ صاموا، وإذا غُمَّ هلالُ شوّالٍ أكملوا شهرَ رمضانَ ثلاثين.

وقولهُ تعالىٰ: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾: يستحبُّ التكبيرُ ليلةَ الفطرِ وصبيحتَهُ حتَّىٰ يَفرغوا من الصلاةِ والخُطبتين؛ شكراً لله تعالىٰ علىٰ هدايتهِ ولطفه، وتوفيقهِ للطائعين حتَّىٰ أكملوا فرضَهُ وقاموا بحقِّه، وجعلَ لهم عند إتمامهِ عيداً لمسرَّتهم بإكمالِ عبادتهم، وزادَهم فيه عبادة، وهي صلاةُ العيد؛ شكراً له علىٰ قبولهم، وذلك عنوانٌ منه تعالىٰ علىٰ قبولِ مُحسنِهم، والعفوِ عن مُسيئهم.

وينبغي لمن أكملَ صومَهُ أن يشتغلَ ليلةَ العيدِ في العبادةِ، والتضرُّعِ إلىٰ الله تعالىٰ في العفوِ والتجاوز، وقبولِ طاعته، والتجاوزِ عمَّا يشوبُ ذلك من زلَّةٍ أو غفلةٍ أو خَطرةٍ أو شهوة.

---

(١) هكذا.. وقد تكون «فالصوم أولىٰ»، أو «بالصوم فهو أولىٰ».

(٢) في الأصل: ثلاثين يومًا.

ثمَّ يُخرِجُ فطرتَهُ التي شُرعتْ له طهوراً.

روى ابنُ عباس أنَّ النَّبيَّ ﷺ أمرَ بالفطرةِ طهرةً للصائمِ من اللغوِ والرفَث، وطعمةً للمساكين، وقالَ ﷺ: «**أغنوهم عن الطلبِ في هذا اليوم**»(١).

ويكرهُ للفقراءِ تركُ الاشتغالِ بالعبادةِ والاشتغالُ بالطلب.

ويستحبُّ أن يَطعَمَ قبلَ الصلاة؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ [١٣١/ب] كان يومَ الفطرِ يَطعمُ قبلَ الصلاة، ولا يَطعَمُ يومَ الأضحى إلَّا بعد الصلاة(٢). وقيل: إنَّه إنَّما استُحبَّ ذلك لأنَّه يطعمُ الفقراءَ قبلَ الصلاةِ فيشاركهم. وقيل: إنَّه يقدِّمُ فيه الأكلَ لأنَّه فطرٌ وجبَ عليه بعد صومٍ واجب.

ويستحبُّ أن يأكلَ ثلاثَ تمرات، وإن زادَ كان وتراً.

وإن أخَّرَ إخراجَ الفطرةِ قبلَ الصلاةِ لم يؤخِّرها عن يومِ الفطر، وإن أخَّرها كانت قضاء.

ويعطيها من أحلِّ ماله، ويختارُ أغلَى الأقوات، من التمرِ والبُرِّ والزبيب، ويجزئهُ من غالبِ قوتِ البلد.

والفطرةُ أربعةُ أمداد، كلُّ مُدٍّ رطلٌ وثلثٌ من أيِّ الأجناسِ أُخرجت(٣).

---

(١) رواه الدارقطني في سننه (٢١٣٣)، وذكر الإمام النووي أن البيهقي رواه بإسناد ضعيف، وأنه أشار إلى ضعفه. المجموع ١٢٦/٦.

(٢) سبق بيان هذا.

(٣) ينظر تحديده في التهذيب في الفقه الإمام الشافعي ٧٨/٣.

بَابُ
الجود والصدقة

قالَ الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

وهذا أمرٌ بإخراجِ الزكاةِ من مكاسبه، وما خرجَ من الأرضِ من زرعٍ وثمر.

وقولهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ﴾ يريد: تعمَّدوا الخبيث(١). والخبيث: الرديء، ولهذا يقال: خَبَثُ الحديد: ما نفاهُ الكير(٢). وقيل: الحرام. والأولُ أولىٰ؛ لقولهِ تعالىٰ: ﴿وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧]. والإغماض: الوكسُ فيه(٣)، وقيل: التساهلُ فيه، من قولهم: أغمضَ عن الأمر، إذا تجاوزَ عنه.

وقد ذكرنا فيما تقدَّمَ فضلَ الصدقةِ وإخراجَ [١٣٢/أ] المالِ فيها.

والصدقةُ من أفضلِ الأعمال، وقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**الجنَّةُ دارُ الأسخياء**»(٤).

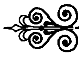
---

(١) بمعنىٰ تقصدوا، كما في التفاسير.

(٢) في الأصل: وما نفاه الكير.

(٣) والوكس: النقص.

(٤) المنتقىٰ من مكارم الأخلاق للخرائطي (٢٩٧)، المستجاد للدارقطني (١٦، ١٧) وقالت=




وروىٰ جعفر بن محمَّد عن أبيه، عن جدِّه، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**السخاءُ شجرةٌ في الجنَّة، أغصانها متدلِّياتٌ في الدنيا، من أخذَ بغصنٍ منها قادَهُ ذلك الغصنُ إلىٰ الجنَّة، والبخلُ شجرةٌ في النَّار، أغصانُها متدلِّياتٌ في الدنيا، من أخذَ بغصنٍ منها قادَهُ ذلك الغصنُ إلىٰ النَّار**»(١).

وهذا مثَلٌ حسن؛ لأنَّ الصدقةَ واصطناعَ المعروفِ من القُرَبِ المؤدِّيةِ إلىٰ الجنَّة، والبخلُ يقتضي منعَ الحقوقِ وأخذَ المالِ بغيرِ حقّ، وذلك من أسبابِ النَّار.

وروىٰ الأعمش عن نافع، عن ابنِ عمر قال: لقد رأيتُنا وما الرجلُ المسلمُ أحقُّ بدينارِهِ ولا درهمِهِ من أخيهِ المسلم(٢).

وروىٰ عطاء عن ابن عباس، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**اسمحْ يُسمَحْ لك**»(٣).

وروىٰ هناد بإسنادِهِ عن أبي ذرٍّ قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ وهو في

= محققته: ضعيف، الكامل في الضعفاء ١/١٨٧، وضعفه له الألباني في ضعيف الجامع (٢٦٦٨)، وأحال إلىٰ السلسلة الضعيفة (٣٤٧٧). وبلفظ مقارب في المعجم الأوسط للطبراني (٥٧٣٨). وكلها من رواية عائشة ﵂. وأخرجه الخطيب في البخلاء من رواية أنس (٣)، وفي إسناده متروك، كما أفاده في الفوائد المجموعة ص ٨٠.

(١) البخلاء للخطيب (٣)، المستجاد للدارقطني (٥) وقالت محققته: ضعيف، شعب الإيمان (١٠٨٧٥) وقال: هذا إسناد ضعيف. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ٢/١٨٢، وينظر الفوائد المجموعة ص ٧٨.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢٧٢٤١)، مكارم الأخلاق للخرائطي (٥٧٧).

(٣) مسند أحمد (٢٢٣٢) وذكر محققه أنه صحيح، المعجم الصغير للطبراني (١١٦٩)، شعب الإيمان (١١٢٥٨)، الفوائد لتمام (٧١٨، ٧١٩) وذكر محققه أنه صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٨٢).




المسجد، فجلستُ إليه، فقال: «يا أبا ذرّ، هل صلَّيت»؟ قلت: لا، قال: «قمْ فصلِّ». فصلَّيت، ثمَّ جلستُ إليه، فقال: «يا أبا ذرّ، استعذْ بالله من شياطينِ الإنسِ والجن»، قال: قلت: يا رسولَ الله، وهل للإنسِ شياطين؟ قال: «نعم».

قال: ثمَّ إنَّه قال: «يا أبا ذرّ، ألا أدلُّكَ على كنزٍ من كنوزِ الجنَّة»؟ قال: قلت: [١٣٢/ب] بلى بأبي أنت وأمِّي، قال: «قلْ: لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله، فإنَّها من كنوزِ الجنَّة».

قال: قلت: ما الصَّلاةُ يا رسولَ الله؟ قال: «خيرٌ موضوع، من شاءَ أقلّ، ومن شاءَ أكثر»، قال: قلت: فما الصيامُ يا رسولَ الله؟ قال: «قرضٌ مجزيّ»، قال: قلت: فما الصدقة؟ قال: «أضعافٌ مضاعفة، وعند الله المزيد»، قال: قلت: أيُّها أفضلُ يا رسولَ الله؟ قال: «جهدٌ من مقلٍّ، أو سِرٌّ إلى فقير»، قال: قلت: أيُّما أُنزِلَ إليكَ أعظم؟ قال: «﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾» [البقرة: ٢٥٥] حتَّى ختم الآية، قال: قلت: فأيُّ الأنبياءِ كان أول؟ قال: «آدم»، قلت: ونبيٌّ كان؟ قال: «نعم، نبيٌّ مكلَّم»، قال: قلت: وكم الأنبياءُ يا رسولَ الله؟ قال: «ثلاثُ مئةٍ وخمسةَ عشر، جمًّا غفيراً»[1].

وروى هناد عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن شقيق، عن أبي مسعود[2] قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «حوسِبَ رجلٌ ممَّن كان قبلكم فلم يوجدْ

(١) الزهد لهناد ٥١٦/٢، ورواه أحمد في المسند (٢١٥٤٦) وذكر محققه أن إسناده ضعيف جدًّا لجهالة عبيد بن الخشخاش، ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٣٢٩٨)، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٤٨٠). وفي سند الجميع عبيد بن الخشخاش.

(٢) في الأصل: عن أبي معاوية، عن سفيان، عن ابن مسعود. وتصحيحه من مصدره، وغيره.=

له من الخيرِ شيء ، إلَّا أنَّه كان رجلاً موسراً ، وكان يخالطُ النَّاس ، وكان يأمرُ غلمانَهُ أن يتجاوزوا عن المُعسِر ، فقالَ الله ﷻ: نحن أحقُّ بذلك منه ، فتجاوزوا عنه»[١].

روىٰ الأعمش عن أبي صالح ، عن أبي هريرة قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«من سترَ علىٰ مسلمٍ سترَ الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن يسَّرَ علىٰ معسرٍ يسَّرَ الله ﷻ عليه في الدنيا والآخرة ، ومن فرَّجَ عن مكروبٍ فرَّجَ الله عنه** [١٣٣/أ] **في الدنيا والآخرة ، والله في عونِ العبدِ ما دامَ العبدُ في عونِ أخيه ، ومن بطَّأَ به عملهُ لم يسرعْ به نسبه»**[٢].

وروىٰ أبو الزُّبير عن جابر قال: مرَّ رسولُ الله ﷺ بقومٍ من الأنصارِ يغرسون غرساً ، فقال: **«اغرسوا وازرعوا ، فإنَّه ما من أحدٍ غرسَ غرساً ، أو زرعَ زرعاً ، فأصابَ منه إنسانٌ ، أو دابَّة ، أو طير ، إلَّا كُتِبَ له صدقة»**[٣].

وروىٰ أبو الحباب عن أبي هريرة ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **«ما من يومٍ يصبحُ فيه العبادُ إلَّا وملَكان يقومان ، فيقولُ أحدُهما: اللَّهمَّ أعطِ مُنفقاً خلَفاً ، ويقولُ الآخر: اللَّهمَّ أعطِ مُمسكاً تلَفاً»**[٤].

= وهو نفسه سند مسلم . وأبو مسعود هو عقبة بن عمرو الأنصاري ، رضي الله عنه .

(١) الزهد لهناد ٥٢٢/٢ ، وذكر محققه أن إسناده صحيح . ورواه مسلم في صحيحه (١٥٦١) .

(٢) سنن أبي داود (٤٩٤٦) ، وذكر محققه أن إسناده صحيح ، والبيهقي في الآداب (٩٢) . مع تقديم وتأخير جمل . وبأطول منه في صحيح مسلم (٢٦٩٩) . ويأتي بألفاظ وروايات وطرق عديدة .

(٣) لم أره بهذا اللفظ ، ولكن من رواية جابر أخرجه مسلم في صحيحه (١٥٥٢) بلفظ: «لا يغرس المسلم غرسًا ، فيأكل منه إنسان ، ولا دابة ، ولا طير ، إلا كان له صدقة إلىٰ يوم القيامة» .

(٤) رواه الشيخان: صحيح البخاري (١٤٤٢) ، صحيح مسلم (١٠١٠) ، ولكن عندهما «ينزلان»=




وروىٰ محمد بن المنكدر عن جابر، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«ثلاثٌ من كنَّ فيه أظلَّهُ الله تحت ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّه: الوضوءُ في المكاره، والتعسُّفُ إلىٰ المساجدِ في الظُّلَم، وإطعامُ الجائع»**(١).

روىٰ جابر وعبيد بن عمير، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«أفضلُ الصدقةِ جهدُ المقلِّ»**(٢).

وروىٰ عقبة بن عامر أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«النَّاسُ في ظلِّ صدقاتهم يومَ القيامةِ حتَّىٰ يُفصَلَ بين النَّاس»**(٣).

وروىٰ أبو إسحاق عن أبي العالية قال: كنتُ عند عائشةَ رضي الله عنها، فجاءَ

= بدل «يقومان»، ولم أره بلفظ المؤلف.

(١) رواه قوام السنة في الترغيب والترهيب (١٤٩)، وابن حجر في الأمالي المطلقة (١٠٢) وقال: حديث غريب، أخرجه أبو الشيخ في الثواب... لكن وردت في الترغيب في كل هذه الخصال أحاديث قوية. اهـ. وضعفه في ضعيف الجامع (٢٥٤٨). وفي جميعها «المشي إلىٰ المساجد»، ولم أجده بلفظ «التعسف»! ولعله تحريف عن «السعي». ومن معاني الكلمة: تعسَّف في الكلام: تكلَّفه. ومن معانيها المتعلقة بالمشي: تعسف وعسف عن الطريق: مال وعدل، وعسف عن الطريق: سار فيه علىٰ غير هدىٰ. ينظر تاج العروس مادة عسف.

(٢) حديث جابر وعبيد رواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء ١٩٩/٤، وفي سنده زمعة بن صالح المكي، الذي قال فيه أخيرًا: ربما يهم في بعض ما يرويه، وأرجو أن حديثه صالح لا بأس به. اهـ. لكن حديث جابر رواه البغوي في جزء حديث أبي الجهم، وذكر الألباني أن إسناده جيد، رجاله ثقات. السلسلة الصحيحة (٥٦٦). وللحديث روايات أخرىٰ.

(٣) يأتي أوله: «كل امرئ في ظلِّ صدقته». أخرجه بهذا ابن خزيمة في صحيحه (٢٤٣١) وذكر محققه أن إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم، والحاكم في المستدرك (١٥١٧) وقال: حديث صحيح علىٰ شرط مسلم. وأحمد في المسند (١٧٣٣٣) وقال محققه: إسناده صحيح رجاله ثقات. وبلفظ «يقضي بين الناس» في حلية الأولياء ١٨١/٨، وفي مسند أبي يعلىٰ (١٧٦٦)، وأوله فيه: «الرجل في ظلِّ صدقته». وذكر محققه أن إسناده صحيح.




سائل، فأمرتْ له بحبَّةٍ من عنب، وقالت: إنَّ فيها مثاقيلَ ذرٍّ كثير(١).

وروىٰ جعفر بن محمَّد عن أبيه قال: اجتمعَ ببابِ النَّبيِّ صلَّىٰ الله عليه [١٣٣/ب] وسلَّمَ عليٌّ بن أبي طالب، وجعفر بن أبي طالب، والعبَّاس بنُ عبدالمطَّلب، فأقبلَ العبَّاس علىٰ عليٍّ فقال: يا أبا الحسن، ألا تصفُ المعروف؟ فقال: بلىٰ، أكنزُ الكنوز، وأفضلُ الذَّخائر، فلا يمنعْكَ منه مَن كفَره، فقد يحمدُكَ عليه من لم ينتفعْ منه بشيء، وقد يشكرُ الشاكرُ ما جحدَ الكفورُ الجاحد.

وقالَ جعفر: المعروفُ أزينُ حلية، وأحسنُ أُحدوثة، ولكلِّ شيءٍ ثمرة، وثمرةُ المعروفِ تعجيلهُ علىٰ أهله.

وقالَ العبَّاس: المعروفُ أزينُ حلية، وأفضلُ الذخائر، ولا يكملُ إلَّا بخصالٍ ثلاث: تعجيله، وكتمانه، وتصغيره، فإذا عجَّلتَهُ هنَّأته، وإذا صغَّرتَهُ عظَّمته، وإذا كتمتَهُ أتممته.

فخرجَ عليهم رسولُ الله ﷺ فقال: «**سمعتُ منكم همهمة، ففيمَ كنتم**»؟ فأخبروه، فقال: «**أعيدوا عليَّ قولكم**»، فأعادوه، فقال: «**كلُّكم قد أحسنَ صفةَ المعروف، وهو المعروفُ عند اسمه، وأهلُ المعروفِ في الدنيا هم أهلُ المعروفِ في الآخرة**»(٢).

---

(١) الأموال لابن زنجويه (١٣٢٧).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في اصطناع المعروف (٢٢)، والسخاوي في مشيخة ابن شاذان، كما ذكر في الجواهر المجموعة (٤٦٦)، ولكن فيه عمر بن الخطاب بدل عليّ، وهو كذلك في مشيخة ابن شاذان الصغرىٰ (٦٧) المطبوعة. كما أورده صاحب كنز العمال (١٧٠١٤) لابن النجار، والحديث وحده في الرقم (١٦٤٤٩) وأنه مرسل.

وروىٰ أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**من اهتمَّ بجوعةِ أخيه، فأطعمَهُ حتَّىٰ شبع، وسقاهُ حتَّىٰ يروَىٰ، غفرَ الله له**»[1].

وروىٰ عليُّ بن أبي طالب كرَّمَ الله وجهَهُ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ في الجنَّةِ لغرفاً يُرَىٰ ظهورُها من بطونها، وبطونُها من ظهورِها**»، فقام أعرابيٌّ فقال: يا رسولَ الله، لمن هذه؟ قال: «**هذه** [١٣٤/أ] **لمن أطعمَ الطَّعام، وأطابَ الكلام، وأدامَ الصِّيام، وقامَ بالليلِ والنَّاسُ نيام**»[2].

وروىٰ هناد بإسنادِهِ عن محمَّد بن سيرين قال: **كان رسولُ الله ﷺ إذا أمسَىٰ قسَمَ ناساً من أهلِ الصُّفَّةِ بين ناسٍ من أصحابه**، فكان الرَّجلُ يذهبُ بالرَّجل، والرَّجلُ بالرَّجلين، والرَّجلُ بالثلاثة، حتَّىٰ ذكرَ عشرة. وكان سعد بنُ عبادة يرجعُ إلىٰ أهلهِ كلَّ ليلةٍ بثمانين منهم، يعشِّيهم[3].

ورويَ أنَّ أبا بكر رضوانُ الله عليه كان مالهُ حين أسلمَ أربعونَ ألفَ درهم، فلم يزلْ ينفقهُ في الله، ويشتري من عُذِّبَ في الله، وينفقُ علىٰ رسولِ الله ﷺ، حتَّىٰ هاجرَ وقد بقيَ معه خمسةُ آلافِ درهم. ولمَّا ماتَ قالتْ عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: لم يخلِّفْ درهماً ولا ديناراً[4].

---

(١) مسند أبي يعلىٰ (٣٤٢٠) وذكر محققه حسين أسد أن إسناده ضعيف، مكارم الأخلاق للطبراني (١٦٣)، وفي سنديهما بكر بن خنيس، قال الحافظ الهيثمي: وهو ضعيف. مجمع الزوائد ١٣٣/٣.

(٢) سنن الترمذي (١٩٨٤) وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالرحمن بن إسحاق، وحسَّنه في صحيح سننه، مسند أبي يعلىٰ (٤٢٨) وضعف محققه إسناده، مسند أحمد (١٣٣٨) وذكر محققه أنه حسن لغيره، وأن إسناده ضعيف. وورد في الأصل «ظاهرها من بطونها».

(٣) الزهد لهناد ٣٩٢/٢، وقال محققه: إسناده ضعيف للإرسال.

(٤) الإبانة الكبرىٰ لابن بطة (١٧٩)، تاريخ مدينة دمشق ٦٨/٣٠، تاريخ الخلفاء ص ٣٤،=




وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**ما أحدٌ أمنُّ عليَّ بمالهِ من أبي بكر، ولو كنتُ متَّخذاً خليلاً لاتَّخذتُ أبا بكر خليلاً**»(١).

وجهَّز عثمانُ رضي الله عنه جيشَ العُسرةِ بألفِ بعيرٍ وفرس(٢).

ولمَّا ملكَ عمرُ رضي الله عنه مئةَ سهمٍ من خيبر، جاءَ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: إنِّي ملكتُ مئةَ سهمٍ من خيبر، لم أملكْ قطُّ مثلَها، وأحبُّ أن أتقرَّبَ بها إلى الله سبحانه، فقال: «**حبِّسِ الأصل، وسبِّلِ الثمرة**»(٣).

وروى مقاتل بن سليمان قال: لمَّا نزلَ قولهُ تعالى: [١٣٤/ب] ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، قالَ أبو الدحداح عمرو بن الدَّحداح الأنصاري: يا رسولَ الله، إن تصدَّقتُ بصدقة، أفلي مثلُها في الجنَّة؟ قال: «**نعم**»، قال: والصِّبيةُ معي؟ قال: «**نعم**»، قال: وأمُّ الدَّحداحِ معي؟ قال: «**نعم**».

قال: وكان له حديقتان، إحداهما تسمَّى الجنَّة، والأخرى الجنينة، وكانت الجنينةُ أفضلَ من الجنَّة، فقال: يا رسولَ الله، اشهدْ أنِّي قد تصدَّقتُ

= المنتظم لابن الجوزي ٤/٦١.

(١) سبق تخريجه من صحيح البخاري، وأوله فيه: «من أمنّ الناس عليّ..».

(٢) تجهيزه جيش العسرة في صحيح البخاري (٢٧٧٨) وغيره، وكمية تجهيزه مختلف فيها، ينظر أشرف الوسائل ص ٥٤٤، وتاريخ الخميس ٢/١٢٣.

(٣) مسند الشافعي بترتيب السندي (٤٥٧)، شعب الإيمان (٣١٧٢)، وصححه في صحيح الجامع (١٨١). وتأتي الكلمة الأولى من الحديث «حبِّس»، و «احبس». وبلفظ «إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها»، ولفظ «احبس أصلها وسبِّل ثمرتها» رواهما ابن ماجه (٢٣٩٦، ٢٣٩٧)، وصحح إسناديهما الشيخ شعيب.

بها على الفقراء، وبعتُها من الله ﷻ، فمُرْ من يقبضُها.

قال: وجاءَ إلى بابِ الحديقة، فتحرَّج أن يدخلَها إذ جعلَها لله، فوقفَ على بابها فقال: يا أمَّ الدحداح، فقالت: لبَّيكَ يا أبا الدَّحداح، فقال: إنِّي قد أقرضتُ الله هذا الحائط، واشترطتُ مثلَهُ في الجنَّة، فقالت: ربحَ بيعُك، وباركَ الله لكَ فيما شريتَ وفيما اشتريت، والله لولا أنَّكَ بعتَ من الله واشترطتَ ما كان لكَ منها إلَّا مالك.

ثمَّ جعلتْ تنفضُ ما في أكمامِ صبيانها من التمر، وتُخرجُ ما في أفواهِهم منه، ثمَّ خرجت، وأنشأَ أبو الدحداح يقول:

يا أمَّ دحداحٍ هداكِ الهادي ※ إلى سبيلِ الخيرِ والرَّشادِ
بِيني من الحائطِ وسطَ الوادي ※ فقد مضى قرضاً إلى التنادِ[(١)]
أقرضتهُ اللهَ على اعتمادي ※ طوعاً بلا منٍّ ولا ارتدادِ
إلَّا رجا التضعيفِ في المعادِ ※ وارتحلي بالقضِّ والأولادِ[(٢)]
[١٣٥/أ]
قبلَ تداعيهم إلى الجَدادِ ※ إنَّ التُّقى والبرَّ خيرُ زادِ[(٣)]
قدَّمَهُ المرءُ إلى المعادِ

فأجابتهُ أمُّ الدَّحداح فقالت:

بشَّركَ الله بخيرٍ وفرحْ ※ مثلُكَ أدَّى ما لديهِ ونصحْ

(١) بِيني: فارقي وابتعدي. يوم التناد: يوم القيامة، حيث تنادى كل أمة برسولها.
(٢) القضّ: الجميع.
(٣) الجداد: أوان قطع ثمر النخل.




وانتهـزَ الحـظَّ إذِ الحـظُّ وضـحْ قـد متَّـعَ اللهُ عيـالي مـا صـلحْ
بـالعجوةِ السَّـوداءِ والزهـرِ الـبلحْ واللهُ أولـىٰ بالـذي كـان مـنحْ
مِن عاجلِ التضعيفِ ممَّا قد شرحْ والمـرءُ يسـعىٰ ولـه مـا قـد كـدحْ
طـولَ الليـالي وعليـه مـا اجتـرحْ ....

فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالَىٰ قد قبلَها منك»(١).

حدَّثني والدي رحمه الله قال: حدَّثنا ابن المنتاب قال: حدَّثنا يحيىٰ قال: حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا ابن المبارك قال: حدَّثنا عيسىٰ بن عبدالرَّحمن قال: حدَّثني طلحة اليامي قال: حدَّثني عبدالرَّحمن بن عوسجة، عن البراء بن عازب قال: جاءَ أعرابيٌّ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فقال:

علِّمني عملاً يُدخلني الجنَّة، قال: «**لئن كنتَ أقصرتَ الخُطبة، لقد أعرضتَ المسألة، أعتقِ النَّسمة، وفُكَّ الرَّقَبة**»، قال: أوَليستا واحداً؟ قال: «**لا، عتقُ النَّسمةِ أن تنفردَ بعتقِها، وفكُّ الرَّقبةِ أن تُعِينَ في ثمنها. والمنحةُ الركوب**(٢)**، والفيءُ علىٰ ذي الرَّحِمِ الظالم. فإن لم تُطِقْ ذلك فأطعمِ الجائع، واسقِ الظمآن، ومُرْ بالمعروف، وانهَ عن المنكر. فإن لم تُطِقْ ذلك فكفَّ لسانكَ** [١٣٥/ب] **إلَّا مِن خير**»(٣).

---

(١) أصل قصة أبي الدحداح رضي الله عنه صحيحة، أخرجه البزار وغيره في مسنده (٢٠٣٣) وذكر الحافظ الهيثمي أن رجاله ثقات. مجمع الزوائد ٦/٣٢٤. وقد نقله المؤلف من مقاتل بن سليمان، وهو في تفسيره ١/٢٣٣ مع نقص وزيادة واختلاف كلمات، وما عند المؤلف أوضح وأكمل.

(٢) هكذا في الأصل، وفي مصدره (البرّ والصلة): المنيحة الوَكوف. وتأتي في مصادر أخرىٰ: المنحة الوكوف. وفي الأدب المفرد: المنيحة الرغوب. والوكوف من الشاء: الغزيرة اللبن.

(٣) البر والصلة للحسين بن حرب رقم (٢٧٦). ورواه البيهقي في السنن الصغير (٣٤١٠)=




حدَّثنا والدي قال: حدَّثنا ابن المنتاب قال: حدَّثنا يحيىٰ قال: حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا ابنُ المبارك قال: حدَّثنا عبدالملك بن عيسىٰ الثقفيُّ قال: سمعتُ عكرمة يقول: إنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ لعائشة:

«تصدَّقي يا عائشةُ ولو بتمرة، فإنَّها تسدُّ من الجائع، وتطفئُ الخطيئةَ كما يطفئُ الماءُ النَّار»[1].

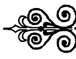
وبالإسنادِ عن ابن المبارك قال: أخبرنا الحكم بن عطيَّة قال: أخبرنا معمر، عن عاصم بن أبي النَّجود، عن أبي الضُّحىٰ، عن عبدالله بن مسعود قال: عبدَ اللهَ رجلٌ سبعينَ سنة، ثمَّ أصابَ فاحشة، فأحبطَ الله عمله، ثمَّ أصابتهُ زمانةٌ وأُقعِد، فرأىٰ رجلاً يتصدَّقُ علىٰ مساكين، فجاءَ إليه فأخذَ منه رغيفاً، فتصدَّقَ به علىٰ مسكين، فغفرَ الله له، وردَّ عليه عملَ سبعينَ سنة[2].

ورأيتُ في موضعٍ آخر، أنَّه أخذَ رغيفاً لحاجتهِ إليه، فرأىٰ مسكيناً أشدَّ حاجةً منه، فآثَرَهُ علىٰ نفسهِ وتصدَّقَ عليه بالرغيف، فقيلَ له: إنَّ هذا الرغيفَ خيرٌ من عبادتِكَ سبعينَ سنة، وردَّ عليه عمله.

= وفي شعب الإيمان (٤٠٢٦)، كما رواه البخاري في الأدب المفرد (٦٩) وصححه الألباني، والحاكم في المستدرك (٢٨٦١) وذكر أنه صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، كما رواه أحمد في المسند (١٨٦٤٧) وقال محققه الأرناؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(١) الزهد لابن المبارك (٦٥١)، والبر والصلة للحسين بن حرب رقم (٢٧٧). والحديث مرسل. وقد حسَّنه بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (٨٩٧)، وهو بلفظ «يا عائشة استتري من النار ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان». ومعنىٰ تسد من الجائع، أي: تسد من رمقه وتطفئ لظىٰ سغبه فلا تستقلوه. التنوير شرح الجامع الصغير (٣٢٩٠).

(٢) البر والصلة للحسين بن حرب رقم (٢٧٩).




وهذا إنَّما يكونُ بحصولِ الإخلاص، والسخاءِ بنفسهِ عند حاجته، ليتقرَّبَ بذلك إلىٰ ربِّهِ تعالىٰ، فتقرَّبَ به.

وحُكيَ أنَّ أبا موسىٰ الأشعريَّ قالَ عند الموت: اذكروا صاحبَ الرغيف(١).

قالَ يزيد بنُ أبي حبيب: كان مَرثد بن عبدالله اليَزَني(٢) لا يجيءُ إلىٰ المسجدِ إلَّا ومعه صدقةٌ يتصدَّقُ [١٣٦/أ] بها، فجاءَ ذاتَ يومٍ ومعه بصل، فقلت: يا أبا الخير(٣)، ما تريدُ إلىٰ هذا ينتنُ عليكَ ثوبك؟ قال: يا ابنَ أبي حبيب، إنَّه والله ما كان في بيتي شيءٌ أتصدَّقُ به غيره، وإنَّه حدَّثني رجلٌ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «**ظلُّ المؤمنِ يومَ القيامةِ صدقته**»(٤).

حدَّثني والدي رضي الله عنه قال: حدَّثنا ابن المنتاب قال: حدَّثنا يحيىٰ بن صاعد قال: حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا ابن المبارك قال: أخبرنا إسماعيل بن مسلم العبدي، عن أبي المتوكِّل الناجي، أنَّ رجلاً من المسلمين عَبَرَ(٥) ثلاثةَ أيامٍ صائماً، يمسي فلا يجدُ شيئاً يُفطِرُ عليه، فيصبحُ صائماً، حتَّىٰ فطنَ له رجلٌ من الأنصارِ يقالُ له ثابت بن قيس، فقالَ لأهله: إنِّي أجيءُ اللَّيلةَ بضيف، فإذا

---

(١) صفة الصفوة ٢١٣/١، كتاب التوابين ص ٥٢.

(٢) في الأصل: «قال يزيد بنُ أبي حبيب: كان يزيد بن أبي حبيب»، وتصحيحه من المصادر المثبتة في التخريج. وهو أبو الخير مرثد بن عبدالله اليزني المصري، مفتي أهل مصر في وقته، تفقه علىٰ عقبة بن عامر، ت ٩٠ هـ. العبر ٧٨/١.

(٣) في الأصل: يا أبا الحسين.

(٤) صحيح ابن خزيمة (٢٤٣٢)، مسند أحمد (١٨٠٤٣) قال محققه الشيخ شعيب: حديث صحيح وهذا إسناد حسن.

(٥) في الأصل «غير». والمثبت من «قرىٰ الضيف» لابن أبي الدنيا. وعبر بمعنىٰ اجتاز.

وضعتم المصباحَ فليَقمْ بعضُكم كأنَّه يُصلحه، فليُطفئه، ثمَّ اضربوا بأيديكم إلىٰ الطعامِ كأنَّكم تأكلون، ولا تأكلوا حتَّىٰ يشبعَ ضيفُنا.

فلمَّا أمسَىٰ ذهبَ به، فلمَّا وضعوا طعامَهم قامتِ امرأتهُ كأنَّها تصلحُ المصباحَ فأطفأته، ثمَّ جعلوا يضربون بأيديهم كأنَّهم يأكلون ولا يأكلون، حتَّىٰ شبعَ ضيفُهم، وإنَّما كان الطعامُ قوتَهم.

فلمَّا أصبحَ ثابت غدا إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، قالَ له النَّبيُّ ﷺ: «**لقد عجبَ الله تبارك وتعالى منكم ومن صنيعِكم**». فأنزلَ الله تعالىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩][1]. [١٣٦/ب].

حدَّثنا أبي قال: حدَّثنا ابن المنتاب قال: حدَّثنا يحيىٰ قال: حدَّثنا الحسين قال: أخبرنا ابن المبارك قال: أخبرنا محمَّد بن أبي عدي قال: حدَّثني حميد عن أنس قال:

أتَىٰ المهاجرون رسولَ الله ﷺ فقالوا: يا رسولَ الله، ما رأينا قوماً أبذلَ لكثير، ولا أحسنَ مواساةً في قليلٍ من الأنصار، لقد قَدِمنا من المدينةِ فكفَونا المؤونة، أشركونا في المهنأِ حتَّىٰ لقد خفنا أن يذهبوا بالأجرِ كلِّه، قال: «**لا، ما أثنيتُم به عليهم ودعوتُم الله عز وجل لهم**»[2].

---

(١) رواه عن ابن المبارك ابن أبي الدنيا في قرىٰ الضيف (١١)، وأشار إليه ابن حجر في فتح الباري ٨/٦٣٢ وأنه مرسل. وأصله في صحيح مسلم (٢٠٥٤) وغيره.

(٢) رواه مختصرًا أبو داود في السنن (٤٨١٢) وذكر محققه أن إسناده صحيح، والترمذي (٢٤٨٧) وقال: حسن صحيح غريب، والبخاري في الأدب المفرد (٢١٧) وصححه الألباني في صحيحه، والحاكم في المستدرك (٢٣٦٨) وصححه علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

فَصْلٌ
[في الأجواد]

حدَّثني والدي رحمه الله قال: حدَّثنا ابن المنتاب قال: حدَّثنا يحيىٰ بن صاعد قال: حدَّثنا الحسين المروزي قال: أخبرنا ابن المبارك قال: أخبرنا سفيان، عن طلحة الحضرمي، عن عطاء قال:

كان إبراهيم خليلُ الرَّحمنِ عليه السلام إذا أرادَ أن يتغدَّىٰ خرجَ ميلاً أو ميلين يلتمسُ من يتغدَّىٰ معه(١).

حدَّثني أبي قال: حدَّثنا ابن المنتاب قال: حدَّثنا يحيىٰ قال: حدَّثنا الحسين قال: أخبرنا ابنُ المبارك قال: أخبرنا يونس، عن الزهري، عن عبيدالله بن عبدالله، عن ابن عباس قال:

كان رسولُ الله ﷺ أجودَ النَّاس، وكان أجودَ ما يكونُ في رمضانَ حين يلقاهُ جبريلُ صلَّىٰ الله عليه، وكان جبريلُ صلَّىٰ الله عليه [١٣٧/أ] يلقاهُ في كلِّ ليلةٍ من شهرِ رمضانَ فيدارسهُ القرآن، قال: فلَرسولُ الله ﷺ أجودُ بالخيرِ من الريحِ المرسَلة(٢).

وبالإسنادِ عن ابن المبارك قال: أخبرنا سفيان الثوري قال: سمعتُ محمَّد بن المنكدر يحدِّث، أنَّه سمعَ جابر بن عبدالله يقول:

---

(١) ورواه لابن المبارك ابن أبي الدنيا في قرىٰ الضيف (٩)، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٢٣٩/٦، وأورده في إحياء علوم الدين ١٢/٢.

(٢) ورواه لابن المبارك ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٣٩٣)، ورواه الشيخان: البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

ما سُئِلَ رسولُ الله ﷺ شيئاً قطُّ فقالَ لا[١].

وبالإسنادِ عن سفيان قال: سمعتُ أبا حازم يحدِّثُ عن طلحة بن كريز، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال:

«إنَّ الله تعالىٰ كريمٌ يحبُّ الكرمَ ومعاليَ الأخلاق، ويكرهُ سَفسافَها»[٢].

وبالإسنادِ عن ابن المبارك قال: أخبرني حيوة بن سريج قال: أخبرني عقيل، عن ابن شهاب، عن أمِّ سلمةَ أنَّها قالت:

إنِّي لأُهدي الهديَّةَ علىٰ ثلاثة:

هديةَ مكافأةٍ، فإنَّا لا نحبُّ أن يَفضُلَنا أحد، ومن أهدىٰ هديةً بقدرِ ما يجدُ فقد كافأ.

وهديةً أريدُ بها وجهَ الله، لا أريدُ بها جزاءً ولا شكوراً.

وهديةً أريدُ بها اتِّقاء، فإنِّي لا أحبُّ أن يُقال فيَّ إلَّا خيراً[٣].

اعلمْ عافاكَ الله، أنَّها رضوانُ الله عليها راعتْ بما أخبرتْ به الدينَ والمروءة؛ لأنَّ من أخلصَ لربِّهِ فِعلَهُ فقد صحَّحَ دينَه، ومن حمَىٰ عن عرضهِ وكافأَ المحسنَ بمثلِ إحسانهِ فقد صحَّحَ مروءته.

---

(١) صحيح البخاري (٦٠٣٤)، مسند أبي يعلىٰ (٢٠٠١) وذكر محققه أن إسناده صحيح، ورواه أبو نعيم في الحلية ٧/٨٩.

(٢) رواه البغوي في شرح السنة (٣٥٠٣) وقال: حديث مرسل. قال: وسفساف الأمور: مداقُّها ومَلائمها، شبهت بما دق من سفساف التراب. اهـ. وللحديث روايات أخرىٰ، وقد صححه من رواية سهل بن سعد الساعدي في صحيح الجامع (١٨٠١).

(٣) البر والصلة (٢٢٨).

وبالإسنادِ عن ابن المبارك قال: أخبرنا [١٣٧/ب] يزيد بن أبي زياد، عن عبيد[١] بن أبي الجعد، عن عائشة:

أنَّها كانت تقولُ إذا بعثتْ بهدية للرسول: ما قالوا؟ فيقول: قالوا: باركَ الله فيكم، فتقول: وفيكم فبارك الله[٢].

وبالإسنادِ عن ابن المبارك قال: أخبرنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت قال:

كانت عائشة إذا بعثتْ إلىٰ أهلِ بيتٍ بشيءٍ قالتْ للرسول: احفظي ما يقولون، فتجيءُ فتقول: قالوا كذا وكذا، فتردُّ عليهم مثلَ ما قالوا، فقيلَ لها في ذلك، فقالت: إنَّهم قالوا لي أفضلَ من صدقتي، فأردُّ عليهم مثلما قالوا حتَّىٰ تَخلُصَ لي صدقتي[٣].

وبالإسنادِ عن ابن المبارك قال: أخبرنا إسماعيل المكِّي عن الحسن قال: قالَ رسولُ الله ﷺ:

«لا يردَّنَّ الرجلُ هديةَ أخيه، فإن وجدَ فليكافئْهُ، والذي نفسي بيدهِ لو أُهديَ إليَّ ذراعٌ لقبلت، ولو دُعيتُ إلىٰ كُراعٍ لأجبت»[٤].

وهذا الحديثُ ـ عافاكَ الله ـ يبيِّنُ لكَ أنَّ الهديةَ يستحبُّ قبولها، وإنَّما

(١) في الأصل: يزيد بن زياد عن عبد. والمثبت من مصدره.
(٢) البر والصلة (٢٣٠).
(٣) البر والصلة (٢٣١).
(٤) البر والصلة (٢٣٣). والحديث مرسل. والكراع: الساق الدقيق العاري من اللحم. والشطر الثاني من الحديث موجود في البخاري (٢٥٦٨).

استُحِبَّ ذلك لأنَّ في ردِّها كسرًا[1] للمُهدي، ووحشةً تقعُ بذلك بينهما. ثمَّ أمرَ من يجدُ المكافأةَ أن يكافئ؛ لأنَّ في ذلك حصولَ المودَّة، وإقامةَ المروءة، ولهذا قالَ ﷺ: «**تهادُوا تحابُّوا**»[2]، وقالَ ﷺ: «**تهادوا، فإنَّ الهديةَ تُذهِبُ وحَرَ الصدور**»[3].

ومن لم يجدْ فهو معذور، يَعذرهُ المُهدي، ولا بدَّ أن يشكرَهُ [١٣٨/أ] المُهدَىٰ إليه، فيكونُ في ذلك حصولُ المودَّة.

ثمَّ يبيِّنُ أنَّه يقبلُ الهدية، ويجيبُ الداعي، وفي مثلِ ذلك مَن مثلهُ ﷺ تواضع، فأحبَّ الاقتداءَ بأخلاقهِ ﷺ في التواضعِ وتركِ التكبُّرِ والتقبُّض.

فَصْلٌ
[متى تكون الصدقة؟]



حدَّثني والدي ـ رضي الله عنه ـ قال: أخبرنا ابن المنتاب قال: أخبرنا يحيى بن صاعد قال: حدَّثنا الحسين بن الحسن المروزي قال: أخبرنا أبو معاوية قال: حدَّثنا محمَّد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عمَّن أخبره، عن النَّبيِّ ﷺ:

(١) في الأصل: كسر.

(٢) شعب الإيمان (٨٥٦٨)، الأدب المفرد (٥٩٤) وحسَّنه له في صحيحه، وفي صحيح الجامع (٣٠٠٤).

(٣) رواه الترمذي في السنن (٢١٣٠) وقال: حديث غريب. وحسَّنه له ابن الملقن في البدر المنير ١١٥/٧. وفيه «وحر الصدر». كما رواه أحمد في المسند (٩٢٥٠) بلفظ «فإن الهدية تذهب وغر الصدر»، وقال فيه الشيخ شعيب: حديث حسن وهذا إسناد ضعيف. والوحر، والوغر: الحقد والغيظ.

أنَّه حثَّ علىٰ الصدقة ، فجاءَ رجلٌ بمثلِ البيضةِ من الذهبِ وقال: يا رسولَ الله ، ما تركتُ لعيالي شيئاً. فأخذها النَّبيُّ ﷺ ، فرمىٰ بها وقال: «**يأتي أحدُكم بماله ، ويدَعُ عيالَهُ ليس لهم شيء ، إنَّما الصدقةُ عن ظهرِ غنىٰ**»(١).

قوله ﷺ: «**عن ظهرِ غنىٰ**» معناه: عن كفايةِ عائلته(٢) ، لم يُرَدْ به الغنىٰ في العُرف ، ولا الغنىٰ الذي هو مُلكُ النِّصاب الذي تجبُ فيه الزكاة ، في قولهِ ﷺ: «**تؤخَذُ من أغنيائهم وتُرَدُّ في فقرائهم**»(٣). الذي يبيِّنُ ذلك أنَّ من فَضَلَ من كفايةِ قوتهِ مِن كسبه ، استُحِبَّ له التصدُّقُ به إذا كان له كسبٌ يكفيه. ألا ترىٰ قولَهُ ﷺ: «**ليتصدَّقِ الرجلُ من درهمه ، ومن ديناره ، ومن صاعِ بُرِّه**»(٤) ، ومعلوم أنَّ من يملكُ هذا القدرَ لا يكونُ غنيًّا ، وإنَّما نهىٰ أن [١٣٨/ب] يتركَ الرَّجلُ عيالَهُ بحاجتهم ويتصدَّقَ بما عنده ؛ لأنَّ النفقةَ عليهم صدقةٌ واجبة ، وهي أولىٰ من صدقةِ التطوُّع.

❁ **فإن قالَ قائل**: فقد رُويَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ حثَّ علىٰ الصدقة ، فجاءَهُ عمرُ رضي الله عنه بمال ، فقال: «**ما أبقيتَ لعيالك**» ؟ قال: مثله ، فأخذه ، وجاءَهُ أبو بكر رضي الله عنه

---

(١) البر والصلة (٣١٢). وقف في سنده عند عاصم ، وتكملة السند عند الآخرين: عن محمود بن لبيد ، عن جابر بن عبدالله. صحيح ابن خزيمة (٢٤٤١) وذكر محققه أن إسناده ضعيف. المنتخب من مسند عبد بن حميد (١١١٨ ، ١١١٩) ، وذكر محققه أن إسناده ضعيف ، بسبب محمد بن إسحاق ، مدلس وقد عنعن. مسند أبي يعلىٰ (٢٢٢٠) وذكر محققه حسين أسد أن رجاله ثقات. اهـ. وفي سنده وسند ابن خزيمة أيضًا محمد بن إسحاق.

(٢) في الأصل: عيلته. والعيلة: الفقر والحاجة.

(٣) صحيح البخاري (١٣٩٥).

(٤) السنن الصغير للبيهقي (١٢٤٧) ، صحيح ابن حبان (٣٣٠٨) ، وذكر محققه أن صحيح علىٰ شرط مسلم.

بمالٍ فقال: «ما أبقيتَ لعيالك»؟ فقال: اللهَ ورسوله، فلم ينكرْ عليه ذلك، ولم يردَّه(١).

❁ **والجواب**: أنَّ هذه منزلةٌ لأبي بكر رضوانُ الله عليه، فإنَّه وكَّلَهُ إلىٰ يقينهِ لعلمهِ به منه، وذلك لا يعلمهُ من غيرهِ ولا يكلهُ إليه. ويحتملُ أنَّ أبا بكر رضوانُ الله عليه كان له مكسبٌ يمكنهُ منه أن يقيمَ بعائلته(٢)، فجوَّزَ له إخراجَ ما في يدهِ لصحَّةِ توكُّله، ولم يثقْ بذلك من غيره.

فَصْلٌ
[في كنز المال]

في قولهِ تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤ ـ ٣٥].

الكنزُ في اللغةِ هو المدفون، والمرادُ في الآيةِ ما كنزوهُ عن إخراجِ حقِّ الله تعالىٰ منه، وهو الزكاة.

وقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**ما أُدِّي زكاتهُ فليسَ بكنز**»(٣).

ودفعُ الزكاةِ من دعائمِ الإسلام، قالَ ﷺ: «**بُنيَ الإسلامُ على** [١٣٩/أ]

(١) سبق تخريجه وأنه صحيح.
(٢) في الأصل: بعيلته.
(٣) سبق تخريجه من سنن البيهقي.

خمس: شهادةِ أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمَّداً رسولُ الله، وإقامِ الصَّلاة، وإيتاءِ الزَّكاة، وصومِ شهرِ رمضان، وحجِّ البيتِ من استطاعَ إليه سبيلاً»(١).

وروىٰ عبدالله بن مسعود أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال:

«ما من رجلٍ كان له مالٌ لا يؤدِّي زكاته، إلَّا مُثِّلَ له يومَ القيامةِ شجاعٌ أقرعُ له زبيبتان، يتبعهُ وهو يهربُ منه حتَّىٰ يطوِّقه»، وتلا قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾(٢) [آل عمران: ١٨٠]».

فمن أخرجَ زكاةَ مالهِ خاصَّةً فقد سقطَ عنه التوعُّد، وتركَ حظَّ نفسهِ في إنفاقِ ماله، وادِّخارِ ثوابهِ ليومِ فقره، وقد قالَ الله تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَـٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]، فجعلَ الدرهمَ بسبعِ مئة، ووعدَ بالتضعيفِ لمن يشاء، وهذه تجارةٌ مربحة، وفائدةٌ حسنة.

وفَّقنا الله وإيَّاكم إلىٰ المسارعةِ إلىٰ هذه التجارةِ المربحة، واكتسابِ هذه الفائدةِ الراجحة، ووقانا وإيَّاكم شحَّ النَّفسِ وهواها، فقد قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، وشحُّ النفس: تألُّمُها بما يُخرجهُ من يدهِ ويدَّخرهُ لها إذا كانت ذاتَ هوىٰ، لا ذاتَ علمٍ وتُقىٰ، فإذا أعلمَها بما في ذلك من المنفعةِ الآجلةِ الباقية، [١٣٩/ب] فإن لانتْ بذلك وسمحت، وإلَّا قهرَها، واحتملَ ألمها، ليُهديَ إليها نفعَها الأثرىٰ، قولهُ

(١) صحيح البخاري (٨)، صحيح مسلم (١٦).
(٢) حديث صحيح، سبق تخريجه، وبيان مفرداته.

تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ﴾ [يوسف: ٥٣]: إلَّا أن يرحمه، فيلطفَ له، ويوفِّقَهُ أن يكرِّرَ عليها وجهَ منفعتِها، وطريقَ سلامتها، فيُكفُّ بذلك شرَّها، ويسكنُ ولهَها، وتتحمَّلُ ما حمَّلتها، وقد قيل:

هي النَّفسُ ما حمَّلتَها تتحمَّل[١].

فَصْلٌ

في بيانِ قولهِ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

الحجُّ في اللغة: التردُّد في القصد، والحاجُّ يتردَّدُ إلىٰ البيت، فيطوفُ طوافَ القدومِ سُنَّة. وطوافُ الزيارةِ ركنٌ واجب، وطوافُ الوداعِ واجب.

والاستطاعة: هي التمكُّنُ منه، وقد سُئلَ النَّبيُّ ﷺ عن الاستطاعةِ فقال: «**الزادُ والراحلة**»[٢].

وقولهُ تعالىٰ: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ قالَ ابنُ عباس: من لم يرهُ واجباً[٣].

---

(١) لعلي بن الجهم. روضة العقلاء ص ١٤٥، لباب الآداب ص ١٥٠، نهاية الأرب ٤/٢٢٥.
وشطره الآخر:
وللدهر أيام تجور وتعدل.

(٢) رواه ابن ماجه لابن عمر وابن عباس (٢٨٩٦، ٢٨٩٧)، والترمذي (٨١٣، ٢٩٩٨)، ورواه غيرهما، قال الصنعاني في سبل السلام ٢/١٨٠ (ط. الحلبي): «... وعن غيرهم من طرق كلها ضعيفة، قال عبدالحق: طرقه كلها ضعيفة. وقال ابن المنذر: لا يثبت الحديث عن ذلك مسنداً، والصحيح من الروايات رواية الحسن المرسلة. وقد ذهب إلىٰ هذا التفسير أكثر الأمة، فالزاد شرط مطلقاً، والراحلة لمن داره علىٰ مسافة».

(٣) تفسير الطبري ٥/٦١٨.




ويجبُ الحجُّ بسبعِ شرائط[1]: البلوغ، والعقل، والحرِّيَّة، ووجودُ الزادِ والراحلة، وتخليةُ الطريق، وإمكانُ المسير.

وإنَّما يعتبرُ الزادُ والراحلةُ في حقِّ الآفاقيّ[2]، ومن كان بمكةَ ولا يمكنهُ المشي، من الشيخِ الكبيرِ والمريض، فأمَّا القويُّ على المشي فإنَّما يعتبرُ في حقِّهِ الزاد.

فأمَّا تخليةُ الطريق، فمتى خافَ على نفسهِ أو ماله، أو لم يمكَّنْ من المضيِّ إلَّا بدفعِ مال، لم يلزمه.

وأمَّا إمكانُ المسير، فأن يوجدَ فيه شرائطُ الوجوب، [١٤٠/أ] وبينه وبين البيتِ من المدَّةِ ما يمكنهُ قطعُ المسافةِ فيه على السيرِ المعتاد، فإنَّه لا يجبُ عليه الحجّ[3]، فأمَّا إن كان في طريقهِ من يمنعهُ السلوكَ فيه، ويمكنهُ قتاله؛ لم يقاتله، وكان تركُ القتالِ أولى، وإنَّما يتوجَّهُ القتالُ في ذلك على الإمامِ وحده، وإن كان يندفعُ بدفعِ المالِ إليه، فإن كان المانعُ مسلمين جازَ دفعُ المالِ إليهم، ولم يلزم، وإن كانوا كافرين لم يدفعْ إليهم المال، ويرجع؛ لأنَّ في دفعِ المالِ إليهم إذلالًا للمسلمين[4].

ومتى كان الطريقُ مَخوفاً، إلَّا أنَّ الغالبَ فيه السلامة، جازَ له الخروج،

(١) الشرائط جمع شريطة.
(٢) الآفاقي: من كان خارج المواقيت المكانية للحرم ولو كان من أهل مكة. معجم لغة الفقهاء ص ٣٦.
(٣) هكذا وردت العبارة هنا، ولعل فيها نقصًا، والمقصود أن إمكان المسير وتخلية الطريق من شرائط الوجوب، ولا يجب الحج بدونهما.
(٤) في الأصل: إذلال للمسلمين.

وإن كان الغالبُ فيه التلف، لم يكن له الخروج، قالَ الله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥]. قيلَ في تفسيرِ ذلك: بالإسرافِ في الإنفاقِ الذي يأتي على النَّفس، وقالَ الحسنُ وغيره: بتركِ الإنفاقِ في سبيلِ الله، وقيل: بتقحُّمِ الحرب(١).

فَصْلٌ

في قولهِ تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ [آل عمران: ٩٦ ـ ٩٧].



قالَ مجاهد وقتادة: إنَّه أولُ بيتٍ وُضِع، لم يكنْ قبلَهُ بيت(٢).

ورويَ عن عليٍّ رضي الله عنه والحسن أنَّهما قالا: كان قبلَهُ بيوتٌ كثيرة، وإنَّما هو أولُ بيتٍ وُضِعَ للعبادة(٣).

واختُلفَ في ﴿ بَكَّةَ ﴾، فقيل: هي المسجد، ومكَّة: [١٤٠/ب] الحرَمُ جميعُه، وقالَ مجاهد: بكَّةُ هي مكَّة، وقيل: بكَّة: بطنُ مكَّة، وقيل: بكَّةُ مشتقٌّ من الزِّحام بها، يقال: بَكَّهُ يَبكُّه إذا زَحَمَه، وتباكَّ النَّاسُ بالموضعِ إذا ازدحموا، فسمِّيتْ بذلك لكثرةِ الزِّحامِ في الطَّواف، وقيل: إنَّه مشتقٌّ من فكِّ

(١) تنظر هذه الأقوال في الدر المنثور للسيوطي ١/٤٩٩.

(٢) هذا القول لقتادة والسدِّي، أما مجاهد فله قول آخر، فيقول إنه مثل قوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

(٣) تنظر الأقوال في تفسير الطبري ٥/٥٩٥.

العنق، يقال: بكَّهُ بيدهِ أي: فكَّهُ بشدَّةِ زَحمة[1]، فسمِّيتْ بذلك لأنَّها تَفكُّ أعناقَ الجبابرةِ إذا ألحدوا فيها بظلم، ولم يُمهَلوا.

وقولهُ تعالىٰ: ﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ إنَّ ذلك من ألطافهِ سبحانهُ بخلقه، لما يجدهُ الحاجُّ برؤيتهِ من البركةِ والخشوعِ لله تعالىٰ، وخفَّةِ العبادةِ عليه، وما يدَّخرهُ له من الثواب، حتَّىٰ إنَّ من النَّاسِ من يسهلُ عليه إنفاقُ المالِ الكثيرِ في قصده، والتعبُ الشديدُ في سيره، وإن كان لا يسهلُ عليه التصدُّقُ بالدرهمِ الفرد، ويصعبُ عليه التنفُّلُ بالصلاةِ والصوم!

وقولهُ تعالىٰ: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ مقامُ إبراهيم: موضعُ قدمهِ في الحجَرِ الصَّلد، وذلك من الآيات. وأمنُ مَن دخلَهُ علىٰ سائرِ الأحقاب، مع اختلافِ الأديانِ وعبادةِ الأوثان، وإمحاقُ حصَىٰ الجِمارِ مع كثرةِ الرامي، وأنَّ الطيرَ لا تعلو عليه[2]، وإنَّما يستشفي به منهم المريض.

وكان في الجاهليةِ من انتهكَ حرمتَهُ عُجِّلتْ له العقوبة، ومن ذلك قصةُ أصحابِ الفيلِ لمَّا قصدوا لخرابه، أرسلَ الله تعالىٰ عليهم [١٤١/أ] ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل: ٣ ـ ٥]. الأبابيل: الجماعةُ المتفرِّقةُ زمرةً بعد زمرة. السجِّيل، قيل: الشديد، وقيل: الجحيم،

(١) هذه العبارة في التبيان للطوسي. ومن تفسير الطبري: بكَّ فلان فلاناً إذا زحمه وصدمه، فهو يبكُّه بكًّا.

(٢) لم يثبت هذا والذي قبله. والإمحاق: الاضمحلال. والمؤلف ينقل من تفسير التبيان للطوسي. وهو من علماء الشيعة المبرزين.

من سِجِّين، ثم قُلبتِ النونُ واواً. وقيل: من طينٍ مطبوخٍ كالآجرّ. وقيل: كان طيرٌ أسودُ يحملُ حجراً في منقارهِ وحجرين في رجليه[1]، وكان الحجرُ أكبرَ من العدسةِ وأصغرَ من الحمِّصة، وكان يقعُ علىٰ رأسِ الرجلِ ويخرج من دُبره. ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ﴾: وَرَقِ الزرعِ تعصفهُ الرياح، ﴿مَّأْكُولٍ﴾، قيل: أكلتِ المواشي بعضه، وكسرتْ بعضه، وقيل: مأكولُ الثمرة.

وأصحابُ الفيلِ قومٌ من الحبشة، رئيسُهم أبرهة، وكان قد بنَىٰ كنيسةً عظيمة، وأرادَ أن يجعلَ الحجَّ إليها، وقصدَ تخريبَ البيت، فأهلكَهُ الله تعالىٰ ومن معه.

قولهُ تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾ [الفيل: ٢] يعني ضلُّوا عمَّا قصدوا له[2].

وكان هذا في العامِ الذي وُلِدَ فيه رسولُ الله ﷺ، وكان ذلك خرقاً للعادة، إرهاصاً لنبوَّةِ النَّبيِّ ﷺ، ولهذا احتجَّ لنفسهِ لمَّا فتحَ مكة، فقال: «**إنَّ الله حبسَ الفيلَ عن مكة، وسلَّطني عليها**»[3]، يريدُ أنّي لو لم أكنْ نبيًّا محقًّا لمنعني كما منعَ أصحابَ الفيلِ من الدخولِ إلىٰ الحرمِ بالقتالِ والقهرِ والغلَبة.



(١) في الأصل: رجليها.

(٢) وتفسير سورة الفيل أيضًا أخذه المؤلف من التبيان للطوسي.

(٣) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه (٢٤٣٤)، ولفظه: «إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين».

فَصْلٌ

في بيانِ قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥]. [١٤١/ب].

مثابة: بثوبهم إليه يتكرَّرون إليه، كقولهم: ثوَّبَ الداعي إذا كرَّر، وكأن الزائرَ لا يقضي منه وطره، بل يحبُّ العودَ إليه.

وقوله: ﴿وَأَمْنًا﴾ أنَّ مَن دخلَهُ أمنَ، من المؤمنين والكافرين، وقيل: أمنَ من النَّار، وهذا للمؤمنين، ليكونَ اللفظُ مخصوصاً[(١)].

وقولهُ تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ قيل: إنَّه معطوفٌ علىٰ معنىٰ ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾، يريد: ثوبوا إليه، ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾. وقيلَ في ﴿مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ إنَّه الحرم، وقيل: إنَّه عرَفةُ ومواضعُ النُّسك، وقيل: الحجَرُ الذي جعلَ قدمَهُ عليه[(٢)].

وقد دلَّتْ هذه الآيةُ علىٰ فضلِ الصَّلاةِ في المسجدِ الحرام، وقد قالَ ﷺ: «**صلاةٌ في مسجدي هذا بألفِ صلاةٍ في غيره، وصلاةٌ في المسجدِ الحرامِ بمئةِ صلاةٍ في مسجدي**»[(٣)].

وقولهُ تعالىٰ: ﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ قيل: كان قبلَ أن يحصلَ في يدِ إبراهيمَ عليه السلام

---

(١) نقل هذا القول الماتريدي في تفسيره (تأويلات أهل السنة) ١/٥٥٩.

(٢) ذكر الطبري هذه الأقوال في تفسيره ٢/٥٢٤.

(٣) أورده المؤلف مختصرًا، وبألفاظ متقاربة، وقد صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٨٤١).

يطرحُ الكفّارُ فيه الدمَ والروث. وقيل: طهِّرْهُ من الأصنامِ والأوثان.

﴿لِلطَّآئِفِينَ﴾: من طافَ بالبيت.

﴿وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾: المقيمين فيه، والطواف...[1] للبيتِ وتعظيماً، حيثُ عظَّمَهُ الله تعالىٰ وأمرَ بقصده.

وقد اختارَ قومٌ الطوافَ علىٰ صلاةِ النافلة، وقد شبَّهَ النَّبيُّ ﷺ الطوافَ بالبيتِ بالصلاة، فقال: «**الطوافُ بالبيتِ** [١٤٢/أ] **صلاة، إلَّا أنَّ الله أباحَ فيه الكلام**»[2]. ومعنىٰ ذلك أنَّ الطائفَ بالبيتِ متوجِّهٌ إلىٰ الله تعالىٰ بطوافه، ولائذٌ بالله تعالىٰ، وطالبٌ لرحمته، وإنَّما البيتُ جهةٌ لمطلبه، كما أنَّ المصلِّيَ إنَّما هو قائمٌ بين يدَي الله تعالىٰ ومتوجِّهٌ إلىٰ طاعته، وإن كان البيتُ جهةَ استقباله.

واشتُرِطَ فيه الطهارةُ كما اشتُرِطَتْ في الصلاةِ تنظُّفًا لطاعته.

واستلامُهُ الحجرَ الأسودَ جهةٌ أيضاً، للوفاءِ بعهدِ الله تعالىٰ، والقيامِ بطاعته.

وقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**الحجرُ الأسودُ يمينُ اللهِ [في أرضه]**،

(١) كلمة أو كلمتان غير واضحتين.

(٢) من رواية ابن عباس رواه بألفاظ متقاربة أبو نعيم في الحلية ١٢٨/٨، والحاكم في المستدرك (١٦٨٧) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد أوقفه جماعة، والبيهقي في السنن الكبرىٰ (٩٢٩٢). ومما ذكره ابن الملقن في البدر المنير ٤٨٧/٢ قول ابن الصلاح: روي عن ابن عباس بمعناه عن رسول الله ﷺ، وروي موقوفًا من قوله، والموقوف أصح. وكذا قال المنذري والنووي: الصواب رواية الوقف، زاد النووي: ورواية الرفع ضعيفة...

يصافحُ بها من يشاء»[1]. ومعنى ذلك أنَّ المستلمَ له معاهدٌ لله تعالى على طاعته، ومسلِّمٌ[2] قيادَهُ إلى خالقه، ولذلك سمِّيَ استلامُ الحجرِ من قولهم استلأمَ كذا إذا وافقه، وكان الأصلُ فيه الهمز، وتُرِكَ همزه. وقيل: إنَّه من السلام، فكأنَّه سلَّمَ على نفسه، فقيل: استلم، كما يقال: اختدمَ، لمن خدمَ نفسه. وقيلَ أيضاً: سمِّي بذلك لأنَّه مسَّ الحجر، وتُسمَّى الحجارةُ سلاماً[3].

وقد روى ابنُ عباس أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**يُحشَرُ الحجرُ الأسودُ يومَ القيامةِ له عينانِ ولسانٌ يشهدُ لمن استلمه**»[4].

۞ **فإن قيل**: فقد رويَ عن عمر رضي الله عنه **أنَّه حين قبَّلَ الحجرَ قال: إنَّكَ حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفع، ولكنِّي رأيتُ رسولَ الله ﷺ يقبِّلُكَ فقبَّلتك**[5]. [١٤٢/ب]

---

(١) لفظه موافق لما ورد في مشكل الحديث لابن فورك ص ١١٧، ونسبه للطبراني، وما بين المعقوفتين منه ومن غيره. ويأتي بألفاظ أخرى مقاربة في مصادر أخرى. ورواه الأزرقي من قول عكرمة في أخبار مكة ٣٢٥/١. وقد ذكر ابن الجوزي أنه لا يصح. العلل المتناهية (٩٤٤)، وقال الألباني إنه منكر، من رواية جابر، في السلسلة الضعيفة (٢٢٣)، وأنه باطل كما قاله ابن الجوزي وابن العربي، في قول الشيخ شعيب، في تخريجه لأحاديث سير أعلام النبلاء ٥٢٣/١٩.

(٢) في الأصل: ومسلمًا.

(٣) ينظر تفصيله وتصريفه في لسان العرب ٢٩٨/١٢.

(٤) لفظه موافق لما في (البيان في مذهب الإمام الشافعي) ٢٨٥/٤ ومصادر فقهية أخرى، ويرد بألفاظ مقاربة في مصادر الحديث، منها حلية الأولياء ٢٤٣/٦ وقال: غريب، وشعب الإيمان (٤٠٣٥، ٤٠٣٦). ورواه ابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ٥٥/٣ في ترجمة حماد بن سلمة، وذكر أنه من أئمة المسلمين، كما أورده في ترجمة عثمان بن خثيم ٢٦٧/٥ وذكر أن أحاديثه حسان. وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (٧٢٥).

(٥) صحيح البخاري (١٥٩٧، ١٦٠٥).

وهذا يبيِّنُ أنَّه ليس في تقبيلهِ معنى.

❁ **والجواب**: أنَّ عمرَ رضي الله عنه أرادَ أن يبيِّنَ لقومٍ كانوا يعبدون الحجارة، أنَّ هذا ليس بعبادةٍ له، ولا تعظيماً لعينه، وأنَّه لا يضرُّ ولا ينفعُ حيثُ كان جماداً لا قدرةَ له، وإنَّما أقبِّلُهُ اتِّباعاً لرسولِ الله ﷺ في فعله. وهذا لا يمنعُ أن يكونَ في تقبيلهِ غرضٌ لا يرجعُ إلى عينه، وإنَّما يعظَّمُ ويُقصَدُ للأمرِ بذلك، إذ جُعِلَ جهةً للطاعةِ لله تعالى، كما جُعِلَ البيتُ جهةً لذلك، وإنَّما جعلَ الله سبحانهُ البيتَ جهةً لقصدهِ لطفاً بخلقه، ألا ترى أنَّ القاصدَ إليه يخشعُ لله عند رؤيته، ويسهلُ عليه التعبُ والنَّصَبُ وإنفاقُ الأموالِ بمشاهدته، ويُكثِرُ عندهُ قُرَبَهُ وطاعاته، ويَسهلُ عليه عناؤهُ وكدُّه؟ وكذلك أمرهُ بالسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار؟ وهذه أفعالٌ يحتملُ أن يكونَ ابتداؤها لأسبابٍ ظاهرة، ثمَّ صارتْ سنناً مع زوالِ أسبابها، قالَ الله سبحانه: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٦].

ونظيرُ ذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ أمرَ المسلمين بإظهارِ الجلَدِ والقوةِ بالرَّمَلِ والاضطباعِ في الطوافِ والسعي[١]، ليشاهدَهم المشركون بخلافِ ما ظنُّوه بهم، فإنَّهم قالوا: قد أنهكتهم حمَّى يثرب، يريدون المدينة[٢]، ثمَّ زالَ ذلك

(١) الرمَل بين الصفا والمروة: المشي السريع مع هز الكتفين. والاضطباع بالرداء يكون بإخراجه من تحت الإبط الأيمن وإلقائه على المنكب الأيسر. معجم لغة الفقهاء ص ٧٣، ٢٢٧.

(٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن رسول الله ﷺ قدم مكة، فقال المشركون: إن محمدًا وأصحابه لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال، وكانوا يحسدونه، قال: فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا ثلاثًا، ويمشوا أربعًا. صحيح مسلم (١٢٦٤). وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ رمل من الحجر الأسود، حتى انتهى إليه، ثلاثة أطواف. صحيح مسلم (١٢٦٣).

وبقيَ الفعل سُنَّةً اقتداءً بالرسولِ ﷺ [١٤٣/أ] وبأصحابه، مع زوالِ سببِ ذلك؛ إذ كان في التشبُّهِ بالصالحين الماضين بركةٌ وصلاحٌ للقلوب. ألا ترىٰ أنَّ ذكرَهم يُحيي القلوبَ ويشوِّقُها إلىٰ الطاعات، فأكرمَهم الله ببقاءِ سُنَنِهم سَنناً لمن بعدهم؟ ألا ترىٰ قولَ إبراهيمَ عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٖ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾؟ [الشعراء: ٨٤].

فأمَّا التلبيةُ فهي شعارُ الحجِّ وإجابةُ الداعي إليه، قالَ الله سبحانهُ لإبراهيمَ عليه السلام: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾ [الحج: ٢٧]، فكلُّ من يأتي إلىٰ الحجِّ فهو مجيبٌ لدعوةِ إبراهيمَ عليه السلام.

وقولهم: «لبَّيكَ اللهمَّ» معناه: أنا مجيبٌ إلىٰ طاعتك، ومقيمٌ عليها، لستُ أزولُ عنها، وذلك مشتقٌّ من قولهم: ألبَّ بالمكانِ إذا أقامَ فيه.

وقوله: «إنَّ الحمدَ لكَ والملك، لا شريكَ لك» يجوزُ بالفتحِ والكسر[١]، فمن فتحَ كان معناه: أنا مقيمٌ علىٰ طاعتِكَ حمداً لك؛ لأنَّ الحمدَ واجبٌ لك. ومن كسر، ابتدأَ الخبرَ بذلك.

ورفعَ صوتَهُ بالتلبية، فقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**الحجُّ العجُّ والثجُّ**»[٢]، فالعجُّ: رفعُ الصوتِ بالثناءِ علىٰ الله ﷻ، والرغبةُ بالدعاءِ إليه.

(١) يقصد فتح همزة «إنَّ» وكسرها.

(٢) عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الحج العج والثج»، فأما العج: فالتلبية، وأما الثج: فنحر البُدن. مسند أبي يعلىٰ (٥٠٨٦) وذكر محققه أن إسناده حسن. ورواه ابن خزيمة من حديث أبي بكر في صحيحه (٢٦٣١) وذكر محققه أن إسناده ضعيف. ورواه آخرون، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٠٠) وذكر أنه حسن لغيره.

والثَّجُّ: التقرُّبُ إليه بإهداءِ البُدن، قالَ الله تعالىٰ: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

ومعنىٰ ذلك أنَّ اللحمَ والدمَ ليس بعبادتكم، وإنَّما [١٤٣/ب] عبادتُكم لله تعالىٰ في ذلك اتِّباعُكم لأمره، وخوفُكم إيَّاهُ في تقواكم له. يبيِّنُ ذلك أنَّ من ذبحَ الحيوانَ ليأكلَهُ فليس بمطيع، ولا متقرِّب، وإن كان الذبحُ موجوداً والدمُ مسفوحًا[١]. وسفوحُ الدمِ وإيلامُ الحيوانِ أمرٌ تنفرُ منه النُّفوس، وإنَّما يفعلهُ اتِّباعاً لأمرِ الله، ومخالفةً لمن ادَّعَىٰ أنَّ ذلك منكرٌ يمنعهُ العقل، وليس كما قال، فإنَّه إذا أمرَ الله تعالىٰ به ثبتَ حُسنه، كما جازَ موتُ الحيوان، بل في الذبحِ من المنافعِ للآدميين ما لا خفاءَ به، والله تعالىٰ اللطيفُ بخلقه، وأعرفُ بالعدلِ فيهم والإحسانِ إليهم.

فَصْلٌ

في بيانِ قولهِ ﷺ: «الحجُّ عرفة، فمن أدركَ عرفةَ فقد أدركَ الحج»[٢]

يريدُ أنَّ من أدركَ عرفةَ والوقوفَ بها فقد أدركَ الحجّ؛ لأن الوقوفَ بعرفةَ

(١) في الأصل: مسفوح.

(٢) أورده بهذا اللفظ ابن الملقن في البدر المنير ٦/٢٣٠ ربما جمعًا بين ألفاظ روايات الحديث وطرقه. مثاله عند الترمذي: قال رسول الله ﷺ: «الحج عرفات، الحج عرفات، الحج عرفات، أيام منىٰ ثلاث: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، ومن أدرك عرفة قبل أن يطلع الفجر فقد أدرك الحج». سنن الترمذي (٢٩٧٥) وقال: حديث حسن صحيح، السنن الكبرىٰ للبيهقي (٩٤٦٧)، مسند أبي داود الطيالسي (١٤٠٥)، وقد صححه في صحيح الجامع (٣١٧٢).

هو الوقوفُ ببابِ الله تعالىٰ ، والاعترافُ بتوحيدِهِ وتكبيرِهِ عن الشركاءِ والأنداد ، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أفضلُ ما قلتُ أنا والنبيُّون يومَ عرفة: لا إله إلَّا الله ، وحدَهُ لا شريكَ له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير**»(١).

ويُكثرُ في وقوفهِ من الثناءِ والدعاءِ والتضرُّعِ إلىٰ الله تعالىٰ والإخلاص ، وكيف لا يكونُ مخلصاً وقد قصدَ الدعاءَ والثناءَ والوقوفَ بين يدَي الله تعالىٰ من الآفاقِ البعيدة ، واحتملَ المشاقَّ [١٤٤/أ] العظيمة ، وأنفقَ الأموالَ الجسيمة ، وذلك ممَّا يصدِّقُ إخلاصَهُ ، ويَكيدُ به شيطانه ، ويُذهبُ وسواسه ، وكلَّما تذكَّرَ تعبَهُ وشقاءَهُ خضعتْ نفسهُ وصدقَ تقواه؟

ثمَّ يدفعُ من عرفةَ بعد الغروبِ حتَّىٰ يأتيَ مزدلفةَ فيَبيتُ بها ، ويقفُ عند المشعرِ الحرام؛ لقولهِ تعالىٰ: ﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] ، فيذكرُ الله تعالىٰ ويشكرهُ علىٰ هدايته ، ويدعوهُ ويسألهُ رحمتَه ، وإذا اختلفتْ به المواضعُ استأنفَ لها الذكرَ والدعاء ، وأمِنَ سآمةَ النَّفسِ وفتورَها . الله لطيفٌ بعباده ، نسألُ الله خيرَ الدنيا وخيرَ الآخرة ، قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١] . ومن خيرِ الدنيا العزَّةُ بالطاعة ، واللذَّةُ بالذكرِ والعبادة ، والتقرُّبُ إلىٰ الله تعالىٰ بالبرِّ والصدقة . وخيرُ الآخرةِ رضوانُ الله تعالىٰ ، والخلودُ في الجنَّة ، وأن يؤمنَهُ من ناره ، ويقيَهُ عذابَه ، قال سبحانه: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠] .

---

(١) رواه بألفاظ مقاربة البيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة (٣٧٧٨) ، ومالك في الموطأ (٣٢) مرسلًا من حديث طلحة بن عبيدالله بن كريز ، ومثله البغوي في شرح السنة (١٤٢٩) وغيرهم ، وقد حسنه في صحيح الجامع (١١٠٢) .

انظرْ ـ وفَّقكَ الله ـ ما أبعدَ ما بين هاتين المنزلتين! وايمُ الله إنَّ بينهما من البعدِ والتفاوتِ ما يقصرُ عن وصفهِ الألسن، ويعجزُ عن تصوُّرهِ القلوب:

واحدٌ يخرجُ من قبرهِ مسروراً ببعثه، آمناً من عذابِ ربِّه، منتظراً لما قد تيقَّنَهُ من النَّعيم [١٤٤/ب] السرمد، والخلودِ فيما تشتهيهِ الأنفسُ وتلذُّ الأعين، تتلقَّاهم الملائكة، يقولون لهم: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤].

قالَ الله سبحانه: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ [الزخرف: ٧٠]، يعني: تُكرمون.

قالَ الله سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

فبيَّنَ الله سبحانهُ أنَّ الرضوانَ من الله أكبرُ من الجنَّاتِ والمساكنِ الطيِّبةِ والخلودِ فيها، ولا يمكنُ مثلُ ذلك وتصوُّرهُ إلَّا لمن وثقَ برضا الله عنه، فوجدَ في نفسهِ عزةَ الرضوانِ وسروره. فأمَّا النعيمُ بالجنان، والحورُ العين، فقد عُرِفَ من الدنيا تخيُّلُهُ، وإن لم يكنْ مثلَه، وإنَّما قَدْرَ اللذَّة. والعزَّةُ بالرضوانِ فإنَّما تُعرَفُ يومَ القيامةِ صفتُها، وإن كنَّا قد عرفنا في الدنيا عظمَ قَدرِها وعلوَّ منزلتها.

وآخرُ يخرجُ من قبرهِ يقول: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾، فيقالُ له:

﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢] ، فيرى ما كان يُنكره ، ويَعلمُ صدقَ ما كان يكذِّبه ، ويتحقَّقُ ما حصلَ إليه من العذابِ الأليم ، وتعلوهُ الذلَّة ، وتملكهُ الهيبة ، قالَ الله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣] [١٤٥/أ].

﴿مُهْطِعِينَ﴾: مديمين النظر ، كالشاخصين.

﴿مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ﴾: رافعي رؤوسهم ، لمشاهدةِ ما قد هالَهم.

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾: لا يرجعُ إليهم ؛ لعظمِ ما قد شاهدوه.

﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ أي: متخرِّمة(١) ، لا تعي شيئاً ؛ لعظمِ خوفهم(٢).

وقالَ تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

الأصفاد: القيودُ والأغلال.

السرابيل: القمصان ، وإنَّما جُعلت قَطِرانَ لسرعةِ النارِ إليها(٣).

وقالَ تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]. وهذا العذابُ الشديدُ والبلاءُ العظيمُ لا يرجون زواله ، ولا ينتظرون انقضاءه ، فهذا لعَمرُ الله يُدهشُ العقولَ هولُه ، ويضلُّ الأسماعَ ذكرُه ،

(١) في الأصل: متحرقة. والمثبت من المصدر. وقد ورد بلفظ «متحرقة» في تفسير ابن جزي ٤٤/١ أيضًا ، والصواب كما في المصدر.

(٢) اختاره المؤلف من تفسير الماوردي: النكت والعيون ١٤٠/٣.

(٣) والقطران: النحاس الحامي ، أو ما تدهن به الإبل الجربى. ينظر تفسير الماوردي ١٤٥/٣.

فكيف بملابسته، والخلودِ فيه؟!

وإذا شكَوا ما هم عليه وقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٧ ـ ١٠٨]. ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧ ـ ٧٨].

وقد بيَّنَ الله ﷻ حالَ الكافرين وحالَ المؤمنين، فقالَ تعالىٰ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ١٩ ـ ٢٢] [١٤٥/ب].

المقامع: مداقُّ من حديد، يُدَقُّ بها رؤوسُهم إذا حاولوا الخروجَ من النار، دقَّتهم بها الملائكةُ وردُّوهم إليها.

ثمَّ ذكرَ تعالىٰ حالَ المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

فانظرْ ـ عافاكَ الله ـ كم بين هذه النعمةِ وهذه النقمة! واعلمْ أنَّ الهوىٰ يُعميك، والشيطانَ يُعاديك، قالَ الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

واتِّخاذهُ عدوًّا أن لا تطيعَهُ[1]، وتنفرَ ممَّا يدعوكَ إليه؛ لأنَّه يريدُ إهلاكك، قالَ الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

فَصْلٌ
في بيانِ قولهِ تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾
[البقرة: ١٩٦]

رويَ عن عمرَ وعليٍّ رضوانُ الله عليهما أنَّهما قالا: إتمامُهما أن تُحرِمَ بهما من دُوَيرةِ أهلِك[2].

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**من أَحرَمَ بحجٍّ أو عُمرةٍ من المسجدِ الأقصىٰ إلىٰ المسجدِ الحرام، وجبتْ له الجنَّة**»[3].

وقد ذكرنا معنىٰ الحج، وهو التردُّدُ في القصد، وأمَّا العمرةُ فهي مشتقَّةٌ من عمارةِ البيتِ بزيارته.

والحجُّ في السَّنةِ مرَّة، وأركانه: الإحرام، والوقوف، والطواف، [١٤٦/أ] والسعي.

وواجباتهُ غيرَ الأركان: المبيتُ بمزدلفة، والرمي، والحِلَاق[4].

---

(١) في الأصل: أن لا تطعه.

(٢) تفسير القرطبي ٢/٣٦٥. وينسب القول إلىٰ آخرين، كما في هذا المصدر وغيره.

(٣) مصنف عبدالرزاق (٩٧٩٨) من حديث أم سلمة، وآخره فيه «كان كيوم ولدته أمه». وذكره ابن حجر في التلخيص الحبير (١٢٢٣)، وأورد فيه قول الإمام البخاري إن الحديث لا يثبت. كما أورد ألفاظًا ورواة آخرين للحديث. وضعفه في ضعيف الجامع (٥٣٥٢).

(٤) الحِلاق: تنحية الشعر عن الرأس. المعجم الوسيط، مادة حلق.

والعمرة تُفعل في كلِّ وقت، وتتكرَّرَ في كلِّ يوم. وقد كان شعارُ المقيمين في المسجدِ الحرامِ أن يعتمروا في كلِّ يوم، فإنَّهم يبكِّرون فيخرجون من الحرمِ إلىٰ أدنىٰ الجبل، إمَّا التنعيم، أو مسجدِ عائشة، فيُحرمون بالعُمرة، ثمَّ يجيئون إلىٰ البيت، فيطوفون، ويسعَون، ويحلقون، وقد تحلَّلوا من العمرة.

وينفردُ الحجُّ عن العمرةِ بالوقوف، والمبيتِ بمزلفة، والرمي. ومقصودُ الحجِّ الوقوف، ومقصودُ العمرةِ الطواف؛ لأنَّها زيارةُ البيت، والحجُّ: القصدُ إلىٰ الله تعالىٰ والرغبةُ إليه بعرفة، ويقالُ إنَّه موضعُ عرفَ آدمُ ﷺ حوّاءَ [فيه] حين أُهبِطا من الجنَّة[1].

رويَ عن ابن عباسٍ أنَّه قال: إنَّما سمِّيتْ عرفة؛ لأنَّ جبريلَ صلَّىٰ الله عليه أَرَىٰ إبراهيمَ ﷺ المناسك، فلمَّا جاءَ إلىٰ عرفة قال: عرفت؟ قال: نعم، فسمِّيَ الموضعُ عرفة[2].

وهو موضعٌ يجتمعُ الخلقُ فيه من كلِّ فجٍّ عميق، فيجتمعون علىٰ توحيدِ الله تعالىٰ ودعائه.

ويقال: إنَّ الله تعالىٰ يباهي بهم ملائكته[3].

(١) قول، من بين أربعة أقوال، ذكرها الماوردي في تفسيره ١/٢٦١. وما بين المعقوفتين إضافة من قبل المحقق لضبط السياق.

(٢) الدر المنثور ١/٥٣٦.

(٣) ذكره المؤلف بصيغة التضعيف، وهو حديث صحيح. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يباهي الملائكة بأهل عرفات، يقول: انظروا إلىٰ عبادي شعثًا غُبرًا». مسند أحمد (٨٠٤٧) قال محققه: صحيح وهذا إسناد حسن. كما صححه الألباني في صحيح=

ولا شكَّ أنَّه يكونُ فيهم من الأبدالِ والأولياءِ من يُجابُ دعاؤه، ويدخلُ مسيئهم في بركةِ مُحسنهم، فيُغفرُ لجميعِهم، ويَرضىٰ سعيَهم، ويُرحمَون لسَعَاتهم وقصدِهم[1]، ولا يخيِّبهم أكرمُ الأكرمين إذ وَقفوا ببابه، وقصدوا فضله، وطلبوا برَّه، وسألوا رحمته، [١٤٦/ب] وهو الغنيُّ الكريم، قالَ الله سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

فهو مستغنٍ عن عذابهم، رحيمٌ بهم، فمن طلبَ رحمتَهُ وداومَ علىٰ طلبها، ولم يَثنهِ الهوىٰ والشيطانُ، فيَشغلهُ عن طلبها، ويَشغلهُ بطاعةِ نفسهِ عن ذكرِ ربِّه؛ فإنَّ الله الكريمَ لا يخيِّبه، ولا يردُّه، بل يُدنيهِ ويقرِّبه.

وقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**يقولُ الله تعالىٰ: من تقرَّبَ إليَّ ذراعاً تقرَّبتُ إليه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيتهُ هرولة**»[2]. ومعنىٰ ذلك أنَّ من تكلَّفَ لي طاعةً ليتقرَّبَ إليَّ، أدنيتهُ بتسهيلِ الطاعةِ عليه، فيزيدُ قُربه، ويدنو من رضا ربه، ومن أتاني يمشي ليتقرَّبَ إليَّ، قربتُ منه بما هو أسرعُ من فعله، حتَّىٰ ألذِّذَهُ بمناجاتي، وأَسرَّهُ بطاعتي، وأعقبهُ رضايَ ودخولَ جنَّتي. فهذا غايةُ الكرمِ والتفضُّل.

وقد حُكيَ أنَّ بعضَ أهلِ العلمِ رأىٰ في بعضِ طريقهِ رجلاً لم يعرفه، فأرادَ أن يستخبرَ ما عنده، فقالَ له في كلامه: هل تعرفُ الله سبحانه؟ فقال:

= الجامع (١٨٦٧، ١٨٦٨) من حديث أبي هريرة وعبدالله بن عمرو.

(١) السعاة: التصرّف. ونظير السَّعاة من الكلام: النجاة، من نجا ينجو. تهذيب اللغة، باب العين والسين.

(٢) سبق تخريجه وأنه متفق عليه.

وكيف لا أعرفه ؟! قالَ له: وبماذا تعرفه ؟ قال: إن أتيتهُ قرَّبني وأدناني ، وإن بعدتُ منه صاحَ بي وناداني .

انظرْ ـ وفَّقكَ الله ـ ما أعرفَ هذا الرجلَ بفضلِ الله وبنعمتهِ على خلقه ، فإنَّ من أطاعَهُ أدناهُ بتسهيلِ الطاعةِ عليه ، وكفِّ أعدائهِ من النفسِ والشيطانِ عنه ، ومن عصاهُ خوَّفَهُ بعقابه ، ودعاهُ [١٤٧/أ] إلى الرجوعِ إليه ، بحسنِ ثوابه ، وعظيمِ عذابه .

وكان عبدالله بن ثعلبة[١] يصلي الليلَ كلَّه ، فإذا أسحرَ يرفعُ يديهِ ثمَّ يقول: سبحانك! أنت من حلمِكَ تُعصَى فكأنَّكَ لا ترى ، وتُطاع فكأنَّكَ لا تُعصَى ، وتدعو المدبِرين وأنت عنهم غنيٌّ ، وهم المبطئون عنكَ وهم إليكَ فقراء ، كأنَّهم إليكَ لا يرجعون ، وعليكَ لا يُعرَضون ، وبمثاقيلِ الذَّرِّ لا يُحاسَبون[٢] .

وقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أفضلُ ما قلتُ أنا والنَّبيُّون قبلي يومَ عرفة: لا إله إلَّا الله ، وحدَهُ لا شريكَ له**»[٣] .

ورويَ أنَّه سئلَ سفيان بنُ عيينة عن الدعاءِ يومَ عرفةَ فقال: لا إله إلَّا الله ، وحدَهُ لا شريكَ له . فقيلَ له: هذا ثناءٌ وليس بدعاء ، فقال: أما سمعتَ قولَ الشاعر:

---

(١) عبدالله بن ثعلبة الحنفي . وصفه أبو نعيم بقوله: «البكّاء الدنفي . . . هيَّمه الحب ، وتيَّمه القرب» . وكان قد بكى حتى أثرت الدموع في خديه . حلية الأولياء ٦/٢٤٥ ، صفة الصفوة ٣/٣٨١ .

(٢) جزء منه في: الشكر لابن أبي الدنيا (٤٦) ، حلية الأولياء ٦/٢٤٦ ، العقد الفريد ٣/١٧٤ .

(٣) سبق تخريجه وأنه في صحيح الجامع .

إذا أثنى عليكَ المرءُ يوماً كفاهُ مِن تعرُّضهِ الثناءُ[1]

وقد زادَ بعضُ الناسِ في ذلك: له الملك، وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قدير[2].

ويُكثرُ من الثناءِ والدعاء، فإنَّ الوقوفَ ليس هو قربةً في نفسه، وإنَّما قربتهُ التضرُّعُ والدعاء.

فَصْلٌ

[دعاء لابن عمر]

روى نافع قال: كان ابنُ عمر إذا انتهى إلى ذي طُوًى[3] باتَ به حتَّى يُصبح، ثمَّ يصلِّي الغداة، ويغتسل، **ويحدِّثُ أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يفعلُ ذلك**، ثمَّ يدخلُ مكةَ ضحًى، فيأتي البيت، فيستلمُ الحجرَ ويقول: بسمِ الله، والله أكبر. فإذا استلمَ [١٤٧/ب] الحجرَ رمَلَ ثلاثةَ أطواف، يمشي ما بين الركنين، فإذا أتى على الحجَرِ استلمه، وذكر، وأربعةَ أطوافٍ مشيًا، ثمَّ أتَى المقامَ فصلَّى فيه ركعتين، ثمَّ رجعَ إلى الحجرِ فاستلمه، ثمَّ خرجَ إلى الصفا من البابِ الأعظم، فرقيَ عليه فكبَّر، ثمَّ يقول:

(١) الفتوحات الربانية لابن علان ٤/ ٣. وينظر: المجالسة وجواهر العلم (٤٩). والبيت لأمية بن أبي الصلت، كما في عيون الأخبار ٣/ ١٤٩ وغيره.

(٢) جاء هذا في الحديث الشريف، كما سبق تخريجه، إضافة إلى ما ورد في الدعاء للطبراني (٨٧٤)، والمجالسة وجواهر العلم (٤٨).

(٣) واد بمكة.

لا إله إلَّا الله ، وحدَهُ لا شريكَ له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو علىٰ كلِّ شيءٍ قدير ، لا إله إلَّا الله ، ولا نعبدُ إلَّا إيَّاه ، لا إله إلَّا الله ، مخلصين له الدينَ ولو كرهَ الكافرون. اللَّهمَّ اعصمني بدينِكَ وبطاعتِكَ وطاعةِ رسولِك ، اللَّهمَّ جنِّبني حدودَك ، اللَّهمَّ اجعلني ممَّن يحبُّكَ ، ويحبُّ ملائكتك ، ويحبُّ رسلَك ، ويحبُّ عبادكَ الصالحين ، اللَّهمَّ يسِّرْ ليَ اليُسرىٰ ، وجنِّبني العُسرىٰ ، واغفرْ لي في الآخرةِ والأُولىٰ ، واجعلني من أئمَّةِ المتَّقين ، واجعلني من ورثةِ جنَّةِ النعيم ، واغفرْ لي خطيئتي يومَ الدين. اللَّهمَّ إنَّك قلت: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠] ، وإنَّك لا تخلفُ الميعاد ، اللَّهمَّ إذ هديتَني إلىٰ الإسلامِ فلا تَنزِعْهُ منِّي ، ولا تُخرجني عنه حتَّىٰ تتوفَّاني وأنا علىٰ الإسلام ، اللَّهمَّ لا تقدِّمني لعذاب ، ولا تؤخِّرني [لسيِّئ الفتن](١). ويدعو بدعاءٍ كثير.

وكان إذا أتىٰ علىٰ المسعَىٰ سعَىٰ وكبَّر(٢).

ورویٰ ابن السائب ، أنَّه سمعَ النَّبيَّ ﷺ بين ركنِ ابن جمح والركنِ الأسودِ يقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾(٣) [البقرة: ٢٠١] [١٤٨/أ].

---

(١) بدل كلمتين غير واضحتين في الأصل ، من مصادر التخريج.

(٢) مع اختلاف ألفاظ ورد في: الفتوحات الربانية لابن علان ٤/٤٠٠ وأورد فيه قول ابن حجر إنه موقوف صحيح ، شرح العمدة لابن تيمية ـ كتاب المناسك ٢/٤٥٧ ، السنن والأحكام للضياء المقدسي ٤/١٨٢ ، وذكر أن إسناده جيد ، من رواية الطبراني في كتاب المناسك.

(٣) شعب الإيمان (٣٧٥٤) ، الدعاء للطبراني (٨٥٩) ، المستدرك (١٦٧٣) وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم ، صحيح ابن خزيمة (٢٧٢١) وذكر محققه أن إسناده ضعيف ، مسند أحمد (١٥٣٩٨) قال محققه: إسناده قابل للتحسين. وفي جميعها «بني جمح». قال الدورقي في معناه ، كما في صحيح ابن خزيمة: بين الركن اليماني والحجر.

فَصْلٌ

[في البيت الحرام]

ويستحبُّ له إذا شاهدَ البيتَ أن يقول: اللَّهمَّ زدهُ تكريماً وتعظيماً وتشريفاً ومهابة، وزدْ من كرمهِ وعِظَمهِ تشريفاً وتكريماً[1].

ويستحبُّ له أن يدخلَ البيتَ ويصلِّي فيه؛ لأنَّه قد رويَ عن **النَّبيِّ ﷺ أنَّه دخلَ البيتَ وصلَّىٰ فيه ركعتين**[2]، إلَّا أنَّ تحيةَ البيتِ الطوافُ به.

وروىٰ ابن عيينة أنَّه قال: بينما أنا أطوفُ بالبيت، إذا أنا برجلٍ مشرفٍ علىٰ الناس، حسنِ الشيب، فقالَ بعضُنا لبعض: ما أشبهَ أن يكونَ هذا الرجلُ من أهلِ العلم، فاتَّبعناه، حتىٰ إذا قضَىٰ طوافه، وصارَ إلىٰ المقام، فصلَّىٰ ركعتين، فلمَّا سلَّمَ أقبلَ علىٰ القبلة، فدعا بدعوات، ثمَّ التفتَ إلينا وقال: هل تدرون ماذا قالَ ربُّكم؟ قلنا له: ماذا قالَ ربُّنا يرحمُكَ الله؟ قال: قالَ ربُّكم: أنا الملِك، أدعوكم إلىٰ أن تكونوا ملوكاً. ثمَّ أقبلَ علىٰ القبلةِ فدعا بدعوات، ثمَّ

---

(١) رواه بألفاظ مقاربة الشافعي في مسنده ص ١٢٥، والبيهقي في السنن الصغير (١٦٠٨)، كلاهما من حديث ابن جريج رفعه، وهو من أتباع التابعين، فالحديث منقطع، وقد أشار إلىٰ هذا في السنن الكبرىٰ (٦٢١٣) وقال: له شاهد مرسل عن سفيان الثوري. اهـ. ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥٩٩٩) عن مكحول رفعه. ويأتي مرفوعًا من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري، ولكن ذكر الألباني أنه موضوع، في ضعيف الجامع (٤٤٥٦)، والسلسلة الضعيفة (٤٢١٥).

(٢) روىٰ بلال أن النبي ﷺ صلىٰ في جوف الكعبة. صحيح ابن خزيمة (٣٠٠٨) وذكر محققه أن إسناده صحيح. وفي صحيح مسلم (١٣٢٩) من حديثه أيضًا: أن رسول الله ﷺ صلىٰ في جوف الكعبة، بين العمودين اليمانيين.

التفتَ إلينا فقال: هل تدرون ماذا قالَ ربُّكم؟ قال: قلنا له: ماذا قالَ ربُّنا يرحمُكَ الله؟ قال: قالَ ربُّكم: أنا الحيُّ الذي لا أموت، أدعوكم إلىٰ أن تكونوا أحياءً لا تموتون. ثمَّ أقبلَ علىٰ القِبلة، فدعا بدعوات، ثمَّ أقبلَ إلينا فقال: هل تدرون ماذا قالَ ربُّكم؟ قلنا: ماذا قالَ ربُّنا يرحمُكَ الله؟ قال: قالَ ربُّكم: أنا الذي إذا أردتُ شيئاً كان، أدعوكم إلىٰ أن تكونوا بحالٍ إذا أردتُم شيئاً كان لكم(١).

ودخلَ [١٤٨/ب] سالم بن عبدالله مع هشام بن عبدالملك البيت، فقالَ له هشام: سلْ حاجتك، فقالَ له سالم: إنِّي لأكرَهُ أن أسألَ في بيتِ الله ﷻ غيرَ الله تعالىٰ(٢).

وفي معنىٰ هذه الحكايةِ ما قيلَ لرابعة: هل لكِ حاجة؟ فقالت: إنِّي لأستحيي أن أسألَ الدنيا من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها(٣)؟!

فَصْلٌ
[في فضل الحج]

إذا فرغَ من نسكهِ وأرادَ الرجوعَ إلىٰ وطنه، فإنَّه يطوفُ طوافَ الوداع،

---

(١) حلية الأولياء ٣٠٣/٧، الإصابة في تمييز الصحابة ٢٧٤/٢، وآخره فيهما: قال ابن عيينة: ثم ذهب فلم نره، فلقيت سفيان الثوري فأخبرته بذلك فقال: ما أشبه أن يكون هذا الخضر، أو بعض هؤلاء. يعني الأبدال. اهـ. قلت: لم تثبت حياة الخضر.

(٢) عيون الأخبار ٢٠٩/٣.

(٣) قوت القلوب ٩٤/٢، إتحاف السادة المتقين ٢٤٠/٢.

فإذا طافَ وقفَ بين الركنِ والبابِ في الملتزم ويقول: اللّهمَّ إنَّ البيتَ بيتُك، وأنا عبدُك، حملتني بنعمتك، وأعنتني على قضاءِ نُسكك، فإن كنتَ رضيتَ عنِّي فازدَدْ رضًا، وإلَّا فمُنَّ الآنَ من قبلِ أن تنأىٰ عن بيتِكَ داري، هذا أوانُ انصرافي إن أذنتَ لي، غيرَ مستبدِلٍ بكَ ولا ببيتك، ولا بنبيِّكَ ﷺ، ولا راغبٍ عنكَ ولا عن بيتك. اللّهمَّ أصحِبني العافيةَ في بدني، والعصمةَ في ديني، وأحسنْ منقلَبي، ووفِّقني لطاعتِكَ ما أبقيتني، واجمعْ لي خيرَ الدنيا والآخرة، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]. ويَخرجُ ونظرهُ إلى البيتِ حتَّىٰ يغيبَ عنه[١].

وإنَّما شُرعتْ مشاهدةُ المواضعِ العظيمةِ لنفي الغفلةِ عن القلوب، فإنَّ الفكرةَ يُسرِعُ إليها الدُّثور، [١٤٩/أ] والقلوبُ تتقلَّب، والشيطانُ يَنكتُها، والخواطرُ تتسلَّطُ عليها، والمشاهدةُ توقظها، والأيامُ المعظَّمةُ تزعجها، والمداومةُ على الشيءِ الواحدِ يُسئِمُها، وقد كان قومٌ يكرهون المقامَ بمكةَ لئلا يسأموا رؤيةَ البيتِ بالمداومة، وتقلَّ هيبتهُ عندهم[٢]، فإذا انصرفوا عنه ثمَّ عادوا إليه تجدَّدتْ عندهم هيبته، وعظمتْ في نفوسهم منزلته، ولو دامتْ

---

(١) إحياء علوم الدين ١/٢٥٨.

(٢) ورد هذا عن بعضهم، وقال به الإمام أبو حنيفة رحمه الله وغيره، خشية الملل وملابسة الذنوب التي تضاعف. لكن الإقامة بمكة المكرمة مستحبة، بل هي أفضل من الإقامة بالمدينة المنورة. قال الإمام النووي رحمه الله: والمختار أن المجاورة مستحبة بمكة والمدينة إلا أن يغلب على ظنه الوقوع في الأمور المذمومة أو بعضها، وقد جاور بهما خلائق لا يحصون من سلف الأمة وخلفها ممن يقتدى به. المجموع شرح المهذب ٨/٢٧٨.
أما الصحابة المهاجرون رضي الله عنهم، فلعدم سكنهم مكة سبب آخر، قال الزرقاني رحمه الله: كانوا يكرهون الإقامة في أرض هاجروا منها وتركوها مع حبهم فيها لله تعالى، فلذا خشي سعد أن يموت بها، وتوجع ﷺ لابن خولة أن مات بها. شرح الزرقاني على الموطأ ٤/١١٧.

للإنسانِ الفكرة، وتجلَّتْ له الأمور، استغنىٰ عن مشاهدةِ الغيوب.

وقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**يقولُ الله تعالىٰ: من وسَّعتُ عليه في رزقه، ثمَّ لم يَفِدْ عليَّ في كلِّ ثلاثِ سنينَ مرَّة، إنَّه لمحروم**»[1].

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني قال: حدَّثنا الفربري قال: عن البخاري، عن عبدالعزيز بن عبدالله قال: حدَّثنا إبراهيم بن سعد[2]، عن الزهري، عن سعيد بن المسيِّب، عن أبي هريرة قال: سئلَ النَّبيُّ ﷺ: أيُّ الأعمالِ أفضل؟ قال: «**إيمانٌ بالله ورسوله**»، قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: «**جهادٌ في سبيله**»، قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: «**حجٌّ مبرور**»[3].

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني، عن الفربري، عن البخاري، حدَّثنا عبدالرحمن بن المبارك، حدَّثنا خالد، أخبرنا حبيب بن أبي عمرة[4]، عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها قالت: يا رسولَ الله، نرىٰ

(١) هكذا ورد «ثلاث سنين»، بينما هي «خمس سنين» في المصادر. قال الدارقطني: روي من غير طريق، ولا يصح منها شيء. ذكره السبكي في فتاويه ٢٦٢/١ وقال: ضعف هذه الأحاديث قد كفانا مؤونة النظر في معانيها، وقد اتفق العلماء علىٰ أن الحج فرض عين علىٰ كل مكلف حر مسلم مستطيع مرة في العمر، إلا من شذ فقال: إنه يجب علىٰ كل خمسة أعوام مرة، ومتعلقه ما روي أن النبي ﷺ قال: «علىٰ كل مسلم في كل خمسة أعوام أن يأتي بيت الله الحرام»، حكاه ابن العربي وقال: قلنا: رواية هذا الحديث حرام، فكيف إثبات حكم به؟ اهـ. أما تصحيح الألباني للحديث فلا يسلم له.

(٢) في الأصل: «إبراهيم بن سعيد»، وتصحيحه من الصحيح.

(٣) صحيح البخاري (١٥١٩).

(٤) في الأصل «عن عبدالرحمن بن المبرد، عن خالد، عن حبيب بن أبي عمر»، والمثبت من الصحيح.

الجهادَ [١٤٩/ب] أفضلَ الأعمال، أفلا نجاهد؟ قال: **«لكنَّ أفضلَ الجهادِ حجٌّ مبرور»**(١).

وروىٰ البخاريُّ بإسنادهِ عن أبي هريرة، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«من حجَّ لله تعالىٰ فلم يرفثْ ولم يفسقْ، رجعَ كيومَ ولَدتهُ أمُّه»**(٢).

حدَّثنا الحسين قال: حدَّثنا الكشاني قال: حدَّثنا الفربري عن البخاري، حدَّثنا عبدالله بن يوسف قال: أخبرنا مالك، عن سُمي مولىٰ أبي بكر بن عبدالرَّحمن، عن أبي صالح السَّمَّان، عن أبي هريرة، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال:

«العمرةُ إلىٰ العمرةِ كفَّارةٌ لما بينهما، والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلَّا الجنَّة»(٣).



(١) صحيح البخاري (١٥٢٠)، وفيه: «لا، لكن أفضل الجهاد...».
(٢) صحيح البخاري (١٥٢١). قال الأزهري: الرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة. النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٢٤١.
(٣) صحيح البخاري (١٧٧٣).

الجهاد

فَصْلٌ

في قولهِ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الصف: ١١].

هذهِ تجارةٌ ـ عافاكَ الله ـ مربحة، ونجاةٌ، مَن حطَّهُ حلَّ به عذابٌ دائمٌ أليم، وأغلالٌ وهوانٌ مقيم، ورأسُ مالِكَ فيها الإيمانُ بخالقك، والجهادُ في سبيلِ مُحييكَ ورازقِك، قالَ الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾ [التوبة: ١١١]، فزادَ في التجارةِ مع النجاةِ من النارِ الجنَّة، فصارَ الربحُ ربحين: [١٥٠/أ] سلامتَهُ من النيران، وخلودًا[1] في مراتعِ الجنان.

قالَ مجاهدٌ في قولهِ تعالىٰ: ﴿ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف: ٢ ـ ٤] نزلتْ في نفرٍ من الأنصار، منهم عبدالله بن رواحة، قالوا في مجلسٍ لهم: لو نعلمُ أيَّ الأعمالِ أحبُّ إلىٰ الله تعالىٰ لعملنا به حتَّىٰ نموت، فلمَّا نزلتِ الآياتُ قالَ ابن رواحة: لا أزالُ

(١) في الأصل: وخلود.

حبيساً في سبيلِ الله حتىٰ أموت ، فقُتل شهيداً ، رحمةُ الله عليه[1] .

ولقد بعثَ رسولُ الله ﷺ عبدالله بن رَواحة في سريَّة ، فغدا الجيش ، وأقامَ عبدالله بن رواحة ليشهدَ الصلاةَ مع رسولِ الله ﷺ ، فلمَّا قضىٰ صلاتَهُ قال: «**يا ابنَ رَواحة ، ألم تكنْ في الجيش**» ؟ قال: بلىٰ يا رسولَ الله ، ولكن أحببتُ أن أشهدَ الصلاةَ معك ، وقد علمتُ منزلتهم ، فأروحُ وأدركهم ، قال: «**والذي نفسي بيده ، لو أنفقتَ ما في الأرضِ ما أدركتَ فضلَ غَدوتهم**»[2] .

ورويَ من حديثٍ آخرَ أنَّه قالَ ﷺ لعبدالله بن رواحة: «**أو غدوةٌ في سبيلِ الله خيرٌ من الدنيا وما فيها**»[3] .

وروىٰ ابن المبارك عن سفيان ، عن زيد العمِّي ، عن أبي إياس ، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ لكلِّ أمَّةٍ رهبانية ، ورهبانيةُ هذه الأمةِ الجهادُ في سبيلِ الله**»[4] .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٦٥٨ ، تفسير الطبري ٢٢/٦٠٧ ، تفسير القرطبي ١٨/٧٩.

(٢) لفظه من كتاب الجهاد لابن المبارك (١٤) ، وهو من مراسيل الحسن البصري ﷺ. ورواه الترمذي في السنن (٥٢٧) وقال: لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وضعفه له في ضعيف الترمذي ، ورواه البغوي في شرح السنة (١٠٥٧) ، وذكره الزيلعي في نصب الراية ٢/٢٠٠ وأورد قول البيهقي أن شعبة تفرد به ، وأنه ضعيف.

(٣) هكذا في الأصل ، وهو من كتاب الجهاد لابن المبارك أيضًا (١٨) ولكن أورده المؤلف ناقصًا ، ولفظه فيه: «روحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها ، أو ما عليها». وحديث أبي هريرة عند مسلم (١٤٤) وغيره ، ولفظه فيه: «ولروحة في سبيل الله أو غدوة خير من الدنيا وما فيها».

(٤) كتاب الجهاد لابن المبارك (١٦) ، مسند أبي يعلىٰ (٤٢٠٤) وذكر محققه أن إسناده ضعيف ، وأحمد في المسند (١٣٨٠٧) ، وضعف إسناده الشيخ شعيب أيضًا ، بسبب زيد العمي.

وروىٰ ابن المبارك عن ابن عون، عن هلال بن أبي زينب، عن شهر بن حوشب، عن أبي هريرة قال: [١٥٠/ب] ذُكِرَ الشهداءُ عند النَّبيِّ ﷺ فقال: **«لا تجفُّ الأرضُ من دمهِ حتَّىٰ تبتدرَهُ زوجتاه، كأنَّهما ظئرانِ أضلَّتا فصيلَيهما في بَراحٍ من الأرض**[١]**، بيدِ كلِّ واحدةٍ منهما حُلَّةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها»**[٢].

وروىٰ ابن المبارك عن عتبة[٣] بن أبي حكيم قال: حدَّثني حصين بن حرملة النهدي قال: حدَّثني أبو مصبِّح الحمصي قال:

بينما نحن نسيرُ بأرضِ الرومِ في صائفةٍ[٤] عليها مالك بن عبدالله الخثعمي[٥]، إذ مرَّ مالكٌ بجابر بن عبدالله وهو يمشي ويقودُ بغلةً له، فقال له مالك: أي أبا عبدالله، اركبْ فقد حملكَ الله، قالَ جابر: أصلحُ دابَّتي وأستغني عن قومي، وسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«من اغبرَّتْ قدماهُ في سبيلِ الله حرَّمَهُ الله علىٰ النار»**. فأعجبَ مالكًا[٦] قولُه، وسكت، حتَّىٰ إذا كان

---

(١) في الأصل: «كأنَّهما طيرانِ أضلَّتا فصيلَهما في مراحٍ من الأرض»، والمثبت من مصدره. والظئر: المرضِع. والفصيل: ولد الناقة بعد فطامه وفصله عن أمه. والبراح: الأرض الواسعة التي لا بناء ولا زرع فيها. وتتمته في المصدر هكذا: «من الأرض بيداء، وفي يد...». كما ورد في الأصل والمصدر «فصيلَهما»، والمثبت من ابن ماجه وغيره.

(٢) كتاب الجهاد لابن المبارك (١٩). ورواه بسنده ابن ماجه (٢٧٩٨)، ومثله عبدالرزاق في المصنف (١٠٢٨٧)، وكذلك أحمد في المسند (٧٩٥٥) وذكر محققه أن إسناده ضعيف.

(٣) في الأصل «عبيد». والمثبت من مصدره.

(٤) هي الغزوة تكون في أول الصيف. شرح غريب ألفاظ المدونة ص ٥٦.

(٥) من أبطال الإسلام، من فلسطين. ذكر أن له صحبة ولم يصح. قاد جيوش الصوائف أربعين عامًا. وكان ذا حظ من صيام وقيام وجهاد. ت نحو ٦٠ هـ. سير أعلام النبلاء ٤/١٠٩.

(٦) في الأصل: مالك.

حيثُ يُسمِعهُ الصوت، ناداهُ بأعلىٰ صوته: أي أبا عبدالله، اركبْ فقد حملكَ الله، فعرفَ جابرٌ الذي أراد، فأجابَهُ، ورفعَ صوته، فقال: أُصلِحُ دابَّتي وأستغني عن قومي، وسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من اغبرَّتْ قدماهُ في سبيلِ الله حرَّمَهُ الله علىٰ النار**». فتواثبَ النَّاسُ عن دوابِّهم، فما رأيتُ يوماً أكثرَ ماشياً منه[(١)].

وروىٰ ابنُ المبارك عن هشام الدَّستوائي، عن يحيىٰ بن أبي كثير، عن عامر العقيلي، أنَّ أبا هريرة حدَّثه، أنَّ رسولَ الله ﷺ [١٥١/أ] قال: «**عُرِضَ عليَّ أوَّلُ ثلاثةٍ يَدخلون الجنَّة، وأوَّلُ ثلاثةٍ يدخلون النَّار، فأمَّا أوَّلُ ثلاثةٍ يدخلون الجنَّة: الشهيد، وعبدٌ مملوكٌ أحسنَ عبادةَ ربِّهِ ونصحَ لسيِّده، وعفيفٌ متعفِّفٌ ذو عيال. وأوَّلُ ثلاثةٍ يدخلون النَّار: أميرٌ متسلِّط، وذو قدرةٍ من مالٍ لا يُعطي حقَّه، وفقيرٌ فَخور**»[(٢)].

وروىٰ ابنُ المبارك عن جعفر بن سليمان، عن ثابت البناني، عن عكرمة بن أبي جهل، أنَّه ترجَّلَ يومَ كذا، فقالَ له خالد بنُ الوليد: لا تفعل، فإنَّ قتلكَ علىٰ المسلمين شديد، فقال: خلِّ عنِّي يا خالد، فإنَّه قد كانت لكَ

---

(١) كتاب الجهاد لابن المبارك (٣٢، ٣٣)، ورواه بسنده مع القصة ابن حبان في صحيحه (٤٦٠٤) وقال محققه: حديث صحيح. ومن رواية أبي عبس رواه البخاري في صحيحه (٩٠٧) بدون القصة.

(٢) كتاب الجهاد لابن المبارك (٤٦)، وقسمه الأول في سنن الترمذي (١٦٤٢) وقال: حديث حسن. وضعفه له الألباني، شعب الإيمان (٨٢٤٦)، المستدرك (١٤٢٩)، مسند أحمد (٩٤٩٢) وقال محققه: إسناده ضعيف. وجاء في الأصل «ذو قدرة من ماله»، وتصحيحه من مصدره وغيره. كما جاءت آخر كلمة في المخطوط «فجور»، والمثبت من المصدر المطبوع، ولكنه في المستدرك للحاكم أيضًا «فجور».

مع رسولِ الله ﷺ سابقة، وإنِّي وأبي كنَّا من أشدِّ النَّاسِ على رسولِ الله ﷺ. فمشَىٰ حتَّىٰ قُتل[1].

وروىٰ ابن المبارك عن معمر، عن الزهري، عن أبي بكر بن الحارث بن هشام[2]، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**رأيتُ في المنامِ كأنَّ أبا جهلٍ أتاني فبايعني**». فلمَّا أسلمَ خالد بنُ الوليد قيل: صدَّقَ الله رؤياكَ يا رسولَ الله بإسلامِ خالد[3]، فقال: «**ليكوننَّ غيره**»، حتَّىٰ أسلمَ عكرمة بنُ أبي جهل، فكان ذلك تصديقَ رؤياه[4].

وروىٰ ابن أبي مليكة قال: كان عكرمة بن أبي جهل يأخذُ المصحفَ فيضعهُ علىٰ وجههِ ويبكي، ويقول: كتابُ ربِّي، كلامُ ربِّي[5].

وروىٰ عاصم بن بهدلة عن أبي وائل قال: لمَّا حضرتْ خالد بنَ الوليد الوفاةُ قال: طلبتُ [١٥١/ب] القتلَ مظانَّه، فلم يقدَّرْ لي إلَّا أن أموتَ علىٰ فراشي، وما كان من عملي شيءٌ أرجَىٰ عندي بعد لا إله إلَّا الله من ليلةٍ بتُّها وأنا متترِّسٌ بترسي، والسماءُ تهلُّني[6]، ننتظرُ الصبحَ حتَّىٰ نُغِيرَ علىٰ الكفَّار.

---

(١) كتاب الجهاد لابن المبارك (٥٤)، السنن الكبرىٰ للبيهقي (١٧٩٢٠).

(٢) في المصدر: عن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث.

(٣) للقرابة الشديدة بينهما، فهو ابن عمه: خالد بن الوليد بن المغيرة، وأبو جهل هو عمرو بن هشام بن المغيرة. ينظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/٤٢٧، ٣/١٠٨٢.

(٤) كتاب الجهاد لابن المبارك (٥٥).

(٥) السنة لعبدالله بن أحمد ١/١٤٠، تاريخ مدينة دمشق ٤١/٦٧، ٦٨.

(٦) في الأصل «تهملني»، وفي مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا «تهلبني». والمثبت من مصدره الأساسي (الجهاد) ومن بغية الطلب، وتاريخ دمشق.

ثمَّ قال: إذا أنا متُّ فانظروا سلاحي وفرسي فاجعلوهُ عدَّةً في سبيلِ الله.

فلمَّا توفيَ خرجَ عمرُ رضي الله عنه في جنازتهِ وقال: ما على نساءِ آلِ الوليد أن يسفحنَ على خالدٍ من دموعهنَّ، ما لم يكن نقعاً أو لقلقة.

النَّقع: الترابُ على الرأس، واللقلقة: الصوت(١).

فَصْلٌ

في قولهِ تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا

بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠].

أكرمَ الله تعالى الشهداء، بأن جعلَهم أحياءً قبلَ يومِ القيامة.

روى ابنُ عباس وابن مسعود وجابر بن عبدالله، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ أرواحَ الشهداءِ في حواصلِ طيرٍ خُضر، تَرِدُ أنهارَ الجنَّة، وتأكلُ من ثمارها**»(٢).

---

(١) كتاب الجهاد لابن المبارك (٥٣)، مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (١٧٧)، المعجم الكبير للطبراني (٣٨١٢)، تاريخ مدينة دمشق ٢٦٩/١٦، بغية الطلب ٣١٦٢/٧. وبيان الكلمات الأخيرة من قبل عبدالله بن المختار، الراوي عن عاصم بن بهدلة.

(٢) جزء من حديث رواه ابن المبارك من حديث ابن عباس في كتابه الجهاد (٦٢)، وابن عاصم كذلك في كتابه الجهاد (٥٢، ١٩٣). وأصله في صحيح مسلم (١٨٨٧) ولفظه: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي=

❁ **فإن قالَ قائل**: هذا مثلُ قولِ أهلِ التناسخ.

❁ **فالجواب**: أنَّ أهلَ التناسخِ يقولون إنَّها تعودُ إلىٰ الدنيا، والشهداءُ أحياءٌ عند ربِّهم، قيل: معناهُ أنَّهم ليسوا في الدنيا، وقيل: في علمِ ربِّهم.

وروىٰ ابنُ المبارك عن ابن جريج، عن مجاهد في قولهِ تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [١٥٢/أ]، قال: يُرزقون من ثمارِ الجنَّة، ويجدون ريحَها وليسوا فيها[(١)].

وروىٰ ابنُ المبارك عن إبراهيم بن هارون الغنوي، عن مسلم[(٢)] بن شدّاد، عن عبيد بن عمير، عن أُبيٍّ بن كعب قال: الشهداءُ في قباب، في رياضٍ بفناء الجنَّة، يُبعَثُ لهم حوتٌ وثور، فيعتركان، فيَلهُون بهما، فإذا اشتهَوا الغداءَ عقرَ أحدُهما صاحبه، فأكلوا من لحمه، فيجدون في لحمهِ طعمَ كلِّ طعامٍ في الجنَّة، وفي لحمِ الحوتِ طعمَ كلِّ شرابٍ في الجنَّة[(٣)].

وروىٰ ابنُ المبارك عن زائدة بن قدامة قال: أخبرني ميسرةُ الأشجعي،

= ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن تردَّ أرواحنا في أجسادنا حتىٰ نُقتل في سبيلك مرة أخرىٰ، فلما رأىٰ أن ليس لهم حاجة تركوا». وبدا كأنه من كلام عبدالله بن مسعود ﵁، ولكن بيَّن الإمام النووي ﵀ في شرحه علىٰ مسلم أنه مرفوع.

(١) كتابه الجهاد (٥٩).

(٢) في الأصل: سلم.

(٣) كتاب الجهاد لابن المبارك (٦٠)، ما ذكر في فضل الجهاد لابن أبي شيبة (٤٨)، ومصنفه (١٩٦٩٦)، الكنىٰ والأنساب للدولابي (١٩٨٦). ورواه الطبراني في كلام طويل بألفاظ أخرىٰ من قول عبدالله بن عمرو، وذكر الحافظ الهيثمي أن رجاله رجال الصحيح خلا عبد الرحمن بن البيلماني وهو ثقة. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٥/٢٩٨.

عن عكرمة، عن ابن عباس، عن كعب أنَّه قال: جنَّةُ المأوىٰ فيها طيرٌ خضرٌ ترعَىٰ فيها أرواحُ الشهداء[1].

قولهُ تعالىٰ: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾: وكيف لا يفرحون وقد ميَّزهم من الأمواتِ بالحياةِ والتنعُّم، وينتظرون في البعثِ الخلودَ مع الصالحين من الأمم؟

﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ قيل: فيه قولان:

أحدهما: أنَّهم يستبشرون بإخوانهم من المسلمين الشهداء، وأنَّ لهم من كرامةِ الله تعالىٰ مثلما نالوه.

والثاني: أنَّهم أُعلِموا بمن يُلحَقُ بهم من شهداءِ المسلمين، فهم يستبشرون بقدومِهم عليهم كما يستبشرُ أهلُ الغائبِ بقدومه[2].

وإنَّما أُعطيَ[3] للشهداءِ الحياةُ قبلَ يومِ القيامةِ [١٥٢/ب] دونَ أهلِ الطاعاتِ والصالحين؛ لأنَّهم سَخَوا بنفوسهم لله تعالىٰ، وباعوا نفوسَهم لله تعالىٰ بالجنَّةِ حتَّىٰ طلبوا الشهادة.

وقد رويَ أنَّ أعرابيًّا جاءَ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فبايعه، فوصَّىٰ به أصحابه، ثمَّ نهضوا في سريَّةٍ فغنموا، فقسَمَ رسولُ الله ﷺ الغنائم، وجعلَ للأعرابيِّ

---

(١) الجهاد لابن المبارك (٦١)، وفيه «ترتعي» بدل «ترعىٰ». ورواه أبو نعيم في الحلية ٥/٣٨١، وفيه «يرفع» بدل «ترعىٰ».

(٢) ينظر تفسير الطبري ٦/٢٣٨، والدر المنثور للسيوطي ٢/٣٧٦.

(٣) في الأصل «اعطوا».

نصيباً، فقال: يا محمَّد، ما بايعتُكَ على هذا، وإنَّما بايعتُكَ على أن يصيبَني سهمٌ ها هنا ـ وأشارَ إلى عنقهِ ـ فأموت، فأدخلَ الجنَّة.

فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنْ صدَقَ الله صدَقه». فما لبثَ إلَّا قليلاً حتَّى خرجوا في غزاة، فجيءَ به إلى النَّبيِّ ﷺ وقد أصابَهُ سهمٌ في الموضعِ الذي أشارَ إليه بيدهِ فقتله، فقالَ ﷺ: «صدَقَ اللهَ فصدَقه»[1].

وقد كان الجهادُ لمَّا فُرِضَ عليهم كرهوه، قالَ الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١٦]. فلمَّا بيَّنَ الله تعالى لهم ثوابَ الجهادِ وجزاءَ الشهداءِ رغبوا فيه، وحرَصوا عليه، وكان ذلك قصداً للطاعةِ والتصديق، وإخلاصاً لله، فجازاهم الله بالحياة، وميَّزهم من أهلِ الطاعات.

روى ابنُ المبارك عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس قال: كان عمِّي أنس بن النَّضر لم يشهدْ [١٥٣/أ] بدراً مع رسولِ الله ﷺ، فكبرَ عليه، فيقول: أولُ مشهدٍ مع رسولِ الله ﷺ غبتُ عنه؟ أما والله لأن أرانيَ الله مشهداً مع رسولِ الله ﷺ فيما بعدُ ليرينَّ الله ما أصنع! فشهدَ مع رسولِ الله ﷺ يومَ أُحدٍ من العامِ المقبل، فاستقبلَهُ سعد بنُ معاذ، فقال: يا أبا عمرو، إنَّها لريحُ الجنَّةِ أجدُها دونَ أُحد! فقاتلَ حتَّى قُتل. ووُجِدَ في جسدهِ بضعٌ وستُّون أثراً،

---

(١) أورده المؤلف مختصرًا، وقد رواه النسائي في السنن الكبرى (٢٠٩١) من حديث شداد بن الهاد، وصححه له في صحيح النسائي، ورواه الحاكم في المستدرك (٦٥٢٧)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦٨١٧)، والطبراني في الكبير (٧١٠٨). وصححه في صحيح الجامع (١٤٢٠).

من بين ضربةٍ ورميةٍ وطعنة. فقالت عمَّتي الرُّبيِّع بنتُ النَّضر: فما عرفتُ أخي إلَّا ببنانه، قال: فنزلتْ هذه الآية: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]. نَحبه: نَذره(١).

وروىٰ ابنُ عباس قال: كان عمرو بن الجموح ـ شيخٌ(٢) من الأنصارِ ـ أعرج، فلمَّا خرجَ النَّبيُّ ﷺ إلىٰ بدرٍ قالَ لبنيه: أخرجوني. فذكروا للنَّبيِّ ﷺ عرَجَهُ وحاله، فأذنَ له في المقام. فلمَّا كان يومُ أُحدٍ خرجَ النَّاس، فقالَ لبنيه: أخرجوني، فقالوا: قد رخصَ لكَ رسولُ الله ﷺ وأذنَ لكَ في المقام، فقال: هيهات، منعتموني الجنَّةَ ببدر، وتنمعونيها بأُحد؟ فخرج، فلمَّا التقىٰ الناسُ قال: يا رسولَ الله، إن قُتلتُ [١٥٣/ب] اليومَ أطأُ بعرجتي هذه الجنَّة؟ قال: «**نعم**»، قال: والذي بعثكَ بالحقِّ لأطأنَّ بها الجنَّةَ إن شاءَ الله. فقالَ لغلامٍ له كان معه يقالُ له سليمان: ارجعْ إلىٰ أهلك، قال: وما عليكَ أن أُصيبَ معك خيراً؟ قال: فتقدَّمْ إذن، فتقدَّمَ الغلام، فقاتلَ حتَّىٰ قُتل، ثمَّ تقدَّمَ هو فقاتلَ حتَّىٰ قُتل(٣).

وروىٰ سليمان بن أبان، أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا خرج إلىٰ بدر، أرادَ سعد بن خيثمة وأبوهُ أن يخرجا جميعاً، فذكروا ذلك للنَّبيِّ ﷺ، فأمرهما أن يخرجَ أحدُهما، فاستهما، فخرجُ سهمُ سعد، فقالَ أبوه: آثرني بها يا بنيّ، فقال: يا

---

(١) الجهاد لابن المبارك (٧٦). والخبر في صحيح البخاري (٢٨٠٥) وغيره.
(٢) هي هكذا في المصادر أيضًا، وليس في الأصل وحده، بتقدير: هو شيخ.
(٣) كتاب الجهاد لابن المبارك (٧٨)، السنن الكبرىٰ للبيهقي (١٧٨٢١).

أبه، إنَّها الجنَّة، لو كان غيرها آثرتُكَ به. فخرجَ سعدٌ مع النَّبيِّ ﷺ، فقُتِلَ يومَ بدر، ثمَّ قُتِلَ خيثمةُ يومَ أُحدٍ في العامِ المقبل(١).

وروىٰ ابن المبارك عن سفيان بن عيينة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيِّب قال: قال عبدالله بن جحش يومَ أُحد: اللَّهمَّ أُقسِمُ عليكَ أن نلقَىٰ العدوّ، فإذا لقِينا العدوَّ أن يقتلوني، ثمَّ يبقروا بطني(٢)، ثمَّ يمثِّلوا بي، فإذا لقيتُكَ سألتني: فيمَ هذا؟ فأقول: فيك. فلقيَ العدوّ، فقُتِل، وفُعِلَ ذلك به. قالَ ابنُ المسيِّب: وإنِّي أرجو أن يَبرَّ اللهُ آخرَ قسَمهِ كما أبرَّ أوَّله(٣).

وروىٰ عبدالرَّحمن بن أبي صعصعة قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**من ينظرُ لي ما فعلَ** [١٥٤/أ] **سعد بنُ الربيع**»؟ فقالَ رجلٌ من الأنصار: أنا يا رسولَ الله.

قال: فخرجَ يطوفُ في القتلىٰ، فوجدَ سعداً جريحاً قد أثبتَ بآخرِ رمق، فقال: يا سعد، إنَّ رسولَ الله ﷺ أمرني أن أنظرَ له أمِنَ الأحياءِ أنت أم من الموتَىٰ؟ قال: فإنِّي في الأموات، أبلغْ رسولَ الله ﷺ منِّي السلام، وقلْ له: إنَّ سعداً يقولُ لك: جزاكَ الله عنَّا خيرَ ما جُزِيَ نبيٌّ عن أمَّته، وأبلغْ قومكَ عنِّي السلام، وقلْ لهم: إنَّ سعداً يقولُ لكم: إنَّه لا عذرَ لكم عند الله أن يخلصَ إلىٰ نبيِّكم وفيكم عينٌ تَطرف(٤).

---

(١) كتاب الجهاد لابن المبارك (٧٩)، المستدرك للحاكم (٤٨٦٦) وذكر الذهبي أنه مرسل وإسناده ضعيف.

(٢) في الأصل: يبقرون بطني.

(٣) كتاب الجهاد لابن المبارك (٨٥)، مصنف عبدالرزاق (٩٥٥٢)، حلية الأولياء ١٠٩/١، المستدرك للحاكم (٤٩٠٢) وقال: حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين لولا إرسال فيه. وعلق الذهبي: مرسل صحيح.

(٤) كتاب الجهاد لابن المبارك (٩٤)، المستدرك للحاكم (٤٩٠٧)، وعلق الذهبي بأنه مرسل.

وروىٰ ابنُ المبارك عن جرير بن حازم قال: سمعتُ الحسن يقول: حضرَ النَّاسُ بابَ عمر رضي الله عنه، وفيهم سهيل بنُ عمرو، وأبو سفيان بنُ حرب، والشيوخُ من قريش، فخرجَ آذنه، فجعلَ يأذنُ لأهلِ بدر، كصهيبٍ وبلال، فقالَ أبو سفيان: ما رأيتُ كاليوم، يؤذَنُ لهؤلاءِ العبيدِ ونحن جلوسٌ لا يُلتفَتُ إلينا؟ فقالَ سهيل بنُ عمرو[1]: أيُّها القوم، إنِّي والله لقد أرىٰ الذي في وجوهِكم، فإن كنتم غضاباً فاغضبوا علىٰ أنفسكم، دُعيَ القومُ ودُعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، ثمَّ أما والله ما سبقوكم به من الفضلِ ممَّا لا ترون أشدُّ عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي تنافسوهم عليه. ثمَّ قال: أيُّها القوم، إنَّ هؤلاءِ قد سبقوكم كما ترون، فلا سبيلَ لكم والله إلىٰ ما سبقوكم إليه، [١٥٤/ب] فانظروا هذا الجهادَ فالزموه، فعسَىٰ الله أن يرزقكم شهادة. ثمَّ نفضَ ثوبَهُ ولحقَ بالشام.

فقالَ الحسن: صدقَ والله، لا يجعلُ الله عبداً أسرعَ إليه كعبدٍ أبطأَ عنه[2].

❁ **فإن قالَ قائل:** فقد سوَّىٰ الله تعالىٰ بين السابقين والمتَّبعين، فقالَ سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فجعلَ السابقين والتابعين في الرضوان سواء؟

❁ **والجواب:** أنَّ الله تعالىٰ أثنىٰ عليهم بالسبق، وجعلَ اللاحقين

---

(١) خطيب قريش وفصيحهم، ومن أشرافهم. تأخر إسلامه إلىٰ يوم الفتح، ثم حسن إسلامه. وكان سمحًا، جوادًا، مفوَّهًا. استشهد يوم اليرموك. سير أعلام النبلاء ١/١٩٤.

(٢) كتاب الجهاد لابن المبارك (١٠٠)، المستدرك للحاكم (٥٢٢٧).

متَّبِعين، وإضافةُ الرضوانِ إليهم لا يوجبُ استواءَهم فيه، بل شملَهم على منازلهم، وذلك مثلُ قولهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧]، ومعلومٌ أنَّ منازلَهم في الجنَّةِ مختلفة؛ لقولهِ تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣]، وقولهِ تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٣٢]، كذلك ها هنا.

وقد نصَّ الله تعالى على ذلك بقولهِ تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠].

روى ابنُ المبارك عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد وثابت، عن أنس بن مالك، أنَّ أبا طلحة[1] قرأ هذه الآية: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١]، فقال: أمَرنا الله ﷻ واستنفرنا شيوخاً وشبَّاناً، جهِّزوني، فقالَ بنوه: يرحمُكَ الله، [١٥٥/أ] قد غزوتَ على عهدِ رسولِ الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ونحن نغزو عنكَ الآن. فغزا البحر، فمات، فطلبوا جزيرةً يدفنونَهُ فيها، فلم يقدروا عليها إلَّا بعد سبعةِ أيام، وما تغيَّر[2].

ورويَ عن أبي الجهم بن حذيفةَ العدويِّ[3] قال: انطلقتُ يومَ اليرموكِ

(١) أبو طلحة الأنصاري النجاري، زيد بن سهل، رضي الله عنه. شهد العقبة وبدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وهو أحد النقباء. تهذيب الكمال ١٠/٧٥.

(٢) كتاب الجهاد لابن المبارك (١٠٤)، المستدرك (٥٥٠٨) وقال: صحيح على شرط مسلم. وسكت عنه الذهبي، صحيح ابن حبان (٧١٨٤) وذكر الشيخ شعيب أيضًا أن إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) في الأصل: أبي الحكم حذيفة العدوي. وأبو الجهم اسمه عامر، أو عبيد، صاحب=

أطلبُ ابن عمِّي ، ومعي شَنَّةٌ من ماء[1] ، وإناء ، فقلت: إن كان به رمقٌ سقيتهُ ومسحتُ وجهه ، فإذا أنا به ، فقلت: أسقيك ؟ فأشارَ أي نعم ، فإذا رجلٌ يقول: آه ، فأشارَ ابنُ عمِّي أن أنطلقَ إليه ، فإذا هو هشام بنُ العاص ، أخو عمرو ، فأتيته ، فقلت: أسقيك ؟ فسمعَ آخرَ يقول: آه ، فأشارَ هشامٌ أن أنطلقَ به إليه ، فجئته ، فإذا هو قد مات ، ثمَّ رجعتُ إلىٰ هشامٍ فإذا هو قد مات ، ثمَّ أتيتُ ابنَ عمِّي فإذا هو قد مات[2].

وروىٰ إبراهيم بن حنظلة ، عن أبيه ، أنَّ سالمًا[3] مولىٰ أبي حذيفة قيلَ له يومَ اليمامة في اللواءِ يحفظه[4] ، فإن كنتَ تخشىٰ من نفسِكَ شيئاً فنولِّي اللواءَ غيرَك ، فقال: بئسَ حاملُ القرآنِ أنا إذن. فقُطعتْ يمينه ، فأخذَ اللواءَ بيساره ، فقُطعتْ يساره ، فاعتنقَ اللواءَ وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤] ، ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٤٦] ، فلمَّا صُرِعَ قالَ لأصحابه: ما فعلَ أبو حذيفة ؟ قيل: قُتل ، قال: فما فعلَ فلان ، لرجلٍ سمَّاه ، فقيل: قُتل ، قال: فأضجعوني بينهما[5]. [١٥٥/ب].

روىٰ ابنُ المبارك عن ابن لهيعة قال: حدَّثني عطاء بن دينار ، عن أبي

= الأنبجانية. المقتنىٰ في سرد الكنىٰ (١١٩٢). وترجم له ابن عساكر باسم عبيد ، وأن له صحبة ، ومن مسلمة الفتح. تاريخ مدينة دمشق ١٧٣/٣٨.

(١) الشنة: القربة الصغيرة البالية.

(٢) كتاب الجهاد لابن المبارك (١١٦) ، تاريخ مدينة دمشق ٢٠/٧٤.

(٣) في الأصل: سالم.

(٤) في الأصل ومصادر أخرىٰ «اللوىٰ» ، هنا وفيما يأتي. وورد بعده «يحفظ». وتسديده من المصادر.

(٥) الجهاد لابن المبارك (١١٨) ، أسد الغابة ٣٨٢/٢ ، معجم الصحابة للبغوي ١٤٤/٣.

يزيد الخولاني قال: سمعتُ فضالة بنَ عبيد قال: سمعتُ عمر بنَ الخطَّاب ﷺ يخبر، أنَّه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: **«الشهداءُ أربعة: رجلٌ مؤمنٌ جيِّدُ الإيمان، لقيَ العدوَّ وصدَقَ اللهَ ﷻ حتَّىٰ قُتل، فذاكَ الذي يَرفعُ إليه النَّاسُ يومَ القيامةِ أعينَهم هكذا ـ ورفعَ رأسَهُ ـ، ورجلٌ مؤمنٌ جيِّدُ الإيمان، إذا لقيَ العدوَّ فكأنَّما يُضرَبُ جلدهُ بشوكِ الطلحِ من الجبن، أتاهُ سهمٌ غَرْبٌ فقتله، فهو في الدرجةِ الثانية، ورجلٌ مؤمنٌ خلطَ عملاً صالحاً وآخرَ سيئاً، لقيَ العدوَّ فصدَقَ اللهَ حتَّىٰ قُتل، فذلك في الدرجةِ الثالثة، ورجلٌ أسرفَ علىٰ نفسه، لقيَ العدوَّ فصدَقَ الله حتَّىٰ قُتل، فذلك في الدرجةِ الرابعة»**(١).

ورويَ عن عبدالله بن قيس قال: لقد رأيتُني خرجتُ في غزاةٍ لنا، فدُعيَ النَّاسُ إلىٰ مصافِّهم في يومٍ شديدِ الريح، فالنَّاسُ يثوبون إلىٰ مصافِّهم، فإذا رجلٌ علىٰ فرسٍ له، ورأسُ فرسهِ عند عجزِ فرسي، سمعتهُ يقولُ ولا يشهدني(٢): يا نفس، ألم أشهدْ مشهدَ كذا وكذا فقلتِ لي: ولدكَ وأهلك، فأطعتكِ ورجعت؟ ألم أشهدْ مشهدَ كذا وكذا فقلتِ لي: عيالكَ وأهلك، فأطعتكِ ورجعت؟ أما والله لأعرضنَّكِ [١٥٦/أ] اليومَ علىٰ الله ﷻ، أخذَكِ أو تركَكِ. قال: قلت: لأرمقنَّ هذا، فرمقته، فصفَّ النَّاس، ثمَّ حملوا علىٰ عدوِّهم، فكان في أوائلهم، ثمَّ إنَّ العدوَّ حملَ علىٰ النَّاسِ فانكشفوا، فكان في حُماتهم، ثمَّ إنَّ النَّاس حَملوا فكان في أوائلهم، ثمَّ إنَّ العدوَّ حملَ

---

(١) الجهاد لابن المبارك (١٢٦)، شعب الإيمان (٣٩٥٧)، مسند أبي يعلىٰ (٢٥٢) وذكر محققه أن إسناده ضعيف، سنن الترمذي (١٦٤٤) وقال: حديث حسن غريب، وضعفه له الألباني، مسند أحمد (١٥٠) وذكر محققه أن إسناده ضعيف.

(٢) في الجهاد لابن المبارك: لا يشعرني.

فانكشفَ النَّاسُ فكان في حماتهم، [ثمَّ إنَّ النَّاس حملوا فكانَ في أوائلهم، ثمَّ إنَّ العدوَّ حملَ فانكشفَ النَّاسُ فكان في حماتهم][1]، قال: فوالله ما زالَ ذلك دأبَهُ حتَّىٰ مررتُ به فعددتُ به وبدابَّتِهِ ستينَ طعنة، أو قال: أكثرَ من ستينَ طعنة[2].

وروىٰ ابن المبارك عن [السري][3] بن يحيىٰ قال: حدَّثني العلاء بنُ هلال الباهلي، أنَّ رجلاً من قومِ صلةَ قالَ لصلة[4]: يا أبا الصهباء، إنِّي رأيتُ أنِّي أُعطيتُ شُهدةً وأُعطيتَ أنت شُهدتين[5]، فقالَ له صلة: خيراً رأيت، تستشهد، وأستشهدُ أنا وابني. قال: فلمَّا كان يومُ يزيد بنِ زياد[6] لقيهم التركُ بسجستان[7]، فكان أولَ جيشٍ انهزمَ من المسلمين ذلك الجيش، فقالَ صلةُ لابنه: يا بني، ارجعْ إلىٰ أمِّك، فقال: يا أبه، أتريدُ الخيرَ لنفسِكَ وتأمرني بالرجعة؟ أنت والله كنتَ لأمِّي خيراً منِّي. قال: أما إذ قلتَ هذا فتقدَّم. قال: فتقدَّم، فقاتلَ حتَّىٰ أُصيب، فرمَىٰ صلةُ عن جسدهِ ـ وكان رجلاً رامياً ـ حتَّىٰ تفرَّقوا عنه، وأقبلَ يمشي حتَّىٰ وقفَ عليه، فدعا له، ثمَّ [١٥٦/ب]

---

(١) ما بين المعقوفتين ـ تكرار للمرة الثالثة ـ لم يرد في الجهاد لابن المبارك، والمؤلف ينقل منه.

(٢) كتاب الجهاد لابن المبارك (١٤٢).

(٣) بدل فراغ في الأصل.

(٤) أبو الصهباء صلة بن أشيم العدوي، الصحابي الجليل. من البصرة. زاهد عابد مجاهد. زوج العالمة معاذة العدوية. قتل في سجستان سنة ٦٢ هـ. سير أعلام النبلاء ٣/٤٩٧، أسد الغابة ٣/٢٩، صفة الصفوة ٣/٢١٦.

(٥) الشُّهدة: القطعة من العسل.

(٦) يزيد بن زياد بن أبيه، قائد الجند في سجستان وغيرها.

(٧) في بلاد فارس.

قاتلَ حتَّىٰ قُتل[١].

وحكىٰ ثابت البناني عن معاذة امرأةِ صلة، أنَّه لمَّا جاءها نعيُ ابنها وزوجها، وذُكِرَ لها كيف قُتلا، جاءها النِّساء فقالت: إن كنتنَّ جئتنَّ تهنِّئننا بما أكرمَنا الله به فذاك، وإلَّا فارجِعن[٢].

قال ثابت: وكان صلة يأكلُ يوماً، فجاءَهُ رجلٌ فقالَ له: ماتَ أخوك، فقال: إن ماتَ فقد نُعيَ إليَّ، اجلس، فقالَ الرجل: ما سبقني إليكَ أحد! فقال: قالَ الله تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[٣] [الزمر: ٣٠].

وقال حميد بن هلال: إنَّ الأسود بنَ كلثوم[٤] لمَّا خرجَ غازياً قال: اللَّهمَّ إنَّ هذه نفسي تزعمُ في الرخاءِ أنَّها تحبُّ لقاءك، فإن كانت صادقةً فارزقها، وإن كانت كاذبةً فاحملها عليه وإن كرهت، واجعلهُ قتلاً في سبيلك، وأطعمْ لحمي سباعاً وطيراً. قال: فانطلقَ في طائفةٍ من ذلك الجيشِ حتَّىٰ دخلوا حائطاً فيه ثُلمة، وجاءَ العدوُّ حتَّىٰ قاموا علىٰ الثُّلمة، فخرجَ وأصحابه، فكثرَ العدوُّ علىٰ الثلمة، فنزلَ عن فرسه، وضربَ وجهه، فخرجَ غائراً، وعمدَ إلىٰ ماءٍ كان في الحائط، فتوضَّأ منه، ثمَّ صلَّىٰ، فقالَ العدوّ: هكذا استسلامُ العرب. فلمَّا

(١) كتاب الجهاد لابن المبارك (١٥٤)، حلية الأولياء ٢/٢٤٠، سير أعلام النبلاء ٣/٤٩٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/٤٩٨.

(٣) حلية الأولياء ٢/٢٣٨، سير أعلام النبلاء ٣/٤٩٩.

(٤) الأسود بن كلثوم العدوي. حديثه في البصريين. يروي المراسيل، من عبّاد أهل البصرة. كان يأوي المقابر بالليل فيتعبد بجنبها إلىٰ الصباح. وله ذكر في الفتوح، وهو الذي فتح بيهق، أمّره ابن عامر علىٰ الجيش، فقتل يوم الفتح سنة إحدىٰ وثلاثين. قتل بأبرشهر من بلاد خراسان. الطبقات لخليفة بن خياط ص ٣٣٠، الثقات لابن حبان ٤/٣٢. الإصابة في تمييز الصحابة ١/٣٤١.

قضىٰ صلاتَهُ[1] قاتلهم حتَّىٰ قُتل، فمرَّ عظيمُ ذلك الجيش الذي كان فيه على الحائطِ وفيهم أخوه، فقيلَ له: ألا تدخلُ إلىٰ الحائطِ فتنظرَ ما أصبتَ من عظامِ أخيك فتجنَّه[2]، قال: ما أنا بفاعلٍ شيئاً دعا به أخي فاستُجيبَ له[3].

وروىٰ ابن المبارك [١٥٧/أ] عن جرير بن حازم، عن الحسن قال: قالَ رجلٌ من أهلِ الباديةِ لعمر: يا خيرَ النَّاس، يا خيرَ النَّاس. فقال: ما يقول؟ فقيل: يقول: يا خيرَ النَّاس، فقال: ويحك! إنِّي لستُ بخيرِ النَّاس، فقال: والله يا أميرَ المؤمنين إن كنتُ لأراكَ خيرَ النَّاس، قال: أفلا أخبركَ بخيرِ النَّاس؟ رجلٌ بلغَهُ الإسلامُ وهو في بلدِهِ وأهلِهِ ومالِه، فعمدَ إلىٰ صِرمةٍ من إبله، فحدَرها إلىٰ دارٍ من دورِ الهجرةِ فباعها، وجعلَ منها عُدَّةً في سبيلِ الله ﷻ، وجعلَ لا يصبحُ ولا يمسي إلَّا وهو بين المسلمين وبين عدوِّهم، فذلك خيرُ الناس. قال: يا أميرَ المؤمنين، إنِّي رجلٌ من أهلِ البادية، وإنَّ لي أشغالاً، وإنَّ لي وإنَّ لي، فأوصني بأمرٍ يكونُ لي نفعهُ وأَبْلُغُ به، فقال: أرني يدك، فأعطاهُ يده، فقال: تعبدُ الله ولا تشركُ به شيئاً، وتقيمُ الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصومُ رمضان، وتحجُّ البيت، وتعتمر، وتسمعُ وتطيع، وعليكَ بالعلانية، وإيَّاك والسرَّ، وعليكَ بكلِّ شيءٍ إذا ذُكرَ ونُشِرَ لم تستحي منه ولم يَفضحك، وإيَّاكَ وكلَّ شيءٍ إذا ذُكرَ ونُشِرَ استحييتَ منه وفضحك، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أفأعملُ بهذا فإذا لقيتُ ربِّي ﷻ قلت: أمرني بهنَّ عمر؟ قال:

---

(١) في الأصل: صلاتهم.

(٢) يعني تغطيه.

(٣) الجهاد لابن المبارك (١٥٦)، الزهد لأحمد (١١٥٣)، سير السلف الصالحين لقوام السنة ص ٦٩٢.

خذهنَّ، فإذا لقيتَ ربَّكَ فقلْ ما بدا لك(١).

ورويَ عن عمر رضي الله عنه قال:

كنتُ عند رسولِ الله [١٥٧/ب] صلى الله عليه وسلم وعندهُ فئامٌ من النَّاس، فجاءَ رجلٌ فقال: يا رسولَ الله، أيُّ النَّاسِ خيرٌ منزلةً عند الله تعالىٰ بعد أنبيائهِ وأصفيائه؟ فقال: «**المجاهدُ في سبيلِ الله بنفسهِ وبماله، حتَّىٰ يأتيَهُ دعوةُ الله عز وجل وهو علىٰ متنِ فرسهِ أو آخذٌ بعنانه**»، قال: ثمَّ من يا نبيَّ الله؟ قال: فخبطَ بيدهِ وقال: «**امرؤٌ بناحيةٍ يُحسِنُ عبادةَ الله عز وجل، ويدَعُ النَّاسَ من شرِّه**»، قال: فأيُّ النَّاسِ شرٌ؟ قال: «**المشركُ بالله**»، قال: ثمَّ من؟ قال: «**ذو سلطانٍ جائر، يجورُ عن الحقِّ وقد مُكنَ له**»(٢).

رويَ أنَّ أبا عبيدة حُصِرَ بالشام، وتألَّبَ عليه العدوّ، فكتبَ إليه عمر بنُ الخطاب، رضي الله عنهما: أمَّا بعد، فإنَّه ما نزلَ بعبدٍ مؤمنٍ من ضُرٍّ أو شدَّةٍ إلَّا جعلَ الله بعدها فرَجاً، ولا يَغلبُ عسرٌ يسرَين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، قال: فكتبَ إليه أبو عبيدة: سلامٌ عليك، أمَّا بعد، فإنَّ الله عز وجل يقولُ في كتابه: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾ إلىٰ ﴿مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]، قال: فخرجَ عمرُ رضي الله عنه بكتابهِ مكانه، فصعدَ علىٰ المنبر، فقرأهُ علىٰ أهلِ المدينة، فقال: يا أهلَ

(١) الجهاد لابن المبارك (١٦٤)، شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن (٣١). والصرمة: القطعة. وحدرها: نزل بها.

(٢) الجهاد لابن المبارك (١٦٥)، مسند أبي داود الطيالسي (٣٦)، مسند الفاروق لابن كثير (٦٢٤) من رواية الطيالسي، وهو نفسه عند ابن المبارك، وقال: إسناده جيد، لكن فيه رجل مبهم لم يسمَّ.

المدينة ، إنَّما يُعرِّض بكم أبو عبيدةَ أن ارغبوا في الجهاد[1].

روىٰ ابنُ المبارك عن سفيان ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن يحيىٰ بن جعدة[2] ، [١٥٨/أ] عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أنَّه قال: لولا ثلاث: لولا أن أسيرَ في سبيلِ الله عز وجل ، أو يعفِّرَ جبيني في السجود ، أو أقاعدَ قوماً ينتقون طيِّبَ الكلامِ كما يُنتقىٰ طيِّبُ الثمر ، لأحببتُ أن أكونَ لحقتُ بالله عز وجل[3].

وحكيَ عن الحسن أنَّه قال: أغميَ علىٰ رجلٍ من الصدرِ الأول ، فبكىٰ ، فاشتدَّ بكاؤه ، فقالوا له: إنَّ الله عز وجل رحيم ، إنَّه غفور ، فقال: والله ما تركتُ بعدي شيئاً أبكي عليه إلَّا ثلاثَ خصال: ظمأُ هاجرةٍ في يومٍ بعيدٍ ما بين الطرفين ، أو ليلةٌ يبيتُ الرجلُ يراوحُ ما بين جبينهِ وقدميه ، أو غدوةٌ أو رَوحةٌ في سبيلِ الله[4].

وروىٰ ابنُ المبارك بإسنادهِ عن أبي هريرة ، أنَّ رجلاً قال:

يا رسولَ الله ، رجلٌ يريدُ الجهادَ في سبيلِ الله عز وجل وهو يبتغي عرَضاً من الدنيا ؟ فقالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**لا أجرَ له**» . فأعظمَ ذلك النَّاسُ ، فقالوا للرجل: عُدْ إلىٰ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فلعلَّك لم تفهمه . فقالَ الرجل: يا رسولَ الله ، رجلٌ

---

(١) الجهاد لابن المبارك (٢١٧) ، الزهد لأبي داود (٧٦) ، المستدرك للحاكم (٣١٧٦) وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم ، ووافقه الذهبي .

(٢) في الأصل: يحيىٰ بن جعفر .

(٣) الجهاد لابن المبارك (٢٢٢) .

(٤) الجهاد لابن المبارك (٢٢٣) ، مختصر قيام الليل ص ٦٥ ، كتاب المحتضرين (٣٣٢) . وورد في الأصل: (يروح) ، وتسديده من المصدرين الآخرين ، وراوح: ناوب بينهما ، فقام علىٰ هذه مرة ، وتلك مرة . والهاجرة: نصف النهار عند اشتداد الحر .

يريدُ الجهادَ في سبيلِ الله، وهو يبتغي من عرَضِ الدنيا، فقال: «**لا أجرَ له**». فأعظمَ ذلك، فقالوا: عُد، فذكرَ ثالثةً مثلَ ذلك، وأجابَهُ بمثله(١).

وهذا ـ بصَّركَ الله ـ على ما سأَلَ السائل، فإنَّه قال: يريدُ الجهادَ ويبتغي عرَضَ الدنيا، وهذا إذا كان مقصودهُ وابتغاؤهُ عرَضَ الدنيا فلا أجرَ له. ويحتملُ أن يكونَ ذلك أيضاً مع تعيُّنِ فرضِ [١٥٨/ب] الجهادِ عليهم، ويحتملُ أيضاً: لا أجرَ له كاملاً، فإنَّ مَن قصدَ الجهادَ وطلبَ الحلالَ من المغنم، فيتبلَّغُ به، ويستعينُ به على الجهاد، لم يحرمهُ ذلك الأجر. والإخلاصُ في طلبِ الثوابِ أفضل.

كما رويَ أنَّ أبا موسى الأشعريَّ قالَ وهو مصافٌّ العدوَّ بأصفهان(٢): سمعتُ رسولُ الله ﷺ يقول: «**إنَّ من أبوابِ الجنَّةِ تحتَ ظلالِ السيوف**»، فقالَ شابٌّ: كيف قلتَ يا أبا موسى؟ فأعادَ عليه الحديث، فالتفتَ الشابُّ إلى أصحابه، فسلَّمَ عليهم، ثمَّ دخلَ تحتَ السيوف(٣).

فهذا غايةُ الإخلاص، وهو المقصودُ من الجهاد، قالَ الله تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤ ـ ٦].

---

(١) الجهاد لابن المبارك (٢٢٧)، سنن أبي داود (٢٥١٦)، وذكر الشيخ شعيب أنه حديث حسن، وقال في حديث مسند أحمد (٨٧٩٣): حسن لغيره، المستدرك (٢٤٣٦) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) صافَّ الجيشُ عدوَّه: قاتله صفُوفًا، ويُقال: صافَّ القائد جنده: أعدها صفُوفًا. المعجم الوسيط.

(٣) الجهاد لابن المبارك (٢٣٠)، ولابن أبي عاصم ١/١٣٨، صحيح مسلم (١٩٠٢).

فبيَّنَ الله تعالى أنَّ أمرَهُ لهم بالجهادِ بلاءٌ لهم، واختبارٌ لطاعتِهم وإخلاصِهم، وأنَّ ذلك إن أدَّى إلى قتلِهم فإنَّ لهم بالقتلِ ما هو خيرٌ لهم من الحياةِ في الدنيا.

﴿سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ﴾، يصلحُ بالهم: أي يصلحُ حالَهم في النعيم، وقيل: بالهم: شأنهم(١).

ثمَّ بيَّنَ الله ﷻ منزلةَ الإخلاصِ والصبرِ فقال: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، فإذا أخلصَ وصبرَ نصرَهُ الله، قالَ سبحانه: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

وقالَ سبحانه: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

حكيَ أنَّ أبا بكر بن عبدالله بن [١٥٩/أ] حويطب قال: كنتُ جالساً عند عبدالله بن عبدالملك، إذ دخلَ شيخٌ من شيوخِ الشامِ يقالُ له أبو بحرية(٢) بين شابَّين، فلمَّا رآهُ عبدالله قال: مرحباً بأبي بحرية. وأوسعَ له بيني وبينه، وقال: ما جاءَ بكَ يا أبا بحرية؟ أتريدُ أن أضعكَ من البعث(٣)؟ قال: لا أريدُ أن تضعني من البعث، ولكن تقبَّلْ منِّي أحدَ هذين، يعني ابنيه.

ثمَّ قال: من هذا عندك؟ قال: هو يخبركَ عن نفسه، فقال: من أنت؟

---

(١) ذكرهما الطوسي في تفسيره التبيان عند تفسير الآية الخامسة من سورة محمد.

(٢) أبو بحرية عبدالله بن قيس الكندي الحمصي، من كبار التابعين، شهد خطبة عمر بالجابية. كان عالمًا فاضلًا ناسكًا مجاهدًا. وكان معاوية وخلفاء بني أمية يعظمونه. مات في خلافة الوليد. سير أعلام النبلاء ٤/٥٩٤.

(٣) يعني الجند المهيئين للغزو.

فقلت: أنا أبو بكر بن عبدالله بن حويطب، فقال: مرحباً بك وأهلاً يا ابن أخي، أما إنِّي في أوَّلِ جيشٍ ـ أو قال: في أوَّلِ سريَّة ـ دخلتُ أرضَ الرومِ زمنَ عمر بنِ الخطاب ﷺ، وعلينا ابنُ عمِّكَ عبدالله بن السَّعدي، وإن جُلَّ حمولةِ أقدامِنا لَنعالُنا، وإن جلَّ حمولةِ أزوادنا لرقابُنا، وإن جلَّ ما في رماحِنا القرون، وإن جلَّ ما مع أميرنا من القرآنِ المعوِّذات، وسورٌ من المفصَّلِ قِصار، وما نلقَىٰ من النَّاسِ أحداً يُظَنُّ أنَّه يقومُ بنا، غير أنَّه يا ابن أخي ليس فينا غدر، ولا كذب، ولا خيانة، ولا غلول(١).

والجهادُ ـ عافاكَ الله ـ مع الإخلاص، يَفضُلُ سائرَ الأعمال؛ لأنَّ سائرَ القُرَبِ إنَّما يُنفَقُ فيها الأموالُ أو الأفعال، والجهادُ يُنفَقُ فيه النُّفوسُ والأرواح.

وقد رويَ عن ابنِ عمر أنَّه قال: لَسفرةٌ في سبيلِ الله أفضلُ من خمسينَ حجَّة(٢).

وحُكيَ عن ابن [١٥٩/ب] مسعود أنَّه قال: لأن أمتِّعَ بسوطٍ في سبيلِ الله ﷻ، أحبُّ إليَّ من حجَّةٍ في أثرِ حجَّة(٣).

(١) الجهاد لابن المبارك (٢٦٠)، تاريخ مدينة دمشق ١١٥/٣٢، الإصابة في تمييز الصحابة ٤١/٧.

(٢) الجهاد لابن المبارك (٢٢٥)، مشارع الأشواق (٢٠٩) قال مؤلفه ابن النحاس: هذا حديث موقوف وأسانيده صحاح، وقد يقال: إن مثل هذا لا يقال من قبل الرأي والاجتهاد، فسبيله سبيل المرفوع. والله أعلم.

(٣) الجهاد لابن المبارك (٢٢٦)، مصنف ابن أبي شيبة (١٩٧٣٤). ومعناه: لأن أتصدق علىٰ نحو الغازي بشيء ولو قليلًا حقيرًا، كسوط يستمتع وينتفع به الغازي أو الحاج، في مقاتلة أو سَوق، نحو دابة... فيض القدير ٢٥٦/٥.

[مجاهدة النفس]

❁ **فإن قالَ قائل:** فقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ لمَّا قدمَ من الغزو: «**جئنا من الجهادِ الأصغرِ إلىٰ الجهادِ الأكبر**»[1]، يريدُ بذلك مجاهدةَ النُّفوس.

❁ **فالجواب:** أنَّ هذا إن ثبتَ عن النَّبيِّ ﷺ أو لم يثبت، فإنَّ معناهُ صحيح؛ لأنَّ مجاهدةَ العدوِّ تكونُ في الأحيان، ومجاهدةَ النَّفسِ تدومُ وتكثر، و﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، كما قالَ الله تعالىٰ. والنَّفسُ أيضاً تميلُ مع الشيطانِ في خطواتِهِ وخطَراته، ويحتاجُ الإنسانُ إلىٰ مجاهدةِ ذلك، وقد تحدِّثُهُ بما يفسدُ به دينه، قالَ الله تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣].

فأخبرَ الله تعالىٰ أنَّه عبدُ ما يهواه، والهوىٰ باطل، ليس بطريقٍ إلىٰ معرفةِ المعبود، والطريقُ إلىٰ المعبودِ العقل، فإذا أطاعَ نفسَهُ في عبادةِ ما يهواه: فإذا اتَّبعَ العقلَ وخالفَ الهوىٰ صعبَ عليه جهادُ نفسهِ وتركهُ لهواه، وقد أوجبَ الله تعالىٰ الجنَّةَ بمخالفةِ الهوىٰ، فقالَ تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤١]. وبيَّنَ الله تعالىٰ في هذه الآية أنَّه إنَّما يَتركُ الهوىٰ لخوفِ ربِّه؛ لأنَّه يُشعِرُ نفسَهُ بالمخافةِ العظيمةِ والتوعُّدِ [١٦٠/أ] بالشدائدِ الصعبة، فيَسهلُ عليها حينئذٍ تركُ الهوىٰ وعصيانُ

---

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد في ترجمة واصل بن حمزة من حديث جابر (٧٢٩٧)، وضعفه في ضعيف الجامع (٤٠٨٠)، وقال في السلسلة الضعيفة (٢٤٦٠): منكر. وفي الأسرار المرفوعة (٢١١) للملا علي القاري: قيل: لا أصل له، أو بأصله موضوع.

الشيطان، قالَ الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦١].

الخشية: خوفُ لحوقِ الضرر، والإشفاق: الحذرُ من ذلك.

وقولهُ تعالىٰ: ﴿ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ قيل: إنَّهم يُعطُون الزكاة، ويحتملُ أن يكونَ الوجلُ في قلوبهم في جميعِ أحوالهم وطاعاتهم[١]، هيبةً لرجوعهم إلىٰ ربِّهم ومحاسبتِهم علىٰ أفعالهم، وخوفاً ممَّا يشوبُ طاعاتهم، فإنَّ الطاعاتِ لا بدَّ أن يُنقِصَها الشيطانُ بوسوسته، ويزيِّنَها في عينهِ وإعجابهِ بها، والخوفُ من ذلك يخلِّصُها، والوجلُ يصفِّيها ويُصلِحُها.

قالَ الحسن: المؤمنُ جمعَ إحساناً وشفقة[٢].

وروىٰ أبو الحسن المصري بإسنادهِ عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قالت عائشة: يا رسولَ الله، ﴿ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ أهم الذين يخطئون ويعملون بالمعاصي وقلوبُهم وجلة؟ قال: «**لا يا عائشة، ولكنَّهم يصلُّون ويتصدَّقون وقلوبُهم وجلة**»[٣].

(١) ذكرهما الطبري في تفسيره، عند تفسير الآية الكريمة.

(٢) الزهد لابن المبارك (٩٨٥)، حسن التنبه (٦٢).

(٣) سنن الترمذي (٣١٧٥) وصححه الألباني، المستدرك للحاكم (٣٤٨٦) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، المعجم الأوسط (٣٩٦٥). ولفظه من المصدر الأخير، وفي سنده: «عن عبدالرحمن بن سعد بن وهب، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، عن عائشة»، وسند السابقين عن سعيد بن وهب عن عائشة. وقد ضعف الشيخ شعيب=

وقولهُ تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١] قيل في تأويلهِ ثلاثُ مقالات: [١٦٠/ب] حُكيَ عن ابنِ عباس أنَّه قال: ﴿هُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾: سبقتْ لهم السعادة، وقيل: هم من أجلِها سابقون إلىٰ الجنَّة، وقيل: سابقون إلىٰ الخيرات[١]. ويحتملُ أنَّهم سبقوا الخيرات، يعني قدروا عليها وسهلتْ عليهم؛ من أجلِ خوفِهم وإشفاقهم.

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَلَدَيۡنَا كِتَٰبٞ يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٢]. فأخبرَ الله تعالىٰ أنَّ ما كلَّفناهُ من فعلِ الطاعاتِ في وسعِ المكلَّف، وأنَّ أفعالَهُ محصيَّةٌ عليه، في كتابٍ ﴿يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾: أنَّهم لا يؤاخَذون إلَّا بأعمالهم.

ثمَّ بيَّنَ الله تعالىٰ داءَهم الصارفَ لهم عن الخيرات، فقالَ تعالىٰ: ﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣]: قد عمَّ قلوبَهم الجهلُ والإعراضُ عن الفكرةِ المؤدِّيةِ إلىٰ الحقّ، حتَّىٰ غطَّىٰ ذلك بصائرَهم، ولهم أعمالٌ غيرَ ما كُلِّفوا ونُدبوا إليها ﴿هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾، شغلتْ أبدانَهم وأعمتْ بصائرَهم، فصاروا عن الحقِّ عَمِين.

قالَ ميمون بنُ مهران: لقد أدركتُ من لم يكنْ يرفَعُ بصرَهُ إلىٰ السَّماءِ فَرَقاً من ربِّه.

وقالَ محمَّد بن أيُّوب: سمعتُ ابن الجلا[٢] يقول: مكثَ أبي أربعينَ

= الحديث بالسند الأخير في مسند أحمد (٢٥٢٦٣، ٢٥٧٠٥) لانقطاعه.

(١) نقله من التبيان للطوسي، وينظر تفسير الطبري ١٩/٤٧.

(٢) شيخ الشام أبو عبدالله أحمد بن يحيىٰ بن الجلّا، وقيل: محمد بن يحيىٰ. صحب والده=

سنةً ما رفعَ رأسَهُ إلىٰ السَّماء[1]!

وروىٰ يحيىٰ بن بكير عن رشدين بن سعد، عن أبي صدقة، أنَّه بلغَهُ أنَّ نبيًّا من أنبياءِ بني إسرائيلَ يقالُ له بورخ بن ماريا، عملَ ذنباً، فتعبَّدَ الله وتابَ إليه حتَّىٰ شحبَ لونه، وضاقَ [١٦١/أ] عليه ما هو فيه من ذلك الذَّنب، ولم يسعهُ مكانه، فأتَىٰ البحر، فناداه: إنِّي أذنبتُ ذنباً فغيِّبني عن ربِّي، أخشَىٰ أن يعذِّبني، فقالَ له البحر: يا بورخ بنَ ماريا، أنت نبيُّ الله، ما منِّي قطرةٌ إلَّا وقد علمَها الله تعالىٰ وعليها ملَك، فأين أغيِّبك؟ فقال: لا أين. ثمَّ أتَىٰ الجبالَ فناداها: إنِّي قد أذنبتُ ذنباً، فغيِّبني عن ربِّي، أخشَىٰ أن يعذِّبني، فنادتهُ الجبال: يا بورخ بن ماريا، أنت نبيُّ الله، ما من موضعٍ منِّي إلَّا وهو يعلمهُ وعليه ملَك، فأين أغيِّبك؟! فقال: لا أين. ثمَّ رفعَ رأسَهُ إلىٰ السَّماءِ فقال: اللَّهمَّ اقبضْ روحي من الأرواح، وجسدي من الأجساد، واتركني هملاً لا أحضرُ الحساب[2].

= وأبا تراب النخشبي وذا النون المصري. أقام بالرملة وبدمشق، وكان يقال له الجنيد ببغداد، وابن الجلاء بالشام، وأبو عثمان الحيري بنيسابور. يعني لا نظير لهم. ت ٣٠٦ هـ. سير أعلام النبلاء ١٤/٢٥١.

(١) قال ابن بطال في باب رفع البصر إلىٰ السماء، في كتابه شرح صحيح البخاري ٩/٣٦١: هذا الباب رد علىٰ بعض أهل الزهد في قولهم إنه لا ينبغي النظر إلىٰ السماء تخشعًا وتذللاً لله تعالىٰ. وروي عن عطاء السلمي أنه مكث أربعين سنة لا ينظر إلىٰ السماء، فحانت منه نظرة فخرَّ مغشيًّا عليه، فأصابه فتق في بطنه. وذكر الطبري عن إبراهيم التيمي أنه كان يكره أن يرفع الرجل بصره إلىٰ السماء في الدعاء. قال الطبري: ولا أؤثم فاعلَ ذلك؛ لأنه لم يأت بالنهي عن ذلك خبر، وإنما عن ذلك المصلي في دعاء كان أو غيره. قال المؤلف: والحجة في كتاب الله تعالىٰ وسنة رسول الله ثابتة بخلاف هذا القول، فلا معنىٰ له.

(٢) أورده بأطول منه أبو نعيم في الحلية ١/٣٢٧.

❁ **فإن قالَ قائل**: إذا كان هذا نبيًّا[1] لا يجوزُ أن يخفَىٰ عليه أنَّه لا يغيِّبُهُ عن الله شيء، فكيف سألَ ذلك الجبالَ والبحار؟!

❁ **والجواب**: أنَّه يحتملُ قالَ ذلك مع علمِهِ بأنَّه لا يغيِّبُهُ عن الله تعالىٰ شيء، وإنَّما قصدَ أن يفزعَ ذلك سمعَهُ، وتعلِّمَهُ نفسُه، فيشتدُّ حزنه، ويُخلِصُ إلىٰ الله تعالىٰ رغبتَه، وتَخضَعُ نفسُه، وتنقطعُ حيلته، إلَّا مِن فضلِ الله تعالىٰ. ولمَّا عظمَ حياؤهُ من الله وهيبته، رغبَ إليه أن يُهملَهُ ولا يُحضرَهُ الحساب.

واعلمْ ـ وفَّقكَ الله ـ أنَّه لولا الغفلة، وتزيُّنُ الهوىٰ والنَّفس، لكانت هيبةُ الخالقِ القادرِ الحكيمِ العظيمِ تقطعُ [١٦١/ب] الألسنةَ عن الكلام، وتُميتُ القلوب، وتُلهبُ الصدور، من غيرِ إساءة، فكيف إذا كان العبدُ مسيئاً، لا يأمنُ التوبيخَ والإبعادَ والعذاب؟!

فإن قال: فكيف الحيلةُ في صرفِ الغفلةِ عن العقلِ وكسرِ النَّفس؟

قيلَ له: بقطعِ الأسبابِ الملهيةِ المشغلة، ومحادثةِ النَّفسِ في الخلوةِ بما فعلتهُ وبما تخافه[2]، وما أعدَّ الله تعالىٰ لأهلِ مخالفته، قالَ الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۝١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ [المزمِّل: ١٢ - ١٣]. **رويَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ تلا هذه الآيةَ فصعق**[3].

قالَ حماد بن واقد: سمعتُ أبا عبيدة الخوّاص يقول: الحزنُ جلاءُ

(١) في الأصل: نبي.
(٢) في الأصل: يخافه.
(٣) شعب الإيمان (٨٨٩) من رواية حمران بن أعين عن أبي حرب بن أبي الأسود، وذكر أنه مرسل، وقال ابن رجب: هذا مرسل وحمران ضعيف. التخويف من النار ص ٢٩.

القلوب، به تستبينُ مواضعُ الفكرة. ثمَّ بكىٰ(١).

وروىٰ ابن المبارك عن سفيان الثوري قال: كان يقال: الحزنُ علىٰ قدرِ البصر(٢).

روىٰ صالح المرّي عن يزيد الرقاشي(٣) أنَّه قال: الدعاءُ المستجابُ الذي تهيِّجهُ الأحزان، ومفتاحُ الرحمةِ التضرُّع(٤).

وقالَ الحسن: إنَّ أكثرَ ما يرىٰ العبدُ في صحيفتهِ ممَّا يُسَرُّ به: الفقرُ والحزن.

وقالَ إبراهيم التيمي: ينبغي لمن لا يحزنُ أن يخافَ أن لا يكونَ من أهلِ الجنَّة، فإنَّ أهلَ الجنَّةِ لمَّا دخلوها قالوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، ومن لا يكونُ مشفقاً في الدنيا أن يخافَ أن لا يكونَ من أهلِ الجنَّة، فإنَّ أهلَ الجنَّة لمَّا دخلوها [١٦٢/أ] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٥ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾(٥) [الطور: ٢٥ ـ ٢٧].

وقولهُ تعالىٰ: ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ يحتملُ ـ واللهُ أعلمُ ـ أنَّ بعضَهم يسألُ بعضاً

---

(١) الهم والحزن (١٩) وفيه «تستلين» بدل «تستبين»، حلية الأولياء ٨/٢٨١، وفيه: لبستم.
(٢) الزهد لابن المبارك (١٢٨).
(٣) يزيد بن أبان الرقاشي البصري، أبو عمرو، القاص الزاهد المشهور، من البكائين بالليل، لكنه غفل عن حفظ الحديث شغلًا بالعبادة. ذكره البخاري في فصل من مات في عشر ومئة إلىٰ عشرين ومئة. تهذيب التهذيب ٦/١٩٥، صفة الصفوة ٣/٢٨٩.
(٤) الهم والحزن (١٦).
(٥) الهم والحزن (٢٤)، صفة الصفوة ٢/٥٢، التخويف من النار ص ٢١.

عمَّا دخلَ به الجنَّة، فقال: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ حيثُ خِفنا منه.

وقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨] فإنَّما وقعَ دعاؤهم عن خوفهم، وكانوا راغبين مخلصين، وذلك حالُ الدعاءِ المستجاب، قالَ سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، إنَّما خصَّ حالَ الضرورةِ لحصولِ الإخلاصِ وتمامِ الرغبة.

وقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ له أصحابه: لقد أسرعَ إليكَ الشيب، فقال: «**شيَّبتني هودٌ وأخواتها**»[1]، يريدُ أنَّ الله تعالىٰ ذكرَ فيها حالَ السعداءِ والأشقياء، وحالَ يومِ القيامة، فقالَ سبحانهُ فيها: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأٓخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۝١٠٣ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ۝١٠٤ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٣ ـ ١٠٥].

روىٰ أبو الحسن المصري في كتابهِ بإسنادهِ عن شَهر بن حَوشب، عن أمِّ الدرداء، عن أبي الدرداءِ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**يُلقَىٰ علىٰ أهلِ النَّارِ الجوعُ حتَّىٰ يعدلَ ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون بالطَّعام**، [١٦٢/ب] **فيُغاثون بطعامٍ ذي غصَّة، فيذكرون أنَّهم كانوا يجيزون الغصصَ في الدنيا بالشراب، فيُغاثون بالحميمِ في كلاليبِ الحديد، فإذا دنتْ من وجوهِهم شوَتْ وجوهَهم، فإذا دخلتْ بطونَهم قطَّعتْ [ما] في بطونَهم، فيقولون: ادعوا ربَّكم**

(١) المعجم الكبير للطبراني (٧٩٠) من حديث عقبة بن عامر، وقد صحح هذه الرواية في صحيح الجامع (٣٧٢٠)، وأحال إلىٰ السلسلة الصحيحة (٩٥٥).

يخفِّف عنَّا يوماً من العذاب، فيقولون لهم: ألم ﴿تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ﴾، فيقولون: ﴿فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾» [غافر: ٥٠][١].

وروىٰ أيضاً بإسنادِهِ عن حسين المقابري قال: خرجنا عِدَّةً من أبناءِ الملوكِ أنا أحدُهم، فتوفَّينا المواريثَ التي ورثناها من آبائنا، قال: فخلصنا[٢] نحواً من ألفِ دينار، قال: فخرجنا مشاةً إلىٰ مكة، قال: فما ظنُّكَ بأبناءِ الملوكِ والمترفين ؟! قال: فنظرنا، فلم يكنْ فينا أفضلُ من عليّ الخراساني، وكان من الأبناء، وكان منزلهُ بنهرِ طابق[٣]، فقلنا: ندفعُ نفقتنا إليه، فهو أفضلنا.

قالَ حسين: فجعلتُ أطلبُ إلىٰ عليٍّ ذلك، وأقبِّلُ يدَهُ وعينه، فقال: إنَّ لكَ حاجةً يا أبا عليّ، فقلت: ولإخوانك، قال: ما هي ؟ قلت: هذه ألفُ دينارٍ تأخذها، فهي لك، أنفقْ منها ما شئت، وتصدَّقْ بما شئت، وأطعمنا ما شئت، قال: فأبىٰ، قال: فمكثَ أياماً ثمَّ قبلها.

فقدمنا مكة، فبينما هو يطوفُ ذاتَ ليلةٍ والهِميانُ[٤] في وسطه، فتعبَ ممَّا طاف، فألقىٰ نفسَهُ [١٦٣/أ] في المسجدِ الحرام، فنام، فجئتُ فحللتُها وهو لا يعلمُ ـ يعني الهميان ـ فانتبه، فإذا رجلٌ من أهلِ البصرةِ من خيارِ المسلمين، قد خرجَ من مالهِ وضياعه، وهو بمكةَ مقيم، فوثب، فإذا الشيخُ

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٢٦٦)، سنن الترمذي (٢٥٨٦) وضعفه له الألباني.

(٢) في الأصل: فلخصنا.

(٣) محلة ببغداد من الجانب الغربي. مراصد الاطلاع ١٤٠٣/٣.

(٤) كيس يجعل فيه النفقة ويشد على الوسط. المصباح المنير، مادة همن.

قائمٌ يصلِّي ، فتعلَّقَ به وقال: دنانيري ، فسكتَ عنه الشيخُ حتَّىٰ فرغ ، وقال: ما لكَ يا ابنَ أخي؟ قال: سُرقتْ دنانيري ، قال: فكم كانت؟ قال: كذا وكذا.

فأخذَ الشيخُ بيده ، وأخرجَهُ من المسجدِ الحرام ، وذهبَ به إلىٰ منزله ، وكان قربَ المسجد ، فوزنها له ، وأعطاهُ إيَّاها.

قالَ حسين: فجاءَنا عليٌّ وهو مغتمّ ، وقال: وقعَ عليَّ شيخٌ طرّارٌ[1] فأخذَ دنانيري ، قال: فصرختُ وقلت: هذه الدنانير ، أنا أخذتُها منك ، فغشيَ عليه ، وسالَ الدمُ من منخريه ، فلم يعقلْ حتَّىٰ كان وجهُ الصبح ، فلمَّا أفاقَ قلنا: من الرجل؟ قال: أعرفُ منزله ، قلنا: مُرَّ حتَّىٰ نذهبَ إليه.

قال: فسألنا عنه ، فقيل: ما بين الجبلين أفضلُ من هذا الشيخ ، هذا فلانٌ العابدُ البصريّ ، خرجَ من مالهِ وتعبَّد. قال: فدخلنا علىٰ شيخ...[2] النَّاس ، فذكرنا حالَ صاحبنا وما أصابه ، قال: ما كانت ترجعُ إليَّ [أموالي][3] بعدما خرجت ، قال: فأكثرنا عليه ، قال: هي لكم ، قلنا: نحن مستغنون عنها. فدعا ابناً له ، فجعلها صُرَراً ، وجعلَ يرسلُ بها إلىٰ قومٍ قد عرفَهم بمكة.

فقلنا: إنَّ [١٦٣/ب] صاحبَنا بالبابِ يستحلُّك ، فأذنَ له ، فدخلَ وقد غطَّىٰ وجهَهُ كلَّه ، فجثا بين يدَي الشيخ ، فقالَ له الشيخ: ابنَ أخي ، لو لم تلقني ولقيتَ غيري ، فلم يكنْ عنده ما يعطيك ، وابتليَ بك ، فوقعَ في يدِ هذا السلطان ، فارتكبَهُ بما تعلم ، ما كنتَ تقولُ لربِّكَ إذا وضعَ كرسيَّهُ غداً للقضاء؟

---

(١) الطرار: الذي يقطع النفقات ويأخذها علىٰ غفلة من أهلها. المصباح المنير ، مادة طرر.
(٢) كلمة غير واضحة ، رسمها: بسه.
(٣) في الأصل: مالي.

قال: فشهقَ شهقةً فمات. رحمه الله. فقامَ الشيخُ إليه يقبِّلُ عينيهِ ويقول: حبيبي مَن قتلَهُ خوفُه. وقالَ لنا ـ وجعلَ ينظرُ إلىٰ جزعِنا عليه، وجعلنا نقبِّلُ عينيه، ووجهَهُ ويديه، ونقول: سيِّدُنا بعد الله وخيرُنا وخائفُنا، ومَن قتلَهُ خوفُ ربِّه ـ فقالَ لنا الشيخ: اتركوني حتَّىٰ أغسِّلَ أخي، وأْذَنوا لي أن أكفِّنَهُ من عندي، فأبينا عليه، وطلبَ إلينا، فأجبناه.

قالَ حسين: فخرجت، وكانت أيامَ الموسم، فوضعتُ إصبعي في أذني فقلت: ألا إنَّ عليَّ بن فلانٍ من أهلِ بغدادَ ماتَ من خشيةِ الله تعالىٰ. فما رأيتُ يوماً قطُّ كان أكثرَ أناساً منه وما وصلَ إلىٰ جنازته. فقدَّمنا الشيخ، فصلَّىٰ عليه.

قالَ حسين: وقدمتُ بعد ذلك بسنة، فإذا الشيخُ قد مات، وأوصىٰ أن يُدفَنَ عند قبرِ عليّ، فذهبت، فإذا قبرُ الشيخِ عند قبره.

فَصْلٌ
[في الهمِّ والحزن]

قالَ الحسن رحمةُ الله عليه: حُقَّ لامرئٍ الموتُ موردُه، والساعةُ موعدُه، والوقوفُ بين [١٦٤/أ] يدَي الله عز وجل مشهدُه، أن يَطُولَ حزنهُ وحسرته[(١)].

وقالَ بعضُ العبَّاد: ما جُليَتِ القلوبُ بمثلِ الأحزان، ولا استنارتْ بمثلِ التفكُّر، وإنَّ أكثرَ أمرِ المؤمنِ في نفسهِ لَهمُّهُ بمعاده، والمؤمنُ من ربِّهِ علىٰ خير، ولبئس معوَّلُ المؤمنِ رجاءٌ لا يشوبهُ مخافة[(٢)].

(١) الهم والحزن (٤٦)، إتحاف السادة المتقين ١٠/٤٥٦.
(٢) الهم والحزن (٥٠)، الفتوحات الربانية علىٰ الأذكار النووية ١٨٣٥٨.

وقالَ زائدة بنُ قدامة(١): كان منصور بنُ المعتمر(٢) إذا رأيتَهُ قلت: رجلٌ أُصيبَ بمصيبة، منكسرُ الطَّرْف، منخفضُ الصوت، رطبُ العين، إن حرَّكتَهُ جاءتْ عيناهُ بالدمع. ولقد قالتْ له أمُّه: ما هذا الذي تصنعُ بنفسك؟ تبكي الليلَ عامَّتَهُ لا تسكت، لعلَّك يا بنيَّ أُصِبت، لعلَّك قَتلتَ قتيلاً، فيقول: يا أمَّاه، أنا أعلمُ بما صنعتُ بنفسي(٣).

وقيلَ لمالك بنِ دينار(٤): ألا ندعو لكَ قارئاً؟ قال: الثكلىٰ لا تحتاجُ إلىٰ باكية(٥).

وقالَ مطر الورَّاق(٦): ما اشتهيتُ قطُّ أن أبكيَ حتَّىٰ أشتفيَ إلَّا نظرتُ إلىٰ وجهِ محمَّد بنِ واسع، وكنتُ إذا نظرتُ إلىٰ وجههِ كأنَّه قد ثكلَ عشرةً من الحزن(٧).

قال أبو عتبة الخواص(٨): رأيتُ شيخاً في بيتِ المقدسِ كأنَّه قد احترقَ

---

(١) هنا زيادة كلمة (قال) في المخطوط.

(٢) الحافظ الثبت أبو عتاب منصور بن المعتمر السلمي الكوفي، أحد الأعلام. قيل: أصح الأسانيد مطلقًا: سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود. وقال عبدالرحمن بن مهدي: لم يكن بالكوفة أحد أحفظ من منصور. ت ١٣٣ هـ. سير أعلام النبلاء ٥/٤٠٢.

(٣) الهم والحزن (٥٢)، صفة الصفوة ٣/١١٤، الرقة والبكاء لابن قدامة ص ٣٧٠.

(٤) أبو يحيىٰ مالك بن دينار البصري، الإمام الزاهد الورع، من رواة الحديث. كان ورعًا يأكل من كسب يده، ويكتب المصاحف بالأجرة. توفي بالبصرة سنة ١٢٧ هـ. العبر ١/١٢٦، حلية الأولياء ٢/٣٥٧، الأعلام ٦/١٣٤.

(٥) الهم والحزن (٦٠).

(٦) مطر بن طهمان الوراق الخراساني، أبو رجاء. سكن البصرة. وكان يكتب المصاحف. صدوق، كثير الخطأ. ت ١٢٥ هـ. تهذيب الكمال ٢٨/٥١، تقريب التهذيب (٥٣٤).

(٧) الهم والحزن (٦٢)، صفة الصفوة ٢/١٥٩.

(٨) هنا زيادة كلمة (قال). وأبو عتبة الخواص هو عبّاد بن عبّاد الرملي الأُرسوفي، فارسي=

بالنَّار، عليه مِدْرَعةٌ سوداءُ[1] وعِمامةٌ سوداء، طويلُ الصَّمت، كريهُ المنظر، كثيرُ الشعر، شديدُ الكآبة، فقلت: رحمكَ الله، لو غيَّرتَ لباسك، فقد علمتَ ما جاءَ في البياض، فبكىٰ وقال: هذا أشبهُ بلباسِ أهلِ المصيبة، وإنَّما [١٦٤/ب] أنا وأنت في الدنيا في حِداد، وكأنِّي وبكَ قد دُعينا. فما تمَّ كلامهُ حتَّىٰ غُشيَ عليه[2].

وسمعتْ رابعةُ رجلاً يقول: واحزناه، فقالت: لا تقلْ هكذا، ولكن قل: واقلَّةَ حُزناه، فإنَّك لو كنتَ حزيناً لم يَهنِكَ عيش[3].

وحكىٰ ابنُ شوذب قال: قالَ داودُ النَّبيُّ ﷺ: يا ربِّ، أين ألقاك؟ قال: تلقاني عند المنكسرةِ قلوبُهم من أجلي[4].

فإن قالَ قائل: ما معنىٰ اللقاءِ ها هنا؟ قيلَ له: القربُ منه تعالىٰ، وإنَّما كان ذلك قرباً منه لقربِ المنكسرةِ قلوبُهم، المحزونون منه تعالىٰ.

قالَ محمَّد بنُ صبيح[5]: ....

= الأصل. من فضلاء الشام وعبّادهم، وكتب إليه سفيان الثوري الرسالة المشهورة في الوصايا والآداب والحكم والأمثال والمواعظ. روىٰ له أبو داود حديثًا واحدًا. تهذيب الكمال ١٤/١٣٤، حلية الأولياء ٨/٢٨١.

(١) المدرعة والدرّاعة جبة صوف مشقوقة من مقدمتها.

(٢) الهم والحزن (٥٣)، صفة الصفوة ٢/٣٩٧.

(٣) الهم والحزن (٥٦)، الرسالة القشيرية ١/٢٦٨، صفة الصفوة ٢/٢٤٥، إيقاظ الهمم ص ٩١.

(٤) الهم والحزن (٦١)، الزهد الكبير (٣٦٧)، صفة الصفوة ١/٤٥٦، قوت القلوب ١/٤٣٨، ٢/٩٩ وفي الموضعين أنه من قول موسىٰ عليه السلام.

(٥) أبو العباس محمد بن صبيح العجلي، ابن السماك، العابد الزاهد، سيد الوعاظ. روىٰ=

سألت عمر بن ذرّ(١): أيُّهما أعجبُ إليك للخائفين: طولُ(٢) الكمَد، أو إسبالُ الدمعة؟ فقال: أما علمتَ أنَّه إذا رقَّ فقد اشتفَىٰ وسلا، وإذا كمَدَ غُصَّ فشَجا؟ فالكمدُ أعجبُ لقلوبهم(٣).

وقد رويَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ وعظَ جماعةً من أصحابه، وفيهم عبدالرَّحمن بنُ عوف، فبكَوا ولم يبكِ عبدالرحمن، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**عبدالرَّحمن يبكي قلبُه**»(٤).

وحكىٰ محمَّد بن عبدالعزيز بن سلمان قال: كانت شِعوانةُ المتعبِّدةُ(٥) قد ملَكها الكمدُ حتَّىٰ قطعها عن عباداتها! فرأتْ في منامِها آتٍ أتاها، فقال:

أَذْري جفونَكِ إمّا كنتِ شاجيةً ... إنَّ النِّياحةَ قد تَشفي الحزينينا
جدِّي وقومي وصومي الدَّهرَ دائبةً ... فإنَّما الدُّوْبُ من فعلِ المطيعينا

[١٦٥/أ] فلمَّا أصبحتْ أخذتْ في الترنُّمِ والبكاء، فسلَت، وراجعتِ العملَ والعبادة(٦).

= عن أحمد بن حنبل وغيره، توفي عام ١٨٣ هـ وقد أسن. سير أعلام النبلاء ٨/٣٢٨، صفة الصفوة ٣/١٧٤.

(١) عمر بن ذرّ الهمداني المرهبي الكوفي. شيخ محدِّث. من أقران أبي حنيفة. روىٰ عنه وعن سفيان بن عيينة. قال ابن حبان في كتاب الثقات: كان مرجئًا وهو ثقة. تهذيب التهذيب ٤/٢٧٩.

(٢) في الأصل: للخائفين بطول. وتسديده من كتاب الهم لابن أبي الدنيا.

(٣) الهم والحزن (٦٤).

(٤) لم أجده.

(٥) من عابدات الأبلَّة. قالت عن نفسها: مَن شعوانة، وما شعوانة؟ أمة سوداء عاصية. ثم أخذت في البكاء. وكانت في قت الفضيل بن عياض. أخبارها في صفة الصفوة ٢/٢٦٣.

(٦) الهم والحزن (٧٢)، صفة الصفوة ٢/٢٦٣.

وقالَ بعضُ الحكماء: بكاءُ الخوفِ مرّ، وبكاءُ الحزنِ حلو[١].

ومعنى هذا أنَّ البكاءَ لا يُزيلُ الخوف، بل يزيدُ خوفهُ برقَّتِه[٢]، وبكاءُ المحزونِ يخفِّف حزنَهُ ويُسليه.

وحكى عبيدالله بن عمر بن ميسرة قال: أتينا عابداً مرة من عبد قيس[٣]، فتكلَّمَ بشيء، فبكى رجل، فقالَ العابد: إنَّما البكاءُ شفاءُ القلوبِ وراحتُها، ولكن ضناها ونكايتُها في الحزنِ والكمد[٤].

وقالَ أبو كليب: دخلتُ إلى عبَّادان[٥]، فرأيتُ شابًّا من قريشٍ وعليه جبَّةُ صوف، وحولَهُ رجال، فقلتُ في نفسي: هذا الشابُّ يلبَسُ الصوف؟ ثمَّ قلت: ما أرى إلَّا قد اغتبته. فدنوتُ منه، فسمعتهُ يقول: إنَّ لله عباداً يتروَّحون إلى الغُموم، فقلت: رحمكَ الله، تلبَسُ الصوف؟! فقال: إنَّما أنا عبد، فإذا عَتَقتُ[٦] لبست. فذكرتُ ذلك لشَريك، فقال: ما أكرَهُ لبسَ الصوفِ لمثلِ هذا، ما خرجَ هذا الكلامُ إلَّا من كنز[٧].

وقالَ الحسن في قولِهِ تعالى حكايةً عن أهلِ الجنَّة: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ

---

(١) الهم والحزن (٧٤).

(٢) بدت الكلمة في الأصل هكذا: ىرمىه.

(٣) في الأصل: بن عبد قيس. والعبارة مختصرة في كتاب «الهم والحزن»: أتينا عابدًا مرة فقال العابد.

(٤) الهم والحزن (٧٧).

(٥) بلد قرب البصرة.

(٦) عَتق العبد تحرر من الرق. عتق فهو عاتق، وأعتق فهو معتوق. ينظر المصباح المنير مادة عتق.

(٧) الهم والحزن (٧٩).

﴿ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]: إنَّ حزنَ الدنيا ينقطعُ بالموت، ولكنْ أحزانُ الآخرة، وحُقَّ للمؤمنِ أن يموتَ وجهنَّمُ أمامه[١].

ورويَ عن أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه أنَّه قالَ للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: كيف الصَّلاحُ بعد هذه الآية ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]؟ فقالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**ألستَ تحزن؟ ألستَ** [١٦٥/ب] **يصيبُكَ النَّصَب؟ ألستَ يصيبُك اللأواء**»[٢]؟

وقالَ الحكم: من كثرتْ ذنوبهُ ولم يكنْ له من العملِ ما يكفِّرها، ابتلاهُ الله بالحزنِ ليكفِّرها عنه[٣].

فإن قالَ قائل: ما الحزنُ الذي يكفِّرُ السَّيِّئات؟ صفهُ لنا.

قيلَ له: إنَّ الحزنَ على ثلاثةِ أضرب:

* **واحدٌ منها** مذموم، ولا يقرِّبُ إلى الله تعالى، ولا يكفِّرُ السيِّئات، وهو الحزنُ على ما لم ينلهُ من الدنيا وزينتِها، قالَ الله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

---

(١) الجملة ناقصة، وتكملتها في المصدر: أحزان أهل الدنيا يقطعها الموت، لكن أحزان الآخرة ـ وحق للمؤمن أن يحزن وجهنم أمامه ـ مسيرة ثلاثة آلاف سنة، ألف سنة في هبوط، وألف سنة على متنها، وألف سنة في الصعود. الهم والحزن (٨٥).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الهم والحزن (٨٦) وتكملته فيه: «فذاك الذي تجزون به». ورواه أحمد في المسند (٦٨، ٦٩) وذكر الشيخ شعيب أنه صحيح بطرقه وشواهده.

(٣) الهم والحزن (٨١). ويأتي حديثًا ضعيفًا في مسند أحمد (٢٥٢٣٦) من حديث عائشة بلفظ «إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها من العمل، ابتلاه الله عز وجل بالحزن ليكفرها عنه». قال الشيخ شعيب: إسناده ضعيف، لضعف ليث بن أبي سليم، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين.

* **والضربُ الثاني**: ما يلحقُ من الحزن، بطروقِ مصيبةٍ تلحقهُ في أهلهِ وماله، فذاكَ ممَّا طبعَهُ الله تعالىٰ عليه، لا يحصلُ بقصدهِ واختياره، بخلافِ الأول؛ لأنَّه يحصلُ بمحبةِ الدنيا واختيارهِ لها، فهذا الضربُ يكونُ كفَّارةً له، وهو مندوبٌ إلىٰ صرفهِ عن نفسه، بتذكُّرِ فناءِ الدنيا وفنائهِ فيها.

* **والضربُ الثالث**: هو قربةٌ وطاعة، وهو حزنهُ علىٰ ما مضىٰ من ذنوبه، وعلىٰ ما فاتَهُ من طاعةِ ربِّه، وعلىٰ تخلُّفهِ عن السابقين بالدرجاتِ في الطاعات، وربَّما ألحقَهُ خوفهُ علىٰ ذلك وحسرتهُ بهم، قالَ الله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠]، فثبتَ بذلك أنَّ المؤمنين المستقيمين خائفون حزينون.

* **فإن قالَ قائل**: ما الفرقُ بين الخوفِ والحزن؟

* **فالجواب**: [١٦٦/أ] أنَّ الخوفَ يكونُ من الآتي، والحزنُ يكونُ علىٰ الماضي والآتي، فإنَّ الخائفَ يكونُ حزيناً بسببِ ما يخافه، وليس كلُّ حزينٍ خائفًا[1]؛ لأنَّه يحزنُ علىٰ ما فات، فكأنَّ الملائكةَ تقولُ للمؤمنين المستقيمين: لا تخافوا فإنَّكم آمنون، ولا تحزنوا علىٰ ما تركتم فإنَّكم صائرون إلىٰ الجنَّة.

وقد اختلفَ المفسِّرون، فمنهم من يقول: ذلك عند خروجِ أرواحهم، ومنهم من قال: ذلك عند خروجِهم من قبورهم[2].

---

(١) في الأصل: خائف.

(٢) ذكرهما الإمام الطبري عند تفسير الآية الكريمة.

قالَ محمَّد بن أبي منصور: سمعتُ أبا عبدالرَّحمن الزاهد يقول: إلهي، غيَّبتَ عنِّي أجلي، وأحصيتَ عليَّ عملي، ولا أدري إلىٰ أيِّ الدارَين تبعثُني، لقد أوقفتَني بمواقفِ المحزونين أبداً ما أبقيتَني[1].

قالَ ابن السمّاك الواعظ: وعظَ عمر بن ذرٍّ يوماً، فجعلَ فتًىٰ من بني تميم يصرخُ ويتغيَّرُ لونه، ولا أرىٰ له دمعةً تسيل، حتَّىٰ سقطَ مغشيَّاً عليه. ثمَّ رأيتهُ بعد ذلك في مجلسٍ لابن ذرٍّ يبكي، حتَّىٰ أقول: الآنَ تخرجُ نفسه، فذكرتُ ذلك لعمر بن ذرٍّ فقال: أي أخي، إنَّ العقلَ إذا طاشَ فُقِدتِ الحرقة، وإذا فُقدَتِ الحرقةُ تقلَّصتِ الدمعة، وإذا ثبتَ العقلُ فهمَ صاحبهُ الموعظة، فأحرقتهُ وآلمته، فحزنَ وبكىٰ[2].

ويُحكىٰ أنَّ إبراهيم خليلَ الرَّحمنِ عليه السلام، كان لا يرفعُ رأسَهُ إلىٰ السماء إلَّا اختلاساً، ويقول: إلهي، نعَّمتَني في الدنيا بطولِ الحزن[3].

قالَ [١٦٦/ب] رحمه الله: عمَّروا أعمالَهم بالحزنِ فأُعطُوا الفرحَ والأمان، تجنَّبوا سعةَ الدنيا وشَغلوا فيها أنفسَهم عنها لآخرتهم فأَشعَروا الخشيةَ قلوبَهم، وذهلوا عن أزواجهم وأولادهم فتزوَّجوا الحورَ العِينَ وأُخدِموا الولدانَ المخلَّدين[4] في آخرتهم، اختاروا التواضعَ لله في الدنيا فارتفعتْ عندهُ منازلهم في آخرتهم، خرجوا من الدنيا خميصةً بطونهم خفيفةً ظهورُهم نقيةً

(١) الهم والحزن (٩٦).

(٢) الهم والحزن (١٠٢).

(٣) الهم والحزن (١١٠)، وفيه: «اللهم لغم عيشي بالدنيا بطول حزني فيها»، حسن التنبه ٥/٢٩، ١١/٥٣٩، ولفظه في الموضعين: «اللهم نغِّم عيشي في الدنيا بطول الحزن فيها»...

(٤) في الأصل: المخلدون.

جلودهم، وأرضَوا خالقَهم فأرضاهم(١).

وحكيَ عن الربيع بن عبدالرَّحمن(٢) أنَّه قال: إنَّ لله تعالىٰ عباداً أخمصوا له البطونَ عن مطاعمِ الحرام، وغضُّوا له الجفونَ عن مناظرِ الأنام، وأهملوا له العيونَ لمَّا اختلطَ عليهم الظلام؛ رجاءَ أن ينيرَ لهم ذلك ظلمةَ قبورهم إذا تضمَّنتهم الأرضُ من أكنافها، فهم في الدنيا مكتئبون، وفي الآخرةِ متطلِّعون، نفذتْ أبصارُ قلوبهم بالغيبِ في الملكوتِ فرأتْ فيه ما رجتْ من عظيمِ ثوابِ الله، فازدادوا بذلك واللهِ جدًّا واجتهاداً عند معاينةِ ما انطوتْ عليه آمالهم، فهم الذين لا راحةَ لهم في الدنيا، وهم الذين تقرُّ أعينُهم غداً بطلعةِ ملَكِ الموتِ عليهم.

قال: ثمَّ يبكي حتَّىٰ يبلَّ لحيته(٣).

تكلَّمَ رجلٌ من الحكماءِ عند عبدالملك بن مروان، ووصفَ المتَّقيَ فقال: رجلٌ آثرَ اللهَ علىٰ خَلقه، وآثرَ الآخرةَ علىٰ الدنيا، فلم تكترثْهُ المطالب، ولم تَعنهِ المطامع، نظرَ ببصرِ قلبهِ في معاني [١٦٧/أ] إرادتهِ فسما نحوها ملتمساً لها، فدهرُهُ محزون، يَبيتُ إذا نامَ النَّاسُ ذا شجون، انقطعتْ من همَّتهِ الرَّاحةُ دون مُنيته، فشفاؤهُ القرآن، ودواؤهُ الكلمةُ من الحكمة، والموعظةُ الحسنة،

(١) الهم والحزن (١١٦).

(٢) ويعرف بالربيع بن برة. وصفه أبو نعيم بقوله: «المفيق من الغرَّة، والمحذِّر من المضرَّة، المشوق إلىٰ الحبور والمسرَّة». ونبه ابن الجوزي إلىٰ أنه غير الربيع بن صبيح. حلية الأولياء ٢٩٦/٦، صفة الصفوة ٣٥٢/٣.

(٣) الأولياء لابن أبي الدنيا (٩٩)، الهم والحزن (١١٨)، الزهد الكبير للبيهقي (٣٦٦)، صفة الصفوة ٢٠٩/٢.

لا يرىٰ منها الدنيا عوضاً، ولا يستريحُ إلىٰ لذَّةٍ سواها فقالَ عبدالملك: أشهدُ أنَّ هذا [أرخىٰ] بالاً منا[1].

قالَ إسماعيل بن زياد[2]: قدمَ علينا عبَّادانَ راهبٌ من أهلِ الشام، فنزلَ ديرَ أبي كبشة، فذكروا من حكمةِ كلامهِ ما حملني علىٰ لقائه، فأتيتهُ وهو داخلَ الدير، وقد اجتمعَ إليه النَّاسُ وهو يقول: إنَّ لله عباداً سمَتْ هممُهم نحوَ عظيمِ الذخائر، فاحتقروا ما دونَ ذلك من الأخطار، والتمسوا من فضلِ سيِّدهم توفيقاً يبلغُهم سموَّ الهمَّة، فإن استطعتم أيُّها المرتحلون عن قريبٍ أن تأخذوا ببعضِ أمرهم فإنَّهم قومٌ ملأتِ الآخرةُ قلوبَهم فلم تجدِ الدنيا فيها مكثاً، فالحزنُ بثُّهم، والدموعُ راحتُهم، والدَّوْبُ[3] وسيلتُهم، والإشفاقُ شغلُهم، وحسنُ الظَّنِّ بالله قربانُهم، يحزنون لطولِ المكثِ في الدنيا إذا فرحَ أهلُها فهم فيها مسجونون، وفي الآخرةِ متطلِّعون. فما سمعتُ موعظةً قطُّ كانت آخذةً لقلبٍ منها[4].

قالَ إسحاق بن منصور: حدَّثتني أم سعيد بن علقمة النخعي، وكانت طائية، قالت: كان بيننا وبين داود الطائي جدارٌ قصير، قالت: فكنتُ أسمعُ حنينهُ[5] عامَّةَ [١٦٧/ب] الليل، لا يهدأ، قالت: وربَّما سمعتهُ يقولُ في جوفِ الليل: همُّكَ عطَّلَ عليَّ الهموم، وحالتْ بيني وبين السُّهاد، وشوقي إليك

---

(١) الهم والحزن (١١٩)، وما بين المعقوفتين منه بدل فراغ في الأصل. والعبارة في المصدر هكذا: «أرخىٰ بالًا وأنعم عيشًا».

(٢) هنا زيادة كلمة «قال».

(٣) الدوب والدأب بمعنىٰ.

(٤) الهم والحزن (١٢٠).

(٥) في مصدريه: حسَّه.

أوبقَ(١) منِّي الشهوات، ومنعَ منِّي اللَّذَّات، فأنا في سجنِكَ أيُّها الكريمُ مطلوب. قالت: وربَّما ترنَّمَ في السَّحَرِ بشيءٍ من القرآن، فأرىٰ أنَّ جميعَ لذَّاتِ الدنيا في ترنُّمه. قالت: وكان يكونُ في الدارِ وحده، وكان لا يصبحُ فيها(٢).

قالَ بشر بنُ الحارث: قالَ الفضيل بنُ عياض(٣): كما أنَّ القصورَ لا يسكنُها الملوكُ حتَّىٰ تفرغ، كذلك القلبُ لا يسكنهُ الخوفُ والحزنُ حتَّىٰ يفرغ(٤).

وحكيَ عن وكيع أنَّه قالَ يومَ ماتَ الفضيل بنُ عياض: ذهبَ الحزنُ اليومَ من الأرض(٥).

وروىٰ يعلىٰ بن مُنية أنَّ رجلاً كانت له امرأةٌ في زمنِ رسولِ الله ﷺ، وكانت امرأةً صالحة، وكان إذا دخلَ عليها قالت: مرحباً بسيِّدها وسيِّد أهلِ بيتها، إن كان همُّكَ لآخرتِكَ فزادكَ الله همًّا، وإن كان همُّكَ للدنيا فإنَّ الله يرزقُكَ ويحسنُ إليك. فجاءَ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فأخبره، فقال: «**لها أجرُ المجاهدِ في سبيلِ الله، وهي عاملةٌ من عمَّالِ الله** ﷻ»(٦).

---

(١) بدت الكلمة وكأنها (أربق)، وتعني: بالغ في الربط. وهي في (الهم والحزن): أشوق، وفي (التهجد): أوبق، وتعني: أهلك، وحبس.

(٢) الهم والحزن (١٤٧)، التهجد وقيام الليل (١٧٤).

(٣) الفضيل بن عياض التميمي المروزي، أبو عليّ، الزاهد المعروف، أحد الأعلام. قدم الكوفة شابًّا، قال شريك القاضي: فضيل حجة لأهل زمانه. وهو ثقة. ت ١٨٧ هـ. العبر ١/٢٣١، تقريب التهذيب (٤٤٨).

(٤) الهم والحزن (١٨١).

(٥) الهم والحزن (١٤٩)، الرسالة القشيرية ص ٢٦٩.

(٦) الهم والحزن (١٥٥)، وفيه: «لها نصف أجر المجاهد...»، وكذا عند الخرائطي في مكارم=

وقالَ الحسن رَحِمَهُ اللهُ: فيمَ الفرحُ والمرحُ وأنت بين ثلاثة: منيَّةٍ قاضية، أو بليَّةٍ نازلة، أو نعمةٍ زائلة(١)؟

وقيلَ لبشر بنِ الحارث(٢): نراكَ مهموماً، فقال: إنَّني مطلوب(٣).

فَصْلٌ
في قولهِ ﷺ: «أنا أعلمُكم بالله، وأشدُّكم له خوفاً»(٤)

أمَّا [١٦٨/أ] العلمُ فهو معرفتهُ بالله سبحانه، وقدرتهِ وعظمته، وكبريائهِ وحكمته، وما ذخرَهُ لأوليائهِ وأهلِ طاعته، وما أعدَّهُ لأعدائهِ وأهلِ معصيته، وأمَّا الخوفُ والهيبةُ والإجلالُ والخوفُ بحسبِ المعرفة، ومن لطفتْ منزلتهُ وقربَ مِن خالقهِ خافَ من زَلَلِه، وأشفقَ على فعلهِ وموضعه، ألا ترى أنَّ الله تعالى عاتبَهُ في كتابهِ على ما هو مغفورٌ لغيره؟ قالَ الله تعالى له في قصَّةِ زيدٍ

= الأخلاق (٥٤١)، وفيه قول المرأة: «مرحبًا بسيدي...». ويبدو أنه رواية أخرى للحديث، فهو عن زافر بن سليمان، عن عبيدالله بن الوليد الوصافي، رفعه. وقد قال ابن عدي في زافر: كأن أحاديثه مقلوبة الإسناد، مقلوبة المتن، وعامة ما يرويه لا يُتابَع عليه، ويكتب حديثه مع ضعفه. الكامل في ضعفاء الرجال ٤/٢٠٦.

(١) الهم والحزن (١٥٨)، إحياء علوم الدين ٣/٢٠٧ دون عزو.

(٢) أبو نصر بشر بن الحارث المروزي، الزاهد المعروف. عني بالعلم، ثم أقبل على شأنه ودفن كتبه، وحدَّث بشيء يسير، وصنف العلماء في مناقبه وكراماته رَحِمَهُ اللهُ. توفي ببغداد سنة ٢٢٧ هـ. العبر ١/٣١٣.

(٣) الهم والحزن (١٦٤).

(٤) لم أره بهذا اللفظ، وقد أخرجه البخاري في صحيحه (٢٠) من رواية عائشة بلفظ «إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا».

مولاه: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] . وقد عفا الله تعالىٰ لغيرِه عمَّا حدَّثَ به نفسه ، قالَ ﷺ : «**عفا الله تعالىٰ لأمَّتي عمَّا حدَّثتْ به نفوسها ، ما لم يتكلَّموا**»(١) ، وقال تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١] .

❁ **فإن قيل**: فقد رويَ عنه ﷺ أنَّه قال: «**لو تعلمون ما أعلمُ لضحكتُم قليلاً ولبكَيتم كثيراً**»(٢) ، وهذا الخوفُ يعودُ إليهم ؟

❁ **والجواب**: أنَّ معنىٰ ذلك أنَّكم لو نظرتم وفكَّرتم حقَّ النظرِ والفكرِ فيما أعدَّهُ الله تعالىٰ من العذابِ والنعيم ، والحسابِ والموت ، والبعثِ وأهوالِ يومِ القيامة ، وأنَّكم لا تعلمون ما يكونُ منكم ، وإلىٰ أيِّ المنزلتين تصيرون ؛ لطالَ حزنُكم ، ولشغلَكم ذلك عن الضحكِ والسرورِ في الدنيا ، ومن لم يعلمْ ما سبقَ في علمِ الله سبحانهُ فيه ، وإلىٰ ماذا تصيرُ [١٦٨/ب] عقباه ، طالَ حزنه ، وكثرَ همُّه ، وذهبَ سرورهُ وفرحه .

ورويَ عنه ﷺ أنَّه خطبَ النَّاسَ فقال: «**يا أيُّها النَّاس ، كأنَّ الموتَ علىٰ غيرنا كُتب ، وكأنَّ الحقَّ علىٰ غيرنا وَجب ، وكأنَّ الذي نشيِّعُ من الأمواتِ سَفْرٌ عمَّا قليلٍ إلينا راجعون ، نبوِّئهم أجداثَهم ، ونأكلُ تراثَهم ، كأنَّا مخلَّدون بعدهم . طوبَىٰ لمن شغلَهُ عيبهُ عن عيوبِ النَّاس ، وأنفقَ من مالٍ كسبَهُ من غيرِ معصية ، ورحمَ أهلَ الذُّلِّ والمسكنة ، وخالطَ أهلَ الفقهِ والحكمة**»(٣) .

---

(١) بلفظ: «إن الله تجاوز لأمتي ما حدَّثت به أنفسها ، ما لم يتكلموا ، أو يعملوا به» أخرجه مسلم من رواية أبي هريرة (١٢٧) ، وقريب من لفظه في صحيح البخاري (٥٢٦٩) .

(٢) سبق تخريجه من صحيح البخاري .

(٣) شعب الإيمان (١٠٥٦٣) وقال: تفرد به أبان . ورواه ابن عساكر في معجمه (١٣٥٨)=




وهذا معناهُ أنَّكم غيرُ خائفين، كأنَّ الموتَ لا يأتيكم، وكأنَّ حقوقَ الله تعالىٰ التي يطالَبُ بها ويحاسِبُ عليها ليستْ عليكم، وكأنَّ الموتَىٰ يرجعون إليكم، وقد علمتُم أنَّهم صاروا إلىٰ ربِّهم، وانقطعتْ أعمالُهم، وأُحصيَتْ آثارُهم، وأنتم عن جميعِ ذلك معرِضون.

ورويَ أنَّ واعظاً وعظَ بعضَ الأمراء، فقالَ له: هل أنت علىٰ حالةٍ ترضاها للموت؟ فقال: لا، قال: فهل عزمتَ علىٰ الانتقالِ إلىٰ حالةٍ ترضاها للموت؟ فقال: لا، فقال: هل أمنتَ أن يأتيَكَ الموت؟ فقال: لا، قال: فهل بعد هذه الدارِ دارٌ أخرىٰ يَعمَلُ فيها مَن تركَ العملَ في هذه؟ فقال: لا، قال: فهل في القيامةِ مستعتَب؟ فقال: لا، فقال: ما هذه حالٌ يرضاها عاقلٌ لنفسه. فأقلعَ عن حاله، [١٦٩/أ] وانتقلَ عمَّا كان فيه(١).

وهذا كلامٌ صحيحٌ يعلمهُ كلُّ أحد، ويُعرِضُ عنه طاعةً لنفسه، وإشفاقاً علىٰ قلبه، واشتغالاً بيومه، وطرحاً لغده، وهذه صفةُ مَن قلَّ حزمه، وضعفَ عقله.

= من حديث أنس وقال: هذا حديث منكر بهذا الإسناد، وقوله «طوبىٰ لمن شغله عيبه» وما بعده يروىٰ بإسناد صالح عن ركب المصري عن رسول الله ﷺ. وهذا الحديث من جملة الأربعين حديثًا التي وضعها أبو الخير زيد بن رفاعة الهاشمي وسرقها منه ابن ودعان، وهي مستفيضة عند العوام، وليس فيها حديث صحيح. نعوذ بالله من خذلانه. اهـ. وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (١٢١) وأورد فيه قول الصنعاني إنه موضوع. وقال ابن القيسراني: رواه أبان بن أبي عياش عن أنس، وأبان متروك الحديث. ذخيرة الحفاظ (٦٤٢٠)، كما أورده ابن الجوزي في الموضوعات ٢/١٧٨.

(١) تاريخ مدينة دمشق ٣٦/٧٣، ٧٤، وفيه أن الواعظ هو عبدالرحمن بن يزيد بن معاوية، وفي موضع منه أنه وعظ به عبدالملك بن مروان.




وقد قالَ عمر بنُ عبدالعزيز رضي الله عنه: أيُّها النَّاس ، إمَّا أن تكونوا هَلكَىٰ أو حمقَىٰ ، فإن شككتُم فيما وُعِدتُم به فأنتم هلكىٰ ، وإن تيقَّنتموهُ وأعرضتُم عنه هذا الإعراضَ فأنتم حمقىٰ(١).

وحكيَ أنَّ بعضَ الزُّهَّادِ المنقطعين كان يقولُ في ظاهرِ مدينةٍ من المدن ، وكان أهلُ المدينةِ يخرجون إليه ليتبرَّكوا به ، ويُقصَدُ من كلِّ مكانٍ لذلك ، وكان له عادةٌ أن يدخلَ المدينةَ في السنةِ مرَّة ، فيسألُهُ أهلُ المدينةِ ويتبرَّكون به ، فلمَّا كان في وقتِ دخولهِ إلىٰ المدينة ، دخلَ فوجدَهم منهمكين علىٰ مكاسبهم ، مشتغلين بأشغالِ دنياهم ، فما زالَ يمشي في أسواقهم وقد استفزَّهُ الضحك ، فعجبوا من ضحكه ، إذ لم يكونوا يعهدون(٢) منه ذلك ، وتركهم.

وخرجَ من المدينةِ بعضُ من كان يَقصدُ ذلك الزاهد ، فسألَ عن أخباره ، فقالَ له أهلُ المدينة: إنَّه في مكانه ، غيرَ أنَّه قد تغيَّرتْ حاله ، واضطربَ عقله ؛ لقلَّةِ مأكله. فقال: وما رأيتم من اضطرابِ عقله؟ فقالوا: إنَّه دخلَ علينا كما كان يدخل ، وكان يمشي في [١٦٩/ب] أسواقِ المدينةِ وهو يضحك.

فخرجَ الرجلُ من المدينةِ حتَّىٰ وصلَ إلىٰ الرجلِ الصالح ، فرآهُ علىٰ عادته ، فكلَّمَهُ وسأله ، فأحسنَ جوابه ، ولم تتغيَّرْ عليه حاله ، فعجبَ ممَّا قالَهُ أهلُ المدينة ، وأحبَّ أن يسألَهُ عمَّا حكَوهُ عنه ، فقال: إنَّ أهلَ المدينةِ حكَوا عنكَ أنَّكَ لمَّا دخلتَ المدينةَ إليهم جعلتَ تمشي في أسواقِهم وتضحك ، فأنكروا ذلك وعجبوا منه ، فقال: نعم ، أخبرُكَ عن ذلك. دخلتُ علىٰ قومٍ

(١) حلية الأولياء ٥/٢٦٦ ، مختصر تاريخ دمشق ٢٣/٣٧٦ ، في خطبة له ، باختلاف ألفاظ.

(٢) في الأصل: يعهدوا.




يعلمون أنَّهم يموتون ويُحاسَبون ويجازَون بأفعالِهم ، ورأيتُ شدَّةَ حرصهم علىٰ ما يُلهيهم ، وإعراضِهم عمَّا يَعنيهم ، فكثرَ تعجُّبي حتَّىٰ أضحكني العجبُ منهم ، ولم أملكْ ما استفزَّني من ذلك التعجُّب .

ورويَ عن ابنِ عباس أنَّه قال: ما من يومٍ إلَّا ينادي منادٍ: أيُّها العاجزُ من أمرِ آخرته ، حتَّىٰ متىٰ ؟ أما ترىٰ النملةَ تجمعُ في صيفِها لشتائها ؟ أفلا اتخذتَ من دنياكَ لآخرتك ؟

ورويَ عن معاذ رضي الله عنه أنَّه أوصىٰ رجلاً فقالَ له: لا بدَّ لكَ من نصيبِكَ من الدنيا وأنت إلىٰ نصيبِكَ من الآخرةِ أحوج ، فإذا عرضَ لك أمران ، أحدُهما لدنياك ، والآخرُ لآخرتك ، فآثرِ الذي لآخرتِكَ علىٰ الذي لدنياك(١) .

وحكيَ عن الحسن رحمةُ الله عليه أنَّه خرجَ يومَ فِطر ، فرأىٰ ناساً يضحكون ويلعبون ، فقال: إنَّ الله تعالى جعلَ شهرَ رمضانَ مضماراً لخلقه ، يستبقون فيه بطاعتهِ إلىٰ مرضاته ، فسبقَ [١٧٠/أ] أقوامٌ ففازوا ، وتخلَّفَ آخرون فخابوا ، فالعجبُ من الضاحكِ اللاعبِ في يومٍ يَخيبُ فيه المبطلون ، ويفوزُ فيه المحسِنون ، أما والله لو كُشِفَ الغطاءُ لشُغِلَ محسنٌ بإحسانه ، ومسيءٌ بإساءته ، عن تجديدِ ثوب ، وترجيلِ شعر(٢) .

وكان رحمه الله يقول: يا أيُّها النَّاس ، إنَّما أنتم ركبٌ وقوفٌ يوشكُ أن تُدعَوا ، فانتقلوا بأحسنِ ما بحضرتكم(٣) .

---

(١) قوت القلوب ٤٣٣/٢ ، إحياء علوم الدين ٨٣/٢ .

(٢) بهجة المجالس ص ٢٤٧ ، آداب الحسن البصري ص ١٢٠ .

(٣) التبصرة لابن الجوزي ٥٣/٢ ، صفة الصوة ١٣٩/٢ ، ذم الهوىٰ ص ٤٣ ، إحياء علوم الدين ٤٦٠/٤ .

وروي عنه أنَّه قال: خرجَ رجلان ممَّن كانوا قبلكم سيَّاحاً، فالتقيا، فقالَ أحدهما لصاحبه: ما أخرجكَ يا أخي؟ فقال: الشوقُ إلىٰ الجنَّة، والهربُ من النَّار، فقالَ الآخر: عزَّ وجهُ الله، ما خرجتُ لواحدةٍ منهما، ولا خرجتُ إلَّا حياءً من الله، سبحان الله! أما ينبغي أن يُستحيا من الله ﷻ وإن لم يكنْ جنَّةٌ ولا نار؟!

❁ **فإن قالَ قائل**: بيِّنْ لنا ما ذكرَهُ هذا السائح، وهل يخلو مؤمنٌ من رجاءِ الله وخوفه، وقد قالَ تعالىٰ في أنبيائهِ صلواتُ الله عليهم مدحاً لهم: ﴿يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]؟

❁ **والجواب**: أنَّ ما ذكرَهُ هذا العبدُ الصالحُ من منزلتهِ في الحياءِ لا ينافي الخوفَ والرجاء، وإنَّما يبيِّنُ أنَّ منزلةَ الاستحياءِ من الله تعالىٰ أعلىٰ، وقد قالَ ﷺ: «**استحيوا من الله حقَّ الحياء**»[1].

ومدحُ الأنبياءِ بالرغبةِ والرهبةِ لا يمنعُ أن تكونَ لهم منزلةٌ أخرىٰ من الحياءِ من الله سبحانه، وكلُّ ذلك يستحقُّون به المدحَ [١٧٠/ب] والثناء.

وقد رويَ عن سليمان بنِ داود عليه السلام أنَّه كان لا يرفعُ رأسَهُ إلىٰ السماءِ حياءً من الله سبحانه.

وفي معنىٰ ما قالَ هذا العبدُ الصالح، ما حُكيَ عن عمر رضي الله عنه أنَّه قالَ في صهيب: لو لم يخفِ الله لم يَعصِه[2]. يريدُ بذلك أنَّ الحياءَ من الله تعالىٰ

(١) جزء من حديث سبق تخريجه وأنه حسن.

(٢) مسند الفاروق لابن كثير ١١٥/٣، قال رحمه الله: فأمَّا قول عمر رضي الله عنه في صُهيب بن سِنان الرُّومي: نِعمَ العبدُ صهيب، لو لم يخفِ اللهَ لم يَعصِهِ، فهو مشهور عنه، ولم أره إلىٰ الآن بإسناد عنه،=

يحجزهُ عن معصيته، وهذه منزلةٌ كريمة، فإنَّ الحياءَ من الكرم، وقد يستحيي النَّاسُ بعضُهم من بعض، فيحجزُهم الحياءُ عن شهواتهم، ويدعوهم إلىٰ بذلِ أموالهم، فكيف لا يُستحيا من المحسنِ المنعِم، المنشئِ المربِّي، المُطعِم المفضِّل المتكرِّم، المتجاوزِ الحليم؟

وقد حكيَ عن طلحةَ بن عبيدالله أنَّه ذهبَ مرةً إلىٰ الجامع، فلقيَهُ النَّاسُ راجعين، فغطَّىٰ وجهَهُ وقال: من لا يستحيي من النَّاسِ لا يستحيي من الله[1].

ومعنىٰ ذلك أنَّ الحياءَ من النَّاسِ طبع، والحياءَ من الله سبحانه معرفةٌ وعلم[2]، فمن لا يحرِّكهُ طبعهُ للحياء، لا يحرِّكهُ علمه.

فَصْلٌ
[وعظ مؤثِّر]

روي أنَّه لمَّا قدمَ سليمان بنُ عبدالملك[3] المدينةَ أرسلَ إلىٰ أبي حازم الأعرج فاستدعاه، فلمَّا دخلَ عليه قالَ له: يا أبا حازم، لمَ نكرهُ الموتَ ونحن

= والله الموفِّق. وقد ذكره أبو عبيد في كتاب الغريب، ولم أره أسنده. قال: ووجهُه: أنَّ صهيبًا إنما يطيعُ اللهَ حبًّا له لا مخافةَ عقابه، يقول: فلو لم يكن عقابٌ يخافهُ ما عصَىٰ اللهَ أيضًا.

(١) ورد هذا عن زيد بن ثابت رضي الله عنه. ينظر الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٥/٣١٤، تاريخ دمشق ١٩/٣٣٢، تاريخ الإسلام ٢/٤٠٨، سير أعلام النبلاء ٢/٤٣٩.

(٢) في الأصل: طبعًا... وعلمًا.

(٣) الخليفة الأموي. كان فصيحًا فهمًا محبًّا للعدل والغزو، عالي الهمة، جهز الجيوش لحصار القسطنطينية، وقرَّب ابن عمه عمر بن عبدالعزيز، وجعله وزيره ومشيره، ثم عهد إليه بالخلافة. وكان أبيض مليح الوجه. توفي عن ٤٥ عامًا سنة ٩٩ هـ. العبر ١/٨٨.

نعلمُ أنَّه لا بدَّ منه؟ فقال: لأنَّكم أخربتم آخرتَكم وعمَّرتم دنياكم، فكرهتُم أن تنتقلوا من العمرانِ إلىٰ الخراب، قال: صدقت، فقال: يا أبا حازم، فكيف القدومُ علىٰ الله ﷻ؟ فقال: أمَّا المحسنُ فكالغائبِ [١٧١/أ] يُقدِمُ علىٰ أهلهِ مسروراً، وأمَّا المسيءُ فكالآبقِ يُرَدُّ إلىٰ مولاهُ أسيراً. قال: يا أبا حازم، فأيُّ الأعمالِ أفضل؟ فقال: أداءُ الفرائض، مع اجتنابِ المحارم. قال: فأيُّ الدعاءِ أفضل؟ فقال: دعاءُ المحسَنِ إليه المحسِنَ. قال: فأيُّ الصدقةِ أفضل؟ قال: جهدٌ من مُقلٍّ لا منَّ فيه ولا أذىٰ. قال: فأيُّ النَّاسِ أكيس؟ قال: من عملَ بطاعةِ الله ﷻ، ودلَّ عليها. قال: فأيُّ النَّاسِ أحمق؟ قال: رجلٌ حطَّ في هوىٰ غيره، وباعَ آخرتَهُ بدنيا غيره. قال: فأيُّ القولِ أعدل؟ قال: قولُ الحقِّ عند من يرجو أو يخاف. قال: فأيُّ عبادِ الله أكرم؟ قال: أولو المروءةِ والتقىٰ. قال: فما تقولُ فيما نحن فيه؟ قال: إن أمَّنتني، قال: إنَّها نصيحةٌ تلقيها إليَّ، قال: إنَّ آباءك أخذوا الأمرَ من غيرِ مشورة، وقَتلوا وقعدوا[1]، فقالَ رجل: بئسَ ما قلت، فقالَ أبو حازم: إنَّ الله تعالىٰ أخذَ علىٰ العلماء أن يبيِّنوا ولا يكتموا. فقالَ سليمان: اصحبنا يا أبا حازم، تصيبُ منَّا ونصيبُ منك، قال: أعوذُ بالله، إنِّي أخافُ أن أركنَ إليكم شيئاً قليلاً، فيذيقَني الله ضعفَ الحياةِ وضعفَ الممات. قال: فبكىٰ سليمانُ وقال: يا ليتَ شعري، ما لنا عند الله ﷻ؟ فقالَ أبو حازم: اعرضْ نفسكَ علىٰ كتابِ الله ﷻ تجدْ ما لكَ عنده، قال: في أيِّ مكانٍ أجده؟ قال: في قولهِ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣ ـ ١٤] [١٧١/ب]. قالَ سليمان: فأين رحمةُ الله؟ قالَ أبو حازم: ﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]. قال: فأيُّ عبادِ الله أحزم؟ قال: الذي نهىٰ

---

(١) في المصدر: وارتحلوا.

النَّفسَ عن الهوىٰ، ولم يقلْ لعلَّ وعسىٰ. قالَ سليمان: ارفعْ إلينا حوائجك، قال: تُنجيني من النَّارِ وتداخلني الجنَّة، قال: ما ذلك إليَّ. قال: فادعُ لنا، قال: وما ينفعُكَ أن أرميَ لكَ بقوسٍ ليس لها وَتَر ؟!

وحكيَ أنَّه قالَ له: ليكنْ من شأنِكَ الأمرُ بالخيرِ والأخذُ به، والنَّهيُ عن المنكرِ والتناهي عنه، فإن عجَزتَ عن ذلك من نفسِكَ فلا تدَعْ أن تأمرَ به غيرَك، فإن أُطِعتَ شاركتَ في الأجرِ من أطاعك، وإن عُصِيتَ لم يبطلْ ثوابُ ما نويت.

وحكيَ أنَّ سليمان وصلَهُ بأربعةِ آلافِ درهم، فردَّها عليه، فقال: يا أعرج، تردُّ صلتي وقد بلغني أنَّه لا مالَ لك ؟! قال: بلىٰ، إنَّ لي لمالَين، قال: وما مالُك ؟ قال: الثقةُ بما عند الله تعالىٰ، واليأسُ ممَّا في يدِ النَّاس.

وحكيَ أنَّه قالَ له: ما المخرجُ ممَّا نحن فيه ؟ فقالَ أبو حازم: تنظرُ إلىٰ ما ليسَ عندكَ فلا تأخذهُ إلَّا بحقِّه، وإلىٰ ما عندكَ فلا تضعهُ إلَّا في حقِّه. قال: يا أبا حازم، ادعُ لي، قال: اللَّهمَّ إن كان سليمانُ وليَّكَ فيسِّرهُ لخيرِ الدنيا والآخرة، وإن كان عدوَّكَ فخذْ بناصيتهِ إلىٰ ما تحبُّ وترضىٰ(١).

وقالَ أبو حازم: الدنيا طالبةٌ ومطلوبة، فإن طلبتَ الدنيا طلبكَ الموت، وإن طلبتَ الآخرةَ طلبتكَ [١٧٢/أ] الدنيا، حتَّىٰ توفيكَ رزقكَ فيها.

وقالَ أبو حازم لعمر بنِ عبدالعزيز: اضطجعْ وضعْ ملكَ الموتِ عند رأسك، وانظرْ ما تحبُّ أن يكونَ منكَ تلك الساعة، فخذْ فيه الآن، وما لا

(١) أورده بأطول منه أبو نعيم في حلية الأولياء ٣/٢٣٤. وينظر تاريخ دمشق ٢٢/٣٣.

تحبُّ أن يكونَ منكَ تلك الساعة، فانصرفْ عنه منذ الآن.

وهذا ـ وفَّقكَ الله ـ كلامٌ وجيزٌ معلومٌ لكلِّ أحدٍ صحَّتُه، وإنَّما يَصرفُ عن ذلك التسويفُ وطولُ الأمل، ولا تزالُ نفسهُ تَخدعُ عقلَه، فإنَّه ينتهي إلىٰ ذلك ويكونُ عليه حتَّىٰ يأتيَهُ الأجل، فيكونُ كما أخبرَ الله ﷻ عنه في قولهِ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]، ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١].

وهل يكونُ أشفَىٰ من هذا البيان، أو أوفَىٰ من مشاهدةِ ذلك بالعيان؟ فإنَّه لم يشاهَدْ مَن نزلَ به الموتُ إلَّا وهو متحسِّرٌ نادم، يودُّ لو تُرِكَ ساعةً واحدةً ليستدركَ فيها شيئاً ممَّا فرَّطَ فيه، فلا يصلُ إلىٰ ذلك ولا يقدرُ عليه.

وقد حكيَ أنَّ عبدالملك بن مروان لمَّا حضرتهُ الوفاةُ سمعَ صوتاً عالياً فقال: ما هذا؟ فقالوا: قصَّارون يقصِّرون [١٧٢/ب] الثياب، فقال: يا ليتني كنتُ قصَّاراً ولم ألِ ما وليت، ثمَّ تمثَّلَ بقولِ أميَّة بنِ أبي الصَّلت:

كلُّ عيشٍ وإن تطاولَ دهراً ... صائرٌ[١] مرةً إلىٰ أن يزولا

ليتني كنتُ قبلَ ما قد بدا لي ... في رؤوسِ الجبالِ أرعىٰ الوعولا

وحكيَ عن أبي حازم أنَّه بلغَهُ ذلك فقال: الحمدُ لله حيثُ يتمنَّون أحوالَنا

(١) في الأصل: صايرًا.

عند الموت ، ونحن لا نتمنَّىٰ أحوالَهم ، يعني أهلَ الدنيا[1] .

وقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**حالَ الأجلُ دونَ الأمل**»[2] .

وقيل: إنَّ أجلَ ابنِ آدمَ خلفه ، وأملَهُ أمامه ، فالأجلُ يطلبه ، وهو يطلبُ الأمل ، والأجلُ معلوم ، والأملُ موهوم ، والأجلُ لا شكَّ يدركه ، وهو للأملِ لا بدَّ قاطعه[3] .

فانظرْ لنفسِكَ ـ وفَّقكَ الله ـ فإنَّما أَمَلُكَ تريدهُ لنفسك ، وهو يُلهيكَ عن الاشتغالِ بتخليصها من أليمِ العقاب ، والسعي في إفادتها كريمَ الثواب .

وقد قيلَ لبعضِ العبَّاد: لقد أنصبتَ نفسَك ، فقال: راحتَها أردت[4] .

وقالَ بعضهم: أُميتُ نفسي لتحيا ، ولا أُحييها لتموت .

وقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**يَهرَمُ ابنُ آدمَ وتَشِبُّ فيه خَصلتان: الحرص ، والأمل**»[5] .

---

(١) كتاب المحتضرين (٧٥ ، ٨٠) وبيتا أمية بن أبي الصلت أنشدهما وهو يقضي أيضًا ، كما في المحتضرين (٢٦٢) .

(٢) جزء من حديث ابن مسعود رواه البيهقي في شعب الإيمان (٩٧٧٥) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/١١٦ بلفظ: «والأجل قد حال دون الأمل» ، وقال: حديث صحيح متفق علىٰ صحته .

(٣) في الأصل: لا يد قاطعه .

(٤) قيل للربيع بن خثيم: لو أرحت نفسك ؟ قال: راحتها أريد . بغية الطلب في تاريخ حلب ٨/٣٥٧٢ .

(٥) رواه مسلم وغيره بلفظ: «يهرم ابن آدم وتشبُّ منه اثنتان: الحرص علىٰ المال ، والحرص علىٰ العمر» . صحيح مسلم (١٠٤٧) .

فهذا ـ عافاكَ الله ـ صفةُ الطبعِ وما بُنيَ عليه الخَلق، وإنَّما العملُ الصالحُ في مخالفةِ الطبع، والتعويل علىٰ موجباتِ الفكرِ والعقل، وإنَّما التكليفُ يقعُ في [١٧٣/أ] مخالفةِ الطبعِ وهواه، والثوابُ لذلك وجب.

حكيَ عن أبي الدرداء أنَّه قال: سلعةُ ربِّنا غالية ـ يريدُ الجنَّةَ ـ فإنَّها لا تحصلُ إلَّا بتركِ هوىٰ النُّفوسِ ومحبوبها، وفي ذلك مشقَّةٌ شديدةٌ عليها، يشهدُ لما قالَ أنَّ أكثرَ العقلاءِ يتركون ما يعلمونَهُ من صوابِ الطاعاتِ لمشقَّةِ ذلك علىٰ نفوسِهم، ومخالفتهِ لهواهم، ويبتغون راحةَ نفوسهم وما يقتضيهِ طباعُهم، وإذا سألتَهم عن ذلك وذكَّرتهم اعترفوا بالخطأ وأقاموا عليه، وإذا أصابهم النَّصَبُ فيما يطلبونَهُ من الدنيا ذمُّوها، وهم مع ذلك لا يتركونها.

وقالَ بعضُ الشعراء:

قد شابَ رأسي ورأسُ الحرصِ لم يَشِبِ ... إنَّ الحريصَ علىٰ الدنيا لفي تَعبِ
لو كان يصدقني ذهني وفكرتهُ ... ما اشتدَّ حرصي علىٰ الدنيا ولا نَصبي
أسعىٰ وأكدحُ فيما لستُ أدركهُ ... والدهرُ يقدحُ في زندي وفي عصبي(١)

وقد حكيَ أنَّ رجلاً لقيَ أويسًا(٢) القرني رحمه الله فقالَ له: كيف أصبحتَ يا أويس؟ فقال: أصبحتُ أحمدُ الله، ما تسألُ عن رجلٍ إذا أصبحَ ظنَّ أنَّه لا يُمسي، وإذا أمسَىٰ ظنَّ أنَّه لا يصبح؟ إنَّ الموتَ وذكرَهُ لم يدَعْ لمؤمنٍ فرحاً، وإنَّ حقَّ الله في مالِ المؤمنِ لم يدَعْ له فضَّةً ولا ذهباً، وإنَّ الأمرَ بالمعروفِ

(١) لإبراهيم بن المهدي. الدر الفريد وبيت القصيد ٢٧٢/٨ مع اختلاف ألفاظ.
(٢) في الأصل: أويس.

والنَّهيَ عن المنكرِ لم يدَعْ لمؤمنٍ صديقاً(١).

وروي أنَّ كعب الأحبار قال: كنتُ عند عمر بنِ [١٧٣/ب] الخطَّاب رضي الله عنه، فقالَ لي: يا كعبُ حدِّثنا، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، أوليسَ فيكم كتابُ الله تعالىٰ وسنَّةُ رسولهِ صلى الله عليه وسلم؟ قال: بلىٰ، ولكن حدِّثنا، قال: قلت: يا أميرَ المؤمنين، اعملْ عملَ رجلٍ لو وافيتَ القيامةَ بعملِ سبعينَ نبيًّا لازدرأتَ عملك. قال: فأطرقَ عمرُ رضي الله عنه مليًّا، ثمَّ أفاقَ فقال: يا كعبُ زدنا، فقال: يا أميرَ المؤمنين، لو فُتِحَ من جهنَّمَ قدرُ منخرِ ثورٍ بالمشرق، ورجلٌ بالمغرب، لغلَىٰ دماغهُ حتَّىٰ يسيلَ من حرِّها. قال: فأطرقَ عمرُ مليًّا، ثمَّ قال: يا كعبُ زدنا، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ جهنَّمَ تزفرُ يومَ القيامةِ زفرة، لا يبقَىٰ ملَكٌ مقرَّبٌ ولا نبيٌّ مصطفًىٰ إلَّا خرَّ جاثياً علىٰ ركبتيه، حتَّىٰ إنَّ إبراهيمَ ليخرُّ جاثياً علىٰ ركبتيه، يقول: ربِّ نفسي نفسي، لا أسألُكَ اليومَ إلَّا نفسي. قال: فأطرقَ وقال: إنَّ الأمرَ لشديد، قلت: يا أميرَ المؤمنين، أوليسَ تجدون هذا في كتابِ الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(٢)؟ [النحل: ١١١].

وروىٰ الحسنُ أنَّ سعد بنَ مالك(٣) ـ وكان أميرَ الكوفة ـ عادَ سلمان، فبكىٰ سلمان، فقالَ له سعد: ما يبكيك؟ اذكرْ صحبتكَ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم، واذكرِ المشاهدَ الصالحة، فقالَ سلمان: أما والله ما أبكي علىٰ واحدةٍ من ثنتين؛ ما

(١) تاريخ دمشق ٤٤٧/٩، السلوك في طبقات العلماء والملوك ٩١/١، سير أعلام النبلاء ٣٠/٤. وما عند المؤلف أطول مما في المصادر.

(٢) الزهد لأحمد (٦٤١)، التخويف من النار ص ١٠٨.

(٣) هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، بقي أميرًا علىٰ الكوفة حتىٰ عام ٢١ هـ.

أبكي على ما أخلِّفُ في أيديكم من الدنيا، ولا كراهيةً [١٧٤/أ] للقاءِ ربِّي، قال: فما يبكيكَ إذا لم تبكِ على هذا؟ قال: يبكيني عهدٌ عهدَهُ إلينا رسولُ الله ﷺ فقال: «**ليكنْ متاعُ أحدِكم [من الدنيا] كزادِ الراكب**»، فأخافُ أن نكونَ قد جاوزنا ذلك، وأنت يا عبدَ الله فاتَّقِ الله عند همِّكَ إذا هممت، وعند لسانِكَ إذا حكمت، وعند يدِكَ إذا قسَمت، ثمَّ قالَ لسعد: كفَّ عنِّي(١).

حدَّثَ إياس بن سلمة عن أبيهِ قال: مرَّ عليَّ عمر بنُ الخطَّاب رضي الله عنه وأنا في السوقِ وهو مارٌّ في حاجةٍ له ومعه الدرَّة، فقالَ هكذا: أَمِطْ عن الطريقِ يا سَلم، فخفقني بها خفقة، فما أصابتْ إلَّا طرفَ ثوبي، فأمطتُ عن الطريق، فسكتَ عنِّي، حتَّى كان في العامِ المقبلِ لقيني في السوقِ فقال: يا سلم، أردتَ الحجَّ العام؟ قال: قلت: نعم يا أميرَ المؤمنين، قال: فأخذَ بيدي، فما فارقتْ يدي يدَهُ حتَّى دخلَ بيته، فأخرجَ كيساً فيه ستُّ مئةِ درهم، فقال: يا سلم، استعنْ بهذا على حجَّتك، اعلم أنَّها عوضٌ من الخفقةِ التي خفقتُكَ عامَ أول، قال: قلت: يا أميرَ المؤمنين، والله ما ذكرتُها حتَّى ذكَّرتنيها، قال: أنا والله ما نسيتُها بعد(٢).

دخلَ رجلٌ على عبدالملك بن مروان ممَّن يوصَفُ بحسنِ الأدب، فقالَ له عبدالملك: تكلَّم، فقال: ما أتكلَّمُ به وقد علمتَ أنَّ كلَّ كلامٍ يتكلَّمُ به المتكلِّمُ وبالٌ عليه، إلَّا ما [١٧٤/ب] كان لله سبحانه وتعالى. فبكى عبدالملك، ثمَّ قال:

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤/٦٨، تاريخ دمشق ٢١/٤٥٣. والحديث مع القصة أو جزء منها رواه أبو نعيم في الحلية ١/١٩٥، ١٩٦، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٩٠٩، ٩٩١١). وما بين المعقوفتين من المصادر.

(٢) محض الصواب لابن المبرد ٢/٥٠٣.

رحمكَ اللهُ، لم يزلِ النَّاسُ يتواصون ويتواعظون، فقالَ له الرجل: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ للنَّاسِ يومَ القيامةِ جولةً لا ينجو من غُصصِ مرارتها ومعاينةِ الرَّدىٰ فيها إلَّا من أرضَىٰ ربَّهُ تعالىٰ بسخطِ نفسه. قال: فبكىٰ عبدالملك وقال: لا جرمَ لأجعلنَّ هذه الكلماتِ مثالاً نصبَ عيني ما عشتُ أبداً[1].

لمَّا قدمَ سليمان بنُ عبدالملك مكةَ قال: من بمكةَ من العلماء؟ قالوا: طاوس[2]، قال: قولوا له يأتِني[3]، فقالَ له رجاء بنُ حَيْوَة[4]: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ اللهَ ﷻ قد فكَّ بكَ الأسير، وفعلتَ وفعلت، وطاوس في لسانهِ فضل، فأخافُ أن يجيءَ منه ما لا تحتمله، فقال: أما تراني أحتملُ رجلاً واحداً من هذه الأمَّة؟! ادعوه.

فقامَ عمر بنُ عبدالعزيز ورجاء بنُ حيوة، فقالا: إنَّ أميرَ المؤمنين يريدُ أن تأتيه، فقال: أفرغُ من طوافي. فلمَّا فرغَ من طوافهِ توجَّهَ معهما، فدخلَ عليه، فسلَّم، فنصتَ له القوم، فما تكلَّمَ أحدٌ منهم، وقامَ طويلاً ما تكلَّم، فقالَ لهم: ما أحسبُكم أرسلتُم إليَّ إلَّا وأنتم تريدون أن تكلِّموني، تدرون أولَ ما خلقَ اللهُ تعالىٰ ما هو؟ قالوا: لا، قال: القلم. قال: أفتدرون آخرَ من يموت؟ قالوا: لا، قال: ملكُ الموت. قال: أفتدرون من أحبُّ [١٧٥/أ] خلقِ الله إليه؟

(١) الحيدة والاعتذار ص ٨٧، ذم الهوىٰ ص ٤٦، إحياء علوم الدين ٢/٣٤٦.

(٢) طاوس بن كيسان، من أكابر التابعين. أصله من الفرس ومنشؤه في اليمن. ت ١٠٦ هـ. صفة الصفوة ٢/٢٨٤.

(٣) في الأصل: يأتيني.

(٤) أبو المقدام رجاء بن حيوة الكندي الشامي الفقيه. كان شريفًا نبيلًا، سيد أهل الشام في أنفسهم، روىٰ عن معاوية وطبقته. ت ١١٢ هـ. العبر ١/١٠٦.

قالوا: لا ، قال: رجلٌ أشركَهُ الله ﷻ في مُلكه ، فعملَ بما أمرَهُ الله تعالىٰ به . قال: أفتدرون من أبغضُ الخلقِ إلىٰ الله ﷻ ؟ قالوا: لا ، قال: رجلٌ أشركَهُ الله في مُلكه ، فعملَ بغيرِ ما أمرَهُ الله به . ثمَّ انصرف .

فلقيَهُ رجاء بنُ حيوة فقال: لقد حملتَ علىٰ أميرِ المؤمنين حملاً شديداً ، فقال: ما قلتُ إلَّا حقًّا .

ولمَّا حجَّ سليمان بنُ عبدالملك ومعه عمر بنُ عبدالعزيز ، فلمَّا أشرفَ عريشهُ رأىٰ سوادَ عسكره ، فأعجبَهُ ذلك ، فقالَ لعمر: يا أبا حفص ، ترىٰ ما ها هنا ؟ قال: نعم يا أميرَ المؤمنين ، أرىٰ دنيا يأكلُ بعضُها بعضاً ، أنت المبتلَىٰ بها والمسؤولُ عنها . فبينا هو علىٰ ذلك إذ برَقتْ برقة ، فصُعِقتُ صعقة ، قال: فرأيتُ سليمانَ قد اعتنقَ دابَّته ، ثمَّ تجلَّىٰ ذلك ، فقال: يا أبا حفص ، ما ترىٰ هذا ؟ قال: نعم يا أميرَ المؤمنين ، هذا سلطانُ الله عند رحمته ، فكيف سلطانهُ عند غضبه ؟! قال: فإذا بغرابٍ يَنعَب(١) ، في رجلهِ كسرة ، فقال: يا أبا حفص ، تدري ما يقولُ هذا ؟ قال: لا ، وإن شئتَ أن أقولَ قلت ، قال: قلْ يا أبا حفص ، قال: يقول: كيف دخلتَ وكيف خرجت ؟ قال: إنَّك لتأتي بالعجب ، قال: أعجبُ واللهِ من هذا من عرفَ اللهَ فعصاه ، وعرفَ الشيطانَ فأطاعه ، ورأىٰ الدنيا وتقلُّبها بأهلِها فاطمأنَّ [١٧٥/ب] إليها ، فقال: عيَّبتَ علينا يا أبا حفص ، عيَّبتَ علينا يا أبا حفص(٢) .

ودخلَ أعرابيٌّ علىٰ سليمان بن عبدالملك ، فقالَ له سليمان: تكلَّمْ يا

---

(١) نعب الغراب ونعق بمعنىٰ .

(٢) سراج الملوك ص ٣٧ ، وراوي القصة يحيىٰ بن سعيد . وهو بسياق وألفاظ مختلفة .

أعرابي ، فقال: يا أميرَ المؤمنين ، إنِّي مكلِّمُكَ بكلام ، فاحتملهُ إن كرهته ، فإنَّ وراءَهُ ما تحبُّ إن قبلتَه ، قال: يا أعرابي ، إنَّا لنجودُ بسعةِ الاحتمال علىٰ من لا نرجو نُصحه ، ولا نأمنُ غِشَّه ، فقل ، قال: أمَّا إذا أَمِنتُ بادرةَ غضبِك ، فسأطلقُ لساني فيما خرستْ به الألسنُ من عظتك ، تأديةً لحقِّ الله تعالىٰ فيكَ وحقِّ إمامتك.

يا أميرَ المؤمنين ، إنَّه قد اكتنفكَ رجالٌ أساؤوا الاختيارَ لأنفسهم ، فابتاعوا دنياكَ بدينهم ، ورضاكَ بسخطِ الله ، وخافوكَ في الله وما خافوا الله ﷻ فيك ، حربُ الآخرةِ وسلمُ الدنيا ، فلا تأتمنهم علىٰ ما ائتمنكَ الله عليه ، فإنَّهم لم يألوا الأمانةَ تضييعاً ، وللأمَّةِ خسفاً وعسفاً ، وأنت مسؤولٌ عمَّا اجترحوا ، وليسوا بمسؤولين عمَّا اجترحت ، فلا تُصلِحْ دنياهم بفسادِ آخرتك ، فإنَّ أعظمَ النَّاسِ غَبناً بائعُ آخرتهِ بدنيا غيره.

فقالَ له سليمان: أمَّا أنت يا أعرابيُّ فقد سللتَ لسانك ، وهو أقطعُ من سيفك ، فقال: أجلْ يا أميرَ المؤمنين ، هو لكَ لا عليك. فتعجَّبَ سليمانُ من كلامهِ وقال: هل لكَ من حاجةٍ في ذاتِ نفسك؟ قال: ما [١٧٦/أ] أحدٌ خاصٌّ دونَ عامّ ، وخرج(١).

وكتبَ الحسنُ إلىٰ عمر بنِ عبدالعزيز: أمَّا بعد ، فإنَّ الهولَ الأعظمَ ومفظعاتِ الأمورِ كلَّهنَّ أمامك ، لم تقطعْ منهنَّ شيئاً بعد ، فلذلك فاحذرْ من شرِّهنَّ ، فاهرب ، ولا والله ما بدٌّ من مشاهدتها ومعاينتها ، إمَّا بالسلامةِ

(١) تاريخ دمشق ٦٨/١٧٤ ، إحياء علوم الدين ٢/١٤٨ ، سراج الملوك ص ٣٥.

والنجاة، وإمَّا بالعطب[1].

قال عبدالله بن كثير: قيلَ لعمر بنِ عبدالعزيز: ما كان بدءُ إنابتك؟ قال: أردتُ ضربَ غلامٍ لي، فقال لي: يا عمر، اذكرْ ليلةً صبيحتُها يومُ القيامة[2].

وكتبَ عمر بنُ عبدالعزيز إلىٰ محمَّد بنِ كعب القرظي[3]: أمَّا بعد، فقد بلغني كتابُكَ تعظُني وتذكِّرني ما هو لي حظٌّ وعليكَ حقّ، وقد أصبتَ بذلك أفضلَ الأجر، إنَّ الموعظةَ كالصدقة، بل هي أعظمُ أجراً، وأبقَىٰ نفعاً، وأحسنُ ذخراً، وأوجبُ علىٰ المرءِ المؤمنِ حقًّا، لَكلمةٌ يعظُ بها الرجلُ أخاهُ يزدادُ بها في هُدىً رغبةً، خيرٌ من مالٍ يَتصدَّقُ به عليه، وإن كان به إليه حاجة[4].

وكتبَ زرُّ بن حُبيش[5] إلىٰ عبدالملك بنِ مروان كتاباً يعظهُ فيه، فكان في آخرِ كتابه: ولا يُطمِعْكَ يا أميرَ المؤمنين في طولِ الحياةِ ما ظهرَ من صحَّةِ بدنك، فأنت أعلمُ بنفسك، واذكرْ ما تكلَّمَ به الأوَّلون، فإنَّهم قالوا:

إذا الرجالُ وَلَدْت أولادُها وبَلِيَتْ من كِبَرٍ أجسادُها

(١) حلية الأولياء ٢/١٤٠ في وعظ لأصحابه.

(٢) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (٣٠١).

(٣) مدني تابعي ثقة، رجل صالح، عالم بالقرآن، روىٰ له الجماعة. كان يقصُّ علىٰ أصحابه، فسقط المسجد عليه وعليهم، فقُتلوا، سنة ١١٧ هـ. صفة الصفوة ٢/١٣٢، تهذيب الكمال ٢٦/٣٤٠.

(٤) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن عبدالحكم ص ١١٧.

(٥) زر بن حبيش الأسدي، أدرك الجاهلية، ولم يلق رسول الله ﷺ، مقرئ الكوفة مع السلمي، ثقة، عالم بالعربية. عمِّر ١٢٠ عامًا، ت ٨٢ هـ. سير أعلام النبلاء ٤/١٦٦.

وجعلـــتْ أســـقامُها تعتادُهـــا		تلـك زروعٌ قـد دنـا حصـادُها

[١٧٦/ب] فلمَّا قرأَ عبدالملك كتابَهُ بكىٰ حتَّىٰ بلَّ طرفَ ثوبه، وقال: صدقَ وبرَّ، ولو كتبَ إلينا بغيرِ هذا كان أرفق(١).

قالَ ميمون بن مهران(٢): دخلتُ علىٰ عمر بنِ عبدالعزيز يوماً وعندهُ سابق البربري(٣)، وهو يُنشده، وانتهىٰ في شعرهِ إلىٰ هذه الأبيات:

فكم من صحيحٍ باتَ للموتِ آمناً		أتتـهُ المنايـا بغتـةً بعـدما هجـعْ
فلـم يستطعْ إذ جاءَهُ الموتُ بغتةً		فـراراً ولا منـه بحيلتـهِ امتنـعْ
فأصـبحَ يبكيـهِ النسـاءُ مقنَّعـاً		ولا يسمعُ الداعي وإن صوتَهُ رَفعْ
وقُـرِّبَ مـن لحـدٍ فصـارَ مقيلَـهُ		وفُرِّقَ ما قد كان بالأمسِ قد جَمعْ
ولا يَتـركُ المـوتُ الغنـيَّ لمالـهِ		ولا مُعدِماً في المالِ ذا حاجةٍ يَدَعْ

فلم يزلْ عمر يبكي حتَّىٰ غُشيَ عليه، فقمنا فانصرفنا عنه(٤).

ودخلَ بعضُ العبَّادِ علىٰ المهلَّب بن أبي صفرة(٥)، فقالَ له المهلَّب: ما

---

(١) العمر والشيب (٤٩)، صفة الصفوة ٢/٩. وقد قال البيتين وهو يحتضر، كما في أدب الدنيا والدين ص ١٢٦.

(٢) ميمون بن مهران الجزري الرقي. كان مملوكًا لامرأة من أهل الكوفة من بني نصر، فأعتقته، وبها نشأ، ثم نزل الرقة. ولي خراج الجزيرة لعمر بن عبدالعزيز. ت ١١٦ هـ. تهذيب الكمال ٢٩/٢١٠.

(٣) سابق بن عبدالله البربري الرقي، أبو سعيد، الشاعر. روىٰ عن مكحول وأبي حنيفة وغيرهما. قيل: هو مولىٰ عمر بن عبدالعزيز. وهو أحد الزهاد المشهورين. الوافي بالوفيات ١٥/٦٩.

(٤) قصر الأمل (١٧٩)، الزهد الكبير للبيهقي (٦٨٨).

(٥) المهلب بن أبي صفرة الأزدي البصري، ولد عام الفتح. أمير بطل، قائد كتائب، حارب=

أزهدكَ وأصبرك ؟ فقال: إنَّ صبري جزع[1] ، وزهدي رغبة ، فقال: كيف ذلك ؟ قال: صبري جزعٌ من النَّار ، وزهدي رغبةٌ في الجنَّة . فسمعَ كلامَ رجلٍ حكيم ، فاستوىٰ جالساً وقال: عظني ، لعلَّ الله أن ينفعَني بك ، فقال: إيَّاكَ والحسد ، فإنَّ ابنَ آدمَ حسدَ أخاهُ فقتله ، وإيَّاكَ والبغي ، فإنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ ﴾ [يونس: ٢٣] ، وإيَّاكَ والمكر ، فإنَّ الله ﷻ يقول: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ ﴾ [فاطر: ٤٣] ، وإيَّاك والكِبْر ، فإنَّ الله ﷻ قالَ للملائكة: ﴿ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤][2] . [١٧٧/أ] .

ودخلَ محمَّد بن واسع[3] علىٰ مروان بن المهلَّب وهو يعرضُ لأهلِ البصرة ، فقالَ له: اتَّقِ الله واعدل ، وإن استطعتَ أن تكونَ مثلَ أخي [بني] عدي[4] فافعل ، فإنَّه استعملَ أخاهُ علىٰ بعضِ الأعمالِ وكتبَ إليه: اتَّق الله ، وإن استطعتَ أن تبيتَ وظهرُكَ خفيف ، وبطنُكَ خميص ، ويدُكَ نقيَّةٌ من دماءِ المسلمين وأموالهم ، فإنَّكَ إذا فعلتَ ذلك لم يكنْ عليكَ سبيل ، ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [الشورىٰ: ٤٢] . فبكىٰ مروانُ عند ذلك[5] .

= الخوارج ودوخهم . توفي بمرو الروذ غازيًا سنة ٨٢ هـ . سير أعلام النبلاء ٤/٣٨٣ .

(١) في الأصل: جزعا .

(٢) جزء منه في التبصرة لابن الجوزي ١/١٧٩ .

(٣) محمد بن واسع بن جابر بن الأخنس ، الإمام الرباني القدوة ، أحد الأعلام . قليل الرواية ، قال العجلي: ثقة عابد صالح . ت ١٢٧ هـ . سير أعلام النبلاء ٦/١٢٠ .

(٤) في الأصل «أخي عدي» ، والمثبت من مصدريه ، وسأله مروان من هو ؟ فقال: العلاء بن زياد .

(٥) المصنف لابن أبي شيبة (٣٦٨٧٥) ، تفسير ابن كثير ٧/٢١٣ .

قالَ أبو عمران الجوني: حدَّثني نافع الطائي قال: مررتُ بأبي ذرٍّ فقال: ممَّن أنت؟ قلت: من أهلِ العراق، قال: تعرفُ عبدالله بنَ عامر[1]؟ قلت: نعم، قال: فإنَّه كان يتقرَّأُ معي ويلزمني، ثمَّ طلبَ الإمارة، فإذا قدمتَ البصرةَ فتراءَ له، فإنَّه سيقولُ لك: ألكَ حاجة؟ فقلْ له: أنا رسولُ أبي ذرٍّ إليك، وهو يقرئكَ السلام، ويقولُ لك: إنَّا نأكلُ من التمرِ ونشربُ من الماءِ ونعيشُ كما تعيش. فلمَّا قدمتُ البصرةَ تراءيتُ له، فقالَ لي: ألكَ حاجة؟ قلت: أخلِني أصلحكَ الله، فإنِّي رسولُ أبي ذرٍّ إليك، قال: فلمَّا قلتُها تسمَّعَ لها، ثمَّ قلت: وهو يقرئكَ السلام، [١٧٧/ب] ويقولُ لك: إنَّا نأكلُ من التمرِ ونشربُ من الماء، ونعيشُ كما تعيش. فلمَّا قلتُ له ذلك حلَّ إزاره، وأدخلَ رأسَهُ في جيبه، وبكىٰ، حتَّىٰ ملأَ جيبَهُ بالبكاء[2].

قالَ خالد بنُ صفوان بنِ الأهتم[3]: أوفدني يوسف بن عمر[4] إلىٰ هشام

(١) عبدالله بن عامر العبشمي، صحابي جليل، قائد مجاهد فاتح، ولي البصرة لعثمان، ثم وفد علىٰ معاوية فزوجه بابنته هند. افتتح خراسان، وقتل كسرىٰ في ولايته، وأحرم من نيسابور شكرًا لله، وعمل السقايات بعرفة، وكان سخيًّا كريمًا. توفي قبل معاوية، سنة ٥٩ هـ. سير أعلام النبلاء ١٩/٣.

(٢) صفة الصفوة ٢٢٧/١.

(٣) من فصحاء العرب المشهورين. ولد ونشأ بالبصرة، ولم يتزوج. كان يجالس عمر بن عبدالعزيز وهشام بن عبدالملك، وله معهما أخبار. عاش إلىٰ أن أدرك خلافة السفاح العباسي وحظي عنده. وكان لفصاحته أقدر الناس علىٰ مدح الشيء وذمه. ت نحو ١٣٣ هـ. الأعلام ٣٣٨/٢.

(٤) يوسف بن عمر الثقفي، أمير العراقين وخراسان لهشام، ثم أقره الوليد بن يزيد. وصفه الذهبي بكونه شهمًا، كافيًا، سائسًا، مهيبًا، جبارًا، عسوفًا، جوادًا، معطاء. قتل سنة ١٢٧ هـ. سير أعلام النبلاء ٤٤٢/٥.

بن عبدالملك، فقدمتُ عليه وقد خرجَ متبدِّياً[1] بقرابتهِ وحشمهِ وحاشيتهِ في أهلهِ وجلسائه، فنزلَ في أرضٍ قاعٍ صحصحٍ أفيح[2]، في عامٍ قد بكَّرِ وسميُّه[3]، وتتابعَ وليُّه[4]، وأخذتِ الأرضُ فيه زينتها، من اختلافِ ألوانِ منابتها، من نَوْرِ ربيع[5]، وهي في أحسنِ منظر، وأحسنِ مستمطَر، صعيدٌ كأنَّ ترابَهُ قطعُ الكافور، وقد ضُرِبَ له سُرادِقٌ من حَبَرة[6]، كان صنعهُ له يوسف بن عمر باليمن، فيه فساطيط، فيها أربعةُ أفرشةٍ من خزٍّ أحمرَ، مثلُها مرفَقُها، وعليه درّاعةٌ من خزٍّ أحمرَ[7]، مثلُها عمامتُها، وقد أخذَ النَّاسُ مجالسهم، فأدخلتُ رأسي من ناحيةِ الفُسطاط، فقلت: أتمَّ الله عليكَ يا أميرَ المؤمنين نعمه، وسبوغَها بشكره، وجعلَ ما قلَّدكَ من هذا الأمرِ رشداً، وعاقبةَ ما يؤدِّيكَ إليه حمداً خلصَهُ لكَ بالتُّقَىٰ، وكثَّرَهُ لكَ بالنَّماء، لا كدَّرَ عليك ما صفا، ولا خالطَ سرورَهُ الأذىٰ، فقد أصبحتَ للمسلمين ثقةً ومُستراحاً، إليكَ [١٧٨/أ] يفزعون في أمورهم، ويقصدون في حوائجهم، وما أحدٌ يا أميرَ المؤمنين ـ جعلني الله فداك ـ أبلغُ في قضاءِ حقِّكَ وتوقيرِ مجلسك، إذ منَّ الله تعالىٰ عليَّ بمجالستِكَ والنظرِ في وجهك، من أن أُذكِّركَ نعمةَ الله ﷻ عندك، وأنبِّهكَ لشكرها، وما أجدُ في ذلك شيئاً هو أبلغُ من حديثٍ من سلفَ قبلكَ من الأمم، فإن أذنَ لي أميرُ المؤمنين أخبرته.

---

(١) قاصداً الإقامة بالبادية.

(٢) أرض صحصح: مستوية جرداء ذات حصًىٰ صغار. وورد في الأصل «صحيصح». وأفيح: واسع.

(٣) الوسمي: مطر الربيع.

(٤) الوليّ: المطر يسقط بعد المطر، جمعه أَوْلِيَة.

(٥) النَّور: الزهر الأبيض. وتكملة العبارة من المصادر: من نَور ربيع مونق.

(٦) السرادق هو الفسطاط يجتمع فيه الناس لمناسبة ما. الحَبَرَة: ثوب من قطن أو كتَّان مخطَّط.

(٧) الدراعة: الجبة.

وكان متَّكئاً فاستوىٰ جالساً وقال: هاتِ يا ابنَ الأهتم، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، إنَّه كان فيمن ملكَ قبلكَ من الملوكِ ملكٌ خرجَ في مثلِ عامِكَ هذا إلىٰ الخَوَرْنَقِ والسَّدير(١)، في عامٍ قد بكَّرَ وسميُّه، وتتابعَ وليُّه، وأخذتِ الأرضُ فيه زينتَها، من اختلافِ ألوانِ نبتِها، من نَورِ ربيع، فهو في أحسنِ منظر، وأحسنِ مستمطَر، بصعيدٍ كأنَّ ترابَهُ قطعُ الكافور، وكان قد أُعطِيَ [فتَاءَ] السنّ(٢) مع الكثرةِ والغلبةِ والملك، فنظرَ فأبعدَ النظر، فقالَ لجلسائه: هل رأيتم مثلَ ما أنا فيه، أم هل أحدٌ أُعطيَ مثلما أُعطيت؟ قال: وعندهُ رجلٌ من بقايا حمَلةِ الحُجَّة، والمضيِّ علىٰ أدبِ الحقِّ ومنهاجه، ولن تخلوَ الأرضُ من قائمٍ لله بحجَّتِهِ في عباده، فقال: يا أيُّها الملك، إنَّك قد سألتَ عن أمرٍ، أفتأذنُ في الجوابِ عنه؟ فقال: أجب، فقال: إنَّ أمركَ هذا الذي أنت فيه، أشيءٌ [١٧٨/ب] لم تزلْ فيه، أم شيءٌ صارَ إليكَ ميراثاً وهو صائرٌ إلىٰ غيرِكَ كما صارَ إليك؟ قال: كذاكَ هو، قال: أفتراكَ تعجبُ بشيءٍ يسيرٍ تكونُ فيه قليلاً، وتغيبُ عنه طويلاً، وتكونُ غداً بحسابهِ رهيناً؟ قال: ويحك! فأين المطلبُ والمهرب؟ قال: إمَّا أن تقيمَ في مُلكِكَ فتعملَ فيه بطاعةِ الله ﷻ، علىٰ ما ساءكَ وسرَّك، ومضَّكَ وأرمضك(٣)، وإمَّا أن تضعَ تاجك، وتنزعَ أطمارك، وتلبسَ مسوحك(٤)، وتعبدَ ربَّكَ في هذا الجبلِ حتَّىٰ يأتيَك أجلُك.

---

(١) قصران شهيران بناهما النعمان السائح ابن امرئ القيس بن عمرو اللخمي، الذي ملك الحيرة من قبل الفرس في الجاهلية، مات سنة ١٩٨ هـ. تنظر قصة بنائهما في الكامل في التاريخ ٢٣٣/١.

(٢) بمعن غلبة الفتوَّة. وما بين المعقوفتين من المصادر، لم يرد في الأصل.

(٣) مضَّه: آلمه وشقَّ عليه، وأرمضه: أوجعه.

(٤) الأطمار جمع طِمْر، وهو الثوب الخلَق البالي. والمسوح جمع مِسْح، وهو الكساء من الشعر،=

قالَ الملك: فإذا كان في السَّحَرِ فاقرعْ على بابي، فإنِّي أختارُ إحدى[1] المنزلتين، فإن اخترتُ ما أنا فيه كنتَ وزيراً لا تُعصَى، وإن اخترتُ فلواتِ الأرضِ وقفرَ البلادِ كنتَ رفيقاً لا تُخالَف.

فلمَّا كان السَّحَرُ قرعَ عليه بابه، فإذا هو قد وضعَ تاجه، ونزعَ أطماره، ولبسَ أمساحه، وتهيَّأَ للسياحة. فأَتيا رابيةَ الجبل، حتَّى انتهيا إلى أجلَيهما.

وهو حيثُ يقولُ أحدُ بني تميم عديُّ بن زيد[2]:

أيُّها الشامتُ المعيِّرُ بالدهـ ـرِ أأنت المبَرَّأُ الموفورُ[3]
أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأيَّـ ـامِ بل أنت جاهلٌ مغرورُ
من رأيتَ المنونَ خلَّدنَ أم من ذا عليه من أن يُضامَ خفيرُ[4]
أين كسرى كسرى الملوكِ أبو سا سانَ أم أين قبلَهُ سابورُ[5]
وبنو الأصفرِ الكرامُ ملوكُ الـ ـرومِ لم يبقَ منهمُ مذكورُ[١٧٩/أ]
وأخو الحَضْرِ إذ بناهُ وإذ دِجْـ ـلةُ تُجبى إليه والخابورُ[6]

= ويطلق على ثوب الراهب.

(١) في الأصل: احد.

(٢) عدي بن زيد التميمي، شاعر جاهلي، من أهل الحيرة. أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى، وكان يتقن الفارسية. ت نحو ٣٥ ق. هـ. له أخبار طويلة في الأغاني للأصبهاني ٩٧/٢ ـ ١٥٤.

(٣) الموفور: التام من كل شيء.

(٤) الخفير: الحارس.

(٥) ساسان وسابور من ملوك الفرس قبل كسرى أنوشروان.

(٦) الحَضر: مدينة قريبة من تكريت. والخابور نهر في الجزيرة الفراتية.

شَـــادَهُ مرمـــراً وجلَّلَـــهُ كِلـــ ـسًــا فللطيــرِ فــي ذُراهُ وُكــورُ
لـم يَهبْـهُ ريـبُ المنـونِ فطـاحَ الـ ـملــكُ عنـــه فبابـــهُ مهجـــورُ
وتـــذكَّرْ ربَّ الخورنـــقِ إذ أشــــ ـــرفَ يومـــاً وللهـــدَىٰ تـــذكيرُ
ســرَّهُ مالـــهُ وكثـــرةُ مـــا يمـــ ـلــكُ والبحــرُ مُعــرِضٌ والسـديرُ
فــارعوىٰ قلبــهُ وقــالَ ومــا غبـــ ـطــةُ حــيٍّ إلــىٰ الممــاتِ يصــيرُ؟
ثــمَّ بعــد الفــلاحِ والملــكِ والإمَّــ ـــةِ وارتهـــمُ هنـــاكَ القبـــورُ(١)
ثـــمَّ أضـــحوا كـــأنَّهم ورقٌ جـــفَّ فـــألْوَتْ بـــه الصَّـــبا والـــدَّبورُ(٢)

قال: فبكىٰ هشام حتَّىٰ اخضلَّتْ لحيته، وبلَّ عمامته، وأمرَ بنزلِ القبَّة، ونقلِ فراشهِ وحشمهِ وغاشيتهِ من أهلهِ وجلسائه، فأقبلَ الموالي والحشَمُ علىٰ خالد بنِ صفوان فقالوا: ما أردتَ إلىٰ أميرِ المؤمنين؟ أفسدتَ عليه لذَّته، ونغَّصتَ عليه باديته، فقال: إليكم عنِّي، فإنِّي عاهدتُ الله تعالىٰ أن لا أخلوَ بملكٍ إلَّا ذكَّرتهُ اللهَ سبحانه(٣).

أتىٰ الحجَّاجَ شيخٌ فقال: أيُّها الأمير، إنَّ لي عيالاً من بناتٍ وزوجة، ولي ابنٌ ما يُعينني علىٰ عَيلتي بشيء، وإنَّما هو في غرفةٍ له، لا يدخلُ عليه أحدٌ إلَّا أن تقامَ الصَّلاة، فيخرج، ثمَّ يرجعُ إلىٰ غرفته. قال: فظنَّ الحجَّاجُ أنَّه من بعضِ بُغياته، فأرسلَ إليه، فجيءَ به، فقالَ له الحجَّاج: أتعرفُ هذا؟

---

(١) الإمة: النعمة.

(٢) ألوت به: ذهبت به. والصَّبا: ريح تهبُّ من المشرق، والدبور عكسه.

(٣) تاريخ دمشق ١٦/٩٧، المنتظم لابن الجوزي ٧/٢١٥، الأغاني للأصفهاني ٢/١٣٦، كتاب التوابين لابن قدامة ص ٣٩، والرقة والبكاء له ص ٩٣.

[١٧٩/ب] قال: نعم، قال: من هو؟ قال: والدي يرحمهُ الله، قال: قد زعمَ أنَّ له عيالاً من بناتٍ وزوجةٍ ما تعينهُ عليهم بشيء، إنَّما أنت في غرفةٍ لا تخرجُ إلىٰ أحدٍ إلَّا أن تقامَ الصَّلاة، فتخرجُ فتصلِّي، ثمَّ ترجعُ إلىٰ غرفتك، قال: صدق، قال: فما حملكَ علىٰ ذلك؟ فقال: إنِّي وجدتُ نفسي مرتهنةً بأمرٍ لا يفكُّها من ذلك الأمرِ أحدٌ غيرُها، فأنا أعملُ في فكاكها، فقالَ الحجَّاج: زعمتَ أنكَ وجدتَ نفسكَ مرتهنةً بأمرٍ لا يفكُّها من ذلك الأمرِ أحدٌ غيرُها، فأنت تعملُ في فكاكها، صدقت، فما تقولُ في عثمان؟ فقال: ما أقولُ في عثمان؟ أقول: إنَّ الله باعثهُ فمحاسبهُ، فمجازيهِ بنيَّته، فقالَ له الحجَّاج: صدقت، فما تقولُ فيَّ؟ فقال: ما أقولُ فيك؟ أقول: إنِّي لم أعاتبِ الشيطانَ قطُّ في رجلٍ كمعاتبتي فيك، قال، وكان متَّكئاً علىٰ سريره، فاستوىٰ جالساً وقال: تقولُ له ماذا؟ فقال: أقولُ له: إن كان الحجَّاجُ يعملُ ما يعمل، وهو يعلمُ أنَّ الله تعالىٰ يسخطه، يبتغي مرضاةَ مخلوق، فما أعلمُ أحداً من النَّاس أحمقَ منه، فقال: صدقت، وكان إلىٰ جنبهِ أخوه، فضربَ بيدهِ علىٰ كتفِ أخيهِ وقال: ألم أكنْ أقولُ لكَ هذا؟ ثمَّ قالَ للغلام: سلني حاجتك، فقال: ما لي حاجة، قال: سلني حاجتك، قال: [١٨٠/أ] حاجتي أن تردَّني إلىٰ غرفتي ولا تخرجني منها. فخلَّىٰ سبيله. قالَ إبراهيم بنُ عُيينة: ما نجا منه أحدٌ كما نجا هذا الغلام.

وقالَ عمر بنُ عبدالعزيز لبعضٍ من قدمَ عليه: عظني، فقالَ له الرجل: إنَّك يا أميرَ المؤمنين أولُ خليفةٍ تموت، فقالَ عمر: زدني، فقالَ الرجل: يا عمر، إذا كان الله معكَ من تخاف؟ قال: زدني، قال: إذا كان الله عليكَ من ترجو؟ قال: حسبي، حسبي.

وحكيَ عن عبدالملك بن مروان أنَّه رأىٰ عمر بنَ عبدالعزيز فقال: أرىٰ هذا الغلامَ له همَّه، وأظنُّ أنَّه سيتركُ الدنيا.

ودخلَ سابق البربريُّ علىٰ عمر بنِ عبدالعزيز، فقالَ له: عظني وأوجر، قال: نعمْ يا أميرَ المؤمنين، وأُبلغُ إن شاءَ الله، قال: هات، فأنشدَهُ قولَ الأعشىٰ:

إذا أنت لم ترحلْ بزادٍ من التقىٰ ولاقيتَ بعد الموتِ من قد تزوَّدا
ندمتَ علىٰ أن لا تكونَ كمثلهِ وأرصدتَ قبلَ الموتِ ما كان أَرصَدا

فبكىٰ عمر، وسقطَ مغشيًّا عليه[1].

وقالَ عمر بنُ عبدالعزيز لابنٍ لسليمان بن عبدالملك: صحبتُ آباءك، فما رأيتُ حرصاً يشبهُ حرصَهم علىٰ الدنيا، ماتوا وتركوها، احذرْ ما كانوا عليها[2].

وكتبَ رجلٌ إلىٰ عبدالله بن الزُّبير: أمَّا بعد، فإنَّ لأهلِ التقوىٰ علاماتٍ يُعرَفون بها، ويعرفونها من أنفسهم، [١٨٠/ب] من صبرٍ علىٰ البلاء، ورضًا بالقضاء، وشكرِ النَّعماء، وذلٍّ لحكمِ القرآن، وإنَّما الإمامُ كالسوق، ما نَفقَ فيها حُمل إليها، إن نفقَ عندهُ الحقُّ حُملَ إليه الحقّ، وجاءَهُ أهلُ الحقّ، وإن نَفقَ عندهُ الباطلُ حُمِلَ إليه الباطل، وجاءَهُ أهلُ الباطل[3].

---

(١) تاريخ دمشق ١٣/٢٠، الوافي بالوفيات ٤٤/١٥، والبيتان في ديوان الأعشىٰ ص ٤٣، وعجز البيت الأخير فيه: وأنك لم ترصد لما كان أرصدا.

(٢) سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي ص ١٤١.

(٣) الزهد لأبي داود (٣٧٦)، صفة الصفوة ٣٠٤/١.

قالَ ابن سيرين: كتبَ الحكم بن عمرو الغفاري[١] إلىٰ زياد: إلىٰ الأميرِ زياد بنِ الحكم بن عمرو، أما بعد: فقد أتاني كتابُك، تذكرُ أنَّ أميرَ المؤمنين كتبَ إليكَ يأمُرُكَ أن تستصفيَ له الصفراءَ والبيضاء[٢]، وإنِّي نظرتُ في كتابِ الله ﷻ فوجدتهُ قبلَ كتابِ أميرِ المؤمنين، وإنَّ السماواتِ والأرض لو كانتا رتقاً علىٰ امرئٍ فاتَّقىٰ الله ﷻ، جعلَ الله ﷻ له مخرجاً، والسلامُ عليك.

قالَ ابنُ سيرين: فلا والله ما أحارَ زيادٌ جواباً إلىٰ الساعة[٣].

قال: ونظرَ سريع الأهوازي إلىٰ غلامٍ من أولادِ الملوكِ يتوقَّىٰ الأطعمةَ والحرَّ والبرد، فقالَ له: لمَ تفعلُ هذا؟ فقال: أخافُ من الموت، فقالَ له: فاحذرْ أن تصيرَ إلىٰ دارٍ تتمنَّىٰ الموتَ فلا تقدرُ عليه[٤]!

قالَ شبيب بنُ شيبة[٥]: قالَ لي أبو جعفر[٦]، وكنتُ من سمَّاره: يا

---

(١) صحابي أمير من غفار. نزل البصرة، وله رواية، وفضل، وصلاح، ورأي، وإقدام. جاءه رسول علي رضي الله عنه فقال: إن أمير المؤمنين يقول: إنك أحق من أعاننا، قال: إني سمعت خليلي ﷺ يقول: «إذا كان الأمر هكذا اتخذ سيفًا من خشب». مات بخراسان واليًا سنة ٥١ هـ. سير أعلام النبلاء ٢/٤٧٤.

(٢) الصفراء والبيضاء: الذهب والفضة.

(٣) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٧/٢٨، سير أعلام النبلاء ٢/٤٧٥. وورد في الأصل: «أجار زياد». وأحار الجواب: ردَّه.

(٤) القول دون عزو في العاقبة في ذكر الموت لابن الخراط ص ٤١، وإحياء علوم الدين ٤/٤٥١، وذكر الزبيدي أنه من رواية ابن أبي الدنيا. إتحاف السادة المتقين ١٠/٤٥٤.

(٥) شبيب بن شيبة المنقري البصري. كان فصيحًا، بليغًا، أخباريًّا. روىٰ عن الحسن وابن سيرين. ت ١٦٢ هـ. العبر ١/١٨٤.

(٦) أبو جعفر المنصور، الخليفة.

شبيب، عظني وأوجز، قال: قلت: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ الله ﷻ لم يرضَ لكَ من نفسهِ بأن يجعلَ فوقكَ أحداً من خلقه، فلا ترضَ من نفسِكَ أن يكونَ عبدٌ هو [١٨١/أ] أشكرَ له منك، قال: والله لقد صدقتَ وأوجزت، قلت: والله لقد قصَّرتُ وما بلغتُ كنهَ النعمةِ فيك(١).

قالَ شبيب: كنتُ في الطواف، إذ لحقني أبو جعفر المنصور، فأخذَ بيدي، فشبَّكَ بين أصابعهِ وأصابعي، ثمَّ طُفنا جميعاً، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، أتأذنُ لي أن أكلِّمك؟ قال: هات، قلت: يا أميرَ المؤمنين، إنَّ الله ﷻ يومَ قسمَ أقسامه، لم يرضَ لكَ منها إلَّا بأعلاها وأسناها، فلم يجعلْ فوقكَ في الدنيا أحداً، فلا ترضَ لنفسِكَ أن تجعلَ فوقكَ في الآخرةِ أحداً.

يا أميرَ المؤمنين، إنَّ الله أعطاكَ الدنيا بأسرها، فاشترِ نفسكَ منه ببعضها.

يا أميرَ المؤمنين، اتَّقِ الله، فإنَّها وصيَّةُ الله إليكم جاءت، وعنكم قيلت.

يا أميرَ المؤمنين، إنَّ الله لم يرضَ من آل داودَ وقد نَفَلهم(٢) الدنيا ورقَّاهم فيها، فلم يجعلْ ما أنفقوا إسرافاً، ولا ما أمسكوا كنزاً، فقال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [ص: ٣٩]، ثمَّ جعلهم على أمانٍ من العاقبة، فقالَ تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾ [ص: ٤٠]، ثمَّ لم يرضَ منهم مع ذلك إلَّا بالشكر، فقالَ تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]. وإنَّ شكركَ في عبادِ الله ﷻ العدلُ عليهم، والإحسانُ إليهم،

(١) تاريخ مدينة السلام للخطيب ٣٧٨/١٠، المنتظم لابن الجوزي ٢٧٣/٨.
(٢) في الأصل: تفلهم. ونفلهم بمعنى وهبهم.

والتَّجاوزُ عن مسيئهم.

قال: ثمَّ مكثتُ سُنيَّات، ثمَّ إنِّي [١٨١/ب] لأطوفُ بالبيت، إذ لحقني، ففعلَ بي مثلَ فعلهِ الأول، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، أتأذنُ لي أن أكلِّمْكَ؟...[1] فقال: إن كان لكَ حاجةٌ في خاصَّتِكَ فهاتها، وإن كانت للعامَّةِ فنحن نقومُ بأمرِ العامَّة، قلت: يا أميرَ المؤمنين، أمَّا حاجتي في خاصِّ نفسي، فمثلي لا يَسألُ في هذا المقامِ إلَّا اللهَ ﷻ، وأمَّا حاجةُ العامَّة، فأنت لعمري أعلىٰ بها عيناً. ثمَّ أخذتُ في حديثٍ آخر.

مقام الأوزاعي بين يدي المنصور

ذكرهُ عبدالله بن المبارك عن رجلٍ من أهلِ الشامِ عنه، قال: دخلتُ عليه فقالَ لي: ما بطَّأَ بكَ عنِّي؟ فقلت: يا أميرَ المؤمنين، وما الذي تريدُ منِّي؟ قال: الاقتباسُ منك، قلت: انظرْ ما تقول، فإنَّ مكحولاً حدَّثني عن عطية بن بُسْر[2]، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**من بلغَهُ عن الله نصيحةٌ في دينه، فهي رحمةٌ من الله سيقتْ إليه، فإن قبلَها من الله بشكر، وإلَّا كانت حجَّةً من الله عليه؛ ليزدادَ إثماً، ويزدادَ الله عليه غضباً، وإن بلغَهُ شيءٌ من الحقِّ فرضي، فله الرضا، وإن سخطَ فله السخط، ومن كرهَهُ فقد كرهَ الله، إنَّ الله هو الحقُّ المبين**»، فلا تجهلنّ، قال: وكيف أجهل؟ قلت: تسمعُ ولا تعملُ بما تسمع، قال الأوزاعي: فسلَّ عليَّ الربيعُ[3] السيفَ وقال: تقولُ لأميرِ المؤمنين هذا؟

(١) فراغ، مكان كلمة أو كلمتين.
(٢) ويأتي في مصادر بالشين (بشر). وهو أخو عبدالله بن بسر، شاميّ.
(٣) الربيع بن يونس، حاجب الخليفة أبي جعفر.

فانتهرَهُ وقال: أمسِكْ. [١٨٢/أ].

ثمَّ تكلَّمَ الأوزاعي، فكان في كلامه: إنَّك أصبحتَ من هذه الخلافةِ بالذي أصبحت، واللهُ سائلُكَ عن صغيرها وكبيرها، وفتيلِها ونقيرها(١)، ولقد حدَّثني عروة بن رويم(٢)، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**ما من راعٍ في بيتٍ غاشًّا لرعيَّته، إلَّا حرَّمَ الله عليه رائحةَ الجنَّة**»، فحقيقٌ على الوالي أن يكونَ لرعيَّتهِ ناظراً، ولما استطاعَ من عوراتهم ساتراً، وبالقسطِ فيما بينهم قائماً، لا يتخوَّفُ محسنُهم منه رهَقاً، ولا مسيئُهم منه عدواناً، فقد **كانت بيدِ رسولِ الله ﷺ جريدةٌ يستاكُ بها ويردعُ المنافقين، فأتاهُ جبريلُ صلَّى الله عليه فقال: «يا محمَّد، ما هذه الجريدةُ بيدك؟ اقذفها، لا تملأْ قلوبَهم رُعباً»**. فكيف من سفكَ دماءَهم، وشقَّقَ أبشارَهم، وأنهبَ أموالهم؟!

يا أميرَ المؤمنين، إنَّ المغفورَ له ﷺ ما تقدَّمَ من ذنبهِ وما تأخَّر، **دعا إلى القصاصِ من نفسهِ بخدشٍ خدشَهُ أعرابيًّا(٣) لم يتعمَّده، فهبطَ عليه جبريلُ ﷺ فقال: يا محمَّد، إنَّ الله لم يبعثْكَ جبَّاراً تكسرُ قرونَ أمَّتك**.

واعلمْ أنَّ كلَّ ما في يدِكَ لا يعدلُ شربةً من شرابِ الجنَّة، ولا ثمرةً من ثمارها، قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لَقابُ قوسِ أحدِكم من الجنَّة، أو قُذَّة(٤)، خيرٌ له من الدنيا بأسرها**» [١٨٢/ب].

(١) فتيل النواة: الخيط الذي في شقّها، والنقير: النقرة التي في ظهرها.
(٢) تابعي.
(٣) في الأصل: أعرابي.
(٤) القذة: ريش الطائر بعد تسويته.

إنَّ الدنيا تنقطعُ ويزولُ نعيمُها، ولو بقيَ الملكُ لمن قبلكَ لم يصلْ إليك.

يا أميرَ المؤمنين، لو أنَّ ثوباً من ثيابِ أهلِ النَّارِ عُلِّقَ بين السماءِ والأرضِ لأذابهم، فكيف بمن يتقمَّصه؟ ولو أنَّ ذَنوباً من النَّار صُبَّ على ماءِ الأرضِ لأجَنَه[1]، فكيف بمن يتجرَّعه؟ ولو أنَّ حلقةً من سلاسلِ جهنَّمَ وُضِعَتْ على جبلٍ لذاب، فكيف بمن تسلَّكَ فيه، ويردُّ فضلَها على عاتقه؟

وقالَ عمر بنُ الخطَّاب رضي الله عنه: لا يقومُ بأمرِ النَّاسِ إلَّا حصيفُ العقدة[2]، بعيدُ الغِرَّة[3]، لا يطَّلعُ النَّاسُ منه على عورة، ولا يحنقُ في الحقِّ على حسرة[4]، ولا يأخذهُ في الله لومةُ لائم.

والسلطانُ أربعة: أميرٌ يَظلِفُ نفسَهُ وعمَّالَه[5]، فذلك المجاهدُ في سبيلِ الله، وصلاتهُ سبعونَ ألفَ صلاة، ويدُ الله ترفرفُ بالرحمةِ على رأسه، وأميرٌ رتعَ ورتعَ عمَّالُه[6]، فذلك يحملُ أثقالَهُ وأثقالاً مع أثقاله، وأميرٌ يَظلِفُ نفسَهُ ويَرتَعُ عمَّالُه، فذاكَ الذي باعَ آخرتَهُ بدنيا غيره، وأميرٌ يرتعُ ويظلِفُ عمَّالَه، فذاكَ شرُّ الأكياس.

---

(١) الذَّنوب: الدلو التي لها ذنَب. وأجَنَ الماءُ: تغيَّر طعمه ولونه.

(٢) في الأصل «خصيف العقدة» والمثبت من المصادر. ورجل حصيف: مستحكم العقل.

(٣) الغرة: الغفلة.

(٤) في مصادر: على جرَّة. وهو الصحيح. والجرة: ما يفيض به البعير فيأكله ثانية. ويعني أنه لا يضمر الحقد على أحد.

(٥) بمعنى يشدد عليهم ويمنعهم من الشر.

(٦) أي: أكلوا وتنعموا من الحرام.

اعلمْ يا أميرَ المؤمنين، أنَّك قد ابتُليتَ بأمرٍ عظيم، عُرِضَ على السماواتِ والأرضِ والجبال، فأبينَ أن يقبلنه، وأشفقنَ منه[1]، وقد جاءَ عن جدِّك[2] في تفسيرِ قولِ الله تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، [١٨٣/أ] أنَّ الصغيرةَ التبسُّم، والكبيرةَ الضحك[3]، وقال: فما ظنُّكم بالكلام، وما عملتهُ الأيدي؟ فأعيذُكَ بالله أن يخيَّلَ إليكَ أنَّ قرابتكَ برسولِ الله ﷺ تنفعُ مع المخالفةِ لأمره، فقد قالَ رسولُ الله ﷺ: «**يا صفيَّةُ عمَّةَ محمَّد، ويا فاطمةُ بنتَ محمَّد، استوهبا أنفسَكما من الله، إنِّي لا أغني عنكما شيئاً**».

وكان جدُّكَ الأكبرُ[4] سألَ رسولَ الله ﷺ إمارة، فقال: «**أي عمّ، نفسٌ تُحييها، خيرٌ لكَ من إمارةٍ لا تُحصيها**». نظراً لعمِّهِ وشفقةً عليه أن يليَ فيجوزَ عن سنَّتهِ جناحَ بعوضة، فلا يستطيعَ له نفعاً، ولا عنه دفعاً.

هذه[5] نصيحتي، إن قبلتها فلنفسِكَ عملت، وإن رددتها فنفسَكَ بخست، والله الموفِّقُ للخيرِ والمعينُ عليه.

قال: بل أقبلها، وتُشكرُ عليها، وبالله أستعين[6].

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

(٢) ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان، عند تفسير الآية الكريمة، والسيوطي في الدر المنثور، وغيرهما.

(٤) العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه.

(٥) في الأصل: هذا.

(٦) رواه البيهقي بأطول منه في شعب الإيمان (٧٤٠٩ ـ ٧٤٢١)، وأورد فيه قول الحاكم:=

مقام محمَّد بن كعب القرظي بين يدي عمر بن عبدالعزيز

قال: إنَّما الدنيا سوقٌ من الأسواق، فمنها خرجَ النَّاس، بما ينفعُهم وبما يضرُّهم، وكم من قومٍ قد غرَّهم مثلُ الذي أصبحنا فيه حتَّىٰ أتاهم الموتُ فاستوعبهم، فخرجوا من الدنيا مُرْمِلين[1]، لم يأخذوا لما أحبُّوا من الآخرةِ عُدَّة، ولا لما كرهوا جُنَّة، فاقتسمَ ما جمعوا مَن لم يحمدهم، وصاروا إلىٰ من ليس يعذرهم، فانظرْ إلىٰ ما تحبُّ أن يكونَ معكَ إذا قدمت، [١٨٣/ب] فابتغِ به البدلَ حيثُ يجوزُ البدل، ولا تذهبنَّ إلىٰ سلعةٍ قد بارتْ علىٰ غيرِكَ[2] ترجو جوازَها عنك.

يا أميرَ المؤمنين، افتحِ الأبواب، وسهِّلِ الحجاب، وانصرِ المظلوم[3].

كتبَ رجلٌ إلىٰ بعضِ الحكماء: إنَّ لي نفساً تحبُّ الدَّعة، وقلباً يألفُ اللَّذَّات، وهمَّةً تستثقلُ الطاعة، وقد وهَّمتُ نفسيَ الآفات، وحذَّرتُ قلبي الموت، وزجرتُ همَّتي عن التقصير، فلم أرضَ بما رجعَ إليَّ منهنّ، فاهدِ لي ـ رحمكَ الله ـ ما أستعينُ به علىٰ ما شكوتُ إليك، فقد خفتُ الموتَ قبلَ الاستعداد.

= هذا حديث تفرد به أبو جعفر أحمد بن عبيد بن ناصح الأديب، وهو مقدم في أصحاب الأصمعي، يلقب بأبي حدث، عن يحيىٰ بن صاعد وغيره من الأئمة. اهـ. وقد نقله المؤلف من عيون الأخبار ٣٦٦/٢، فهو بلفظه، وموجود في العقد الفريد ١٠٧/٣، ونقله صاحب جمهرة خطب العرب ٥٠/٣.

(١) مرملين: بغير زاد.

(٢) بارت: كسدت.

(٣) المجالسة وجواهر العلم (٦١٥)، عيون الأخبار ٣٧٠/٢، تاريخ دمشق ١٤٩/٥٥.

فكتبَ إليه: كثرَ تعجُّبي من قلبٍ يألفُ الدنيا[1]، ونفسٍ تطمئنُّ إلىٰ البقاء، والساعاتُ تنقلها، والأيامُ تطوي أعمارنا، فكيف يألفُ قلبٌ ما لا ثباتَ له، وكيف تنامُ عينٌ لا تدري لعلَّها لا تطرفُ بعد رؤيتها إلَّا بين يدي الله ﷻ؟ والسَّلام[2].

وقالَ بعضُ الصالحين في معنىٰ ذلك:

وكيف تنامُ العينُ وهي قريرةٌ ... ولم تدرِ في أيِّ المحلَّين تَنزلُ[3]

وقالَ أبو الدرداء: أضحكني ثلاث، وأبكاني ثلاث، أضحكني مؤمِّلُ دنيا والموتُ يطلبه، وغافلٌ وليس بمغفولٍ عنه، وضاحكٌ ملءَ فيه ولا يدري أراضٍ الله عنه أم ساخطٌ عليه.

وأبكاني فراقُ الأحبةِ محمَّدٍ وحزبه، وهولُ المطلعِ والوقوفُ غداً بين يدَي الله [١٨٤/أ] يومَ تبدو السريرة، ثمَّ لا أدري إلىٰ جنَّةٍ أو إلىٰ النَّار[4]. وهذا الضحكُ المذكورُ تعجُّباً منه.

وروي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أوصاني ربِّي بتسع: بالإخلاصِ في السِّرِّ والعلانية، والعدلِ في الرِّضا والغضب، والقصدِ في الفقرِ والغنىٰ، وأن أعفوَ عمَّن ظلمني، وأصِلَ من قطعني، وأعطيَ من حرَمني، وأن يكونَ صمتي**

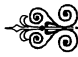
---

(١) في مصدره: يألف الذنب.

(٢) عيون الأخبار ٢/٣٧٣.

(٣) المنامات لابن أبي الدنيا (١٤٥)، حلية الأولياء ٩/٣٤٣. ووردت آخر كلمة في الأصل: تترك.

(٤) قصر الأمل (٢٩)، صفة الصفوة ١/٢٠٨، والقول فيهما لسلمان، تنبيه الغافلين ص ٤٠، التذكرة بأحوال الموتىٰ ص ٣٠٠، والقول فيهما لأبي ذر.




تفكُّراً، ومنطقي ذكراً، ونظري عبراً»[١].

وكان ابنُ عمر رضي الله عنه يقول: البرُّ شيء هيِّن، وجهٌ طليق، وكلامٌ ليِّن[٢].

قالَ عبيدالله بنُ عمر: دخلتُ أنا ويحيىٰ بن سليمان علىٰ الفضيلِ نعوده، فقالَ يخاطبُ نفسه: روَّحكَ[٣] وخوَّلك، وصرفَ وجوهَ النَّاسِ إليك، وأنت يشغلُكَ عنه: من أنت، وما أنت؟ ثمَّ شهقَ شهقة، وأضجعَهُ رجلٌ كان معه، وغطَّىٰ عليه ثوباً وهو لا يعقل، ونزلنا[٤].

وروي عن أبي حازم[٥] أنَّه قال: السِّرُّ أملكُ بالعلانيةِ من العلانيةِ بالسِّرِّ، والفعلُ أملكُ بالقولِ من القولِ بالفعل، فإذا كنتَ في زمانٍ يُرضَىٰ فيه من الفعلِ بالقول، ومن العملِ بالعلم، فأنت في شرِّ زمان، وشرِّ أُناس[٦].

وفي البكاء

ما روىٰ عبدالله بنُ عمرو بن العاص قال: دخلَ يحيىٰ بن زكريَّا عليهما السلام بيتَ المقدسِ وهو ابنُ ثمانِ حِجَج، فنظرَ إلىٰ عُبَّادِ بيتِ المقدسِ قد لبسوا مدارعَ

(١) يرد هذا في كتب الأدب: الفاضل للمبرد ص ١٥، البيان والتبيين ٢/١٧ (عن الحسن رفعه)، عيون الأخبار ٢/٣٩٠ (عن الحسن بن ذكوان رفعه)، العقد الفريد ٢/٢٥٦. ويلاحظ اعتماد المؤلف علىٰ (عيون الأخبار) كثيرًا.

(٢) مداراة الناس (١٠٩)، الصمت لابن أبي الدنيا (٣١٦)، شعب الإيمان (٨٠٥٩).

(٣) روَّحه بمعنىٰ أراحه، أو أنعشه وطيَّبه. وورد في مصدره: زوَّجك.

(٤) عيون الأخبار ٢/٣٩١.

(٥) هو سلمة بن دينار الأعرج رحمه الله.

(٦) عيون الأخبار ٢/٣٩١، تاريخ مدينة دمشق ٢٢/٥٥، الإخلاص والنية (٣٤) والقول في الأخير لداود بن المغيرة.




الشعرِ وبرانسَ الصوف(١)، ونظرَ إلىٰ متهجِّديهم، أو قال: [١٨٤/ب] قد خرقوا التراقي(٢)، وسلَّكوا فيها السلاسل، وشدُّوها إلىٰ جدارِ بيتِ المقدس، فهالَهُ ذلك، ورجعَ إلىٰ أبويه، فمرَّ بصبيانٍ يلعبون، فقالوا: يا يحيىٰ، هلمَّ فلنلعب، فقال: إنِّي لم أُخلقْ للَّعب، فذاكَ قولهُ تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]، فأتىٰ أبويه، فسألهما أن يدرِّعاه الشَّعر، ففعلا، ثمَّ رجعَ إلىٰ بيتِ المقدس، فكان يخدمُ نهاره، ويأوي فيه ليلاً، حتَّىٰ أتتْ له خمسَ عشرةَ حِجَّةً وافاهُ الخوف، فساح، ولزمَ أطرافَ الأرضِ وغِيرانَ الشِّعاب(٣)، وخرجَ أبواهُ في طلبه، فوجداهُ حين نزلا من جبالِ الثنيَّةِ علىٰ بحيرةِ الأردن، وقد قعدَ علىٰ شفيرِ البحيرةِ وأنقعَ قدميهِ في الماء، وقد كادَ العطشُ يذبحه، وهو يقول: وعزَّتِكَ لا أذوقُ بردَ الشرابِ حتَّىٰ أعلمَ أين مكاني منك. فسألَهُ أبواهُ أن يأكلَ قرصاً كان معهما من شعيرٍ ويشربَ من الماء، فقبل، فكفَّرَ عن يمينه، فمُدِحَ بالبرِّ، قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤].

وردَّهُ أبواهُ إلىٰ بيتِ المقدس، فكان إذا قامَ في صلاتهِ بكىٰ، ويبكي زكريّا لبكائهِ حتَّىٰ يُغشَىٰ عليه، فلم يزلْ كذلك حتَّىٰ خرمَتْ دموعهُ لحمَ خدَّيهِ وبدَتْ أضراسه، فقالت له أمُّه: يا يحيىٰ، لو أذنتَ لي لأتَّخذنَّ لك لِبَداً(٤) لتواريَ أضراسكَ عن الناظرين، قال: أنتِ وذاك، فعمدتْ إلىٰ قطعتَي لُبودٍ

(١) المدارع جمع مدرعة، وهي جبة صوف مشقوقة من مقدمتها، والبرنس: الثوب الذي رأسه منه، ويأتي بمعنىٰ القلنسوة الطويلة أيضًا.
(٢) جمع تَرْقوة: العظمة المشرفة بين ثُغرة النحر والعاتق.
(٣) جمع غَوْر: كل منخفض من الأرض.
(٤) اللِّبد: كل شعر أو صوف متلبّد (مركب بعضه علىٰ بعض).




فألصقتهما على خدِّه، فكان إذا بكى [١٨٥/أ] استنقعتْ دموعهُ في القطعتين، فتفزعُ إليه أمُّه فتعصرهما، فكان إذا نظرَ إلى دموعهِ تجري على ذراعَي أمِّه قال: اللَّهمَّ هذه أمِّي وهذه دموعي، وأنا عبدُكَ وأنت الرَّحمن(١).

وسمعتُ من يحكي في هذه القصَّةِ أنَّ زكريّا لمَّا طلبَ يحيى - عليهما السلام - في الجبالِ أتعبَهُ ذلك وكدَّه، فقال: اللَّهمَّ إنِّي سألتُكَ ولداً يَخلفُني في قومي ويرفِّهني، وقد رزقتني ولداً يكدِّني ويُتعبني، فأوحى الله تعالى إليه: يا زكريّا، أنسيتَ دعاءكَ لي وقولكَ: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾؟ [مريم: ٦].

وروى الحسن أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«ما من قطرةٍ أحبُّ إلى الله تعالى من قطرةِ دمٍ في سبيله، وقطرةِ دمعٍ في جوفِ الليلِ من خشيةِ الله، وما من جُرعَةٍ أحبُّ إلى الله من جرعةِ مصيبةٍ موجعةٍ ردَّها بصبرٍ وحُسنِ عزاء، وجرعةِ غيظٍ كظمَ عليها»**(٢).

وروى معتمر بنُ سليمان عن رجلٍ قال: كان في وجنتي ابنِ عباس خطَّان من أثرِ الدموع(٣).

وكان يزيد الرقاشيُّ يقول: ويحكَ يا يزيد! من يصومُ عنكَ ويصلِّي؟ من

(١) إحياء علوم الدين ٤/١٨٣، الرقة والبكاء لابن قدامة ص ٧٢، عيون الأخبار ٢/٣١٨.

(٢) لفظه موافق لما رواه عنه ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢/٣١٨. وبلفظ مقارب رواه ابن عساكر، كما ذكره له ابن النحاس في مصارع العشاق (٨٦٦) وقال: رواه هكذا موقوفًا عليه. اهـ. كما وجدت له لفظًا مقاربًا في إحياء علوم الدين ٤/١٣٣ من رواية أنس، لكن خرَّج له الحافظ العراقي روايتين لعليّ وأبي أمامة، في سنديهما محمد بن صدقة الفلكي وأنه منكر الحديث. وليس في سند ابن قتيبة هذا الفلكي.

(٣) المجالسة وجواهر العلم (٧٣١)، عيون الأخبار ٢/٣١٩.

ذا يترضَّىٰ لكَ ربَّكَ من بعدك؟ ثمَّ يقول: يا معشرَ مَن الموتُ موعدهُ والقبرُ بيته، ألا تبكون؟ وكان يبكي حتَّىٰ يسقطَ شفارُ عينيه(١).

ويقالُ إنَّه بكىٰ الحسنُ يوماً حتَّىٰ أبكىٰ من حوله، وقال: عجيجٌ كعجيجِ النِّساءِ ولا عزم، وخدعةٌ كخدعةِ [١٨٥/ب] إخوةِ يوسف ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءً يَبۡكُونَ﴾(٢) [يوسف: ١٦].

وقيلَ لغالب بن عبدالله: أما تخافُ علىٰ عينِكَ العمىٰ من كثرةِ البكاء؟ فقال: هو لها شهادة(٣).

وقالَ بعضهم:

سأبكيكَ حتَّىٰ تُنفِدَ العينُ ماءَها ... ويشفي منِّي الدمعُ ما أتوجَّعُ(٤)

قيلَ لعفيرةَ(٥) العابدة: ألا تسأمين من طولِ البكاء؟ فبكتْ وقالت: وكيف يسأمُ ذو داءٍ من شيءٍ يرجو أن يكونُ له فيه الشفاء(٦)؟

قالَ بعضُهم: أتيتُ الشام، فمررتُ بديرِ حرملة، وبه راهبٌ كأنَّ عينيهِ عدلا مَزادة(٧)، فقلت: ما يبكيك؟ قال: يا مسلم، أبكي علىٰ ما فرَّطتُ فيه من

---

(١) عيون الأخبار ٣١٨/٢. وشفار العين: حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر، وهو الهدب.

(٢) عيون الأخبار ٣١٩/٢. وعجيج النساء: صياحهن.

(٣) عيون الأخبار ٣١٩/٢.

(٤) الكامل في اللغة ٧٣/١، أمالي القالي ص ٦٢٨، عيون الأخبار ٣١٩/٢.

(٥) في الأصل: لفقيرة. وهي من العابدات بالبصرة، بكت حتىٰ عميت. أخبارها في صفة الصفوة ٢٤٧/٢.

(٦) صفة الصفوة ٢٤٨/٢، عيون الأخبار ٣٢٠/٢.

(٧) في الأصل: عزلا مزاده. والمزادة: الظرف الذي يحمل فيه الماء، كما في لسان العرب ١٩٩/٣.

عمري، وعلىٰ يومٍ مضىٰ من أجَلي لم يتبيَّنْ فيه عملي. قال: ثمَّ مررتُ به بعد ذلك فسألتُ عنه، فقالوا: أسلمَ وغزا، فقُتِلَ في بلادِ الرُّوم[1].

وقيل: إنَّ في بعضِ ما أوحىٰ الله ﷻ إلىٰ نبيٍّ من أنبيائه: هبْ لي من قلبِكَ الخشوع، ومن بدنِكَ الخضوع، ومن عينيكَ الدُّموع، وادعُني فإنِّي قريب[2].

ورويَ عن عمر رضي الله عنه أنَّه كان يقول: استغزروا العيونَ بالتذكُّر[3].

وروىٰ أنس بنُ مالك قال: جاءَ فتًىٰ من الأنصارِ إلىٰ رسولِ الله ﷺ فقال: إنَّ أمِّي تكثرُ البكاء، وأخافُ علىٰ بصرها أن يَذهب، فلو أتيتَها فوعظتَها. [١٨٦/أ].

فذهبَ معه ﷺ، فدخل، فقالَ لها في ذلك، فقالت: يا رسولَ الله، أرأيتَ إن ذهبَ بصري في الدنيا ثمَّ صرتُ إلىٰ الجنَّة، أيبدلني الله خيراً منه؟ قال: «نعم»، قالت: فإن لم يذهبْ بصري في الدنيا ثمَّ صرتُ إلىٰ النَّار، فأبعدَ الله بصري. فقالَ ﷺ للفتىٰ: **«أمُّكَ صدِّيقة»**[4].

وروىٰ الأوزاعي عن ثابت بن معبد قال: ثلاثُ أعينٍ لا تمسُّها النَّار:

---

(١) المنتقىٰ من كتاب الرهبان ص ٩٢، المجالسة وجواهر العلم (١٨٢٥)، عيون الأخبار ٢/٣٢٠.

(٢) عيون الأخبار ٢/٣٢١.

(٣) البيان والتبيين ٣/١٤٩، التذكرة الحمدونية ١/١٢٧، عيون الأخبار ٢/٣٢١.

(٤) رواه ابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار ٢/٣١٦ عن أبي مسعود الدارميّ قال: حدّثني جدّي عن أنس بن مالك... وآخره فيه: قالت: فإن ذهب بصري في الدنيا ثم صرت إلىٰ النار أفيعيد الله بصري؟ فقال النبيّ عليه السلام للفتىٰ: «إنّ أمّك صدّيقة».

عينٌ حرستْ في سبيلِ الله ، وعينٌ سهرتْ بكتابِ الله ، وعينٌ بكتْ في سوادِ الليلِ من خشيةِ الله[1] .

وقالَ أبو الدرداء: المؤمنون هم النَّوَّاحون العجَّاجون بالليلِ والنَّهار ، والله ما زالوا يقولون: ربَّنا ، ربَّنا ، حتَّىٰ استُجيبَ لهم[2] .

ورویٰ الأوزاعي قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّما مثَلُ عيني داود عليه السلام مثَلُ القِربتين تَنطِفان الماء ، لقد خدَّدتِ الدموعُ في وجهِ داودَ تخديدَ الماءِ في الأرض**»[3] .

وحكيَ أنَّه كان يُعاتَبُ من كثرةِ البكاء ، فيقول: ذروني أبكِ قبلَ يوم البكاء ، قبلَ تحريقِ العظامِ واشتعالِ اللحیٰ[4] ، قبلَ أن يُؤمرَ بي ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[5] [التحريم: ٦] .

---

(١) التهجد وقيام الليل (٤٩٣) ، عيون الأخبار ٣١٧/٢ ، ولفظه من الأخير ، وفيه حرّف اسم معبد إلىٰ سعيد .

(٢) حلية الأولياء ٣٣٥/٢ ، ذم الهویٰ ص ٤٢ ، من كلام قتادة في كليهما .

(٣) رواهما عن الأوزاعي ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٣٤٠) بلفظ: «إن مثل عَيني داود ﷺ كالقربتين تنطفان ماء ، ولقد كانت الدُّموع في وجهه خُدِّدتْ في وجهه كأخدود الماء في الأرض» ، والأوزاعي من أتباع التابعين ، فالحديث منقطع . ورواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ١٨٣/١ .
والقِربة: وعاء من الجلد يحفظ فيه الماء ، وتنطف: تقطر .

(٤) في الأصل «اللحاه» ، وفي الزهد لأحمد ـ بطبعاته ـ «اللحا» ، وفي إحياء عوم الدين «تخريق العظام واشتعال الحشا» ، بينما أشار في شرحه إتحاف السادة أنه «واشتعال الحصیٰ» . والمثبت من الرقة والبكاء وغيره .

(٥) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (٣٦٥) ، الزهد لأحمد ١٣٥/١ ، إحياء علوم الدين ١٨٢/٤ ، وشرحه إتحاف السادة المتقين ٤١١/٩ .

وقالَ محمَّد بن المنكدر: مكثَ آدمُ في الأرضِ أربعين سنةً ما يُبدي عن واضحته[1]، ولا ترقأُ له دمعة، فقالت له حوَّاء: إنَّا قد استوحشنا [١٨٦/ب] إلىٰ أصواتِ الملائكة، فادعُ ربَّكَ يُسمِعْنا أصواتهم، فقال: ما زلتُ مستحياً من ربِّي أن أرفعَ طَرفي إلىٰ أديمِ السماءِ ممَّا صنعت[2].

ورويَ عن سالم بن عبدالله بن عمر قال: كان من دعاءِ رسولِ الله ﷺ: «**اللَّهمَّ ارزقني عينين هطَّالتين تبكيان بذروفِ الدموع، وتشفياني من خشيتِك، قبلَ أن تكونَ الدموعُ دماً، والأضراسُ جمراً**»[3].

وحكيَ عن أبي هريرة أنَّه بكىٰ في مرضه، فقيلَ له: ما يبكيك؟ فقال: أبكي لبُعدِ سفري، وقلَّةِ زادي، وأنِّي أصبحتُ في صَعودٍ مُهبِطةٍ[4] علىٰ جنَّةٍ أو نار، لا أدري إلىٰ أيَّتهما يُسلَكُ بي[5].

ورويَ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّه قال: كونوا ينابيعَ العلم، مصابيحَ الهدىٰ، أحلاسَ البيوت، جُدَدَ[6] القلوب، خُلقَانَ الثياب، تُعرَفون في السماء،

(١) الواضحة: الأسنان التي تبدو عند الضحك.

(٢) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (٣١٨)، تاريخ دمشق ٤١٤/٧.

(٣) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (٤٤)، صفة النار (٢٢٠)، الزهد لابن المبارك (٤٨٠)، الزهد لأحمد ٤٢/١، الدعاء للطبراني (١٤٥٧)، حلية الأولياء ١٦٩/٢ ـ ١٩٧، عيون الأخبار ٣٠٥/٣. والحديث مرسل، فسالم تابعي ثقة، ولكن عند الطبراني وفي رواية لأبي نعيم: عن أبيه عن رسول الله ﷺ. وقد ضعفه من حديث عبدالله بن عمر في السلسلة الضعيفة (٢٩٠٥).

(٤) في الأصل: مهبط، وتصحيحه من مصدريه، والصَّعود: العقبة الشاقة.

(٥) كتاب المحتضرين (١٧٥، ٢٧٨)، عيون الأخبار ٣٣٣/٢.

(٦) في الأصل: اجده. وتصحيحه من المصادر المثبتة.

وتَخفَون علىٰ أهلِ الأرض[1].

وقالَ الثوري: قالَ عمر بنُ الخطَّاب ﷺ: يا معشرَ القرَّاء، ارفعوا رؤوسَكم، فقد وضحَ الطريق، لا تزيدوا[2] التخشُّعُ علىٰ ما في القلب، واستبقوا الخيرات، ولا تكونوا عبئاً علىٰ النَّاس[3].

وحكيَ عن الحسن ﷺ أنَّه كان يقول: إنَّ المؤمنَ قوَّامٌ علىٰ نفسه، يحاسبُ نفسَهُ لله، وإنَّما خفَّ الحسابُ يومَ القيامةِ علىٰ قومٍ حاسبوا [١٨٧/أ] أنفسَهم في الدنيا، وإنَّما شقَّ الحسابُ يومَ القيامةِ علىٰ قومٍ أخذوا هذا الأمرَ من غيرِ محاسبة. إنَّ المؤمنَ يرىٰ الشيءَ فيُعجبهُ فيقول: والله إنِّي لأشتهيك، وإنَّك لمن حاجتي، ولكن ما لي وصولٌ إليك، هيهات! حيلَ بيني وبينك. ويفرطُ منه الشيءُ فيرجعُ إلىٰ نفسهِ فيقول: ما لي ولهذا؟ ما أردتُ إلىٰ هذا؟ والله لا أعودُ إلىٰ هذا أبداً إنْ شاء الله. إنَّ المؤمنين قومٌ أوثقَهم القرآنُ، وحالَ بينهم وبين هلكتهم. إنَّ المؤمنَ أسيرٌ في الدنيا، يسعىٰ في فكاكِ رقبته، ولا يأمَنُ حتَّىٰ يلقَىٰ الله ﷻ، يعلمُ أنَّه مأخوذٌ عليه في سمعهِ وبصرهِ وجوارحه، يعلمُ أنَّه مأخوذٌ عليه ذلك كلُّه[4].

وحكيَ عن الحسن ﷺ أنَّه قال: أتَىٰ قيس بنُ عاصم[5] النَّبيَّ ﷺ فقال:

---

(١) التواضع والخمول (١١، ١٤)، العزلة والانفراد (٧٩، ١٤٢) وضعفه محققه. وأحلاس جمع حِلس، وهو ما يبسط في البيت من حصير ونحوه. والخُلقان: جمع خَلَق، وهو البالي من الثياب.

(٢) في الأصل: يزيد، والمثبت من الشعب والحلية.

(٣) إصلاح المال (٢١٩)، شعب الإيمان (٦٥٦٩)، حلية الأولياء ٣٨٢/٦، الآداب الشرعية والمنح المرعية ٢٧٨/٣.

(٤) صفة الصفوة ١٣٨/٢، محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (١٧).

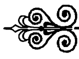
(٥) قيس بن عاصم المنقري، سيد أهل الوبر، جواد، عاقل، حليم. وفد علىٰ رسول الله=

يا رسولَ الله، ما المالُ الذي لا يكونُ عليَّ فيه تبعة، من ضيفٍ ضافني، أو عيالٍ إن كثروا؟ فقال: «[**نعمَ المالُ] الأربعونَ من الإبل، والأكثرُ ستون، وويلٌ لأصحابِ المئين، إلَّا من أعطَى في رِسْلِها ونَجدَتِها، وأفقرَ ظهرها، وأطرقَ فحلها، وأنحرَ سمينها، وأطعمَ القانعَ والمعترَّ**»، فقلت: يا رسولَ الله، ما أكرمَ هذه الأخلاقَ وأحسنَها! إنَّه لا يحلُّ بالوادي الذي أنا فيه من كثرةِ إبلي، قال: «**فكيف تصنعُ بالمنحة**»؟ قال: إنِّي لأمنحُ في كلِّ عامٍ مئة، قال: «**فكيف تصنعُ بالعاريَّة**»؟ قال: تغدو الإبلُ ويغدو [١٨٧/ب] النَّاس، فمن أخذَ برأسِ بعيرٍ ذهبَ به، قال: «**فكيف تصنعُ بالأفقار**»؟ قال: إنِّي لأُفقِرُ البِكرَ الضرعَ، والنابَ المدْبِرَ، قال: «**فمالُكَ أحبُّ إليكَ أم مالُ مولاك**»؟ قال: بل مالي، قال: «**فما لكَ من مالِكَ إلَّا ما أكلتَ فأفنيت، ولبستَ فأبليت، وأعطيتَ فأمضيت، وما بقيَ فلمولاك**»، [قلتُ: لمولايَ؟ قال: نعم، قلتُ]: والله لئن بقيتُ لأدعنَّ عددَها قليلاً.

قالَ الحسن: فقالَ ﵀: فلمَّا حضرتهُ الوفاةُ دعا بنيهِ فقال: يا بَنيَّ، خذوا عنِّي، فلا أحدَ أنصحُ لكم منِّي، إذا أنا متُّ فسوِّدوا كباركم ولا تسوِّدوا صغاركم، فيستسفهَ النَّاسُ كباركم وتهونوا عليهم، وعليكم باستصلاحِ المال، فإنَّه مَنبَهةٌ للكريم، ويُستغنىٰ به عن اللئيم، وإيَّاكم والمسألة، فإنَّها آخرُ كسبِ المرء، وإذا أنا متُّ فكفِّنوني في ثيابي التي كنتُ أصلِّي فيها وأصوم، وإيَّاكم والنِّياحةَ عليَّ، فإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ ينهىٰ عنها[1].

= صلَّىٰ اللَّه عليه وآله وسلم في وفد بني تميم فأسلم. الإصابة لابن حجر ٥/٣٦٦.

(١) المخلصيات (١٩٠٢، ٣٠١٥)، المفاريد لأبي يعلىٰ (١٠٨)، الفوائد لابن منده (١٧)، تاريخ المدينة لابن شبة ٢/٥٣٠، البيان والتبيين ٢/٢٤. وأورد البوصيري لفظ أبي يعلىٰ،=




رَوىٰ ابنُ المنادي بإسنادهِ عن الزهريّ، عن عائشة رضي الله عنها، أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان جالساً وحولَهُ نفرٌ من أصحابهِ من المهاجرين والأنصار، فقال: **«يا أيُّها النَّاس، إنَّما مثَلُ أحدِكم ومثَلُ مالهِ وأهلهِ وعمله، كرجلٍ له إخوةٌ ثلاثة، فقالَ لأخيهِ الذي هو مالهُ حين حضرتهُ الوفاة، ونزلَ به الموت: ما عندكَ لي، فقد نزلَ بي ما ترىٰ؟ فقالَ له: ما عندي [١٨٨/أ] لكَ غنًىٰ، وما عندي لكَ نفع، إلَّا ما دمتَ حيًّا، فخذْ منِّي الآن ما أردت، فإنِّي إذا فارقتُكَ يُذهَبُ بي إلىٰ غيرِ مذهبك، ويأخذني غيرُك»**.

ثمَّ التفتَ رسولُ الله ﷺ إلىٰ أصحابه فقال: **«أيَّ أخٍ ترونه»**؟ قالوا: ما نسمعُ طائلاً يا رسولَ الله.

فقال: **«ثمَّ قالَ لأخيهِ الذي هو أهله: قد نزلَ بي ما ترىٰ، فماذا لي عندك من الغنىٰ؟ فقال: عندي أن أمرِّضَك، وأقومَ عليكَ وأُعينك، فإذا متَّ غسَّلتُكَ**

= وقال في آخره: ورواه الحارث بن أبي أسامة عن داود بن المحبر، وهو ضعيف. إتحاف الخيرة المهرة (١٨٠٦)، وقال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير، وفي الأوسط باختصار، وفيه زياد الخصاص، وفيه كلام وقد وثق. مجمع الزوائد (٤٥٩٧). وذكر ابن حجر أن ابن سعد ساق الحديث إلىٰ الحسن بسند حسن. الإصابة ٥/٣٦٧.

وقد أورد المؤلف آخرها باختصار. وما بين المعقوفات من المصادر.

ومعنىٰ نجدها ورِسلها: الشدة والرخاء، يقول: يعطي وهي سمان حسان يشتد عليه إخراجها فتلك نجدتها، ويعطي في رسلها وهي مهازيل مقاربة. وقال الأزهري: معناه: إلا من أعطىٰ في إبله ما يشق عليه عطاؤه، فيكون نجدة عليه، أي شدة، ويعطي ما يهون عليه إعطاؤه منها مستهينًا به علىٰ رسله. ومعنىٰ أفقر ظهارها: أعارها للركوب، مأخوذ من ركوب فقار الظهر. ومعنىٰ «إني لأفقر البكر الضرع والناب المدبر» أي: أعيرهما للركوب، يعني الجمل الضعيف، والناقة الهرمة. النهاية في غريب الحديث والأثر، مواضع متفرقة.

وحنَّطتُكَ وكفَّنتُكَ وشيَّعتك، وحملتُكَ في الحمَّالين، أحملُ مرَّةً وأتركُ أخرىٰ، ثمَّ أرجعُ عنكَ فأُثني بخيرٍ عند مَن سألني».

ثمَّ قال ﷺ: «**أيَّ أخٍ ترون هذا**»؟ فقالوا: ما نسمعُ طائلاً يا رسولَ الله.

قال: «**ثمَّ قالَ لأخيهِ، الذي هو عمله: ماذا لي عندك، وماذا لديكَ لي**»؟ **قال: أشيِّعُكَ إلىٰ قبرِك، فأؤنسُ وحدتَك، وأُذهِبُ همَّك، وأجادلُ عنك»**.

ثمَّ قال: «**أيَّ أخٍ ترون هذا**»؟ فقالوا: خيرَ أخٍ يا رسولَ الله، قال: «**فالأمرُ هكذا**».

قالتْ عائشة: فقامَ عبدالله بنُ كُرز الليثي[1] فقال: يا رسولَ الله، أتأذنُ لي أن أقولَ علىٰ هذا شعراً؟ قال: «**نعم**»، قالت: فما باتَ إلَّا ليلتَهُ تلك حتَّىٰ غدا علىٰ رأسِ رسولِ الله ﷺ، فقالَ له: «**إيهِ يا ابنَ كُرز**»، فأنشد:

إنِّـي ومـالي والـذي قـدَّمتْ يـدي ... كـداعٍ إليــه صــحبَهُ ثــمَّ قائــلِ

[١٨٨/ب]

لأصــحابهِ إذ هــم ثلاثــةُ إخــوةٍ ... أعينـوا علـىٰ أمـري اليـومَ نـازلِ[2]

فــراقٌ طويــلٌ غيــرُ ذي مَثْنَويــةٍ ... فمـاذا لـديكم فـي الـذي هـو عامـلِ

فقالَ امرؤٌ منهم أنا الصاحبُ الذي ... أطيعُـكَ فيمـا شـئتَ قبـلَ النَّـوازلِ

فخــذْ مــا أردتَ الآنَ منِّــي فــإنَّني ... سيُسلَكُ بي في منهلٍ من مناهلي

وقــالَ امــرؤٌ قــد كنــتُ جــدًّا أحبُّــهُ ... وأوثـرهُ مِـن بينـهم فـي التفاضـلِ

(١) ذكره ابن حجر في الإصابة ٤/١٨٦ وأورد حديثه هذا ورواته.

(٢) الشطر الثاني مكسور، وتصحيحه من الإصابة: أعينوا علىٰ أمريْ الذي بيَ نازلِ.

غَنائي أنِّي جاهدٌ[1] لكَ ناصحٌ ... إذا جدَّ جدُّ الكربِ، غيرُ مقاتلِ
ولكنَّني باكٍ عليكَ ومعولٌ ... ومثنٍ بخيرٍ عند مَن هو سائلي
وأتَّبِعُ الماشين أمشي مشيِّعًا ... أُعينُ برفقٍ عنقَ كلِّ حاملِ[2]
إلىٰ بيتِ مثواكَ الذي أنت مدخَلٌ ... وأرجعُ مشغولاً بما هو شاغلي
كأن لم يكنْ بيني وبينكَ خُلَّةٌ ... ولا حُسنُ ودٍّ مرةً في التباذلِ
وذلك أهلُ المرءِ ذاكَ غَناؤهم ... وليسوا ولو كانوا حِراصاً بطائلِ
وقالَ أخٌ منهم أنا الأخُ لا ترَىٰ ... أخاً لكَ مثلي عند جهدِ الزلازلِ
لدىٰ القبرِ تلفيني هنالكَ قاعداً ... وعنكَ أُحامي في وجاعِ المحافلِ[3]
وأقعدُ يومَ الوزنِ في الكفَّةِ التي ... تكونُ عليها جاهداً في التناقلِ
فلا تنسَني واعلمْ مكاني فإنَّني ... عليكَ شفيقٌ ناصحٌ غيرُ خاذلِ
وذلك ما قدَّمتَ من كلِّ صالحٍ ... تلاقيهِ إن أحسنتَ يومَ التفاضلِ

قالتْ عائشة: فما بقيَ عند النَّبيِّ ﷺ عينٌ تَطرفُ إلَّا دمعتْ عيناه.

ثمَّ كان ابنُ كُرزٍ يمرُّ علىٰ مجالسِ أصحابِ [١٨٩/أ] رسولِ الله ﷺ، فيَستنشِدونه، فيُنشدُهم، فلا يبقىٰ من المهاجرين والأنصارِ أحدٌ إلَّا بكىٰ[4].

---

(١) في الأصل: جاهل.
(٢) الشطر الثاني مكسور، والصحيح كما في تاريخ دمشق: أُعينُ برفقٍ عقبة كل حاملِ.
(٣) في الأمالي الخميسية: رجاع التجادل.
(٤) رواه أبو الشيخ في أمثال الحديث (٣٠٧)، والعقيلي في الضعفاء الكبير ٣/٢٧٦، وابن عساكر في تعزية المسلم (٧٠)، ورواه ابن أبي حاتم في علل الحديث (١٨٤٨) وقال: سمعتُ أبي يقول: هذا حديث مُنكر من حديث الزهري، لا يشبه أن يكون حقًّا. اهـ.=

وهذا معلومٌ بالعقلِ والمشاهدة، لا يحتاجُ إلىٰ أثر.

وقالَ الحسنُ رحمه الله: رحمَ الله عبداً اكتسبَ طيِّباً، وأنفقَ قصداً، وقدَّمَ فضلاً ليومِ فقرِهِ وفاقته، ووجَّهَ الفضولَ حيثُ وجَّهها الله تبارك وتعالى، ووضعَها في مواضعها، فإنَّ الذين من قبلكم كانوا يأخذون بلاغاً من الدنيا، ويبتاعون بالفضلِ أنفسَهم من الله تعالىٰ.

إنَّ الله تعالىٰ قسمَ الدنيا للبلاء، وأباحَ الآخرةَ للجزاء.

وإنَّ المؤمنَ من لم يأخذْ دينَهُ عن رأيه، ولكن أتاهُ الله به فأخذَهُ عنه، وإنَّ سبيلَ الله سبيلٌ واحدةٌ جماعُها الهدىٰ، ومصيرُها إلىٰ الجنَّة، وإنَّ سبيلَ الشيطانِ سبلٌ متفرَّقةٌ جماعُها الضلالة، ومصيرُها إلىٰ النَّار.

وإنَّ هذا الإيمانَ ليس والله بالتمنِّي، ولا بالتحلِّي، ولكن ما وقرَ في القلوبِ وصدَّقتهُ الأعمال.

يا ابنَ آدم، وسعتْ لكَ الدنيا وكُلِّفتَ عملَ الآخرة، وقُرِّبَ لكَ الأجلُ وأُمرتَ بالعمل، وحقُّ الله عليكَ أفضلُ من العمل، ولن يرضَىٰ عنكَ إلَّا بما افترضَ عليك.

يا ابنَ آدم، إذا رأيتَ النَّاسَ في خيرٍ فنافسهم، وإذا رأيتَهم في هلكةٍ فذرهم، فقد رأيتَ أقواماً آثروا عاجلتَهم علىٰ عاقبتِهم [١٨٩/ب] فزلُّوا وهلكوا.

يا ابنَ آدم، إنَّما هما همَّان اجتمعا في قلبك: همٌّ من الله عز وجل، وهمٌّ من

= وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/٨٨٩ مبينًا عدم صحته، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٦٨٤٦): منكر.

العدوّ ، فرحمَ الله عبداً وقفَ عند همِّه ، فإن كان لله مضىٰ ، وإن كان من العدوِّ وقف ، إنَّ المؤمنَ وقَّافٌ متأنّ ، ليس كحاطبِ ليل . إنَّ هذا القرآنَ وثاقٌ من الله أوثقَ به المؤمنين عن هلكتِهم .

يا ابنَ آدم ، بعْ دنياكَ بآخرتِكَ تربحهما جميعاً ، ولا تبعْ آخرتكَ بدنياكَ فتخسرهما(١) .

هذا ـ نصركَ الله ـ من الكلامِ الحسنِ الواقع ، فأمَّا قوله: «ليس الإيمانُ بالتمنِّي ولا بالتحلِّي» معناهُ أنَّ من قنعَ(٢) من نفسهِ بإظهارِ الإيمانِ مع مخالفتهِ لأحكامه ، واعتقدَ أنَّه مع المؤمنين ، فهو متمنّ ، وكذلك من تحلَّىٰ به وتزيَّنَ بزينةِ المؤمنين ، ولم يصدقْ في دعواه ، وإنَّما المؤمنُ من تصوَّرَ الإيمانَ بقلبه ، وتفكَّرَ في أمره ، وعملَ بأعمالِ المؤمنين ، وسلكَ طريقَ الصالحين ، ألا ترىٰ إلىٰ قولهِ تعالىٰ في الذين قالوا آمنَّا: ﴿فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ ؟ [العنكبوت: ٣] .

وقوله: «العدوُّ هو الشيطان»(٣) ، قالَ سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] ، وإنَّما اتِّخاذهُ عدوَّاً بمخالفته ، وردِّ نصيحتهِ ودعوته .

وقوله: «إنَّ القرآنَ وثاقٌ من الله تعالىٰ أوثقَ به المؤمنين» ، فمعناهُ أنَّه المثبتُ للنبوَّة ، بالفكرِ فيه يتَّضحُ له الحقّ ، وينيرُ له الرشد . وقد قدَّمنا أصنافَ الدلائلِ منه ، وفيه التحذيرُ [١٩٠/أ] من كلِّ شرّ ، والدعاءُ إلىٰ كلِّ خير ، يُصلحُ الفكرُ فيه

(١) هذه الأقوال متفرقة في مصادر عديدة .
(٢) في الأصل: منع .
(٣) يعني قوله «همٌّ من العدوّ» .

القلوب، ويجلو العقول، ويثبّتُ الأفئدة، قالَ سبحانه: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، وذاكَ أنَّ الفكرةَ تكونُ مع الترتيلِ دونَ الاستعجال.

وأمَّا قوله: «بعْ دنياكَ بآخرتِكَ تربحهما» فمعناهُ أنَّ من أسقطَ عن نفسهِ همَّ الدنيا سلمَ دينُه، وسكنتْ نفسُه، وقرَّتْ بعبادةِ ربِّهِ عينُه، وقلَّتْ طوارقُه[1]، وهدَت[2] جوارحُه، وطابتْ بذلك نفسُه، فحصلَ له عيشُ الدنيا، وانقلبَ إلىٰ نعيمِ الآخرة. ومن باعَ دنياهُ بآخرتهِ خسرَهما؛ لأنَّه لا يأتيهِ من الدنيا ما يتمنَّاه، لأنَّ أمنيتَهُ لا تقفُ علىٰ حدٍّ، ويزيدُ بما وجدَهُ منها همُّه، ويكثرُ علىٰ مفارقتهِ حزنُه، وتطرقهُ فيه الطوارق، ويخافُ فيها سوءَ العواقب، ولا يأمنُ من الله سبحانهُ التبعةَ والمصيرَ إلىٰ سوءِ العاقبة.

حكيَ عن محمَّد بنِ عيينة ـ أخي سفيان ـ قال: شهدنا ميتاً يُدفَنُ ومعنا بعضُ الحكماء، فلمَّا سوِّيَ عليه قال: يا فلان، خلوتَ وخُلِيَ بك، وانصرفنا وتركناك، ولو أقمنا معكَ ما نفعناك. ثمَّ التفتَ إلىٰ القبورِ فقال: يا أهلَ القبور، أصبحتم نادمين علىٰ ما خلَّفتم في البيوت، وأصبحنا نقتتلُ علىٰ ما أنتم عليه نادمون، فما أعجبنا وأعجبكم[3]!

وقالَ زيد العمي[4]: شهدتُ جنازةَ هشام بنِ عبدالملك، فسمعتُ قائلاً

(١) يفهم أن المقصود منها الهموم والهواجس، أو المخاوف والمفاجآت، كطوارق الليل، كما يأتي بعد سطور أيضًا.
(٢) لعلها: وهدأت.
(٣) كتاب القبور لابن أبي الدنيا (٢٦٥)، تاريخ دمشق ٣٠/٤٥ وفيه أنه من قول ذرّ بن عمر لابنه ذرّ المتوفَّىٰ، والقسم الأخير منه في التبصرة لابن الجوزي ٤٨٥/١.
(٤) هو زيد بن الحواري العمي البصري، ويقال له أبو الحواري. ضعيف في الحديث.=

يقول [١٩٠/ب]:

وما سـالمٌ عمَّـا قليـلٍ بسـالمٍ ... وإن كثـرتْ أحراسـهُ وكتائبـهْ
ومن يكُ ذا بابٍ شديدٍ وحاجبٍ ... فعمَّا قليلٍ يهجرُ البابَ حاجبهْ
ويصبحُ بعد الحجبِ للنَّاسِ عبرةً ... رهينةَ بيتٍ لم تُستَّرْ(١) جوانبهْ
وما كان إلَّا الدفنُ حتَّى تحولتْ ... إلى غيرهِ أجنادهُ ومواكبهْ
وأصبحَ مسروراً به كلُّ كاشحٍ ... وأسلمَهُ جيرانهُ وأقاربهْ(٢)
فنفسَكَ أكسِبْها السعادةَ جاهداً ... فكلُّ امرئ رهنٌ بما هو كاسبهْ(٣)

قالَ أبو زكريا التيمي: بينما سليمان بنُ عبدالملك في المسجدِ الحرام، إذ أُتيَ بحجرٍ منقوب، فطلبَ من يقرؤه، فأُتيَ بوهب بنِ منبِّه فقرأه، فإذا فيه:

ابنَ آدم، إنَّك لو أبصرتَ قليلَ ما بقيَ من أجَلِكَ لزهدتَ في طويلِ أملِك، ولرغبتَ في الزيادةِ من عملك، ولقصرتَ من حرصِكَ وحيلِك، وإنَّما يلقاكَ غداً ندمُك، لو قد زلَّتْ بكَ قدمُك، وأسلمكَ أهلُكَ وحشمُك، وبانَ منكَ الولدُ القريب، ورفضكَ الوالدُ والنسيب، فلا أنت في دنياكَ عائد، ولا في إحسانِكَ زائد، فاعملْ ليومِ القيامةِ قبلَ الحسرةِ والنَّدامة.

قال: فبكى سليمان(٤).

= ذكره سعد في الطبقات الكبرى ٧/٢٤٠.

(١) في كتاب القبور: يسير.

(٢) الكاشح: الحاقد والمبغض.

(٣) كتاب القبور لابن أبي الدنيا (٢٦٦)، تاريخ دمشق ١٩/٣٨٤، الوافي بالوفيات ١٥/٥٥.

(٤) كتاب القبور لابن أبي الدنيا (٢٥٤)، قصر الأمل (٦٨)، تاريخ دمشق ٦٣/٣٦٨=

قالَ الفضيلُ ﵀: لا تُمهرِ الدنيا دينَك، فإنَّ من أمهرها دينَهُ زَفَّتْ إليه النَّدمَ(١).

وقال: من أرادَ أن يمحوَ ذنوبَهُ فليمحُها بدموعِ عينيه.

وحكيَ عن مالك بنِ دينار قال: بينا أنا أطوفُ بالبيت، إذا بجويريةٍ متعبِّدة، وإذا [١٩١/أ] هي تقول: يا ربّ، كم من شهوةٍ قد ذهبتْ لذَّتُها وبقيتْ تبعتُها، يا ربّ، ما كان لكَ عقوبةٌ ولا أدبٌ إلَّا النَّار، وبكت. قال: فوالله ما زالَ ذلك دأبَها حتَّىٰ طلعَ الفجر، قالَ مالك: فوضعتُ يدي علىٰ رأسي ثمَّ صرخت، فجعلتُ أقول: ثكلتكَ أمُّكَ مالك، جويريةٌ منذ الليلةِ قد بطلتك(٢).

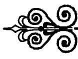
قالَ وهب بنُ منبِّه لعطاء الخراساني(٣): ويحكَ يا عطاء! ألم أُخبَرْ عنك أنَّك تحملُ علمكَ إلىٰ أبوابِ الملوكِ وأبناءِ الدنيا، ويحكَ يا عطاء! أتأتي من يُغلقُ عنكَ بابه، ويُظهرُ لكَ فقره، ويواري عنكَ غناه، وتدَعُ من يَفتحُ لكَ بابه، ويُظهرُ لكَ غناه، ويقول: ادعُني أَستجبْ لك؟! ويحكَ يا عطاء! ارضَ بالدونِ من الدنيا مع الحكمة، ولا ترضَ بالدونِ من الحكمةِ مع الدنيا، ويحكَ يا

= وفيه «الولد والقريب»، وهو الصحيح.

(١) يأتي من كلام داود بن نصير الطائي، كما في نتائج الأفكار القدسية في شرح الرسالة القشيرية ص ١٤٨.

(٢) تاريخ دمشق ٥٦/٤٣٢، صفة الصفوة ٢/٥١٦.

(٣) عطاء بن أبي مسلم الخراساني، مولىٰ المهلب بن أبي صفرة. قال عبدالرحمن بن يزيد بن جابر: كنا نغزو مع عطاء الخراساني، فكان يحيي الليل من أوله إلىٰ آخره، إلا نومة السحَر. توفي بأريحا، فحُمل ودفن بالقدس سنة ١٣٥ هـ. وروىٰ له الجماعة. تهذيب الكمال ٢٠/١٠٦.




عطاء! إن كان يغنيكَ ما يكفيكَ فإنَّ أدنىٰ ما في الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيكَ ما يكفيكَ فليس في الدنيا شيءٌ يكفيك، ويحكَ يا عطاء! إنَّما بطنُكَ بحرٌ من البحور، ووادٍ من الأودية، لا يملؤهُ إلَّا التراب(١).

وحكيَ أنَّ نوحاً عليه السلام اتَّخذ بيتاً من جصّ، فقيلَ له: لو اتَّخذتَ بناء، فقال: هذا لمن يموتُ كثير(٢).

وحكيَ عن أبي الدرداء أنَّه كان إذا رأىٰ جنازةً قال: اغدي فإنَّا رائحون، أو روحي فإنَّا غادون(٣).

وهذا مثلُ قولِ لبيد:

وإنَّا وإخواناً لنا قد تتابعوا ... لكالمغتدي والرائحِ المتهجِّرِ(٤)

[١٩١/ب] ولمَّا ماتَ ذرُّ بنُ عمر بنِ ذرّ، قالَ أصحابه: الآنَ يضيعُ(٥) الشيخ؛ لأنَّه كان بارًّا به، فسمعها الشيخُ وقال: إنِّي أضيعُ، والله حيٌّ لا يموت. فلمَّا واراهُ الترابَ وقفَ علىٰ قبرهِ فقال: رحمكَ الله يا ذرّ، ما علينا بعدكَ من خَصاصة، وما بنا إلىٰ أحدٍ مع الله من حاجة، وما يسرُّني أنِّي كنتُ المقدَّم قبلك، ولولا هولُ المطلعِ لتمنَّيتُ أن أكونَ مكانك. لقد شغلني الحزنُ

---

(١) الزهد لأحمد ٢٠٦/١، تاريخ دمشق ٤٣٥/٤٠، صفة الصفوة ٤٥٧/١، وجزء منه في التبصرة لابن الجوزي ١٥٦/٢.

(٢) قصر الأمل (٢٥٣) وفيه أنه ابتنىٰ له بيتًا من قصب. بستان الواعظين ص ١٥٢، وفيه أنه «عمل خصًّا علىٰ البحر».

(٣) صفة الصفوة ٢٤٤/١، عيون الأخبار ٣٣١/٢. وينسب لآخرين في مصادر أخرىٰ.

(٤) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص ٤٧، عيون الأخبار ٣٣١/٢.

(٥) في الأصل: ىصىح.

لكَ عن الحزنِ عليك ، فيا ليتَ شعري ماذا قلت ، وماذا قيلَ لك ؟

ثمَّ رفعَ رأسَهُ إلى السماءِ فقال: اللَّهمَّ إنِّي قد وهبتُ حقِّي فيما بيني وبينه له ، فهبْ حقكَ فيما بينكَ وبينه له[1].

وحكيَ عن ابنِ السَّمَّاكِ الواعظِ أنَّه قالَ يومَ ماتَ داود الطائي في كلامٍ له: إنَّ داود رَحِمَهُ اللهُ نظرَ بقلبهِ إلى ما بين يديهِ من آخرته ، فأعشَى بصرُ القلبِ بصرَ العين ، فكان كأنَّهُ لا ينظرُ إلى ما إليه تنظرون ، وكأنَّكم لا تنظرون إلى ما إليه يَنظر ، فأنتم منه تَعجبون ، وهو منكم أعجب ، فلمَّا رآكم راغبين مغرورين ، قد أذهلتِ الدنيا عقولَكم ، وأماتتْ بحبِّها قلوبَكم ، استوحشَ منكم ، وكنتُ إذا نظرتُ إليه فكأنَّه حيٌّ وسطَ أموات.

يا داود ، ما أعجبَ شأنكَ من بين أهلِ زمانك! أهنتَ نفسكَ وإنَّما تريدُ إكرامَها ، وأتعبتها وإنَّما تريدُ إجمامَها[2] ، وأخشنتَ المطعمَ وإنَّما تريدُ طيبه ، وأخشنتَ الملبسَ وإنَّما تريدُ لينه ، ثمَّ أمتَّ نفسكَ قبلَ أن تموت ، وقبرتها [١٩٢/أ] قبلَ أن تُقبر ، وعذَّبتَها ولم تعذَّب ، رغبتَ بنفسِكَ عن الدنيا فلم تُرِها لها قدراً ، ورغبتَ إلى الآخرةِ فما أظنُّك إلَّا وقد ظفرتَ بما طلبت.

كان سيماكَ في سرِّك ، ولم يكنْ سيماكَ في علانيتك. تفقَّهتَ في دينِكَ وتركتَ النَّاسَ يُفتون ، وسمعتَ الحديثَ وتركتهم يحدِّثون ، وخرستَ عن القولِ وتركتهم ينطقون ، لا تحسدُ الأخيار ، ولا تَعيبُ الأشرار ، ولا تَقبلُ من السلطانِ عطيَّة ، ولا من الإخوانِ هديَّة. آنسُ ما تكونُ إذا كنتَ بالله خالياً ،

---

(١) عيون الأخبار ٣٣٧/٢ ، البيان والتبيين ٩٩/٣ ، التذكرة الحمدونية ٢٤٥/٤.

(٢) إجمامها: إراحتها.




وأوحشُ ما تكونُ آنسَ ما يكونُ النَّاس ، فمن سمعَ بمثلِكَ ، وصبرَ[1] صبركَ ، وعزمَ عزمك ؟!

لا أحسبُكَ إلَّا وقد أتعبتَ العابدين بعدك ، سجنتَ نفسكَ في بيتِكَ فلا محدِّثَ لك ، ولا جليسَ عندك ، ولا فراشَ تحتك ، ولا سترَ على بابك ، ولا قُلَّةٌ[2] يَبردُ فيها ماؤك ، ولا صَحفةٌ[3] يكونُ فيها غداؤكَ وعشاؤك ، مَطهرتُكَ وقصعتُكَ تَوْرُك[4] .

يا داود ، ما كنتَ تشتهي من الماءِ بارداً ، ولا من الطعامِ طيِّبه ، ولا من اللباسِ ليِّنه ، بلى ، ولكن زهدتَ فيه لما بين يديك ، فما أصغرَ ما بذلت ، وما أحقرَ ما تركتَ في جنبِ ما أمَّلت ، فلمَّا متَّ شهركَ ربُّك بموتك ، وألبسكَ رداءَ عملك ، وأكثرَ تَبَعَك ، فلو رأيتَ مَن حضركَ عرفتَ أنَّ ربَّكَ قد أكرمكَ وشرَّفك ، ووالله لو لم يدَعْ عبداً إلى خيرٍ يعملهُ إلَّا حسنُ هذا الثمر ، وكثرةُ هذا التبَع ، [١٩٢/ب] لقد كان حقيقاً بالاجتهاد .

والحمدُ لمن لا يُضيِّعُ مطيعاً ، ولا يَنسى صنيعاً ، سبحانه ، شاكراً ومثنياً[5] .

وكان سفيان بنُ عيينة يستحسنُ شعرَ عديٍّ بن زيد:

---

(١) في الأصل «صبرك» بدون واو . والمثبت من عيون الأخبار .
(٢) القلَّة: الجرَّة .
(٣) الصحفة: إناء كبير للطعام .
(٤) التور: إناء يشرب فيه . وورد في عيون الأخبار: مطهرتك قلبك وقصعتك تورك .
(٥) عيون الأخبار ٣٣٧/٢ ، البصائر والذخائر ٢٩/٣ ، صفة الصفوة ٨٢/٢ ، كشف الكربة ٣٢١/١ .

أيـن أهـلُ الـديارِ مـن قـومِ نـوحٍ ... ثـمَّ عـادٍ مـن بعـدهم وثمـودُ
بينمـا هـم علـىٰ الأسـرَّةِ والأنـ ... ـماطِ أفضتْ إلىٰ الترابِ الخدودُ[1]
ثـمَّ لـم يـنقضِ الحـديثُ ولكـن ... بعـدهُ الوعـدُ كلُّـهُ والوعيـدُ
وأطبـاءُ بعـدهم لحقـوهم ... ضـلَّ عـنهم سَعوطُهم واللَّدودُ[2]
وصـحيحٌ أضـحَىٰ يعـودُ مريضـاً ... وهـو أدنـىٰ للمـوتِ ممَّـن يعـودُ[3]

وحكيَ عن جرير بن عبدالله[4] أنَّه قال: افتتحنا بفارسَ مدينة، فدُلِلنا علىٰ مغارةٍ ذُكرَ لنا أنَّ فيها أموالاً، فدخلناها ومعنا من يقرأُ بالفارسية، فأصبنا في تلك المغارةِ من السلاحِ والأموالِ شيئاً كثيراً. ثمَّ صرنا إلىٰ بيتٍ شبيهٍ بالأَزَج[5]، عليه صخرةٌ عظيمة، فقلبنا ذلك الغطاء، فإذا في الأزَجِ سريرٌ من ذهب، عليه رجلٌ أوحشُ ما رأينا منظراً، عليه حُلَلٌ قد تمزَّقت، وعند رأسهِ لوحٌ فيه كتاب، فقُرئَ لنا، فإذا فيه: يا أيها العبدُ المملوك، لا تتجبَّرْ علىٰ خالقك، ولا تعدُ قدركَ الذي جعلَهُ الله لك، واعلمْ أنَّ الموتَ غايتكَ وإن طالَ عمرك، وأنَّ الحسابَ أمامك، وأنَّكَ إلىٰ مدَّةٍ معلومةٍ متروك، ثمَّ [١٩٣/أ] تؤخَذُ بغتةً أحبَّ ما كانت الدنيا إليك، فقدِّمْ لنفسِكَ خيراً تجدهُ مُحضَراً، وتزوَّدْ من متاعِ الغرورِ ليومِ فاقتك.

أيُّها العبدُ المملوك، اعتبرْ بي، فإنَّ فيَّ معتبراً، وعليكَ من الله تعالىٰ بي

(١) الأنماط: جمع نمط، وهو نوع من البسط.
(٢) السعوط: الدواء يدخل في الأنف، واللدود في الفم.
(٣) عيون الأخبار ٢/٣٤١.
(٤) الصحابي القائد، رضي الله عنه.
(٥) الأزج: بناء مستطيل مُقوَّس السَّقف.

حجَّة ، أنا بهرام بنُ بهرام ملكُ فارس ، كنتُ من أعتاهم بطشاً ، وأقساهم قلباً ، وأطولهم أملاً ، وأفضلهم سياسة ، وأرغبهم في لذَّة ، وأحرصهم علىٰ جمعِ دنيا ، فدوَّختُ[1] البلادَ النائية ، وملكتُ الملوكَ الساطية[2] ، وقزمتُ الجيوشَ العظام ، وأذللتُ الملوكَ الكرام ، وعشتُ خمسَ مئةِ عام ، وجمعتُ من الدنيا ما لم يجمعهُ أحدٌ قبلي ، ولم أستطعْ أن أفتديَ من الموتِ إذ نزلَ بي[3] .

وحكىٰ بعضُ أهلِ العلم[4] أنَّه حُفِرَ نهرٌ بأصفهان ، فانحطَّ بهم الحَفرُ إلىٰ صخرةٍ عظيمةٍ لا تُرام ، فاجتمعَ لها جماعةٌ من النَّاس ، فقلبوها ، فإذا فيها بيتٌ فيه أربعةُ أسرَّةٍ من ذهب ، علىٰ الأولِ منها شيخٌ عظيمُ الهامةِ أصلع ، طويلُ اللحية ، عليه حُلَل ، متعصِّبٌ بعِصابةٍ مخوَّصةٍ بالزبرجد[5] . وعلىٰ السريرِ الثاني شابٌّ جميلٌ عليه ثلاثُ حُلَل ، والتاجُ فوق رأسهِ معلَّق ، وعلىٰ السريرِ الثالثِ غلامٌ حين[6] راهقَ الحلم ، في أذنهِ شَنْفان وقُرطان[7] ، في كلِّ واحدٍ من الشَّنْفَين والقُرطين درَّة . وعلىٰ السريرِ الرابعِ جاريةٌ كأنَّها الشمس ، عليها حُلَلٌ كثيرة ، وعليها دُمْلُجٌ وسِواران من [١٩٣/ب] زبرجد[8] ، وإذا عند رأسِ كلِّ واحدٍ منهم كتابٌ بالفارسية . فدُعيَ رجلٌ من معلِّمي الفرسِ فقرأه ، فإذا عند

(١) في المصادر: قد جبيت .

(٢) الساطية: الشديدة . وفي المصدرين الأولين: قتلت الملوك . . .

(٣) عيون الأخبار ١/٣٤٤ ، التبصرة لابن الجوزي ١/٣٤٤ ، كتاب القبور لابن أبي الدنيا (٢٣٤) .

(٤) راويه عن بعض أهل العلم الهيثم بن عدي .

(٥) أي: مزينة بالزبرجد . وفي المصدر: مخوط بالزبرجد .

(٦) هكذا في الأصل والمصدر ، ولا معنىٰ لـ«حين» في السياق ، ولعله «حسنٌ» .

(٧) الشنف ما يعلق بأعلىٰ الأذن ، والقرط بأدناه .

(٨) الدملج: سوار يحيط بالعضد .

رأسِ الأول: أنا رستم ملكُ هذه البلاد، أُعطيتُ بطشَ الجبابرة، ونُعمتُ نعمةً لم تجتمعْ لمثلي ولا لملكٍ قبلي، ودوَّختُ الجنود، وفللتُ الحديد، ولم أُصِبْ للموتِ دواء.

وإذا عند رأسِ الآخر: أنا سابور ابنُ الملك، نغَّصني الموتُ بشبيبتي، وأبلىٰ جِدَتي، ولو قبلَ الموتُ منِّي فداءً لأغلَىٰ بي.

وإذا عند رأسِ الغلام: أنا بهرام ابنُ الملوك، الموتُ حتم، ولو خُلِّدَ أحدٌ لخلِّدنا.

وإذا عند رأسِ الجارية: أنا هندخت[1] بنتُ الملك، مضيتُ بعزَّتي، واختُلستُ بغضارتي، فلا تغرَّنَّكم الدنيا بعدي.

قال: وأصابَ أهلُ أصفهانَ من ذلك البيتِ أموالاً عظيمة[2].

وحكي أنَّ صالحًا المرّي[3] مرَّ بقصرٍ خرب، بفنائهِ قبران، وأسودُ جالسٌ عندهما، فقال: يا صالح، ادنُ ترَ عِبراً، هذان ربَّا هذا القصرِ صارا إلىٰ ما ترىٰ، قال: وعلىٰ القصرِ مكتوب:

يا أيُّها الركبُ سيروا اليومَ واعتبروا ... عمَّا قليلٍ تكونوا مثلَنا عِبرا
كنَّا وكانت لنا الدنيا نلذُّ بها ... فما اعتبرنا ولا كنَّا لنَنزجرا

(١) في كتاب القبور: مندحت.

(٢) كتاب القبور (٢٣٥).

(٣) أبو بشر صالح بن بشير المري القاص، الزاهد الخاشع، واعظ أهل البصرة، وأول من قرأ فيها بالتحزين. ت ١٧٢ هـ. سير أعلام النبلاء ٨/٤٧، صفة الصفوة ٣/٣٥٠. وورد في الأصل «صالح المري».




حتَّىٰ رمانا الرَّدىٰ منه بأسهمهِ   فلم يُبقِّ لنا عيناً ولا أثرا[١]

وقُرِئَ علىٰ قبرٍ باليمن: من ذكرَ الموتَ قلَّ فرحُه، ومن حَذِرَ يومَهُ [١٩٤/أ] عملَ لغده[٢].

وقرئَ علىٰ قبرٍ آخر: يا صاحبَ الغفلةِ تيقَّظْ واذكرْ حشوَ مضجعِكَ وما تحاذرُ من منقلبك، وكنْ طبيبَ نفسِكَ ينفعْكَ دواؤك[٣].

وقرئَ علىٰ قبرٍ آخر: يا من أبطرَهُ الغنىٰ وأسكرتهُ شهواتُ الدنيا، استعدَّ لسفرتِكَ العظمىٰ، فقد دنا نزولُكَ علىٰ أهل البلىٰ[٤].

قالَ إبراهيم بنُ بشّار[٥]: كنتُ يوماً مع إبراهيم بنِ أدهم في الصحراء، إذ أتينا علىٰ قبرٍ مسنَّم[٦]، فترحَّمَ عليه وبكىٰ، فقلت: قبرُ من هذا؟ فقال: هذا قبرُ حُميد بن جابر، أميرِ هذه المدنِ كلِّها، كان غرقاً في بحارِ الدنيا، فأخرجَهُ الله تعالىٰ منها واستنقذه، لقد بلغني أنَّه سُرَّ ذاتَ يومٍ بشيءٍ من ملاهي مُلكه، ودنياهُ وغروره، ثمَّ نامَ في مجلسه، فرأىٰ في منامهِ رجلاً واقفاً علىٰ رأسهِ بيدهِ كتاب، فناوله، ففتحه، فإذا فيه كتابةٌ بالذهب، مكتوب: لا تؤثرنَّ فانياً علىٰ باق، ولا يغرَّنكَ ملكُكَ وقدرتُك، وسلطانُكَ وحزمُك، فإنَّ الذي أنت فيه

---

(١) كتاب القبور (٢٤٨).

(٢) كتاب القبور (٢٢٨). وجاء في كتاب العاقبة في ذكر الموت ص ٣٩: قال أبو الدرداء: من أكثر ذكر الموت قلَّ فرحه، وقلَّ حسده.

(٣) كتاب القبور (٢٢٩).

(٤) كتاب القبور (٢٣٠).

(٥) في الأصل «يسار»، والمثبت من المصادر. وتأتي بعده كلمة «قال».

(٦) أي: مرتفع ومحدَّب كالسنام.

جسيمٌ لولا أنَّه عديم، وهو مُلكٌ لولا أنَّ بعدَهُ هُلك، وهو فرحٌ وسرورٌ لولا أنَّه لهوٌ وغرور، وهو يومٌ لو كان يوثَقُ له بغَد، فسارعْ إلىٰ أمرِ الله؛ فإنَّ الله سبحانهُ قال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

قال: فانتبهَ فزعاً وقال: تنبيهٌ من الله وموعظة. وخرجَ من مُلكه، لا يُعلَمُ [١٩٤/ب] به، وقصدَ هذا الجبلَ فتعبَّدَ فيه، فلمَّا بلغني قصَّتهُ وحُدِّثتُ بأمرهِ قصدته، فسألته، فحدَّثني ببدوِّ أمره، وحدَّثتهُ ببدوِّ أمري، فما زلتُ أقصدهُ حتَّىٰ ماتَ ودُفنَ ها هنا، رحمه الله[1].

فَصْلٌ
[الاستغفار والتوبة]

قد ذكرتُ من مواعظِ كتابِ الله عز وجل، وكلامِ رسولهِ صلى الله عليه وسلم، وكلامِ الصحابةِ رضوانُ عليهم، والتابعين رحمةُ الله عليهم، ما فيه مقنعٌ ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]، فإنَّ السَّامعَ بقلبهِ يشهدُ المسموعات، ومن يسمعُ بأذنهِ وقلبهُ ساهٍ فليس بسامع، قالَ الله سبحانه: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وسبيلُ العاقلِ العالمِ بنفسهِ الإكثارُ من الاستغفار، مع النَّدمِ والانكسارِ والتوبةِ في كلِّ حال، فإنَّ التوبةَ مقبولةٌ بفضلِ الله ورحمته، وهي دواءُ المذنبين، وسبيلُ الراجعين النادمين، وذلك من لطفِ الله سبحانهُ بخلقه،

---

(١) الزهد الكبير للبيهقي (٥٨٠)، صفة الصفوة ٢/٤٧٧، كتاب التوابين ص ٩٧.

ورأفتهِ بعباده، جعلَ لمن وقعتْ منه الغلطة، وملكتهُ الصَّبوة[1]، وأعمتهُ الشهوة، إذا خلصَ من سلطانها، فندمَ وتذكَّر، فرجعَ إلىٰ ربِّه واعتذر، قبلَ توبته، وأهدرَ خطيئته، قالَ الله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، فأخبرَ [١٩٥/أ] عنهم تعالىٰ أنَّهم لمَّا ذكروا الله تعالىٰ خافوهُ فاستغفروا لذنوبهم، وعلموا أنَّه لا منجا لهم ولا مجيرَ لهم إلَّا عفوُ الله سبحانه، فرجعوا إليه ولم يصرُّوا، فبيَّنَ الله تعالىٰ أنَّ جزاءهم ﴿مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦]. وبيَّنَ سبحانهُ أنَّه لا يغفرُ الذنوبَ إلَّا هو، يعني أنَّه لا ينجي المذنبَ من ذنوبهِ أحدٌ سوىٰ غفرانِ ربِّهِ ورحمته.

فَصْلٌ
[شرط التوبة وصفتها]

فإن قالَ قائل: ما شرطُ التوبةِ وصفتُها؟

قيلَ له: التوبةُ هي الاعتذارُ والنَّدم، وأمَّا شرائطُها فالعزمُ أن لا يعودُ إلىٰ ما ندمَ علىٰ فعله، وإن كان عليه مظلمةٌ فيما تابَ منه أن يخرجَ منها مع إمكانه، فإن كان مغصوباً ردَّه، وإن كان عليه قصاصٌ بذله، فإن لم يبذلِ القصاصَ وسلَّمَ نفسَهُ فقد اختُلفَ في صحَّةِ توبته، فمن النَّاسِ من يقول: لا تصحُّ توبتهُ حتَّىٰ يخرجَ من المظلمة، ومنهم من يقول: تصحُّ توبتهُ من القتلِ لأنَّه ندمَ عليه وعزمَ

(١) الصبوة: اللهو.

أن لا يعودَ إلىٰ مثله، ويبقَىٰ عليه المعصيةُ في المنعِ ممَّا وجبَ عليه، وكذلك يقولُ هذا القائلُ في الغصبِ إذا لم يردَّه. والأَولَىٰ والأوثقُ لنفسهِ أن يخرجَ من كلِّ مظلمةٍ قدرَ عليها، وأن يتوبَ من كلِّ معصية، ويعزمَ علىٰ أن لا يعاودَ إلىٰ معصيةِ ربِّه؛ ليحصلَ له ما وعدَهُ ربُّهُ تعالىٰ، من قبولِ توبته، وتبديلِ سيِّئاتهِ [١٩٥/ب] حسنات. وقد عابَ الله سبحانهُ علىٰ من استغفرَ من ذنبٍ ولم يعزمْ علىٰ تركِ مثله، قالَ الله سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، فذمَّهم بدعواهم الغفرانَ مع الإصرار.

فَصْلٌ
[حال التائب من الذنب]



وسبيلُ التائبِ التضرُّعُ إلىٰ ربِّهِ ﷻ في غفرانِ ذنبه، والاعتذارُ من جنايته، والاعترافُ من الإتيانِ بالذنبِ بجهالته، والصبرُ عن معاودته، وإن كان قويًّا في عزمهِ متمكِّناً من نفسهِ صبرَ عن انتباهِ شهوته، واستمسكَ عند مجاورةِ صَبوته، وإن كان يخافُ علىٰ نفسهِ الضعفَ عند منازلةِ الشهوةِ هربَ من مواطنِ صبوته، وهجرَ مَن كان يألفهُ في معصيته، وباعدَ مَن كان يواصلهُ قبل توبته، وقد قالَ بعضُ العلماء: من صدقَ في تركِ شهوته، وجاهدَ نفسَهُ لله تعالىٰ سبعَ مرَّات، لم يُبتلَ بشيء[١].

وينبغي له كلَّما ذكرَ معصيتَهُ أن يجدِّدَ الحياءَ من ربِّه، ويكثرَ الاستغفارَ

(١) قوت القلوب ٣١٦/١.

لذنبه، والانزعاجَ لذكره[1].

وقد حُكيَ أنَّ عتبةَ الغلام[2]، كان بعد توبتهِ إذا مرَّ بموضعٍ يُذكَرُ فيه أخذتهُ الرعدةُ حياءً من ربِّه، ولقد أعقبَهُ ذلك الإخلاصَ في أعماله، والعلوَّ في درجته.

وقالَ بعضُ العلماء: قد يُدخِلُ الرجلَ ذنبهُ الجنةَ، يريدُ بذلك أنَّه يذنبُ ذنباً، ثمَّ يندمُ عليه ويعتذرُ منه، ولا [١٩٦/أ] يزالُ منكسراً كلَّما ذكرهُ يعتادهُ لذكرهِ الحياء، وكلَّما ذكرَ معصيتَهُ صغرتْ عندهُ طاعته، فيكونُ ذلك سبباً في فلاحه، وعدمِ إعجابهِ بأعماله، فينالُ بذلك رحمةَ ربِّهِ ﷻ[3].

فَصْلٌ

في قولهِ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾

[التحريم: ٨]

النصوح: هي التي يناصحُ الإنسانُ فيها نفسَهُ بالإخلاصِ في الندم، مع صحةِ العزمِ على تركِ المعاودة[4]، من غيرِ تصحيحٍ ولا تقصير.

---

(١) يأتي «الانزعاج» بمعنى تحرك القلب واضطرابه من تأثير المواعظ.

(٢) هو عتبة بن أبان بن صمعة البصري (الغلام)، الزاهد الخاشع الخائف. كان يشبَّه في حزنه بالحسن البصري، فكان من نسّاك البصرة، وإنما سمي بالغلام لجده واجتهاده، لا لصغر سنه. سير أعلام النبلاء ٧/٦٢، صفة الصفوة ٣/٣٧٠.

(٣) في حديث مرسل، عن الحسن البصري رفعه: «إنَّ العبدَ ليذنبُ الذنبَ فيَدخلُ به الجنة، يكونُ نُصبَ عينَيه، تائبًا فارًّا، حتى يدخلَ به الجنة». الجامع الصغير (٢٠٥٨).

(٤) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، والتبيان في تفسير القرآن للطوسي، عند تفسير الآية الكريمة.

ووصفهم بعضُ أهلِ العلمِ فقال: إنَّ التائبين في ليلِهم ونهارهم فَرِقون من جناياتهم، خائفون من سيِّدهم، قد ألجمَهم الحياءُ، في ليلِهم أهلُ زفراتٍ وبكاء، وفي نهارهم أهلُ تعبُّدٍ وظمأ، إذا ذكروا عظمةَ الله ﷻ ومعصيتَهم إيّاهُ طاشتْ عقولُهم وذهلتْ أحلامُهم فرَقاً من الله سبحانهُ وهيبة، متحسِّرين على ما فاتهم من طاعةِ الله سبحانهُ في زمانِ تفريطهم، عالمين بأنَّ من سبقَهم إلى الطاعةِ فوق منزلتهم، فإن رجاءَهم الغفرانَ مع فواتِ الأعمال، فهمُّهم الجدُّ والاجتهادُ في الأعمالِ الصالحة، ليستدركوا ما فات، ويُكتبَ لهم موضعَ السيئاتِ حسنات.

فأمَّا قولهُ تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠] فليس المرادُ أنَّ السيئاتِ تصيرُ حسنات، وإنَّما تُمحَى عنهم بالتوبةِ السيئات، ويُكتَبُ لهم بالتوبةِ [١٩٦/ب] والأعمالِ الحسنات[1]، وإنَّما التبديلُ أن تقعَ الحسنةُ موضعَ السيئة.

فَصْلٌ
[في وجوب التوبة وتكفير الخطايا]

واعلمْ أنَّ التوبةَ واجبة، لا يجوزُ لمن عملَ سيئةً أن يؤخرَ التوبة، بل يلزمهُ إذا وقعتْ منه الندمُ والاستغفار، وقلَّ أن يخلوَ المكلَّفُ من أمرٍ يتوبُ منه، حتى إنَّ قوماً من العلماءِ برعايةِ حقوقِ الله تعالى يوجبون التوبةَ من

(١) لطائف الإشارات للقشيري ٢/٦٥١.

الغفلة، وذلك أمرٌ ظاهرُ الحجَّة، فإن شكرَ الله وذكرَهُ وخشيتَهُ واجبةٌ بحسبِ تجدُّدِ نعمهِ وفضله، ومن شأنِ المنعَمِ عليه أن لا يغفلَ عن المنعِم؛ لأنَّ المنعِمَ لا يُخلِيهِ من نعمةٍ ولا نفَس، فإذا اشتغلَ بغيرهِ كان من سبيلهِ النَّدمُ والاعتذار، والعزمُ على إدامةِ الطاعةِ والذكر، وإنَّما جعلَ الله سبحانهُ الصَّلواتِ فروضاً في خمسةِ أوقاتٍ ليكونَ ذكرهُ فيها وعبادتهُ بها كفَّارةً للغفلةِ عنه في غيرها؛ تسهيلاً على خلقه، وسعةً لعباده، فإذا غفلوا في وقتِ ذكرهم وشَغلوا قلوبَهم في صلاتهم، فقد توجَّهَ عليهم بذلك ما يلزمُهم منه الاعتذارِ والاستغفار، قالَ الله سبحانه: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وهذه الصلواتُ تكفِّرُ ما بينها من الصغائرِ والغفلات، وهذا معنى قولهِ تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] [١٩٧/أ].

❁ **فإن قيل**: فقد قالَ الله تعالى: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء: ٣١]، فاجتنابُ الكبائرِ يكفِّرُ الصغائر، فما تكفِّرُ الصلوات؟

❁ **والجواب**: أنَّ الكبائرَ لا تكفِّرها الصلواتُ في الشريعة، ألا ترى أنَّ من زنا وسرقَ مع إتيانهِ بالصلاةِ يَحكمُ بفسقه، ويقيمُ عليه الحدّ، ولا يواليه؟ فأمَّا ما ذكرَهُ تعالى من اجتنابِ الكبائر، فقد دخلَ في ذلك الإتيانُ بالصلاة، فإنَّ تركَ الصلاةِ من الكبائر، فإذا أتى بها واجتنبَ الكبائرَ فقد استحقَّ الوعد.

وقد روى هناد عن أبي الأحوص، عن سماك بنِ حرب، عن إبراهيم،

عن علقمة والأسودِ قالا: قالَ ابنُ مسعود: جاءَ رجلٌ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فقال: إنِّي عالجتُ امرأةً في أقصىٰ المدينة، فأصبتُ منها ما دونَ أن أمسَّها، فأنا هذا، فاقضِ فيَّ ما شئت، قال: فقالَ عمر: لقد سترَكَ الله لو سترتَ نفسك. فلم يردَّ النَّبيُّ ﷺ شيئاً، فقامَ الرجلُ فانطلق، **فأتبعَهُ النَّبيُّ ﷺ رجلاً فدعاه، فلمَّا أتاهُ** قرأَ عليه: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]. فقالَ رجلٌ من القوم: هذا له يا رسولَ الله خاصَّة؟ قال: «**لا، بل للنَّاسِ كافَّة**»(١).

وهذا الرجلُ لم يبلغْ كبيرة، مع أنَّه جاءَ نادماً تائباً.

وقد روىٰ الكلبيُّ عن أبي صالح، أنَّ [١٩٧/ب] العبَّاس قالَ يومَ استسقىٰ: إنَّه لم ينزلْ بلاءٌ إلَّا بذنب، ولا يُكشَفُ إلَّا بتوبة، وقد توجَّهَ بيَ القومُ إليكَ لمكاني من رسولِ الله ﷺ، وهذه أيدينا إليكَ بالذنوب، ونواصينا بالتوبة، فاسقِنا الغيث. فسقاهم الله ﷻ(٢).

وروىٰ ابن عيينة عن أبي عبدالملك قال: سمعتُ عمر بنَ عبدالعزيز رحمه الله عشيَّةَ عرفةَ بعرفةَ وهو يقول: اللَّهمَّ زدْ في إحسانِ محسنهم، وارجعْ بمسيئهم إلىٰ التوبة، وحُطَّ من ورائهم بالرحمة(٣).



---

(١) الزهد لهناد ٢/٤٤٩، ٢/٦٤٨، وبسنده عند مسلم في صحيحه (٢٧٦٣).

(٢) رواه ابن بشكوال في المستغيثين بالله (١٧)، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٧٢٧)، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٦/٣٥٨.

(٣) الزهد لأحمد (١٦٨٢)، حسن التنبه ١/٣٦٦.

فَصْلٌ

[الحض على التوبة، وفرح الله بتوبة العبد]

روى هناد عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن عمرو بن مرَّة، عن أبي عبيدة، عن أبي موسى قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**يدا الله ﷻ مبسوطتان لمسيءِ الليلِ ليتوبَ بالنهار، ولمسيءِ النَّهارِ ليتوبَ بالليل، حتَّى تطلعَ الشمسُ من مغربها**»(١).

وهذا معناهُ أنَّ الله تعالى يقبلُ توبةَ عباده، ويحبُّ أن يتوبوا قبلَ أن يأتيَ بعضُ آياتِ ربِّك، وهذا معنى قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، معناهُ أنَّ الإيمانَ والعملَ الصالحَ إنَّما ينفعُ في زمانِ التكليفِ حين الإيمان اكتساب، فإذا ظهرَ بعضُ الآياتِ الموجبةِ للعلمِ الضروريِّ سقطَ حكمُ الإيمانِ المكتسبِ والعملِ الصالح، وسقطَ حكمُ التوبةِ [١٩٨/أ] أيضاً.

وقد روى عبدالله بن مسعود أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الله أفرحُ بتوبةِ أحدكم من رجلٍ بأرضٍ مهلكة، معه راحلتهُ عليها زادهُ وطعامهُ وشرابهُ وما يصلحه، فأضلَّها، فخرجَ في طلبها، حتَّى إذا أدركَهُ الموتُ قال: أرجعُ إلى مكاني الذي أضللتُها فيه فأموتُ فيه، قال: فرجعَ إلى مكانه، فغلبتهُ عينه، فاستيقظ، فإذا راحلتهُ عند رأسه، عليها طعامهُ وشرابهُ وما يُصلحه**»(٢).

(١) الزهد لهناد ٢/٤٤٧، وأوله عنده «يد الله بسطان لمسيء الليل...»، ورواه مسلم في صحيحه (٢٧٥٩).

(٢) الزهد لهناد ٢/٤٤٨، وأوله فيه «لله أفرح بتوبة أحدكم من رجل بأرض دوية مهلكة...»،=

وهذا معناه أنَّ الله تعالىٰ يحبُّ توبةَ عبده، قالَ الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وذلك من ألطافِهِ سبحانهُ بخلقه، ومحبَّتِهِ لفلاحِهم ومنفعتِهم، ﷻ.

وقال عبدالرحمن بن أبي عمرة: ما من صباحٍ إلَّا ملَكان موكَّلان يقولان: يا طالبَ الخيرِ أقبل، ويا طالبَ الشَّرِّ أقصِر[(١)].

وقالَ بعضُ الصالحين: ما أتتْ على عبدٍ ليلةٌ إلَّا قالت: ابنَ آدم، أحدِثْ فيَّ خيراً، فإنِّي لن أعودَ عليكَ أبداً[(٢)].

وروىٰ هناد عن عيسىٰ بن يونس، عن الأوزاعي، عن بعضِ أصحابه، عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: إذا مالتِ الأفياء، وراحتِ الأرواح، فاطلبوا الحوائجَ إلىٰ الله تعالىٰ، فإنَّها ساعةُ الأوَّابين، ثمَّ تلا: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾[(٣)] [الإسراء: ٢٥].

ومعنىٰ ذلك أن يكونَ الدعاءُ بعدَ العصر.

وروىٰ هنادٌ عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي راشد، عن عبيد

= وفي البخاري «وبه» بدل «دوية». ورواه البخاري في صحيحه (٦٣٠٨) وغيره.

(١) الزهد لهناد ٢/٤٤٨، التذكرة في أحوال الموتىٰ ص ٤٩٠.

(٢) الزهد لهناد ٢/٤٤٨، وقائله فيه موسىٰ الجهني عن بعض أصحابه، كلام الليالي والأيام (٧، ٨)، وقائله فيه موسىٰ الجهني.

(٣) الزهد لهناد ٢/٤٥٧، وفيه (راجت الأرواح)، وراجت بمعنىٰ انتشرت، مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٥٦١)، وفيه (راحت) كما هو عند المؤلف، ومن معانيها: سارت بالعشي، ونشطت...

بن [١٩٨/ب] عمير[(١)] في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾، قال: الأوَّابُ الذي يتذكَّرُ صبوتَهُ في الخلاءِ فيستغفرُ منها[(٢)].

وروى هناد بإسنادِهِ عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: طوبى لمن وجدَ في كتابهِ استغفاراً كثيراً[(٣)].

وروى هناد بإسنادِهِ عن أبي هريرة أنَّه قال: من قال: أستغفرُ الله الذي لا إله إلَّا هو الحيَّ القيُّومَ وأتوبُ إليه، ثلاثَ مرَّات، غُفِرَ له ولو كان قد فرَّ من الزَّحف[(٤)].

وروى هناد بإسنادِهِ عن أبي أمامةَ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**الملَكُ الذي على اليمينِ أميرٌ على الملَكِ الذي على الشمال، فإذا عملَ حسنةً قالَ لصاحبِ الشمال: اكتبها، فإذا عملَ سيئةً قالَ له: دَعْها لا تكتبها سبعَ ساعات، فلعلَّهُ يستغفر**»[(٥)].

---

(١) عبيد بن عمير الليثي، أبو عاصم، قاص أهل مكة. ولد في زمان النبي ﷺ، وقيل: له رؤية. ثقة، روى له الجماعة. حلية الأولياء ٣/٢٦٦، تهذيب الكمال ١٩/٢٢٣.

(٢) الزهد لهناد ٢/٤٥٨، مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٩٩٨)، الدر المنثور ٥/٢٧١، وفيها جميعًا: «يتذكر ذنوبه».

(٣) الزهد لهناد ٢/٤٦٢. ويأتي حديثًا مرفوعًا من رواية عبدالله بن بسر، رواه ابن ماجه (٣٨١٨)، وذكر الإمام النووي في الأذكار (٢٠٥١) أن إسناده جيد، كما صححه الألباني في صحيح سننه. وفي الحديث (صحيفته) بدل (كتابه) عند هناد.

(٤) الزهد لهناد ٢/٤٦١، وذكر محققه أنه ضعيف موقوفًا أو مرفوعًا.

(٥) الزهد لهناد ٢/٤٦٢، وذكر محققه أنه ضعيف جدًّا؛ بسبب جعفر بن الزبير الحنفي، وأنه متروك. وذكر الألباني أنه موضوع، في السلسلة الضعيفة (٢٢٣٧) من حديث الطبراني لجرح راو آخر.

وهذا معناه التوبةُ على ما قدَّمناه.

وروى هناد عن ربعيِّ بن خراش قال: حُدِّثتُ أنَّ عليَّاً رضوانُ الله عليه كان يقول: ما من كلماتٍ أحبُّ إلى الله سبحانهُ من أن يقولَ العبد: اللَّهمَّ لا إله إلَّا أنت، اللَّهمَّ لا أعبدُ إلَّا إيَّاك، اللَّهمَّ لا أشركُ بكَ شيئاً، اللَّهمَّ إنِّي ظلمتُ نفسي فاغفرْ لي، فإنَّه لا يغفرُ الذنوبَ إلَّا أنت(١).

وروى بإسنادهِ عن عبدالله بن مسعود أنَّه قال: من أحبِّ الكلامِ إلى الله ﷻ أن يقولَ الرجل: سبحانكَ اللَّهمَّ وبحمدك، وتباركَ اسمُك، وتعالَى جدُّك، ولا إله [١٩٩/أ] غيرُك، ربِّ إنِّي ظلمتُ نفسي فاغفرْ لي، إنَّه لا يغفرُ الذنوبَ إلَّا أنت.

قال: وإنَّ من أكبرِ الذنبِ عند الله تعالى أن يقولَ الرجلُ للرجل: اتَّقِ الله، فيقول: عليكَ بنفسك(٢).

وروى بإسنادهِ عن سعيد بن جبير قال: لمَّا أصابَ آدمُ عليه السلام الخطيئة، فزعَ إلى كلمةِ الإخلاص، فقال: لا إله إلَّا أنت سبحانكَ وبحمدك، عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي، فاغفرْ لي إنَّك أنت خيرُ الغافرين، ولا إله إلَّا أنت سبحانكَ وبحمدك، ربِّ عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي، فتبْ عليَّ إنَّك أنت أرحمُ الرَّاحمين، لا إله إلَّا أنت، سبحانكَ وبحمدك، ربِّ عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي، فتبْ عليَّ، إنَّك أنت التَّوَّابُ الرَّحيم(٣).

---

(١) الزهد لهناد ٤٦٣/٢، مصنف ابن أبي شيبة (٢٩٥٢٢).

(٢) الزهد لهناد ٤٦٣/٢، وذكر محققه أن رجاله ثقات. كما ورد قسمه الأول في معجم الشيوخ الكبير للذهبي ١٩٤/٢، وقسمه الآخر في الدر المنثور ٥٧٥/١.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٢٩٢٥١)، الزهد لهناد ٤٦١/٢، وذكر محققه أن إسناده ضعيف جدًّا.

فَصْلٌ

[العودة إلى الذنب والتوبة مرارًا]

إذا تابَ المذنبُ عن ذنوبهِ توبةً صحيحة، ثمَّ رجعَ إلىٰ مثلِ ما تابَ منه، فقد ذكرَ بعضُ أهلِ العلمِ أنَّ توبتَهُ تبطل، وأنَّ معصيتَهُ التي تابَ منها يعودُ عليه جرمُها؛ لأنَّ التوبةَ من شرطِها تركُ ما تابَ منه. وذهبَ آخرون إلىٰ أنَّ التوبةَ باقية، وقد سقط بها ما تقدَّمَها ممَّا تابَ منه، وإنَّما يؤاخَذُ بما عادَ إليه.

وقد روىٰ هناد بإسنادهِ عن خالد بن أبي عزَّة، أنَّ عليّاً كرَّمَ الله وجهَهُ أتاهُ رجلٌ فقال: ما ترىٰ في رجلٍ أذنبَ ذنباً؟ قال: يستغفرُ الله ﷻ منه، ويتوبُ إليه، فقال: قد فعل، ثمَّ عاد، قال: يستغفرُ الله ﷻ، ويتوبُ إليه، قالَ له في الرابعة: [١٩٩/ب] قد فعل، ثمَّ عاد، فقالَ عليٌّ رضوانُ الله عليه: حتَّىٰ متىٰ؟ ثمَّ قال: يستغفرُ الله ويتوبُ إليه، ولا يملُّ حتَّىٰ يكونَ الشيطانُ هو المحسور[١].

متىٰ عادَ التائبُ ـ عافاكَ الله ـ في ذنوبه، لزمهُ تجديدُ التوبة، والانتهاءُ عن الخطيئة، وإذا تابَ بصدقهِ في عزمهِ فقد صحَّتِ التوبة، وعودهُ بعد ذلك خطيئةٌ محدَثةٌ بعد صحَّةِ التوبة، والله يغفرُ لمن يشاء، إنَّه هو الغفورُ الرحيم.

❁ **فإن قالَ قائل**: فقد رويَ عن عليٍّ ﵁ أنَّه قال: خيارُكم كل مفتَّنٍ توَّاب[٢]، وهذا يقتضي أنَّ من فُتِنَ بعد توبتهِ فهو من الخيار.

❁ **والجواب**: أنَّه إنَّما يكونُ من الخيارِ بالتوبةِ لأنَّه يصيرُ كأنَّه لا ذنبَ

(١) الزهد لهناد ٤٥٨/٢، تنبيه الغافلين ص ١١٥.

(٢) تاريخ ابن معين (١٣٨٣)، أدب الدنيا والدين ص ٢٧٣، الزهد لهناد ٤٥٧/٢، إحياء علوم الدين ٤٤/٤.

له ، فهو خيرٌ ممَّن لا يتوب ، وليس ذلك له بكونهِ مفتَّنًا[1] ، وهذا معناهُ أنَّه لا يكادُ يسلمُ من فتنةٍ أو خطيئة ، فخيارُكم من كانتِ التوبةُ دأبَه ، يتوبُ من كلِّ ما يُلِمُّ به ، ولم يُرِدْ بذلك كثرةَ الذنوبِ مع التوبة ، فقد رويَ عن ابنِ عباس رضي الله عنه أنَّه سئل ، فقيلَ له: ما تقولُ في رجلٍ كثيرِ العمل ، كثيرِ الذنوب ، أهو أعجبُ إليكَ أم رجلٌ قليلُ العملِ قليلُ الذنوب؟ فقال: ما أعدلُ بالسلامةِ شيئاً[2].

يريدُ أنَّ السلامةَ من الذنبِ أولىٰ.

وقد رويَ عن ابنِ مسعود أنَّه قال: مَثَلُ المحقَّراتِ من الذنوب مَثَلُ قومٍ نزلوا منزلاً ليس فيه حطب ، ومعهم لحم ، فلم يزالوا يلقطون [٢٠٠/أ] حتَّىٰ جمعوا ما أنضجوا به لحمَهم[3].

قالَ أيَّدَهُ الله: وينبغي لمن عقلَ أمرَهُ ، أن تكونَ التوبةُ دأبَه ، والاعتذارُ والاستغفارُ سبيلَه ، لعلَّهُ ينجو من شرِّ نفسه ، ومن سوءِ عمله ، فإنَّ التوبةَ والاعتذارَ يُصلحان القلب ، ويقرِّبان من رضا الربِّ.

وقد روىٰ عون بنُ عبدالله قال: قالَ عمر بنُ الخطاب رضي الله عنه: جالسوا التوَّابين ؛ فإنَّهم أرقُّ أفئدة[4].

ورويَ عن مجاهد أنَّه قالَ في قولهِ تعالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ

---

(١) في الأصل: مفتن.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٩٨ ، تنبيه الغافلين ص ٣٧٤ ، الزهد لهناد ٢/٤٥٤ ، ولوكيع (٢٧٢).

(٣) رواه الطبراني بأطول منه في المعجم الكبير (٨٧٩٧) ، ومثله الشجري في أماليه ص ١٣٠.

(٤) كتاب التوبة لابن أبي الدنيا (١٤٤) ، روضة العقلاء ص ٣١. ويرد حديثًا لا يصح ، قال الألباني: لا أصل له. السلسلة الضعيفة (١٠٣).

جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦] قال: هو الرجلُ يذكرُ الله تعالىٰ عند المعاصي فيحجزُ عنها[(١)].

وهذا ـ عافاكَ الله ـ أعلىٰ درجةً من التائب؛ فإنَّ التائبَ يعتذر، وهذا يمتنع.

وقالَ عبدالله بن مسعود ﷺ: أربعُ آياتٍ من كتابِ الله ﷻ هي أحبُّ إليَّ من حُمرِ النَّعَمِ وسُودِها، قالوا: وأين هي؟ قال: إذا مرَّ بهنَّ العلماءُ عرفوهنَّ، قالوا له: في أيِّ سورة؟ قال: في سورةِ النساء، قولهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ [النساء: ٤٠]، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [الآية ٤٨]، وقولهُ تعالىٰ: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾ [الآية ٦٤]، وقوله: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[(٢)] [الآية ١١٠] [٢٠٠/ب].

فَصْلٌ
[فضل التوبة والاستغفار]

رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّه ليُغانُّ علىٰ قلبي، وإنِّي لأستغفرُ الله كلَّ يومٍ مئةَ مرة**»[(٣)].

(١) تفسير الطبري ٢٢/٢٣٥، بلفظ: «هو الرجل يهم بالذنب فيذكر مقام ربه فينزع».
(٢) الدر المنثور ٢/٥٥٩، تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي) ٣/٣٥٦، الزهد لهناد ٢/٤٥٤.
(٣) صحيح مسلم، من حديث الأغر المزني (٢٧٠٢).

ومعنىٰ ذلك أنَّه يلحقُ القلبَ الغفلةُ والفتور، ومثلهُ ﷺ يَستغفرُ من ذلك لحياةِ قلبه، وكثرةِ ذكره.

وقد روىٰ عليٌّ رضي الله عنه **أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان لا يحجزهُ عن قراءةِ القرآنِ شيء، ليس الجنابة**[1].

ورويَ أنَّه كان لا يحجزهُ عن ذكرِ الله شيء[2]، فإذا فترَ قلبهُ وغفلَ استغفرَ الله، فإنَّ لكلِّ عاملٍ فترة[3].

وروىٰ ابن أبي الدنيا عن ابن عباس، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**من أكثرَ من الاستغفارِ جعلَ الله له من كلِّ همٍّ فَرَجاً، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً، ورزقَهُ من حيثُ لا يَحتسب**»[4].

ورويَ عن العقيلي قال: قرأتُ في التوراة: ابنُ آدمَ خطَّاء، وأنا غفَّار، وخيرُ الخطَّائين المستغفرون[5].

= قال أهل اللغة: الغين ـ بالغين المعجمة ـ والغيم، بمعنىٰ، والمراد هنا: ما يتغشىٰ القلب. قال القاضي [عياض]: قيل: المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه، فإذا فتر عنه أو غفل عدَّ ذلك ذنبًا واستغفر منه، قال: وقيل: هو همه بسبب أمته وما اطلع عليه من أحوالها بعده، فيستغفر لهم... شرح النووي علىٰ صحيح مسلم ١٧/٢٣.

(١) رواه البغوي في شرح السنة (٢٧٣) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يذكر الله علىٰ كل أحيانه» صحيح مسلم (٣٧٣).

(٣) الفترة: الضعف.

(٤) كتاب التوبة لابن أبي الدنيا (١٧٤)، والفرج بعد الشدة له (٨)، ورواه أحمد في المسند (٢٢٣٤) وذكر محققه أن إسناده ضعيف بسبب الحكم بن مصعب، وهو موجود في سند ابن أبي الدنيا في كتابيه.

(٥) كتاب التوبة لابن أبي الدنيا (١٧٨)، وورد في الأصل «المستغفرين».

وقالَ رياح القيسي(١): لي نيِّف وأربعون ذنباً، وقد استغفرتُ لكلِّ ذنبٍ مئةَ مرة(٢).

وقالَ عون بنُ عبدالله(٣): جالسوا التوَّابين، فإنَّ رحمةَ الله إلىٰ النادمِ أقرب(٤).

وقالَ عون بنُ عبدالله بنِ عتبة: اهتمامُ المرءِ بذنبهِ داعٍ له إلىٰ تركه، وندمهُ عليه مفتاحٌ إلىٰ توبته، ولا يزالُ العبدُ يهتمُّ بالذنبِ يصيبه، حتَّىٰ يكونَ أنفعَ له من بعضِ حسناته(٥).

وقالَ مالك بنُ دينار: البكاءُ علىٰ الخطيئةِ يحطُّ الخطايا كما [٢٠١/أ] تحطُّ الريحُ الورقَ اليابس(٦).

وحكيَ أنَّ الله تعالىٰ أوحَىٰ إلىٰ نبيٍّ من الأنبياءِ أنَّ العذابَ حائق، فذكرَ ذلك النبيُّ لقومه، وأمرهم أن يُخرجوا أفاضلَهم فيتوبوا، قال: فخرجوا، فأمرهم أن يُخرجوا ثلاثةً من أفاضلِهم وفداً إلىٰ الله سبحانه، قال: فخرجَ الثلاثةُ أمامَ القوم، قال: فقالَ أحدُ الثلاثة: اللَّهمَّ إنَّكَ أمرتنا في التوراةِ التي أنزلتَ

---

(١) أبو المهاجر رياح بن عمرو القيسي، بصري زاهد، عابد كبير القدر، سمع مالك بن دينار وحسان بن أبي سنان وطائفة، وكان قليل الحديث، كثير الخشية والمراقبة. سير أعلام النبلاء ١٧٤/٨.

(٢) كتاب التوبة (١٨٠)، جامع العلوم والحكم ١١٧٣/٣.

(٣) عون بن عبدالله بن عتبة الهذلي، العابد الزاهد، ثقة، روىٰ له الجماعة سوىٰ البخاري. صفة الصفوة ١٠٠/٣، تهذيب الكمال ٤٥٣/٢٢.

(٤) كتاب التوبة (١٨٢)، تاريخ دمشق ٧٧/٤٧.

(٥) كتاب التوبة (١٨٦)، تاريخ دمشق ٧٨/٤٧.

(٦) كتاب التوبة (١٩١)، الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢٩/١، ذم الهوىٰ ص ٢١٦.




علىٰ عبدِكَ موسىٰ ألَّا نردَّ السؤَّال إذا أقاموا بأبوابنا ، وإنَّا سؤَّالٌ من سؤَّالِكَ ببابٍ من أبوابك ، فلا تردَّ سؤَّالك.

وقالَ الثاني: اللَّهمَّ إنَّكَ أمرتنا في التوراةِ التي أنزلتَ علىٰ عبدِكَ موسىٰ أن نعفوَ عمَّن ظلمنا ، وإنَّا ظلمنا أنفسَنا ، فاعفُ عنَّا.

وقالَ الثالث: اللَّهمَّ إنَّكَ أمرتَنا في التوراةِ التي أنزلتَ علىٰ عبدِكَ موسىٰ أن نعتقَ رقابنا ، وإنَّا عبيدُكَ وأرقَّاؤك ، فأوجبْ لنا عتقاً.

فأوحَىٰ الله سبحانهُ إلىٰ النَّبيِّ أنَّه قد قبلَ منهم ، وعفا عنهم(١).

وقالَ مجاهد في قولهِ تعالىٰ: الأوَّاه(٢) الحفيظُ ، الذي يذنبُ الذنبَ سرَّاً ، ثمَّ يتوبُ منه سرَّاً(٣).

وحكىٰ زهير السلولي(٤) قال: كان رجلٌ من بَلعنبر(٥) قد لهجَ بالبكاء ، فكان لا تكادُ تراهُ إلَّا باكياً ، فعاتبَهُ بعضُ إخوانه ، فقالَ له: ما يبكيكَ ـ رحمكَ اللهُ ـ هذا البكاءَ الطويل؟ قال: فبكىٰ ، ثمَّ قال:

بكيتُ علىٰ الذنوبِ لعُظمِ جُرمي ... وحُقَّ لكلِّ من يَعصي البكاءُ

[٢٠١/ب]

---

(١) كتاب التوبة (١٣٩) ، كتاب العقوبات (١٧٧).

(٢) في الأصل «الأواب» ، وتصحيحه من المصادر ، ويعني قوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٤].

(٣) كتاب التوبة (١٤٠) ، تفسير ابن أبي حاتم ٦/١٨٩٧ ، تفسير ابن كثير ٤/٢٢٦.

(٤) زهير بن نعيم البابي السلولي ، نزيل البصرة ، أحد العبّاد والزهّاد المتقشفين. توفي في خلافة المأمون. تهذيب الكمال ٩/٤٢٦.

(٥) من قبائل بني تميم.

فلـو كـان البكـاءُ يـردُّ همِّـي ... لأسـعَدتِ الـدموعَ معـاً دمـاءُ

قال: ثمَّ بكىٰ حتَّىٰ غُشيَ عليه، فقامَ الرجلُ عنه وتركه[1].

وحكىٰ يونس بنُ حلبس، أنَّ فتيةً من الحكماءِ تداعَوا فقالوا: تعالَوا نتركْ كلَّ لذةٍ من قبلِ أن ندركَ الكبر، فتسترخيَ المفاصلُ التي كانت قويةً علىٰ الشهوة[2].

وحكيَ عن لقمانَ رضي الله عنه أنَّه قالَ لابنه: يا بنيَّ، عوِّدْ لسانكَ أن يقول: اللَّهمَّ اغفرْ لي، فإنَّه لله ساعاتٍ لا يَردُّ فيهنَّ سائلاً[3].

وكان عبدالله بنُ المبارك يتمثَّلُ فيقول:

وكيـف تحـبُّ أن تُـدعَىٰ حكيمـاً ... وأنـت لكـلِّ مـا تهـوىٰ ركـوبُ

وتضـحكُ دائبـاً ظهـراً لـبطنٍ ... وتـذكرُ مـا عملـتَ فـلا تتـوبُ[4]

ورويَ عن عبدالله بن يزيد بن معاوية أنَّه قال: الكلماتُ التي تلقَّىٰ آدمُ من ربِّهِ فتابَ عليه: لا إله إلَّا أنت، سبحانكَ اللَّهمَّ وبحمدك، اللَّهمَّ عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي فاغفرْ لي وأنت خيرُ الغافرين، لا إله إلَّا أنت، سبحانكَ وبحمدك، عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي فارحمني وأنت خيرُ الراحمين، لا إله إلَّا أنت، سبحانكَ وبحمدك، عملتُ سوءاً وظلمتُ نفسي فتبْ عليَّ وأنت

---

(١) كتاب التوبة لابن أبي الدنيا (١٥٦)، الرقة والبكاء له أيضًا (١٧٧)، التبصرة لابن الجوزي ١/٣٧١، شعب الإيمان (٧٩٨)، وآخر البيت فيه: وأسبلت الدموع بها دماء.

(٢) كتاب التوبة (١٥٧).

(٣) كتاب التوبة (١٥٩)، الدر المنثور ٦/٥٢٠.

(٤) كتاب التوبة (٨)، حسن التنبه ٥/١٤١. وهما لأبي العتاهية. ديوانه ص ١٠.

التوَّابُ الرحيم[1].

وقالَ رجلٌ من العبَّادِ لابنه: يا بنيَّ، لا تكنْ ممَّن يرجو الآخرةَ بغيرِ عمل، ويؤخِّرُ التوبةَ بطولِ الأمل[2].

وقالَ لقمانُ لابنه: يا بنيَّ، لا تؤخِّرِ التوبة، فإنَّ الموتَ يأتي [٢٠٢/أ] بغتة[3].

وروىٰ ابنُ أبي الدنيا عن محمَّد بن هارون، حدَّثنا الحسن بن موسىٰ قال: حدَّثنا مهدي بن ميمون قال: حدَّثنا واصل مولىٰ أبي عيينة قال: دفعَ إليَّ يحيىٰ بن عقيل صحيفة، قال: أُنبِئتُ أنَّ ابنَ مسعود كان يقول:

الذنوبُ أربعة: ذنبان مغفوران، وذنبان لا يُغفران:

رجلٌ عملَ ذنباً خطأً، فالله يمنُّ ولا يعذِّبهُ عليه، فقد قالَ تعالىٰ فيما أنزل: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٥]، ورجلٌ عملَ ذنباً قد علمَ ما فيه، فتابَ إلىٰ الله منه، وندمَ علىٰ ما فعل، وقد جزىٰ الله أهلَ هذا الذنبِ أفضلَ الجزاء، فقال في كتابه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥] إلىٰ آخرِ الآية[4].

---

(١) كتاب التوبة (٢١)، تاريخ مدينة دمشق ٤٣٥/٧، الدر المنثور ١٤٥/١.

(٢) كتاب التوبة (٢٨)، أدب الدنيا والدين ص ١٠١، العاقبة في ذكر الموت ص ٦٧. وهو من قول علي بن أبي طالب، كما في المصدرين الأخيرين.

(٣) كتاب التوبة (٢٩)، الزهد الكبير للبيهقي (٥٩٠)، لطائف المعارف ص ٣٤٤.

(٤) قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

وذنبان لا يَغفرُهما لأهلِهما: رجلٌ عملَ ذنباً قد علمَ ما فيه، فأصرَّ عليه، ولم يتبْ إلى الله تعالى منه، ولن يتوبَ الله على عبدٍ حتَّى يتوب، ولن يغفرَ الله لمذنبٍ حتَّى يستغفرَ الله. ورجلٌ زُيِّنَ له سوءُ عملهِ فرآهُ حسناً، فإنَّ هذه التي يَهلكُ فيها عامَّةُ من يَهلك من هذه الأمة(١).

وقالَ مَعبد بنُ طَوق العنبري:

تلقَى الفتى حذرَ المنيَّةِ هارباً ... منها وقد حدَقتْ به لو يشعرُ
نصبتْ حبائلَها له مِن حولهِ ... فإذا أتاهُ يومُهُ لم يُنظَرُ
إنَّ امرءاً أمسَى أبوهُ وأمُّهُ ... تحت الترابِ لنُزْلهِ يتفكَّرُ [٢٠٢/ب]
تُعطَى صحيفتَكَ التي أمليتَها ... فترى الذي فيها إذا ما(٢) تُنشَرُ
حسناتُها محمودةٌ قد أُحصيَتْ ... والسيئاتُ، فأيُّ(٣) ذلك أكثرُ؟(٤)

وحُكيَ أنَّه لمَّا أرادَ الخَضِرُ أن يفارقَ موسى عليهما السلام، قالَ له موسى: أوصني، فقال: كنْ نفَّاعاً ولا تكن ضرَّاراً، كنْ بشَّاشاً ولا تكنْ غضبان، ارجعْ عن اللجاجة، ولا تمشِ في غيرِ حاجة، ولا تعيِّرْ أحداً بخطيئته، وابكِ على خطيئتِكَ يا ابنَ عمران(٥).

وقالَ طَلْق بنُ حبيب(٦): إنَّ حقَّ الله أثقلُ من أن يقومَ به العباد، وإنَّ نعمَ

(١) كتاب التوبة (٣٢).
(٢) في الأصل: لم.
(٣) في الأصل: فإن.
(٤) كتاب التوبة (٣٤)، المجالسة وجواهر العلم ٤/٤٣٧.
(٥) كتاب التوبة (٥٦)، إحياء علوم الدين ٤/٥٦، حسن التنبه ٢/٥٤٢.
(٦) طلق بن حبيب العنَزي البصري. من العبّاد، كان بارًّا بأمه، ويرى الإرجاء. صدوق في=




الله أكثرُ من أن يُحصيَها العباد، ولكن أصبِحوا توَّابين، وأمسُوا توَّابين(١).

وقالَ فضيل بنُ عياض: بقدرِ ما يصغرُ الذنبُ عندكَ يَعظمُ عند الله سبحانه، وبقدرِ ما يعظمُ عندكَ يصغرُ عند الله سبحانه(٢).

وهذا كلامٌ حسن؛ لأنَّك إن صغَّرتَ الذنبَ استهنتَ به، فكان كبيراً، وإن عظَّمتَهُ استغفرتَ منه وخفته، وتبتَ منه، فصارَ حقيراً.

ورويَ عن عليٍّ بنِ أبي طالب كرَّمَ الله وجهَهُ أنَّه قال: ما حدَّثني أحدٌ حديثاً عن رسولِ الله ﷺ إلَّا سألتهُ أن يُقسِمَ بالله لهو سمعَهُ من رسولِ الله ﷺ، إلَّا أبو بكر رضي الله عنه؛ فإنَّه كان لا يكذب، قال: فحدَّثني أبو بكر أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**ما من عبدٍ يذنبُ ذنباً، ثمَّ يقومُ عند ذكرِ ذنبهِ فيتوضَّأ، ويصلِّي ركعتين**، [٢٠٣/أ] **ويستغفرُ الله من ذنبه، إلَّا غفرَهُ الله له**»(٣).

وروىٰ عطاء عن ابنِ عباس قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**التائبُ من الذنبِ كمن لا ذنبَ له، والمستغفرُ من الذنبِ وهو مقيمٌ عليه كالمستهزئِ بربِّه**»(٤).

= الحديث. صفة الصفوة ٢٥٨/٣، تهذيب الكمال ٤٥١/١٣.

(١) كتاب التوبة (٦٢)، تفسير ابن كثير ٥١١/٤.

(٢) كتاب التوبة (٧٤)، الزواجر عن اقتراف الكبائر ٢١/١، ذم الهوىٰ ص ٨٤.

(٣) لفظه من كتاب التوبة لابن أبي الدنيا (٨٣)، ورواه بألفاظ مقاربة أحمد في المسند (٢): الحديث الثاني من مسند أبي بكر رضي الله عنه، وقال محققه الشيخ شعيب: إسناده صحيح، وأبو يعلىٰ في مسنده (١٢) وذكر محققه حسين أسد أيضًا أن إسناده صحيح، وأبو داود في السنن (١٥٢١)، وذكر محققه الشيخ شعيب أن إسناده حسن.

(٤) التوبة لابن أبي الدنيا (٨٥)، شعب الإيمان (٦٧٨٠) قال الحافظ السخاوي: سنده ضعيف، فيه من لا يعرف، وروي موقوفًا، قال المنذري: ولعله أشبه، بل هو الراجح. المقاصد الحسنة (٣١٣)، كما ضعفه في ضعيف الجامع (٢٤٩٨).

قالَ سفيان بنُ عيينة: بينما أنا أطوفُ بالبيت، وإلىٰ جانبي أعرابيٌّ يطوفُ وهو ساكت، فلمَّا أتمَّ طوافَهُ جاءَ إلىٰ المقامِ فصلَّىٰ ركعتين، ثمَّ جاءَ فقامَ حذاءَ البيتِ(١) فقال: إلهي، مَن أولَىٰ بالزللِ والتقصيرِ منِّي وقد خلقتني ضعيفاً، ومن أولَىٰ بالعفوِ عنِّي منكَ وعلمُكَ بي سابق، وقضاؤكَ بي محيط؟ أطعتُكَ بإذنِكَ والمنَّةُ لك، وعصيتُكَ بعلمِكَ والحجَّةُ لك، فأسألُكَ بوجوبِ حُجَّتِكَ عليَّ وانقطاعِ حجَّتي، وفقري إليكَ وغناكَ عنِّي، إلَّا ما غفرتَ لي.

قالَ سفيان: ففرحتُ فرحاً ما أعلمُ أنَّني فرحتُ مثلَهُ حين سمعتهُ يتكلَّمُ بهؤلاءِ الكلمات(٢).

وحكيَ عن بعضِ الملوكِ أنَّه قالَ لبعضِ الحكماء: العجبُ لمن عرفَ الله وجلالَهُ كيف يخالفُ أمرَهُ وينتهكُ حرمته(٣)، فقالَ الحكيم: بإغفالِ الحذر، وبسطِ أمدِ الأمل، وبعسَىٰ وسوفَ ولعلَّ. قالَ الملك: فبمَ يعتصمُ من الشهوةِ وقد ركِّبتْ في أبدانٍ ضعيفة، ففي كلِّ جزءٍ من البدنِ للشهوةِ حلولٌ ووطن؟ قالَ الحكيم: إنَّ الشهوةَ من نتاجِ الفكر، وقرينُ كلِّ فكرةٍ عبرة، ومع كلِّ شهوةٍ زاجرٌ عنها، فمن قرنَ شهواتهِ بالاعتبار، وحاطَ نفسَهُ بالانزجار، انحلَّتْ [٢٠٣/ب] عنه ربقةُ العدوان، ودحضَ مثيرَ فكرهِ بإيثارِ الصبرِ علىٰ شهوته، لما يرجو من ثوابِ الله علىٰ طاعته، وعقابهِ علىٰ معصيته(٤).

وحكىٰ مالك بن دينار عن بشير الدمشقي قال: قيلَ لناجية بن الأبرص:

(١) أي: بجانبه، أو بجواره.
(٢) التوبة لابن أبي الدنيا (٩٠)، حلية الأولياء ٧/٣٠٤.
(٣) في الأصل: حريمه.
(٤) التوبة لابن أبي الدنيا (٩٤)، ذم الهوىٰ ص ٣٠.

إنَّ عيسىٰ بنَ مريم يأتيكم ، قال: فجاءَ السيَّاحُ من الغِيران[1] والجزائرِ وسفوحِ الجبالِ وأطلَّةِ الأشجار ، وتركوا متعبَّدهم. فصفُّوا لعيسىٰ عليه السلام رجاءَ أن يسمعوا موعظته ، قال: فلمَّا جاءَ قال: اللَّهمَّ اغفرْ لنا ، اللَّهمَّ اغفرْ لنا ، فقالوا: يا روحَ الله ، إنَّا رجونا أن نسمعَ اليومَ منكَ موعظةً لم نسمعها فيما مضىٰ ، فأوحَىٰ الله عز وجل إلىٰ عيسىٰ: يا عيسىٰ ، قلْ لعبادي: إنَّه من أغفرُ له مغفرةً واحدةً أصلحُ بها دنياهُ وآخرته[2].

وروىٰ ثابت البناني عن أنس قال: دخلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علىٰ شابٍّ وهو في الموت ، فقالَ له: «**كيف تجدُك**»؟ قال: أرجو الله يا رسولَ الله صلَّىٰ الله عليك ، وأخافُ ذنوبي ، قال: فقالَ صلى الله عليه وسلم: «**لا يجتمعانِ في قلبِ عبدٍ في مثلِ هذا الموطنِ إلَّا أعطاهُ الله الذي يرجو ، وأمَّنَهُ ممَّا يخاف**»[3].

وهذا إنَّما خصَّ به هذا الموطنَ لأنَّه خاتمةُ عمله ، فإذا رجا ربَّهُ فقد أحسنَ به الظنَّ في موطنِ ذلك ، وإذا خافَ ذنوبَهُ فقد ندمَ عليها وأشفقَ منها ، والتوبةُ مقبولةٌ ما دامتِ الحياةُ باقية ، فأمَّا قولهُ تعالىٰ: [٢٠٤/أ] ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨] فإنَّما المرادُ بذلك من نزلَ به الموت ، وإنَّما تكونُ التوبةُ قبلَ ذلك.

ورويَ عن ثابت البناني قال: عبدَ رجلٌ ربَّهُ سبعينَ سنة ، قال: فجعلَ

---

(١) جمع غَوْر: كل منخفض من الأرض.

(٢) الدر المنثور ٢/٢٠٤. وليس فيه ذكر ناجية الأبرص. ويأتي في مصادر: يا داود ، بدل: يا عيسىٰ.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتب له ، مثل كتاب المحتضرين (١٧) ، وحسن الظن بالله (٣١) ، والمرض والكفارات (١٠٨) ، ورواه بالسند نفسه الترمذي في سننه (٩٨٣) وقال: حديث حسن غريب ، وكذلك ابن ماجه (٤٢٦١) ، وحسنه في السلسلة الصحيحة ٣/٤١.

يقولُ في دعائه: ربِّ اجْزِني بعملي، قال: فمات، فأُدخِلَ الجنَّة، قال: فكان فيها سبعينَ سنة، فلمَّا استكملها قيلَ له: اخرج، فقد استكملتَ ثوابَ عملك، قال: فأُسقِطَ في يديه، وقلبَ في أمرِهِ أيَّ شيءٍ كان أوثقَ في نفسهِ في الدنيا، قال: فلم يجدْ شيئاً كان أوثقَ في نفسهِ في الدنيا من الدعاءِ والتضرُّعِ إليه، فأقبلَ يقولُ في دعائه: ربِّ إنِّي سمعتُكَ في الدنيا وأنت تُقيلُ العثرات، فأقِلِ اليومَ عثرتي، قال: فتُرِكَ فيها[1].

وفي معنىٰ هذا الحديثِ ما رويَ عن عليٍّ كرَّمَ الله وجهَهُ أنَّه قال: خمسٌ لو ضُرِبَتْ أكبادُ الإبلِ لم تجدهنَّ إلَّا عندي: لا يرجونَّ أحدٌ إلَّا ربَّه، ولا يخافنَّ أحدٌ إلَّا ذنبه، ولا يستنكفْ عالمٌ يُسأَلُ عمَّا لم يعلمْ أن يقولَ لا أعلم، ولا يستنكفْ جاهلٌ لا يعلمُ أن يتعلَّم، ورأسُ الأمرِ الصبرُ[2].

فبيَّنَ أنَّه لا ينبغي لأحدٍ أن يرجوَ عمله، فإنَّه لا يدري أيَصلُحُ أن يُقبَلَ أو لا؟ بل يكونُ رجاؤهُ متعلِّقًا[3] بفضل ربِّه، ولا ينبغي أن يخافَ إلَّا ذنبه، يريدُ أن لا يخافَ علىٰ الدنيا الذهاب، فإنَّ كلَّ ما [٢٠٤/ب] يخافهُ في الدنيا يزولُ كما يزولُ نعيمُها، وإنَّما يخافُ ذنبه، فيرجعُ إلىٰ ربِّهِ بالتضرُّع، فيغفرُ له.

وقالَ بعضُ الشعراء:

إنَّــكَ فــي دارٍ لهـا مـدَّةٌ يُقبَـلُ فيهـا عمـلُ العامـلِ
أمـا تـرىٰ المـوتَ محيطـاً بهـا يَقطـعُ فيهـا أمـلَ الآمـلِ

(١) الزهد لأحمد (٤٩٨)، شعب الإيمان (١١٢١).
(٢) أدب الدنيا والدين ص ٧٤، صفة الصفوة ١/١٢٢.
(٣) في الأصل: متعلق.

تعجِّلُ الذنبَ كما تشتهي ... وتأملُ التوبةَ من قابلِ
والموتُ يأتي بعد ذا غفلةً ... ما ذا بفعلِ الحازمِ العاقلِ[1]

وقالَ بعضُ الحكماء: العقلُ صديقٌ مقطوع، والهوىٰ عدوٌّ متبوع[2].

الدعاء

قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

والدعاءُ من جملةِ العبادات، بل هو من أفضلها؛ فإنَّه يتضمَّنُ الاعترافَ بالربوبية، والإخلاصَ في الرغبة، والتواضعَ والافتقارَ إلىٰ القادرِ الكريم.

واعلمْ أنَّ الدعاءَ المسموعَ ما كان عن الإخلاصِ والخضوع، ولا يُسمَعُ الدعاءُ والقلبُ ساهٍ.

وقد حُكيَ أنَّ الله تعالىٰ أوحَىٰ إلىٰ داود ﷺ: لا تَدعُني غفلةً فأجيبكَ سخطاً، ولهذا قالَ سبحانه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]؛ لأنَّ المضطرَّ صادقٌ في الرغبة، مخلصٌ في الطلب، خاضعٌ لشدَّةِ حاجته، وكلُّ داعٍ وطالبٍ للرحمةِ فحاجتهُ وضرورتهُ أعظمُ من حاجةِ مَن وقعَ في أمرٍ يكرههُ [٢٠٥/أ] من أمورِ الدنيا، وإنَّما تشتدُّ رغبتهُ إذا وقعَ في مكروهٍ من أمورِ الدنيا لدفعِ الضررِ العاجل، والغفلةِ عن الآجل، ولو تصوَّرَ ما يخافهُ من الآجلِ لصغرَ

(١) أدب الدنيا والدين ص ١١٧، تاريخ دمشق ٥٦/٢٣٨.
(٢) محاضرات الأدباء ١/٣٠، التذكرة الحمدونية ٣/٢٦٥.

في حينهِ كلُّ أمرٍ عاجل، واشتدَّتْ رغبته، وعظمتْ ضرورته.

وقد قالَ بعضُ الصالحين: دعاءُ المؤمنِ عملهُ الصالح.

وهذا معناهُ أنَّ الإجابةَ تكونُ للصالحين، ولعمري إنَّ الدعاءَ المسموعَ إنَّما يكونُ بالإنابةِ والتضرُّعِ والإخلاص، وهذا يكونُ من الصالحين، فأمَّا المقيمُ علىٰ المعاصي، والغافلُ عن آياتِ الله ومعرفته، فإنَّما يكونُ دعاؤهُ بلسانه؛ لأنَّ قلبَهُ مشغولٌ بهواه، ولو حصلَ في قلبهِ الإنابةُ لانكشفَ له قبيحُ ما هو عليه، وندمَ عليه، واستحيا منه، ودعاهُ ذلك إلىٰ التوبة، قالَ الله سبحانه: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤]، معناهُ أنَّ اكتسابَ الذنوبِ يغطِّي علىٰ القلبِ فلا يُبصر.

ويقالُ إنَّ المعصيةَ كالنكتةِ السوداء، فإن تابَ وراجعَ زالَ ذلك عن قلبه، وإن أتبعَ الذنبَ بالذنبِ اسودَّ القلبُ وعَمي، قالَ سبحانه: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾(١) [الحج: ٤٦].

وقولهُ تعالىٰ: ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٣]. فبيَّنَ الله تعالىٰ داءَهم، وأنَّ قلوبَهم لاهيةٌ عن الفكرة، مشغولةٌ بالأعمالِ التي هم لها [٢٠٥/ب] عاملون.



(١) في حديث أبي هريرة المرفوع: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتىٰ تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾». سنن الترمذي (٣٣٣٤) وقال: حديث حسن صحيح.

فَصْلٌ
[الدعاء والذكر]

روىٰ أنس بنُ مالك أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**يقولُ الله ﷻ: ثلاثة، واحدةٌ لي، وواحدةٌ لكَ يا ابنَ آدم، وواحدةٌ بيني وبينك، فأمَّا التي لي فتُخلِصُ لي ولا تشركُ بي شيئاً، وأمَّا التي لكَ فأحوجُ ما تكونُ إلىٰ عملِكَ أُوفيكَه، وأمَّا التي بيني وبينك، فمنكَ الدعاءُ ومنِّي الإجابة**»(١).

وإنَّما جُعِلَ الدعاءُ بين العبدِ وبينه لأنَّ في الدعاءِ عبادةً لله تعالىٰ، وخضوعاً له وتعظيماً، ويعودُ نفعهُ إلىٰ العبدِ بحصولِ الإجابةِ أو الثواب.

وروىٰ ابنُ أبي الدنيا بإسنادهِ عن النعمان بنِ بشير قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**الدعاءُ هو العبادة**»، وقرأَ هذه الآية: ﴿**ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ**﴾(٢) [غافر: ٦٠].

وروىٰ أيضاً بإسنادهِ عن جعفر بنِ محمَّد، عن أبيه، عن جدِّه، عن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**الدعاءُ صلاحُ المؤمن، وعمادُ الدِّين، ونورُ السماواتِ والأرض**»(٣).

---

(١) البحر الزخار (٦٦٩٣) قال البزار: هذا الحديث لا نعلم رواه الحسن عن أنس إلا صالح المرّي، تفرد به أنس. وضعفه في السلسلة الضعيفة (٤١٥٢).

(٢) سنن أبي داود (١٤٧٩)، سنن ابن ماجه (٣٨٢٨)، سنن الترمذي (٢٩٦٩)، وصححه لهم الألباني في صحيح سننهم. ولم أجده في المطبوع من كتب ابن أبي الدنيا، فيبدو من كتابه (الدعاء) المفقود.

(٣) لم أجده في المطبوع من كتب ابن أبي الدنيا، ولا في غيره من كتب السنن.

وروىٰ بإسنادِهِ عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لا ينفعُ حذرٌ من قدَر، والدعاءُ ينفعُ ممَّا نزلَ وممَّا لم ينزل، وإنَّ البلاءَ لينزل، فيتلقَّاهُ الدعاء، فيعتلجان إلىٰ يومِ القيامة**»(١).

وهذا مثَل، كأنَّ الدعاءَ مانعٌ من البلاء، وهذا قد بيَّنهُ قولهُ تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

وروىٰ بإسنادِهِ عن سالم بنِ أبي الجعد، [٢٠٦/أ] عن أبي الدرداء قال: من كثرَ دعاؤهُ في الرخاء، استجيبَ له عند البلاء، ومن يكثرْ قرعَ البابِ يُفتحْ له(٢).

وروىٰ بإسنادِهِ عن أنس، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**يا أيُّها النَّاس، إنَّ ربَّكم ﷻ حييٌّ كريم، يستحيي من عبدِهِ أن يمدَّ إليه يديهِ ثمَّ يردَّهما خائبتين**»(٣).

وروىٰ أيضاً بإسنادِهِ عن أنس، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إذا فُتِحَ علىٰ عبدٍ الدعاءُ فليدعُ، فإنَّ الله يستجيبُ له**»(٤).

---

(١) القضاء والقدر للبيهقي (٢٤٦)، مسند الشهاب للقضاعي (٨٥٩)، المعجم الأوسط (٢٤٩٨)، المستدرك للحاكم (١٨١٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، والبزار بنحوه، وفيه زكريا بن منظور، وثقه أحمد بن صالح المصري، وضعفه الجمهور، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد (١٧١٩٢).

(٢) شعب الإيمان (٩٥٣٠)، تاريخ دمشق ١٧٢/٤٧.

(٣) مسند أبي يعلىٰ (٤١٠٨) وضعف محققه إسناده. ومن حديث سلمان ﷺ في سنن الترمذي (٣٥٥٦)، وسنن ابن ماجه (٣٨٦٥)، وصححه من رواية سلمان في صحيح الجامع (١٧٥٧).

(٤) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ٢١٣/٢، وحسنه له السيوطي في الجامع الصغير=

وهذا محمولٌ على الدعاءِ مع الإخلاصِ والتضرُّع ، وقلَّ أن يوجدَ ذلك من مصرٍّ على المعاصي ، وإنَّما يوفَّقُ للدعاءِ المنيبُ إلى الله سبحانه ، والمنيبُ الخاشعُ لا يُردُّ دعاؤه، قالَ سبحانه: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقد يدعو الإنسانُ بأمرٍ من أمورِ الدنيا فلا يجابُ إليه ، وقد يكونُ ذلك ممَّا لا مصلحةَ له فيه ، قالَ الله سبحانه: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١] ، ومعنى ذلك أنَّه لا يعرفُ ما هو خيرٌ له من أمورِ الدنيا ممَّا هو شرٌّ له ، فيدعو بما هو شرٌّ له كما يدعو بما هو خيرٌ له. وقوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ معناهُ أن يستعجلَ الإجابة ، وربَّما كان تأخيرُها خيراً له.

ورويَ عن عبدالله بن أبي أوفى أنَّه قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا أصبحَ قال: «**أصبحنا وأصبحَ الملكُ** [٢٠٦/ب] **والكبرياءُ والعظمةُ والخلقُ والأمرُ والليلُ والنَّهارُ وما سكنَ فيهما لله وحدَهُ لا شريكَ له ، اللَّهمَّ اجعلْ أوَّلَ هذا النَّهارِ صلاحاً ، [وأوسطَهُ فلاحًا] ، وآخرَهُ نجاحاً ، اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ خيرَ الدنيا وخيرَ الآخرة ، يا أرحمَ الراحمين**»(١).

= (٧٧٣) ، لكن ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٠٣). وهو في الدعوات الكبير للبيهقي (٦٦٤) بلفظ: «إذا مدَّ لأحدكم في الدعاء فليدع فإن الله يستجيب له».

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك (١٠٨٥) ، مصنف ابن أبي شيبة (٢٩٨٨٨) ، عمل اليوم والليلة لابن السني (٣٨) ، الدعاء للطبراني (٢٩٦). وفي سنده فائد أبو الورقاء ، قال البوصيري: إسناد ضعيف لضعف فائد أبو الورقاء. إتحاف الخيرة المهرة (٦٠٨٥) ، وذكر الألباني أنه ضعيف جدًّا. السلسلة الضعيفة (٢٠٤٨). وما بين المعقوفتين من المصادر.

وقالَ وهب بنُ منبِّه[١]: كان دعاءُ عيسىٰ عليه السلام الذي يدعو به للمرضَىٰ والزمنَىٰ والعميان والمجانين وغيرهم: اللَّهمَّ أنت إلهُ مَن في السماءِ وإلهُ مَن في الأرض، لا إله فيهما غيرُك، وأنت جبَّارُ مَن في السماءِ وجبَّارُ مَن في الأرض، لا جبَّارَ فيهما غيرُك، وأنت حكيمُ مَن في السماءِ وحكيمُ مَن في الأرض، لا حكيمَ فيهما غيرُك، قدرتُكَ في الأرضِ كقدرتِكَ في السماء، وسلطانُكَ في الأرضِ كسلطانِكَ في السماء، باسمِكَ الكريم، ووجهِكَ المنير، وملكِكَ القديم، إنَّك علىٰ كلِّ شيءٍ قدير[٢].

وقالَ وهبٌ أيضاً: إنَّه كان من دعاءِ المسيحِ صلَّىٰ الله عليه، حين أخذَهُ اليهودُ ليصلبوه[٣]: اللَّهمَّ أنت القريبُ في علوِّك، المتعالي في دنوِّك، الرفيعُ علىٰ كلِّ شيءٍ من خلقك، أنت الذي نفذَ بصرُكَ في خلقك، وحسرتِ الأبصارُ دونَ النظرِ إليك، أنت الذي جلَّيتَ الظُّلَمَ بنورِك، فتباركتَ اللَّهمَّ خالقَ كلِّ شيءٍ بقدرتك، مقدِّرَ الأمورِ بحكمتك، مبتدعَ الخلقِ بعظمتك، القاضي في كلِّ شيءٍ بعلمك، أنت الذي خلقتَ سبعاً في الهواءِ بكلماتِكَ مستوياتِ الطِّباق، [٢٠٧/أ] مذعِناتٍ بطاعتك، سما بهنَّ العلوُّ بسلطانك، فأَتَينَ طائعاتٍ بأمرك، فيهنَّ ملائكتُكَ يسبِّحنَ بتقديسك، وجعلتَ فيهنَّ نورَ الظلام، وضياءَ

---

(١) هنا زيادة كلمة «قال».

(٢) المجالسة وجواهر العلم (١٢٠٣)، تاريخ مدينة دمشق ٤٧/٣٩١.

(٣) قد يشكل هذا علىٰ البعض، فالله ﷻ يقول: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]. وفي الزهد للدينوري: ليصلبوه بزعمهم فرفعه الله إليه. ونقل الآلوسي عن وهب قوله: أسروه ونصبوا خشبة ليصلبوه، فأظلمت الأرض... وفي تاريخ دمشق، والأنس الجليل، أنه قاله عند رفعه إلىٰ السماء. وفي أكثر من مصدر أنه قال ذلك في طفولته أو صباه. وهو من الإسرائيليات علىٰ كل حال.

أضواءٍ من شمسِ النهار، وجعلتَ فيها مصابيحَ يُهتدَىٰ بها في ظلماتِ البرِّ والبحر، ورجوماً للشياطين، فتباركتَ اللَّهمَّ، وممَّا دحوتَ من أرضِكَ دحوتَها علىٰ الماء[1]، وأذللتَ لها الماءَ فذلَّ لطاعتك، وأذعنَ لأمرك، وخضعَ لقوَّتِكَ أمواجُ البحار، وأخرجتَ منها الأشجارَ بالثمار، وجعلتَ علىٰ ظهرها الجبالَ أوتاداً، وأطاعتكَ أطوادُها، فتباركتَ اللَّهمَّ، لا إله إلَّا أنت سبحانك، أمرتَ أن يستغفركَ كلُّ خاطئ، لا إله إلَّا أنت، إنَّما يخشاكَ من عبادِكَ العلماءُ الأكياس، أشهدُ أنَّك أحدٌ صمد، لم تلِدْ ولم تولَد، ولم يكنْ لك كفُواً أحد، ولم تتخذْ صاحبةً ولا ولدًا، اجعلْ لي فرجاً ومخرجاً[2].

وروىٰ ابنُ أبي الدنيا بإسنادِهِ عن الحسن البصري أنَّه قال: لمَّا بعثَ الله تعالىٰ إدريسَ عليه السلام إلىٰ قومه، وقد فشا فيهم السِّحر، ولم يُطِقهم، علَّمَهُ الله عز وجل هذه الأسماء، أوحىٰ إليه: لا تُبدِيهنَّ للقومِ فيَدعُون بهنَّ، ولكن قلهنَّ سرًّا في نفسك، وكان إذا دعا بهنَّ استجيبَ له، وبهنَّ دعا فرفعَهُ الله إليه مكاناً عليًّا، وعلَّمهنَّ الله سبحانهُ موسىٰ عليه السلام، فكان لا يَخلصُ إليه سحرٌ ولا سمٌّ إذا دعا بهنَّ، ثمَّ [٢٠٧/ب] علَّمهنَّ الله عز وجل محمَّداً صلى الله عليه وسلم، وكان إذا دعا بهنَّ استُجيبَ له، وبهنَّ دعا في غزوةِ الأحزاب.

قالَ الحسن: وكنتُ مستخفياً من الحجَّاج، فدعوتُ الله عز وجل بهنَّ، فحبسه، ولقد دخلَ عليَّ ستَّ مرات، فأدعو الله عز وجل بهنَّ، فيأخذُ الله تعالىٰ بأبصارهم عنِّي.

---

(١) دحاها: بسطها ومدَّها.

(٢) تاريخ دمشق ٤٧/٣٦٢، ٣٧٧، ٤٧٣، البداية والنهاية ٢/٤٧٦، الأنس الجليل ١/١٦٧.

فإذا أردتَ أن تدعوَ الله ﷻ التماسَ المغفرةِ لجميعِ الذنوبِ والخطايا فصمْ ثلاثةَ أيام، واغتسل، والبسْ ثياباً جُدَداً، وقمْ إذا نامَ كلُّ عين، واخرجْ إلىٰ فضاءٍ من الأرض، وادعُ بهنَّ أربعين مرة، فإنَّهنَّ أربعون اسماً، عددَ أيامِ التوبة، ثمَّ سلِ الله حاجتكَ من أمرِ آخرتِكَ ودنياك، فإنَّكَ تُعطاهُ إن شاءَ الله، واجعلْ دعاءكَ لآخرتك، وتقول:

سبحانكَ لا إله إلَّا أنت يا ربَّ كلِّ شيءٍ ووارثه، يا إله الآلهةِ الرفيعُ جلالُه، يا الله المحمودُ في كلِّ فَعاله، يا رحمانَ كلِّ شيءٍ وراحمَه، يا حيُّ حين لا حيَّ في ديمومةِ ملكهِ وبقائه، يا قيُّومُ فلا يفوتُ شيئاً علمُهُ ولا يؤودُه، يا واحدُ أنت الباقي، أولُ كلِّ شيءٍ وآخرُه، يا دائمُ بلا فناءٍ ولا زوالَ لملكه، يا صمدُ من غيرِ شبهةٍ ولا شيءٌ كمثله، يا بارئُ لا شيءَ لكفئهِ ولا مدانيَ لوصفه، يا كبيرُ أنت أنت الذي لا تهتدي القلوبُ لصفةِ عظمته، يا بارئَ النفوس بلا مثالٍ خلا من غيره، يا كافي أنت الموسِّعُ لما يُغلَقُ من عطايا فضله، يا حنَّانُ أنت الذي وسعَ كلَّ شيءٍ رحمتهُ وعلمه، [٢٠٨/أ] يا منَّانُ يا ذا الإحسانِ الذي قد عمَّ كلَّ الخلائقِ منُّه، يا خالقَ مَن في السماواتِ والأرضِ وكلٌّ إليه معاده، يا رحيمَ كلِّ صريخٍ ومكروبٍ وغياثُهُ ومعاذه، يا مبدئَ البدائعِ لم يبغِ في إنشائها عوناً من خلقه، يا علَّامَ الغيُّوبِ فلا يؤودهُ شيءٌ من حِفظه، يا حليمُ ذو أناةٍ فلا يعادلهُ شيءٌ من خلقه، يا معيدَ ما أفناهُ إذا برزَ الخلائقُ لدعوتهِ من مخافته، يا حميدَ الفَعالِ ذا المنِّ علىٰ جميعِ خلقهِ بلطفه، يا عزيزُ أنت المنيعُ الغالبُ علىٰ أمرهِ فلا شيءَ يعادله، يا قاهرُ يا ذا البطشِ الشديدِ أنت الذي لا يطاقُ انتقامه، يا قريبُ متعالٍ فوق كلِّ شيءٍ ارتفاعه، يا مذلَّ كلِّ جبَّارٍ بقهرِ عزيزِ سلطانه، يا نورَ كلِّ شيءٍ وهداهُ أنت الذي فلقَ الظلماتِ

بنوره، يا قدُّوسُ فلا شيءَ يعادلهُ[1] من خلقه، يا مبدئَ البرايا ومعيدَها بعد فنائها بقدرته، يا جليلُ متكبِّرٌ عن كلِّ شيءٍ فالعدلُ أمرهُ والصدقُ وعده، يا محمودُ لا تبلغُ الأوهامُ كلَّ ثنائهِ ومجده، يا كريمَ العفوِ ذا العدلِ[2] أنت الذي ملأَ كلَّ شيءٍ عدلُه، يا عظيمُ يا ذا الثناءِ الفاخرِ وذا العزِّ والمجدِ والكبرياءِ فلا يُذَلُّ عزُّه، يا غياثي عند كلِّ كربةٍ ويا مجيبي عند كلِّ دعوة، أسأَلُكَ أماناً من عقوباتِ الدنيا والآخرة، وأن تحبسَ عنِّي أبصارَ الظَّلَمةِ المريدين لي السوء، وأن تصرفَ قلوبَهم عن شرِّ ما يُضمرون [٢٠٨/ب] إلىٰ خيرٍ لا يملكهُ غيرُك. اللَّهمَّ هذا الدعاءُ ومنكَ الإجابة، وهذا الجهدُ وعليك التُّكلان، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله، وصلَّىٰ الله علىٰ محمَّدٍ وآله[3].

ورَوىٰ ابنُ أبي الدنيا بإسنادهِ عن أنس بن مالك قال: كنَّا مع النَّبيِّ ﷺ في حلقة، ورجلٌ قائمٌ يصلِّي، فلمَّا ركعَ وسجدَ وتشهَّدَ دعا فقال: اللَّهمَّ إنِّي أسأَلُكَ بأنَّ لكَ الحمدَ لا إله إلَّا أنت، بديعُ السماواتِ والأرض، يا ذا الجلالِ والإكرام، يا حيُّ يا قيُّوم. فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**لقد دعا اللهَ باسمهِ العظيم، الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئلَ به أعطىٰ**»[4].

---

(١) في الأصل: يعاده.

(٢) في الأصل: ذو العدل.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه (الدعاء) الذي لا يعرف مصيره، ذكره السيوطي في رسالته «القول الجلي في حديث الولي». كما يفهم أن ما أورده المؤلف من آثار لابن أبي الدنيا في الأدعية يكون من كتابه هذا. ورواه أبو طالب المكي في قوت القلوب عنه ١٢٩/١.

(٤) سنن أبي داود (١٤٩٥)، مسند أحمد (١٢٦١١) وذكر محققهما الشيخ شعيب أنه حديث صحيح وإسناده قوي، ورواه الحاكم في المستدرك (١٨٥٦) وقال: حديث صحيح علىٰ شرط مسلم. ولفظه موافق لهذا.

وروىٰ بإسنادِهِ عن شهر بنِ حوشب، عن أسماءَ بنتِ يزيد، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**اسمُ الله الأعظم في هاتين الآيتين**[1]: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، **وفاتحةِ سورةِ آلِ عمران** ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾»[2] [آل عمران: ١ ـ ٢].

وروىٰ بإسنادِهِ عن عبدالله بن عُكيم قال: قلتُ لعائشةَ رضي الله عنها: علِّميني دعاء، قالت: نعم، دخلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ فقال: «**يا عائشة، إنِّي علمتُ الاسمَ الذي دعا به صاحبُ سليمان** عليه السلام»، فما ملكتُ نفسي أن اعتنقتُ رسولَ الله ﷺ وقلت: علِّمنيه، قال: «**لا يصلحُ يا عائشة**» ثلاثَ مرَّات. ثمَّ قمتُ فتوضَّأت، ثمَّ دخلتُ المسجدَ فقلت: أدعوكَ الله، وأدعوكَ البرَّ [٢٠٩/أ] الرحيم، وأدعوكَ بأسمائكَ الحسنىٰ كلِّها، ما علمتُ منها وما لم أعلم، أن تغفرَ لي، قال: فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**أصبتِ يا عائشة**» ثلاث مرَّات[3].

وروىٰ بإسنادِهِ عن بكر بن عبدالله قال: قالَ سليمان بنُ داود صلَّىٰ الله عليهما لصاحبِ العرش: قد رأيتُكَ ترفعُ شفتيكَ، فما قلت؟ قال: قلت: إلهي وإلهَ كلِّ شيءٍ إلهاً واحداً، لا إله إلَّا أنت، ائتِ به، فإذا هو مستقرٌّ عنده[4].

---

(١) في الأصل: السورتين.

(٢) سنن أبي داود (١٤٩٦) وقال محققه: إسناده ضعيف، سنن ابن ماجه (٣٨٥٥)، سنن الترمذي (٣٤٧٨) وقال: حديث حسن صحيح. وحسنه لهم في صحيح الجامع (٩٨٠).

(٣) أخرجه ابن فضيل في الدعاء، وذكر صاحب «أنيس الساري» أن إسناده ضعيف، ثم أورد حديث ابن ماجه (٣٨٥٩) بلفظ آخر، وفيه قول ابن حجر: إسناده ضعيف، وقول البوصيري: إن فيه مقالاً.

(٤) المؤلف ينقل من كتاب (الدعاء) لابن أبي الدنيا، المفقود.

وحكىٰ بإسنادهِ عن الشعبيِّ أنَّه قال: اسمُ الله الأعظم: يا الله[1].

وروىٰ بإسنادهِ عن هشام بن أبي رقية، أنَّ أبا الدرداء وابنَ عباس كانا يقولان: إنَّ اسمَ الله الأكبر: ربِّ ربِّ[2].

ورويَ عن إسحاق بنِ إسماعيل، عن سفيان، عن أبان قال: سمعتُ أنس بنَ مالك قال: سمع النَّبيُّ ﷺ أبا عيَّاش الزُّرْقي[3] وهو يقول: اللَّهمَّ إنِّي أسأَلُك بأنَّ لكَ الحمد، لا إله إلَّا أنت المنَّان، بديعُ السماواتِ والأرض، ذو الجلالِ والإكرام، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**سألتَ الله باسمهِ الأعظم**»[4].

وروىٰ بإسنادهِ عن أبي أمامة، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ اسمَ الله الأعظمَ لفي ثلاثِ سورٍ من القرآن، في سورةِ البقرة، وفي آلِ عمران، وفي طه**»، فالتمستُها، فوجدتُها آيةَ الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وفي آلِ عمران: ﴿**الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ**﴾ [٢٠٩/ب]، وفي سورةِ طه ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِ﴾[5] [طه: ١١١].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الدعاء، كما ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٤/١. ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٩٩٨٠) دون ذكر (يا) النداء.

(٢) رواه الطبراني في كتاب الدعاء (١١٩)، والحاكم في المستدرك (١٨٦٠)، وابن أبي شية في المصنف (٢٩٩٧٨).

(٣) اسمه زيد بن الصامت، رضي الله عنه.

(٤) رواه بألفاظ متقاربة أبو داود في السنن (١٤٩٥)، وابن ماجه (٣٨٥٨) وذكر الألباني أن إسناده جيد رجاله ثقات. السلسلة الصحيحة (٣٤١١).

(٥) شرح مشكل الآثار (١٧٧)، وذكر الشيخ شعيب في تخريجه أنه حسن. والمؤلف ينقل من كتاب الدعاء لابن أبي الدنيا.




وروىٰ بإسنادهِ عن القاسم بن عبدالرحمن، عن عبدالله قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا نزلَ به همٌّ أو غمٌّ قال: «**يا حيُّ يا قيُّوم، برحمتِكَ أَستغيث**»(١).

وروىٰ أيضاً بإسنادهِ عن القاسم بن عبدالرحمن، عن أبيهِ قال: قالَ عبدالله بنُ مسعود: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**ما أصابَ مسلماً قطُّ همٌّ ولا حزنٌ فقال: اللَّهمَّ إنِّي عبدُكَ، [وابنُ عبدِكَ]، وابنُ أَمَتِك، ناصيتي في يدِكَ، ماضٍ فيَّ حُكمُك، عَدْلٌ فيَّ قضاؤك، أسأُلكَ بكلِّ اسمٍ هو لكَ سمَّيتَ به نفسَك، أو أنزلتَهُ في كتابك، أو علَّمتَهُ أحداً من خَلقِك، أو استأثرتَ به في علمِ الغيبِ عندك، أن تجعلَ القرآنَ ربيعَ قلبي، وجلاءَ حزني، وذهابَ همِّي؛ إلَّا أذهبَ الله همَّه، وأبدلَهُ مكانَ حزنِهِ فرحاً**»(٢).

الاستخارة

روىٰ ابنُ أبي الدنيا بإسنادهِ عن أبي سعيد الخدري أنَّه قال: سمعتُ

---

(١) رواه في الفرج بعد الشدة (٤٧)، ورواه الحاكم في المستدرك (١٨٧٥) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي في الدعوات الكبير (١٩٠)، وصححه في الجامع الصغير (٦٧٩١)، وحسنه في صحيحه (٤٧٩١).

(٢) رواه في الفرج بعد الشدة (٤٩)، وما بين المعقوفتين منه، دون واو العطف، التي أثبتها من مصادر حديثية أخرىٰ لمناسبة السياق. ورواه أبو يعلىٰ في المسند (٥٢٩٧)، وأحمد في المسند (٣٧١٢) وفي سنديهما أبو سلمة الجهني، قال الحافظ الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلىٰ والطبراني والبزار... ورجال أحمد وأبي يعلىٰ رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان. مجمع الزوائد ١٠/١٨٩. لكن ذكر الشيخ شعيب في تخريج أحمد أن إسناده ضعيف بسبب أبي سلمة الجهني، الذي لم يتبين لأئمة الجرح والتعديل من هو، فهو في عداد المجهولين. قال: وذكر ابن حبان له في «الثقات» لا يرفع عنه صفة الجهالة، فمن عادته توثيق المجاهيل، ولم يذكره العجلي في «ثقاته» مع أنه متساهل.

رسولَ الله ﷺ يقول: «**إذا أرادَ أحدُكم أمراً فليقل: اللَّهمَّ إنِّي أستخيرُكَ بعلمك، وأستقدرُكَ بقدرتك، وأسألُكَ من فضلك، فإنَّك تَقْدِرُ ولا أَقْدِرِ، وتعلَمُ ولا أعلم، وأنت علَّامُ الغيوب، اللَّهمَّ إن كان كذا وكذا خيراً لي في ديني ومعيشتي** [٢١٠/أ] **وعاقبةِ أمري، وإلَّا فاصرفهُ عنِّي واصرفني عنه، ثمَّ اقْدُرْ ليَ الخيرَ أين كان، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله**»(١).

لخوف السلطان

روىٰ ابنُ أبي الدنيا بإسنادهِ عن عبدالله أنَّه قال: إذا خافَ أحدُكم السلطانَ الجائرَ فليقل: اللَّهمَّ ربَّ السماواتِ السبعِ وربَّ العرشِ العظيم، كنْ لي جاراً من خلقِكَ من الإنسِ والجنِّ أن يَفرُطَ عليَّ أحدٌ منهم أو أن يطغىٰ، عزَّ جارُك، وجلَّ ثناؤك، ولا إلهَ غيرُك(٢).

روىٰ ابنُ أبي الدنيا بإسنادهِ عن الفضل بنِ الربيع، عن أبيهِ قال: حجَّ أبو جعفر سنةَ سبعٍ وأربعين ومئة، فقدمَ المدينةَ وقال: ابعثْ إلىٰ جعفر بن محمَّد(٣) من يأتينا به تعباً، قتلني الله إن لم أقتله. فتغافلَ عنه الربيع، فأرسلَ إليه رسالةً قبيحة، وأمرَهُ أن يبعثَ إليه، ففعل، فلمَّا أتاهُ قالَ له: يا عبدَ الله،

---

(١) شعب الإيمان (٢٠٢)، مسند أبي يعلىٰ (١٣٤٢) وقال محققه حسين أسد: إسناده حسن. كما رواه ابن حبان في صحيحه (٨٨٥) وحسن إسناده الشيخ شعيب، وفيه زيادة أتم بها الدعاء، وهي بعد «وعاقبة أمري»: «فاقدره ويسره له وأعني عليه». وهو عند البخاري من رواية جابر في صحيحه (٦٣٨٢)، ونصه في الصحيح أتم.

(٢) الترغيب والترهيب لقوام السنة (١٢٧٠). وذكر الألباني أنه صحيح موقوف في صحيح الترغيب (٢٢٣٧) وأصله للمنذري. وهو بلفظ قريب.

(٣) الخليفة أبو جعفر المنصور أرسل إلىٰ جعفر بن محمد الصادق (ت ١٤٨ هـ).

اذكرِ الله ، فإنَّه قد أرسلَ إليكَ للتي لا يعفو لها ، فقالَ جعفر: لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله ، ثمَّ أعلمَ أبا جعفر حضورَه ، فقال: أدخله ، فلمَّا دخلَ أوعدَهُ وقال: يا عدوَّ الله ، اتَّخذكَ أهلُ العراقِ إماماً يجبون إليكَ زكاةَ أموالهم ، وتُلحِدُ في سلطاني وتبغيهِ الغوائل ؟ قتلني الله إن لم أقتلك ، فقال: يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ سليمان أُعطيَ فشكر ، وإنَّ أيوبَ ابتُليَ فصبر ، وإنَّ يوسفَ ظُلِمَ فغَفر ، [٢١٠/ب] وأنت من ذلك السُّنح(١) ، فقالَ له أبو جعفر: إليَّ وعندي أبا عبدالله ، البريءَ الساحة ، السليمَ الناحية ، القليلَ الغائلة ، جزاكَ الله من ذي رحمٍ خيراً. ثمَّ تناولَ يدَهُ وأجلسَهُ معه على فرشه ، ثمَّ استدعَى الغالية(٢) ، فغلَّفَهُ بيده ، ثمَّ قالَ له: في حفظِ الله وكلاءَته.

ثمَّ قال: يا ربيع ، الحقْ أبا عبدالله بجائزتهِ وكسوته. فانصرف ، فلحقته ، فقلت: إنِّي قد رأيتُ قبلَ ذلك ما لم تره ، ورأيتُ بعد ذلك ما قد رأيت ، فما قلتَ حين دخلتَ عليه؟ قال: قلت: اللَّهمَّ احرسني بعينِكَ التي لا تنام ، واكنفني بركنِكَ الذي لا يُرام ، واغفرْ لي بقدرتِكَ عليَّ ، ولا أَهلِكُ وأنت رجائي ، اللَّهمَّ إنَّكَ أكبرُ وأجلُّ ممَّن أخافُ وأَحذَر ، اللَّهمَّ بكَ أدفعُ في نحره ، وأستعيذُ بكَ من شرِّه(٣).

وروى أيضاً بإسناده ، أنَّ أبا جعفر دعا برجلٍ يريدُ قتله ، فلمَّا دخلَ عليه حرَّكَ شفتيهِ بشيء ، فرحَّبَ به أبو جعفر وأدناه ، ثمَّ قال: انطلقْ في حفظِ الله وكلاءَته. فلمَّا خرجَ تبعَهُ الربيعُ فقال: والله إنْ دعاكَ إلَّا للقتل ، فما قلت؟

---

(١) السُّنح: اليُمن والبركة.

(٢) نوع من الطيب.

(٣) تاريخ دمشق ١٨/٨٧ ، المنتظم ٨/١٠٧ ، مرآة الزمان ١٢/١٩٠.




قال: قلت: اللَّهمَّ كافي مَن في السماواتِ والأرض، تكفي مِن كلِّ مَن في السماواتِ والأرض، ولا يكفي منكَ مَن في السماواتِ والأرض، اكفني شرَّهُ وشرَّ كلِّ ذي شرّ، وشرَّ كلِّ دابَّةٍ أنت آخذٌ بناصيتِها، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]، اللَّهمَّ مَن أرادني فردَّه، ومن كادني فكِدَه، فُلَّ حدَّ مَن نصبَ لي حدَّه، وأطفِ عنِّي نارَ مَن شبَّ لي وَقْدَه(١)، واكفِني همَّ مَن دخلني همُّه، اللَّهمَّ اكفني مكرَ المكَرَة، وافقأْ [٢١١/أ] عنِّي أعينَ الكفَرة، وأدخلني في درعِكَ الحصينة، واعصِمني من ذلك بالسَّكينة، وباركْ لي في أهلي ومالي، وصدِّقْ قولي بفَعالي(٢).

ما يقول إذا أصبح

روىٰ بإسنادهِ عن أبي سعيد الخدري قال: كان النَّبيُّ ﷺ إذا أصبحَ وطلعتِ الشمسُ قال: «**الحمدُ لله الذي جلَّلنا عافيته، وجاءنا بالشمسِ من مطلعها، اللَّهمَّ إنِّي أصبحتُ أُشهِدُكَ بما شهدتَ به لنفسك، وشهدتْ لكَ به ملائكتُكَ وحملةُ عرشِكَ وجميعُ خلقك، أنَّك أنت الله لا إله إلَّا أنت، ﴿قَآئِمًا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾** [آل عمران: ١٨]، **اللَّهمَّ اكتبْ شهادتي مع شهادةِ ملائكتِكَ وأولي العلم، اللَّهمَّ ومن لم يشهدْ بمثلِ ما شهدتُ به فاكتبْ شهادتي مكانَ شهادته، اللَّهمَّ إنَّكَ أنت السلام، ومنكَ السلام، وإليكَ السلام، أسألُكَ يا ذا الجلالِ والإكرامِ أن تستجيبَ لنا دعوتَنا، وأن تعطيَنا رغبتَنا، وأن تزيدَنا فوق رغبتِنا، وأن تُغنيَنا عمَّن أغنيتَهُ عنَّا مِن خَلقك، اللَّهمَّ**

---

(١) شب: أشعل. والوقد: النار، واتقادها.

(٢) قسم كبير من الدعاء في كتاب المستغيثين بالله لابن بشكوال ص ٩٢، وعنه في حياة الحيوان الكبرىٰ ٢/١٣٠.

أصلحْ لي دنيايَ التي فيها معيشتي ، وأصلحْ لي ديني الذي هو عصمةُ أمري ، وأصلحْ لي آخرتي التي إليها منقلبي»[1].

ما يدعو به عند السفر

روىٰ ابنُ أبي الدنيا بإسنادهِ عن عثمان رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: [٢١١/ب] **«من خرجَ من بيتهِ يريدُ سفراً ، فقالَ حين يخرج: بسمِ الله ، آمنتُ بالله ، واعتصمتُ بالله ، وتوكَّلتُ علىٰ الله ، لا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله ، رُزِقَ خيرَ ذلك المخرج ، وصُرِفَ عنه شرُّه»**[2].

وروىٰ بإسنادهِ عن محمَّد بنِ إسحاق قال: بلغني أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا خرجَ من مكةَ مهاجراً إلىٰ الله سبحانهُ يريدُ المدينةَ قال: **«الحمدُ لله الذي خلقني ولم أكُ شيئاً ، اللَّهمَّ أعنِّي علىٰ هولِ الدنيا ، وبوائقِ الدهر**[3]**، ومصائبِ الليالي والأيام ، اللَّهمَّ اصحبني في سفري ، واخلُفني في أهلي ، وبارِكْ لي فيما رزقتني ، ولكَ فذلِّلني ، وعلىٰ خُلقٍ صالحٍ فقوِّمني ، وإليكَ يا ربِّ فحبِّبني ، وإلىٰ النَّاسِ فلا تكلني ، ربَّ المستضعفين أنت ربِّي ، أعوذُ بوجهِكَ الكريمِ الذي أشرقتْ له السماواتُ والأرض ، وكُشِفتْ به الظلمات ، وصَلَحَ عليه أمرُ الأوَّلين والآخِرين ، أن يَحِلَّ عليَّ غضبُك ، أو ينزلَ بي سَخَطُك ، أعوذُ بكَ من**

---

(١) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (١٤٧) ، وذكر الحافظ ابن حجر في نتائج الأفكار أنه بسند ضعيف ، وبلفظ مقارب رواه ابن حجر في نتائج الأفكار ٤٣٩/٢ وقال: حديث غريب. ثم فصَّل تخريجه.

(٢) مسند أحمد (٤٧١) وضعف الشيخ شعيب إسناده.

(٣) بوائق الدهر: مصائبه.




زوالِ نعمتك ، وفَجْأةِ[1] **نقمتك ، وتحوُّلُ عافيتك ، وجميعِ سَخَطِك ، لكَ العُتبىٰ عندي ما استطعت ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بك»**[2] .

وكان ﷺ إذا سافرَ قال: **«اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من وعثاءِ السفر ، وكآبةِ المنقلب ، والحَوْرِ بعد الكَوْر**[3] **، ودعوةِ المظلوم ، وسُوءِ المنظرِ في الأهلِ والمال»**[4] .

عند دخول المسجد

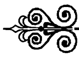
[٢١٢/أ] روىٰ ابنُ أبي الدنيا بإسنادِهِ عن نافع ، عن ابنِ عمر قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«إذا دخلَ أحدُكم المسجدَ فليقل: صلَّىٰ الله علىٰ محمَّدٍ وعليه السلام ، اللَّهمَّ افتحْ لي أبوابَ رحمتك ، وأغلقْ عنِّي أبوابَ سَخطِكَ وغَضبك ،**

(١) في الأصل «وفجوات» ، والمثبت من المصادر. وقد يكون المقصود «فُجاءة» ، وهو وارد أيضًا ، كما في صحيح مسلم (٢٧٣٩): «اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحوّل عافيتك ، وفجاءة نقمتك ، وجميع سخطك» .

(٢) أورده لابن إسحاق في إمتاع الأسماع ٨/١٥٧ ، وفي البداية والنهاية ٤/٤٤٦ ، وسبل الهدىٰ والرشاد ٣/٢٤٣ ، وباختلاف ألفاظ في عيون الأخبار ١/٢٢٢ ، وذكر الألباني في تخريج أحاديث فقه السيرة (١٦٦) أن إسناده ضعيف معضل .

(٣) أي: من النقصان بعد الزيادة ، كما أفاده ابن بطال في شرحه علىٰ صحيح البخاري ٣/٢٧٩ .

(٤) لم يذكر راويه ، ولفظه موافق لرواية ابن سرجس ، كما رواه ابن قتيبة في عيون الأخبار ١/٢٢٢ وسنده فيه: عن معاوية ، عن أبي إسحاق ، عن عاصم ، عن عبدالله بن سرجس ، وكذلك عند الطبري في تهذيب الآثار من مسند عليّ (١٥٧) ، ورواه آخرون عنه ، مثل النسائي (٥٤٩٩) ، وابن ماجه (٣٨٨٨) ، والترمذي (٣٤٣٩) وصححه الألباني لهم. وهو عند مسلم أيضًا ، بلفظ: «كان رسول الله ﷺ إذا سافر يتعوذ من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، والحور بعد الكور ، ودعوة المظلوم ، وسوء المنظر في الأهل والمال» .




واصرفْ عنِّي الشيطانَ ووسوسته»[1].

عند رؤية الهلال

رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه كان يقولُ إذا رأىٰ الهلال: «اللَّهمَّ أهلَّهُ علينا باليُمنِ والإيمانِ والسلامة، ربِّي وربُّكَ الله، اللَّهمَّ إنَّا نسألُكَ خيرَ شهرنا هذا وخيرَ ما قدَّرتَ فيه، ونعوذُ بكَ من شرِّهِ وشرِّ ما قدَّرتَ فيه، اللَّهمَّ اختِمْ لنا شهرَنا الماضي برضوانِك، واختِمْ لنا شهرَنا المقبلَ برحمتك»[2].

في المرض

رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «ما من مريضٍ يقول: سبحانَ الملِكِ القُدُّوسِ الرَّحمنِ، الملكِ الديَّان، لا إله إلَّا أنت مسكِّنَ العروقِ الضاربة، ومُنِيمَ العيونِ الساهرة، سكِّنْ عروقي الضاربة، ونوِّمْ عينيَ الساهرة؛ إلَّا شفاهُ الله تعالىٰ»[3].

ورويَ عنه ﷺ أنَّه قال: «من عادَ مريضاً لم يحضرْ أجله، فقالَ عند رأسهِ سبعَ مرَّات: أسألُ الله العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يشفيَك، إلَّا عافاهُ الله

(١) رواه الديلمي، كما في جمع الجوامع (١٧٥٨/٨٤٣)، وكنز العمال (٢٠٧٨٨).

(٢) يأتي الحديث من رواية طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه، حتىٰ قوله «ربي وربك الله»، في الدعاء للطبراني (٩٠٣)، ومسند أحمد (١٣٩٧) وذكر الشيخ شعيب أنه حسن لشواهده. وحسّن الألباني الحديث في صحيح الجامع (٤٧٢٦)، وصححه بمجموع طرقه في السلسلة الصحيحة (١٨١٦).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (٢٥٦)، وهو آخر حديث في الكتاب، وذكر الألباني أنه معضل ضعيف، في ضعيف الترغيب (٢٠٣٤).

تعالىٰ من ذلك المرض»[(١)].

ورويَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ دخلَ علىٰ سلمانَ يعوده، فمرَّ يدَهُ عليه وقال: «**عافاكَ** [٢١٢/ب] **الله في دينِكَ وبدنِكَ إلىٰ منتهىٰ أجلك، إنَّ للمريضِ بمرضهِ ثلاثةَ أشياء: تذكرةٌ من ربِّه، وتمحيصٌ لذنبه، وإنَّ المبتلَىٰ مجابُ الدعوة، فادعُ**»[(٢)].

فَصْلٌ
[وقفات عند أدعية]

روىٰ معاذ بنُ جبل أنَّ النَّبيَّ ﷺ مرَّ علىٰ رجلٍ وهو يقول: اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ الصبر، فقال: «**سألتَ الله البلاء، فسلْهُ المعافاة**».

ومرَّ علىٰ رجلٍ وهو يقول: اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ تمامَ النِّعمة، فقال: «**يا ابنَ آدم، تدري ما تمامُ النِّعمة**»؟ فقال: يا رسولَ الله، دعوةٌ دعوتُ بها رجاءَ الخير، قال: «**فإنَّ تمامَ النِّعمةِ دخولُ الجنَّة، والفوزُ من النَّار**».

قال: ومرَّ علىٰ رجلٍ وهو يقول: يا ذا الجلال والإكرام، فقال: «**استجيبَ له**»[(٣)].

---

(١) يأتي الحديث بروايات مختلفة وألفاظ متقاربة، منها حديث ابن عباس الذي رواه أبو داود (٣١٥٦) وذكر محققه الشيخ شعيب أنه حديث صحيح، كما رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٣٦) وصححه الألباني في صحيحه.

(٢) أورده بألفاظ أخرىٰ الخطيب البغدادي في موضح أوهام الجمع والتفريق ٣٢٤/٢ وفي سنده عمرو بن خالد الواسطي، وأنه متروك الحديث.

(٣) روىٰ الحديث (الأحاديث الثلاثة معًا) عبد بن حميد في المنتخب من مسنده (١٠٧)=

ومن دعاءِ النَّبيِّ ﷺ: **«اللَّهمَّ اجعلني لكَ شكَّاراً، لكَ ذكَّاراً، لكَ راهباً، لكَ مُطيعاً، إليكَ مُخبتاً، لكَ أوَّاهاً متَّقياً، ربِّ تقبَّلْ توبتي، واغسلْ حَوبتي، وأجبْ دعوتي، وثبِّتْ حُجَّتي، واهدِ قلبي، وسدِّدْ لساني»**[1].

المناجاة

كان داود الطائي يقول: همُّكَ يا سيِّدي عطَّلَ عليَّ الهموم، وخالفَ بيني وبين السُّهاد، وشدَّةُ الإشفاقِ من لقائكَ أوبقَ عنِّي الشهوات، ومنعني اللَّذَّات، فأنا في طلبِكَ أيُّها الكريمُ مطلوب[2].

تعبَّدَ ضيغم[3] قائماً حتَّىٰ قعد، وقاعداً حتَّىٰ استلقَىٰ، ومستلقياً حتَّىٰ أفحم، فلمَّا أجهدَهُ رفعَ بصرَهُ إلىٰ السماءِ فقال: [٢١٣/أ] سبحانك، عجباً للخليقةِ كيف أرادتْ بكَ بدلاً؟! سبحانك، عجباً للخليقةِ كيف استنارتْ قلوبُها بذكرِ غيرِك؟! وعجباً للخليقةِ كيف أنستْ بسواك[4]؟!

= من حديث معاذ، وذكر محققه الشيخ العدوي أنه ضعيف، كما رواه الترمذي في السنن (٣٥٢٧) وقال: حديث حسن، وضعفه الألباني في ضعيف سننه، وأحمد في المسند (٢٢٠١٧) وذكر الشيخ شعيب أن إسناده حسن.

(١) مسند أحمد (١٩٩٧) وذكر الشيخ شعيب أن إسناده صحيح، ورواه الترمذي (٣٥٥١) وقال: حديث حسن صحيح، والبخاري في الأدب المفرد (٦٦٥)، وصححه لهما في صحيحيهما، وهو من حديث ابن عباس، باختلاف ألفاظ قليلة.
والحوبة: الإثم.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ضيغم بن مالك الراسبي البصري، الزاهد الرباني. صاحب فضل وصلاح، من الخائفين البكائين. أخذ عن التابعين. ت ١٠٨ هـ. سير أعلام النبلاء ٤٢١/٨.

(٤) شعب الإيمان (٤٢١)، عيون الأخبار ٣١٥/٢.

وكانت امرأةٌ من التابعين تقول: سبحانك، ما أضيقَ الطريقَ علىٰ من لم تكنْ دليله! وما أوحشَ الطريقَ علىٰ من لم تكنْ أنيسه[١]!

ومن أحاديث بني إسرائيل أنَّ يونسَ[٢] عليه السلام قالَ لجبريلَ صلَّىٰ الله عليه: دلَّني علىٰ أعبدِ أهلِ الأرض، فدلَّهُ علىٰ رجلٍ قد قطعَ الجذامُ يديهِ ورجليهِ وذهبَ ببصره، فسمعَهُ يقول: متَّعتني ما شئت، وسلبتني حين شئت، وأبقيتَ لي فيكَ الأمل، يا بارُّ يا وَصول[٣].

وكان بعضُ الصالحين يقولُ في مناجاته: ربِّ بكَ أستجيرُ من ذُلِّ مخالفتك، وبكَ أستغيثُ من مرارةِ معصيتك، وإليكَ ألجأُ في استنقاذي من تجاوزِ حدِّك، فقد نكَّستِ المخالفاتُ رأسي، وكسرتِ السيِّئاتُ بالي، وضيَّقتِ الشهواتُ قلبي، وعيَّرتِ[٤] العقوباتُ عقلي، ربِّ اجعلني لسبيلِ الموافقاتِ سالكاً، ولكلِّ ما تكرههُ من الأفعالِ والأقوالِ تاركاً، ربِّ أسألُكَ مودَّةً ثابتة، وولايةً واصلة، ومحبَّةً دائمة، وأسألُكَ كراماتٍ باقيات، وغنائمَ متواصلات، ومخاوفَ مانعات، وأسألُكَ عوائدَ الملاطفات.

وكان بعضُ الصالحين يقول: سيِّدي، اجعلْ حبَّكَ أحبَّ الأشياءِ إليَّ، وخوفكَ أخوفَ الأشياءِ عندي، [٢١٣/ب] واقطعْ حوائجي من الدنيا بالشوقِ إلىٰ لقائك، واجعلْ قرَّةَ عيني في عبادتك، وإذا قرَّتْ أعينُ أهلِ الدنيا بدنياهم

---

(١) المجالسة وجواهر العلم (٣٣٧٤)، صفة الصفوة ٢/٤٠١، عيون الأخبار ٢/٣١٥.

(٢) في الأصل: يونسا.

(٣) عيون الأخبار ٢/٣١٦.

(٤) لعلها: وغيرت.

فأقرَّ عيني بطاعتِك، واجعلْ راحتي في لقائك[1].

وكان بعضُ العارفين يقول: ربِّ اجعلني ممَّن عرفكَ فوحَّدك، وأفردكَ فعبدك، ربِّ اجمعْ لي أمري، واسكبْ على الخدودِ دموعي، ربِّ اجعلْ كفِّي إليكَ مرفوعاً، وخدِّي على الثرى في ظلماتِ الليالي بين يديكَ مبسوطاً، وصوتي في ملكوتِ عزِّكَ مسموعاً، حتَّى أكونَ في عبادِكَ الذين أحبُّوك، وصفوتِكَ الذين أطاعوك، وحزبِكَ الذين عرفوك، وخلصائكَ الذين عظَّموك.

وكان بعضُ العارفين يقولُ في مناجاته: سيِّدي، إنَّ حسناتي عمَّا تقدَّمَ من إحسانك، وطاعتي تكونُ بجميلِ معونتك، ولولا توفيقُكَ هلكت، ولولا تسديدُكَ ضللت، ربِّ اجعلني في كلِّ الأمورِ بكَ لائذاً، وفي كلِّ الأحوالِ عليك معوِّلاً، وبكلِّ وطنٍ لكَ خاضعاً خاشعاً، ربِّ أوقفْ قلبي بين الخوفِ والرجاء، واجعلِ الخوفَ عليَّ رقيباً، والرجاءَ لي إليكَ شفيعاً، حتَّى أسارعَ إلى الأعمالِ الصالحة، وأسعى في ذلك بالجدِّ والمسابقة.

وحكيَ عن بعضِ أهلِ العلمِ أنَّه كان يقولُ في مناجاته: سيِّدي، لستُ أهلاً لما أرجو من رحمتك، ولكنَّك أهلٌ أن تجودَ عليَّ بسعةِ مغفرتك، ربِّ ذنبي قد أخافني، وحسنُ ظنِّي بكَ قد أجارني، [٢١٤/أ] وجودُكَ بسطَ لي أملي، فلا تحرمني بُشراكَ عند اقترابِ أجلي، ربِّ أشهدني مواضعَ توحيدك، وأنطقني بغرائبِ تمجيدك، وبشِّرني بمحاسنِ موعدك، وسلِّمني من مخاوفِ وعيدك.

(١) هذا يروى حديثًا مرسلًا، خرَّجه ابن أبي الدنيا وغيره، كما أفاده ابن رجب في كتابه اختيار الأولى ص ١٢٥، وقد يعني هذا أنه في كتابه «الدعاء» المفقود، فلم أجده فيما طبع له. وقد يكون ما قبله من الأدعية مما لم أوثقه أيضًا من هذا الكتاب. والله أعلم. ورواه أبو نعيم في الحلية ٢٨٢/٨، رفعه الهيثم بن مالك الطائي، وهو تابعي.

وحكيَ عن يحيىٰ بن معاذ أنَّه كان يقول: سيِّدي، حجَّتي عليكَ حاجتي إليك، وهذا معناهُ أنَّك سبحانكَ أخبرتَ أنَّك تجيبُ المضطرَ إذا دعاك، وأنا محتاجٌ إليك، حاجةَ من لا يُغني عنه شيءٌ سواك، فالحاجةُ إليكَ والتضرُّعُ حجَّةٌ لحسنِ عفوك.

فَصْلٌ

[من أوقات استجابة الدعاء]



رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أفضلُ يومٍ خلقَهُ الله ﷻ يومُ الجمعة، فيه خُلِقَ آدم، وفيه أُهبِط، وفيه تِيبَ عليه، وفيه تقومُ الساعة، وفيه ساعةٌ لا يصادفُها عبدٌ مسلمٌ وهو يصلِّي، يسألُ الله تعالىٰ شيئاً إلَّا أعطاه**»[1].

ورويَ أنَّ أصحابَ النَّبيِّ ﷺ اجتمعوا وتذاكروا هذه الساعة، ولم يختلفوا أنَّها آخرُ ساعةٍ من يومِ الجمعة، وقيل: بعد العصرِ إلىٰ غروبِ الشمس، وقيل: من طلوعِ الفجرِ إلىٰ طلوعِ الشمس، وقيل: ما بين زوالِ الشمسِ إلىٰ أن يدخلَ الإمامُ إلىٰ أن يقضيَ الصلاة[2].

ومن أرادَ أن يدركَ هذه الساعةَ أمكنَهُ أن يجزِّئَ يومَ الجمعةِ أجزاء، فيدعو كلَّ جمعةٍ في جزءٍ منها حتىٰ يكملها.

ومن قال: إنَّ المرادَ بذلك بعد العصرِ قال: قولهُ «يصلّي» بمعنىٰ يدعو،

---

(١) مختصر من حديث رواه أبو هريرة في شعب الإيمان (٢٧١٤)، وسنن أبي داود (١٠٤٦) وذكر الشيخ شعيب أن إسناده صحيح، والموطأ لمالك (١٦) وآخرون.

(٢) ينظر في هذا تنوير الحوالك ١/١٠٠.

والصلاةُ هي الدعاءُ في اللغة.

رويَ عن أنس [٢١٤/ب] أنَّه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**من قالَ يومَ الجمعة: اللَّهمَّ أغنني بحلالِكَ عن حرامك، وبفضلِكَ عمَّن سواك؛ استغنى**»[١].

وحكيَ عن عراك بن مالك[٢] أنَّه كان إذا صلَّى الجمعةَ وقفَ على بابِ المسجدِ وقال: اللَّهمَّ إنِّي أجبتُ دعوتك، وأدَّيتُ فريضتك، وانتشرتُ كما أمرتني[٣].

فَصْلٌ
[أدعية عند رؤية الهلال]



رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه كان إذا رأى الهلالَ قال: «**الله أكبر، الله أكبر، اللَّهمَّ أهلَّهُ علينا بالأمنِ والإيمان، والسلامةِ والإسلام، والتوفيقِ لما تحبُّ وترضى، اللَّهمَّ إنَّا نسألُكَ خيرَ شهرِنا وخيرَ ما قدَّرتَ فيه، ونعوذُ بكَ من شرِّ شهرِنا وشرِّ ما قدَّرتَ فيه، اللَّهمَّ اختمْ لنا شهرَنا الماضي برضوانِك، وأدمْ لنا شهرَنا هذا المقبلَ برحمتك**»[٤].

---

(١) أورده مختصرًا من حديث أنس، الذي ذكر ابن علان أنه في الفردوس للديلمي (ينظر الفتوحات الربانية ٣/١٢٣)، وقد وجدته في المطبوع منه (١٩٠٧) دعاء فقط. ويأتي الدعاء وحده في مصادر أخرى صحيحًا. (تنظر السلسلة الصحيحة ٢٦٦)، والمقصود قوله يوم الجمعة.

(٢) عراك بن مالك شامي ثقة، رجل صالح من خيار التابعين. معرفة الثقات للعجلي (١٢٢٦).

(٣) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد ٢/٥٢٧.

(٤) شطره الأول «اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما نحب=




وروى أبو داود بإسناده عن قتادة، أنَّه بلغَهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا رأى الهلالَ قال: «**هلالُ خيرٍ ورُشد، هلالُ خيرٍ ورُشد، هلالُ خيرٍ ورُشد، آمنتُ بالذي خلقك**» ثلاثَ مرَّات، ثمَّ يقول: «**الحمدُ لله الذي أذهبَ شهرَ كذا، وجاءَ بشهرِ كذا**»(١).

فَصْلٌ
[كفّارة المجلس، والراحة بعد التعب]



روى أبو داود في سننهِ عن أبي العالية، عن أبي بَرْزة(٢) الأسلميِّ قال: كان رسولُ الله ﷺ يقولُ بآخرهِ إذا أرادَ أن يقومَ من المجلس: «**سبحانك اللَّهمَّ وبحمدك، أشهدُ أن لا إله إلَّا أنت، أستغفرُكَ وأتوبُ إليك**»، [٢١٥/أ] فقالَ رجل: يا رسولَ الله، إنَّك لتقولُ قولاً ما كنتَ تقولهُ فيما مضى، قال: «**كفَّارةٌ لما يكونُ في المجلس**»(٣).

وروى أيضاً بإسنادهِ عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنَّه قال: كلماتٌ لا يتكلَّمُ بهنَّ أحدٌ في مجلسهِ عند قيامهِ ثلاثَ مرَّات، إلَّا كُفِّرَ بهنَّ عنه، ولا

= وترضى» رواه ابن حبان في صحيحه (٨٨٨) من حديث ابن عمر، وذكر الشيخ شعيب أنه صحيح لغيره. ورواية أخرى في المستدرك (٧٧٦٧). ولم أره بالزيادة.

(١) سنن أبي داود (٥٠٩٢) قال محققه: حديث حسن لغيره، وهذا إسناد رجاله ثقات لكنه مرسل. اهـ. وللحديث روايات أخرى.

(٢) في الأصل: أبي بردة. وهو نضلة بن عبيد، رضي الله عنه.

(٣) سنن أبي داود (٤٨٥٩) قال محققه: إسناده صحيح. ورواه الطبراني في المعجم الصغير (٦٢٠)، والأوسط (٤٤٦٧) من حديث رافع بن خديج، وأشار في الأخير إلى رواية أبي برزة.

يقولهنَّ في مجلسِ خيرٍ ومجلسِ ذكرٍ إلَّا خُتِمَ له بهنَّ عليه كما يُختَمُ بالخاتمِ علىٰ الصحيفة: سبحانكَ اللَّهمَّ وبحمدك، لا إله إلَّا أنت، أستغفرُكَ وأتوبُ إليك[1].

وروىٰ أبو داود بإسنادهِ عن عليٍّ بن أبي طالب قال: كانت فاطمةُ رضوانُ الله عليها أحبَّ أهلِ رسولِ الله ﷺ إليه، وكانت عندي، فجرَّتْ بالرَّحىٰ حتَّىٰ أثَّرَ بيديها، واستقتْ بالقِربةِ حتَّىٰ أثَّرتْ في نحرها، ثمَّ قَمَّتِ البيتَ حتَّىٰ اغبرَّتْ ثيابُها، وأوقدتِ النَّارَ حتَّىٰ دَكِنَتْ ثيابُها، وأصابها من ذلك ضُرٌّ، فسمعنا أنَّ رقيقاً أُتيَ بهم النَّبيَّ ﷺ، فقلت: لو أتيتِ أباكِ ﷺ فسألتهِ خادماً، فأتته، فوجدتْ عندهُ حُدَّاثاً، فاستحيت، فرجعت، فغدا عليها ونحن في لِفَاعِنا، فجلسَ عند رأسِها، فأدخلتْ رأسَها في اللِّفاعِ حياءً من أبيها ﷺ، فقال: «**ما كانتْ حاجتُكِ أمسِ إلىٰ آلِ محمَّد**»؟ فسكتتْ مرَّتين، فقلت: أنا والله أحدِّثُكَ يا رسولَ الله، إنَّ هذه جرَّتْ عندي بالرحَىٰ حتَّىٰ أثَّرتْ بيديها، واستقتْ بالقِربةِ حتَّىٰ أثَّرتْ في نحرها، وكسَحتِ البيتَ [٢١٥/ب] حتَّىٰ اغبرَّتْ ثيابُها، وأوقدتِ النَّارَ حتَّىٰ دَكِنَتْ ثيابُها، وبلغَنا أنَّه أتاكَ رقيقٌ وخدَم، فقلتُ لها: سليهِ خادماً. فقال: «**ألا أدلُّكما علىٰ خيرٍ ممَّا سألتُما؟ إذا أخذتُما مضاجِعَكما فسبِّحا ثلاثًا[2] وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبِّرا أربعاً وثلاثين، فهو خيرٌ لكما من خادم**».

قالَ عليٌّ عليه السلام: فما تركتُهنَّ منذُ سمعتُهنَّ من رسولِ الله ﷺ، إلَّا يومَ

---

(١) سنن أبي داود (٤٨٥٧) قال محققه: إسناده صحيح، وهو موقوف.

(٢) في الأصل: ثلاثة.

صفِّين، فإنِّي ذكرتُها من آخرِ الليلِ فقلتُها(١).

وروىٰ أبو داود بإسنادهِ عن حفصةَ زوجِ النَّبيِّ ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان إذا أرادَ أن يرقدَ وضعَ يدَهُ اليمنىٰ تحت خدِّهِ ويقول: «**اللَّهمَّ قِني عذابكَ يومَ تبعثُ عبادك**» ثلاثَ مرَّات(٢).

وروىٰ أبو داود بإسنادهِ عن البراءِ بن عازب قال: قالَ لي رسولُ الله ﷺ: «**إذا أتيتَ مضجعكَ فتوضَّأْ وضوءكَ للصلاة، ثمَّ اضطجعْ علىٰ شقِّكَ الأيمنِ وقل: اللَّهمَّ أسلمتُ وجهي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رهبةً ورغبةً إليك، لا ملجأَ ولا منجا منكَ إلَّا إليك، آمنتُ بكتابِكَ الذي أنزلت، ونبيِّكَ الذي أرسلت. فإن مُتَّ مُتَّ علىٰ الفطرة، واجعلهنَّ آخرَ ما تقول**»، قالَ البراء: فقلت: أستذكرهنَّ، فقلت: «وبرسولِكَ الذي أرسلت»، قال: «**لا، ونبيِّكَ الذي أرسلت**»(٣).

وروىٰ أبو داود بإسنادهِ عن عروة، عن [٢١٦/أ] عائشة، **أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان**

(١) جمع فيه المؤلف بين ثلاثة أحاديث من سنن أبي داود (٥٠٦٢، ٥٠٦٣، ٥٠٦٤): الحديث، والقصة، وقول عليّ في آخره. فالحديث صحيح محققه إسناده، وهو في البخاري وغيره، والآخران ذكر أن إسناديهما ضعيفان.
وقمَّت، وكسحت: كنست. ودكنت: اتسخت، أو مالت إلىٰ السواد. واللفاع: الملحفة. والحدّاث: المتحدثون.

(٢) سنن أبي داود (٥٠٤٦)، وقال محققه: صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف. ومن حديث البراء رواه البخاري في الأدب المفرد (١٢١٥) وصححه له في صحيح الأدب المفرد. ومن حديث حذيفة في الترمذي (٣٣٩٨) وقال: حسن صحيح.

(٣) سنن أبي داود (٥٠٤٥)، وقال محققه الشيخ شعيب: إسناده صحيح. ورواه الترمذي (٣٥٧٤) وقال: حسن صحيح. ورواه البخاري في صحيحه (٦٣١١) وأوله فيه: «اللهم أسلمت نفسي إليك».

إذا أوىٰ إلىٰ فراشهِ كلَّ ليلة، جمعَ كفَّيه، ثمَّ نفثَ فيهما، وقرأ فيهما ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثمَّ مسحَ بهما ما استطاعَ من جسده، يبدأُ بهما علىٰ رأسهِ ووجههِ وما أقبلَ من جسده، ويفعلُ ذلك ثلاثَ مرَّات[1].

وروىٰ أبو داود بإسنادهِ عن ابن عمر، أنَّ رسولَ الله ﷺ كان يقولُ إذا أخذَ مضجعه: «**الحمدُ لله الذي كفاني وآواني وأطعمني وسقاني، الحمدُ لله الذي منَّ عليَّ فأفضل، والذي أعطاني فأجزل، الحمدُ لله علىٰ كلِّ حال، اللَّهمَّ ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكَه، وإلهَ كلِّ شيء، أعوذُ بالله من النَّار**»[2].

وروىٰ أيضاً بإسنادهِ عن أبي هريرة قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**من اضطجعَ مضطَجعاً لم يذكرِ الله تعالىٰ فيه إلَّا كان عليه تِرَةً يومَ القيامة، ومن قعدَ مقعداً لم يذكرِ الله ﷻ فيه إلَّا كان عليه تِرَةً يومَ القيامة**»[3].

وروىٰ أبو داود بإسنادهِ عن عائشة ﵂، أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا استيقظَ من اللَّيلِ قال: «**لا إله إلَّا أنت، سبحانكَ اللَّهمَّ أستغفرُكَ لذنبي، وأسألُكَ رحمتك، اللَّهمَّ زدني علماً، ولا تزغْ قلبي بعد إذ هديتَني، وهبْ لي**

(١) سنن أبي داود (٥٠٥٦)، وقال محققه الشيخ شعيب: إسناده صحيح. ورواه البخاري (٥٠١٧) وغيره.

(٢) سنن أبي داود (٥٠٥٨)، وقال محققه الشيخ شعيب: إسناده صحيح. وآخره فيه «أعوذ بك من النار». مسند أبي يعلىٰ (٥٧٥٨) وقال محققه حسين أسد أيضًا: إسناده صحيح.

(٣) سنن أبي داود (٥٠٥٨)، وقال محققه: حديث صحيح وهذا إسناد قوي. شعب الإيمان (٥٣٩).

والترة: النقص، وقيل: التبعة. النهاية في غريب الحديث ١/١٨٩.

من لدنكَ رحمة، إنَّكَ أنت الوهَّاب»(١).

وروىٰ أبو داود بإسنادهِ عن الحارث بنِ مسلم التميمي، أنَّه أخبرَهُ عن أبيهِ مسلم بن [٢١٦/ب] الحارث التميمي، عن رسولِ الله ﷺ، أنَّه أسرَّ إليه فقال: «إذا انصرفتَ من صلاةِ المغربِ فقل: اللَّهمَّ أَجِرْني من النَّار، سبع مرَّات، فإنَّك إذا قلتَ ذلك ثمَّ مُتَّ في ليلتك، كانت لكَ جِواراً منها، وإذا صلَّيتَ الصُّبحَ فقلْ كذلك، فإنَّك إن مُتَّ في يومِكَ كانت لكَ جِواراً»(٢).

وقالَ في حديثٍ آخر: قبلَ أن يتكلَّم(٣).

وروىٰ أبو داود بإسنادهِ عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: كان رسولُ الله ﷺ إذا هبَّ من الليلِ كبَّرَ عشراً، وحمدَ [الله] عشراً، [وقال: سبحانَ الله وبحمدهِ عشرًا، وقال: سبحانَ الملِكِ القُدُّوسِ عشرًا]، واستغفرَ عشراً، وهلَّلَ عشراً، ثمَّ قال: «اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ [بكَ] من ضيقِ الدنيا وضيقِ يوم القيامة» عشراً، ثمَّ يفتتحُ الصلاة(٤).

---

(١) سنن أبي داود (٥٠٦١)، وقال محققه الشيخ شعيب: رجاله رجال الصحيح إلا عبدالله بن الوليد التجيبي... الذي لينه الحافظ في التقريب. ورواه الحاكم في المستدرك (١٩٨١) وصحح إسناده، وسكت عنه الذهبي. وقال ابن حجر في نتائج الأفكار١/١١٨: هذا حديث حسن.

(٢) سنن أبي داود (٥٠٧٩)، وقال محققه الشيخ شعيب: إسناده ضعيف. وكذا قال محقق مسند أبي يعلىٰ (٦١٩٢). ومعنىٰ الجوار: الأمان والخلاص.

(٣) في الحديث الذي يتلوه عند أبي داود:... حدثني مسلم بن الحارث بن مسلم التميمي، عن أبيه، أن النبي ﷺ قال، نحوه، إلىٰ قوله: «جوار منها» إلا أنه قال فيهما: «قبل أن يكلم أحداً». وضعف محققه الحديث مرة أخرىٰ.

(٤) سنن أبي داود (٥٠٨٥) وقال المحقق: حديث حسن. وينظر أيضًا الحديث (٧٦٦).

فَصْلٌ
[دعاء الخروج من المنزل]

روىٰ أبو داود بإسنادِهِ عن أمِّ سلمة رضي الله عنها أنَّها قالت: ما خرجَ رسولُ الله ﷺ من بيتي قطُّ إلَّا رفعَ طرْفَهُ إلىٰ السماءِ وقال: «**اللَّهمَّ إنِّي أعوذَ بك أن أَزِلَّ، أو أَضِلَّ، أو أَظلِمَ أو أُظلَم، أو أجهلَ أو يُجهلَ عليَّ**»[1].

ورِوىٰ أبو داود بإسنادهِ عن ابنِ عبَّاس، عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «**من قالَ حين يُصبح: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾**[2] [الروم ١٧ ـ ١٩]، **أدركَ ما فاتَهُ يومَهُ ذلك، ومن قالَ حين يُمسي أدركَ ما فاتَهُ في ليلته**»[3] [٢١٧/أ].

فَصْلٌ
في برِّ الوالدين وصلة الرَّحم

قالَ الله سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ

---

(١) سنن أبي داود (٥٠٩٤) وقال المحقق: إسناده صحيح، وأوله فيه: «اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل، أو أزل أو أزل...». ويأتي في مصادر أخرىٰ كما أورده المؤلف، من مثل عمل اليوم والليلة لابن السني (١٨)، والدعاء للطبراني (٤١٤)، وغيرهما.

(٢) قوله تعالىٰ: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾.

(٣) سنن أبي داود (٥٠٧٦) قال الشيخ شعيب: إسناده ضعيف جدًّا. وكذا قال في ضعيف الجامع (٥٧٣٣).

عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤].

القضاء: الأمر.

أمرَ الله ﷻ ألّا يُعبدَ سواه؛ لأنَّه هو خالقُ جميعِ الأشياءِ وربُّها، فكيف يُشرَكُ بين الخالقِ والمخلوقِ في العبادة، أو كيف يُعبَدُ مَن لا يَنفعُ ولا يَضرُّ؟! وإنَّما العبادةُ للمبتدئِ بالإنعام، المحسنِ في جميعِ الأحوال، مَن ينفعُ شكرُه، ويوبِقُ كفرُه.

ثمَّ إنَّه قرنَ الأمرَ بالإحسانِ إلى الوالدين بعبادتهِ تعالى؛ لأنَّه هو المبتدئُ بخلقِ الولدِ من ماءِ الأب، وربَّاهُ في بطنِ أمِّه، وأثقلَها ذلك وكدَّها، وجعلَ رزقَهُ مِن طعمِها، ثمَّ من ثديها، ثمَّ جعلَ رزقَهُ من مالِ الله وكسبه، فهو سبحانهُ المبتدئُ بالنِّعم، وهما من أسبابها، وهو المرمي بالقدرةِ والطعمة، وعليهما اكتسابُها، فشكرُهما لازمٌ مع شكره، وحقُّهما واجبٌ مع حقِّه، بما أوجبَهُ لهما بفضلهِ وكرمه، قالَ سبحانه: ﴿ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ [لقمان: ١٤].

ومن عِظَمِ حقِّهما على الولدِ أمرهُ إذا قطعاهُ ألّا يقطعَهما، فقالَ سبحانه: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾ [لقمان: ١٥] [٢١٧/ب].

وأوجبَ على الولدِ الإحسانَ إلى والديهِ بطاعتِهما وإكرامِهما، ومعرفةِ حقِّهما، فإذا كبرا واحتاجا إليه أحسنَ كفايتَهما، وأقامَ بمؤنتِهما، ولا ينهرُهما،

بل يقولُ لهما قولاً كريماً حسناً، يعترفُ لهما بحقِّهما، ويُظهِرُ شكرَ صنيعِهما، ويقومُ بحاجتِهما، ولا يقولُ لهما «أفٍّ» فما فوق ذلك، من التضجُّرِ بهما والإعراضِ عن حاجتهما.

ثمَّ قالَ تعالىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾، أمرَ سبحانهُ الولدَ بالتذلُّلِ لهما، والرِّفقِ بهما، رحمةً لهما، وحنوًّا عليهما.

روىٰ ابن المبارك عن سفيان، عن هشام بنِ عروة، عن أبيهِ في قولهِ تعالىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ قال: لا يَمنَعُ من شيءٍ أراداه[1].

وروىٰ بإسناده عن عطاء في هذه الآية: لا يرفع يداً عليهما[2].

ثمَّ أمرَ سبحانهُ الولدَ بالترحُّمِ عليهما، فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، فإنَّ تربيتَهما صغيراً طاعةٌ منهما لله تعالىٰ، فإنَّ الله تعالىٰ أمرهما بتربيةِ الولدِ والإنفاقِ عليه.

وقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: **«إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عملهُ إلَّا من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ بعده، وعلمٍ يُنتفَعُ به بعده، وولدٍ صالحٍ يدعو له»**[3].

وقد حفظَ الله سبحانهُ الولدَ بصلاحِ أبيه، فقالَ تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ

---

(١) البر والصلة للحسين بن حرب، تلميذ عبدالله بن المبارك، روىٰ أحاديثه وآثاره عنه وعن غيره (١١، ١٢) ط، دار الوطن، وطبع أيضًا باسم ابن المبارك مع مسنده بالرقمين السابقين في ص ١٢٣ من ط، دار الكتب العلمية.

(٢) البر والصلة للحسين بن حرب (١٣).

(٣) صحيح مسلم (١٦٣١)، البر والصلة للحسين بن حرب (٧٢)، وليس فيهما كلمة (بعده) في الموضعين.




لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢]. [٢١٨/أ].

وقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**الكبائرُ سبع**»، وذكرَ منها عقوقَ الوالدين[١].

وعقوقُ الوالدين ألّا يقومَ بحقِّهما، ويجفوَهما، ويقطعَ برَّهُ عنهما.

وقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**لا يجزي ولدٌ والدَهُ إلَّا أن يجدَهُ مملوكاً، فيشتريَه، فيُعتقَه**»[٢]. فجعلَ نقلَهُ من الرِّقِّ والعبوديةِ إلىٰ الحريَّةِ في مقابلةِ تربيةِ الولدِ في صغرِه وضعفِه إلىٰ بلوغِه وقوَّته.

فَصْلٌ
[أمثلة في البرِّ والعقوق]



رويَ أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله، مَن أبرُّ؟ فقال: «**أمَّك**»، قال: مَن أبرُّ؟ قال: «**أمَّك**»، ثمَّ قالَ في الثالثةِ أو الرابعةِ: «**أباك**»[٣]. فقدَّمَ برَّ الأمِّ علىٰ

(١) لم أعرف مصدر المؤلف. وفي صحيح مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات». و «الكبائر سبع» جاء من قول ابن عمر ﵄. «وكان ابن عباس إذا بلغه قول ابن عمر إنّ الكبائر سبع، يقول: هي إلىٰ سبعين أقرب منها إلىٰ سبع، وقال مرة: كل ما نهىٰ الله تعالىٰ عنه فهو من الكبائر، وقال هو وغيره: كل ما توعد الله تعالىٰ عليه بالنار فهو من الكبائر». قوت القلوب ٢/٢٤٩.

(٢) صحيح مسلم (١٥١٠) من حديث أبي هريرة.

(٣) بل صح أنه ﷺ قال في الرابعة «أباك»، كما صرح به في الأدب المفرد (٦) وصححه الألباني=

برِّ الأب، وذلك أنَّ الأمَّ حملتهُ كُرهاً، ووضعتهُ كُرهاً، وتربَّىٰ الولدُ في أحشائها، وقاستْ وعاينتِ الموتَ في وضعه، وجعلَ رزقَهُ في ثديها، وحملتهُ علىٰ يديها.

ولهذا لمَّا تنازعَ رجلٌ وامرأةٌ في الولد، فقالَ الرجل: حملتهُ قبل أن تحمليه، ووضعتهُ قبل أن تضعيه. يريدُ بذلك أنَّه كان ماءً في ظهره، وأنَّه أوصلَ الماءَ إليها. فقالتِ المرأة: حملتَهُ خفَّة، ووضعتَهُ شهوة، وأنا حملتُه ثقلاً، ووضعتهُ كُرهاً[1].

ويحتملُ أن يكونَ إنَّما وصَّاهُ ﷺ ببرِّ أمِّهِ قبلَ أبيه، وكرَّرَ ذلك عليه؛ لأنَّ الأبَ أهيبُ عند الولدِ وأحشم، والأمُّ أحوجُ إلىٰ الولدِ وأضعف.

وقد رويَ أنَّ غلاماً حملَ أباهُ إلىٰ رسولِ الله ﷺ [٢١٨/ب] يطالبُ بمالٍ عليه، فبكىٰ أبوهُ وقال:

غـذوتُكَ مولـوداً ومنتُـكَ[2] يافعـاً ... تعـلُّ بمـا أجنـي عليـكَ وتنهـلُ
إذا ليلةٌ ضاقتكَ[3] بالسُّقمِ لم أنمْ ... لسـقمِكَ إلَّا خائفـاً أتملمـلُ
كـأنِّي أنـا المطـروقُ دونـكَ بالـذي ... طُرقْـتَ بـه دونـي فعينـيَّ تهمـلُ
فلمَّـا بلغـتَ السِّـنَّ والغايـةَ التـي ... إليهـا مـدىٰ مـا كنـتُ قبـلُ أؤمِّـلُ

= في صحيحه. ويأتي بألفاظ متقاربة، رواه الشيخان في صحيحيهما وغيرهما، البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨).

(١) هو ما جرىٰ بين أبي الأسود وزوجه في القضاء. ذكره الحليمي في المنهاج في شعب الإيمان ٢٤٢/٣، والراغب في محاضرات الأدباء ٤٠٢/١.

(٢) ويأتي في مصادر: وعُلتك.

(٣) في الأصل «ضافتك»، والمثبت من تاريخ دمشق، ويأتي في مصادر «آبتك».

جعلـتَ جزائـي غلظـةً وفظاظـةً　　كأنَّـكَ أنـت المـنعِمُ المتفضِّـلُ
وسـمَّيتني باسـم المفنَّـدِ رأيُـهُ　　وفي رأيكَ التفنيدُ لو كنتَ تعقلُ
فليتـكَ إذ لـم تـرعَ حـقَّ أبـوَّتي　　فعلتَ كما الجارُ المجاورُ يفعلُ
تـراهُ معـدًّا للخـلافِ كأنَّـه　　بـردٍّ علىٰ أهلِ الصوابِ موكَّلُ

فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: «**أنت ومالُكَ لأبيك**»(١).

وقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ أطيبَ ما أكلَ الرجلُ من كسبه، وإنَّ ولدَهُ من كسبه**»(٢).

وقد وصفَ الله سبحانهُ يحيىٰ بن زكريا عليه السلام فقال: ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مريم: ١٤].

فَصْلٌ
[بين البرِّ والجهاد]

روىٰ عبدالله بن عمرو بن العاص قال: جاءَ رجلٌ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ يستأذنهُ

(١) رواه ابن عساكر في تاريخه من حديث جابر ٦٢/٧١. وفي الحماسة البصرية ٣٠٦/٢ والتذكرة الحمدونية ٤٠/٥ والتعليقات والنوادر ص ٤٢ أوردوا الأبيات لأمية بن أبي الصلت عاتبًا ابنه دون قصة الحديث، وهي مع اختلاف ألفاظ. والحديث وحده صحيح، أخرجه من حديث جابر ابن ماجه (٢٢٩١) وصححه له الألباني في صحيحه، وفي صحيح الجامع (١٤٨٦).

(٢) من حديث عائشة رضي الله عنها، سنن أبي داود (٣٥٢٨)، سنن ابن ماجه (٢١٣٧) وصححه لهما الألباني، صحيح ابن حبان (٤٢٦١) قال محققه: إسناده صحيح علىٰ شرطهما. وهو في صحيح الجامع (٢٢٠٨).

في الجهاد، فقال: «أحَيٌّ والداك»؟ قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد»[1].

ومعنى هذا أنَّه أمرَهُ أن يشتغلَ ببرِّهما موضعَ جهاده، فسمَّى برَّهما جهاداً، ويحتملُ أن يجاهدَ نفسَهُ في طاعتِهما وبرِّهما.

وروى مجاهد أنَّ رجلاً قدمَ على النَّبيِّ ﷺ [٢١٩/أ] مهاجراً، فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: «أذنَ لكَ أبواك»؟ قال: لا، قال: «ارجع، ارجع»[2].

وروى زرارة بن أوفى أنَّ رجلاً سألَ ابنَ عبَّاس فقال: إنِّي نذرتُ أن أغزوَ الرُّوم، وإنَّ أبويَّ يمنعاني، فقال: أطعْ أبويك، فإنَّ الرُّومَ ستجدُ من يغزوها غيرَك[3].

وهذا محمولٌ على أنَّه لم يكنْ على الفورِ نذرُه.

وروى عبدالله بن عمرو قال: جاءَ رجل إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، جئتُ أبايعَكَ على الهجرة، وتركتُ أبويَّ يبكيان، قال: «فارجعْ إليهما فأضحكهُما كما أبكيتَهما»[4].

وروى محمَّد بن سُوقة عن أبي بكر بن حفص، أنَّ رجلاً أتى النَّبيَّ ﷺ قد ألمَّ بذنب، فقالَ له: «هل لكَ من والدة»؟ قال: لا، قال: «فهل لكَ خالة»؟ قال: نعم، قال: «فاذهبْ فبرَّها»[5].

---

(١) متفق عليه. صحيح البخاري (٣٠٠٤)، صحيح مسلم (٢٥٤٩).
(٢) البر والصلة للحسين بن حرب (٦٦).
(٣) البر والصلة للحسين بن حرب (٧١).
(٤) سنن أبي داود (٢٥٢٨) قال محققه: إسناده صحيح، سنن ابن ماجه (٢٧٨٢)، الأدب المفرد (١٩) وصححه لهما الألباني.
(٥) البر والصلة للحسين بن حرب (٧٧)، شرح السنة للبغوي (٣٤٢٤) وهو مرسل،=

وروىٰ ابن المبارك بإسنادهِ عن عمرة بنت عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة، وكانت في حجرِ عائشة، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**بينا أنا نائمٌ رأيتُني في الجنَّة، فسمعتُ قارئاً، فقلت: من هذا؟ قال: حارثة بنُ النعمان**[1]»، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**كذلكم البرُّ**». وكان من أبرِّ النَّاسِ بأمِّه[2].

وروىٰ بإسنادهِ عن مورِّق العجلي قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**هل تعلمون نفقةً أفضلَ من نفقةٍ في سبيلِ الله**»؟ قالوا: الله ورسولهُ أعلم، قال: «**نفقةُ الولدِ على الوالدين أفضل**»[3].

وروىٰ عن ابن عيينة، عن أبي سنان قال: سمعتُ سعيد بن [٢١٩/ب] جبير قال: لُدِغتُ، فأمرتني أمِّي أن أسترقي، فكرهتُ أن أعصيَها، فناولتُ الرقَّاءَ يديَ التي لم تُلدغ[4]!

وروىٰ بإسنادهِ عن ابنِ عمر، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**مِن أبرِّ البرِّ أن يصلَ**

= ورواه الترمذي في السنن (١٩٠٤) عن أبي بكر بن حفص عن عبدالله بن عمر رفعه، وأشار إلىٰ المرسل وأنه أصح منه.

(١) حارثة بن النعمان الخزرجي. شهد بدرًا والمشاهد، وكان دينًا، خيرًا، برًّا بأمه. وذكر أنه رأىٰ جبريل مرتين. بقي حتىٰ خلافة معاوية. سير أعلام النبلاء ٢/٣٧٨.

(٢) البر والصلة للحسين بن حرب (٣٩)، المستدرك للحاكم (٤٩٢٩) وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وفيه: عن عمرة عن عائشة ﵂، وكذلك في مصادر أخرىٰ، وهو بهذا في صحيح الجامع (٣٣٧١)، والسلسلة الصحيحة (٩١٣). ورواه بلفظ مقارب أبو يعلىٰ في المسند (٤٤٢٥) وذكر محققه أن إسناده صحيح، وأحمد في المسند (٢٤٢٨٠) وقال محققه: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٣) البر والصلة للحسين بن حرب (٤١) ولا توجد كلمة (أفضل) في آخره، البر والصلة لابن الجوزي (٨٤) وفيه كلمة (أفضل)، الجامع في الحديث لابن وهب (١٢٤) بأطول منه.

(٤) البر والصلة للحسين بن حرب (٦٠)، حلية الأولياء ٤/٢٧٥.

الرَّجلُ أهل ودِّ أبيهِ بعد أن توفِّي»[1].

وروىٰ بإسنادهِ عن سعد بنِ عبادة الزرقي، أنَّ أباهُ أخبرَهُ قال: كنتُ جالساً في مسجدِ المدينةِ مع عمرو بن عثمان بن عفَّان، فمرَّ بنا عبدالله بن سلام متَّكئاً علىٰ ابنِ أخيه، فبعدَ عن المجلس، ثمَّ عطف، فرجعَ عليهم فقال: ما نسيت، لا نقطعُ عمرو بن عثمان، مرَّتين أو ثلاثاً، فوَالذي بعثَ محمَّداً ﷺ بالحقِّ إنَّه لفي كتابِ الله ﷻ[2]: لا تقطعْ مَن كان يصلُ أبوكَ فيُطفأَ نورُكَ[3].

وروىٰ أيضاً بإسنادهِ عن أبي أسيد، أنَّ رسولَ الله ﷺ كلَّمَهُ رجلٌ من بني سلمةَ وأنا عنده، فقال: يا رسولَ الله، إنَّ أبويَّ قد هَلكا، فهل بقيَ عليَّ من برِّهما شيء؟ فقالَ له رسولُ الله ﷺ: «**نعم، أربعةُ أشياء: الصلاةُ عليهما، والاستغفارُ لهما، وإنفاذُ عهودِهما من بعدهما، وصلةُ رحِمِهما التي لا رَحِمَ لكَ إلَّا من قِبَلِهما**»، فقالَ الرجل: ما أكثرَ هذا وأطيبَهُ يا رسولَ الله! قال: «**فاعملْ به**»[4].

---

(١) البر والصلة للحسين بن حرب (٨٥) ولفظه فيه: «إن أبر البر أن يصل الرجل أهله ودَّ أبيه بعد أن يولِّي». الأدب المفرد (٤١) وصححه الألباني، سنن الترمذي (١٩٠٣) وقال: هذا إسناد صحيح، صحيح ابن حبان (٤٣٠) قال المحقق: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم. وصححه في صحيح الجامع (١٥٢٥)، وفي السلسلة الصحيحة (١٧٣/٧).

(٢) في مصدره: إن لفي كتاب الله، أو قال: في بعض كتب الله، أو نحوه.

(٣) البر والصلة للحسين بن حرب (٨٦) ولفظه فيه: «لا تقطع من كان يصل أباك فيُطفَأ بذلك نورك».

(٤) البر والصلة للحسين بن حرب (٨٧)، ورواه ابن حبان في صحيحه (٤١٨) عن ابن المبارك، وقال محققه: علي بن عبيد مجهول، لم يوثقه غير المؤلف، ولم يرو عنه سوىٰ ابنه أسيد،=

وروىٰ ابنُ المبارك بإسنادِهِ عن سعيد بن يسار أبي الحباب، يحدِّثُ عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ: «**إنَّ الله تعالىٰ خلقَ الخلق، حتَّىٰ إذا فرغَ من خَلقهِ قامتِ الرَّحِمُ فقالت: هذا مقامُ** [٢٢٠/أ] **العائذِ بكَ من القطيعة، قال: نعم، ألا ترضَينَ أن أقطعَ من قطعك، وأصلَ من وصلك؟ قالت: بلىٰ، قال: فهو لك**»، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾**»(١) [محمد: ٢٢].

وهذا الحديثُ يكونُ معناهُ المثَلُ بخطابِ الرحِم، علىٰ عادةِ العربِ إذا أرادتْ إفهامَ المعاني حكتِ الخطابَ عن الجماداتِ من الديارِ والآثار، ويحتملُ أن يكونَ بخلقِ صورةٍ تخاطَب.

وروىٰ بإسنادِهِ عن أبي بكرة قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**ما من ذنبٍ أجدرُ من أن يعجِّلَ الله تعالىٰ العقوبةَ لصاحبِهِ في الدنيا مع ما يُدَّخَرُ له في الآخرةِ، من البغي وقطيعةِ الرَّحم**»(٢).

وروىٰ ابنُ المبارك بإسنادِهِ عن ابنِ عباس قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**ما من رجلٍ يدركُ له بنتان، فيُحسِنُ إليهما ما صحبتاه ـ أو قال: ما صحبَهما ـ**

= وباقي رجاله ثقات، وقال مثل ذلك في سنن أبي داود (٥١٤٢)، وكذا قال في مسند أحمد (١٦٠٥٩): إسناده ضعيف لجهالة حال علي بن عبيد. ورواه البيهقي في السنن الكبرىٰ (٦٣٩٨).

(١) البر والصلة للحسين بن حرب (١٢١)، ورواه البخاري في صحيحه (٤٨٣٠، ٥٩٨٧، ٧٥٠٢).

(٢) البر والصلة للحسين بن حرب (١٣٤)، سنن ابن ماجه (٤٢١١)، سنن أبي داود (٤٩٠٢) قال محققه: إسناده صحيح، سنن الترمذي (٢٥١١) وقال: حديث صحيح، الأدب المفرد (٢٩) وصححه الألباني.

إلَّا أدخلتاهُ الجنَّة»[1].

وروىٰ أيضاً بإسنادهِ عن أبي سعيد الخدري قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«من كانت له ثلاثُ أخوات، أو ثلاثُ بنات، أو ابنتان، أو أختان، فأحسنَ صحبتَهما، واتَّقىٰ الله ﷻ فيهنَّ، فله الجنَّة»**[2].

وروىٰ بإسنادهِ عن سُراقة بنِ مالك بن جعشم، أنَّ رسولَ الله ﷺ [٢٢٠/ب] قال: **«يا سراقة، ألا أدلُّكَ علىٰ أعظمِ الصدقة، أو قال: علىٰ أعظمَ من الصدقة»**؟ قال: بلىٰ يا رسولَ الله، قال: **«ابنتُكَ مردودةٌ إليك، ليس لها كسبٌ غيرُك»**[3].

وروىٰ ابنُ المبارك قال: أخبرنا المبارك بنُ فضالة عن الحسن قال: كان رجلٌ عند رسولِ الله ﷺ، فجاءَهُ ابنٌ له، فأقعدَهُ علىٰ فخذهِ اليمنىٰ، ثمَّ جاءَهُ ابنٌ له آخرُ أو ابنة، فأقعدَهُ في الأرض، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: **«لو كنتُ سوَّيتُ بينهما»**، فأقعدَهُ علىٰ الفخذِ الآخر[4].

---

(١) البر والصلة للحسين بن حرب (١٤٥)، سنن ابن ماجه (٣٦٧٠)، الأدب المفرد (٧٧) قال الألباني: حسن لغيره، صحيح ابن حبان (٢٩٤٥) قال محققه: إسناده ضعيف وهو حديث حسن بشواهده، وكذا قال في مسند أحمد (٣٤٢٤).

(٢) البر والصلة للحسين بن حرب (١٥٠)، سنن الترمذي (١٩١٦) وقال: حديث غريب، قال الألباني: ضعيف بهذا اللفظ، كما ضعفه في ضعيف الجامع (٥٨٠٨).

(٣) البر والصلة للحسين بن حرب (١٥١)، ولفظه فيه: «أن تكرم مردودة إليك ليس لها كاسب غيرك». ورواه أحمد في المسند (١٧٥٨٦) قال محققه: رجاله ثقات رجال الصحيح، غير أن علي بن رباح لم يسمعه من سراقة في رواية عبدالله بن يزيد المقرئ هنا، ورواه غيره عن موسىٰ بن علي، عن أبيه، عن سراقة موصولاً، سنن ابن ماجه (٣٦٦٧)، وضعفه له الألباني، وكذا ضعفه في الأدب المفرد (٨٠)، وضعفه في السلسلة الضعيفة (٤٨٢٢).

(٤) البر والصلة للحسين بن حرب (١٥٧)، البحر الزخار (١٥٧) وقال: لا نعلمه رواه عن معمر=

وروىٰ ابنُ المبارك عن نعيم بن ميسرة، عن عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز قال: كان عمر بن عبدالعزيز له ابنٌ من امرأة من بلحارث بن كعب، وكان يحبُّه، وينامُ معه في بيته، قال: فعرضتُ له ليلة، فقال: أعبدالعزيز؟ قلت: نعم، قال: شرٌّ ما جاءَ بك، ادخل، فدخلت، فجلستُ وهو يصلِّي، فانتفضَ كأنَّه قصبةٌ من لدنْ ظُفرهِ إلىٰ شعره! فظننتُ أنَّه مرَّ بآية، ثمَّ ركع، فأتاني فقال: ما لك؟ قلت: ليس أحدٌ أعلمُ بدارِ الرَّجلِ[1] منه، وإنَّك تصنعُ بابنِ الحارثيةِ ما لا تصنعُ بنا، فلستُ آمنُ أن يقال: ما هذا إلَّا من شيءٍ تراهُ عندهُ ولا تراهُ عندنا، فقال: أعلَّمكَ هذا أحد؟ فقلت: لا، فقال: أعدْ عليَّ، فأعدتُ عليه، فقال: ارجعْ إلىٰ بيتك، فرجعت، فكنتُ أنا وإبراهيم وعاصم وعبدالله نبيتُ جميعاً، فإذا نحن بفراشٍ يُحمَلُ [٢٢١/أ] ومعه ابنُ الحارثية، فقلنا: ما شأنك؟ فقال: شأني ما صنعتَ بي، قال نعيم: كأنَّه خشيَ أن يكونَ جَوراً، قال عبد العزيز: وكان عمرُ قلَّ ما يفارقُ فاهُ: ما شاءَ الله[2].

وروىٰ هناد بإسنادهِ عن عبدالله بن أبي أوفىٰ قال: كنَّا مع رسولِ الله ﷺ عشيةَ عرفةَ في حلقة، فقال: **«إنّا لا نحلُّ لرجلٍ أمسَىٰ قاطعَ رحمٍ إلَّا قامَ عنَّا»**، فلم يقمْ أحد، إلَّا فتًىٰ كان في أقصَىٰ الحلقة، فأتَىٰ لخالته، فقالت: ما جاءَ بك؟ ما هذا عن أمرك؟ فأخبرها ما قالَ النَّبيُّ ﷺ، ثمَّ رجعَ فجلسَ في مجلسه، فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: **«ما لك؟ لم أرَ أحداً قامَ من الحلقةِ غيرك»**؟ فأخبرَهُ ما قالَ لخالتهِ وما قالتْ له، فقالَ له: **«اجلس، فقد أحسنت، إنَّها لا تنزلُ الرَّحمةُ علىٰ**

= إلا عبدالله بن موسىٰ، وكان صنعانيًّا تحول إلىٰ مكة.

(١) في تاريخ دمشق: بولد الرجل.

(٢) البر والصلة للحسين بن حرب (١٥٩)، تاريخ مدينة دمشق ٣٦/٣٣٠.

قومٍ فيهم قاطعُ رحم»(١).

حدَّثني أبو إسحاق البرمكي قال: حدَّثنا أبو بكر محمَّد بن عبدالله بن بخيت، أخبرنا محمَّد بن صالح بن ذريح قال: حدَّثنا هناد قال: حدَّثنا أبو معاوية، عن حجَّاج، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّهِ قال: أتىٰ النَّبيَّ ﷺ رجلٌ فقال: يا رسولَ الله، إنَّ لي أقرباءَ أُحسِنُ ويسيئون، وأغفرُ ويَظلمون، وأصلُ ويقطعون، أفأكافئهم بما يصنعون؟ فقالَ ﷺ: **«إذاً تُتركون جميعاً، ولكن جُدْ عليهم بالفضل، فإنَّه لا يزالَ لكَ عليهم من الله ظهيراً»**(٢).

وروىٰ [٢٢١/ب] هناد بإسنادهِ عن أبي ذرٍّ قال: **أوصاني رسولُ الله ﷺ بسبع: أحبَّ المساكينَ وأدنوَ منهم، وأن أصلَ رحمي وإن جفاني، وأن أنظرَ إلىٰ من هو أسفلَ منِّي، ولا أنظرَ إلىٰ من هو فوقي، وأن أتكلَّمَ بمرِّ الحقِّ ولا أخافَ في الله لومةَ لائم، ولا أسألَ أحداً شيئاً، وأن أكثرَ من قولِ: لا حولَ ولا قوَّةِ إلَّا بالله**(٣).

---

(١) الزهد لهناد ٢/٤٨٩، شعب الإيمان (٧٥٩٠)، شرح السنة للبغوي (٣٤٣٩) وفي سند الحديث أبو إدام الأسلمي، قال البغوي في شرح السنة: ضعيف.

(٢) الزهد لهناد ٢/٤٩٢، وفي سنده حجاج بن أرطاة، قال الحافظ الهيثمي: رواه أحمد، وفيه حجاج بن أرطاة وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٨/١٥٤. ورواه مسلم في صحيحه (٢٥٥٨) من حديث أبي هريرة بألفاظ فيها اختلاف.
وهكذا ورد آخره (ظهيرًا) في الأصل والزهد لهناد ومصادر أخرىٰ، وفي غيرها «ظهير». كما ورد في الأصل «تتركوا».

(٣) الزهد لهناد ٢/٤٩٢، وفي سنده: «عن رجل عن أبي ذر»، فالراوي عن الصحابي مبهم. وفي الزهد لأحمد (٤٠١): عن محمد بن واسع عن أبي ذر، وفي الكبير للطبراني (١٦٤٨): عن عبدالله بن الصامت عن أبي ذر، ورواه الإمام أحمد في الأسامي والكنىٰ ٣/٢٠٥ وفيه:=

وروىٰ هناد بإسنادهِ عن عقبة بن عامر الجهني قال: لقيتُ رسولَ الله ﷺ فقالَ لي: «**يا عقبة بنَ عامر، صِلْ مَن قطعك، واعفُ عمَّن ظلمك، وأعطِ من حرمك**»(١).

وروىٰ هناد بإسنادهِ عن سويد بن عامر الأنصاري قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**بُلُّوا أرحامَكم ولو بالسلام**»(٢).

وروىٰ هناد بإسنادهِ عن مكحول قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**أعجلُ البرِّ ثواباً صلةُ الرَّحم، وأعجلُ الشَّرِّ عقوبةً البغيُ، وقطيعةُ الرَّحِم، واليمينُ الفاجرةُ تدَعُ الديارَ بلاقع**»(٣).

وروىٰ ابنُ المبارك بإسنادهِ عن عطاء بنِ يسار، أنَّ الهلالية زوجَ النَّبيِّ ﷺ كانت لها جاريةٌ سوداء، قالت: يا رسولَ الله، أريدُ أن أعتقَ هذه الجارية،

= عن أبي الجودي عن أبي ذر. وقال الحافظ الهيثمي في رواية لأبي الدرداء: رواه الطبراني وفيه أبو الجودي ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد ٢١٧/٤.

(١) الزهد لهناد ٤٩٣/٢، وهو جزء من حديث، شعب الإيمان (٧٧٢٣)، مسند أحمد (١٧٤٥٢) وقال محققه: إسناده حسن. وذكر الألباني أن إسناده صحيح. السلسلة الصحيحة ٨٥٩/٦.

(٢) الزهد لهناد ٤٩٢/٢، شعب الإيمان (٧٦٠٢)، وذكر الألباني أنه حسن بشواهده. السلسلة الصحيحة (١٧٧٧).

(٣) الزهد لهناد ٤٩٤/٢، وفيه «واليمين الصبر الفاجرة تدع الديار من أهلها بلاقع»، وكذا في الزهد لوكيع (٤٠٦). ومكحول تابعي، فالحديث مرسل.
وبلاقع هي الأرض القفر التي لا شيء بها، قال ابن الأثير: يريد أن الحالف بها يفتقر ويذهب ما في بيته من الرزق. وقيل هو أن يفرق الله شمله ويغير عليه ما أولاه من نعمه. النهاية في غريب الحديث والأثر ١٥٣/١.

فقالَ لها: «**أفلا تفتدين بها بنتَ أخيكِ من رعيةِ الغنم**»(١)؟

فَصْلٌ
في كفالة اليتيم

روىٰ ابنُ المبارك عن سفيان بن عيينة، عن أمِّ سعيد بنت مرَّة [٢٢٢/أ] الفهري(٢)، عن أبيها، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**كافلُ اليتيمِ له أو لغيره، إذا اتَّقىٰ الله، فأنا وهو في الجنَّةِ كهذه من هذه**»، وأشارَ بأصبعيه(٣).

وروىٰ ابنُ المبارك بإسنادهِ عن أبي أمامة قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**من مسحَ رأسَ يتيم، لا يمسحهُ إلَّا لله ﷻ، كانت له بكلِّ شعرةٍ مرَّتْ عليها يدهُ حسنات، ومن أحسنَ إلىٰ يتيمهِ أو يتيمِ غيره، كنتُ أنا وهو في الجنَّةِ كهاتين**». وقرنَ بين أصبعيه(٤).

وروىٰ ابنُ المبارك بإسنادهِ عن زيد بن أبي عتاب، عن أبي هريرة قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**خيرُ بيتٍ من المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُحسَنُ إليه، وشرُّ**

---

(١) البر والصلة للحسين بن حرب (١٧٥). وورد في الأصل «بيت أخيك».

(٢) «عن سفيان بن عيينة، عن صفوان بن سليم، عن أنيسة، عن أم سعيد»، كما في مصدره.

(٣) البر والصلة للحسين بن حرب (٢٠٥، ٢١٢). قال في مجمع الزوائد ١٦٣/٨: بنت لمرة لم أعرفها وبقية رجاله ثقات. اهـ. وهو من رواية أبي هريرة في صحيح مسلم (٢٩٨٣). وورد في الأصل «أم سعد».

(٤) الزهد لابن المبارك (٦٥٥)، مسند أحمد (٢٢١٣٥)، المعجم الكبير للطبراني (٧٨٢١)، قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: رواه أحمد والطبراني بإسناد ضعيف. إتحاف السادة المتقين ٢٩٠/٦.

بيتٍ في المسلمين بيتٌ فيه يتيمٌ يُساءُ إليه»، ثمَّ قالَ بأصبعيه: «أنا وكافلُ اليتيمِ في الجنَّةِ كهاتين» وهو مشيرٌ بأصبعيه[١].

فَصْلٌ
في حق المسلم

روىٰ هناد بإسنادهِ عن عليٍّ ﵁ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**للمسلمِ علىٰ المسلم ستٌّ: يسلِّمُ عليه إذا لقيه، ويجيبهُ إذا دعاه، ويشمِّتهُ إذا عطس، ويعودهُ إذا مرض، ويتبعُ جنازتَهُ إذا مات، ويحبُّ له ما يحبُّ لنفسه**»[٢]. وفي روايةِ أبي ذرٍّ موضع «**يحبُّ له ما يحبُّ لنفسه**»: «**إذا استنصحَهُ أن ينصحه**»[٣].

وروىٰ هناد بإسنادهِ عن معاذ قال: إذا التقَىٰ المسلمان، فأخذَ أحدُهما [٢٢٢/ب] يدَ صاحبه، فتبسَّمَ في وجهه، تحاتَّتْ عنهما ذنوبُهما كما تحاتُّ ورقُ الشجر[٤].

---

(١) الزهد لابن المبارك (٦٥٤)، سنن ابن ماجه (٣٦٧٩)، قال الحافظ العراقي: أخرجه ابن ماجه وفيه ضعف. وضعفه في ضعيف الجامع (٢٩٠٥)، وفي السلسلة الضعيفة (١٦٣٧).

(٢) الزهد لهناد ٤٩٦/٢، سنن ابن ماجه (١٤٣٣)، سنن الترمذي (٢٧٣٦) وقال: حديث حسن، مسند أبي يعلىٰ (٤٣٥) وقال محققه حسين أسد: إسناده ضعيف، مكارم الأخلاق للخرائطي (٣٥٣) وآخره فيه: «وينصحه إذا غاب عنه». وضعفه في ضعيف الجامع (٤٧٥١).

(٣) إذا كان المقصود عند هناد فإنه من حديث أبي أيوب، وبألفاظ فيها اختلاف، ينظر الزهد له ٤٩٨/٢، وكذلك هو في الأدب المفرد (٩٢٢) وغيره، الذي ضعفه له الألباني. ويبدو أنه زلة من المؤلف، فلم أره لأبي ذر.

(٤) الزهد لهناد ٤٩٩/٢ وآخره فيه: «ورق النخلة»، الغيلانيات (٩٣٣).

وروى هناد بإسناده عن واثلة بن الخطَّاب القرشي قال: جاءَ رجلٌ إلى المسجدِ ورسولُ الله ﷺ جالسٌ وحده، فلمَّا رآهُ رسولُ الله ﷺ تزحزحَ له، فقالَ الرجل: يا رسولَ الله، إنَّ في المكانِ سعة، فقالَ رسولُ الله ﷺ: **«إنَّ للمسلمِ على المسلمِ من الحقِّ أنْ إذا رآه أن يتزحزحَ له»**(١).

قالَ الحسنُ رحمةُ الله عليه: لا تؤدِّ النَّصيحةَ إلى أخيكَ حتَّى تأمرَهُ بما تعجزُ عنه(٢).

وقالَ أبو الدرداء: إنِّي لآمرُ بالأمرِ وما أفعله، وإنِّي لأرجو فيه الأجرَ من ربِّي ﷻ(٣).

وهذا معناهُ أنَّه ينبغي أن تنصحَ أخاكَ المسلم، وتأمرَهُ من فعلِ الخيرِ بما ينفعه، وإن لم تفعلهُ أنت.

وروى هناد بإسنادهِ عن واثلة بنِ الأسقع، عن أبي هريرة قال: قالَ لي رسولُ الله ﷺ: **«يا أبا هريرة، كن ورعاً تكنْ أعبدَ النَّاس، وكنْ قَنِعاً تكنْ أشكرَ النَّاس، وأحِبَّ للنَّاسِ ما تحبُّ لنفسِكَ تكنْ مؤمناً، وأحسنْ مجاورةَ من جاوركَ تكنْ مسلماً، وأقلَّ الضحك، فإنَّ كثرةَ الضحكِ تميتُ القلب»**(٤).



---

(١) الزهد لهناد ٢/٤٩٨، وفيه: «أن إذا رآه يتزحزح له»، شعب الإيمان (٨٩٣٣). وضعفه في ضعيف الجامع (١٩٦٧)، وفي السلسلة الضعيفة (٧١١٧).

(٢) الزهد لهناد ٢/٤٩٩، وفيه: «بما يعجز عنه»، وكذا في الزهد لوكيع (٣٥٣).

(٣) الزهد لهناد ٢/٥٠٠، وأورده صاحب كنز العمال (٨٤٤٢) لابن عساكر.

(٤) الزهد لهناد ٢/٥٠١، الزهد الكبير للبيهقي (٨٢٢)، حسن التنبه للغزي ٢/٢٩٦. وصححه في صحيح الجامع (٤٥٨٠)، وبأطول منه في السلسلة الصحيحة (٩٣٠).

فَصْلٌ
في حقِّ الجار

قالَ الله سبحانه: ﴿وَٱلۡجَارِ ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦].

﴿وَٱلۡجَارِ ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [٢٢٣/أ]: هو الجارُ المناسبُ الذي له قرابة.

﴿وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ﴾: هو الأجنبيُّ الذي ليس له قرابةٌ بك.

﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾: هو الرفيق، وقال إبراهيم: هو الزوجة(١).

فأمرَ تعالىٰ بالإحسانِ إلىٰ هؤلاء، قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]، وعطفَ الجارَ علىٰ الوالدين في الإحسان(٢).

وروىٰ هناد بإسنادِهِ عن أبي هريرة، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«لا يؤمنُ عبدٌ حتَّىٰ يأمنَ جارهُ بوائقَه»**(٣).

وروىٰ أيضاً بإسنادِهِ عن أبي هريرة، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«ما زالَ جبريلُ**

---

(١) تفسير الطبري، عند تفسير الآية الكريمة، وآخره فيه: «المرأة» بدل «الزوجة»، بينما ورد في تفسير الماوردي «الزوجة» من قول ابن مسعود.

(٢) تمام الآية الكريمة: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا وَبِذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالًا فَخُورًا﴾.

(٣) سبق تخريجه من الصحيحين. وبهذا اللفظ من رواية أبي هريرة أورده الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٧٥/٨ وقال: رواه البزار وفيه محمد بن كثير وهو ضعيف جدًّا.

صلَّىٰ الله عليه يوصيني بالجارِ حتَّىٰ ظننتُ أنَّه سيجعلُ له نصيباً في تراثي»(١).

وروىٰ ابنُ المبارك بإسنادهِ عن عائشة ﵂ أنَّها قالت: يا رسولَ الله، إنَّ لي جارين، فإلىٰ أيِّهما أُهدي؟ قال: **«إلىٰ أقربهما منكِ باباً»**(٢).

وهذا إذا لم يتَّسعْ ما يُهديهِ أن يكونَ لهما.

وروىٰ أيضاً ابنُ المبارك بإسنادهِ عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«من كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ فليكرمْ ضيفه، من كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ فليقلْ خيراً أو ليصمت»**(٣).

وروىٰ أيضاً بإسنادهِ عن محمَّد بن علي قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«ما آمنَ امرؤٌ أمسَىٰ شبعانَ وجارهُ جائع»**(٤).

---

(١) الزهد لهناد (١٠٣٥)، وآخره فيه «ميراثي»، لكن أشار المحقق في الهامش إلىٰ أنه ورد في نسخة «تراثي». وأشار إلىٰ ضعفه؛ لإرساله ـ رواه الحسن البصري ـ وراو عنه ضعيف. وهو في الصحيحين بلفظ «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتىٰ ظننت أنه سيورِّثه». صحيح البخاري من حديث عائشة (٦٠١٤)، صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمر (٢٦٢٥)، وعند البخاري «يوصيني جبريل».

(٢) الزهد لابن المبارك (٧٢٠)، صحيح البخاري (٢٢٥٩، ٢٥٩٥).

(٣) الزهد لابن المبارك (٣٦٨، ٣٧٢) في جزء من الحديث، صحيح مسلم (٧٤ من ٤٧)، وبقوله «فلا يؤذ جاره» من رواية أبي هريرة أيضًا في البخاري (٦٤٧٥).

(٤) الذي في الزهد لابن المبارك (٧٨١) قول أبي هريرة «ألا أخبرك بشرّ مما سألتني؟ الرجل يبيت شبعان وجاره جائع»، وفي البر والصلة للحسين بن حرب (٢٦٤) وليس في سنده ابن المبارك، ولكن فيه: الوصّافي عن محمد بن علي عن رسول الله ﷺ: «ما آمن بي من أمسىٰ وهو شبعان وجاره جائع». ويبدو أن المقصود منه «محمد بن علي الباقر» الذي عاش في بيت جده الحسين، ولا يكون به الحديث مرفوعًا. ويأتي صحيحًا بلفظ «ما آمن بي من بات شبعانَ وجارهُ جائعٌ إلىٰ جنبهِ وهو يعلم به» من حديث أنس، في صحيح الجامع (٥٥٠٥).

ورويَ عن الحسن أنَّه قال: قالَ لقمانُ لابنه: يا بنيَّ، حملتُ الجندلَ [٢٢٣/ب] والحديدَ وكلَّ حملٍ ثقيل، فلم أحملْ شيئاً هو أثقلَ من جارِ السوء(١).

وروى هناد بإسناده عن كلثوم الخزاعي قال: أتى النَّبيَّ ﷺ رجلٌ فقال: يا رسولَ الله، كيف لي إذا أحسنتُ أن أعلمَ أنِّي قد أحسنت، وإذا أسأتُ أن أعلمَ أنِّي قد أسأت؟ فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: «**إذا قالَ لكَ جيرانُكَ قد أحسنتَ فقد أحسنت، وإذا قالَ لكَ جيرانُكَ قد أسأتَ فقد أسأت**»(٢).

ورويَ عن عمر رضي الله عنه أنَّه قال: إذا كان في المرءِ ثلاثُ خصالٍ فلا تشكُّوا في صلاحه: إذا حمدَهُ ذو قرابته، وجارُه، ورفيقُه(٣).

ورويَ عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت: خلالُ المكارمِ عشرة، تكونُ في الرجلِ ولا تكونُ في ولده، وتكونُ في ولدِهِ ولا تكونُ فيه، وتكونُ في العبدِ ولا تكونُ في سيِّده، يجعلُها الله حيثُ يشاء: صدقُ الحديث، وصدقُ البأس، والمكافأةُ بالصنائع، وحفظُ الأمانة، وصلةُ الرَّحم، والتذمُّمُ للصاحب، وإعطاءُ السائل، وقِرى الضيف، ورأسُهنَّ الحياء(٤).

---

(١) الزهد لابن المبارك (٩٩١)، الزهد لأحمد (٥٣٣)، حسن التنبه ٥/٧١.

(٢) الزهد لهناد ٢/٥٠٥، سنن ابن ماجه (٤٢٢٢) وصححه له الألباني، السنن الكبرى للبيهقي (٢٠٣٩٧).

(٣) الزهد لهناد ٢/٥٠٦، شرح السنة للبغوي (٣٤٩٠).

(٤) الزهد لهناد ٢/٥٠٨. ويأتي من حديث عائشة مرفوعًا أيضًا، كما في شعب الإيمان (٧٣٢٣) ولكن ضعفه في ضعيف الجامع (٥٢٦٧)، وقال في السلسلة الضعيفة (٧١٩): ضعيف جدًّا. ومعنى التذمم للصاحب: أن يحفظ ذمامه، ويطرح عن نفسه ذم الناس له إن لم يحفظه. النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/١٦٩.

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أسَدُّ الأعمالِ ثلاثة: ذكرُ الله تعالىٰ علىٰ كلِّ حال، والإنصافُ من نفسك، ومواساةُ الأخِ في المال**»(١).

وقيلَ لمحمَّد بن المنكدر: أيُّ الدنيا أحبُّ إليك؟ قال: الإفضالُ علىٰ الإخوان(٢).

فَصْلٌ
في قِرى الضَّيف

روىٰ هناد بإسنادهِ عن أبي [٢٢٤/أ] شريح الخزاعي قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ فليكرمْ جاره، ومن كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ فليكرمْ ضيفه، جائزتهُ يومٌ وليلة، والضيافةُ ثلاثة، وما بعد ذلك صدقة، ومن كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ فليقلْ بحقٍّ أو ليصمت**»(٣).

ورویٰ هناد بإسنادهِ عن حميد الأعرج قال: سمعتُ مجاهداً يقول: نزلت ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨] في رجلٍ أضافَ رجلاً بالمدينة، فأساءَ قِراه، فتحوَّلَ عنه، فجعلَ يُثني عليه بما أولاه، فرخصَ له في ذلك(٤).

---

(١) الزهد لهناد ٥٠٩/٢ وفيه عن أبي جعفر رفعه، وهو محمد بن علي الباقر، فالحديث يروىٰ مرفوعًا عنه وعن علي بن أبي طالب، قال السيوطي في الأول: مرسل ضعيف، وقال في الثاني: موقوف ضعيف. الجامع الصغير (١٠٠٩). وورد في الأصل «أشد الأعمال».

(٢) الزهد لهناد ٥٠٩/٢، ومع زيادة في الزهد لأحمد (٢١٣٩)، وصفة الصفوة ٣٧٩/١.

(٣) الزهد لهناد ٥١١/٢، وهو في الصحيحين، وفيهما سؤال وجواب، صحيح البخاري (٦٠١٩)، صحيح مسلم (٤٨/٧٧).

(٤) الزهد لهناد ٥١٢/٢، وفي المصدر نفسه ٥١٣/٢ أن مجاهدًا سئل عن معنىٰ الآية فقال:=




وقالَ الحسن في قولهِ تعالىٰ: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ قال: من ظُلِمَ فقد رُخِّصَ له أن يدعوَ علىٰ من ظَلَمَهُ من غيرِ أن يعتدي[1].

ورویٰ هناد بإسنادهِ عن أبي الأحوص، عن أبيهِ قال: قلت: يا رسولَ الله، نزلتُ برجلٍ فلم يَضِفْني ولم يَقْرِني، فمرَّ بي بعدُ، أجزيه أم أقرِيه؟ قال: **«لا، بل أقرِه»**[2].

ورویٰ بإسنادهِ عن خالد بن زيد قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«بريءَ من الشُّحِّ من قَرَىٰ الضيف، وأدَّىٰ الزَّكاة، وأعطَىٰ في النائبة»**[3].



= هو الضيف المحوِّلُ رَحلَه أن يحدِّث بما أُولي. اهـ. وكلاهما لا يعبران عن المقصود، أو أن نقل نص كلامه رحمه الله لم يكن سويًّا، فكلامه في تفسير الطبري واضح، قال: ضاف رجل رجلاً فلم يؤدِّ إليه حقَّ ضيافته، فلما خرج أخبر الناس، فقال: ضفت فلانًا فلم يؤدِّ حقَّ ضيافتي، فذلك جهر بالسوء ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾: حين لم يؤدِّ إليه ضيافته، وزيادة التوضيح في المصدر المذكور.

وأضافه بمعنىٰ ضيَّفه، أو أنزله ضيفًا عنده، وضافه: طلب منه الضيافة.

(١) الزهد لهناد ٢/٥١٣. وهو مفهوم كلامه رحمه الله، فنصه في تفسير الطبري: هو الرجل يظلم الرجل، فلا يدْعُ عليه، ولكن ليقل: اللهمَّ أعني عليه، اللهمَّ استخرج لي حقي، اللهمَّ حُل بينه وبين ما يريد، ونحوه من الدعاء.

(٢) الزهد لهناد ٢/٥١٣، شعب الإيمان (٧٧١٩)، مسند أحمد (١٥٨٩١) وقال محققه: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم. وورد في الأصل «احرمه ام اقره»، وتصحيحه من المصادر.

(٣) الزهد لهناد ٢/٥١٤، المراسيل لأبي داود (١٢١)، كتاب التوكل لأبي يعلىٰ ص ٤٦، وضعفه في السلسلة الضعيفة (١٧٠٩)، وفي ضعيف الجامع (٢٣٢٥).

فَصْلٌ
في الهدية

رويَ [عن] النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**تهادُوا تحابُّوا**»(١).

ورويَ عنه ﷺ **أنَّه كان يأمرُ بالهديةِ صلةً بين النَّاس**(٢). [٢٢٤/ب].

وكان ﷺ **يقبلُ الهدية، ويردُّ الصَّدقة**(٣).

وقالَ ﷺ: «**لو دُعيتُ على ذراعٍ لأَجبت، ولو أُهديَ إليَّ كُراعٌ لقَبِلت**»(٤).

وهذا منه ﷺ تواضعٌ وتأديب.

والأَولَى للأمراءِ والحكَّامِ ألَّا يقبلوا الهديةَ من أحد، وإنَّما كان صلَّى الله عليه يقبلُ الهديةَ لزوالِ التهمةِ عنه في الجَور، وأنَّه مأمورٌ بتألُّفِ قلوبِ النَّاس،

---

(١) من رواية أبي هريرة: شعب الإيمان (٨٥٦٨)، السنن الكبرى للبيهقي (١١٩٤٦)، الأدب المفرد (٥٩٤) وحسَّنه له الألباني.

(٢) شعب الإيمان (٨٥٦٧)، فوائد تمام (١٠٠٢)، المعجم الكبير للطبراني (٧٥٧)، وضعفه في ضعيف الجامع (٤٥٢٣).

(٣) سنن أبي داود (٤٥١٢/١) من حديث أبي هريرة، بلفظ «يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة»، قال الشيخ شعيب: حديث صحيح وهذا إسناد حسن، مسند أحمد (٦٣٨١) قال محققه: حديث صحيح، وهو بلفظ «يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة». وسبق تخريجه من مصدر آخر.

(٤) صحيح البخاري (٥١٧٨، ٢٥٦٨) من حديث أبي هريرة، ولفظه في الموضع الأول: «لو دعيت إلى كراع لأجبت، ولو أهدي إليَّ كراع لقبلت»، وفي الموضع الثاني: «لو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولو أهدي إليَّ ذراع أو كراع لقبلت».
والكراع: الساق الدقيق العاري من اللحم.

وفي ردِّ ذلك عليهم تنفيرٌ[1] لقلوبهم.

ولا يجوزُ عند أصحابِنا للحاكمِ قبولُ الهديةِ ممَّن لم تَجرِ عادتهُ أن يُهدَىٰ له قبلَ أن ينصَّبَ للقضاء، ومن كان يُهدَىٰ له قبلَ القضاءِ فالأَولَىٰ له بعد القضاءِ ألّا يَقبلَ منه، ويجوزُ له قبولُ ذلك، وهذا يقتضي أنَّه من أهدَىٰ إليه شيئاً بسببِ ولايةِ الحكمِ والحاجةِ إليه فلا يقبله؛ لحفظِ نفسهِ عن الميلِ معه، وكسرِ قلبِ خصمه.

وحكَىٰ المدائنيُّ أنَّه بلغَ عبدالملك بنَ مروان أنَّ عاملاً من عمَّالهِ قبلَ الهدية، فلمَّا دخلَ عليه فقالَ له: أقبلتَ الهديةَ منذ ولَّيتك؟ فقال له: يا أميرَ المؤمنين، بلادُكَ عامرة، وخَراجُكَ وافر، ورعيَّتُكَ علىٰ أفضلِ محبتك، قال: أجبني عمَّا سألتُ عنه، قال: نعم، قال: إن كنتَ قبلتَ ولم تُعوِّضْ إنَّك للئيمٌ دنيء، ولئن أَنلتَ مُهدِيًا لا مِن مالك[2]، أو استكفيتَهُ ما لم تكنْ تنيلهُ ولا تستكفيهِ لولا ما كان منه؛ إنَّك لجائرٌ خائن، [٢٢٥/أ] ولئن كان مذهبُكَ أن تعوِّضَ المُهديَ من مالِكَ، وقبلتَ ما اتَّهمكَ عند من استكفاكَ وبسطَ لسانَ عائبك، وأطمعَ فيكَ أهلَ عملك؛ إنَّك لجاهل، وما في من أتَىٰ أمراً لا يخلو فيه من دناءةٍ أو خيانةٍ أو جهلٍ مصطنع. وأمرَ بصرفهِ عن عمله[3].



---

(١) في الأصل: تنفيرًا.

(٢) في المروج: «ولئن كنت أنلت مُهْديها من غير مالك».

(٣) في سياقه اضطراب، وهو أوضح في البيان والتبيين ٣/٣٠٣، كما ورد مختصرًا في مروج الذهب ٣/١١٨.

فَصْلٌ
[الهدايا للحكام والموظفين]

إذا أُهديَ إلىٰ من ليس إليه ولايةٌ هديةٌ، فإن كان المهدَىٰ إليه أعلىٰ مرتبةً من المهدي، فالمهدَىٰ إليه بالخيار، إن شاءَ قبلها وأثابَ عليها، وإن شاءَ ردَّها، وإن كان المهدَىٰ إليه مثلَ المُهدي، أو دونه، فهو أيضاً بالخيار، إن شاءَ قبلها، ولا يحتاجُ أن يثيبَ عليها، وإن شاءَ ردَّها، ويكونُ الأَولَىٰ بحسبِ ما يَعلمُ المهدَىٰ إليه من حالِ المُهدي وسببِ الهدية، فإن كان يعلمُ أنَّ غرضَ المُهدي بذلك نسجُ الودِّ والمحبةِ بينهما، فالأولَىٰ قبولُها، وإن كان الغرضُ في ذلك السمعةَ، والافتخارَ عليه، والمنَّةَ، كان الرَّدُّ أولَىٰ، إلَّا أن يكونَ في الرَّدِّ اكتسابُ عداوةِ المسلمِ؛ قَبِلها، فإنَّ تحمُّلَ المنَّةِ أولَىٰ من اكتسابِ العداوة.

وحكيَ أنَّه أُتيَ حكيمٌ من حكماءِ العجمِ بهدية، وعندهُ جماعةٌ من أصحابه، فدخلَهُ لذلك أمرٌ[1] أثَّرَ فيه أثراً تبيَّنَهُ مَن حضره، فقالَ له رجلٌ منهم: ما في هذا ما يبلغُ ما نرىٰ، فقال: وأيُّ معنىٰ؟ الهديةُ لا تستحقُّ أكثرَ ممَّا ترىٰ، وهي لا تخلو أن تكونَ من مبتدئٍ أتقلَّدُ له بها يداً، أو رجلٍ قلَّدتهُ [٢٢٥/ب] به نعمةً آخذُ عليها أجراً[2].

وتستحبُّ الهدايا للجيران من فاضلِ ما يكونُ في بيته؛ لأنَّ نفوسَهم تتوقُ إليه، مع ما قدَّمناهُ من الوصيةِ بالجار.

---

(١) يعني بالأمر: الغم.
(٢) البصائر والذخائر ٥/٧٧، نثر الدر ٧/٩٢.

فَصْلٌ
[في المكافأة]

وينبغي لمن أُهديَ إليه أن يكافئَ عليها حسبَ إمكانه، فإن تعذَّرَ عليه إهداءُ مثلِها شكرَ مُهديها وأثنىٰ عليه خيراً.

روىٰ سعيد بنُ المسيِّب عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: **«من أوتيَ إليه معروفٌ فليكافئْ به، فإن لم يجدْ فليُثنِ به، فمن أثنَىٰ به فقد شكره، ومن تركَهُ فقد كفره»**(١).

ورويَ عن الحسن أنَّه قال: جاءَ رجلٌ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، ما أمري وأمرُ هذا؟ قال: **«ما له»**؟ قال: اشتريتهُ بمالي وأعتقته، قال: **«هو مولاك، فإن شكركَ فهو خيرٌ له وشرٌّ لك، وإن كفركَ فهو خيرٌ لك وشرٌّ له»**، قال: فما أمرُ ميراثه؟ قال: **«إن تركَ ميراثاً وتركَ عصبةً فالعصبةُ أحقُّ، وإلَّا فالولاء»**(٢).

ومعنىٰ ذلك أنَّه إن شكركَ فهو خيرٌ له لأنَّه قد أدَّىٰ ما كُلِّفَ من حقِّك،

---

(١) الحديث مرسل كما يظهر، ولم أره بلفظه وإرساله، ولكن ورد مرفوعًا من حديث جابر بلفظ: «من أعطي عطاء فوجد فليجز به، فان لم يجد فليثن به، فمن أثنىٰ به فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره» سنن أبي داود (٤٨١٣) قال محققه: حديث حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف فيه رجل مبهم. وكذا هو في مسند أبي يعلىٰ (٢١٣٧).

(٢) سنن الدارمي (٣٠٥٥)، السنن الكبرىٰ للبيهقي (١٢٣٨٢) وفي سنديهما أشعث بن سوار، مصنف عبدالرزاق (١٦٧١٦) وليس في سنده أشعث. قال ابن الملقن: هذا مرسل كما ترىٰ، وأشعث صالح الحديث وثقه جماعة، وأخرج له م متابعة، ولم يعله البيهقي بغير الإرسال، وله متابع رواه عبد الرزاق. البدر المنير ٧/٢١٩.

وهو شرٌّ لكَ لأنَّه ينقصُ من ثوابِك، إذ قد حصلَ له عوضٌ من قربتك، وإن كفركَ فهو خيرٌ لك، بمعنىٰ أنَّه يتوفَّرُ ثوابُكَ، وشرٌّ له لأنَّه تركَ ما لزمَهُ مِن شكرك.

وروىٰ عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ [٢٢٦/أ]: **«من أوتيَ معروفاً فذكرَهُ فقد شكره، ومن تشبَّعَ بما لم ينلْ فهو كلابسِ ثوبَي زُور»**(١).

وروىٰ أبو هريرة قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«إذا قالَ الرَّجل: جزاكَ الله خيراً، فقد أبلغَ في الثناء»**(٢).

وروىٰ أبو سعيد قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«من لم يشكرِ النَّاسَ لم يشكرِ الله عز وجل»**(٣).

ومعنىٰ هذا ـ والله أعلمُ ـ أنَّ الله تعالىٰ أمرَهُ بشكرِ المنعِم، قالَ سبحانه: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ [لقمان: ١٤]، فإذا لم يشكرِ المنعِمَ فقد تركَ أمرَ الله

---

(١) مسند أحمد (٢٤٥٩٣) قال محققه: قوله: «من تشبع بما لم ينل فهو كلابس ثوبي زور» صحيح، وبقية الحديث حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لضعف صالح بن أبي الأخضر، وقد اختلف عليه فيه. اهـ.

(٢) رواه البيهقي في معرفة السنن والآثار (٢٠٧٨١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٧٠٤٩)، والبغوي في شرح السنة (٣٦١٠). ومن حديث أسامة بن زيد رواه الترمذي في السنن (٢٠٣٥) وقال: حديث حسن جيد غريب، وصححه له الألباني، كما رواه ابن حبان في صحيحه (٣٤١٣) وذكر محققه أن إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم. وهو بلفظ مقارب. وصححه من رواية ابن عمر وأبي هريرة في صحيح الجامع (٧٠٨).

(٣) سنن الترمذي (١٩٥٥) وقال: حديث حسن، وقال الألباني: صحيح لغيره، وبلفظ مقارب قال في الذي قبله: حديث صحيح، ووافقه الألباني، كما صححه في صحيح الجامع (٦٥٤١).

تعالىٰ، ومن تركَ أمرَهُ فما شكره.

ويحتملُ أن يكونَ معنىٰ ذلك أنَّ من تناسَىٰ نعمةَ غيرِهِ ولم يَشكرْ عليها فقد أهملَ شكرَها، فلم يشكرِ الله تعالىٰ عليها؛ لأنَّ الشكرَ واجبٌ عليه في النِّعمةِ لله، وإن جرتْ علىٰ يده.

فَصْلٌ
في الوليمة

وليمةُ العرسِ مستحبَّة، رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ لعبدالرَّحمن بن عوف حين تزوَّجَ بامرأةٍ من الأنصار: «**أَوْلِمْ ولو بِشَاة**»[1].

ورويَ عنه ﷺ **أنَّه لمَّا تزوَّجَ بصفيَّةَ أولمَ بسويقٍ وتمر**[2].

والوليمةُ مستحبَّةٌ بحسبِ الإمكان، والإجابةُ إلىٰ الوليمةِ واجبة، وإذا حضرها، فإن كان صائماً فرضاً لم يُفطر، ويدعو لأصحابها، وإن كان صائماً تطوُّعاً استُحِبَّ له أن يُفطرَ إذا سُئِلَ ذلك، وإن لم يُفطرْ جاز. وإن لم يكنْ صائماً أكل، إلَّا [٢٢٦/ب] أن يعتقدَ أنَّ الطَّعامَ محرَّم[3]، أو فيه شبهةٌ واختلاط،

(١) متفق عليه، صحيح البخاري (٥٠٧٢)، صحيح مسلم (١٤٢٧).

(٢) عن أنس، أن رسول الله ﷺ أعتق صفية وتزوجها، وجعل عتقها صداقها، وأولم عليها بحَيس. صحيح البخاري (٥١٦٩). والحيس: هو الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن، وقد يجعل عوض الأقط الدقيق أو الفتيت. النهاية في غريب الحديث والأثر ١/٤٦٧. ومن روايته أيضًا بلفظ «أولمَ علىٰ صفية بسويق وتمر» رواه أبو داود في السنن (٣٧٤٤)، وابن ماجه (١٩٠٩) وصححه لهما في صحيحيهما، كما صححه محقق مسند أبي يعلىٰ (٣٥٨٠).

(٣) في الأصل: محرما.

فلا يأكل، وإن أكل، فظاهرُ العلمِ إذا لم يتحقَّقِ التحريمَ جاز.

وإنَّما يجبُ عليه حضورُ الوليمةِ إذا دعاهُ المسلمُ صاحبُ الوليمةِ على وجهِ التعيين، وكذلك إن استنابَ من يدعوه، فأمَّا إن استنابَ من يدعو النَّاسَ ولم يعيِّنْ له، فدعا، لم يلزمِ المدعوَّ حضورُ الوليمة؛ لأنَّه لم يعيَّنْ فيهما، وإذا دعاهُ اثنان إلى وليمةٍ أجابَ السابقَ منهما، فإن استويا في ذلك أجابَ من كان منهما جارَه، أو أقربَ إليه بسبب، وإذا دعا الذِّمِّيُّ المسلمَ إلى وليمتهِ لم يلزمهُ إجابته.

فأمَّا ما عدا وليمةَ العرس، ما يُعمَلُ عند الخِتان، وعند الولادة، وغيرَ ذلك، فلا تجبُ الإجابة. فإن كان في الإجابةِ سرورُ المسلم، واكتسابُ ودِّه، كانت الإجابةُ أولى.

ووليمةُ العرسِ إنَّما تجبُ الإجابةُ إليها في اليومِ الأولِ خاصَّة. رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**الوليمةُ في اليومِ الأولِ حقّ، وفي الثاني معروف، وفي الثالثِ رياءٌ وسمعة**»(١).

وإذا كان في الوليمةِ منكر، مثلُ الخمرِ والملاهي، فإن كان إذا حضرَ أمكنَهُ إنكارُ ذلك وإزالتهُ لزمهُ الحضور، وإن كان لا يمكنهُ إزالةُ ذلك كُرهَ له الحضور، وإن حضرَ منكَراً، فأنكرَ للمنكرِ(٢) بحسبِ طاقته، فلا شيءَ عليه،

(١) سنن ابن ماجه (١٩١٥) من رواية أنس، وضعفه الألباني، كما ضعفه في ضعيف الجامع (٦١٦٧) لأبي داود وأحمد والنسائي. وفي الحديث كلام طويل، برواياته وطرقه. وقد حسنه السيوطي في الجامع الصغير (٩٦٧٣).

(٢) هكذا، والصحيح: المنكرَ.

وكذلك إن [٢٢٧/أ] كان في الموضعِ تماثيلُ وتصاويرُ أنكرَ ذلك، فإن لم يطقْ إنكارَهُ لم يحضر، وإن حضرَ منكِراً بقلبه، غير راضٍ به، جاز.

فَصْلٌ
[الغناء في وليمة العرس]

فإن كان فيها الغناء، فإن كان معه ملاهٍ، كالعودِ والطنبورِ والزَّمْر، لم يجزْ سماعه، وإن كان بغيرِ ملاهٍ، كالقضيب[١]، فإنَّه ليس من الملاهي، ألا ترىٰ أنَّه لو انفردَ عن الغناءِ لم يُستطَب[٢]؟ بخلافِ العود، فأمَّا الدُّفُّ فإنَّه ممَّا يستطاب، إلَّا أنَّه قد جُوِّز في زفافِ المرأةِ إلىٰ زوجها.

رويَ أنَّ امرأةً من الأنصارِ تسمَّىٰ أمَّ نبيط، زفَّتْ جاريةً من الأنصار، وكانت تَضربُ بالدفِّ وتقول:

أتينـــاكم أتينـــاكم ... فحيُّونـــا نحيـــيكم
لـــولا الـــذهبُ الأحمَـــ ... ـــرُ مـــا حلَّـــتْ بـــواديكم

فسمعها رسولُ الله ﷺ، فلم ينكرْ ذلك عليها وقال: «**لولا الحنطةُ السمراءُ ما سمنتْ عذاريكم**»[٣].

---

(١) يعني الضرب بالقضيب، قال الإمام النووي رحمه الله: وفي تحريم الضرب بالقضيب علىٰ الوسائد وجهان، قطع العراقيون بأنه مكروه لا حرام. روضة الطالبين ٢٢٩/١١.
وفي لسان العرب ٦٧٨/١: القضيب: كل نبت من الأغصان يُقضب.

(٢) في الأصل: لم يستطاب.

(٣) قال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه رواد بن الجراح وثقه أحمد وابن معين=

ورويَ أنَّه لمَّا قدمَ المدينةَ جاءتِ امرأةٌ من الأنصارِ فقالت: يا رسولَ الله، إنِّي نذرتُ إذا قدمتَ أن أضربَ بالدفِّ على رأسك، فقالَ لها: «**فِي بنذرِك**»(١).

ومعنى ذلك رأيتُ(٢) مقدمك.

فإن كان من النِّساءِ لم يجزْ سماعه؛ لأنَّه لا يأمَنُ منه الافتتانَ بالمغنية، وإن كان من الرجالِ كان تركهُ أولَى، فإن حضرَهُ فلا شيءَ عليه.

وينبغي للعاقلِ ألّا يتعرَّضَ لشيءٍ من زينةِ الدنيا وغرورها ممَّا له عنه غنى، فإنَّه لا يأمنُ من نفسهِ أن تتبعه، [٢٢٧/ب] فتوبقَهُ وتشغله، أو يحتاجَ إلى معاناةِ الصبرِ عنه، وقد كان قبلَ ملابستهِ غنيًّا عن ذلك.

وقد حكيَ أنَّه أصابَ حكيماً من حكماءِ العجمِ جائحةٌ أتتْ على ماله، فوفدَ على ملكٍ من ملوكهم، فلمَّا بلغَ الملكَ مَقدمُهُ أذنَ له، فلمَّا دخلَ عليه قالَ له: ما أقدمك؟ قال: حوادثُ الدهر، وخذلانُ الصبر، فقال: لكَ عندنا دركُ ما قصدتَ له، فأفدنا شيئاً، فقالَ له: اذكرْ حسراتِ التفريطِ بلذِّ الحزم، والحظْ مصارعَ الهزلِ تؤثرِ الجدّ، وألقِ خطراتِ الهوى بذكرِ عواقبها(٣).

= وابن حبان، وفيه ضعف. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٤/ ٢٨٩. وقال الألباني: رواه الطبراني كما في «زوائده» ١/١٦٧/١ وسكت عليه في «الفتح» وفيه ضعف.
ثم وجدت له طريقًا أخرى عن عائشة يتقوى بها كما بينته في «الإرواء». آداب الزفاف في السنة المطهرة ص ١٨١.

(١) سنن أبي داود (٣٣١٢) قال محققه الشيخ شعيب: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن في المتابعات والشواهد. وفيه «أوفي بنذرك». مسند أحمد (٢٣٠١١) قال مخرِّجه: إسناده قوي.

(٢) في الأصل: رايتو!.

(٣) لباب الآداب ص ٦٦، البصائر والذخائر ١/ ٢٢٢. وورد في مصادر «تلذّ الحزم»، وفي=

وكتبَ أخٌ إلىٰ أخيه: أمَّا بعد، فإنَّ الأمورَ إذا اقترعتْ علىٰ القلبِ استمالَهُ أطولُها صحبة، فلا تأذنْ لقلبِكَ في استصحابِ ما يعسرُ عليكَ قطعه، وكنْ في تأليفِ ما بينه وبين المحمودِ عاقبة، والسلام(1).

وسواءٌ في الغناءِ الحرَّةُ والأمَة، فإن كانت الحرَّةُ زوجةً والأمَةُ مملوكتَهُ لم يحرم، وإنَّما يكره، وإن كانتا أجنبيتين(2) فهما محرَّمتان علىٰ الرجال.

❁ **فإن قالَ قائل**: فالصوتُ ليس بعورةٍ فيحرمُ علىٰ الرجال؟

❁ **والجواب**: أنَّ ما يُخافُ فيه الافتتانُ يَحرم، ألا ترىٰ أنَّ الوجهَ ليس بعورةٍ من المرأة، والنظرَ إليه للشهوةِ محرَّم؟ وكذلك النظرُ لا يُقصَدُ به الشهوةُ إذا خيفَ منه الافتتان. وأمَّا الصوتُ بالغناءِ فإنَّما يُسمَعُ للشهوة، ويُخافُ منه الافتتانُ لا محالة، بخلافِ النظرِ إلىٰ الوجه؛ فإنَّه قد يكونُ الوجهُ يؤمَنُ منه الافتتانُ لكبرِهِ أو وحشته، والغناءُ لا يكونُ إلَّا من الصوتِ [٢٢٨/أ] المستحسَن.

وقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**التسبيحُ للرجال، والتصفيقُ للنساء**»(3).

ففرَّقَ بين الرجالِ والنساءِ في التسبيحِ لكراهةِ سماعِ صوتِ المرأة، وهو

= غيرها «تلتذ الحزم».

(1) المدخل لابن الحاج ٦٤/٣، وبدا أنه من كلام ابن الحاج، بينما وفاته ٧٢٧ هـ! وهو في كلام طويل. وآخر ما أورده المؤلف لفظه في المدخل هكذا: وكن في تأليف ما بينك وبين الله محمود العاقبة.

(2) في الأصل: أجنبيان.

(3) رواه الشيخان من حديث أبي هريرة، صحيح البخاري (١٢٠٣)، صحيح مسلم (٤٢٢).

قدرٌ يسيرٌ ينبَّهُ به الإمامُ في الصلاة.

۞ **فإن قالَ قائل**: فقد روتْ عائشة رضي الله عنها قالت: دخلَ عليَّ أبو بكر رضي الله عنه وعندي جاريتان من جواري الأنصارِ تغنِّيان بما قالتهُ الأنصارُ يومَ بُعاث، فقال: مزمورُ الشيطانِ في بيتِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم؟! فقالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**دعهما يا أبا بكر، فإنَّه يومُ عيد**»[1]. وهذا يدلُّ على إباحته؟

۞ **والجواب**: أنَّ إنكارَ أبي بكر رضي الله عنه يدلُّ على كراهته، وإنَّما لم ينكرهُ لأنَّ المرأةَ تسمعهُ من المرأةِ في يومِ عيدٍ جُعِلَ يومَ سرور، فخفَّ حكمهُ لذلك.

۞ **فإن قالَ قائل**: رويَ عن عثمان رضي الله عنه أنَّه كان له جاريتان يغنِّيانه، فإذا جاءَ وقتُ السَّحرِ قال: اسكتا، فقد جاءَ وقتُ الاستغفار[2]؟

۞ **فالجواب**: أنَّا قد ذكرنا أنَّ سماعَ الرجلِ لجاريتهِ ليس من المحرَّم، وأمَّا الكراهة، فإذا كان السامعُ ممَّن لا يَشغلهُ ذلك في طاعتهِ وعبادتهِ فيها، ويثقُ من نفسهِ بأنَّ ذلك لا يُلهيهِ عن عبادته، وطلبَ أن يروِّحَ به نفسه؛ جازَ ذلك، ولم يدخلْ في المكروه. ومثلُ هذا ما قالَهُ أهلُ المعرفةِ وافتُخِرَ به: إنَّه لا بدَّ للعاقلِ من ثلاثِ ساعات: ساعةٌ يحاسِبُ فيها نفسه، [٢٢٨/ب] وساعةٌ يناجي فيها ربَّه، وساعةٌ يخلِّي بين نفسهِ وبين لذَّتها؛ لتكونَ عوناً له على الساعتين[3].

---

(١) التمهيد لابن عبدالبر ١٩٩/٢٢ عن ابن شهاب وهشام بن عروة عن عروة.

(٢) الحاوي الكبير ١٨٩/١٧، معالم القربة في أحكام الحسبة ص ٢٢١. ولم أتمكن من تأكيده. وينظر التشكيك فيه بعد سطور.

(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح ١٠٠/٢. ويرد أربع ساعات، والزيادة فيها: ساعة يتفكر فيها في صنع الله، كما في الزهد لهناد ٥٨٠/٢، العزلة للخطابي ص ٩٩، قوت القلوب ٦٠/١.




وهذا إنَّما يكونُ لمن يمكنهُ كفُّ نفسهِ عن هواها إذا دخلَ وقتُ الاستغفار، فأمَّا من لا يقوىٰ علىٰ نفسه، بل تغلبهُ علىٰ لهوهِ وشهوته، فإنَّه يُكرَهُ له الدخولُ في ذلك، وعلىٰ أنَّه قد رويَ عن عثمان ﷺ أنَّه قال: ما تغنَّيت، ولا تمنَّيت، ولا مسستُ ذكري بيميني منذ أسلمت[1]. وهذا يخالفُ ما رووه.

ورويَ عن ابنِ مسعود ﷺ أنَّه قال: الغناءُ ينبتُ النِّفاقَ كما ينبتُ الماءُ البقل[2].

وهذا يحتملُ أن يكونَ معناهُ أنَّه يَشغلُ القلبَ فلا يجدُ حلاوةَ العبادة، وإنَّما تكونُ العبادةُ منه عملاً ظاهراً والباطنُ مشغول، فيشبهُ النفاق. ويحتملُ أن يريدَ الغناءَ بالملاهي.

وكلُّ ما يردُ من التحريمِ يُحمَلُ علىٰ ما ذكرناهُ من المحرَّم، والرخصةُ محمولةٌ علىٰ ما بيَّنَّا أنَّه ليس بمحرَّم.

وقد حكيَ عن طائفةٍ من المسلمين أنَّهم يدَّعون القُربةَ إلىٰ الله تعالىٰ في سماعهم الغناء، وهذا ممَّا تنفيهِ الشريعة، ويردُّهُ الإجماع.

فإن ذهبَ ذاهبٌ منهم إلىٰ أنَّ الطاعةَ بما يجدهُ السامعُ من الوجدِ

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٥١/٣٩ (ومواضع أخرىٰ منه)، إحياء علوم الدين ٢٨٦/٢، ٣١٩/٣. وقد أجاب عليه الإمام الغزالي في الموضع الأول منه، وخرجه الحافظ العراقي في الموضع الآخر بأن أبا يعلىٰ الموصلي أخرجه في معجمه بإسناد ضعيف.

(٢) السنة للخلال ٧٦/٥، ذم الملاهي لابن أبي الدنيا (٣٠). وغيرهما من المصادر، كما يرد مرفوعًا من رواية ابن مسعود وغيره، وقد بيَّن ابن الملقن عدم صحتهما في الحالين، في البدر المنير ٦٣٤/٩، وآخرون من أهل التخريج قالوا كذلك.

والحزن، وأنَّه يَحملُ القطعةَ[1] المذكورةَ من الشعرِ في الحبيبِ علىٰ انقطاعهِ من ربِّه، والوصلَ علىٰ مواصلتهِ إيَّاهُ والحثِّ علىٰ حبِّه؟

قيلَ له: المعاملةُ مع الله تعالىٰ تنزَّهُ عن أن تشبَّهَ به طاعةُ المخلوقين، وإن شاركتها في الاسم، والمحبةُ لله تعالىٰ تنتجها الفكرةُ [٢٢٩/أ] في إحسانهِ ولطفهِ بعبده، وما يرجوهُ من تنعيمهِ وفوزه، والوصلةُ بينه وبين خلقهِ بكثرةِ ذكرهِ والإخلاصِ في عبادته، والورعُ والتقوىٰ بتجنُّبِ مكروهاته.

وليس محبَّتهُ تعالىٰ طبعاً من جنسِ محبةِ المخلوقين، وكذلك الوصلُ معه، والقطيعة، فيثيرها السماع؛ لأنَّ السماعَ يحرِّكُ الطبعَ دونَ العقل، بل يقوِّي النَّفسَ علىٰ العقل، ولهذا الذي يسمعُ الغناءَ يُظهِرُ من الأفعالِ ما لا يُستَحسَنُ فعلُها مع عدمه، بل يلحقهُ شعبةٌ من السُّكر، حتَّىٰ تراهُ يلعبُ ببدنهِ ويديه، ويستحسنُ ما كان يستقبحهُ قبلَ ذلك.

فَصْلٌ
[الشعر وسماعه]

فأمَّا سماعُ الشعرِ علىٰ غيرِ سبيلِ الغناءِ فجائز، وكذلك تعلُّمه، ما لم يَشغلهُ ذلك عن تعلُّمِ القرآنِ والعلمِ النافع، وإذا تعلَّمَ من الشعرِ ما يَعرفُ به مذاهبَ العربِ في كلامها، كان ذلك عوناً له علىٰ معرفةِ معاني القرآنِ ومقاصده، فإنَّ الله تعالىٰ أنزلَهُ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

(١) الصحيح «القطيعة»، للتنسيق مع ما يأتي، ولوروده بهذا اللفظ مرة أخرىٰ بعد سطور.

وما رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**لأنْ يمتلئَ جوفُ أحدِكم قِيحاً خيرٌ له من أن يمتلئَ شِعراً**»(١)، فإنَّه كَرِهَ أن يَملأَ جوفَهَ بالشعر، وإذا ملأهُ به لم يبقَ فيه موضعٌ لغيرِهِ من القرآنِ والعلم.

وقد كان رسولُ الله ﷺ يسمعُ الشعر، **وقد سمعَ من كعب بنِ زهير قصيدتَهُ** في مدحهِ ﷺ، والاعتذارَ [٢٢٩/ب] إليه، وهي قوله:

بانـتْ سـعادُ فقلبـي اليـومَ متبـولُ ... متـيَّمٌ عنـدها لـم يُفْـدَ مكبـولُ(٢)

وكان يستنشدُ شعرَ أمية بنِ الصلت وغيره(٣).

وإنَّما كان ﷺ لا يقولُ الشعرَ لأنَّ الله تعالىٰ لم يعلِّمْهُ إيَّاه؛ لإثباتِ حجَّته، كما لم يعلِّمْهُ الكتابة، قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩]، وذلك سببٌ يختصُّه، لا يتعدَّىٰ إلىٰ غيرهِ من أمَّته.

وقد كانت الصحابةُ تقولُ الشعر، كأبي بكر وعمرَ وعليٍّ رضوانُ الله عليهم.

وقد قالَ الشافعيُّ رحمةُ الله عليه: الشعرُ كالكلام، حسنهُ كحسنه، وقبيحهُ كقبيحه(٤).

---

(١) متفق عليه. صحيح البخاري (٦١٥٤)، صحيح مسلم (٢٢٥٨).

(٢) السنن الكبرىٰ للبيهقي (٢١١٤٢) المستدرك للحاكم (٦٤٧٨) ومواضع أخرىٰ منه، سيرة ابن هشام ٥٠٣/٢، وغيرها من المصادر. ولكن من حيث ثبوته سنداً، ذكر الألباني في شريط مفرَّغ له (في الشاملة) أن القصة لا تثبت نسبتها إسنادًا أو رواية عن النبي ﷺ!

(٣) عن إبراهيم بن ميسرة، عن عمرو بن الشريد، عن أبيه قال: ردفت رسول الله ﷺ يومًا، فقال: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت شيء»؟ قلت: نعم، قال: «هيه»، فأنشدته بيتًا، فقال: «هيه»، ثم أنشدته بيتًا، فقال: «هيه»، حتىٰ أنشدته مئة بيت. صحيح مسلم (٢٢٥٥).

(٤) معرفة السنن والآثار (٢٠٢٠٦). ويروىٰ عن آخرين.

وهذا معناهُ أنَّ كونَهُ شعراً ليس بمستقبح، بل هو كالكلام.

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ من البيانِ لسحراً، وإنَّ من الشعرِ لحكمة**»(١).

وكتبَ عمر بنُ الخطَّاب رضي الله عنه إلىٰ أهلِ الشام، أن علِّموا أولادَكم الفروسيةَ والعوم، وروُّوهم ما جملَ من الشعر(٢).

فَصْلٌ
[فيما يلهي من الألعاب]



فإن كان فيها(٣) قومٌ يلعبون بالنردِ والشطرنج، فإن كان قماراً نهاهم عنه؛ لأنَّه يَحرم، وإن كان بغيرِ قمارٍ منعهم من النرد.

وأمَّا الشطرنج، فإن كان يُلهيهم عن الصلواتِ في أوقاتها، أو يشغلُ عن أداءِ فريضة، منعَهم منه، وكان محرَّماً، وإن كان لا يقطعهم عن ذلك، أمرهم بتركه، علىٰ سبيلِ التنزُّهِ عمَّا يكونُ لعباً، وتركهُ [٢٣٠/أ] أَولَىٰ من فعله، ولا يوصَفُ ذلك بالتحريم، وكذلك سائرُ ما يُلعَبُ به ويُلهي ويُذهِبُ الأوقات.

ولولا الغفلة، وتركُ الفكرِ فيما المكلَّفُ فيه، لما اشتغلَ بقطعِ زمانهِ فيما

---

(١) ورد بلفظ مقارب في سنن أبي داود (٥٠١١)، ومسند أحمد (٢٤٢٤)، وقال محققه في الموضعين: صحيح لغيره... ورواه الحاكم في المستدرك (٦٥٦٩)، والطبراني في الأوسط (٧٦٧١). وشطره الأول ورد في البخاري (٥٧٦٧).

(٢) الكامل في اللغة ٢١١/١، نثر الدر ٢٦/٢.

(٣) يعني في الوليمة.

لا ينفعه ، بل يلهيهِ ويضرُّه ، ولو علمَ قيمةَ الحياةِ لما ضيَّعها ، وإنَّما يَعلمُ ذلك حين نزولِ الموت ، فإنَّه في تلك الحياةِ يتصوَّرُ ما فاتَهُ من عمره ، وما ضيَّعَهُ من وقته ، فتقعُ الحسرة ، وتَعظمُ عندهُ اللحظة ، ويتمنَّىٰ أن يُترَكَ أقلَّ زمانٍ فلا يجدُ إلىٰ ذلك سبيلاً ، قالَ الله سبحانه: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١] .

فما تمنَّىٰ أن يؤخَّرَ إليه عند نزولِ الموتِ يضيِّعهُ العاقلُ قبل حين وفاتهِ بهوىٰ نفسهِ وتمكُّنِ غفلته . نسألُ الله الكريمَ أن يوقظَنا من سِنَةِ الغفلة ، ويُعينَنا باللطفِ والعصمة .

فَصْلٌ
[الحذر من مجالسة أهل المعاصي]

ومن يرغبُ في صلاحِ شأنه ، ومداراةِ نفسه ، لا يجالسُ أهلَ المعاصي ، فإنَّ النَّفسَ تسكنُ إليهم ، والطبعَ يميلُ نحوهم .

روىٰ ابنُ المبارك قال: أخبرنا مالك بنُ مغول قال: بلغنا أنَّ عيسىٰ بنَ مريم ﷺ قال: يا معشرَ الحواريين ، تحبَّبوا إلىٰ الله تعالىٰ ببغضِكم أهلَ المعاصي ، وتقرَّبوا إليه بمباعدتهم ، والتمسوا رضاهُ بسخطهم ، فقالوا: يا روحَ الله ، فمن نجالس؟ قال: جالسوا [٢٣٠/ب] من يذكِّركم اللهَ رؤيتُه ، ومن يزيدُ

في علمِكم منطقُه، ومن يرغِّبُكم في الآخرةِ عملُه[1].

وحكيَ عن أبي موسىٰ أنَّه قال: جليسُ الصدقِ خيرٌ من الوحدة، والوحدةُ خيرٌ من جليسِ السوء، ومثَلُ جليسِ الصدقِ كمثِلِ صاحبِ العطر، إن لم يبخِّرْكَ نفعتْكَ ريحه، ومثَلُ جليسِ السوءِ كمثِلِ القَيْن، إن لم يُحرقْكَ أصابكَ من دخانه، وإنَّما سمِّي القلبُ لتقلُّبه، ومثَلُ القلبِ كمثَلِ ريشةٍ في فلاةٍ ألجأتها الرِّيحُ إلىٰ شجرة، والريحُ تصفقها ظهراً لبطن[2].

وحكيَ عن لقمان عليه السلام أنَّه كان يقول: اللَّهمَّ لا تجعلْ أصحابي من الغافلين، الذين إذا ذكرتُكَ لم يعينوني، وإذا نسيتُكَ لم يذكِّروني، وإن أَمرتُ لم يطيعوني، وإن صمتُّ أحزنوني[3].

وقال عبيد بن عمير: بلغني أنَّ داود عليه السلام كان يقول: اللَّهمَّ لا تجعلْ لي أهلَ سوءٍ، فأكونَ رجلَ سوء[4].

حفظ اللِّسان

وينبغي لمن علم أنَّ كلامَهُ محفوظٌ عليه ألّا ينطقِ إلَّا بخير، قالَ الله سبحانه: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

(١) الزهد لابن المبارك (٣٥٥)، إحياء علوم الدين ٢/١٥٩، حسن التنبه ٣/٢٨٣، بريقة محمودية ٣/٦٠.
(٢) الزهد لابن المبارك (٣٥٨). والقين: الحدّاد. والصفق: الضرب يسمع له صوت.
(٣) الزهد لابن المبارك (٣٥٩)، شعب الإيمان (٩٠٣٥).
(٤) الزهد لابن المبارك (٣٦٠)، الزهد لأحمد (٣٦٩)، حسن التنبه ٢/٤٧٨.

حدَّثنا أبو إسحاق البرمكي قال: حدَّثنا محمَّد بن عبدالله بن بخيت قال: حدَّثنا محمد بن صالح بن ذريح قال: حدَّثنا هنَّاد بن السَّريِّ قال: حدَّثنا حاتم بن إسماعيل، عن محمَّد بن عجلان، [عن مكحول]، عن معاذ بن جبل قال: إنَّ النَّاس تخلَّفوا عن رسولِ الله ﷺ يومَ تبوك، فلحقته، فلمَّا سمعَ حسِّي قال: «**من هذا، ابن جبل**»؟ قلت: نعم يا رسولَ الله، [قال: «**أين الناس**»؟ قلت:] إنَّ النَّاس تخلَّفوا عنك، [وظنُّوا أنه ينزَّلُ عليك]، وكانت لي [٢٣١/أ] حاجةٌ فأسرعتُ لها، قال: «**ما هي**»؟ قلت: أخبرني بعملِ الجنَّة، قال: «**بخٍ بخٍ، سألتَ عن عظيم، وإنَّه ليسيرٌ علىٰ من يسَّرَهُ الله عليه، تعبدُ الله ﷻ ولا تشركُ به شيئاً، وتصلِّي الصَّلاةَ المكتوبة، وتؤدِّي الزَّكاةَ المفروضة. ألا أنبِّئكَ برأسِ هذا الأمرِ وعمودهِ وذروةِ سنامه**»؟ قال: «**رأسُ الإسلامِ من أسلمَ سلم**[1]**، وعمودهُ الصَّلاة، وذروةُ سنامهِ الجهادُ في سبيلِ الله. ألا أنبِّئكَ بأبوابِ الخير؟ الصيامُ جُنَّة، والصَّدقةُ تمحو الخطيئة، وقيامُ العبدِ في جوفِ الليلِ لله تعالىٰ**»، قال: ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] حتَّىٰ فرغَ منها[2]، «**ألا أنبِّئكَ بأملَكِ النَّاسِ من ذلك**»؟ فأشار إلىٰ لسانه ثلاثاً، قال: قلت: وإنَّا لنؤاخَذُ بما نتكلَّمُ به؟! قال: فضربَ منكبي وقال: «**ثكلتكَ أمُّكَ يا معاذ، وهل يَكبُّ النَّاسَ في النَّارِ علىٰ وجوهِهم إلَّا هذا اللسان؟ إنَّكَ ما سكتَّ سَلمت، وإذا تكلَّمتَ فلكَ وعليك**»[3].

---

(١) في المطبوع من الزهد لابن المبارك: رأسه الإسلام (فمن أسلم سلم) هكذا بين قوسين.

(٢) قوله تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

(٣) الزهد لهناد ٢/٥٣٠، وما بين المعقوفات منه. قال محققه الفريوائي: إسناده منقطع بين مكحول ومعاذ. ورواه من طرق أخرىٰ أبو نعيم في الحلية ٤/٣٧٦، وجزء منه في سنن الترمذي (٢٦١٦) وقال: حسن صحيح.

وفي لفظٍ آخر: «**وهل يَكبُّ النَّاسَ على مناخرهم في النَّارِ إلَّا حصائدُ ألسنتهم**»؟[1].

حدَّثنا الجوهري قال: أخبرنا ابن حيويه قال: حدَّثنا ابنُ صاعد، عن المروزي، عن ابن المبارك قال: أخبرنا عمر بن ذرٍّ عن أبيه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الله ﷻ عند لسانِ كلِّ قائل، فليتقِّ الله امرؤٌ، وليعلمْ ما يقول**»[2].

وقالَ ﷺ: [٢٣١/ب] «**من كان يؤمنُ بالله واليومِ الآخر، فليقلْ خيراً أو ليصمت**»[3].

وعن أبي بكر رضوانُ الله عليه، أنَّه أخذَ بلسانهِ في مرضهِ وقال: هذا أوردني الموارد[4].

وروىٰ هناد بإسنادهِ عن عبدالله أنَّه قال: والذي لا إله غيره، ما علىٰ الأرضِ شيءٌ أحوجَ إلىٰ طولِ سَجنٍ من لسان[5].

---

(١) الحديث الذي بعده في الزهد لهناد، أو كأنه المقصود. كما رواه بهذا اللفظ الحاكم في المستدرك (٣٥٤٨) وقال: صحيح علىٰ شرط الشيخين. ورواه الترمذي كما في الهامش السابق، مشيرًا إلىٰ اللفظين.

(٢) الزهد لابن المبارك (٣٦٧)، حلية الأولياء ٣٥٢/٨، شعب الإيمان (٤٦٧٧، ٤٦٧٨) قال البيهقي: كذا قال، وهو منقطع. وضعف الحديث في السلسلة الضعيفة (١٩٥٣) منقطعًا ومرفوعًا.

(٣) الزهد لابن المبارك (٣٦٨). ومتفق عليه من حديث أبي هريرة: صحيح البخاري (٦٠١٨)، صحيح مسلم (٤٧/٧٤).

(٤) الزهد لابن المبارك (٣٦٩)، ولهناد (١٠٩٣)، والصمت لابن أبي الدنيا (١٩).

(٥) الزهد لهناد (١٠٩٥)، الصمت لابن أبي الدنيا (١٦)، المعجم الكبير للطبراني (٨٧٤٤، ٨٧٤٥).

ورويَ عن أنس بنِ مالك أنَّه قال: لا يتَّقي اللهَ عبدٌ حقَّ تقاتهِ حتَّىٰ يخزنَ لسانه[1].

وروىٰ بإسنادهِ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**من تكفَّلَ لي بما بين لَحْيَيه وما بين رجليه، تكفَّلتُ له بالجنَّة**»[2].

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**رحمَ الله عبداً قالَ خيراً فغنم، أو سكتَ فسلم**»[3].

ورويَ عن عمر رضي الله عنه أنَّه قال: عليكم بذكرِ الله فإنَّه شفاء، وإيَّاكم وذكرَ النَّاسِ فإنَّه داء[4].

وكان الربيع بنُ خثيم يقول: لا خيرَ في الكلامِ إلَّا في تسع: تحمدُ الله، وتكبِّرُ الله، وتهلِّلُ الله، وأمرُكَ بالمعروف، ونهيُكَ عن المنكر، وسؤالُكَ الخير، وقعودُكَ عن الشرّ، وقراءةُ القرآن[5].

---

(١) تفسير البغوي ١/٤٨٠، تفسير ابن كثير ٢/٧٥، الدر المنثور ٢/٦٨٣.

(٢) الزهد لهناد (١٠٩٨) ولفظه في المطبوع منه: «من توكل لي ما بين لحييه وما بين رجليه توكلت له بالجنة» وقال محققه الفريوائي: إسناده ضعيف للإرسال لكن صح الحديث من غير وجه. اهـ. وهذا قريب من لفظ البخاري (٦٨٠٧): «من توكل لي ما بين رجليه وما بين لحييه توكلت له بالجنة».
واللَّحي: عظم الحنك الذي عليه الأسنان وتنبت عليه اللحية، فهما عظمتان تنبت عليهما اللحية. والمقصود بما بينهما: اللسان.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٥٨٥) من رواية الحسن مرسلًا، وحسنه في صحيح الجامع (٣٤٩٢)، لكن ضعفه لابن المبارك في الزهد، في ضعيف الجامع (٨٩) وهو عن خالد بن أبي عمران مرسلًا.

(٤) الصمت لابن أبي الدنيا (٢٠٣)، وذم الغيبة له (٥٨)، جمع الجوامع للسيوطي (٢/٥٤٢).

(٥) الزهد لهناد (١١٠٨)، الصمت لابن أبي الدنيا (٨٧).

قال: وذُكِرَ عندهُ عليٌّ وعثمانُ رضي الله عنهما، فقال: عليكم بذكرِ الله، ودعوا ذكرَ الرجال[1].

وقيل: يا أبا يزيد، ما لكَ لا تذمُّ النَّاس؟ فقال: ما أنا براضٍ عن نفسي فأتفرَّغَ من ذمِّها إلىٰ ذمِّ غيرها، إنَّ النَّاسَ خافوا الله في ذنوبِ النَّاسِ وأمنوهُ علىٰ ذنوبهم[2].

وهذا معناهُ أنَّ الإنسانَ يستعظمُ [٢٣٢/أ] خطيئةَ غيره، وربَّما كان يفعلُها أو مثلَها ولا يستنكرها من نفسهِ كما يستنكرها من غيره.

وقالَ عيسىٰ بنُ مريم عليه السلام: لا تكثروا الكلامَ بغيرِ ذكرِ الله فتقسوَ قلوبُكم وإن كانت ليِّنة، فإنَّ القلبَ القاسيَ بعيدٌ من الله ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في ذنوبِ النَّاسِ كهيئةِ الأرباب، وانظروا في ذنوبكم كهيئةِ العبيد. النَّاسُ رجلان: مبتلًىٰ ومعافىٰ، فارحموا أهلَ البلاء، وسَلوا الله العافية[3].

وقالَ سالم بن أبي الجعد: إنَّ عيسىٰ عليه السلام قال: طوبىٰ لمن خزنَ لسانه، ووسعهُ بيته، وبكىٰ علىٰ خطيئته[4].

وقالَ الحسن: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**أوَّلُ العبادةُ الصمت**»[5].

(١) الزهد لهناد (١١٠٩).

(٢) مع سابقه، والزهد لأحمد (١٩٦٩)، وصفة الصفوة ٣٥/٢.

(٣) الزهد لهناد (١١٢٢)، تاريخ مدينة دمشق ٤٤٢/٤٧، ٤٤٣.

(٤) الزهد لهناد (١١٢٨)، الصمت لابن أبي الدنيا (١٥). ويأتي مرفوعًا إلىٰ نبينا محمد ﷺ من حديث ثوبان، وهو بلفظ «طُوبىٰ لمن ملك لسانَهُ، ووسِعَهُ بيتُه، وبَكىٰ علىٰ خطيئتِه» رواه ابن أبي الدنيا في العزلة والانفراد (٢)، والطبراني في المعجم الأوسط (٢٣٤٠)، وحسنه في صحيح الجامع (٣٩٢٩).

(٥) الزهد لهناد (١١٣٠)، وضعفه في ضعيف الجامع (٢١٢٨).




وروى هناد بإسنادهِ عن عبدالله بن عمرو قال: أتى النَّبيَّ ﷺ رجلٌ فقال: يا رسولَ الله، من المهاجر؟ قال: «**من هجرَ السيِّئات**»، قال: من المسلم؟ قال: «**من سلمَ المسلمون من لسانهِ ويده**»، فقال: من المؤمن؟ قال: «**من أمنَهُ النَّاسُ على أنفسهم وأموالهم**»، قال: من المجاهد؟ قال: «**من جاهدَ نفسه**»[1].

وروى هناد بإسنادهِ عن الحسن قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له، ولا دينَ لمن لا عهدَ له، والذي نفسي بيده، لا يستقيمُ عبدٌ حتَّى يستقيمَ لسانه، ولا يستقيمُ لسانهُ حتَّى يستقيمَ قلبه، ولا يكونُ مؤمناً حتَّى يأمنَ جارهُ غوائلَه**». وغوائله: [٢٣٢/ب] تغطرسهُ وظلمه[2].

وروى هناد بإسنادهِ عن أنس بن مالك قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**من كان له لسانان في الدنيا، جعلَ الله له يومَ القيامةِ لسانين من نار**»[3].

وروى بإسنادهِ عن أبي هريرة، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**تجدُ من شرِّ النَّاسِ**

---

(١) الزهد لهناد (١١٣٣)، تعظيم قدر الصلاة (٦٣٤) وفي سنديهما عبدالرحمن بن زياد الإفريقي، وهو ضعيف، وكذا بيَّنه محقق هناد، لكن أشار إلى الحديث الذي قبله في كتاب الزهد وأنه صحيح، وفيه جزء من الحديث هذا.

(٢) الزهد لهناد مع شرح غريبه (١٠٣٣)، ترتيب الأمالي الخميسية (١٢٧). وهو مرسل. وورد حديث من رواية أنس بلفظ: «لا يستقيمُ إيمانُ عبدٍ حتى يستقيمَ قلبُه، ولا يستقيمُ قلبُه حتى يستقيمَ لسانُه، ولا يدخلُ رجلٌ الجنةَ لا يأمَنُ جارُه بوائقَه» قال في السلسلة الصحيحة (٢٨٤١): رجاله ثقات رجال مسلم غير الباهلي وهو حسن الحديث...

(٣) الزهد لهناد ٥٤٩/٢، مسند أبي يعلى (٢٧٧١، ٢٧٧٢) وضعف محققه إسناده في الموضعين، وذكر الألباني في صحيح الترغيب (٢٩٥٠) أنه صحيح لغيره. وللحديث روايات أخرى، خرَّجه الألباني بأنه صحيح بمجموع طرقه. السلسلة الصحيحة (٨٩٢).

عند الله يومَ القيامةِ ذا الوجهين». قالَ الأعمش: يجيءُ إلىٰ هؤلاءِ فيقولُ قولاً، ويجيءُ إلىٰ هؤلاءِ فيقولُ قولاً[(١)].

روىٰ هناد عن أبي بكر بن عيَّاش، عن محمَّد بن عمرو، عن أبيه، عن بلال بن الحارث المزني، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ الرَّجلَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ ما يرىٰ أنَّها بلغتْ حيثُ بلغت، فيوجبُ الله له بها رضوانَهُ إلىٰ يومِ يلقاه، وإنَّ الرَّجلَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ لا يرىٰ أنَّها بلغتْ حيثُ بلغت، فيوجبُ الله له بها سخطَهُ إلىٰ يومِ يلقاه**». قالَ علقمة: فلقد كنتُ أريدُ أن أتكلَّمَ فيمنعُني قولُ بلال[(٢)].

وروىٰ هناد بإسنادهِ عن أبي هريرة قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ أحدَكم ليتكلَّمُ بالكلمةِ لا يتكلَّمُ بها إلَّا ليُضحِكَ بها المجلس، يَهوي بها أبعدَ ما بين السماءِ والأرض**»[(٣)].

وروىٰ بهز بن حكيم عن أبيه، عن جدِّه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ

---

(١) الحديث مع قول الأعمش في الزهد لهناد (١١٣٩)، ونصه في صحيح البخاري (٦٠٥٨): «تجد من شر الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه».

(٢) الحديث مع قول بلال المزني في الزهد لهناد (١١٤٠)، والحديث وحده في شعب الإيمان (٤٦٠٦)، سنن الترمذي (٢٣١٩) وقال: حديث حسن صحيح، صحيح ابن حبان (٢٨٧) قال محققه الشيخ شعيب: صحيح.

(٣) الزهد لهناد (١١٤٤) قال محققه: إسناده ضعيف جدًّا لأن فيه يحيىٰ بن عبيدالله وهو متروك، لكن صح الحديث من غير وجه... اهـ. والقول بضعفه جدًّا للألباني أيضًا في ضعيف الترغيب (١٧١٥). وآخره في صحيح ابن حبان (٥٧١٦): «يهوي بها من أبعد من الثريا». وهو عند البخاري (٦٤٧٧) بلفظ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق»، وعند مسلم (٢٩٨٨): «ما بين المشرق والمغرب».

يقول: «**ويلٌ للذي يحدِّثُ فيكذبُ ليُضحِكَ به القوم، ويلٌ له، ويلٌ له**»[1].

روىٰ هناد بإسنادهِ عن الحسن أنَّه قال: قامَ رجلٌ يخطب، فشققَ الكلام، [٢٣٣/أ] فقالَ له رسولُ الله ﷺ: «**اسكت، فإنَّ البيانَ من السحر، والتشقيقَ من الشيطان**»[2].

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ الله تعالىٰ كرهَ لكم ثلاثاً: قيلَ وقال، وكثرةَ السؤال، وإضاعةَ المال**»[3].

وهذا إنَّما يكونُ فيما لا يعني الإنسان، والسؤالِ عمَّا لا يحتاجُ إلىٰ معرفته.

فَصْلٌ
في الغيبة

قالَ الله سبحانه: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

---

(١) الزهد لهناد (١١٥٠)، سنن أبي داود (٤٩٩٠) قال الشيخ شعيب: إسناده حسن. كما حسَّنه في صحيح الجامع (٧١٣٦).

(٢) الزهد لهناد (١١٥١) قال محققه: إسناده ضعيف جدًّا لأجل جويبر. اهـ. وللحديث روايات أخرىٰ، منها حديث عبدالله بن عمر بلفظ «يا أيها الناس، قولوا قولَكم، فإنما تَشقيقُ الكلامِ من الشيطان». ثم قال رسولُ الله: «إنَّ من البيانِ لَسحرًا». رواه البخاري في الأدب المفرد (٨٧٥) وصححه الألباني.

(٣) رواه الشيخان من حديث المغيرة بن شعبة: صحيح البخاري (١٤٧٧)، صحيح مسلم (٥٩٣).

قيلَ في التفسير: إنَّه يَكرهُ أكلَ لحمِ الميتِ ويَعافهُ بطبعه، فينبغي إذا دُعيَ إلىٰ غيبةِ أخيهِ أن يكرهَهُ عقلُه(١).

وقيل: إنَّ تشبيهَ الغيبةِ بأكلِ لحمهِ ميتاً، أنَّه إذا اغتابَهُ مزَّقَ عرضَهُ ولا يعلمُ به، فيدفعهُ عن نفسه، كأكلِ لحمِ الميتِ لا يمكنهُ دفعهُ عن ذلك. وفي كلِّ واحدٍ من هذين هتكُ حرمته(٢).

ورویٰ أبو داود بإسنادهِ عن أنس بنِ مالك قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**لمَّا عُرِجَ بي مررتُ بقومٍ لهم أظفارٌ من نحاسٍ يخمشون وجوهَهم وصدورَهم، فقلت: من هؤلاءِ يا جبريل؟ فقال: هؤلاءِ الذين يأكلون لحومَ النَّاس ويقعون في أعراضهم**»(٣).

أخبرنا إبراهيم قال: حدَّثنا محمَّد قال: حدَّثنا هناد قال: حدَّثنا وكيع، عن الأوزاعيّ، عن المطَّلب بن عبدالله بن حنطب قال: ذُكرتِ الغيبةُ عند النَّبيِّ ﷺ فقال: «**الغيبةُ أن يُذكرَ** [٢٣٣/ب] **الرَّجلُ بما فيه من خُلقه**»، قالوا: يا رسولَ الله، ما كنَّا نرىٰ الغيبةَ إلَّا أن يُذكرَ الرَّجلُ بما ليس فيه من خُلقه، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**ذلكم البهتان**»(٤).

---

(١) ينظر هذا في التبيان للطوسي، عند تفسير الآية الكريمة.

(٢) ينظر تفسير القرآن للسمعاني، عند تفسير الآية الكريمة.

(٣) سنن أبي داود (٤٨٧٨/١) قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح من جهة أبي المغيرة (في السند: حدثنا بقية وأبو المغيرة)، كما صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود. ورواه الطبراني في المعجم الأوسط (٨) من طريق أبي المغيرة.

(٤) الزهد لهناد (١١٧٢) قال محققه الفريوائي: إسناده مرسل جيد. وبسنده في الزهد لوكيع (٤٣٧) وفيه «بما فيه من خُلقه أو خَلقه». وفي حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ،=

وروىٰ هناد بإسنادهِ عن عائشة أنَّها قالت: أقبلتِ امرأةٌ قصيرةٌ وأنا جالسةٌ مع النَّبيِّ ﷺ، قالت: فأشرتُ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ بإبهامي أنَّها مثلُ الإبهام، فقال: «**لقد اغتبتيها**»[١].

وروىٰ بإسنادهِ عن ابن سيرين، أنَّه ذكرَ رجلاً فقال: ذاكَ الأسود، ثمَّ قال: أستغفرُ الله، أخافُ أن أكونَ قد اغتبته[٢].

وهذا يقتضي أن تكونَ الغيبةُ أن يقولَ في الرَّجلِ ما يَكرَهُ أن يُقالَ فيه لغيرِ حاجةٍ لكَ إلىٰ ذلك، فإن كان لكَ حاجةٌ إلىٰ ما تذكره، مثلَ أن تدَّعيَ عليه أنَّه ظلمكَ في حقٍّ لكَ عليه، أو قذفك، أو تقيمُ شهادةً عليه بما يوجبُ حدًّا، لا تقصدُ بذلكَ إلَّا إقامةَ الحقِّ فيه، أو يكونُ له فعلٌ يَقصدُ به الإنكارَ عليه فيه ليرجعَ عن فعله، وما أشبهَ ذلك، فأمَّا أن تذكرَهُ تقصدُ انتقاصَه، أو تَشفيَ غليلكَ منه، فذلك غيبة.

وقد رويَ عن العبَّاسِ رضوانُ الله عليه أنَّه قالَ لابنهِ عبدالله: يا بني، أرىٰ أميرَ المؤمنين يقرِّبُك، ويخلو بك، ويستشيرُكَ مع أناسٍ من أصحابِ رسولِ الله ﷺ، فاحفظْ عنِّي ثلاثَ خصال: لا يجرِّبنَّ عليكَ كذبة، ولا تفشينَّ

= قال: «أتدرون ما الغيبة»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره»، قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته». صحيح مسلم (٢٥٨٩).

(١) الزهد لهناد (١١٩٠)، مسند إسحاق بن راهويه (١٦١٣)، مساوئ الأخلاق للخرائطي (١٩٧)، شعب الإيمان (٦٣٠٤) قال البيهقي: هذا مرسل بين حسان وعائشة. (وهو كما في إسناد الآخرين).

(٢) الزهد لهناد (١١٩١)، الصمت لابن أبي الدنيا (٧٥٣)، الزهد لوكيع (٤٣٤).

له سرًّا، ولا تغتابنَّ عندهُ أحداً.

قالَ عامر: [٢٣٤/أ] قلتُ لابن عبَّاس: يا أبا عباس، كلُّ واحدةٍ خيرٌ من ألف، قال: نعم، ومن عشرةِ ألف[١].

روىٰ هناد عن وكيع، عن الربيع بن صبيح، عن يزيد بن أبان، عن أنس، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«ما صامَ من ظلَّ يأكلُ لحومَ النَّاس»**[٢].

وروىٰ بإسنادهِ عن أبي هريرة وأصحابه، أنَّهم كانوا إذا صاموا جلسوا في المسجد وقالوا: نطهِّرُ صيامنا[٣].

وقالَ أبو العالية: الصائمُ في عبادةٍ ما لم يغتب، وإن كان نائماً علىٰ فراشه[٤].

وقالَ مجاهد: من أحبَّ أن يسلَمَ له صومهُ فليتجنَّبِ الغيبةَ والكذب[٥].

وقالَ أنس: إذا اغتابَ الصائمُ فقد أفطر[٦].

وروىٰ محمَّد بن عجلان، عن الحارث العُكلي[٧] قال: كنتُ مع إبراهيم

---

(١) الزهد لهناد (١١٨٢)، إحياء علوم الدين ١٧٩/٢، قوت القلوب ١٣٩/١، الآداب الشرعية لابن مفلح ٢٦٨/٢.

(٢) الزهد لهناد (١٢٠٦)، مصنف ابن أبي شيبة (٨٩٨٣)، وفي قصة رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة (٣٢). وضعفه في ضعيف الجامع (٥٠٨٣)، وفي السلسلة الضعيفة (٤٤٥١).

(٣) سبق.

(٤) الزهد لهناد (١٢٠١)، الزهد لأحمد (١٧٤٣)، لطائف المعارف ص ١٥٧.

(٥) الزهد لهناد (١٢٠٣).

(٦) الزهد لهناد (١٢٠٤).

(٧) في الأصل «القطان»، وتصويبه من المصادر.



وأنا آخذُ بيده، ونحن نريدُ المسجد، فذكرتُ رجلاً فتنقَّصته، فلمَّا انتهينا إلىٰ بابِ المسجدِ انتزعَ يدَهُ من يدي وقال: اذهبْ فتوضَّأ، فقد كانوا يعدُّون هذا هُجْراً[(١)].

وكان عبدالله يقول: لأن أتوضَّأَ من كلمةٍ خبيثة، أحبُّ إليَّ من أن أتوضَّأَ من الطعامِ الطيب[(٢)].

والمرادُ بذلك غسلُ الفم.

فَصْلُ
في التوبة من الغيبة



روىٰ هناد عن أسباط، عن أبي رجاء الخراساني، عن عبَّاد بن بكير الجريري، عن أبي نضرة، عن جابر بن عبدالله قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إيَّاكم والغيبة، فإنَّ الغيبة أشدُّ من الزنا**»، قالوا: يا رسولَ الله، وكيف ذاك؟ قال: «**إنَّ الرجلَ قد يزني ثمَّ يتوب،** [٢٣٤/ب] **فيتوبُ الله عليه، وإنَّ صاحبَ الغيبةِ لا يُغفَرُ له حتَّىٰ يَغفرَ له صاحبُه**»[(٣)].

---

(١) الزهد لهناد (١١٩٨)، مصنف ابن أبي شيبة (١٤٣٩، ٢٦٠٦٢)، الزهد لابن أبي عاصم (١١٨)، حلية الأولياء ٤/٢٢٧.
والهُجر: الهذيان والقبيح من القول.

(٢) الزهد لهناد (١١٩٩)، الزهد لابن أبي عاصم (١١٤)، المصنف لابن أبي شيبة (١٤٣٥) وفيها جميعًا: من طعام طيب.

(٣) الزهد لهناد (١١٧٨)، قال محققه الفريوائي: إسناده ضعيف جدًّا لأجل عباد بن كثير. ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٦٣١٥)، والطبراني في المعجم الأوسط (٦٥٩٠)، وفيهما=

وهذا الحديثُ إن صحَّ فيحتملُ أن يريدَ به أشدَّ من هذا الوجهِ الذي ذكره، لا أنَّه أشدُّ في الإثم، فأمَّا أنَّه يحتاجُ إلىٰ أن يستحلَّ صاحبَ الغيبة، فهذا إنَّما ينبغي أن يكونَ إذا علمَ المغتابُ أنَّه قد اغتابَهُ فيحتاجُ أن يستحلَّه؛ لأنَّه قد أدخلَ غمًّا وضرراً، فأمَّا إذا لم يعلمْ أنَّه قد اغتابه، فلا فائدةَ بأن يُشعرَهُ بذلك؛ لأنَّ ذلك ممَّا يَغمُّهُ ويتأذَّىٰ به، فإذا تابَ إلىٰ ربِّه وعزمَ أن لا يعودَ إلىٰ مثله، فقد أغناهُ ذلك عن أن يُعلِمَ المغتاب؛ لأنَّه لا فائدةَ في ذلك. بلىٰ، إن كان قد ذكرَ عنه شيئاً يَنقصهُ عند قومٍ رجعَ عن ذلك، وأعلمَهم أنَّ ذلك لم يكنْ حقيقة، بل كان بلاغةً لم تصحّ. فأمَّا إن كان الرجلُ متظاهراً بأمرٍ يعلمهُ منه النَّاس، فذكرهُ واحدٌ منهم(١)، كُرِهَ له ذكره، إلَّا أن يكونَ تحديداً منه، وإشعاراً بحالهِ المعروفِ بها.

فَصْلٌ
في اللَّعن

روىٰ هناد قال: حدَّثنا فضيل، عن حبيب بن أبي عمرة، عن مجاهد قال: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ المؤمنَ لا يكونُ لعَّاناً، ولا فحَّاشاً، ولا كذَّاباً**»(٢).

وروىٰ بإسنادهِ عن أبي الدرداء، أنَّه مرَّ به قسٌّ، فلعنهُ قوم، فقال: لا تلعنوه، فإنَّه لا ينبغي للعَّانِ أن يكونَ صدِّيقاً يومَ القيامة(٣).

= أيضًا عباد بن كثير. قال الحافظ الهيثمي: فيه عباد بن كثير الثقفي وهو متروك. مجمع الزوائد ٨/٩٤. كما ضعفه في ضعيف الجامع (٢٢٠٤).

(١) في الأصل: منه.

(٢) الزهد لهناد (١٣١٤) وهو مرسل.

(٣) الزهد لهناد (١٣١٢)، ولابن المبارك (٦٨٢)، الصمت وآداب اللسان (٣٧٧)، حسن التنبه=

وروىٰ بإسنادِهِ عن [٢٣٥/أ] حذيفة أنَّه قال: ما تلاعنَ قومٌ قطُّ إلَّا حقَّ عليهم القول[١].

واللعن: الإبعاد.

❁ **فإن قالَ قائل**: فقد لعنَ النَّبيُّ ﷺ جماعة، فقال: «**لعنَ الله الواشمةَ والمستوشمة، والنامصةَ والمتنمِّصة، والمفلِّجةَ للحُسن**»[٢]، وهذه أفعالٌ ليستْ من الكبائر، ولا التحريمُ فيها ظاهر، وإنَّما قَصَدتْ بذلك أن تدلِّسَ نفسَها علىٰ الرجالِ بإصلاحِ الحالِ في وجهها، وبتدقيقِ حاجبها، وتفليجِ أسنانها.

❁ **والجواب**: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يقصدْ عيناً بلعنته، ولم يُنقَلْ عنه أنَّه قصدَ إنساناً فلعنَهُ من المسلمين، وإنَّما خصَّ مَن فعلَ ذلك للزجرِ عنه، والردعِ والتغليظِ فيه؛ ليُتجنَّبَ ذلك.



= ٤/٤٦٩. وقد ورد مرفوعًا عن زيد بن أسلم، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء يرفعه، في مسند البزار (٤١٣٤) بلفظ: «ما ينبغي للعّان أن يكون وجيهًا عند الله عز وجل» وقال: هذا الحديث لا نعلمه يروىٰ عن رسول الله ﷺ بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه، وإسناده حسن، ولا نعلم روىٰ زيد بن أسلم عن أم الدرداء غير هذا الحديث.

(١) الزهد لهناد (١٣١٧).

(٢) بلفظ الجمع يأتي من قول ابن مسعود، الذي قال: «لعنَ اللَّهُ الواشِماتِ والمستَوشِمات، والمتنمِّصاتِ والمتفلِّجاتِ لِلحُسْن، المغيِّراتِ خَلْقَ اللَّه. ما لي لا ألعنُ مَن لعَنهُ رَسولُ اللَّهِ ﷺ، وهو في كتابِ اللَّه». صحيح البخاري (٥٩٤٣).

فَصْلٌ
[في المروءة وما إليها]

وروىٰ وبرة بن عبدالرَّحمن قال: سمعتُ من ابنِ عباس خمساً، ما أحبُّ أنَّ لي بهنَّ الدُّهْمُ الموقَفةُ في سبيلِ الله(١)، قالَ لي: إيَّاكَ والكلامَ فيما لا يَعنيكَ فإنه فَضل، ولا آمنُ عليكَ فيه الوزر، وإيّاكَ والكلامَ فيما يعنيكَ في غيرِ موضعه، فربَّ مسلمٍ تقيٍّ قد تكلَّم بكلامٍ يعنيهِ في غيرِ موضعهِ فعَنِت، ولا تمارِ سفيهاً ولا فقيهاً، فإنَّ السفيهَ يؤذيك، والفقيهَ يقلاك، واذكرْ أخاكَ إذا غابَ عنكَ بما تحبُّ أن يذكركَ به، ودعهُ ممَّا تحبُّ أن يدعكَ منه، واعملْ عملَ من يعلمُ أنَّه مكافأٌ علىٰ الإحسان، مجازًىٰ علىٰ الإجرام(٢).

ويقال: إنَّه ينبغي للعاقلِ أن يتمسَّكَ بستٍّ [٢٣٥/ب] خصال، فإنَّها من المروءة: أن يحفظَ دينه، ويصونَ عرضه، ويصلَ رحمه، ويحفظَ جاره، ويرعَىٰ حقَّ إخوانه، ويخزنَ عن البذاءِ لسانه(٣).

وحكىٰ المدائني عن معاوية أنَّه كان يقول: آفةُ المروءةِ الكِبْر، وآفةُ العلم النِّسيان، وآفةُ الحِلم الذلّ، وآفةُ الجودِ التبذير، وآفةُ القصدِ البخل، وآفةُ المنطقِ الفُحش، وآفةُ اللبِّ العُجب، وآفةُ الظَّرْفِ الصلَف، وآفةُ الحياءِ

---

(١) الدهم: الخيل السود، جمع أدهم.

(٢) بهجة المجالس ص ٢٠١، ٢٢٧، الآداب الشرعية لابن مفلح ٣٦/١. وعنت بمعنىٰ أثم، أو عاند مكابرة. والمماراة: المجادلة. والقِلىٰ: البغض والحقد.

(٣) بهجة المجالس ص ١١٨.

الضَّعف، وآفةُ الجلَدِ الكسل، وآفةُ الرزانةِ[1] الكِبْر، وآفةُ الصمتِ العِيّ[2].

وقالَ بعضُ الحكماء: لا يجترئُ على الكلامِ إلَّا فائقٌ أو مائق[3].

ومعنى هذا أنَّ العاقلَ إذا كان جيِّدَ الكلامِ اجترأَ عليه، وإذا لم يكنْ جيِّدَ الكلامِ لم يجترئْ عليه، وإنَّما يجترئُ عليه المائقُ الذي ليس بجيِّدِ العقل.

وتذاكرَ قومٌ عند أبي مسهر[4] الكلامَ فذمُّوه، وذكروا الصمتَ فحمدوه، فقال: مرعىً ولا كالسعدان[5]، إنَّكم تمدحون الصمتَ بالكلام، ولا تمدحون الكلامَ بالصمت.

وتكلَّمَ رجلٌ في مجلسٍ فيه الهيثمُ بن صالحٍ فأكثر، فقالَ الهيثم: يا هذا، بأمثالِكَ رُزِقَ أهلُ الصمتِ المحبَّةَ[6].



---

(١) في الأصل: الزمانة، والمثبت من مصدريه. والزمانة: العاهة المزمنة القديمة.

(٢) التذكرة الحمدونية ١/٢٥٨، نثر الدر ٣/٢٦. والعي: العجز عن الإفصاح والتعبير.

(٣) روضة العقلاء ص ٤٧، أدب المجالسة ص ٥٥، بهجة المجالس ص ٧، وورد في شعب الإيمان (٧٨٩٤): لا يتصدر إلا فائق أو مائق.

(٤) لعله أبو مسهر عبدالأعلى بن مسهر الغساني الدمشقي، كثير العلم، علامة بالمغازي والأثر. مات في حبس المأمون في حين محنة القول بخلق القرآن، سنة ٢١٨ هـ. العبر ١/٢٩٤، تقريب التهذيب (٣٣٢).

(٥) مرعى: خبر مبتدأ محذوف، وتقديره: هذا مرعى جيد وليس في الجودة مثل السَّعْدان، ومنابتُ السَّعْدان السهول، وهو من أنجع المراعي في المال. يضرب مثلاً للشيء يَفْضُل على أقرانه وأشكاله. ينظر مجمع الأمثال ٢/٢٧٦.

(٦) عيون الأخبار ٢/١٩٣.

فَصْلٌ
في ذمِّ النَّميمة

قالَ الله سبحانه: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١٠ ـ ١١].

الهمَّاز: الذي يَعيبُ النَّاس، والمشَّاءُ بالنَّميم: الذي يسعىٰ بين النَّاسِ بالنَّميمة.

وروىٰ هناد بإسنادِهِ عن أبي الجوزاء [٢٣٦/أ] قال: قلتُ لابن عبَّاس: من هؤلاءِ الذين ذمَّهم الله ﷻ، قال: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهُمَزة: ١]؟ قال: المشَّاؤون بالنميمة، المفرِّقون بين الإخوان، الباغون البُرآءَ العنَتَ[1].

وروىٰ حذيفة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**لا يدخلُ الجنَّةَ قتَّات**»[2]. والقتَّات: النَّمام.

وروىٰ هناد بإسنادِهِ عن عمرو بن ميمون الأودي قال: لمَّا تعجَّلَ موسىٰ عليه السلام إلىٰ ربِّه ﷻ، مرَّ برجلٍ غبَطَهُ بقربهِ من العرش، فقال: يا ربِّ، من هذا؟ فقيلَ له: لن نخبركَ باسمه، وسنخبرُكَ بعمله. كان لا يمشي بالنميمة، ولا يحسدُ النَّاسَ علىٰ ما آتاهم الله من فضله، ولا يعقُّ والديه. قال: يا ربِّ، وكيف يعقُّ الرَّجلُ والديه؟ قال: يستسبُّ لهما حتَّىٰ يُسَبَّا[3].

---

(١) الزهد لهناد (١٢١٤)، الزهد لوكيع (٤٤٧).

(٢) رواه الشيخان: صحيح البخاري (٦٠٥٦)، صحيح مسلم (١٠٥).

(٣) الزهد لهناد (١٢٠٩)، ولوكيع (٤٤٥)، ولأحمد (٣٤٦)، حسن التنبه ٥٦٦/٤.=

وروىٰ الأوزاعي عن يحيىٰ بن أبي كثير قال: قالَ سليمان بنُ داود لابنه: يا بنيَّ، إيَّاكَ والنَّميمة، فإنَّها مثلُ حدِّ السيف(١).

وروىٰ ابنُ عباس قال: مرَّ رسولُ الله ﷺ بقبرين جديدين، فقال: «**إنَّهما يعذَّبان، وما يعذَّبان بكبيرة، أمَّا أحدُهما فكان لا يستنزهُ من البول، وكان الآخرُ يمشي بالنميمة**»(٢).

وروىٰ أبو هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**من الخيانةِ أن يحدِّثَ الرجلُ بسرِّ أخيه**»(٣).

قالَ هناد: أخبرنا حسين الجعفي قال: سمعتُ شيخاً بمكةَ يحدِّثُ(٤) جلساءَهُ قال: جاءَ إلىٰ مجلسِ عطاءٍ رجل، فوقعَ فيه رجلٌ وعابَه، فبلغَ ذلك [٢٣٦/ب] الرَّجلَ، فجاءَ إلىٰ عطاءٍ فقال: اشهدْ لي بما سمعت، فقال: ليس [لكَ] عندنا شهادة، إنَّما كان مجلسَ أمانة(٥).

وروىٰ هناد بإسنادهِ عن أبي قلابة(٦) قال: إذا بلغكَ عن أخيكَ شيءٌ

= ويستسب لهما بمعنىٰ يكون سببًا في سبهما، فيسبُّ أبوي غيره فيسبّهما.

(١) الزهد لهناد (١٢١٢)، روضة العقلاء ص ١٧٦.

(٢) الزهد لهناد (٣٦٠، ١٢١٣)، ولابن المبارك (١٢٢٠)، مسند أحمد (١٩٨٠) قال محققه الشيخ شعيب: إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين.

(٣) لم أره لأبي هريرة، لكن رأيته من قول الحسن البصري، أو هو من مراسيله، بلفظ: «إن من الخيانة أن تحدِّث بسرِّ أخيك». الصمت وآداب اللسان (٤٠٥)، ووضح أنه من إرساله في الزهد لوكيع (٤٤٨)، وفي الزهد لهناد (١٢٢١)، قال محققه الفريوائي: فيه الإرسال مع إبهام أصحاب الحسن. لكن ذكر أن سنده صحيح إلىٰ الحسن عند ابن أبي الدنيا.

(٤) في الأصل: يحدق. والمثبت من مصدره.

(٥) الزهد لهناد (١٢٢٣) وما بين المعقوفتين منه.

(٦) هو عبدالله بن زيد بن عمرو الجرمي، عالم بالقضاء والأحكام، ناسك من أهل البصرة،=

تجدُ عليه منه، فاطلبْ له العذرَ بجهدك، فإن أعياكَ فقل: لعلَّ عذرَهُ أمرٌ لم يبلغْهُ علمي[1].

وحكيَ أنَّ لقمانَ عليه السلام كان عبداً لرجل، فأرادَ مولاهُ بيعه، فقالَ له لقمان: إنَّ لي عليك حقَّاً، فلا تبعني إلَّا ممَّن أحبّ، فقال: لكَ ذلك، فكان الرجلُ إذا جاءَ يبتاعهُ يقول: لأيِّ شيءٍ تريدني؟ فيقول: لكذا وكذا، فيقول: لا تبعني عليه، فجاءَ رجلٌ فسوَّمه[2]، فقال له: لأيِّ شيءٍ تريدني؟ فقال: تحفظُ عليَّ بابي، فقال: اشترِ، فاشتراه، وأقعدَهُ يحفظُ عليه بابه، فلمَّا جنَّهُ الليلُ أغلقَ البابَ وقفله، وقامَ يصلِّي في الدهليز. وكان لبناتِ الرجلِ أخلَّاء، فجاؤوا حصروا الباب، فخرجن إليه فقلن: يا لقمان، افتحِ الباب، فقال: بأبي أنتنَّ وأمِّي ليس لهذا اشتراني أبوكنَّ. فضربنَهُ ضرباً كادَ أن يأتيَ على نفسه، فلمَّا أصبحَ لم يخبرْ أباهنَّ، فلمَّا كان في الليلةِ الثانيةِ عاودْنَهُ بمثلِ ذلك، فلمَّا أصبحَ لم يخبرْ أباهنَّ، فلمَّا كان في الليلةِ الثالثةِ عاودنَهُ بمثلِ ذلك، فلمَّا أصبحَ لم يخبرْ أباهنَّ، فعجبنَ من ذلك، وأقبلَ بعضُهنَّ على بعضٍ وقلن: ما هذا العبدُ الأسودُ بأولَى بهذا [٢٣٧/أ] منَّا. فنسَكْنَ نُسكاً لم يكنْ في بني إسرائيلَ نسوةٌ أنسكَ منهنَّ[3].

= أرادوه على القضاء فهرب إلى الشام فمات فيها. وهو من رجال الحديث الثقات. الأعلام ٢١٩/٤.

(١) الزهد لهناد (١٢٢٥)، شعب الإيمان (٧٩٨٣).

(٢) هكذا في الأصل، والصحيح «ساومه» بمعنى فاوضه في البيع والشراء. وورد في المصدر: يستامه.

(٣) ذكره الشريشي في شرحه على مقامات الحريري ٣١٠/٣، وفيه: فضربوا، بدل حصروا، واشتروني، بدل اشترِ.

ورويَ عن أبي هريرة أنَّه قال: مرَّ رجلٌ بلقمانَ والنَّاسُ مجتمعون عليه، فقال: ألستَ الأسودَ الذي كنتَ راعياً بموضعِ كذا وكذا؟ قال: بلىٰ، قال: فما بلغَ بكَ ما أرىٰ؟ فقال: صدقُ الحديث، وأداءُ الأمانة، وتركي ما لا يعنيني(١).

ووقفَ رجلٌ علىٰ لقمانَ فقال له: ألستَ لقمانَ عبدَ بني فلان؟ قال: نعم، قال: راعي الغنمِ الأسود؟ قال: أمَّا سوادي فظاهر، فما الذي يعجبُكَ من أمري؟ قال: وطءُ النَّاسِ بساطَك، وغشيانُهم بابَك، ورضاهُم بقولك، فقالَ له: يا أخي، إن صنعتَ ما أقولُ لكَ كنتَ كذلك، بلغَ بي ذلك غضِّي بصري، وكفِّي لساني، وعفَّةُ طمعي(٢)، وحفظُ فرجي، وقوامي لعهدي، ووفائي بوعدي، وتكرمتي ضيفي، وحفظي جاري، وتركي ما لا يعنيني، فذاك الذي صيَّرني إلىٰ ما ترىٰ(٣).

وحكيَ أنَّ داود عليه السلام لقيَ لقمان بعدما أسنَّ فقال: أيُّ شيءٍ بقيَ من حكمتك؟ قال: لا أتكلَّفُ ما قد كُفيتُ من الرزق، ولا أضيِّعُ ما أُمرتُ به من العمل، ولا أَسألُ عمَّا لا يعنيني(٤).

وحكيَ أنَّ عبدالملك بن مروان سألَ أبا خالد بن عبدالله القسري: ما

---

(١) شعب الإيمان (٤٥٤٦)، الصمت وآداب اللسان (١١٦، ٦٧٥)، تنبيه الغافلين ١٥٦، ٢١٤.

(٢) في مصادر أخرىٰ: مطعمي، وطعمتي.

(٣) البداية والنهاية ٣٨، تفسير ابن كثير ٦/٣٣٤، وقسم منه في جامع السنن والآداب لابن أبي زيد القيرواني ص ١٧٢.

(٤) في الزهد لابن أبي عاصم (١٠٧): قيل للقمان: ما بلغ بك من حكمتك؟ قال: لا أَسأل عما كفيت، ولا أسأل عما لا يعنيني.

مالُك؟ فقال: قوامٌ من عيش، وغنًى عن النَّاس، فقيلَ له: لو أخبرتَهُ بمالِكَ كان أمثل، قال: لو أخبرتهُ بمالي فاستكثَرَهُ حسدني، وإن استقلَّهُ حقرني[1].

حسن الخلق

قالَ الله سبحانهُ لنبيِّه ﷺ [٢٣٧/ب]: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

قيل: الخُلق: المرورُ في الفعلِ على عادة، والخُلق: الكرمُ، والصبرُ على الحقّ، وسعةُ البدل[2]، وتدبيرُ الأمورِ على العقل، ومن ذلك الرفقُ، والأناةُ، والحِلم، والمداراة[3].

وقيل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ﴾ بحكمِ القرآن[4].

وسُئلتْ عائشةُ رضي الله عنها عن خُلقِ رسولِ الله ﷺ فقالت: **القرآن**[5] ومعنى ذلك أنَّه يَستعمِلُ أدبَ القرآنِ وخُلقه، وقد أمرَهُ الله تعالى فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ

---

(١) أنساب الأشراف ٧/٢٣١، وفيه أن عبدالملك سأل الهيثم بن الأسود، وأثبت ذلك. البيان والتبيين ٢/١٤١، نثر الدر ٤/١٠٨، المجموع اللفيف ص ٣٩٨، وفي الثلاثة الأخيرة أن المسؤول هو عبدالله بن كرز.

(٢) لعلها: البذل.

(٣) تفسير مجمع البيان للطبرسي ١٠/٧٢، ونصه فيه أوضح وأدق: الخلق: المرور في الفعل على عادة، فالخلق الكريم الصبر على الحق وتدبير الأمور على مقتضى العقل، وفي ذلك الأناة والرفق والحلم والمداراة.

(٤) لعله يعني قول قتادة: هو ما كان يأتمر به من أمر الله وينتهي عنه من نهي الله. كما في تفسير الثعلبي الكشف والبيان ١٠/٩.

(٥) مسند أحمد (٢٥٣٠٢، ٢٥٥٤٧) قال الشيخ شعيب في الموضع الأول: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وقال في الموضع الآخر: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.

وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

أخبرنا إبراهيم قال: حدَّثنا محمَّد قال: حدَّثنا هناد عن عبده، عن محمَّد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنُهم أخلاقاً، وخيارُكم خيارُكم لنسائكم**»[١].

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ أحبَّكم إليَّ وأقربَكم منِّي أحاسنُكم أخلاقاً**»[٢].

وروىٰ هناد عن أبي معاوية، عن هشام بن عروة، عن محمَّد بن المنكدر قال: كان يقال: خيارُكم ألينُكم مناكباً في الصَّلاة، وألينُكم رُكَباً في المجالس، الموطِّئون أكنافاً، الذين يألَفون ويُؤلَفون[٣].

وروىٰ هناد بإسنادهِ عن الحسن بن عليٍّ عليه السلام قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ الله ليعطي العبدَ من الثوابِ علىٰ حُسنِ الخُلقِ كما يعطي المجاهدَ في سبيلِ الله، يغدو عليه الأجرُ ويروح**»[٤]. [٢٣٨/أ].

---

(١) الزهد لهناد (١٢٥٢)، شعب الإيمان (٢٧، ٧٦١٢)، مسند أحمد (١٠١٠٦) قال محققه: حديث صحيح وهذا إسناد حسن.

(٢) الزهد لهناد (١٢٥٤)، والزهد لوكيع (٤٢٥) فقد رواه هناد عنه. وقد ذكر محقق هناد أن إسناده مرسل حسن. اهـ. وله رواية من حديث أبي ثعلبة الخشني رواه البيهقي في السنن الكبرىٰ (٢٠٧٩٩).

(٣) الزهد لهناد (١٢٥٦)، بهجة المجالس ص ٤. ويأتي حديثًا مرفوعًا بألفاظ مقاربة، خرجه الألباني في سلسلته الصحيحة (٧٥١).

(٤) الزهد لهناد (١٢٥٧) وأورد محققه الفريوائي قول البخاري في التاريخ الكبير إن محمد بن أبي سارة الذي روىٰ الحديث عن الحسن بن علي لا يعرف سماع منه. اهـ. ورواه ابن أبي الدنيا في مداراة الناس (٨٢) بالسند نفسه، وفي التواضع والخمول (١٧٦).

ورويَ عن أبي الدرداء: ما يوضَعُ في الميزانِ يومَ القيامةِ شيءٌ أثقلُ من حُسنِ الخُلق، فإنَّ حُسنَ الخُلقِ بلغَ بصاحبهِ درجةَ الصائمِ القائم[1].

وروىٰ هناد قال: حدَّثنا وكيع عن مسعر وسفيان، عن زياد بن علاقة[2]، عن أسامة بن شريك، قالوا: يا رسولَ الله، ما أفضلُ ما أُعطيَ المرءُ المسلم؟ قال: «**حُسن الخلق**»[3].

وروىٰ هشام بن عروة عن أبيه قال: مكتوبٌ في الحكمة: ليكنْ وجهُكَ بسيطاً، وكلمتُكَ ليِّنة؛ تكنْ أحبَّ إلىٰ النَّاسِ من الذي يعطيهم العطاء[4].

وروىٰ هناد عن أبي معاوية، عن هشام بنِ عروة، عن أبيه، عن عائشةَ قالت: **ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضربَ خادماً قطّ، ولا ضربَ امرأةً له، ولا ضربَ بيدهِ شيئاً قطُّ، إلَّا أن يجاهدَ في سبيلِ الله ﷻ، ولا نيلَ منه شيءٌ قطُّ فينقمهُ[5] من صاحبهِ إلَّا أن يكونَ لله ﷻ، فإن كان لله ﷻ انتقمَ له، ولا عُرِضَ عليه أمران إلَّا أخذَ الذي هو أيسرُ، حتَّىٰ يكونَ إثماً، فإذا كان إثماً كان أبعدَ**

(١) الزهد لهناد (١٢٥٨). ورواه مرفوعًا الترمذي في سننه (٢٠٠٣) وصححه الألباني، كما صححه في صحيح الجامع (٥٧٢٦).

(٢) في الأصل: علقمة.

(٣) الزهد لهناد (١٢٥٨) قال محققه: رجاله ثقات وإسناده صحيح. ورواه ابن حبان في صحيحه (٤٧٨) قال المحقق: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

(٤) الزهد لهناد (١٢٦١)، روضة العقلاء ص ٧٥، الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/٢٠٨. وورد في مصدره (هناد) وغيره «بسطًا» بدل «بسيطًا»، ويأتي باللفظ المثبت في مصادر أخرىٰ، مثل الزهد لأحمد (٢٧٤).

(٥) في المصادر: فينتقم.

النَّاسِ منه[١].

وروىٰ أبو هريرة قال: **ما عابَ رسولُ الله ﷺ طعاماً قطُّ، إن اشتهاهُ أكله، وإن لم يشتهِ تركه**[٢].

وذُكرَ عند عبدالله بن مسعود رجل[٣]، وذكروا من خُلقه، فقال: أرأيتم لو قطعتم يده، أكنتم تستطيعون أن تجعلوا له يداً؟ فقالوا: لا، فقال: لن تستطيعوا أن تغيِّروا [٢٣٨/ب] خُلقَهُ حتَّىٰ تغيِّروا خَلقَه[٤]!

وقالَ كعب: المتخلِّقُ يتخلَّقُ أربعين يوماً ثمَّ يعودُ إلىٰ خُلقه[٥].

وروىٰ عبدالله بن مسعود أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقول: «**اللَّهمَّ إنَّك حسَّنتَ خَلْقي، فحسِّن خُلُقي**»[٦].

وروىٰ معاذٌ قال: قلت: يا رسولَ الله، أوصني، فقال: «**خالقِ النَّاسِ**

---

(١) الزهد لهناد (١٢٦٦)، شعب الإيمان (١٣٥٨)، ورواه مسلم في صحيحه (٢٣٢٨) بألفاظ مقاربة، وأخرج شطرًا منه الإمام البخاري في صحيحه (٦١٢٦).

(٢) الزهد لهناد (١٢٧٠)، صحيح البخاري (٥٤٠٩)، صحيح مسلم (٢٠٦٤).

(٣) في الأصل: رجلا.

(٤) الزهد لهناد (١٢٧١) أورده المؤلف مختصرًا. ورواه عنه البخاري في الأدب المفرد (٢٨٣) وقال الألباني: حسن الإسناد موقوفًا. كما رواه البيهقي في القضاء والقدر (٤٧٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٨٨٨٤).

(٥) الزهد لهناد (٨٦٥، ١٢٧٢)، حلية الأولياء ٦/٢٣.

(٦) الزهد لهناد (١٢٧٣)، مسند أبي يعلىٰ (٥٠٧٥) قال محققه حسين أسد: إسناده حسن، صحيح ابن حبان (٩٥٩) قال محققه شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح بشاهده وإسناده حسن، صحيح الجامع (١٣٠٧).

بخُلقٍ حسن»(١).

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: **«ألا أخبركم بخياركم؟ الذين يُرجى خيرُهم ويؤمَنُ شرُّهم. ألا أخبركم بشراركم؟ الذين لا يؤمَنُ شرُّهم، ولا يُرجى خيرُهم»**(٢).

وقالَ مكحول: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«المؤمنون هَيْنون، كالجملِ الأَنفِ الذي إن قِيدَ انقاد، وإن أُنيخَ على صخرةٍ استناخ»**(٣).

وروى أبو موسى الأشعري عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: **«من إجلالِ الله إكرامُ ذي الشيبةِ المسلم، وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيه ولا الجافي عنه، وإكرامُ ذي السلطانِ المقسِط»**(٤).

وروى ابنُ المبارك بإسنادهِ عن أنس بنِ مالك قال: **كان النَّبيُّ ﷺ إذا**

---

(١) الزهد لهناد (١٢٧٤). ويأتي جزءًا من حديث في مصادر كثيرة، كما في المصدر نفسه (١٠٧٥) قال محققه الفريوائي: إسناده فيه إسماعيل بن مسلم وهو المكي وهو ضعيف، ثم الحسن وهو البصري قد عنعن عن معاذ. ورواه البيهقي في شعب الإيمان، (٧٦٦٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٩٨)، وأحمد في المسند (٢٢٠٥٩) قال محققه: حديث حسن وهذا إسناد ضعيف.

(٢) الزهد لهناد (١٢٧٨) وهو من إرسال سعيد المقبري. وبإرساله في مصنف ابن أبي شيبة (١٢٧٨) ولكنه بلفظ «خير الناس من يرجى خيره ويؤمن شره، وشر الناس من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره».

(٣) الزهد لابن المبارك (٣٨٧). وهو مرسل. وبالإرسال نفسه في شعب الإيمان (٧٧٧٧). قال في شرح السنة ١٣/٨٦: الأنف: الذي قد عقره الخطام أو البره، فلا يمتنع على قائده في شيء للوجع الذي به، وقيل: الجمل الأنف: الذلول.

(٤) الزهد لابن المبارك (٣٨٨)، سنن أبي داود (٤٨٤٣) قال الشيخ شعيب: إسناده حسن، الأدب المفرد (٣٥٧) وحسَّنه الألباني..




استقبلَهُ الرجلُ فصافحه، لا ينزعُ يدَهُ من يدهِ حتَّىٰ يكونَ الرَّجلُ هو الذي يَنزع، ولا يَصرفُ وجهَهُ عن وجههِ حتَّىٰ يكونَ الرجلُ هو الذي يَصرف، ولم يُرَ مقدمُ ركبتيهِ بين يدَي جليسٍ له ﷺ(١).

وحكيَ أنَّه باتَ عند عمر بنِ عبدالعزيز رجل، فأرادَ المصباحَ [٢٣٩/أ] أن يُطفأ، فقامَ الرجلُ ليُصلحه، فقالَ له عمرُ رحمه الله: لؤمٌ بالرَّجلِ أن يستخدمَ ضيفَهُ، ثمَّ قامَ فأصلحه(٢).

وقالَ عمر بنُ الخطَّاب رضوانُ الله عليه: من أكثرَ من شيءٍ عُرِفَ به، ومن مازحَ استُخِفَّ به، ومن كثرَ ضحكهُ ذهبتْ هيبته، ضعْ أمرَ أخيكَ علىٰ أحسنِ ما يمكنكَ ما لم يأتِ ما يغلبك، ولا تريدنَّ بكلمةٍ خرجتْ من أخيكَ شرًّا وأنت تجدُ لها علىٰ الحقِّ والخيرِ مَحمَلاً، ومن تعرَّضَ للتهمةِ فلا يلومنَّ من أساءَ به الظَّنَّ(٣).

وقالَ بعضُ الحكماء: من ضاقَ خُلقهُ [فهو] بمعزلٍ من الخفض، وإن أتحفَهُ الدهرُ بما سأل، وأُعطَي ما تمنَّىٰ، وما كمالُ الفضلِ إلَّا في الدَّعَة، وقيمةُ الخُلقِ الحسنِ أكثرُ من الدنيا، وما منه عوضٌ ولو صحبَ الدهرَ فقيراً(٤).

---

(١) الزهد لابن المبارك (٣٩٢)، سنن البيهقي (٢٠٧٩٠)، سنن الترمذي (٢٤٩٠) وقال: حديث غريب، قال الألباني: ضعيف إلا جملة المصافحة فهي ثابتة. وحسنه من طريق أخرىٰ في صحيح الجامع (٤٧٨٠).

(٢) القول المثبت لعمر بن عبدالعزيز، دون القصة، رأيته للمأمون في مصادر عديدة، منها تاريخ دمشق ٣١٣/٣٣، تاريخ بغداد ٤٣٠/١١.

(٣) شطر منه في شعب الإيمان (٤٩٩٤، ٥٠١٩)، الموشىٰ للوشاء ص ١٣.

(٤) المجتنىٰ لابن دريد ص ٣٣. وما بين المعقوفتين منه. ويحسن نقل العبارة من المصدر، فهي أتم وأوضح، وهي لرجل نصح بها خالد بن عبدالله القسري، قال: من ضاق خلقه فهو=

وقالَ آخر: المرءُ أمينٌ علىٰ نفسه، واللبيبُ مَن تركَ ما لا طاقةَ له به، فإنَّ ذلك أسترُ لمكنونِ أمره، وأبقَىٰ للأملِ فيه.

وقالَ آخر: غضُّوا الأبصارَ عن المساوئ، وتحامَوا هتكَ ما سترَ الله جلَّ وعزَّ؛ فإنَّ كلَّ خليقةٍ تمني الطاعة، ولكن شهواتِ النفوسِ لا يملكها إلَّا السعة.

وقالَ آخر: قتلَ القنوطُ صاحبه، وفي حسنِ الظَّنِّ بالله ﷻ راحةُ القلوب[1].

وقالَ آخر: تجنَّبوا المنىٰ، فإنَّها تذهبُ ببهجةِ ما خُوِّلتم، وتستصغرون بها مواهبَ الله عندكم، وتَعقُبكم الحسراتُ علىٰ ما أوهمتم منها أنفسَكم، وتلك من أعظمِ [٢٣٩/ب] مكائدِ الشيطان[2].

وقالَ آخر: من انتشرَ له الصوتُ بفضلِ العلمِ والأدب، ونظرتْ إليه العيونُ بالإجلال، فليكنْ بما علمَ عند من يعاشرهُ كمن لم يُنسَبْ إليه علمٌ، من الانبساطِ إليهم، وتركِ الاستطالةِ عليهم، فإنَّ فضيلةَ العالمِ بتواضعهِ تزيدهُ رفعةً في قدرِ علمه[3].

= بمعزل عن الخفض وإن أتحفه الدهر بما سأل، وأعطاه ما تمنىٰ، وكمال الفضل في الدعة حسن الخلق، وقيمة الخلق الصالح أكثر من قدر الدنيا، وما منه عوض ولو صحب المرء الدنيا سليمًا من الآفات، آمنًا من البوائق.

(١) أدب الدنيا والدين ص ٢٢١.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٣١٩، المجتنىٰ ص ٣٥، التذكرة الحمدونية ١/٣٨٥، محاضرات الأدباء ١/٥٣٣، ديوان الصبابة ص ٧١. وفي المصدرين الأخيرين نسب إلىٰ عليّ رضي الله عنه.

(٣) المجتنىٰ ص ٣٨.

التواضع

قالَ الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣].

روىٰ ابنُ المبارك بإسنادِهِ عن الحسن، أنَّه ذكرَ هذه الآيةَ فقال: المؤمنون والله ذلَّتْ منهم الأسماعُ والأبصارُ والجوارحُ حتَّىٰ يحسبُهم الجاهلُ مرضىٰ، والله ما بالقومِ من مرض، وإنَّهم لأصحَّاءُ القلوب، ولكن دخلَهم من الخوفِ ما لم يدخلْ غيرَهم، ومنعَهم من الدنيا علمُهم بالآخرة، فقالوا: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، والله ما أحزنَهم حسنُ التنافس، ولا تعاظمَ في أنفسهم ما طلبوا به الجنَّة، وإنَّما أبكاهم الخوفُ من النَّار، وإنَّه من لم يتعزَّ بعزاءِ الله[1] تقطَّعتْ نفسهُ علىٰ الدنيا حسرات، ومن لم يرَ لله عليه نعمةً إلَّا في مطعمٍ أو مشربٍ فقد قلَّ علمه، وحضرَ عذابه[2].

وروىٰ الأسود بن يزيد عن عائشة ﷺ أنَّها قالت: إنَّكم لتغفلون أفضلَ العبادة: التواضع[3].

وقالَ أبو الدرداء: لا يزالُ العبدُ يزدادُ من الله بُعداً ما مُشِي [٢٤٠/أ] خلفه[4].

---

(١) في الأصل «بعز الله» والمثبت من المصادر. ومعنىٰ تعزَّ بعزاء الله أي: تصبَّر بالتعزية التي عزاك الله بها مما في كتابه. وأصل العزاء الصبر. المطلع علىٰ أبواب المقنع ص ١٢٠.

(٢) تفسير الطبري ١٧/٤٩٣، تفسير ابن كثير ٦/١٢٢، الزهد لابن المبارك (٣٩٧).

(٣) الزهد لابن المبارك (٣٩٣)، التواضع والخمول (٨٠).

(٤) حلية الأولياء ١/٢٢١، حسن التنبه ٧/٤٢، ٨/٤٣٦، إحياء علوم الدين ٢/٢٢٠ وفيه أنه=

ورأىٰ أبو هريرة رجلاً علىٰ دابتهِ وغلامهُ يسعىٰ خلفه ، فقال: يا عبدَ الله ، احمله ، فإنَّما هو أخوك ، روحهُ مثلُ روحك . فحمله[1] .

وروىٰ ابنُ المبارك عن سفيان ، عن داود ، عن عروة قال: دخلَ النَّبيُّ ﷺ علىٰ عائشة ، فرأىٰ علىٰ بابها ستراً عليه تماثيل ، فقال: «**يا عائشة ، أخِّريه ، فإنِّي إذا رأيتهُ ذكرت الدنيا**»[2] .

ورويَ في لفظٍ آخر: تمثالُ طير ، فقال: «**يا عائشة ، حوِّليه**»[3] .

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه أُتيَ برجل ، فلمَّا وقفَ بين يديهِ فإذا هو ترعدُ فرائصه ، فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: «**هوِّنْ عليك ، فإنَّما [أنا] ابنُ امرأةٍ كانت تأكلُ القديد**»[4] .

وروىٰ أبو إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**ألا أخبركم بأهلِ الجنَّة**» ؟ قالوا: بلىٰ يا رسولَ الله ، قال: «**كلُّ ضعيفٍ مستضعَفٍ ذو طِمرين ، لو أقسمَ علىٰ الله لأبرَّه**»[5] .

= من قول أبي هريرة ، توضيح المشتبه ٦/٣٧٣ وفيه أنه من قول أم الدرداء .

(١) الزهد لابن المبارك (٣٩٥) ، إحياء علوم الدين ٢/٢٢٠ .

(٢) الزهد لابن المبارك (٣٩٩) ، سنن الترمذي (٢٤٦٨) وقال: حديث حسن . وصححه الألباني .

(٣) الزهد لابن المبارك (٤٠٠) ، مسند أحمد (٢٦٠٤٤) قال محققه: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم .

(٤) المستدرك للحاكم (٣٧٣٣ ، ٤٣٦٦) من حديث جرير بن عبدالله ، وقال في الموضعين: صحيح علىٰ شرط الشيخين . ووافقه الذهبي ، المعجم الأوسط للطبراني (١٢٦٠) ، السلسلة الصحيحة ٤/٤٩٧ . وما بين المعقوفتين من مصادر الحديث ، لم يرد في الأصل .

(٥) شعب الإيمان (١٠٠٠٦) ، المعجم الكبير (١٥٩) ، سنن ابن ماجه (٤١١٥) قال محققه:=




وقالَ أنس: **كان رسولُ الله ﷺ يعودُ المريض، ويتبعُ الجنائز، ويجيبُ دعوةَ العبد، ويركبُ الحمار، ولقد رأيتهُ يومَ خيبرَ على حمارٍ خطامهُ ليف**(١).

وروى أبو الدرداء عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ في قولهِ تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] قال: «**على البرِّ والتقوى والتواضعِ وذلَّةِ الفقر**»(٢).

وحكيَ أنَّ موسى قالَ للخضرِ عليهما السلام: أوصني، فقال له: كنْ [٢٤٠/ب] بشَّاشاً ولا تكنْ غضبانًا، وكنْ نفَّاعاً ولا تكنْ ضرَّاراً، وانزعْ عن اللجاجة، ولا تمشِ في غيرِ حاجة، ولا تضحكْ من غيرِ عَجَب، ولا تعيِّرْ الخطَّائين بخطئهم، وابكِ على خطيئتِكَ يا ابنَ عمران(٣).

وقالَ منصور بن عمَّار(٤): من أبصرَ عيبَ نفسهِ اشتغلَ عن عيبِ غيره،

= صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف. كما ضعفه في ضعيف الجامع (٢١٥٦) وفيها جميعًا: «ملوك الجنة». وهو في الصحيح من حديث حارثة بن وهب بلفظ: «ألا أخبركم بأهل الجنة»؟ قالوا: بلى، قال ﷺ: «كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره». صحيح مسلم (٢٨٥٣).

(١) التواضع والخمول (١١٣)، شعب الإيمان (٧٨٤١، ٧٨٤٢)، المستدرك للحاكم (٣٧٣٤) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وفي سند الجميع مسلم بن كيسان الأعور، وقد أورد له ابن عدي هذا الحديث، وقال في آخر ترجمته: الضعف على رواياته بيِّن. الكامل في ضعفاء الرجال ٦/٨.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٢/٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٩/٦٧. وآخرون ذكرهم السيوطي في الدر المنثور ١٧٩/٢، وآخر الحديث في المصادر «ذلة النفس».

(٣) التوبة لابن أبي الدنيا (٥٦)، تاريخ دمشق ٤١٦/١٦، الدر المنثور ٤٣٢/٥.

(٤) منصور بن عمار السلمي الخراساني، وقيل: البصري. واعظ بليغ، ربّاني. كان عديم النظير=

ومن تعرَّىٰ عن لباسِ التقوىٰ لم يسترهُ شيءٌ من الدنيا ، ومن رضيَ برزقِ الله لم يحزنْ علىٰ ما فاته ، ومن نسيَ زلَلَهُ استعظمَ ذلك غيرُه ، ومن كابرَ الأمورَ عَطِب ، ومن اقتحمَ اللُّجَجَ غرق ، ومن أعجبَ برأيهِ ضلَّ ، ومن استغنَىٰ بعقلهِ زلَّ ، ومن تكبَّرَ علىٰ النَّاسِ ذلَّ ، ومن تهاونَ بالدينِ ارتبط[1] ، ومن اغتنمَ أموالَ النَّاسِ افتقر ، ومن انتظرَ العاقبةَ صبر ، ومن صارعَ الحقَّ وقع ، ومن أبصرَ أجلَهُ قصرَ أملُه[2] .

وروىٰ ابن المبارك بإسنادهِ عن أنس بنِ مالك قال: **كان النَّبيُّ ﷺ إذا استقبلَهُ الرَّجلُ فصافحه ، لا ينزعُ يدَهُ من يده ، حتَّىٰ يكونَ الرَّجلُ هو الذي ينزعُ يده ، ولا يَصرفُ وجهَهُ عن وجههِ حتَّىٰ يكونَ الرَّجلُ هو الذي يَصرف ، ولم يُرَ مقدمَ ركبتيهِ بين يدي جليسٍ له ، ﷺ**[3] .

وروىٰ مكحول عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: إنَّكم لتغفلون أفضلَ العبادة: التواضع[4] .

فإن قالَ قائل: ما التواضع ؟

= في الموعظة والتذكير . وعظ بالعراق والشام ومصر ، وبعد صيته ، وتزاحم عليه الخلق . وكان ينطوي علىٰ زهد وخشية ، ولوعظه وقع في النفوس . توفي في حدود ٢٠٠ هـ . سير أعلام النبلاء ٩/٩٣ ، حلية الأولياء ٩/٣٢٥ ، صفة الصفوة ٢/٣٠٨ .

(١) هكذا في الأصل ، وفي بستان العارفين وغيره: ارتطم .

(٢) بستان العارفين للسمرقندي ١/٤٠٨ ، تهذيب خالصة الحقائق ١/١٣٤ (في كليهما غير منسوب) ، وأوله في مجمع الأمثال ٢/٤٥٦ .

(٣) سبق تخريجه وأنه حسن .

(٤) سبق .

قيلَ له: أن تصبرَ علىٰ مرارةِ الحق، وتتأدَّبَ بآدابِ الشَّرع، وإذا [٢٤١/أ] رأيتَ لغيرِكَ فضيلةً تعظِّمُها، وإذا رأيتَ لنفسِكَ فضيلةً تكسرُها.

وحكيَ عن عليِّ بن عبدالله بن عبَّاس أنَّه قال: ما رأيتُ أحداً قطُّ إلَّا قلتُ هو خيرٌ منِّي؛ لأنَّه إن كان أكبرَ سنًّا منِّي قلتُ: إنَّه عرفَ الله قبلي، وإن كان أصغرَ سنًّا منِّي قلت: إنِّي عصيتُ الله قبله، وإن كان بسنِّي قلت: إنِّي أعرفُ من نفسي ما لا أعرفُ منه[1].

فإن قالَ قائل: فما تقولُ في التواضعِ لذي الدنيا؟

قيلَ له: إن تواضعتَ له طلباً لدنياه، أو تعظيماً لما نالَ من دنياه، فلستَ بمصيب، وإن تواضعتَ له لتسلَمَ منه، أو لتكسرَ نفسكَ عن العُجبِ بدينِكَ وزهدك، فأنت مصيب، وإن تواضعتَ لذي دينٍ لتعظيمِ دينه، أو لذي علمٍ لتنالَ من علمه، فأنت مصيبٌ في ذلك مأجور.

وكتبَ بعضُ الحكماءِ إلىٰ أخٍ له: يا أخي، تواضعٌ مع إمساكٍ أفضلُ من جودٍ مع كِبْر، وكفَىٰ بخصلةٍ مع المقنعِ فضلاً، وحسبُكَ بخصلةٍ أطفأتْ فضلَ الجودِ نقصاً.

وروىٰ أبو داود بإسنادهِ عن ابنِ عباس، أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: «**إنَّ الهَديَ الصالح، والسَّمتَ الصالح، والاقتصاد، جزءٌ من خمسةٍ وعشرين جزءاً من النُّبوَّة**»[2].

---

(١) رأيته منسوبًا لبكر بن عبدالله المزني، كما في مرآة الزمان ١٠/٤٤٦، وذكر راويه ابن أبي الدنيا.

(٢) سنن أبي داود (٤٧٧٦) مسند أحمد (٢٦٩٨) قال الشيخ شعيب في الموضعين: حديث=




وروى أبو داود بإسنادهِ عن عبدالله قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«ما تعدُّون الصُّرَعَةَ فيكم»**؟ قالوا: الذي لا يَصرعهُ الرجال، قال: **«لا،** [٢٤١/ب] **ولكنَّهُ الذي يملكُ نفسَهُ عند الغضب»**[(١)].

وروى أبو داود بإسنادهِ عن أبي وائل بن القاص[(٢)] قال: دخلنا على عروة بنِ محمَّد السَّعدي، فكلَّمَهُ رجلٌ فأغضبه، فقامَ، ثمَّ رجعَ وقد توضَّأ، فقال: حدَّثني أبي عن جدِّي عطية[(٣)] قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«إنَّ الغضبَ من الشَّيطان، وإنَّ الشيطانَ خُلقَ من النَّار، وإنَّما تُطفأُ النَّارُ بالماء، فإذا غضبَ أحدُكم فليتوضَّأ»**[(٤)].

وروى أبو داود بإسنادهِ عن المعرور بنِ سويد قال: رأيتُ أبا ذرٍّ رحمه الله بالربذةِ عليه بُردٌ غليظ، وعلى غلامهِ مثلُه، فقالَ القوم: يا أبا ذرّ، لو كنتَ أخذتَ الذي على غلامِكَ فجعلتَهُ مع هذا فكانت حُلَّة، وكسوتَ غلامكَ ثوباً غيرَه، فقالَ أبو ذرّ: إنِّي كنتُ ساببتُ رجلاً، وكانت أمُّهُ أعجمية، فعيَّرتهُ بأمِّه، فشكاني إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: **«يا أبا ذرّ، إنَّكَ امرؤٌ فيكَ جاهلية، إنَّهم إخوانُكم، فضَّلكم الله عليهم، فمن لا يلائمُكم فبيعوه، ولا تضربوا**

= حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف، الأدب المفرد (٧٩١) وحسنه الألباني. وهو مصحح في صحيح الجامع (١٩٩٣).

(١) سنن أبي داود (٤٧٧٩) قال محققه: إسناده صحيح. ورواه مسلم (٢٦٠٨).

(٢) في الأصل «العاص»، وتصحيحه من مصدره، وفيه: حدثنا إبراهيم بن خالد، حدثنا أبو وائل، قال أبو داود: يعني القاص، من أهل صنعاء، قال: هو - أرى - عبد الله بن بحير.

(٣) في الأصل: عن حر بن عطية.

(٤) سنن أبي داود (٤٧٨٤)، مسند أحمد (١٧٩٨٥) قال محققه في الموضعين: إسناده ضعيف. كما ضعفه في ضعيف الجامع (١٥١٠)، وفي السلسلة الضعيفة (٥٨٢).

خَلقَ الله ﷻ»(١).

وروى ابنُ المبارك بإسناده، أنَّ رسولَ الله ﷺ عُرضتْ عليه مفاتيحُ الأرض، ولا ينقصهُ ذلك عند الله شيئاً، فالتفتَ إلى جبريلَ صلَّى الله عليه كالمستشيرِ به، فقالَ له: تواضع، فقال: «**اللَّهمَّ أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرةِ المساكين**»(٢).

وروى أبو داود بإسناده [٢٤٢/أ] عن أبي موسى الأشعري قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ من إجلالِ الله ﷻ إكرامَ ذي الشيبةِ المسلم، وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامَ ذي السلطانِ المقسِط**»(٣).

وروى أبو داود بإسنادهِ عن عبدالله بن عمرو بن العاص، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لرجل: «**لا تدخلْ بين اثنينِ إلَّا بإذنهما**»(٤).

وروى أبو داود بإسنادهِ عن الشريد بن سويد قال: مرَّ بي رسولُ الله ﷺ

---

(١) سنن أبي داود (٥١٥٧) قال محققه: إسناده صحيح. كما صححه في صحيح الجامع (٧٨٢٢)

(٢) لم يذكر راويه، ولم أره بهذا اللفظ في الزهد وغيره لابن المبارك، ويبدو أنه خلط بين حديثين، الأول من رواية ابن عباس (٧٦٦) وفيه القصة، والآخر من مصدر آخر، وقد سبق تخريج الحديث بالدعاء، وبالقصة، في موضعين.

(٣) سبق.

(٤) يرد الحديث بطريقين في سنن أبي داود، وهذا لفظهما: الأول (٤٨٤٤): «لا يجلس بين رجلين إلا بإذنهما»، والآخر (٤٨٤٥): «لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما»، وقال المحقق في الموضعين: إسناده حسن. وباللفظ الأخير رواه الترمذي (٢٧٥٢) وقال: حديث حسن، وبالدرجة نفسها في مسند أحمد (٦٩٩٩) كما أفاده محققه.

وأنا جالسٌ هكذا، وقد وضعتُ يديَ اليسرىٰ خلفَ ظهري، واتَّكأتُ علىٰ إليةِ يدي، [فقال]: «**أتقعدُ قِعدةَ المغضوبِ عليهم**»(١)؟!

وروىٰ أبو هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**كلُّ المسلمِ علىٰ المسلمِ حرام، [حسبُ]**(٢) **امرئٍ من الشرِّ أن يحقرَ أخاهُ المسلم**»(٣).

وروىٰ أبو داود بإسنادهِ عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**يصبحُ علىٰ كلِّ سُلامىٰ من ابنِ آدمَ صدقة، تسليمهُ علىٰ من لقيَ صدقة، وأمرهُ بالمعروفِ صدقة، ونهيهُ عن المنكرِ صدقة، وإماطتهُ الأذىٰ عن الطريقِ صدقة، [وبضعةُ أهلهِ صدقة]، ويجزئُ من ذلك ركعتان من الضحىٰ**»(٤).

وروىٰ البراء بن عازب، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إذا التقَىٰ المسلمان، وتصافحا، وحمدا الله تعالىٰ، واستغفراه، غفرَ الله لهما**»(٥).

---

(١) سنن أبي داود (٤٨٤٨) قال الشيخ شعيب: رجاله ثقات إلا أن ابن جريج مدلس وقد عنعن. وكذا قال في تخريج ابن حبان (٥٦٧٤)، لكن صححه الألباني لأبي داود. ورواه الحاكم في المستدرك (٧٧٠٣) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وفي سنده أيضًا ابن جريج.

(٢) في الأصل «وحق»!

(٣) جزء من حديث رواه أبو داود (٤٨٨٢) قال الشيخ شعيب: حديث صحيح وهذا إسناد حسن في المتابعات. ولفظه فيه: «كل المسلم علىٰ المسلم حرام: ماله، وعرضه، ودمه، حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم». ورواه مسلم بأطول منه، وبتقديم العبارة الأخيرة علىٰ الأولىٰ. صحيح مسلم (٢٥٦٤).

(٤) سنن أبي داود (١٢٨٥) قال محققه: إسناده صحيح. كما صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، وفي صحيح الجامع (٨٠٩٦). ورواه مسلم مع اختلاف ألفاظ. صحيح مسلم (٧٢٠).

(٥) سنن أبي داود (٥٢١١) قال محققه: صحيح لغيره دون قوله: «وحمدا الله عز وجل»،=

ومن ذلك إفشاءُ [٢٤٢/ب] السَّلامِ على الصغيرِ والكبير.

حدَّثنا أحمد بن ثابت قال: حدَّثنا القاضي أبو عمر قال: حدَّثنا ابن داسة، عن أبي داود قال: حدَّثنا أحمد بن شعيب قال: حدَّثنا زهير قال: حدَّثنا الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنَّة حتَّى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتَّى تحابُّوا، أفلا أدلُّكم على أمرٍ إذا فعلتموهُ تحاببتم؟ أفشُوا السَّلامَ بينكم**»(١).

وروى عبدالله بنُ عمرو أنَّ رجلاً سأل النَّبيَّ ﷺ: أيُّ الإسلامِ خير؟ قال: «**تطعمُ الطعام، وتقرأُ السَّلامَ على من عرفكَ ومن لم يعرفك**»(٢).

وروى عمران بن حصين قال: جاءَ رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: السَّلامُ عليكم، فردَّ عليه، ثمَّ جلس، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**عشر**»، ثمَّ جاءَ آخرُ فقال: السَّلامُ عليكم ورحمةُ الله، فردَّ عليه، فجلس، فقال: «**عشرون**»، ثمَّ جاءَ آخرُ فقال: السَّلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاته، فقال: «**ثلاثون**»(٣).

= وهذا إسناد ضعيف. شعب الإيمان (٨٥٥٤)، مسند أبي يعلى (١٦٧٣)، السنن الكبرى للبيهقي (١٣٥٦٩). وضعفه في ضعيف الجامع (٣٩٧)، وفي السلسلة الضعيفة (٢٣٤٤).

(١) سنن أبي داود (٥١٩٣) قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح، سنن ابن ماجه (٦٨، ٣٦٩٢) وصححه الألباني في الموضعين، صحيح ابن حبان (٢٣٦) قال المحقق: إسناده قوي، سنن الترمذي (٢٦٨٨) وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) هكذا ورد آخر الحديث، وهو في المصادر «على من عرفت ومن لم تعرف»، كما في الصحيحين وغيرهما. صحيح البخاري (١٢، ٢٨)، صحيح مسلم (٣٩).

(٣) سنن أبي داود (٥١٩٥) قال محققه: إسناده قوي. سنن الترمذي (٢٦٨٩) وقال: حديث حسن غريب، وصححه الألباني. شعب الإيمان (٨٤٨٠) وقال: هذا إسناد حسن.

وفي روايةٍ أخرىٰ أنَّه جاءَ آخرُ فقال: السلامُ عليكم ورحمةُ الله وبركاتهُ ومغفرته، فقال: «**أربعون**»، وقال: «**هكذا تكونُ الفضائل**»[١].

وروىٰ أبو هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**يسلِّمُ الصغيرُ علىٰ الكبير، والقائمُ علىٰ القاعد، والقليلُ علىٰ الكثير، والرَّاكبُ علىٰ الماشي**»[٢].

وروىٰ أيضاً أبو هريرة أنَّ [٢٤٣/أ] النَّبيَّ ﷺ قال: «**إذا لقيَ أحدُكم أخاهُ فليسلِّمْ عليه، فإن حالتْ بينهما شجرةٌ أو جدارٌ أو حجر، [ثم لقيه]، فليسلِّمْ عليه**»[٣].

وأمَّا السَّلامُ علىٰ النِّساء، فيسلِّمُ الرَّجلُ علىٰ ذوي محارمه، أو العجائزِ غيرِ ذاتِ الهيئة[٤].

وقد روىٰ شهر بنُ حوشب عن أسماء[٥]، أنَّها أخبرتهُ قالت: **مرَّ رسولُ الله ﷺ علينا في نسوةٍ فسلَّمَ علينا**[٦].

---

(١) سنن أبي داود (٥١٩٦) قال محققه: ضعيف بهذه الزيادة. كما ضعفه له الألباني في ضعيف سننه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه دون الجملة الأخيرة (٦٢٣١، ٦٢٣٤)، التي وردت في حديث آخر بالرقم (٦٢٣٢) ونصه: «يسلم الراكب علىٰ الماشي، والماشي علىٰ القاعد، والقليل علىٰ الكثير»، ومسلم (٢١٦٠). ويأتي الحديث بطرق وروايات عدة، مع زيادة ونقص، وتقديم وتأخير.

(٣) سنن أبي داود (٥٢٠٠) قال الشيخ شعيب: إسناده صحيح، وكذا قال في السلسلة الصحيحة (١٨٦).

(٤) يعني الهيئة الحسنة، كما يفهم من عبارة الإمام النووي في المجموع ٥/٩ فيمن يحضر العيد من النساء، قال: وأما ذوات الهيئات وهن اللواتي يشتهين لجمالهن فيكره حضورهن.

(٥) أسماء بنت يزيد أم سلمة الأنصارية.

(٦) سنن أبي داود (٥٢٠٤)، مسند أحمد (٢٧٥٦١) وذكر المحقق في الموضعين أنه حديث=

ويسلِّمُ أيضاً على الغلامِ المراهق، قالَ أنس: **أتى رسولُ الله ﷺ على غلمان، فسلَّمَ عليهم**[1].

فأمَّا أهلُ الذِّمَّةِ فلا يبدؤهم بالسَّلام، قالَ ﷺ: «**لا تبدؤوهم بالسَّلام، وألجئوهم إلى أضيقِ الطرق**»[2]. معناهُ أنَّهم لا توسِّعوا لهم الطريق.

روى أنس أنَّ أصحابَ النَّبيِّ ﷺ قالوا: يا رسولَ الله، إنَّ أهلَ الكتابِ يسلِّمون علينا، فقال: «**قولوا: وعليكم**»[3].

والسَّلامُ على المسلمِ سنَّة، والرَّدُّ عليه واجب، والسَّلامُ على أهلِ الذِّمَّةِ مكروه، وإذا سلَّموا لم يجبِ الرَّدُّ عليهم، وقد قيلَ في قولهِ تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦] أنَّه يَردُّ أحسنَ منها على المسلمين، ويردُّها على أهلِ الذِّمَّة[4].

ويحتملُ أن يكونَ «أحسنَ منها» في الرَّدِّ مستحبًّا[5] على المسلم.

وردُّها واجب، وإذا سلَّمَ الواحدُ من الجماعةِ كفى، وكذلك إذا

= حسن، سنن ابن ماجه (٣٧٠١) وصححه الألباني.

(١) صحيح مسلم (٢١٦٨)، الآداب للبيهقي (٢١٦).

(٢) السنن الكبرى للبيهقي (١٨٧٦٠) من حديث أبي هريرة، ولفظه: «إذا لَقيتُموهم فلا تَبدؤوهُم بالسَّلام، واضطَرُّوهم إلى أضيقِ الطُّرق»، صحيح مسلم (٢١٦٧) من حديث أبي هريرة أيضًا: «لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه».

(٣) صحيح مسلم (٢١٦٣).

(٤) الكشف والبيان في تفسير القرآن للثعلبي ٣/٣٥٤ من قول ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) في الأصل: مستحب.

ردَّ الواحد.

روىٰ أبو داود بإسنادِهِ عن أبي رافع، عن عليٍّ [٢٤٣/ب] رضي الله عنه، قال أبو داود: ورفعَهُ الحسن بنُ عليٍّ عليهما السلام، قال: **يجزئُ عن الجماعةِ إذا مرُّوا أن يسلِّمَ أحدُهم، ويجزئُ عن الجلوسِ أن يَردَّ أحدُهم**[1].

والسلامُ اسمٌ من أسماءِ الله تعالىٰ، قالَ الله تعالىٰ: ﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣] ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[2] [الحشر: ٢٤]، قالَ الزَّجَّاج: السلام: الذي يَسلَمُ عبادهُ من ظلمه[3]، فكأنَّه إذا قال: السَّلامُ عليك، معناهُ اسمُ الله عليك.

وقيل: معناهُ المسالمةُ بيني وبينك، تسلَمُ منِّي وأسلَمُ منك.

والسَّلامُ تحيَّةُ أهلِ الجنَّة، قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [يونس: ١٠].

وإذا عطسَ رجلٌ أو امرأة، فحمدَ الله، شمَّتهُ السامع، فيقولُ له: يرحمُكَ الله، فيقولُ العاطس: يَهديكم الله ويُصلِحُ بالَكم، ويُدخلُكم الجنَّةَ عرَّفها لكم[4].

---

(١) سنن أبي داود (٥٢١٠) وذكر الشيخ شعيب أن إسناده ضعيف، السنن الكبرىٰ للبيهقي (١٧٩٤٦). وصححه في صحيح الجامع (٨٠٢٣).

(٢) جزء من آية، ورد في الأصل مضمومًا إلىٰ الآية السابقة.

(٣) ذكره في كتابه معاني القرآن ٥/١٥٠، وهو من قول ابن عباس، كما أفاده الماوردي في تفسيره النكت والعيون، ومن اختيار الطبري رحمه الله في تفسيره.

(٤) عن سفيان بن حسين، عن الحسن، أنه كان إذا عطس قلنا له: يرحمك الله قال: يهديكم الله، ويصلح بالكم، ويدخلكم الجنة عرفها لكم. معجم ابن الأعرابي (١٩٣٧)، شرح السنة=

وأمَّا قيامُ الرَّجلِ لغيره، فقد روىٰ أبو داود في سننهِ عن أبي سعيد الخدريِّ، أنَّ أهلَ قريظةَ نزلوا علىٰ حُكمِ سعد بنِ معاذ، فأرسلَ إليه النَّبيُّ ﷺ، فجاءَ علىٰ حمارٍ أقمر، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: **«قوموا إلىٰ سيِّدكم»** أو قال: **«خيرِكم»**، فجاءَ حتَّىٰ قعدَ إلىٰ رسولِ الله ﷺ[1].

وروىٰ بإسنادهِ عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة رضي الله عنها **أنَّها** قالت: ما رأيتُ أحداً كان أشبهَ سَمتاً وهَدياً ودَلًّا برسولِ الله ﷺ من فاطمةَ رضوانُ الله عليها، **كانت إذا دخلتْ عليه قامَ إليها فأخذَ** [٢٤٤/أ] **بيدها فقبَّلها، وأجلسَها في مجلسه، وكان إذا دخلَ عليها قامتْ إليه فأخذتْ بيدهِ فقبَّلتها، وأجلستْهُ في مجلسِها**[2].

وروىٰ الشَّعبيُّ أنَّ رسولَ الله صلَّىٰ الله عليهِ **تلقَّىٰ جعفر بنَ أبي طالب** رضي الله عنه **فالتزمَه، وقبَّل ما بين عينيه**[3].

وروىٰ أبو داود في سننه عن أبي مِجلَز قال: خرجَ معاويةُ علىٰ ابنِ الزُّبير

= للبغوي ٣٠٩/١٢.

وفي صحيح البخاري (٦٢٢٤) من رواية أبي هريرة: «إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم».

(١) سنن أبي داود (٥٢١٥) وصحح الشيخ شعيب إسناده. وباللفظين ورد في صحيح البخاري أيضًا (٤١٢١). وورد في الأصل «فجاء علىٰ حمار فمر». والأقمر: الشديد البياض.

(٢) سنن أبي داود (٥٢١٥) قال محققه: إسناده صحيح. ورواه البيهقي في الآداب (٢٤١).

(٣) المراسيل لأبي داود (٤٩١) والسنن له (٥٢١٩) قال محققه: رجاله ثقات رجال الشيخين غير الأجلح مختلف فيه... ثم هو مرسل. وضعفه في ضعيف سنن أبي داود. ورواه مرسلًا كذلك ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٢٤٣).

وابنِ عامر ، فقامَ ابنُ عامر وجلسَ ابنُ الزُّبير ، فقالَ معاويةُ لابن عامر: اجلس ، فإنِّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من أحبَّ أن يتمثَّلَ له النَّاسُ قياماً فليتبوَّأ مقعدَهُ من النَّار**»[1].

وروىٰ بإسنادهِ عن أبي أمامةَ قال: خرجَ علينا رسولُ الله ﷺ متوكِّئاً علىٰ عصًا ، فقمنا إليه ، قال: «**لا تقوموا كما يقومُ الأعاجمُ يعظِّمُ بعضُهم بعضاً**»[2].

وهذا يخالفُ ما رويناهُ قبلَ ذلك في ظاهره ، والجمعُ بينهما أن يكونَ القيامُ علىٰ سبيلِ الإكرامِ والتودُّدِ [فهو] جائز ، ومن أرادَهُ لحصولِ الإكرامِ والتودُّدِ بينه وبين المكرمِ له جاز ، فأمَّا إذا أرادَ القيامَ تكبُّراً وتعظُّماً ، كان هو المنهيَّ عنه ، ولقد قالَ ﷺ: «**يعظِّمُ بعضُها بعضاً**» .

ومن ذلك أيضاً أن يجيبَ من يناديه .

روىٰ أبو داود بإسنادهِ عن أبي عبدالرَّحمن الفِهري[3] قال: شهدتُ مع رسولِ الله ﷺ حُنيناً ، فسرنا [٢٤٤/ب] في يومٍ قائظٍ شديدِ الحرّ ، فنزلنا تحت ظلِّ شجرة ، فلمَّا زالتِ الشَّمسُ لبستُ لأمَتي ، وركبتُ فرسي ، فأتيتُ رسولَ

(١) سنن أبي داود (٥٢٢٩) ، مسند أحمد (١٦٨٣٠) قال الشيخ شعيب في الموضعين: إسناده صحيح ، سنن الترمذي (٢٧٥٥) وقال: حديث حسن . وصححه في السلسلة الصحيحة (٣٥٧) .

(٢) سنن أبي داود (٥٢٣٠) قال المحقق: إسناده ضعيف ، ولفظه فيه: «لا تقوموا كما تقوم الأعاجم ، يعظم بعضها بعضًا» ، شعب الإيمان (٨٥٣٨) ، والمدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ له (٧١٦) ، المصنف لابن أبي شيبة (٢٦٠٩٤) . وضعفه في ضعيف الجامع (٦٢٦٢) .

(٣) في الأصل: النهدي . قال أبو داود: أبو عبدالرحمن الفهري ليس له إلا هذا الحديث ، وهو حديث نبيل ، جاء به حماد بن سلمة .

الله ﷺ وهو في فُسطاط، فقلت: السَّلامُ عليكَ يا رسولَ الله ورحمةُ الله وبركاته، حانَ الرَّواح؟ قال: «**أجل**»، ثمَّ قال: «**يا بلال**»، فثارَ من تحتِ شجرةٍ كأنَّ ظلَّهُ ظلُّ طائر، فقال: لبَّيكَ وسعديك، وأنا فداؤك، فقال: «**أَسرِجْ ليَ الفرَس**». فأخرجَ سرجاً دفَّتاهُ من ليف، ليس فيهما أَشَرٌ ولا بطَر، فركب، وركبنا(١).

ومن ذلك إماطةُ الأذىٰ عن الطَّريق، فقد روينا عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: **إنَّه صدقة، وهو في الإيمان**، وفاعلهُ متواضع، وصلاحٌ للمسلمين(٢).

ومن ذلك تركُ الفَخَارِ بالأنساب، قالَ الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٣].

فبيَّنَ الله سبحانهُ أنَّ القبائلَ والأنسابَ للتعارفِ دونَ التفاضل، وأنَّ خلقَ الكلِّ من آدمَ وحوّاء، لا فضلَ لبعضهم علىٰ بعضٍ في ذلك، وإنَّما يتفاضلون بالتقوىٰ، فإنَّ أفضلَهم أكرمُهم عند الله، أتقاهم.

---

(١) سنن أبي داود (٥٢٣٣) قال الشيخ شعيب: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف. وبأطول منه عند أحمد في مسنده (٢٢٤٦٧) قال مخرجه الأرناؤوط: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف. مصنف ابن أبي شيبة (٣٨١٥٣).
وأسرج الفرس: شدَّ عليه السَّرْج، وهو الرَّحْل الذي يُوضع علىٰ ظهره، واللأمة: أداة الحرب. والفسطاط: بيت يتخذ من الشعر.

(٢) في صحيح مسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة: «الإيمان بضع وسبعون ـ أو بضع وستون ـ شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»، وفيه بالرقم (١٠٠٩): «وتميط الأذىٰ عن الطريق صدقة».

وقالَ سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧].

ورویٰ أبو داود بإسنادهِ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّ الله قد** [٢٤٥/أ] **أذهبَ عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليةِ وفخرَها بالآباء، مؤمنٌ تقيّ، وفاجرٌ شقيّ، أنتم بنو آدم، وآدمُ من تراب، فيَدَعَنَّ الرجالُ فخرَهم بأقوام، إنَّما هم فحمٌ من فحمِ جهنَّم**»[١].

ووصَّیٰ المنصورُ المهديَّ رضي الله عنهما فقال: استدِمْ بالشُّكرِ النِّعمة، وبالتَّألُّفِ الطاعة، وبالعفوِ القدرة، وبالتواضعِ النُّصرة[٢].

الحبُّ في الله والبغض فيه

قالَ الله سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقالَ تعالیٰ: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣]. وإنَّما تآلفوا علیٰ حبِّ الله تعالیٰ، وحبِّ دينه.

---

(١) سنن أبي داود (٥١١٦)، سنن الترمذي (٣٩٥٥) وقال: حديث حسن، وحسنه لهما الألباني. ورواه أحمد في المسند (٨٧٣٧، ١٠٧٨١) وقال المحقق الأرناؤوط في الموضعين: إسناده حسن. وصححه في صحيح الجامع (١٧٨٧). وهكذا ورد «فيدعن»، وفي المصادر: «ليَدعنَّ».

وعبية الجاهلية: كبْرها ونخوتها.

(٢) تاريخ الطبري ٧١/٨، البداية والنهاية ٤٦٣/١٣، تاريخ الخلفاء ص ١٩٧.

وقالَ ﷺ: «**أوثقُ عُرىٰ الإسلامِ الحبُّ في الله والبغضُ في الله**»(١).

وإنَّما كان ذلك أوثقَ لأنَّه من أفعالِ القلوب، لا يدخلُ ذلك الرِّياءُ والتكلُّفُ والتصنُّع، وإنَّما يحبُّ من أطاعَ الله تعالىٰ بمحبَّتِهِ لله تعالىٰ، وعظَّمَ طاعتَهُ في نفسه، ومعرفتهِ بقدرها، وأنَّ الطائعَ من حزبِ الله وأهلِ محبَّته، قالَ سبحانه: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

ومحبَّةُ الله تعالىٰ لهم: إرادةُ إجلالِهم وإكرامِهم وإثابتِهم، ومحبَّتُهم(٢) له: إيثارُ طاعتهِ وشكره، وتعظيمُ أمره، فمن أحبَّ الله تعالىٰ أحبَّ أحبَّاءَه، وهذا حكمُ الطَّبيعة؛ لأنَّ من أحبَّ شخصاً أحبَّ [٢٤٥/ب] من يحبُّ.

وقد روىٰ أبو هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**من أحبَّ أن يجدَ طعمَ الإيمانِ فليحبَّ أخاه، لا يحبُّهُ إلَّا لله ﷻ**»(٣).

وروىٰ سفيان الثوري عن ابن الحنفيَّة أنَّه قال: من أحبَّ رجلاً لله ﷻ آتاهُ الله ثوابَ من أحبَّ رجلاً من أهلِ الجنَّة، وإن كان الذي أحبَّهُ من أهلِ النَّار، ومن أبغضَ رجلاً لله أثابَهُ الله ثوابَ من أبغضَ رجلاً من أهلِ النَّار، وإن كان الذي أبغضَهُ من أهلِ الجنَّة(٤).

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة (٣١٠٥٩)، والإيمان له (١١٠) وفي سنده بالكتابين ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف، وقد أورد الأقوال في ضعفه الذهبي في ميزان الاعتدال (٦٦١٤).

(٢) في الأصل: ومحبته.

(٣) شعب الإيمان (٨٥٧٦)، السنة للخلال (١٦١٧)، مسند البزار (٩٦٠٩)، وصححه في صحيح الجامع (٥٩٥٨). وفيها وفي غيرها «المرء» بدل «أخاه». وفي الشعب «فليحب لله».

(٤) شعب الإيمان (٩٠٧٦)، تاريخ مدينة دمشق ٣٣٦/٥٤.

وهذا كلامٌ صحيح ؛ لأنَّه إذا اطَّلعَ من رجلٍ علىٰ خصلةٍ حسنةٍ أحبَّهُ بسببها ، ولم يعلمْ منه ما يبغضهُ عليه ، فقد أحبَّهُ لله تعالىٰ ، وإن كان عند الله الرَّجلُ عملَ غيرَ ذلك يستحقُّ به البغض ، وكذلك من علمَ من غيرهِ خصلةً سيِّئةً أبغضَهُ بسببها ، فقد أبغضَهُ لله تعالىٰ ، وإن كان له طاعةٌ يوفَىٰ عليها لا يعلمُها .

❁ **فإن قيل** : فقد قالَ ﷺ : «**المرءُ مع من أحبَّ**» ، فيقتضي هذا أنَّه لا يحبُّ أحداً إلَّا بعد معرفتهِ بجميعِ أحواله ؟

❁ **والجواب** : أنَّ قولَهُ ﷺ : «**المرءُ مع من أحبَّ**» إنَّما قالَهُ لمن قالَ له : متىٰ الساعة ؟ فقالَ له النَّبيُّ ﷺ : «**ما أعددتَ لها**» ؟ فقال : حبَّ الله ورسوله ، فقال : «**المرءُ مع من أحبَّ**»(١) ، وهذا بيِّن ؛ لأنَّ من أحبَّ الله تعالىٰ فهو من حزبه ، وإذا أحبَّ رجلاً لأمرٍ ظهرَ عليه من طاعته ، فحبُّهُ له من حُبِّهِ لله تعالىٰ ، واعتقادهِ أنَّه [٢٤٦/أ] قريبٌ من الله بطاعته ، فهو مع أهلِ الطاعة ، ولو أشرفَ من هذا المحبوبِ علىٰ مخالفتهِ لم يحبَّه ، وتفقُّدُ أحوالِ غيرهِ ليس بمأمورٍ بها ، وإنَّما يعاملهُ بحسبِ ما ظهرَ منه ، إلَّا أن يكون أمراً مشتبهاً ، فيتأوَّلُ له ويحملهُ علىٰ وجهٍ يسلَمُ من الخطأ في بابه ؛ لأنَّ حملَهُ علىٰ الجميلِ لا يضرُّهُ إن كان بحرمةِ الإسلامِ والدينُ بخلافه ، وحملهُ علىٰ غيرِ الجميلِ يضرُّه إن كان بخلافه ؛ لأنَّه يذمُّ غيرَ مذموم ، ويقاطعُ غيرَ مقطوع ، ويورثُ ذلك البغضاء .

وقد روىٰ ابنُ الزُّبير أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال : «**دبَّ إليكم داءُ الأممِ من قبلكم** :

---

(١) صحيح ابن حبان (١٠٥) من حديث أبي هريرة ، قال الشيخ شعيب : إسناده صحيح . وبلفظ «فأنت مع من أحببت» في الصحيحين وغيرهما من حديث أنس ، صحيح البخاري (٧١٥٣) ، صحيح مسلم (٢٦٣٩) .

الحسدُ ، والبغضاءُ ، وهي الحالقة ، لا أقولُ تحلقُ الشعر ، ولكن تحلقُ الدِّين ، والذي نفسي بيدهِ لا تدخلون الجنَّة حتَّىٰ تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتَّىٰ تَحابُّوا ، أوَلا أنبِّئكم بما يُثبِتُ ذلك لكم ؟ أفشوا السلامَ بينكم»[(١)] .

وإذا علمَ من إنسانٍ حسنَ طريقتهِ في دينه ، ومروءتَهُ ، وواسعَ خُلقه ؛ خصَّهُ بمودَّته ، وانتسبَ إلىٰ خُلَّته ، ورغبَ في مصافاته .

والخُلَّة هي المودَّةُ الصافية ، قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] لصفاءِ ودِّه ، ووكيدِ محبَّته[(٢)] .

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: **«المرءُ علىٰ دينِ خليله ، فلينظرْ أحدُكم من يخالل»**[(٣)] .

ومعنىٰ ذلك أنَّ الخليلَ متبوع ، فإنَّ من وادَّ أحداً وصافاه ، واستقرَّتْ محبَّتهُ له ، دعاهُ ذلك إلىٰ اتِّباعهِ ومماثلته ، فإذا صرفَ مودَّتَهُ إلىٰ أهلِ الدينِ والأمانة ، [٢٤٦/ب] دعتْهُ طبائعهُ إلىٰ مشاكلتهِ في طريقته ، وإن كان بخلافِ ذلك دعتْهُ أيضاً طبيعتهُ إلىٰ مشاكلته ، فإذا قصدَ بخُلَّتهِ أهلَ الدينِ نفعَهُ ذلك في دينه .

---

(١) مسند البزار (٢٢٣٢) قال الدمياطي: رواه البزار ورواته ثقات. المتجر الرابح (١٦٩٣)، وقال المنذري كذلك: رواه البزار بإسناد جيد. الترغيب والترهيب ٤٢٥/٣ . والحديث يرويه الزبير أيضًا ، كما في مسند أبي يعلىٰ (٦٦٩) وضعف محققه إسناده ، سنن الترمذي (٢٥١٠) وحسنه الألباني ، مسند أحمد (١٤١٢ ، ١٤٣٠) وضعف محققه إسناده في الموضعين .

(٢) من فعل «وكّد» ، ووكَد بمعنىٰ أكّد ووثّق .

(٣) شعب الإيمان (٨٩٩٠)، حلية الأولياء ١٦٥/٣ ، المستدرك للحاكم (٧٣٢٠) وقال: صحيح إن شاء الله ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، مسند أحمد (٨٤١٧) قال محققه: إسناده جيد. وهو من رواية أبي هريرة.

ورويَ عن ابن مسعود أنَّه قال: يُعتبَرُ المرءُ بإخوانه.

وقالَ الشاعر:

عـن المـرءِ لا تسـألْ وأبصـرْ قرينَـه ... فـإنَّ القـرينَ بالمقـارِنِ يقتـدي(١)

والخُلَّةُ أعلىٰ منازلِ المصافاةِ والمودَّة، وعلىٰ هذا يُحمَلُ قوله ﷺ: «**لو كنتُ متَّخذاً خليلاً لاتَّخذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ولكنْ أخي وصاحبي، وقد اتَّخذَ الله صاحبَكم خليلاً**»(٢). فكأنَّهُ ﷺ لم يشركْ مع الله تعالىٰ في الخُلَّةِ أحداً، ومن شأنِ الخليلِ أن ينفردَ بخليله، ولا يكونَ له خليلان؛ لأنَّ الخُلَّةَ هي الغايةُ في المودَّةِ والمحبَّة، وذلك ممتنعٌ مع اثنين؛ لأنَّهما يختلفان في إرادتهما وصحبتهما، ولا يمكن موافقتُهما، وإنَّما يوافقُ أحدُهما.

والخُلَّةُ المحمودةُ ما كانت لله تعالىٰ، والمصافاة بحكمِ شرعهِ وأدبه، قالَ الله تعالىٰ: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

فمن كانت خُلَّتُهُ علىٰ غيرِ تقوىٰ، وإنَّما هي للهوىٰ والاشتغالِ بزينةِ الدنيا، عادتْ عليه حسرةً وندامة، وقال: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا﴾ [الفرقان: ٢٨].

وحكيَ أنَّ غلاماً كانت له جاريةٌ من المتعبِّداتِ يحبُّها، فزادَ شغفهُ بها، وكتبَ إليها يصفُ حبَّهُ لها، ويسألها أن [٢٤٧/أ] تأذنَ له في قربهِ منها، فكتبتْ

---

(١) بلفظه لعدي بن زيد في مجمع الأمثال ٢/٢١٨، والمصون في الأدب ص ١٠٨، والزهرة ص ٢١٨.

(٢) صحيح مسلم (٢٣٨٣) من حديث عبدالله بن مسعود.

إليه: إنِّي أكرهُ أن أعاديك ، فإنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾. فارتدعَ عن خطابها.

والأخوَّةُ دونَ منزلةِ الخُلَّة ، قالَ الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وروىٰ أبو هريرة أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**حقُّ المسلمِ علىٰ المسلمِ خمس**» ، قيل: وما هنَّ؟ قال: «**إذا لقيَهُ سلَّمَ عليه ، وإذا دعاهُ أجابه ، وإن استنصحَ له نصحه ، وإذا عطسَ فحمدَ الله شمَّته ، وإذا مرضَ عاده ، وإذا ماتَ صحبه**»[1].

ومن صحبَ الإخوانَ بمكارمِ الأخلاقِ ومذهبِ الدِّيانةِ لها يَوَدُّون ، ولفقدِها يَهجُرون ، والشفقةِ علىٰ من يؤاخون ، والحنَّةِ علىٰ من يعاشِرون ، وبالإيثارِ يتعاملون ، مع الصِّدقِ في المودَّة ، يتجنَّبون الملل ، ويتوقَّون الزَّلل ، لا يكثرون الزيارةَ إبقاءً للمودَّة ، ولا يقطعون حبلَ الوصلة ، ولا يبحثون عمَّا استتر ، ويتأوَّلون لخطأ إن ظهر ، متواضعون ، وعلىٰ إخوانهم عاطفون ، لا يفتخرون ولا يتكبَّرون ، إن اعوجَّ أحدُهم قوَّموه ، وعملوا في إصلاحِهِ وراجعوه ، وإن اختلَّ حالُ أحدِهم لمُّوه ، وبأموالهم أسعفوه ، قالَ سبحانه: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

والأخوَّةُ في الدِّينِ نافعةٌ في الدنيا والآخرة ؛ فإنَّ التواصلَ والتَّحابَبَ لله تعالىٰ من أعظمِ [٢٤٧/ب] القُرَب ، وأكثرِها ثواباً ، وهي في الدنيا معونةٌ عليها.

---

(١) صحيح ابن حبان (٢٤٢) قال محققه: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم ، الأدب الفرد (٩٩١) وصححه الألباني. وسبق تخريجه بما أوله «للمسلمِ علىٰ المسلم ستٌّ».

يزيلُ لقاءُ الإخوانِ الهمَّ، ويَسرُّ النَّفس، ويساعدُ الأخَ على نوائبِ الدَّهر. وأقلُّ أحوالهِ أن يبثَّهُ هومَه، ويستشيرَه في أموره. ويدلَّهُ على عيوبه. ويُقبلُ عليه إذا حدَّث، ويردُّ عيبَهُ إذا غاب. وللنَّفسِ حظٌّ محادثةِ من يحسنُ الاستماع.

وحكيَ عن عبدالملك بن مروان أنَّه كان يقرِّبُ رجلاً، فقيلَ له: ما تقريبُكَ له؛ فإنَّه لخليٌّ من العلمِ والأدب؟! فقال: إنَّه يحسنُ أن يسمع.

وينبغي للعاقلِ أن يسامحَ أخاهُ ما أمكنتِ المسامحة، ويتغافلَ عن مكافأةِ عدوِّهِ ما كانتِ الغفلةُ لا تضرُّه، إلَّا من حيثُ مشاحَّةُ الطبيعةِ والتماسُها المكافأة، قالَ سبحانه: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وكفاكَ لأمرٍ فضيلةٍ أنَّه يحبُّهُ عليه، ويسمِّيهِ به محسناً. وبعد، فإذا تغافلَ عن مكافأةٍ عدوِّه، وحجزَ نفسَهُ عن إمضاءِ غيظِها؛ كُفِيَ شرَّه، وعادَ إمَّا سالماً، أو موافقاً.

وقيلَ لبعضِ النَّاس: ما أكثرَ أصدقاءَك؟ فقال: ما وادَّني أحدٌ إلَّا عقدتُ عليه خِنصِري[1]، ولا عاداني أحدٌ فعقدتُ على عدوانهِ خِنصري. يريد: إنِّي أراعي مودَّتَهُ لأؤكدها، وأتغافلُ عن عداوةِ عدوِّي لأزيلها.

وينبغي أن يتجنَّبَ الإنسانُ المُشارَّة[2] والمعاداة، فإن كان المعادَى

(١) عقد الخنصر على أمر كناية عن المحافظة عليه. ينظر معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة خنصر.

(٢) المشارة: المخاصمة. مختار الصحاح، مادة شرر.

مخالفاً للدينِ والطريقِ المستقيم، فالواجبُ ألّا [٢٤٨/أ] يُوالَىٰ ولا يُوَدَّ، فأمَّا قصدُ الإضرارِ وتتبُّعُ عثراته، فليس مأخوذُ ذلك عليه، قالَ الله سبحانه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، فأمرَ بجدالِهم بالتي هي أحسن، مع كونهم مشاقِّين للمسلمين، إلَّا من تعدَّىٰ منهم وبدأ بالظلم.

وقالَ ﷺ: «**إيَّاكم والمُشارَّة؛ فإنَّها تُميتُ الغُرَّة، وتُظهِرُ العُرَّة**»(١).

ومعنىٰ ذلك أنَّ مَن بينكَ وبينه عداوةٌ إنَّما يجتهدُ في إظهارِ مساوئكَ وتغطيةِ حسناتك.

وكان عليٌّ رضوانُ الله عليه لا يحضرُ الخصائم، ويقول: إنَّ للخصومِ قُحَماً، وإنَّ الشيطانَ يحضُرها، وإنِّي أكرهُ أن أحضرَها(٢).

ومعنىٰ ذلك أنَّ الخصائمَ تُبدي من كلِّ واحدٍ من الخصمين ما يعلنهُ من

---

(١) شعب الإيمان (٧٨٧٠) من رواية أبي هريرة، ولفظه: «إياكم ومُشارَّة الناس، فإنها تدفن الغُرة، وتظهر العِرة». وأردفه البيهقي بقوله: قال الوليد: يعني بالغرة حُسن الرجل. تفرد به الوليد بن سلمة الأردني، وله من أمثال هذا أفراد لم يتابع عليها، والله أعلم. اهـ. ورواه تمام في فوائده (٣٩). وضعفه في ضعيف الجامع (٢٢١٤)، وفي السلسلة الضعيفة (٢٤٧٧).
والعُرَّة كما أفاده ابن الأثير: هي القذر، وعَذِرة الناس، فاستعير للمساوئ والمثالب. النهاية في غريب الحديث ٢/٢٠٥.
والغُرَّة هاهنا: الحسن والعمل الصالح، شبهه بغرة الفرس، وكل شيء ترفع قيمته فهو غرة. المصدر السابق ٣/٣٥٤.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٣٦٣٨)، والبيهقي في السنن الصغير (٢١١٠) ويتعلق بالرقم (٢١٠٨) وأورد قول أبي الزيّاد: القحم: المهالك. اهـ. قلت: القُحَم جمع قُحْمة، وهي المهلكة. ينظر كتاب الألفاظ لابن السكيت ص ٢٣.

مساوئه، ويبالغُ في ذلك.

وقد نهى ﷺ **أن يَهجرَ الرجلُ أخاهُ فوق ثلاث**[١]. فإن لقيَهُ وسلَّمَ عليه فقد خرجَ من ذلك[٢].

ومن تركَ مخاصمةَ النَّاسِ ومشاقَّهم[٣] فقد أراحَ نفسَهُ من غمِّ العداوةِ والاحترازِ من العدوِّ أن تدبَّ إليه عقاربه، ولهذا قالَ الشافعيُّ رحمه الله:

لمَّا عفوتُ ولم أحقدْ على أحدٍ … أرحتُ نفسي من غمِّ العداواتِ

إنِّي أُحيِّي عدوِّي عند رؤيتهِ … لأدفعَ الشرَّ عنِّي بالتَّحيَّاتِ

وأُظهِرُ البِشْرَ للإنسانِ أبغضهُ … كأنَّما قد حشا قلبي محبَّاتِ

ولستُ أسلَمُ ممَّن لستُ أعرفهُ … فكيف أسلَمُ من أهلِ المودَّاتِ

[٢٤٨/ب]

النَّاسُ داءٌ وداءُ النَّاسِ قربُهم … وفي اعتزالهمُ قطعُ المروءاتِ[٤]

وقالَ غيره:

وحيِّ ذوي الأضغانِ تَسبِ قلوبَهمُ … تحيَّتُكَ الأدنَى فقد ترقعُ النَّعَلْ[٥]

---

(١) قوله ﷺ من حديث عبدالله بن عمر: «لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام». صحيح مسلم (٢٥٦١).

(٢) من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام، يلتقيان، فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام». سنن أبي داود (٤٩١١) قال محققه: إسناده صحيح.

(٣) هكذا، ولعلها: مشاقَّتهم.

(٤) ديوان الشافعي ص ٤٨.

(٥) الشطر الثاني في أدب الدنيا جاء هكذا: تحيتَكَ الحسنى فقد يُرقَعُ النعلُ. وورد في موضعين=




فـإن كتمـوا عنـكَ الحـديثَ فخلِّهـم ... وإن ستروا عنكَ المقالَ فلا تَسَلْ
فـإنَّ الـذي يؤذيـكَ منـكَ سـماعهُ ... وإنَّ الذي قالوا وراءكَ لم يُقَلْ(١)

وأحسنُ من ذلك قولهُ تعالىٰ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤ ـ ٣٥].

ومعنىٰ ذلك أنَّ الدفعَ بالحسنىٰ للعدوِّ إنَّما يُنالُ بالصَّبرِ ومخالفةِ الهوىٰ، فإنَّ النَّفسَ تأبىٰ ذلك، والهوىٰ يدفعه، والحظُّ له في ذلك في الدنيا والآخرة، فإنَّه يستريحُ في الدنيا من مقاساةِ العداوة، ويُكتَبُ في الآخرةِ بذلك من المحسنين، قالَ سبحانه: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**رأس العقل مداراة النَّاس**»(٢).

وقالَ بعضُ الحكماء: من عرفَ النَّاسَ داراهم، ومن جهلَهم ماراهم(٣).

= من (كنز العمال) «يُرفع النغل» بدل «ترقع النعل».

(١) لباب الآداب للثعالبي ص ١٣٢ وفيه أنه من إنشاد العلاء بن الحضرمي، وهو باختلاف ألفاظ، وكذا في أدب الدنيا والدين ص ٢٠١ وفيه أنه قول الأعرابي. كنز العمال (٨٩٥١، ٨٩٦٨).

(٢) «رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس». هكذا يأتي الحديث. مداراة الناس (٢)، المصنف لابن أبي شيبة (٢٥٩٣٧)، شعب الإيمان (٨٠٨٩)، وهو مرسل، رفعه سعيد بن المسيب، وفي السند علي بن جدعان، وهو ضعيف (ميزان الاعتدال ٥٥٤٧)، وضعفه في ضعيف الجامع (٣٠٧٥).

(٣) لباب الآداب ص ٤٢٩، حياة الحيوان الكبرىٰ ٢/٣٢٨. والمماراة: المجادلة.

ووقفَ الأحنف بنُ قيس علىٰ قبرِ الحارث بنِ معاوية المازني(١) فقال: رحمكَ الله أبا المورِّق، كنتَ لا تحقرُ ضعيفاً، ولا تحسدُ شريفاً(٢).

وقالَ بعضُهم: لكلِّ نفسٍ سلوة، ولكلِّ عقلٍ نبوة، [٢٤٩/أ] ولكلِّ جوادٍ كبوة، ولكلِّ حليمٍ هفوة(٣).

وقالَ الشاعر:

ولســتُ بمســتبقٍ أخــاً لا تلمُّــه ... علىٰ شعثٍ أيُّ الرجالِ المهذَّبُ(٤)

وقيلَ لبعضِ الأعراب: من تحبُّ أن يأكلَ طعامك؟ فقال: أمُّ طفلٍ راضع، أو كبيرٌ ضارع، أو أسيرٌ جائع، أو ابنُ سبيلٍ شاسع، أو ذو رحمٍ قاطع(٥).

وقالَ رجلٌ لخالد بنِ صفوان: كيف أُسلِّمُ علىٰ الإخوان؟ فقال: لا تبلغْ بهم النِّفاق، ولا تقصرْ بهم عن الاستحقاق(٦).

وقيلَ للأحنف: كيف يسودُ الرِّجال؟ قال: بالخُلق السجيح، والكفِّ

---

(١) تابعي، روىٰ عن عمر بن الخطاب، وولي خراسان ليزيد حتىٰ وفاته، كما في مواضع من تاريخ دمشق.

(٢) محاضرات الأدباء ٣١٧/١، سر الفصاحة ص ١٧٧.

(٣) الكنز المدفون للسيوطي ص ١٢٧، وبعضها في نهاية الأرب ١٨١/٨، العقد الفريد ١٩/٣، التذكرة الحمدونية ٢٤١/١.

(٤) للنابغة الذبياني، كما في الأمثال لأبي عبيد بن سلام ص ٥١، لباب الآداب ٤٢٦/١، التذكرة الحمدونية ١٨٢/٩.

(٥) أمالي المرزوقي ص ٢٥، ثمار القلوب ص ٢٦٧.

(٦) ربيع الأبرار ٤٢٠/٢، البصائر والذخائر، ١٥٢/٢، التذكرة الحمدونية ٣٦٥/٤.

عن القبيح[1].

وقيلَ لبعضهم: أيُّ إخوانِكَ أوجبُ حقًّا عليك؟ قال: الذي يسدُّ خلَلي، ويغفرُ زلَلي، ويقبلُ عِلَلي[2].

وقالَ لقمانُ لابنه: يا بنيَّ، جالسِ العلماء، فإنَّ القلوبَ الميتةَ تحيا بنورِ الحكمة، كما تحيا الأرضُ الميتةُ بوابلِ المطر[3].

وقال: يا بني، حسنُ النِّيَّةِ من العبادة، وحسنُ الجلسةِ من الرئاسة، وحسنُ الاستماعِ من العلم، وحسنُ الخُلق من الكرم، وسوءُ الخلقِ من اللُّؤم[4].

وقال: يا بني، ثلاثةُ أشياءَ لا يجترئُ عليها إلَّا أهوج، ولا يسلَمُ منها إلَّا القليل: صحبةُ السلطان، وائتمانُ النِّساءِ على الأسرار، وشربُ السمِّ للتجربة[5].

وقال: يا بني، اجهدْ أن يكونَ لك صديقٌ يكونُ صديقاً لعدوِّك؛ فإنَّه يكسرُ شرَّهُ عنك، ويعطفُ بقلبهِ عليك، واعلمْ أنَّ رؤيةَ [٢٤٩/ب] الصالحين، ومصاحبةَ الأخيارِ تنفعُكَ في دينك، وتعينُكَ على نفسك، وتصلحُ قلبك.

---

(١) محاضرات الأدباء ١/١٩٨. والخلق السجيح: اللين السهل. وقد أورده السرقسطي في الدلائل في غريب الحديث ٣/١١٠٤ وقال: السجح: لين الخدّ.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١٦/١٠٨، بغية الطلب ٧/٣٠٥٣.

(٣) الترغيب والترهيب للمنذري ١/١١٢، حسن التنبه ٤/١٠، الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/١٢٠.

(٤) الزاهر في بيان ما يجتنب من الخبائث ص ٢٨٧.

(٥) كليلة ودمنة ص ١٠١ (قالت العلماء).

ورويَ أنَّ هرم بنَ حيَّان[١] ـ وهذا من[٢] أحدِ الزُّهَّادِ الثمانية ـ قال: دخلتُ الكوفةَ أطلبُ أويسًا[٣] القرنيَّ سنة، فلم أجده، فأُلقيَ في رُوعي شاطئُ الفرات، فأتيتهُ نصفَ النَّهار، فوجدتهُ جالساً يغسلُ ثوباً له، وإذا رجلٌ آدمُ، طُوَال، أشعر، محلوقُ الرأس، كبيرُ اللحية، عليه إزارُ صوف، ورداءُ صوف، بغير حذاء، كريهُ الوجه[٤]، مهيبُ المنظر، فعرفتهُ بنعته، فسلَّمتُ عليه، فردَّ عليَّ، ومددتُ يدي لأصافحَهُ فأبىٰ، فخنقتني العبرةُ من رحمتي له؛ لما رأيتُ من حاله، وقلت: حيَّاكَ الله يا أويسًا القرنيَّ بالسَّلام، فقال: وأنت حيَّاكَ الله يا هرم بنَ حيَّان بالسلام، يا أخي من دلَّكَ عليَّ؟ قلت: الله جلَّ وعزَّ، فقال: ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا﴾ [الإسراء: ١٠٨]، فعجبتُ كيف عرفني باسمي واسمِ أبي، فقلت: والله ما عرفتُكَ قط، فقال: عرفتْ روحي روحَكَ حين كلَّمتْ نفسي نفسَك، إنَّ الأرواحَ لها أنفسٌ كأنفسِ الأجساد، وإنَّ الله خلقَ الأرواحَ قبل الأجسادِ بألفي سنة، «**فما تعارفَ منها ائتلَف، وما تناكرَ منها اختَلف**»[٥]، المؤمنون يعرفُ بعضُهم بعضاً، ويتناجون بروحِ الله، وإن لم يلتقوا، ويتعارفون وإن نأتْ بهم الدار، وتفرَّقتْ بينهم المنازل.

قلت: يا أخي، رحمكَ الله، حدِّثني عن رسولِ الله ﷺ [٢٥٠/أ] حديثاً

---

(١) هرم بن حيان العبدي الأزدي، من بني عبد القيس، قائد فاتح، من كبار النسّاك من التابعين، من سكان البصرة، أحد الزهاد الثمانية، أمير بني عبد القيس في الفتوح، ت بعد ٢٦ هـ. حلية الأولياء ٢/١١٩، الأعلام ٩/٧٦.

(٢) هذه الكلمة (من) مقحمة، لا لزوم لها.

(٣) في الأصل: أويس، هنا وفيما يأتي.

(٤) وهكذا ورد في أكثر من مصدر، وفي المستدرك: كث اللحية... كبير الوجه.

(٥) حديث صحيح من رواية أبي هريرة. صحيح مسلم (٢٦٣٨).

أحفظهُ عنك، قال: إنِّي لم أدركهُ ﷺ، ولم يكنْ لي به صحبة، وقد رأيتُ رجالاً، وبلغني من حديثهِ مثلَ الذي بلغك، ولستُ أفتحُ علىٰ نفسي هذا الباب، أن أكونَ قاضياً أو قاصًّا، لي في نفسي شغل.

قلت: يا أخي، اقرأْ عليَّ آياتٍ من القرآن، فإنِّي أحبُّ أن أسمعَها منك، وادعُ لي بدعاء، وأوصني بوصيَّةٍ أحفظُها عنك. فقامَ علىٰ شاطئِ الفراتِ وقال: أعوذُ بالله السَّميعِ العليمِ من الشَّيطانِ الرَّجيم، بسمِ الله الرَّحمن الرَّحيم. فشهقَ شهقةً فسقط، ثمَّ أفاق، ثمَّ قرأ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ۝٣٨ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨ - ٣٩] حتَّىٰ بلغ: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾(١) [الدخان: ٤٢].

ثمَّ شهقَ شهقةً فغُشِيَ عليه، ثمَّ أفاقَ وقال: يا هرم بنَ حيَّان، ماتَ أبونا آدم، وماتتْ أمُّنا حوَّاء، وماتَ نوحٌ أطولُ المرسَلين عمراً، وأحسنُهم عملاً، وماتَ إبراهيمُ خليلُ الرَّحمن، وماتَ داودُ خليفته، وماتَ موسىٰ بنُ عمران نجيُّ الرَّحمن، ورُفعَ عيسىٰ، وماتَ محمَّدٌ حبيبهُ ﷺ، وماتَ أبو بكر خليفةُ المسلمين، وماتَ عمر، واعمراه! كان عمرُ حِصناً للإسلام، يدخلُ فيه ثمَّ لا يخرجُ منه، فلمَّا قُتِلَ عمرُ انثلمَ الحصن، فالإسلامُ يُخرَجُ منه فلا يعودُ فيه أبداً، وماتَ أبوكَ حيَّان، لا يدري أين يُنطلَقُ به، إلىٰ جنَّةٍ أم إلىٰ نار، وأنا وأنت غداً في الموتَىٰ.

ثمَّ صلَّىٰ علىٰ النَّبيِّ ﷺ [٢٥٠/ب]، ثمَّ دعا بدعوات، ثمَّ قال: هذه وصيَّتي

(١) والآيتان الباقيتان هما: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٠ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

إيَّاكَ يا هرم بنَ حيَّان، كتابُ الله، وصلاتهُ على النَّبيِّ ﷺ وعلى الصَّالحين من المؤمنين، الوحَى الوحَى[1]، والنَّجا النَّجا، شمِّرْ شمِّرْ لطلبِ الآخرة، بجهدِكَ تنجو من شرِّ يومٍ عسير، انعَ نفسكَ عند صباحِكَ وعند مسائك، وعليكَ بذكرِ الموت، فلا يفارقْ قلبكَ طرفةَ عينٍ أبداً، وأنذرْ قومكَ إذا رجعت إليهم، واكدحْ لنفسك[2]، وإيَّاكَ ومفارقةَ جماعةِ المسلمين فتفارقَ دينك.

يا هرم بنَ حيَّان، استحي من الله ﷻ في سرِّكَ كما تستحيي في علانيتك، واحذرْ دعوةَ المظلوم، وكنْ في الدنيا بمنزلةِ الضيف، لا تأخذْ منها ما عُرِضَ عليك، ولكن خذْ منها زاداً لآخرتك، فإنَّ العملَ اليومَ والجزاءَ غداً.

ثمَّ قال: اللَّهمَّ إنَّ هذا هرم يزعمُ أنَّه أحبَّني فيك، وزارني من أجلك، اللَّهمَّ عرِّفني وجهَهُ في الجنَّة، وأدخلني وإيَّاهُ في دارِكَ دارِ السَّلام، واجعلهُ ما دامَ حيًّا في جوارك، وضمَّ عليه ضيعته، ورضِّهِ في الدنيا باليسير، وما أعطيتَهُ في الدنيا فيسِّرهُ له في خيرٍ وعافية، واجعلهُ لنعمتِكَ من الشاكرين.

ثمَّ قال: أستودعُكَ الله يا أخي، وأقرأُ عليكَ السَّلامَ ورحمةَ الله وبركاته.

ثمَّ قال: لا تطلبني بعد اليومِ رحمكَ الله، فإنِّي أكرَهُ الشهرة، والوحدةُ أحبُّ إليَّ، واعلمْ أنَّك منِّي على بالٍ ولو لم أركَ ولم ترني، فادع[3]، انطلقْ

(١) أي: السرعة السرعة. النهاية في غريب الحديث ٥/١٦٣، وفي المعجم الوسيط: البِدار البِدار.

(٢) في الأصل «ولا تخرج لنفسك» بدون نقط، والمثبت من المستدرك والحلية.

(٣) هكذا وردت الكلمة وحدها، وفي المستدرك: فاذكرني وادع لي، فإني سأذكرك وأدعو لك إن شاء الله تعالى.

أنت هاهنا حتَّىٰ أنطلقَ أنا هنا.

فكم حرصتُ عليه [٢٥١/أ] أن أمشيَ معه ساعةً فأبَىٰ عليَّ، ففارقتهُ يبكي وأبكي.

فكم طلبتهُ بعد ذلك فما وجدتُ له أثراً، ولا أخبرني أحدٌ عنه خبراً، وما يمرُّ بي جمعةٌ إلَّا وأراهُ في منامي مرَّةً أو مرَّتين(١).

وقالَ أحمد بنُ عبدالله القومسي: رأيتُ عابداً يبكي، فقيلَ له: ما يبكيك؟ فقال: أبكتني هفواتُ الخلوة، وفتراتُ الغفلة، وراحةٌ كدتُ أجدُ لذَّتها لا أدري علىٰ ما(٢) أنا فيها.

وروىٰ أيضاً قال: كنتُ بجبلِ لبنان، فمررتُ بشجرٍ ملتفٍّ، وإذا الماءُ يخرقُ منه، فدعتني نفسي إلىٰ دخوله، فملتُ إليه، فإذا بحسٍّ دخلتني منه فزعةٌ شديدة، فهجمت، فإذا أنا برجلٍ عليه رقاع، قد رمَىٰ نفسَهُ في وَعْلٍ(٣) كان في ذلك الشجر، فسلَّمتُ عليه وقلت: والله يا عبدَ الله ما جئتُ متنزِّهاً ولا متلذِّذاً، ولا جئتُ إلَّا طالباً لهذا الأمر، مريداً له، فلعلَّ الله أن يخلِّصني من حبِّ الدنيا.

فكأنَّه رقَّ ورحمني، فقال: أبشر، فإنَّك قد حللتَ في جوارِ قومٍ أخيار،

(١) المستدرك للحاكم (٥٨٤٣)، تاريخ مدينة دمشق ٤٢٧/٩، حلية الأولياء ٨٤/٢، سير أعلام النبلاء ٢٨/٤ وقال: أوردها أبو نعيم في الحلية ولم تصح وفيها ما ينكر. اهـ. وبعض العبارات مختصرة في الأصل، مع اختلاف كلمات.

(٢) لعلها: علامَ.

(٣) الوعل: الملجأ.

أقوامٍ قد خرجوا من رقِّ الغفلة، واستراحوا من وثاقِ الفترة، وأنسوا بيقينِ المعرفة، قلوبُهم والهة، وعقولُهم ساهيةٌ غمًّاً، أن يطرقَهم من الموتِ علىٰ تقصيرهم وما لا يجدون من أحوالهم[1]، وربَّما ذكروا العرضَ علىٰ خالقِهم، والوقوفَ بين يديهِ بأعمالهم، فتكادُ أرواحُهم أن تُطفأَ وما يلزمُهم من إجابةِ المسألة، فمن أين لهم قلوبٌ تناجيهِ في ليلهم ونهارهم، مع دموعِهم السائلةِ علىٰ خدودهم، [٢٥١/ب] والأحزانِ الخارجةِ منها، وزفراتٍ ما تريحهم، وحسراتِ ما علىٰ صدورهم[2]، أسفاً علىٰ ما فاتَ من أيَّامهم، وفَرَقاً أن يفوتَهم[3] ما أمَّلوهُ من محبوبهم، وما لا يعلم من حالهم أكثر.

ثمَّ غابَ عنِّي ولم أرَ أحداً، فانصرفتُ منكسرَ القلب، ضعيفَ البدن.

ورأىٰ رجلٌ أبا سليمان الدَّاريَّ يبكي[4]، فقال له: ما يبكيك؟ فقال: رأيتُ رجلاً علىٰ بعضِ جبالِ بيتِ المقدسِ يقولُ في سجوده: إليكَ حنَّت قلوبُ العارفين، وعظمتْ رهبةُ الخائفين، وبكَ استجارتْ أفئدةُ المقصِّرين، يا وليَّ المؤمنين، وأملَ الراجين، وراحمَ العاصين، ارحمْ عبدكَ عند بعثرةِ القبور، وكشفِ الأمور، وهتكِ الستور، ودهشةِ المذنبين.

فسلَّمتُ عليه فقال: إنسيٌّ أو جنِّي؟ قلت: إنسيٌّ مغرور، هربَ بذنوبهِ إلىٰ ربِّه، يسألُهُ التوبةَ منها، والعصمةَ من عودهِ إليها، فقلت: تقولُ هذا وأنت

---

(١) لعل الأضبط للسياق: أن يطرقَهم الموتُ علىٰ تقصيرهم وما يجدون من أحوالهم.

(٢) لعل صحيح العبارة هكذا: وحسراتٍ تملأُ صدورَهم.

(٣) في الأصل «يفتوهم»، والمثبت من قبل المحقق.

(٤) أبو سليمان عبدالرحمن بن عطية الداراني، من داريّا قرب دمشق، عابد زاهد مشهور، ت ٢٠٥ هـ. صفة الصفوة ٤/٢٢٣.

أنت ؟! فكيف يعملُ أولاتُ الذنوبِ والعيوب ؟ قال: إليكَ يا هذا ، فما رأينا أنقذَ للغرقَىٰ من الدعاء ، ولا أبلغَ في صلاحِ قلوبهم من تجافي حبِّ الدنيا. واعلمْ أنَّ قولَ المرءِ: «اليومَ» إلىٰ: «غداً»(١) ، داءٌ ليس له دواء ، فبادرِ التفريطَ بالتنبُّه ، وكابدِ التسويفَ بالعزم ؛ فإنَّما أنتم في أوقاتٍ مجموعة ، كلَّما انقضَىٰ وقتٌ نقصَ بعضٌ من بعض.

فقلت: ما أوحشكَ من الخليقة ؟ قال: أُنسُهم بالمعصية ، ونفورُهم من الطاعة ، وركضُهم في ميدانِ الغفلة ، فمتىٰ يستفيقُ مَن هذا [٢٥٢/أ] صفته ؟ إنَّ من أنصحِ النُّصحاءِ لكَ من أمركَ بالدَّلَجة(٢) ، وبصَّركَ الحجَّة ، ولم يزيِّنِ التسويفَ ، واليومَ وغداً(٣) ، وحتَّىٰ وعسىٰ.

قلت: فمتىٰ تخلصُ محبَّةُ الله ﷻ لعبد ؟ قال: كذبَ والله من ادَّعَىٰ محبَّتَهُ وأحبَّ معه غيرَه ، ومن علامةِ ذلك تركُ ما يشغلهُ عنه ، ورؤيتهُ له حيثُ ما نهاه. وأنشأَ يقول:

تعصي الإلهَ وأنت تظهرُ حبَّهُ ... هذا لعمرُكَ في الفَعالِ بديعُ(٤)
لو كان حبُّكَ صادقاً لأطعتَهُ ... إنَّ المحبَّ لمن أحبَّ مطيعُ(٥)

---

(١) المقصود التسويف في التوبة والعمل الصالح ، وتأجيلهما من اليوم إلىٰ غد.

(٢) ضبط الكلمة من قبل المحقق ، والدَّلَجة بالتحريك: الساعة من آخر الليل ، والدُّلْجة بالضم: السير بالليل ، كما في لسان العرب وغيره ، مادة دلج. ويكون قصد المؤلف قيام الليل.

(٣) في الأصل: واليوم غداً.

(٤) في الأصل «قبيح» ، والصحيح ما أثبت ، كما في ديوان قائله عبدالله بن المبارك ، وحرف الروي في القطعة هو العين لا الحاء.

(٥) البيتان في ديوان عبدالله بن المبارك ص ٣٧ ، لباب الآداب ١/٤٥٠ وزهر الآداب ١/١٣٩ لشاعر الزهد والحكمة محمود الوراق ، المحاسن والأضداد ص ١٦٥ لذي الرمة ، مع=




وقالَ أحمد بن أبي الحواري[1]: سمعتُ رجلاً في بلادِ الشَّام يقول: مررتُ بموضعٍ خالٍ في بعضِ الجبال، فاستوحشتُ لذلك، فسمعتُ قائلاً يقول: لا خوفَ عليك، هذه أوطانُ الصَّالحين، وبقاعُ العابدين، فلو رأيتهم في مقاماتٍ مختلفة، كلٌّ يعملُ بما فُتِحَ له من رهبةٍ، أو رجاءٍ ومراقبة، فالرهبةُ تملأ قلوبهم، وتلفُّ أبدانهم، والراغبون منهم من قدَّمَ القلبَ أمامه، وأتبعَهُ بالعمل، فخفَّ عليه ثقلُ الليل، فما يؤلمهُ ولا يجزعُ منه، وأهلُ الحياءِ والمراقبةِ الذين انكسرتْ أبصارُهم عن النظرِ إلىٰ سمائهِ وكادتْ تذهبُ في أرضه، قد وهَىٰ[2] نشاطُهم وقوَّةُ أبدانهم، وخرستْ ألسنتُهم، وضلَّتْ عن الحجَّةِ عقولُهم.

ثمَّ قال: لا تُسقطني من عينك، ولا تعاقبني بإعراضِكَ عنِّي، وأعفني من سخطك، وأنزلني مُنزَلَ الأحرارِ عندك، فما يُعتِقُ [٢٥٢/ب] رقبتي غيرُك.

قالَ أبو عبدالرحمن: رأيتُ شيخاً يطوفُ بالبيت، أعجبني ما رأيتُ منه، فحرَّكتهُ وسألتهُ عن حاله، فذكرَ أنَّ أوَّلَ أمرهِ كان نهايةَ التخليط، وأنَّه رأىٰ تكديرَ الصافي وكثرةَ الهمّ، فأقبلَ علىٰ التَّديُّنِ والعلمِ وصحبةِ الأخيار؛ فذكرَ تبصرةَ الفكرةِ، وخوفَ الوعيد، وروحَ الرجاء، ودعةَ القناعة، وطهارةَ التوبة، وسلامةَ الصَّمت، وعزَّةَ الصَّبر، وأدبَ العلم، وحزنَ التقصير، وحذرَ الفَوت،

= اختلاف ألفاظ.

(١) أحمد بن عبدالله بن ميمون بن أبي الحواري الدمشقي، الزاهد الكبير، من كبار المحدِّثين والصوفية، وأجلِّ أصحاب أبي سليمان الداراني، ت ٢٤٦ هـ. العبر للذهبي ١/٣٥١.

(٢) في الأصل: وهت (بدون نقط).

قال: وأجلُّ من هذا نورُ الحكمة، وسكونُ اليقين، وغنَىٰ الرضا[1]، وعزَّ التوكُّل، وحرمةَ المعرفة، وتنعُّمَ المحبَّة، وفائدةَ الصدق، وأخلاقَ التواضع، وكرمَ النصيحة، وحياءَ المراقبة، وبشارةَ الرُّؤيا، والعلمَ بمكائدِ الشيطان، وسرعةَ التفهُّم، وحسنَ الظَّنِّ، والإخلاص، والأُنسَ بالعزلة، وتوقُّعَ الموت، وقطعَ طولِ الأمل. ثمَّ بكىٰ وسكت.

فَصْلٌ
في فضل مشاورة الإخوان

قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قالَ الحسن: أمرَهُ بمشاورتهم[2] ليستنَّ به المسلمون، وإن كان عن مشاورتهم غنيًّا[3].

ويحتملُ أن يكونَ الصلاحُ في المشاورة، حيثُ كان في أمرِ الحروبِ مجتهداً.

وفيه أيضاً تطييبٌ لقلوبهم، وانشراحٌ لصدورهم.

وقد كانوا في صلحِ الحديبيةِ كارهين، حتَّىٰ بانَ لهم ما كان فيه من المصلحة، حتَّىٰ قالَ عمر رضي الله عنه: [٢٥٣/أ] إنَّه كان من أعظمِ الفتوح[4]، فإنَّ من

(١) أي أنه أصبح غنيًّا حين رضي.

(٢) أمر الله تعالىٰ نبيه محمداً ﷺ بمشاورة الصحابة.

(٣) تفسير البغوي ١/٥٢٦.

(٤) القول بأن صلح الحديبية أعظم الفتح وجدته حديثًا مرفوعًا، كما رواه البيهقي عن عروة،=




كان يُسِرُّ بإسلامهِ بمكةَ أمكنَهُ الهجرة.

وقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: **«المشاورةُ حصنٌ من النَّدامة، وأمانٌ من الملامة»**[1].

وقالَ عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: نعمَ المؤازرةُ المشاورة، وبئسَ الاستعدادُ الاستبدادُ[2].

وقالَ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: الرِّجالُ ثلاثة: رجلٌ تَرِدُ عليه الأمورُ فيُصدِرُها برأيه، ورجلٌ يشاورُ فيما أشكلَ عليه ويُنزلُها حيثُ يأمرهُ أهلُ الرَّأي، ورجلٌ حائرٌ بائرٌ لا يأتي رُشداً ولا يطيعُ مرشداً[3].

وقالَ عمر بنُ عبدالعزيز: المشاورةُ والمناظرةُ بابا رحمة، ومفتاحا بركة، لا يضلُّ معهما رأي، ولا يُفقَدُ معهما حزم[4].

وقالَ عبدالحميد[5]: المشاورُ في رأيهِ ناظرٌ من ورائه[6].

وقالَ بعضُ الحكماء: المشورةُ راحةٌ لك، وتعبٌ على غيرك[7].

= دلائل النبوة ٤/١٦٠، ومن قول الزهري، تفسير القرطبي ١٦/٢٦١.

(١) وجدته بدون إسناد في محاضرات الأدباء ١/٤٣، نثر الدر ١/١٣٢، وبلفظ «المشورة» في أدب الدنيا والدين ص ٣٠٠، غرر الخصائص ص ١٢٢.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٣٠٠، نهاية الأرب ٦/٦٩، نثر الدر ١/١٩٨.

(٣) أدب الدنيا والدين ص ٣٠٠، وفيه: «فيسددها بأمره»، و «حائر بأمره». والبائر: الكاسد، والهالك.

(٤) أدب الدنيا والدين ص ٣٠٠، العقد الفريد ١/١٦٣.

(٥) عبدالحميد الكاتب، الأديب البليغ المترسل المشهور، ت ١٣٢ هـ.

(٦) أدب الدنيا والدين ص ٣٠٠.

(٧) التمثيل والمحاضرة ص ٤١٨، نثر الدر ٣/١٠٩، التذكرة الحمدونية ٣/٣٠٦. من قول=

وقالُ بعضُهم: الاستشارةُ عينُ الهداية، وقد خاطرَ من استغنَىٰ برأيه(١).

وقالَ بعضُهم: ما حارَ من استخار، ولا ندمَ من استشار(٢).

وقالَ بعضُهم: احذرْ مشاورةَ الجاهلِ وإن كان ناصحاً، كما تحذرُ عداوةَ العاقل(٣).

وقال: إيَّاكَ ومشاورةَ رجلين: شابٌّ يعجبُ بنفسه، قليلُ التجاربِ [في غيره]، وكبيرٌ قد أخذَ الدَّهرُ من عقلهِ كما أخذَ الدهرُ من جسمه(٤).

وقيل: كلُّ شيءٍ يحتاجُ إلىٰ العقل، والعقلُ يحتاجُ إلىٰ التجارب(٥) [٢٥٣/ب].

وقالَ أبو الأسود الدؤلي:

وما كلُّ ذي نُصحٍ بمؤتيكَ نصحَهُ ... ولا كلُّ مؤتٍ نصحَهُ بلبيبِ

= عبدالله بن المعتز.

(١) أدب الدنيا والدين ص ٣٠٠، المجتنىٰ ص ٣١، لعلي بن أبي طالب.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٣٠٠، الإمتاع والمؤانسة ص ٢٥٨، نثر الدر ١/١٢٦ (من قول عليّ)، وفيها جميعًا: ما خاب من استخار. وبلفظ المؤلف في المجتنىٰ ص ٣١، ٤٠. ويرد في مصادر حديثًا بلفظ «ما خابَ من استخار، ولا ندمَ من استَشار»، ولكنه لا يصح، وقال الألباني إنه موضوع. السلسلة الضعيفة (٦١١).

(٣) أدب الدنيا والدين ص ٣٠١، التذكرة الحمدونية ٣/٣١٦، من جملة وصايا عبدالله بن الحسن بن الحسن لولده.

(٤) أدب الدنيا والدين ص ٣٠١، وما بين المعقوفتين منه، زهر الأكم ٣/٣٠.

(٥) أدب الدنيا والدين ص ٣٠١، ربيع الأبرار ٣/٤٤٣، البصائر والذخائر ٤/٩٧ (لفيلسوف)، الشكوىٰ والعتاب ص ١٩٤، نثر الدر ٤/١٣٠.




ولكنْ إذا ما استجمعا عند صاحبٍ　　فحُـقَّ لـه مـن طاعـةٍ بنصـيبِ[1]

ويحتاجُ المشاورُ إلىٰ أن يكونَ فيه خمسُ خصال: العقل، والتجارب، والتُّقىٰ، وأن يكونَ سليمَ الفكرِ من همٍّ قاطع، أو غمٍّ شاغل، وألّا يكونَ له من الأمرِ المستشارِ به فيه[2] غرضٌ يتابعه، ولا هوًىٰ يساعده[3].

فأمَّا ما قيلَ في النِّساء: شاوروهم وخالفوهم، فإنَّ قوماً يعتقدون أنَّ معناه: أنَّه يجبُ أن يشاوَروا ويُخالَفوا، وليس كذلك، وإنَّما معنىٰ ذلك أنَّه إذا خالفَ رأيُهنَّ رأيكَ فاعملْ برأيكَ ودعْ رأيهنّ. وليس هذا حكمَ المستشار، فإنَّ المستشيرَ يدَعُ رأيَهُ لرأي من استشارَهُ إلَّا النِّساء، فإنَّ رأيهنَّ قد يضعفُ بحسبِ ضعفهنَّ، وكثرةِ ميلهنَّ وهواهنّ[4].

فَصْلٌ
في حفظ السِّرِّ



رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**استعينوا علىٰ الحاجاتِ بالكتمان، فإنَّ كلَّ ذي نعمةٍ محسود**»[5].

---

(١) ديوان أبي الأسود ص ٤٥، أدب الدنيا والدين ص ٣٠١، نهاية الأرب ٦/٧٨.

(٢) في أدب الدنيا والدين: أن لا يكون له في الأمر المستشار غرض...

(٣) تناول الماوردي هذه الخصال في كتابه أدب الدنيا والدين ص ٣٠٩ ـ ٣١١.

(٤) جاء خطاب المرأة بضمير المذكر (م) في هذه الفقرة كلها، وقد غيرتها إلىٰ نون النسوة.

(٥) لفظه من كتاب أدب الدنيا والدين ص ٣٠٦، وبلفظ «طلب حوائجكم» و «طلب الحوائج» و «إنجاح الحوائج» في مصادر أخرىٰ، مثل حلية الأولياء ٥/٢١٥، ٦/٩٦، شعب الإيمان (٦٢٢٨)، المعجم الكبير للطبراني (١٨٣)، والصغير (١٨٨٦). قال الحافظ الهيثمي:=




وقالَ عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: سرُّك أسيرُك، فإذا تكلَّمتَ به صرتَ أسيرَه[(١)].

وقالَ بعضُ الحكماءِ لابنه: يا بنيَّ، كنْ جواداً بالمالِ في موضعِ الحقِّ، ضنيناً بالأسرارِ عن جميعِ الخلق، فإنَّ أحمدَ جودِ المرءِ الإنفاقُ [٢٠٤/أ] في وجهِ البرِّ، والبخلُ بمكتومِ السِّرِّ[(٢)].

وقالَ بعضُ الحكماءِ: من كتمَ سرَّهُ كان الخيارُ إليه، ومن أذاعَهُ كان الخيارُ عليه[(٣)].

وقالَ بعضهم: ما أسرَّكَ ما كتمتَ سرَّك[(٤)].

وقالَ بعضُ الشعراء:

ألـم تـرَ أنَّ وشـاةَ الرِّجـا ... لِ لا يـدعون أديمـاً صـحيحا
فـلا تُفـشِ سـرَّكَ إلَّا إليـكَ ... فـإنَّ لكـلِّ نصـيحِ نصـيحا[(٥)]

= رواه الطبراني في الثلاثة، وفيه سعيد بن سلام العطار، قال العجلي: لا بأس به، وكذبه أحمد وغيره، وبقية رجاله ثقات، إلا أن خالد بن معدان لم يسمع من معاذ. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٩٥/٨. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ١٦٥/٢، ١٦٦ وذكر أن المتهم به سعيد بن سلام، وحسين بن علوان. والألباني خرّج طرقه ورواياته في الصحيحة (١٤٥٣) والضعيفة (٦٩٤٤).

(١) لباب الآداب ٢٣٩/١، أدب الدنيا والدين ص ٣٠٦.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٣٠٦، التذكرة الحمدونية ٣٣٤/٣، نثر الدر ٢٤٩/٦.

(٣) لباب الآداب ٢٣٩/١، أدب الدنيا والدين ص ٣٠٦.

(٤) لباب الآداب ٢٣٩/١، أدب الدنيا والدين ص ٣٠٦.

(٥) لأنس بن أُسيد: أدب الدنيا والدين ص ٣٠٧، ومنسوبًا للإمام علي: الدر الفريد للمستعصمي ١٦٥/٤، ديوان الصبابة ص ٣٧.




وإظهارُ سرِّ غيرِهِ أقبحُ من إظهارِ سرِّ نفسه ؛ لأنَّه لا يخلو من إحدىٰ[1] خصلتين: الخيانةِ إن كان مؤتمناً ، والنَّميمةِ إن كان مستودَعًا[2].

وقالَ الشاعر:

إذا المــرءُ أبــدَىٰ ســرَّهُ بلســانهِ ولامَ عليــه غيــرَه فهــو أحمــقُ
إذا ضاقَ صدرُ المرء عن سرِّ نفسهِ فصدرُ الذي يُستودَعُ السِّرَّ أضيقُ[3]

وقالَ بعضُ الحكماء: انفردْ بسرِّكَ ولا تودِعْهُ حازماً فيزلّ ، ولا جاهلاً فيخون[4].

وقالَ بعضُهم: سرُّكَ من دمِك ، فإذا تكلَّمتَ به فقد أرقته[5].

فإن كان سرُّه أمراً لا بدَّ له فيه من المشاورة ، فليفشهِ إلىٰ من يثقُ به ويختاره ، وليس كلُّ من أمنتَهُ علىٰ مالِكَ يكونُ أميناً علىٰ سرِّك ، فالعفَّةُ عن الأموالِ أيسرُ من العفَّةِ عن الأسرار[6].

---

(١) في الأصل: احد.
(٢) في الأصل: متبرعًا! والمثبت من مصدره أدب الدنيا والدين ص ٣٠٧ وأنه لأنوشروان ، أو أنه جاء مع كلام له.
(٣) أدب الدنيا والدين ص ٣٠٧ ، لباب الآداب ١/٢٤٠ ، غرر الخصائص ص ٢٣٥ ، الكامل في اللغة ٢/٢٣٠ (للعتبي).
(٤) أدب الدنيا والدين ص ٣٠٧ ، التمثيل والمحاضرة ص ٤٢٠ ، نهاية الأرب ٦/١٣٧ ، زهر الآداب ٤/١٠٥٤.
(٥) أدب الدنيا والدين ص ٣٠٧ ، وفي لباب الآداب ص ٢٧٣: سرّك من دمك ، فانظر عند من تجعله.
(٦) أدب الدنيا والدين ص ٣٠٧.

فَصْلٌ
في المزاح

من المزاحِ ما يزيحُ الحقَّ ويَخرجُ إلىٰ العقوق، يُهِمُّ المازحَ ويؤذي الممازَح، يُذهبُ الهيبةَ عن المازحِ والبهاء، ويُجري عليه الغوغاء، [٢٥٤/ب] والممازَحُ إن أمسكَ عنه تأذَّىٰ قلبه، وإن أجابَ عنه جانبَ أدبه[١].

وقيل: إنَّ المزاحَ استدراجٌ من الشيطان، واختداعٌ من الهوىٰ[٢].

وقالَ عمر بنُ عبدالعزيز: اتَّقوا المزاح؛ فإنَّها حَمْقةٌ تورثُ ضغينة[٣].

وقالَ إبراهيم[٤]: المزاحُ من سخفٍ أو بطَر[٥].

وقالَ بعضُ الحكماء: المزاحُ يأكلُ الهيبةَ كما تأكلُ النَّارُ الحطب[٦].

وقالَ خالد بنُ صفوان: المازحُ يصكُّ أحدُهما صاحبَهُ بأشدَّ من الجندل، ويُنشقهُ أحرقَ من الخردل، ويُفرغُ عليه أحرَّ من المرجل، ثمَّ يقول: إنَّما كنتُ

---

(١) أدب الدنيا والدين ص ٣٠٩.

(٢) أورده الماوردي في أدب الدنيا والدين ص ٣١٠ علىٰ أنه حديث، وكذا الزمخشري في ربيع الأبرار ٥/١١١، ومرعي الكرمي في غذاء الأرواح ص ٤٤. ولم أقف له علىٰ سند أو تخريج.

(٣) أدب الدنيا والدين ص ٣١٠، نهاية الأرب ٤/٧٣، غذاء الأرواح ص ٤٤.

(٤) إبراهيم بن يزيد النخعي. إمام فقيه، شاب قانت، عالم فقيه كبير القدر، عابد الكوفة. قتله الحجاج، أو مات في حبسه سنة ٩٢ هـ. سير أعلام النبلاء ٥/٦٠.

(٥) أدب الدنيا والدين ص ٣١٠، غذاء الأرواح ص ٤٥.

(٦) أدب الدنيا والدين ص ٣١٠، اللطائف والظرائف ص ١٥٢ (لابن المعتز)، التذكرة الحمدونية ١/٣٨٠ (للحسن بن علي)، غذاء الأرواح ص ٤٥.

مازحاً[1]!

وقالَ بعضُ الحكماء: خيرُ المزاحِ لا يُنال، وسرُّهُ لا يُقال[2].

ونظمَهُ بعضُ الشعراءِ[3] فقال:

شـرُّ مـزاحِ المـرءِ لا يُقـالُ ... وخيـرهُ يـا صـاحِ لا يُنـالُ
يحتـدُّ منـه الرجـلُ الشـريفُ ... ويجتـري بسُـخفهِ السَّـخيفُ
إنَّ المـزاحَ بـدؤهُ حـلاوهْ ... لكنَّمـا آخـرهُ عـداوهْ[4]

وقالَ أبو نواس:

خَـلِّ جَنبيـكَ لـرامِ ... وامـضِ عنـه بسـلامِ
مُـتْ بـداءِ الصَّـمتِ خيـرٌ ... لـكَ مـن داءِ الكـلامِ
إنَّمـا السَّـالمُ مَـن ألْـ ... ـجـمَ فـاهُ بلجـامِ
ربَّمـا اسـتفتحَ بـالمزْ ... حِ مغـاليقَ الحِمـامِ
والمنايـا آكـلاتٌ ... سـارياتٌ للأنـامِ[5]

[٢٥٥/أ] فإن كان المزاحُ لا يؤذي الممازَح، وإنَّما يؤنسهُ ويَسرُّه، لم يكنْ ذلك مذموماً. قالَ سعيد بنُ العاص لابنه: يا بنيَّ، اقتصدْ في مزاحك، فإنَّ

(١) أدب الدنيا والدين ص ٣١٠. وينشقه بمعنىٰ يُشِمُّه، والمرجل: القِدر من النحاس.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٣١٠، ربيع الأبرار ٥/١١٣، نهاية الأرب ٤/٧٢، نثر الدر ٤/١١٠.

(٣) نظمه النيسابوري في قصيدته الجامعة للآداب فقال وزاد. هكذا في مصدره (أدب الدنيا والدين).

(٤) أدب الدنيا والدين ص ٣١٠.

(٥) أدب الدنيا والدين ص ٣١٠. وفيه: شاربات، بدل ساريات.

الإفراطَ يُذهِبُ البهاء، ويجرِّئُ السُّفهاء، وإنَّ التقصيرَ منه يقصرُ[1] عنكَ المؤانسين، ويوحشُ منك المصاحِبين[2].

وقد قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**إنِّي أمزحُ ولا أقولُ إلَّا حقًّا**»[3]. وإنَّما كان مزاحهُ ﷺ يؤنَسُ به الممازَحَ ويَسرُّه.

ومن مزاحهِ ﷺ، أنَّ عجوزاً من الأنصارِ قالت: يا رسولَ الله، ادعُ لي بالمغفرة، فقال: «**أما علمتِ أنَّ الجنَّة لا يدخلُها العجائز**»؟! فصرخت، فتبسَّم النَّبيُّ ﷺ، فقالَ لها: «**أما قرأتِ كتابَ الله ﷻ وقوله: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾**»[4] [الواقعة: ٣٥ ـ ٣٧].

وأتتهُ أخرىٰ في حاجةٍ لزوجها، فقال: «**من زوجكِ**»؟ فقالت: فلان، فقال: «**الذي في عينهِ بياض**»؟، فرجعتْ إلىٰ زوجها فتأمَّلتْ عينيه، فقالَ لها: أما ترين بياضَ عيني أكثرَ من سوادها[5]؟!

---

(١) في المصدر: يفضُّ.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٣١١، غرر الخصائص ص ٢٣٨، محاضرات الأدباء ١/٣٤٦.

(٣) قال الحافظ الهيثمي في رواية ابن عمر: رواه الطبراني في الصغير وإسناده حسن. وقال بعده، في طريق أخرىٰ له: رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه من لم أعرفه. مجمع الزوائد ٨/٨٩. وقال في رواية أبي هريرة: رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن. مجمع الزوائد ٩/١٧. وصححه الألباني لابن عمر وأنس في صحيح الجامع (٢٤٩٤).

(٤) قال الحافظ ابن حجر في رواية الحسن البصري: مرسل، وله طرق أخرىٰ كلها ضعيفة. الكافي الشاف (٢٧٧).

(٥) أدب الدنيا والدين ص ٣١١. قال الحافظ العراقي: أخرجه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح ورواه ابن أبي الدنيا من حديث عبيدة بن سهم الفهري مع اختلاف. إحياء علوم الدين ٣/١٢٩.

وحكيَ أنَّ رجلاً جاءَ إلىٰ عليٍّ بنِ أبي طالب كرَّمَ الله وجهَهُ فقالَ له: احتلمتُ علىٰ أمِّي ، فقال: أقيموهُ في الشَّمسِ واضربوا ظلَّهُ الحدَّ(١)!

وقالَ رجلٌ لغلام: بكم تعملُ معي؟ قال: بطعامي ، فقال: أحسِنْ يا غلام ، فقال: أصومُ الاثنينَ والخميس(٢)!

وقد حكيَ أنَّ أبا هريرة كان مسترسلاً في المزاح [٢٥٥/ب]. حكىٰ ابنُ قتيبة أنَّ مروان كان يستخلفهُ في المدينة ، فيركبُ حماراً قد شدَّ عليه برذعة ، يسيرُ فيلقَىٰ الرجلَ فيقول: الطريق ، قد جاءَ الأمير!

وربَّما جاءَ إلىٰ الصبيانِ وهم يلعبون ، فلا يشعرون حتَّىٰ يلقيَ بنفسهِ بينهم ، ويضربُ برجليهِ فيفرُّون(٣)!

وكان صهيب بنُ سنان مزَّاحاً ، فقالَ له النَّبيُّ ﷺ: «**أتأكلُ تمراً وبكَ رمد**»؟ فقال: يا رسولَ الله ، إنَّما أمضغُ علىٰ النَّاحيةِ الأخرىٰ(٤).



---

(١) أدب الدنيا والدين ص ٣١١ ، فيض القدير للمناوي (٢٦٢٨).

(٢) نثر الدر ١٩٣/٣ ، أدب الدنيا والدين ص ٣١١.

(٣) عيون الأخبار ٤٣٤/١ ، أدب الدنيا والدين ص ٣١٢ ، نثر الدر ٧٣/٢ ، محاضرات الأدباء ٣٢٣/١.

(٤) سنن ابن ماجه (٣٤٤٣) وحسنه له الألباني ، المعجم الكبير للطبراني (٧٣٠٤) ، الطب النبوي لأبي نعيم (٢٧٥) ، أدب الدنيا والدين ص ٣١٢. قال ابن مفلح: حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره. الآداب الشرعية ٣٥٨/٢.

فَصْلٌ
في ذمِّ الضَّحك

روىٰ أبو إدريس الخولاني عن أبي ذرٍّ الغفاري، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إيَّاكَ وكثرةَ الضَّحك، فإنَّه يميتُ القلب، ويَذهبُ بنورِ الوجه**»(١).

وحكيَ عن ابن عبَّاس في قولهِ تعالىٰ: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: ٤٩] أنَّ الصغيرةَ التبسُّم(٢).

وقالَ عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: إذا ضحكَ العالِم ضحكةً مجَّ من العلمِ مجَّة(٣).

وقالَ بعضُ الحكماء: ضحكُ المؤمنِ غفلةٌ من قلبه(٤).

وأمَّا التبسُّمُ للإيناس، وطيبةِ قلبِ الأصحاب، فهو محمود، وقد كان ﷺ يتبسَّم(٥).

---

(١) من حديث طويل: حلية الأولياء ١/١٦٨، شعب الإيمان (٤٥٩٢)، صحيح ابن حبان (٣٦١) قال محققه الشيخ شعيب: إسناده ضعيف جدًّا، وكذا قال في ضعيف الجامع (٢١٢٢). وآخره في الأصل: «بنور الحكمة»، والمثبت من المصادر، حتىٰ من المصدر الذي ينقل منه المؤلف، وهو أدب الدنيا والدين ص ٣١٣.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٣١٣ وفيه «الضحك» بدل التبسم. وفي الدر المنثور ٥/٤٠١: الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمنين، والكبيرة القهقهة بذلك.

(٣) عيون الأخبار ١/٤٣٩، أدب الدنيا والدين ص ٣١٣.

(٤) أدب الدنيا والدين ص ٣١٣، ربيع الأبرار ٥/١١١ (للحسن البصري).

(٥) عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت النبي ﷺ مستجمعًا قط ضاحكًا حتىٰ أرىٰ منه لهواته، إنما كان يتبسم. صحيح البخاري (٦٠٩٢).

وقالَ ﷺ: «إنَّ الله تعالىٰ يبغضُ الضحَّاكين من غيرِ عَجب»[١].

فَصْلٌ
في المروءة

المروءةُ حليةُ النفوس، وزينةُ الهمم.

والمروءةُ مراعاةُ أحوالهِ أن يكونَ علىٰ أفضلها، فلا يَظهرُ منه قبيحٌ عن قصد، ولا يتوجَّهُ [٢٥٦/أ] إليه ذمٌّ باستحقاق[٢].

وقيل: من عاملَ النَّاسَ فلم يظلمهم، وصدقهم[٣] فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممَّن كملتْ مروءته، وظهرتْ عدالته، ووجبتْ أخوَّته[٤].

وقالَ بعضُ البلغاء: من شرائطِ المروءةِ أن يتعفَّفَ عن الحرام، ولا يستطيلَ علىٰ من لا يَسترِقّ، ولا يعينَ قويًّا علىٰ ضعيف، ولا يؤثِرَ دنيئاً علىٰ شريف، ولا يُسِرَّ ما يُعقب[٥] الوزرَ والإثم، ولا يفعلُ ما يقبحُ الذكرَ والاسم[٦].

(١) حسن التنبه ٥٠٧/١٠، حلية الأولياء ٣٦٧/٥، ٢٦/٦، وورد في المواضع الثلاثة بلفظ «يبغض الضحاك» وأنه من قول كعب. وفي المصدر الأول ذكر مصدره الزهد لأحمد، ولم أجده فيه. وهو جزء من كلام.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٣١٧ من كلام الماوردي. المروءة لابن المرزبان نقلاً من الماوردي ص ١٢٥.

(٣) في مصدره: وحدَّثهم.

(٤) أدب الدنيا والدين ص ٣١٧ من كلام الماوردي.

(٥) في المصدر: ما يعقبه. يعني: لا يخفي ويكتم ما يعقب أو يعقبه الوزر والإثم.

(٦) أدب الدنيا والدين ص ٣١٧ مختصرًا. للماوردي.

وسُئِلَ بعضُ الحكماءِ عن الفصلِ بين العقلِ والمروءة، فقال: العقلُ يأمُرُكَ بالأنفع، والمروءةُ تأمُرُكَ بالأجمل[1].

ورويَ عن عمر رضي الله عنه أنَّه قال: لا تصغِّروا هممَكم، فإنِّي لم أرَ أبعدَ عن المكرماتِ مِن صِغَرِ الهمم[2].

وقالَ بعضُ الحكماء: الهمَّةُ رائدُ الجدِّ[3].

وقالَ بعضُ البلغاء: من تركَ التماسَ المعالي لسوءِ الرجاءِ لم ينلْ جسيماً[4].

وقالَ بعضُ الحكماء: تجنَّبوا المنىٰ، فإنَّها تذهبُ ببهجةِ ما خُوِّلتُم، وتستصغرون نعمةَ الله عندكم[5].

وقالَ بعضُ الحكماء: المنىٰ من بضائعِ النوكىٰ[6].

وسألَ معاويةُ عمرَ[7] رضي الله عنهما عن المروءةِ فقال: تقوىٰ الله، وصلةُ الرَّحم.

وسألَ المغيرةَ فقال: هي العفَّةُ عمَّا حرَّمَ الله، والحِرفةُ فيما أحلَّ الله.

---

(١) أدب الدنيا والدين ص ٣١٨، نثر الدر ١/١٩٤، ٤/١١١.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٣١٩.

(٣) أدب الدنيا والدين ص ٣١٩ وفيه: راية الجد.

(٤) أدب الدنيا والدين ص ٣١٩: وفيه: بسوء الرجاء، التذكرة الحمدونية ١/٢٧٥ (لموسىٰ بن جعفر).

(٥) أدب الدنيا والدين ص ٣١٩، المجتنىٰ ص ٣٧، محاضرات الأدباء ١/٥٣٣ (لعلي بن أبي طالب)، التذكرة الحمدونية ١/٣٨٥.

(٦) أدب الدنيا والدين ص ٣٢٠: والنوكىٰ: الحمقىٰ.

(٧) في المروءة لابن المرزبان: عمرًا. وهو الصحيح، ويعني عمرو بن العاص.

وسألَ يزيدَ[1] عن المروءةِ فقال: هي الصَّبرُ على البلوى، والشُّكرُ على النُّعمى، والعفوُ عند القدرة، فقالَ له: أنت منِّي حقًّا[2].

وقالَ أنوشروان لابنهِ هرمز: [٢٥٦/ب] من الكاملُ المروءة؟ قال: من حصَّنَ دينه، ووصلَ رحِمه، وأكرمَ إخوانه[3].

وقالَ بعضُ الحكماء: من أحبَّ المكارمَ اجتنبَ المحارم، وملاكُ ذلك إمساكُ الطَّرف، وكفُّ الشَّهوة[4].

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ لعليٍّ رضوانُ الله عليه: **«يا عليّ، لا تُتبعِ النَّظرةَ النَّظرة، فإنَّ الأوَّلةَ لك، والثَّانيةَ عليك»**[5].

وقالَ عليٌّ رضي الله عنه: العيونُ مصايدُ الشَّيطان[6].

وقالَ بعضُ الحكماء: من أرسلَ طرفه، استدعى حتفه[7].

وقالَ بعضُ الشعراء:

---

(١) أي: سأل معاوية ابنه يزيد.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٣٢١، المروءة لابن المرزبان ص ٢٧.

(٣) أدب الدنيا والدين ص ٣٢١.

(٤) أدب الدنيا والدين ص ٣٢١. والجملة الأولى في حياة الحيوان الكبرى ١/١٤٨ (لأفلاطون).

(٥) رواه أبو داود (٢١٤٩) وذكر محققه أنه حسن لغيره، والترمذي (٢٧٧٧) وقال: حديث غريب، وأحمد (٢٢٩٧٤) وقال محققه: حسن لغيره، المستدرك للحاكم (٢٧٨٨) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وحسنه في صحيح الجامع (٧٩٥٣). وهو بألفاظ متقاربة، من رواية بريدة بن الحصيب. ولفظ المؤلف «الأولة لك» من الحاوي الكبير للماوردي، وفي سائر المصادر «الأولى لك».

(٦) أدب الدنيا والدين ص ٣٢٢. وورد في الأصل «مكايد الشيطان»، وتصويبه من مصدره.

(٧) أدب الدنيا والدين ص ٣٢٢.

وكنتَ متى أرسلتَ طرفكَ رائداً   لقلبِكَ[1] يوماً أتعبتكَ المناظرُ
رأيتَ الذي لا كلُّهُ أنتَ قادرٌ   عليه ولا عن بعضهِ أنت صابرُ[2]

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**أربعٌ من كنَّ فيه وجبتْ له الجنَّة: من ملكَ نفسَهُ حين يرغب، وحين يرهب، وحين يغضب، وحين يشتهي**»[3].

ومن المروءةِ صيانةُ النَّفسِ بالتماسِ كفايتِها من معاشها، والاستغناءِ عن النَّاس، فإنَّ المحتاجَ مهتضمٌ وذليلٌ مستقَلٌّ[4].

وقالتِ العربُ في أمثالها: كلبٌ جوَّالٌ خيرٌ من أسدٍ رابضٍ[5].

وقالَ عبدالرَّحمن بن عوف: يا حبَّذا المال، أصونُ به عرضي، وأُرضي به ربِّي[6].

وقالَ بعضُ الشُّعراء:

كفى حزناً أنِّي أروحُ وأغتدي   وما لي مِن مالٍ أصونُ به عرضي

[٢٥٧/أ]

---

(١) في الأصل: لعينك.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٣٢٢، عيون الأخبار ٤/٢٣، ديوان الصبابة ص ٢٦، رسالة الطيف ص ١٠.

(٣) أدب الدنيا والدين ص ٣٢٢. ورواه الحكيم الترمذي من حديث أبي هريرة في نوادر الأصول ٤/٥٠، وابن حجر في النوادر الملتقطة (٥٢٩) من رواية عمر بن عثمان، وضعفه لأبي هريرة في ضعيف الجامع (٧٦١)، وفي السلسلة الضعيفة (٢٩١٣).

(٤) أدب الدنيا والدين ص ٣٢٨، وفيه «مستثقَل» بدل مستقل.

(٥) اللطائف والظرائف ص ٢٢٤، المحاسن والأضداد ص ١٥٥، أدب الدنيا والدين ص ٣٢٨، التمثيل والمحاضرة ص ٣٥٤.

(٦) اللطائف والظرائف ص ٨٧، أدب الدنيا والدين ص ٣٢٩، التذكرة الحمدونية ٨/٩٨.

وأكثـرُ مـا ألقَـىٰ صـديقي بمرحبـاً   وذلك لا يكفي الصَّديقَ ولا يُرضي[١]

وقالَ بعضُ الحكماء: الكمالُ في ثلاثة: الفقهُ في الدِّين، والصَّبرُ علىٰ النَّوائب، وحسنُ التَّقديرِ في المعيشة[٢].

وقيلَ لبعضِ الحكماء: فلانٌ غنيٌّ، فقال: لا أعرفُ ذلك ما لم أعرف تدبيرَهُ في ماله[٣].

وقالَ بعضُ الحكماء لابنه: يا بنيَّ، لا تكنْ كَلًّا؛ فإنَّك تزدادُ بذلك ذلًّا، واضربْ في الأرضِ عَوداً وبَدءاً، ولا تأسفنَّ لما كان فذهب، ولا تعجزنَّ عن الطلبِ لرهَبٍ ولا نَصب[٤].

وقالَ عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: الدنيا كَلٌّ علىٰ العاقل[٥].

وقالَ عبدالله بن مسعود: المستغني بالدنيا عن الدنيا كالمطفئِ النَّارَ بالتبن[٦].

ومعنىٰ ذلك أنَّه إذا أخذَ من لذَّاتِ الدنيا ليكتفيَ بذلك، دعاهُ إلىٰ الزِّيادةِ ولم يُغنهِ، وإنَّما يُستغنَىٰ عن الدنيا بتركِ ما زادَ علىٰ الكفاية.

وقالَ بعضُ الحكماء: استرْ[٧] ماءَ وجهِكَ بالقناعة، وتسلَّ عن الدنيا

(١) ديوان المعاني ٢/٢٤٧، غرر الخصائص ص ٣٩٣، أدب الدنيا والدين ص ٣٢٩.
(٢) المجتنىٰ ص ٤٩، أدب الدنيا والدين ص ٣٢٩، نثر الدر ١/٢٨٢. من قول محمد بن علي.
(٣) المجتنىٰ ص ٥١ (لذيوجانس)، أدب الدنيا والدين ص ٣٢٩.
(٤) أدب الدنيا والدين ص ٣٢٩، وفيه: لوصب ولا نصب.
(٥) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٠. والكَل: العبء والثقل.
(٦) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٠، محاضرات الأدباء ١/٦١١.
(٧) في المصدر: اشتر.




لتجافيها عن الكرام[1].

وإنَّما تُنالُ المروءةُ بالمكنة.

وقيلَ لبعضِ العرب: ما المروءة؟ قال: طعامٌ مأكول، ونائلٌ مبذول، وبشرٌ مقبول[2].

ومن المروءةِ تركُ الاسترسالِ في الحوائج إلىٰ النَّاس، والاجتهادُ في الاستغناءِ عنهم، وقد قيل: تحبَّبْ إلىٰ الله تعالىٰ بسؤاله، وتحبَّبْ إلىٰ النَّاسِ بتركِ سؤالهم.

وقيل: من ثقلَ علىٰ النَّاس هانَ عندهم[3].

وقالَ رجلٌ لعمر بنِ [٢٥٧/ب] الخطَّاب رضي الله عنه: خدمكَ[4] بنوك؟ فقالَ له: أغناني الله عنهم[5].

وقالَ علي بنُ أبي طالب رضوانُ الله عليه لابنهِ الحسن عليه السلام، في وصيَّتهِ له: يا بنيَّ، إن استطعتَ أن لا يكونَ بينكَ وبين الله تعالىٰ ذريعةٌ فافعل، ولا تكنْ عبدَ غيرِكَ وقد جعلكَ الله حرًّا[6].

---

(١) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٠، المجتنىٰ ص ٣٥، المحاسن والأضداد ص ٥٣ (الجملة الأولىٰ).

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٠.

(٣) ربيع الأبرار ٤/ ٢٥٥، محاضرات الأدباء ١/ ٣٩٢، أدب الدنيا والدين ص ٣٣٠.

(٤) في الأصل: حرموك.

(٥) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٠.

(٦) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٠. وتكملته مفيدة: فإن اليسير من الله تعالىٰ أكرم وأعظم من الكثير من غيره، وإن كان كل منه كثيرًا. وورد شطره الأخير في ربيع الأبرار ١/ ٣٣٨.




وقالَ زياد لبعضِ الدهاقين: ما المروءةُ فيكم؟ فقال: اجتنابُ الريبة، فإنَّه لا يَنبلُ مريب، وإصلاحُ الرجلِ ماله، فإنَّه من مروءته، وقيامهُ بحوائجِه وحوائجِ أهله، فإنَّه لا يَنبلُ من احتاجَ أهلهُ إلىٰ غيره[1].

وأنشدَ ثعلب:

من عفَّ خفَّ علىٰ الصديقِ لقاؤهُ ... وأخو الحوائجِ وجههُ مملولُ
وأخوكَ من وفَّرتَ ما في كيسهِ ... فإذا عبثتَ به فأنت ثقيلُ[2]

فإن احتاجَ إلىٰ الاستعانةِ بالجاهِ أو المالِ كانت الاستعانةُ بالجاهِ أخفَّ حملاً، فإن دعتِ الحاجةُ إلىٰ الاستعانةِ في المالِ كانت من ولاةِ الأمور، فإنَّ الحوائجَ عندهم أنجح، وقضاءَها عليهم أسهل، وهم مندوبون إلىٰ ذلك، فلا يجدون لذلك ثقلاً، إلَّا أنَّه يحتاجُ أن يُصبرَ علىٰ إبطائهم، فإنَّ تراكمَ الأمورِ عليهم يَشغلهم[3].

وقالَ عبدالله بن المعتز: من صحبَ السُّلطانَ فليصبرْ علىٰ قسوتهِ كصبرِ الغوَّاصِ علىٰ ملوحةِ بحره[4]، فإن تعذَّرَ عليه من جهةِ السُّلطانِ ما يصلحُ به أمره، وأمكنَهُ الاقتراض، أخذَ [٢٥٨/أ] ذلك قرضاً، فإنَّ القرضَ غيرُ مؤثِّرٍ في

---

(١) أدب الدنيا والدين ص ٣٣١. وآخره فيه: فإنه لا ينبل من احتاج إلىٰ أهله، ولا من احتاج أهله إلىٰ غيره.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٣٣١، الصداقة والصديق لأبي حيان ص ١٧٣، عيون الأخبار ٢١٣/٣.

(٣) أدب الدنيا والدين ص ٣٣١. مستفاد من كلام الماوردي. ووردت الكلمة الأخيرة بالأصل: تشغلهم.

(٤) ربيع الأبرار ١٨٦/٥، زهر الآداب ٧٢٩/٣، أخلاق الوزيرين ٣٩٠/١، التمثيل والمحاضرة ص ١٣٢.

المروءة، قد اقترضَ رسولُ الله ﷺ شعيراً لأهله[1].

وقالَ ﷺ: «المستدينُ تاجرُ الله في أرضه»[2].

ورويَ عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه قال: من أرادَ البقاءَ ـ ولا بقاءَ ـ فليباكرِ الغداء، وليخفِّفِ الرداء. يريدُ بتخفيفِ الرداءِ قلَّةَ الدَّين[3]، فإن تعذَّرَ ذلك عليه لم يجدْ بدًّا من أن يلتمسَ طعامه، إذا لم يجدْ من ذلك بدًّا، قالَ الله تعالىٰ: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا﴾ [الكهف: ٧٧]، وهذا خبرٌ عن الخَضِرِ وموسىٰ عليهما السلام. إلَّا أنَّه يقتصرُ علىٰ حاجته، ولا يدَعُ مع ذلك العمل.

قيلَ لبعضِ الحكماء: متىٰ يفحشُ زوالُ النِّعم؟ قال: إذا زالَ معها التَّجمُّل[4]، وأنشدَ لعليِّ بن الجهم:

هي النَّفسُ ما حمَّلتَها تتحمَّلُ ... وللدَّهرِ أيَّامٌ تجورُ وتعدلُ
وعاقبةُ الصَّبرِ الجميلِ حميدةٌ[5] ... وأحسنُ أخلاقِ الرِّجالِ التَّفضُّلُ
ولا عارَ إن زالتْ عن الحرِّ نعمةٌ ... ولكنَّ عارًا أن يزولَ التَّجمُّلُ[6]

(١) عن أنس قوله: رهن النبي ﷺ درعًا له بالمدينة عند يهودي، وأخذ منه شعيرًا لأهله. صحيح البخاري (٢٠٦٩).

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٢. ورأيته منسوبًا لجعفر بن محمد في أكثر من مصدر، منها: البصائر والذخائر ١٣٢/٧، واللطائف والظرائف ص ٢٤٧.

(٣) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٢..

(٤) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٢.

(٥) في المصدر: جميلة.

(٦) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٢. وفيه: ولكن عار، لباب الآداب ص ١٥٠، أنس المسجون ص ٥٢، الفرج بعد الشدة للتنوخي ٦٤/٥.

وينبغي للمحتاجِ أن يقصدَ من عُرِفَ منه كرمُ الطَّبعِ دون اللُّؤم، فقد قيل: الكريمُ مساعد، واللَّئيمُ معاند[1].

ولا يتعرَّضَ بمن صدرهُ غيرُ سليمٍ له، وقد قيل: من أوغرتَ صدرَهُ استدعيتَ شرَّه[2].

ولا تسألْ إلَّا متمكِّناً، فإنَّ من سألَ ما لا يمكنُ فقد أحال، وكان كمستنهضِ المحبوس، ومستسعفِ المديون[3].

وقالَ [٢٥٨/ب] عبدالله بن الأهتم[4] لابنه: يا بُنيَّ، لا تطلبِ الحوائجَ إلىٰ غيرِ أهلها، ولا تطلبها في غيرِ حينها، ولا تطلبْ ما لستَ له مستحقًّا، فإنَّك إن فعلتَ ذلك كنتَ حقيقاً بالحرمان[5].

وينبغي للمسؤولِ ما يقدرُ عليه أن يبادرَ بالإجابة، فقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**الخلقُ كلُّهم عيالُ الله، فأحبُّ خلقِ الله إليه أحسنُهم صنعاً إلىٰ عياله**»[6].

---

(١) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٣.

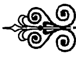
(٢) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٣.

(٣) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٣، وتكملته: وكان بالرد خليقًا، وبالحرمان حقيقًا. وهو من كلام الماوردي رحمه الله.

(٤) عبدالله بن الأهتم المنقري. دخل علىٰ الخليفة عمر بن عبدالعزيز ووعظه، ووعظ ولاة، ووفد علىٰ سليمان بن عبدالملك رسولاً من يزيد بن المهلب. تاريخ مدينة دمشق ١٠٧/٢٧.

(٥) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٣. ويرد من قول خالد بن صفوان، كما في تاريخ مدينة دمشق ١١٥/١٦.

(٦) لفظه من أدب الدنيا والدين ص ٣٣٤. وفيه «أحسنهم صنيعًا»، وقريب من لفظ المؤلف ما رواه أبو نعيم من حديث عبدالله بن مسعود: «الخلق كلهم عيال الله، وأحبكم إلىٰ الله=

وقالُ بعضُ الحكماء: اصنعِ الخيرَ عند إمكانه، يبقَىٰ لك حمدهُ عند زوالِ أيَّامه، وأحسنْ والدولةُ لك، يُحسَنْ إليكَ والدولةُ عليك، واجعلْ زمانَ رخائكَ عُدَّةً لزمانِ بلائك[1].

والقريبُ أحقُّ بقريبه، وكذلكَ الصَّديقُ أولَىٰ بحاجةِ صديقه. ورأىٰ بعضُ الحكماءِ رجلين يتصاحبان، فسألَ عنهما، فقيل: إنَّهما صديقان، فقال: فما بالُ أحدهما غنيٌّ والآخرُ فقير[2]؟!

وقالَ بعضُ الحكماء: من أجارَ جاره، أعانَهُ الله وأجاره[3].

وقالَ بعضُ البلغاء: من أحسنَ إلىٰ جاره، دلَّ علىٰ حسنِ نِجَاره[4].

ولا بدَّ للمحتاجِ من المباشرةِ والاحتمال، وقد قالَ بعضُ الحكماء: ما صدقَ من أرادَ صديقاً لا عيبَ فيه[5].

وقيلَ لأنوشروان: هل من أحدٍ لا عيبَ فيه؟ قال: من لا موتَ له[6]!

وقد أمرَ الله تعالىٰ نبيَّهُ بمداراةِ النَّاس، وقالَ ﷺ: «**مداراةُ النَّاسِ رأسُ**

= من أحسن إلىٰ عياله» وقال: غريب. ولفظه المشهور، أو قريب منه: «الخلق كلهم عيال الله، فأحب الخلق إلىٰ الله أنفعهم لعياله» كما في شعب الإيمان (٧٠٤٦) وغيره، وللحديث روايات أخرىٰ، ضعفها في السلسلة الضعيفة (١٩٠٠).

(١) نفحة اليمن ص ١٩٠، أدب الدنيا والدين ص ٣٣٤.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٦، أنس المسجون ص ١٧٨ (لبزرجمهر).

(٣) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٦.

(٤) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٦. والنِّجار أو النُّجار: الأصل والحسب.

(٥) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٧، ولفظه فيه: لا صديق لمن أراد صديقًا لا عيب فيه.

(٦) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٧.

العقل، بعدَ إيمانٍ بالله، وأهلُ المعروفِ في الدنيا أهلُ المعروفِ في الآخرة»(١).

وقالَ بعضُ الحكماء: ثلاثُ خصالٍ لا تجتمعُ [٢٥٩/أ] إلَّا في كريم: حسنُ المحضر، واحتمالُ الزَّلَّة، وقلَّةُ الملال(٢).

وقالَ بعضُ الحكماء: من هجرَ أخاهُ من غيرِ ذنب، كان كمن زرعَ زرعاً وحصدَهُ قبل أوانه(٣).

وقالَ أبو العتاهية:

وشرُّ الأخلَّاءِ من لم يزلْ ... يعاتبُ طوراً وطوراً يذمّ
يريكَ النَّصيحةَ عند اللقاءِ ... ويبريك في السِّرِّ بريَ القلمْ(٤)

وقالَ بعضُ الحكماء: لا تقطعْ أخاكَ إلَّا بعد عجزِ الحيلةِ عن استصلاحه(٥).

وقالَ بعضُهم: لا يفسدْكَ الظَّنُّ على صديقٍ قد أصلحكَ اليقينُ له(٦).

وقالَ لقمانُ لابنه: يا بنيَّ، كذبَ من قال: إنَّ الشَّرَّ بالشَّرِّ يُطفأ، فإن كان صادقاً فليوقدْ نارين وينظر: هل يطفئُ إحداهما الأخرى؟! وإنَّما يُطفأ الشَّرُّ

---

(١) سبق تخريجه بلفظ: «رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس».
(٢) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٧، روضة العقلاء ص ١٧٢ (لزيد بن ثابت).
(٣) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٧.
(٤) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٧، غرر الخصائص ص ٦٠ (البيت الأخير).
(٥) التذكرة الحمدونية ٣٦٤/٤، نثر الدر ١٠٤/٣، أدب الدنيا والدين ص ٣٣٧.
(٦) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٨.

بالخير، كما تُطفأُ النَّارُ بالماء[1].

وقالَ بعضُ الحكماء: بالسيرةِ العادلةِ يُقهَرُ المعادي[2].

وقالَ الشاعر:

فأقسمُ لا أجزيكَ بالشَّرِّ مثلهُ كفى بالذي جازيتني لكَ جازيا[3]

وروى مكحول عن أبي أمامة، عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**النَّاسُ كشجرةٍ ذاتِ جنًى، ويوشكُ أن يعودوا كشجرةٍ ذاتِ شوك، إن ناقدتهم ناقدوك، وإن هربتَ منهم طلبوك، وإن تركتَهم لم يتركوك**»، قيل: يا رسولَ الله، فكيف المخرج؟ قال: «**أقرضهم من عرضِكَ ليومِ فقرك**»[4].

وقال عبدالله بن عبَّاس: العاقلُ الكريمُ صديقُ كلِّ أحدٍ إلَّا من ضرَّه، والجاهلُ اللَّئيمُ عدوٌّ [٢٥٩/ب] كلِّ أحدٍ إلَّا من نفعه[5].

وقالَ بعضُ الحكماءِ لابنه: يا بنيَّ، إذا سلمَ النَّاسُ منكَ فلا عليكَ ألَّا تسلمَ منهم، فقلَّما اجتمعتْ هاتان النِّعمتان[6].

---

(١) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٩.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٩.

(٣) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٩.

(٤) أدب الدنيا والدين ص ٣٣٩، وآخره فيه: «ليوم فاقتك». وقد ضعفه في السلسلة الضعيفة (٥٦٣٧). ويرد من قول أبي الدرداء، كما في حلية الأولياء ٢١٨/١، ومداراة الناس (١٣)، ومن قول أبي أمامة في المصدر نفسه (١١٧)، ومن قول أبي مسلم الخولاني في حلية الأولياء ١٢٣/٢، ١٦١/٣.

(٥) الصداقة والصديق ص ٢٤٢، أدب الدنيا والدين ص ٣٤٠.

(٦) أدب الدنيا والدين ص ٣٤٠.

وقالَ بعضُ الحكماء: رغبتُكَ فيمن يزهدُ فيكَ ذلُّ نفس، وزهدُكَ فيمن يرغبُ فيكُ صغرُ همَّة(١).

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: **«أمرني ربِّي بسبع: الإخلاصِ في السِّرِّ والعلانية، وأن أعفوَ عمَّن ظلمني، وأعطيَ من حرمني، وأصلَ من قطعني، وأن يكونَ صمتي تفكُّراً، ونظري عبراً، ونطقي ذكراً»**(٢).

وقالَ لقمانُ لابنه: يا بنيَّ، لا تتركْ صديقكَ الأولَ فلا يطمئنَّ إليكَ الثَّاني، اتَّخذْ ألفَ صديقٍ والألفُ قليل، ولا تتَّخذْ عدوًّا واحداً والواحدُ كثير(٣).

ورويَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ حضَّ على الصَّدقة، فقال عُلْبَة بن زيد ـ رجلٌ من الأنصار(٤) ـ: اللَّهمَّ إنِّي ليس لي مالٌ أتصدَّقُ به، فأيُّما رجلٍ من المسلمين نالَ من عرضي شيئاً فهو عليه صدقة. فلمَّا كان من غد، قال النَّبيُّ ﷺ: **«أين المتصدِّقُ بعرضهِ البارحة»**؟ فقال عُلبة: أنا، فقال: **«قَبِلَ الله صدقتك»**(٥).

---

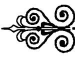
(١) أدب الدنيا والدين ص ٣٤٠.

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٣٤١، ووجدته «بتسع» في جامع الأصول، وأشير فيه إلى أن مخرِّجه في المطبوع: رزين. وساق مثله دون سند أو تخريج الإمام القرطبي في تفسيره ٧/٣٤٦، كما يرد في كتب الأدب، مثل عيون الأخبار ٢/٣٩٠ وهو عن الحسن بن ذكوان رفعه، وهو من أتباع التابعين كما يبدو، صدوق يخطئ، رمي بالقدر، وكان يدلس. تقريب التهذيب (١٦١)، ميزان الاعتدال ١/٤٤٨. ويرد مقطّعًا في مصادر.

(٣) أدب الدنيا والدين ص ٣٤١.

(٤) علبة بن زيد الأنصاري. من الأوس، من البكّائين في غزوة تبوك، الذين لم يجدوا ما يتقوون به على الجهاد فبكوا.. أخباره وترجمته في الإصابة لابن حجر ٤/٤٤٩.

(٥) أورد طرقه ورواياته الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤/٤٥٠، وذكر مرة أن للحديث شاهدًا=




وروىٰ ابن أبي الدنيا في كتاب المداراة بإسنادِهِ عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّهِ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا جمعَ الله الخلائقَ يومَ القيامةِ** نادىٰ مناد: **أين أهلُ الفضل؟ قال: فيقومُ ناسٌ وهم يسير، فينطلقون سراعاً إلىٰ الجنَّة**، [٢٦٠/أ] **فتلقاهم الملائكةُ، فيقولون: إنَّا نراكم سِراعاً إلىٰ الجنَّة، فمن أنتم؟ فيقولون: نحن أهلُ الفضل، فيقولون: وما فضلُكم؟ فيقولون: كنَّا إذا ظُلمنا صَبرنا، وإذا أُسيءَ إلينا غَفرنا، [وإذا جُهِلَ علينا حلُمنا]، فيقالُ لهم: ادخلوا الجنَّة، فنعمَ أجرُ العامِلين**»(١).

قالَ صعصعة بنُ صوحان لابن زيد(٢): أنا كنتُ أحبَّ إلىٰ أبيكَ منك، وأنت أحبُّ إليَّ من ابني، خصلتان أوصيكَ بهما احفظهما منِّي: خالقِ الفاجر، وخالصِ المؤمن، فإنَّ الفاجرَ يرضَىٰ منكَ بالخُلق الحسن، وإنَّه لحقٌّ عليكَ أن تخالصَ المؤمن(٣).

وحكيَ عن مجاهد أنَّه قالَ في قولهِ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]: إذا أُوذوا صَفحوا(٤).

= صحيحًا إلا أنه لم يسمَّ فيه.

(١) مداراة الناس (١١)، الصبر والثواب عليه (٥)، وفي سنده في الكتابين محمد بن عبيدالله العرزمي، وهو متروك، كما في تقريب التهذيب ص ٤٩٤. ورواه البيهقي في شعب الإيمان (٨٠٨٦) وقال: هذا متن غريب وفي إسناده ضعف. وما بين المعقوفتين من كتاب المداراة.

(٢) صعصعة بن صوحان العبدي، أخو زيد بن صوحان لأبيه وأمه. من أصحاب الخطط بالكوفة، وكان خطيبًا، من أصحاب عليّ، وشهد معه الجمل، هو وأخواه زيد وسيحان. وكان ثقة قليل الحديث. نوفي بالكوفة في خلافة معاوية. الطبقات الكبرىٰ لابن سعد ٢٢١/٦، تهذيب الكمال ١٦٧/١٣.

(٣) مداراة الناس (٢٣)، الزهد لهناد (١٢٦٥)، شرح السنة للبغوي (٣٥٠٦).

(٤) مداراة الناس (٢٥)، تفسير الطبري، عند تفسير الآية الكريمة.

قالَ الحسن: قالَ أبو الدرداء: من يُتبِعْ نفسَهُ كلَّ ما يرىٰ في النَّاسِ يَطُلْ حزنُه، ولا يُشْفَ غيظُه(١).

وروىٰ ابنُ أبي الدنيا بإسنادِهِ عن ربيعة بنِ ناجد(٢) قال: خطبَنا عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه فقال: كونوا في النَّاسِ كالنَّحلةِ في الطَّير، فإنَّه ليس شيءٌ من الطَّيرِ إلَّا يستضعفُها، ولو يَعلَمُ(٣) ما في أجوافِها لم يَفعَل، خالِقوا النَّاسَ بأخلاقِكم وألسنتِكم(٤)، وزايلوهم(٥) بأعمالِكم وقلوبِكم؛ فإنَّ لامرئٍ ما اكتسب، وهو يومَ القيامةِ مع من أحبَّ(٦).

ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِهِ عن عبيدالله بن عمر(٧)، عن أبي حازم قال: لا تكونُ عالماً حتَّىٰ تكونَ فيك خصال: لا تبغِ علىٰ مَن فوقك، ولا تحقرْ مَن دونك، ولا تأخذْ علىٰ علمِكَ دنيا(٨).

وحكيَ أنَّ داود [٢٦٠/ب] عليه السلام جلسَ خالياً، فأوحَىٰ الله تعالىٰ إليه: يا داود، ما لي أراكَ خالياً؟ فقال: هجرتُ النَّاسَ فيكَ يا ربَّ العالمين، فقال: يا داود، ألا أدلُّكَ علىٰ ما تستبقي وجوهَ النَّاسِ إليك وتبلغُ فيه رضاي؟ خالقِ

(١) مداراة الناس (٢٧)، الزهد لأحمد ٢/٦٤، شعب الإيمان (٨٣٣٧).

(٢) ربيعة بن ناجد الأزدي الكوفي. يقال هو أخو أبي صادق، الراوي عنه، الذي قيل في اسمه: مسلم بن يزيد، وقيل: عبدالله بن ناجد. ينظر تقريب التهذيب ص ٢٠٨، ٦٤٩.

(٣) في الأصل: ولو لم يعلم.

(٤) في الأصل: بأخلاقهم وألسنتهم. والتصويب من المصادر.

(٥) أي: فارقوهم في الأفعال التي لا ترضي الله.

(٦) مداراة الناس (٢٨)، سنن الدارمي ٩٢/١، والجزء الأخير منه في الزهد الكبير للبيهقي (١٨٩).

(٧) في الأصل: عبيدالله بن عمرة. وهو عبيدالله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب.

(٨) مداراة الناس (٢٩)، شعب الإيمان (١٧٩٤)، تهذيب الكمال ٢٧٦/١١.

النَّاسَ بأخلاقِهم، واحتجزِ الإيمانَ بيني وبينك[1].

وقالَ عمر بنُ الخطَّاب رضوانُ الله عليه: لا تظنَّ بكلمةٍ خرجتْ من فِي مسلمٍ شرًّا وأنت تجدُ لها في الخيرِ محملاً[2].

وحكيَ أنَّ عبدالملك بنَ مروان دخلَ على معاويةَ وعندهُ عمرو بنُ العاص، فسلَّمَ وجلس، ثمَّ لم يلبثْ أن نهض، فقالَ معاوية: ما أكملَ مروءةَ هذا الفتى! فقالَ عمرو: يا أميرَ المؤمنين، إنَّه آخذٌ بأخلاقٍ أربعة، وتاركٌ ثلاثة، إنَّه أخذَ بأحسنِ البِشرِ إذا لَقي، وبأحسنِ الحديثِ إذا حدَّث، وبأحسنِ الاستماعِ إذا حُدِّث، وبأيسرِ المؤنةِ إذا خُولف. وتركَ مزاحَ من لا يُوثَق بعقلهِ ودينه، وتركَ مجالسةَ لئامِ النَّاس، وتركَ من الكلامِ كلَّ ما يُعتذَرُ منه[3].

فَصْلٌ
في العفو

قالَ الله ﷻ: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقالَ تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**ما عفا أحدٌ عن مظلمةٍ يبتغي بها وجهَ الله**

(١) مداراة الناس (٤٣)، جامع العلوم والحكم ١/٣٥٤.

(٢) مداراة الناس (٤٥)، ربيع الأبرار ٣/٢٩٨، التذكرة الحمدونية ١/١٣٠.

(٣) مداراة الناس (٤٦)، تاريخ ابن معين (٥٣٩٢)، تاريخ مدينة دمشق ٣٧/١٢٢، تاريخ بغداد ١٠/٣٨٨.

تعالىٰ إلَّا زادَهُ الله بها عزًّا يومَ القيامة»[1].

يشهدُ لذلك قولهُ تعالىٰ: [٢٦١/أ] ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورىٰ: ٤٠]. فدلَّ ذلك علىٰ أنَّ العفوَ مندوبٌ مثابٌ عليه.

فإن قيل: فقد أخبرَ الله تعالىٰ عن قومٍ أنَّه يعذِّبهم، والله تعالىٰ أحقُّ بالإحسانِ والعفو؟

قيل: عذابُ الله تعالىٰ الغرضُ به صلاحُ المكلَّفين، دعاهم إلىٰ الطَّاعةِ ليدخلَهم الجنَّة. وفي معنىٰ هذا ما رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**عجبَ ربُّكم من قومٍ يُجَرُّون إلىٰ الجنَّةِ بالسَّلاسل**»[2]، يعني بذلك الوعيد[3]. والله تعالىٰ يعفو عمَّا يَحسُنُ العفوُ عنه.

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**ثلاثٌ من كنَّ فيه حاسبَهُ الله حساباً يسيراً، وأدخلَهُ الجنَّةَ برحمته: تعطي من حرمك، وتعفو عمَّن ظلمك، وتصلُ من قطعك**»[4].

---

(١) جزء من حديث عبدالرحمن بن عوف، رواه البزار في البحر الزخار (١٠٣٣)، وأحمد في المسند (١٦٧٤) قال محققه: حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف. كما ضعفه في السلسلة الضعيفة (٧١٥٩).

(٢) لفظه عند البخاري (٣٠١٠) من حديث أبي هريرة: «عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل»، وعند أبي داود (٢٦٧٧): «عجب ربنا من قوم يقادون إلىٰ الجنة في السلاسل» وحسن الشيخ شعيب إسناده.

(٣) ذكر ابن حجر وجوه تأويله، ليس من بينها هذا الرأي. ينظر فتح الباري ١٤٥/٦.

(٤) مسند البزار (٨٦٣٥)، المستدرك علىٰ الصحيحين (٣٩١٢) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، لكن في سنده سليمان بن داود اليمامي، استدرك عليه الذهبي بأنه ضعيف، المعجم الأوسط (٩٠٩)، السنن الكبرىٰ للبيهقي (٢١٠٩٢)، وضعفه في ضعيف الجامع=

وروي أنَّ رجلاً جاءَ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ يشكو مظلمة، فأمرَهُ النَّبيُّ ﷺ أن يجلس، وأرادَ أن يأخذَ له بمظلمته، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ المظلومين هم المفلحون يومَ القيامة**». فأبىٰ الرَّجلُ أن يأخذها حين سمعَ الحديث[1].

ويرویٰ عن مولاهُ لسالم بن أبي الجعد[2]، أنَّ سالماً خرجَ يتشرَّفُ هو وامرأته[3]، قال: فرأتِ امرأةُ سالم في ظهرِهِ أثرَ جَلد، قال: فشهقت، وأقبلتْ تدعو، فقالَ سالم: مه، الدعاءُ قصاص[4].

ورويَ عن عائشة رضي الله عنها أنَّه سرقها سارق، فدعتْ [٢٦١/ب] عليه، فقالَ لها رسولُ الله ﷺ: «**لا تسبِّخي عنه بدعائكِ عليه**»[5]، قالَ أبو معاوية: يقول: لا تحلِّلي عن ذنبه.

وعن مجاهد في قولهِ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، قال: إذا أُوذوا صَفحوا[6].

= (٢٥٥٠) وقال في السلسلة الضعيفة (١٥٣٥): ضعيف جدًّا.

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٥٢١٠)، وقال الحافظ العراقي: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب العفو من رواية أبي صالح الحنفي مرسلًا. إحياء علوم الدين ١٨٣/٣، وضعفه في ضعيف الجامع (١٧٨٤).

(٢) هكذا وردت العبارة، وسالم مولىٰ أشجع، تابعي من الكوفة، ت ٩٧ هـ. الثقات لابن حبان (٣٠٢٨).

(٣) من معاني تشرَّف: علا، واطَّلع.

(٤) طبقات الحنابلة لابن أبي يعلىٰ الفراء ٤٠٩/١.

(٥) الحديث في سنن أبي داود (١٤٩٧)، مسند أحمد (٢٤١٨٣) قال محققهما الشيخ شعيب: إسناده ضعيف.

(٦) تفسير ابن أبي حاتم ٧٦٣/١٣، تفسير القرطبي ٨٠/١٣، الدر المنثور ٢٨٣/٦.

وقيل: إنَّه أُتِيَ النُّعمان بنُ المنذر برجلين، أحدُهما قد أذنبَ ذنباً عظيماً، فعفا عنه، وآخرُ أذنبَ ذنباً صغيراً، فعفا عنه[1]، وقال:

يعفـو الملـوكُ عـن العظيـ ـمِ مـن الـذنوبِ بفضـلها
ولقـد تعاقـبُ فـي اليسيـ ـرِ ولـيس ذاك لجهلهـا
إلَّا ليُعـرَفَ حِلمُهـا ويُخـافَ شـدَّةُ بطشِـها[2]

وعن مبارك بن فضالة[3] قال: وفدني سوار بن عبدالله في وفدٍ من أهلِ البصرةِ إلىٰ أبي جعفر، وإنِّي لعندَهُ إذ أُتِيَ برجلٍ فأمرَ بقتله، فقلت: يُقتَلُ رجلٌ من المسلمين وأنا حاضر؟ فقلت: يا أميرَ المؤمنين، ألا أحدِّثُكَ حديثاً سمعتهُ من الحسن؟ قال: وما هو؟ قلت: سمعتهُ يقول: إذا كان يومُ القيامةِ جمعَ الله النَّاسَ في صعيدٍ واحد، حيثُ يسمعُهم الدَّاعي ويَنفذُهم البصر، فيقومُ منادٍ من عند الله ﷻ فيقول: من له عند الله يد؟ فلا يقومُ إلَّا من عفا[4].

فقالَ لي: آلله لسمعتَهُ من الحسن؟ فقلت: والله لسمعتهُ من الحسن، فقال: خلُّوا عنه.

وروىٰ أنس بنُ مالك قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: [٢٦٢/أ] **«إذا بعثَ الله الخلائقَ يومَ القيامة، نادىٰ منادٍ من تحتِ العرشِ ثلاثةَ أصوات: يا معشرَ**

---

(١) هكذا في الأصل، وهو خطأ ظاهر، وفي هامش المخطوط: صوابه: فلم يعفُ عنه، حتىٰ يستقيم الشعر. والله أعلم.

(٢) مروج الذهب ٤٩/٣، ربيع الأبرار ٩٩/٢، محاضرات الأدباء ٣٠٣/١.

(٣) مبارك بن فضالة القرشي، مولىٰ عمر بن الخطاب، من كبار علماء البصرة، صحب الحسن البصري وحدَّث عنه فأكثر. وهو ضعيف الحديث. سير أعلام النبلاء ٢٨١/٧.

(٤) أورد مثله في إحياء علوم الدين ١٨٤/٣.

الموحِّدين ، إنَّ الله قد عفا عنكم ، فليعفُ بعضُكم عن بعض»(١) .

ويروى أنَّ رجلاً أفسدَ في عمل عبدالملك بن مروان ، فاجتهدَ في طلبهِ حتَّى حصلَ في يده ، فأمرَ بضربِ عنقه ، فقال: اسمعْ قولي ثمَّ افعلْ ما شئت ، فقال: قل ، فقال:

إنَّ عفـوَ الملـوكِ مـن سـعةِ القلــ ــبِ وللنَّـاسِ فـاعلمنَّ ذنـوبُ

فقال: أعد ، فأعاد ، قال: أطلقوه .

وروى أبو هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا فتحَ مكَّةَ طافَ بالبيتِ وصلَّى ركعتين ، ثمَّ أتى الكعبةَ فأخذَ بعضادتي الباب ، فقال: «**ما تقولون وما تظنون**»(٢)؟ قالوا: نقول: أخٌ وابنُ عمٍّ حليمٌ رحيم ، قالوا ذلك ثلاثاً ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**أقولُ كما قالَ يوسفُ** عليه السلام: ﴿**لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ**﴾» [يوسف: ٩٢] ، قال: فخرجوا كأنَّما نُشِروا من القبور ، فدخلوا في الإسلام(٣) .

وروى أنس بنُ مالك أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إذا أُوقِفَ العبادُ نادى منادٍ: ليقمْ مَن أجرهُ على الله فليدخلِ الجنَّة ، قيل: من ذا الذي أجرهُ على الله ؟ قال: العافون عن النَّاس ، فقامَ كذا وكذا ألفاً فدخلوا الجنَّةَ بغيرِ حساب**»(٤) .

(١) أخرجه ابن مردويه ، كما في الدر المنثور للسيوطي ٤ /١١ . وخرَّجه الحافظ العراقي بألفاظ أخرى في تخريجه لأحاديث إحياء علوم الدين ١٨٢/٣ .

(٢) في الأصل «وما تطلبون» ، وتصويبه من مصدره .

(٣) رواه ابن زنجويه في كتاب الأموال (٢٤٠) ، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٥٤٥٤) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب ، كما أفاده السيوطي في جمع الجوامع (١٤٢٣/٥٠٨) ،=

ورويَ عن مهاجر، عن ابن حلبس[1] قال: ثلاثةٌ يحبُّهم الله: من كرهَ سوءاً يأتيهِ إلىٰ أخيهِ وصاحبه، [٢٦٢/ب] فذلك قَمِنٌ أن يستحيَ الله منه ـ قالَ أبو بكر بنُ أبي الدنيا: وقمن: جدير ـ ومن كان ذا رفعةٍ في الدنيا فتواضع، فذلك الذي عرفَ عظمةَ الله فخافَ مقته، ومن كان عفوهُ قريباً من إساءته، فذلك الذي تقومُ به الدنيا[2].

وعن سعيد بن عبدالعزيز قال: قالَ موسىٰ عليه السلام[3]: يا ربّ، أيُّ النَّاس أعزُّ؟ قال: الذي يعفو ويغفرُ بعدما يقدر[4].

ورويَ أنَّ راهباً دخلَ علىٰ هشام بن عبدالملك، فقالَ هشامٌ للراهب: أرأيتَ ذا القرنينِ، كان نبيًّا؟ فقال: لا، ولكنَّهُ إنَّما أُعطِيَ ما أُعطِيَ بأربعِ خصالٍ كنَّ فيه: كان إذا قدرَ عفا، وإذا وعدَ وفَىٰ، وإذا حدَّثَ صدَق، ولا يجمعُ اليومَ لغد[5].

ويروىٰ عن بعضِ الفقهاءِ في قولهِ تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]، قال: هم الذين لا يَظلمون النَّاس، وإذا ظُلِموا لم ينتصروا[6].

= وقد رواه في كتاب الأهوال أيضًا (١٧٦)، وضعفه في ضعيف الجامع (٤٠٦). وورد في الأصل: «العافين عن الناس».

(١) هكذا في الأصل، وهو في روضة العقلاء: حدثنا محمد بن مهاجر عن يونس بن ميسرة... وابن حلبس كما في تاريخ دمشق: هو يونس بن ميسرة بن حلبس.

(٢) روضة العقلاء ص ١٦٦، تاريخ مدينة دمشق ٦٥/١٨، ٣/٣٦.

(٣) هنا كلمة «قال» في المخطوط، وهي زيادة لا لزوم لها.

(٤) جزء من أثر إسرائيلي رواه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ١٤١/١١، ويروىٰ حديثًا مرفوعًا عن أبي هريرة، رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (٤٠٩)، وفي سنده ابن لهيعة.

(٥) إحياء علوم الدين ١٨٤/٣.

(٦) الدر المنثور ٤٨/٦، من كلام عمرو بن أوس، تفسير ابن أبي حاتم ٢٤٩٣/٨ لمجاهد.

وقالَ عبدالملك بن مروان: إنَّ خيرَ الأمورِ مغبَّةً العفوُ، وخيرَ العفوِ ما كان بعد القدرة.

قال أبو بكر بن أبي الدنيا: أُتيَ هشام بنُ عبدالملك برجلٍ كان بلغَهُ عنه أمرٌ قبيح، فلمَّا أُقيمَ بين يديهِ شتمه، فقالَ له الرجل: أتشتمني وأنت خليفةُ الله، وليس فوقكَ أحدٌ غيره، فإلىٰ من أشكوك؟ قال: ويحك! فاقتصَّ، قال: لا أفعل، قال له: فاعفُ، قال: أمَّا هذه فنعم، فقالَ هشام: لا جرمَ والله لا قلتُها لأحدٍ بعدك(١).

وروي عن أبي بكر بن أبي [٢٦٣/أ] الدنيا، أنَّ رجلاً أتىٰ هشاماً وقد بلغَهُ عنه أمر، فلمَّا أُقيمَ بين يديهِ جعلَ يتكلَّمُ بحجَّته، فقالَ له هشام: وتتكلَّمُ أيضاً؟ فقالَ الرجل: يا أميرَ المؤمنين، قالَ الله ﷻ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١]، أفيُجادَلُ اللهُ تعالىٰ ولا تُكلَّمُ أنت كلاماً؟! فقالَ هشام: بل ويحكَ فتكلَّم(٢).

وعن ابن أبي الدُّنيا قال: جلسَ ابنُ مسعود في السُّوقِ يبتاعُ متاعاً، فابتاع، ثمَّ طلبَ الدراهمَ ـ وكانت في عمامتهِ ـ فوجدها قد حُلَّت، فقال: لقد جلستُ وإنَّها لمعي، فجعلوا يدعون الله عليه: اللَّهمَّ اقطعْ يدَ السارقِ الذي أخذها، فقالَ عبدالله بن مسعود: اللَّهمَّ إن كان إنَّما حملَهُ علىٰ أخذها حاجةٌ فبارِكْ له فيها، وإن كان حملَهُ جرأتهُ علىٰ الذنبِ فاجعلهُ آخرَ ذنبٍ يعملهُ في الدنيا(٣).

---

(١) البداية والنهاية ١٥١/١٣.

(٢) مرآة الجنان ٢٠٥/١، ٢١٨/١١.

(٣) إحياء علوم الدين ١٨٤/٣.

وفي معناهُ قال: خرجَ رجلٌ في الزمنِ الأولِ وفي كمِّهِ صُرَّةُ دنانير، فنظرَ فإذا هي[1] قد أُخذت، فقال: بوركَ له فيها، لعلَّه كان احتاجَ إليها، أو كان أحوجَ إليها منِّي.

وعن مالك بن دينار قال: أتينا الحكم بنَ أيوب[2] وهو على البصرةِ ليلاً، بعد ابن الأشعث[3]، وجاءَ الحسن وهو خائف، فدخلنا على الحكمِ مع الحسن، فما كنَّا معه إلَّا بمنزلةِ الفراريج، فذكرَ الحسنُ قصَّةَ يوسفَ عليه السلام وما صنعَ به إخوته، من بيعِهم إيَّاه، وطرحِهم له في الجبِّ، فقال: باعوا أخاهم، وأحزنوا أباهم، وذكرَ ما لقيَ من كيدِ [٢٦٣/ب] النِّساء، ومن الحبس، ثمَّ قال: أيُّها الأمير، فماذا صنعَ الله به؟ أدالَهُ منهم[4]، ورفعَ ذكره، وأعلَى كعبه، وجعلَهُ على خزائنِ الأرض. فماذا صنعَ حين أُكمِلَ له أمرُهُ وجُمِعَ له أهله؟ قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢]. يعرِّضُ الحكمَ بالعفوِ عن أصحابه، فقالَ الحكم: وأنا أقول: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾، ولو لم أجدْ إلَّا ثوبي لواريتُكم تحته[5].

ويروى أنَّه أُتيَ عبدالملك بنُ مروان بأسارى ابنِ الأشعث، فقالَ لرجاء

---

(١) في الأصل: هو.

(٢) الحكم بن أيوب بن الحكم الثقفي، ابن عم الحجاج، الذي ولاه على البصرة لما كان في العراق، ثم عزله، فأعاده. قتل نحو ٩٧ هـ. الأعلام ٢/٢٦٦.

(٣) أهل البصرة كانوا قد بايعوا عبدالرحمن بن الأشعث، وفيهم القراء والمشايخ، وخلعوا بيعة عبدالملك... طرف من القصة في إتحاف السادة المتقين ٨/٤٣.

(٤) أي: غلَّبه عليهم، بعد أن كانوا هم الغالبين.

(٥) إحياء علوم الدين ٣/١٨٤.

بن حيوة: ما ترىٰ؟ قال: إنَّ الله قد أعطاكَ ما تحبُّ من الظفر، فأعطِ الله ما يحبُّ من العفو. فعفا عنهم وأطلقهم[١].

وحكيَ أنَّ الحجَّاجَ أُتيَ بقومٍ من الخوارجِ وفيهم صديقٌ له، فأمرَ بقتلِ جميعهم إلَّا ذلك الصديق، فإنَّه أطلقه، ووصله، وأجازه، وأحسنَ إليه، وصرفَهُ مكرَّماً، فرجعَ إلىٰ القطَريّ[٢]، وكان من أصحابه، فقالَ له: ارجعْ إلىٰ عدوِّ الله الحجَّاج، فقال: هيهات، غَلَّ يداً مطلقُها، واسترقَّ رقبةً معتقُها، ثمَّ أنشأ يقول:

أأقابلُ الحجَّاجَ عن سلطانهِ ... بيدٍ تقرُّ بأنَّها مولاتُهُ
إنِّي أذاً لأخو الدَّناءةِ والذي ... شهدتْ بأقبحِ فعلهِ غدراتُهُ
ماذا أقولُ إذا وقفتُ إزاءَهُ ... في الصَّفِّ واحتجَّتْ له فعلاتُهُ
أأقولُ جارَ عليَّ لا إنِّي إذنْ ... لأحقُّ مَن جارتْ عليه ولاتُهُ
وتحدَّثَ الأقوامُ أنَّ صنائعاً ... غُرِسَتْ لديَّ فحنظلتْ نخلاتُهُ

[٢٦٤/أ] فاستحسنَ ذلك منه القطريّ، وأعفاهُ من الخروجِ إليه[٣].

وقالَ ابنُ أبي دُواد: ما رأيتُ أحداً تخلَّصَ من حتفهِ بمنطقهِ إلَّا تميم بنَ جميل[٤]، وكان من عمَّالِ المعتصم، فإنِّي رأيتهُ وقد شُدَّ رأسه، وبُسِطَ له

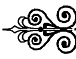
---

(١) أدب الدنيا والدين ص ٢٦٠، إحياء علوم الدين ١٨٤/٣. وورد من قول قتيبة بن مسلم للحجاج، كما في أنساب الأشراف ٢٢٢/٧.

(٢) قطري بن الفجاءة، أحد قادة الخوارج وشعرائهم. ت ٧٩ هـ.

(٣) أدب الدنيا والدين ص ٢٠٧. وتروىٰ الأبيات في قصة أخرىٰ مع الحجاج، كما في كتاب العفو والاعتذار ٥٦١/٢.

(٤) في كتاب زهر الآداب أنه سدوسي، أقام بشاطئ الفرات، واجتمع إليه كثير من الأعراب،=




النَّطع[1] ، وانتُضِيَ السَّيفُ لضربِ عنقه ، والمعتصمُ يُقرعهُ بذنوبه ، وكان تميمُ جسيماً وسيماً ، فأحبَّ المعتصمُ أن يبلوَ جَنانَهُ ولسانه ، وكيف هما من منظره ، فقالَ له: تكلَّم ، وإن كان لك عذرٌ فأتِ به ، فقال: أمَّا إذ أذنَ أميرُ المؤمنين في الكلامِ فأقول: الحمدُ لله ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٧ ـ ٨]. جبرَ الله بكَ يا أميرَ المؤمنين صدْعَ الدِّين ، ولمَّ ببقائكَ شعثَ الأمَّةِ والمسلمين ، إنَّ الذنوبَ تصدِّعُ الأفئدة ، وتُخرِسُ الألسنة ، وقد عظمتِ الجريرة ، وساءتِ الخطَّة ، ولم يبقَ إلَّا عفوُ أميرِ المؤمنين وانتقامُه ، ثمَّ أنشأَ يقول:

أرىٰ الموتَ بين السَّيفِ والنَّطعِ كامناً ... يلاحظني من حيثُ ما أتلفَّتُ
وأكثرُ ظنِّي أنَّكَ اليومَ قاتلي ... وأيُّ امرئٍ ممَّا قضَىٰ الله يفلتُ ؟
وما جزعي من أن أموتَ وإنَّني ... لأعلمُ أنَّ الموتَ شيءٌ مؤقَّتُ
ولكنَّ خلفي صبيةً قد تركتُهم ... وأكبادُهم من حسرةٍ تتفتَّتُ
كأنِّي إذا هم حين أُنعَىٰ إليهمُ ... وقد خدَشوا تلك الوجوهَ وصوَّتوا
فإن عشتُ عاشوا خافضين بنعمةٍ ... أذودُ الرَّدىٰ عنهم وإن متُّ مُوِّتوا

[٢٦٤/ب] فاستعبرَ المعتصمُ ﷺ ، وقال: يا تميم ، قد عفونا عن الهفوة ، ووهبناكَ للصِّبية .

ثمَّ خلعَ عليه وأجازه ، وأسقطَ المالَ الذي كان قد خرَّجَ عليه ، وردَّهُ إلىٰ

= فعظم أمره ، وبعد ذكره... وفي كتاب العفو والاعتذار أنه رجل من أوس بن تغلب ، ولكن فيه أنه خرج علىٰ الرشيد!

(١) بساط من جلد.

عملهِ مكرَّماً[1].

فَصْلٌ
في العُزلة

عن أبي أمامة قال: قالَ عقبة بن عامر: قلت: يا رسولَ الله، ما النَّجاة؟ قال: «**املكْ عليكَ لسانك، وليسعْكَ بيتُك، وابكِ علىٰ خطيئتك**»[2].

وقيل: إنَّه أُتيَ عبدالله بطيرٍ صِيدَ له، فقال: لوددتُ أنِّي بحيثُ صِيدَ هذا الطَّير، لا أكلِّمُ بشراً ولا يكلِّمني بشر، حتَّىٰ ألقَىٰ الله تعالىٰ[3].

وقالَ سهل بن سعد السَّاعدي: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّ أعجبَ النَّاسِ إليَّ رجلٌ مؤمنٌ بالله ورسله، يقيمُ الصَّلاة، ويؤتي الزكاة، ويعمِّرُ ماله، ويحفظُ دينه، ويعتزلُ النَّاس**»[4].

وقالَ عبدالله بن العبَّاس رضي الله عنهما: لولا مخافةُ الوسواس، لدخلتُ إلىٰ بلادٍ

---

(١) العفو والاعتذار ٢/٥٦٤، كتاب التوابين لابن قدامة ص ١٦٦، نهاية الأرب ٦/٦١، زهر الآداب ٣/٨٤٠.

(٢) الزهد لابن المبارك (١٣٤)، شعب الإيمان (٤٥٨٢)، سنن الترمذي (٢٤٠٦) وقال: حديث حسن، مسند أحمد (٢٢٢٣٥) قال محققه: حسن لغيره. وصححه في صحيح الجامع (١٣٩٢)، وفي السلسلة الصحيحة ٦/٨٥٩.

(٣) المعجم الكبير للطبراني (٨٧٥٨)، الزهد لهناد ٢/٥٨٦، تاريخ مدينة دمشق ٣٣/١٧٤. والمقصود عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وهكذا إذا أُطلق اسم (عبدالله) يكون المقصود به هو. ويتضح القول من السياق الذي أورده الطبراني، من أنه جيء بالطير من مسيرة أربع، فتمنىٰ أن يكون بعيدًا عن الناس بتلك المسافة.

(٤) العزلة والانفراد لابن أبي الدنيا (٥)، المتجر الرابح (١٩٣٢)، الترغيب للمنذري ٣/٤٤١، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب.

لا أنيسَ بها، وهل يفسدُ النَّاسَ إلَّا النَّاسُ[1]؟

وعن ابن لهيعة، عن سيّار بن عبدالرَّحمن قال: قالَ لي بكير بن عبدالله بن الأشج: ما فعلَ عمُّك؟ قلت: لزمَ البيتَ منذ كذا وكذا، فقال: إنَّ رجالاً من أهلِ بدر لزموا بيوتهم بعد قتلِ عثمان بن عفَّان، فلم يخرجوا إلَّا إلىٰ قبورهم[2]!

وقالَ حذيفة: والله لوددتُ أنَّ إنساناً يكونُ في مالي، ثمَّ أغلقُ باباً، فلا يدخلُ عليَّ أحدٌ حتَّىٰ أُلحَقَ بالله تعالىٰ[3].

وقالَ [٢٦٥/أ] داود الطائي: توحَّشْ من النَّاسِ كما توحَّشُ من السِّباع[4].

قال: وكان يقولُ أيضاً: كفىٰ باليقينِ زهداً، وكفىٰ بالعلمِ[5] عبادة، وكفىٰ بالعبادةِ شغلاً[6].

وكان سفيان[7] يقول: ما شيءٌ خيرٌ للإنسانِ من جُحرٍ يدخلُ فيه[8].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «**صوامعُ المسلمين بيوتهم**»[9].

---

(١) مداراة الناس (١٢٦)، العزلة والانفراد (٨)، غذاء الألباب ٢/٤٦٣.

(٢) العزلة والانفراد (٩)، الإبانة الكبرىٰ لابن بطة (٧٦٣).

(٣) العزلة والانفراد (١١)، كتاب المتمنين (١٠٠)، الزهد لهناد ٢/٥٨٢، صفة الصفوة ١/٢٣٤.

(٤) العزلة والانفراد (٢١)، حلية الأولياء ٧/٣١٣ وفيه: توحش من الدنيا.

(٥) في المتن «بالفكر»، وتصحيحه إلىٰ «العلم» في الهامش، وهو كما في المصادر.

(٦) العزلة والانفراد (٢٢)، سير أعلام النبلاء ٧/٤٢٤.

(٧) سفيان الثوري.

(٨) العزلة والانفراد (٢٣).

(٩) العزلة والانفراد (٢٤) عن الحسن البصري مرسلًا. ويرد في مصادر أخرىٰ «صوامع=




وقالَ أبو الدرداء: نعمَ صومعةُ الرجلِ المسلمِ بيته، يكفُّ لسانَهُ وفرجَهُ وبصره، وإيَّاكم ومجالسَ الأسواق، فإنَّها تُلهي وتُلغي[1].

وقالَ مكحول: إن كان الفضلُ في الجماعة، فالسلامةُ في العزلة[2].

وقالَ الفضيل: كان يقال: من استوحشَ من الوحدةِ واستأنسَ بالنَّاس، لم يسلمْ من الرِّياء[3].

وكان أيضاً يقول: من خالطَ النَّاس لم يسلمْ ولم ينجُ من إحدىٰ اثنتين: إمَّا أن يخوضَ معهم إذا خاضوا في باطل، وإمَّا أن يسكتَ إن رأىٰ منكراً أو سمعَهُ من جلسائهِ فلا يغيِّر، فيأثمُ ويشركهم فيه[4].

وقالَ أبو مهلهل[5]: أخذني سفيان الثوري وأخرجني إلىٰ الجَبَّان[6] فاعتزلنا ناحيةً من طريقِ النَّاس، فبكىٰ ثمَّ قال: يا أبا مهلهل، إن استطعتَ ألّا تخالطَ في زمانِكَ هذا أحداً فافعل، وليكنْ همُّكَ مرمَّةَ جهازك، واحذرْ إتيانَ هؤلاء الأمراء، وارغبْ إلىٰ الله في حوائجِكَ لديه، وافزعْ إليه فيما ينوبك،

= المؤمنين»، كما في الكامل في الضعفاء لابن عدي (١٧٦٠)، والمجروحين لابن حبان (١٠١١).

(١) العزلة والانفراد (٢٦).

(٢) العزلة والانفراد (٢٧).

(٣) العزلة والانفراد (٣٠)، قوت القلوب ٢/٢٦٤.

(٤) العزلة والانفراد (٣١)، العزلة للخطابي ص ٢٧.

(٥) في الأصل «مهلهل»، هنا وفيما يأتي، وهو أبو المهلهل سعيد بن صدقة الكوفي، روىٰ عن سفيان الثوري، وروىٰ عنه عياش الكلبي. الثقات لابن حبان ٨/٢٦٢.

(٦) الجبّان: المقبرة.




وعليكَ بالاستغناءِ عن جميعِ النَّاس، وارفعْ حوائجكَ إلىٰ من لا تَعظمُ[1] الحوائجُ عنده، فوالله ما أعلمُ اليوم [٢٦٥/ب] بالكوفةِ أحداً لو فزعتُ إليه في قرضِ عشرةِ دراهمَ أقرضني ثمَّ كتمها عليَّ[2]، حتَّىٰ يذهبَ ويجيءَ ويقول: جاءني سفيانُ فاستقرضني فأقرضته[3]!

وقالَ شعيب بن حرب: دخلتُ علىٰ مالك بن مغول بالكوفةِ وهو في دارٍ وحدَهُ جالس، فقلت: أما تستوحشُ في هذه الدارِ وحدك؟ فقال: ما كنتُ أرىٰ أنَّ أحداً يستوحشُ مع الله تعالىٰ[4].

وقالَ ابن أبي روح[5]: أنشدني السري بن حيّان[6]:

أنستُ بالوحدةِ من بعدِ ما   قد كنتُ بالوحدةِ مستوحشا[7]

وقيلَ للحسن: هاهنا رجلٌ لم نرَهُ قطُّ جالساً إلىٰ أحد، إنَّما هو أبداً جالسٌ خلفَ ساريةٍ وحده، فقالَ الحسن: إذا رأيتموهُ فأخبروني به، قالوا: فمرُّوا به ذاتَ يومٍ ومعهم الحسن، فأشاروا إليه وقالوا: ذلك الرجلُ الذي أخبرناكَ به، فقال: امضوا حتَّىٰ آتيَه، فلمَّا جاءَهُ قالَ له: يا عبدَ الله، أراكَ قد

---

(١) في الأصل: لا يعظم.

(٢) في الأصل «ولم يكتمها، ثم كتمها عليّ»، وإحدىٰ الجملتين مقحمة، فحذفت الأولىٰ، وأبقيتها كروايتها في مداراة الناس.

(٣) العزلة والانفراد (٣٣)، إصلاح المال (٥٠٢) وغذاء الألباب ٢/٤٦٤ قسم منه، مداراة الناس (١٢٣) القسم الأخير منه.

(٤) العزلة والانفراد (٥٢)، العزلة للخطابي ص ١٦، إتحاف السادة المتقين ٦/٣٧٨.

(٥) هنا زيادة كلمة «قال».

(٦) في مصدره: السري بن يحيىٰ.

(٧) العزلة والانفراد (٤٩).

حُبِّبَتْ إليكَ العزلة، فما يمنعُكَ من مخالطةِ النَّاس؟ فقال: ما أشغلني عن النَّاس! قال: فتأتي هذا الرجلَ الذي يقالُ له الحسنُ فتجلسُ إليه، قال: ما أشغلني عن النَّاسِ وعن الحسن! فقالَ له الحسن: فما الذي يشغلُكَ رحمكَ الله عن النَّاسِ وعن الحسن؟ قال: إنِّي أمسي وأصبحُ في ذنبٍ ونعمة، فرأيتُ أن أشغلَ نفسي عن النَّاسِ [٢٦٦/أ] بالاستغفارِ للذَّنبِ وشكرِ الله تعالىٰ علىٰ النِّعمة، فقالَ له الحسن: يا عبدَ الله، أنت أفقهُ عندي من الحسن، فالزمْ ما أنت عليه(١).

وقالَ عبدالله بن مسعود: كونوا ينابيعَ علم، جُددَ القلوب، خُلقانَ الثياب، سُرجَ الليل، تُعرَفوا في أهلِ السماء، وتُخفوا علىٰ أهلِ الأرض(٢).

قالَ أيَّدهُ الله(٣): وهذه العزلةُ تستحبُّ لمن لا يمكنهُ إصلاحَ النَّاس، فأمَّا من يُحتاجُ إليه في دينهم ومعرفةِ أحكامهم، فلا بدَّ له من لقائهم ومخالطتهم، حسبَ الحاجةِ إلىٰ ذلك.

وقد رويَ أنَّ الله ﷻ أوحىٰ إلىٰ داودَ عليه السلام: يا داود، خالطِ النَّاسَ بأخلاقهم، واحتجزِ الإيمانَ بيني وبينك(٤).

وروي أنَّ عمر بنَ الخطَّاب رضي الله عنه أمرَ أبا موسىٰ أن يمضيَ إلىٰ البصرةِ ليُقرئَ النَّاسَ القرآن، فامتنع، فأجبرَهُ علىٰ ذلك وقالَ له: لو أمكنني أن أنفذَ

(١) الشكر لابن أبي الدنيا (١٩٦)، العزلة والانفراد (٧٣) وذكر محققه أنه ضعيف بسنده ومتنه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) المقصود المؤلف، وتكون العبارة من كتابة تلميذ له أو ناسخ.

(٤) سبق.

بكلِّ جزءٍ منكَ إلىٰ موضعٍ لفعلت! فيقال: إنَّه لمَّا خرجَ إلىٰ البصرةِ واستقرَّ فيها، ختمَ عليه زيادةٌ علىٰ مئةِ ألفِ نفسٍ بالبصرة.

ويحكىٰ أنَّ بعضَ أهلِ العلمِ كان له ولدٌ قد انعزلَ وتركَ الاشتغالَ بالعلم، واشتغلَ بالعبادة، فاستدعاهُ يوماً، فقالَ له: يا بنيَّ، ما أنت فيه وعليه من تركِكَ العلمَ واشتغالِكَ بالعبادةِ هلكَ به خلقٌ كثير، فقالَ له: يا أبه، أيهلكون بالعبادة؟ فقال: نعم، وذاكَ [٢٦٦/ب] أنَّه حدثَتْ فيهم حوادث، ففزعوا فلم يجدوا من يفزعون إليه إلَّا العُبَّاد، فرجعوا إليهم فلم يجدوا عندهم من العلم، فهلكوا.

ومخالطةُ النَّاسِ لمن يُصلحهم ويقومُ فيهم بالحقِّ والعلم، أفضلُ من عزلتهِ وتخلِّيه، إلَّا أنَّ هذه منزلةٌ عاليةٌ صعبة، لا يكادُ يسلمُ منها إلَّا الأفراد.

ورويَ أنَّ عمر بنَ الخطَّاب عليه السلام مرَّ براهبٍ في صومعته، فقالَ له: يا راهب، خالطِ النَّاسَ واخرجْ إليهم، فقالَ له: يا أميرَ المؤمنين، إنَّما تقولُ ذلك ودينُكَ جديد، فلو قد خَلَقَ دينُكَ[1] لطلبتَ موضعاً تجلسُ فيه كما أنا جالسٌ في موضعي.

ويحتاجُ من يخالطُ النَّاسَ علىٰ ما ذكرناهُ وينفعُهم، أن يدَعَ الشَّرَهَ في طلبِ فواضلِ الدنيا، وتركَ التَّكبُّرِ عليهم، والإعجابَ بنفسه، فإن سلمَ من هذه الخصالِ فقد علَتْ حالهُ وسلم، قالَ الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

وقالَ الله تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ

(١) يعني صار قديمًا.

ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

قالَ أيَّدَهُ الله: من تأدَّبَ تأدُّبَ[1] الله ﷻ في مخالطةِ النَّاس كانت خيراً له من العزلة، ومن لم يستطعْ ذلك فالعزلةُ خيرٌ له. ونسألُ الله بالتوفيقِ لأسلمِ الطُّرقِ وأحبِّها إليه ﷻ.

فَصْلٌ
في الإخلاص

قالَ أيَّده الله: قالَ الله ﷻ: [٢٦٧/أ] ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وقالَ تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الروم: ٣٨].

وقالَ تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقد روىٰ ابنُ مسعود عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**نضَّرَ الله امرأً سمعَ مقالتي فحفظها، فإنه رُبَّ حاملِ فقهٍ غيرِ فقيه، وربَّ حاملِ فقهٍ إلىٰ من هو أفقهُ منه. ثلاثٌ لا يُغِلُّ[2] عليهنَّ قلبُ رجلٍ مسلم: إخلاصُ العملِ لله تعالىٰ، والنصيحةُ لولاةِ الأمر، ولزومُ جماعةِ المسلمين، فإنَّ دعاءَهم يحيطُ من ورائهم**»[3].

---

(١) ويصلح أن يقال: بأدب الله.

(٢) في الأصل «يغلب». ويغل بمعنىٰ يخون، أي: لا يكون معها في قلبه غشّ ونفاق.

(٣) معجم أبي يعلىٰ الموصلي (٢١٩)، المعجم الأوسط للطبراني (٥١٧٩)، مسند الشافعي=

وقالَ عمر بنُ الخطَّاب ﷺ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات، وإنَّما لامرئٍ ما نوىٰ، فمن كانت هجرتهُ إلىٰ الله وإلىٰ رسولِهِ فهجرتهُ إلىٰ الله وإلىٰ رسوله، ومن كانت هجرتهُ لدنيا يصيبُها، أو امرأةٍ يتزوَّجُها، فهجرتهُ إلىٰ ما هاجرَ إليه**»[1].

وكتبَ عمر بنُ الخطَّاب ﷺ إلىٰ عبدالله بن عمر: اعلمْ أنَّه لا عملَ لمن لا نيَّةَ له، ولا أجرَ لمن لا حسبةَ له، ولا مالَ لمن لا رفقَ له، ولا صديقَ لمن لا خُلقَ له[2].

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**طوبىٰ للمخلصين، أولئك مصابيحُ الهدىٰ، تنجلي عنهم كلُّ فتنة ظلماء**»[3].

ورويَ عن معاذ بن [٢٦٧/ب] جبل أنَّه قالَ لرسولِ الله ﷺ حين بعثَهُ إلىٰ اليمن: يا رسولَ الله، أوصني، قال: «**أخلِصْ دينكَ يكفِكَ القليلُ من العمل**»[4].

= بترتيب السندي (١٦)، حلية الأولياء ٧/٣٣١، سنن الترمذي (٢٦٥٨)، وصححه له في صحيح الترمذي. وهو باختلاف ألفاظ قليلة، وللحديث روايات أخرىٰ.

(١) صحيح البخاري (٥٤، ٥٠٧٠)، صحيح مسلم (١٩٠٧). وهو باختلاف ألفاظ قليلة. والحديث مشهور متواتر.

(٢) مشيخة قاضي المارستان (٦٠٠)، بهجة المجالس ١/٢٢٦، عيون الأخبار ١/٣٥٧، أمالي القالي ٢/٥٥.

(٣) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (الحديث الأول)، حلية الأولياء ١/١٥، وذكر الألباني أنه موضوع. ضعيف الجامع (٣٦٣٦).

(٤) حلية الأولياء ١/٢٤٤، شعب الإيمان (٦٤٤٣، ٦٤٤٤)، وضعفه في ضعيف الجامع (٢٤٠).

وقالَ الحواريُّون لعيسىٰ بنِ مريم عليه السلام: ما الإخلاصُ لله عز وجل؟ قال: الذي يعملُ العملَ لا يحبُّ أن يحمدَهُ عليه أحدٌ من النَّاس، قال: قالوا: فمن النَّاصحُ لله عز وجل؟ قال: الذي يبدأُ بحقِّ الله قبلَ حقِّ النَّاس، وإذا عُرِضَ له أمران: أحدُهما للدنيا، والآخرُ للآخرة، بدأَ بأمرِ الله قبلَ أمرِ الدُّنيا[1].

وقالَ عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه: لا يقلُّ عملٌ مع تقوىٰ، وكيف يقلُّ ما يُتقبَّل[2]؟

وقالَ أيضاً عليٌّ عليه السلام: كونوا لقبولِ العملِ أشدَّ همًّا منكم بالعمل، ألم تسمعوا الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[3]؟ [المائدة: ٢٧].

وعن محمَّد بن واسع قال: إذا أقبلَ العبدُ إلىٰ الله عز وجل أقبلَ الله عز وجل بقلوبِ العبادِ إليه[4].

وقالَ أبو حازم: عند تصحيحِ الضمائرِ تُغفَرُ الكبائر، وإذا عزمَ العبدُ علىٰ تركِ الآثامِ أتتهُ الفتوح[5].

---

(١) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (٤)، قوت القلوب ٢/٢٦٣، إحياء علوم الدين ٤/٣٨٢.

(٢) الإخلاص والنية (٦)، الزهد الكبير للبيهقي (٧٠٨)، صفة الصفوة ١/١٢٠، حسن التنبه ٦/٣٩٧.

(٣) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (١٠)، لطائف المعارف ص ٢٠٩، الحكم العطائية ١/١٣٤.

(٤) الإخلاص والنية (١٢)، الزهد الكبير (٧٩٨)، صفة الصفوة ٢/٣٨٤، ذم المال والجاه ص ٤٠.

(٥) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (١٤)، صفة الصفوة ١/٣٨٩، التبصرة لابن الجوزي ١/٢٠٠.

وروىٰ محمَّد بن أبي منصور، أنَّ عابداً من بني إسرائيلَ عبدَ الله في سربٍ أربعينَ سنة، فكانت الملائكةُ ترفعُ عملَهُ إلىٰ السماءِ ولا يُقبل، فقالتِ الملائكة: وعزَّتِكَ ربَّنا، ما رفعنا إليكَ إلَّا حقًّا، فقال: صدقتُم ملائكتي، ولكنَّه كان يُحبُّ أن يُعرَفَ مكانُه(١).

وكان [٢٦٨/أ] فَضالة بنُ عبيد يقول: لأن أكونَ أعلمُ أنَّ الله ﷻ تقبَّلَ منِّي مثقالَ حبَّةٍ من خردل، أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها؛ لأنَّ الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٢).

وروىٰ عبدالمجيد بن عبدالعزيز عن أبيه قال: أدركتُهم يجتهدون في العملِ الصالح، فإذا بلغوهُ وقعَ عليهم الهمُّ: أيُقبَلُ منهم أم لا(٣)؟

وقالَ محمَّد بن جعفر بن عون: قيلَ لعابدٍ مرَّة: ما تشتهي؟ قال: أشتهي والله نيَّةً تبلغني إلىٰ خيرِ الآخرة.

وقالَ مالك بنُ دينار: إنَّ للمؤمنِ نيَّةً في الخيرِ أبداً أمامه، لا يبلغُها عملُه، وإنَّ للفاجرِ نيَّةً في الشَّرِّ هي أبداً أمامه، لا يبلغُها عمله، والله مُبلِغٌ لكلٍّ ما نواه(٤).

---

(١) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (١٩)، قوت القلوب ٢/٢٦٤

(٢) الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا (٢٠)، لطائف المعارف ص ٢٠٩، حسن التنبه ٣/٣٤٤.

(٣) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (٨٢)، قوت القلوب ٢/٢٦٤، لطائف المعارف ص ٢٠٩. وقائله في المصدرين الأخيرين عبدالعزيز بن أبي رواد.

(٤) الأجوبة المرضية للسخاوي ١/٣٥٠، ربيع الأبرار ٣/٧٠، حسن التنبه ٣/٢٥١، ٤/٣٨٦، وذكر في الموضع الأخير أن ابن أبي الدنيا رواه في كتابه الإخلاص والنية، ولم أره فيه.

وكان من دعاءِ أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: اللَّهمَّ هبْ لي إيماناً ويقيناً ومعافاةً ونيَّةً[1].

ورويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: **«من أصبحَ ولم يَهُمَّ بظلمِ أحد، غُفِرَ له ما اجترم»**[2].

وعن أبي هريرة أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: **«يقولُ الله تعالىٰ: إذا همَّ عبدي بحسنةٍ ولم يعملها كتبتُها له حسنة، فإن عملَها كتبتُها له عشرَ حسناتٍ إلىٰ سبعِمئة ضِعف، وإذا همَّ عبدي بسيِّئةٍ ولم يعملها لم أكتبها عليه، فإن عملَها كتبتُها عليه سيِّئةً واحدة»**[3].

وقيلَ لبعضِ الحكماء: فلانٌ بعيدُ الهمَّة، قال: إذاً لا يرضَىٰ بمنزلةٍ دونَ الجنَّة[4].

وقيل: [٢٦٨/ب] إنَّه إنَّما سمِّيَ القلبُ لتقلُّبه، وإنَّما مثَلُ القلبِ مثَلُ ريشةٍ بفلاةٍ من الأرضِ تمرُّ بها الريح[5].

وقالَ حذيفة:

(١) كتاب اليقين لابن أبي الدنيا (٦)، الرياض النضرة في مناقب العشرة ١/١٩٣، معجم الشيوخ الكبير للذهبي ١/٣٣٠.

(٢) الترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين (٥٢٢)، تاريخ مدينة دمشق ٥٣/٢٧٣، وذكر الحافظ العراقي أن ابن أبي الدنيا أخرجه في كتاب النية (وفي طبعة أخرىٰ من الإحياء «كتاب السنة»، وهو موافق لما في إتحاف السادة المتقين ٥/١٥٩) وأن سنده ضعيف. إحياء علوم الدين ١/٣٤٤.

(٣) متفق عليه. صحيح مسلم (١٢٨)، صحيح البخاري (٧٥٠١). واللفظ للأول.

(٤) الآداب الشرعية لابن مفلح ١/٣٥٢، حسن التنبه ١١/٤٩٠. والقول للعتابي.

(٥) سبق.

لـيس مـن مـاتَ فاسـتراحَ بميْـتٍ   إنَّمـا الميْـتُ ميِّـتُ الأحيـاءِ[١]

فقيلَ له: يا أبا عبدالله، وما ميِّتُ الأحياء؟ قال: الذي لا يعرفُ المعروفَ بقلبه، ولا ينكرُ المنكرَ بقلبه[٢].

وقالَ عمر بنُ الخطَّاب رضي الله عنه في قولهِ عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [الحجرات: ٣] قال: أذهبَ بالشهواتِ منها[٣].

وقالَ أبو سليمان: إذا سلا العبدُ عن الشَّهواتِ فهو راضٍ[٤].

وكان من دعاءِ جعفر بن محمَّد عليهما السلام: اللَّهمَّ أعزَّني بطاعتك، ولا تخزني بمعصيتك، اللَّهمَّ ارزقني مواساةَ من قترت عليه رزقكَ بما وسَّعتَ عليَّ من فضلك.

قال أبو معاوية[٥]: فحدَّثتُ بذلك سعيد بنَ سالم، فقال: هذا دعاءُ

---

(١) لطائف المعارف ص ٣٠٩ (دون عزو)، الزهد لأحمد (١٦٠٧) والبيان والتبيين ١/١١٦ (من إنشاد الحسن)، خزانة الأدب للبغدادي ٩/٥٨٣ لعدي بن الرعلاء الغساني.

(٢) ورد القولان معًا كما أورده المصنف في كتاب ذكر الموت لابن أبي الدنيا (٢٧)، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١٢/٢٩١، ويردان منفصلين كذلك، فقال أحدهم عند عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر، قال عبدالله: «هلك من لم يعرف المعروف بقلبه، وينكر المنكر بقلبه»، كما في شعب الإيمان (٧١٨٢).
أما الأول، فسؤال وجِّه إلىٰ حذيفة رضي الله عنه دون ذكر البيت: ما ميت الأحياء؟ قال: «من لم يعرف المعروف بقلبه، وينكر المنكر بقلبه»، كما في مصنف ابن أبي شيبة (٣٨٧٣٢).

(٣) الكشف والبيان للثعلبي ٩/٧٣، ولفظه فيه: «أذهب الشهوات منها». وقال مرة رضي الله عنه: إن الذين يشتهون المعصية ولا يعملون بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾. الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٧/٥٥٢.

(٤) الرضا عن الله بقضائه (١٨)، الرسالة القشيرية ٢/٣٤٣. وأبو سليمان هو الداراني.

(٥) هو المفضل بن غسان الغلابي البصري.

الأشراف[1].

وقد اختلفَ الفقهاءُ في الإمامِ إذا كان راكعاً، فدخلَ رجلٌ إلىٰ المسجد، فهل ينتظرهُ ليدخلَ معه في الركوع؟ فقالَ أبو حنيفة: لا ينتظره، وتكونُ صلاتهُ خالصةً لله ﷻ.

وأصحابُ الشافعيِّ يختلفون في ذلك، فمنهم من يقول: يستحبُّ انتظاره، ومنهم من يقول: يُكرَهُ انتظاره، والصوابُ في ذلك: إن كان انتظارهُ لأجلِ الداخلِ وموضعهِ كُرهَ ذلك، وإن كان إنَّما غرضهُ بالانتظارِ تحصيلُ صلاةِ الداخلِ لله تعالىٰ لم [٢٦٩/أ] يُكره.

قالَ أيَّدَهُ الله: وقد قيلَ في رجلٍ قامَ يصلِّي لدفعِ غريمه: إنَّه تصحُّ صلاته، ويكونُ له ثوابها ما لم يثقلْ علىٰ المأمومين؛ لأنَّه لله تعالىٰ صلَّىٰ، وإن كان يدفعُ بذلك غريمه. والأولَىٰ في ذلك أن يقال: إنَّ هذه الصَّلاةَ وإن صحَّتْ فإنَّه ينقصُ ثوابُها؛ لأنَّه لم يكنِ الداعي إليها العملَ لله تعالىٰ خالصاً.

وقد رويَ أنَّ رجلاً قد دخلَ وقد فاتتهُ الجماعة، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**من يتصدَّقُ علىٰ هذا فيصلِّي معه**»[2]؟

وهذا يُحمَلُ علىٰ أنَّ المصلِّيَ معه إنَّما يقصدُ به الثوابَ خاصَّة، وإن عادَ

---

(١) حلية الأولياء ١٩٦/٣، تهذيب الكمال ٩١/٥، ربيع الأبرار ٣٦٨/٤، التذكرة الحمدونية ٣٠٠/٢، البداية والنهاية ١١٣/٩.

(٢) صحيح ابن حبان (٢٣٩٨، ٢٣٩٩) وقال محققه: إسناده صحيح، مسند أحمد (١١٠١٩) ومواضع أخرىٰ من المسند، وقد صحح الشيخ شعيب إسناده كذلك، كما صححه له الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٨٠)، من رواية أبي سعيد الخدري.

بنفعِ مَن صلَّىٰ معه.

وقد رويَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه سئلَ عن رجلٍ يُخفي عمله، فإذا ظهرَ عليه سرَّه، فقال: «**له ثوابُ السِّرِّ وثوابُ العلانية**»(١).

وهذا يحتملُ أنَّه جعلَ ثوابَ السِّرِّ لأنَّه صلَّىٰ سرًّا، فلمَّا ظهرَ عليه سَرَّه، فحصلَ له بذلك ثوابٌ أيضاً لسرورِهِ بالطاعة.

ويحتملُ أن يريدَ بذلك أنَّ العملَ لم يُخلَصِ السِّرُّ فيه، فكان له بعضُ ثوابِ السِّرِّ، وبعضُ ثوابِ العلانية(٢).

والله الموفِّقُ للصَّواب.

---

(١) بلفظ «له أجران: أجر السرِّ وأجر العلانية» من رواية أبي ذرّ ﷺ، رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ٨/٢٥٠ وذكر أن المحفوظ عن أبي صالح (وهو ذكوان) مرسلًا، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٦١٠، ٦٦١١) (الأول دون تحديد اسم الصحابي، والآخر عن أبي صالح مرسلًا، وأوله: لك أجران)، وبهذا اللفظ عند ابن ماجه (٤٢٢٦) من رواية أبي هريرة، والترمذي (٢٣٨٤) وقال: حديث غريب. وضعفه من رواية أبي هريرة في السلسلة الضعيفة (٤٣٤٤). وقال الحافظ الهيثمي في رواية أبي هريرة التي رواها الطبراني في المعجم الأوسط (٤٧٠٢) ـ وهي عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه ـ: رجال ثقات. مجمع الزوائد ١٠/٢٩٠.

(٢) وقال الإمام الترمذي عند تخريج الحديث (٢٣٨٤) في كلام مفيد: فسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقال: إذا اطلع عليه فأعجبه، فإنما معناه أن يعجبه ثناء الناس عليه بالخير، لقول النبي ﷺ: «أنتم شهداء الله في الأرض»، فيعجبه ثناء الناس عليه لهذا؛ لما يرجو بثناء الناس عليه، فأما إذا أعجبه ليعلم الناس منه الخير، ليكرم علىٰ ذلك ويعظم عليه، فهذا رياء. وقال بعض أهل العلم: إذا اطلع عليه فأعجبه رجاء أن يعمل بعمله فيكون له مثل أجورهم، فهذا له مذهب أيضًا.

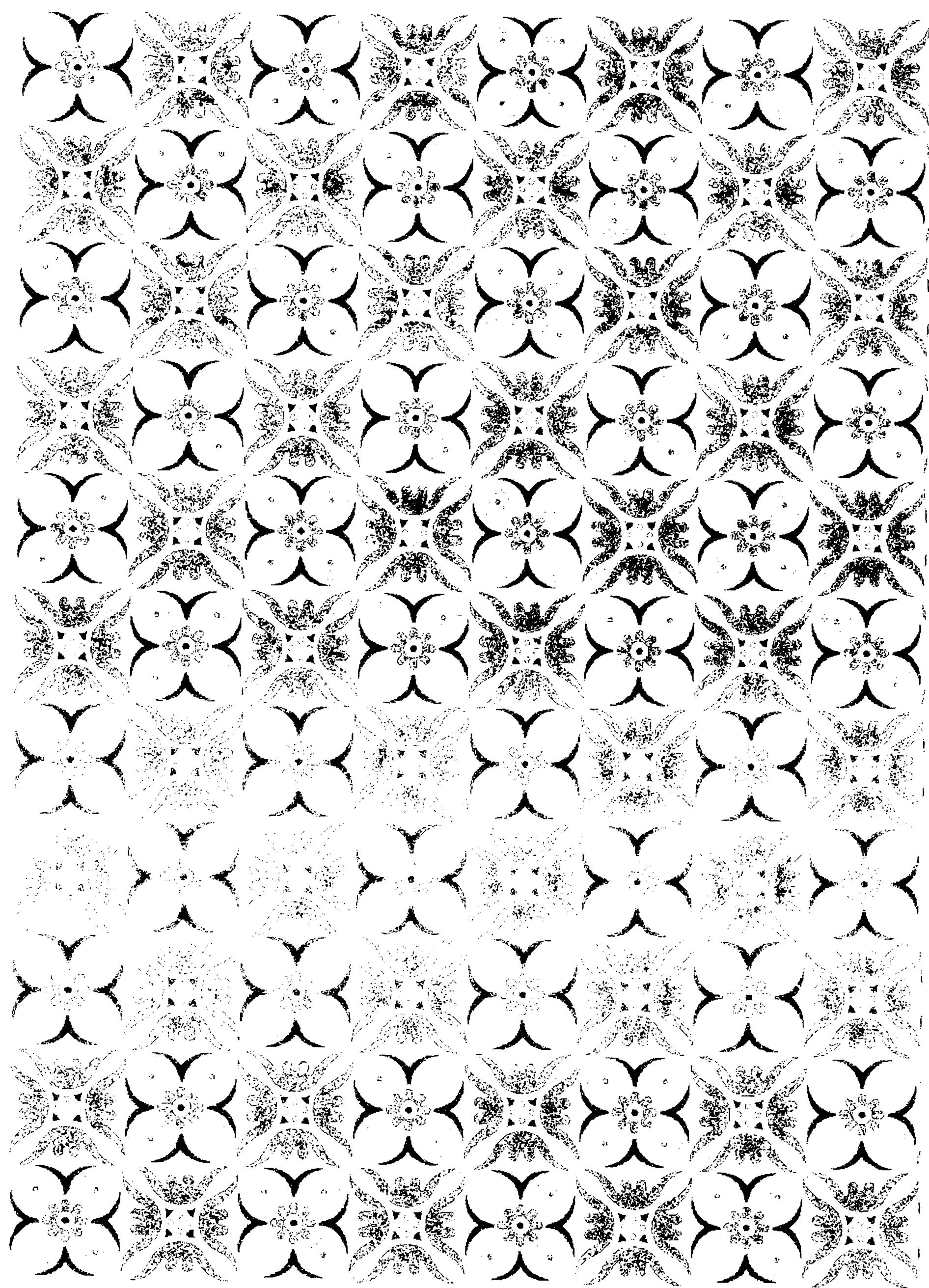



تمَّ الكتاب ، والحمدُ لله ربِّ العالمين ،
وصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ النَّبيِّ وآلهِ أجمعين .

كتبهُ الفقيرُ إلىٰ رحمةِ الله تعالىٰ محمَّد بن سالم بن جناب المنبجيّ[1] ، غفرَ الله له ولوالديهِ ولجميعِ المسلمين ، في أيَّام آخرها ثالثُ عشرَ المحرم ، سنةَ سبعٍ وثلاثين وستِّمئة ، بدمشق المحروسة [٢٦٩/ب] .



(١) نسبة إلىٰ مَنْبِج ، بلدة تابعة لحلب .



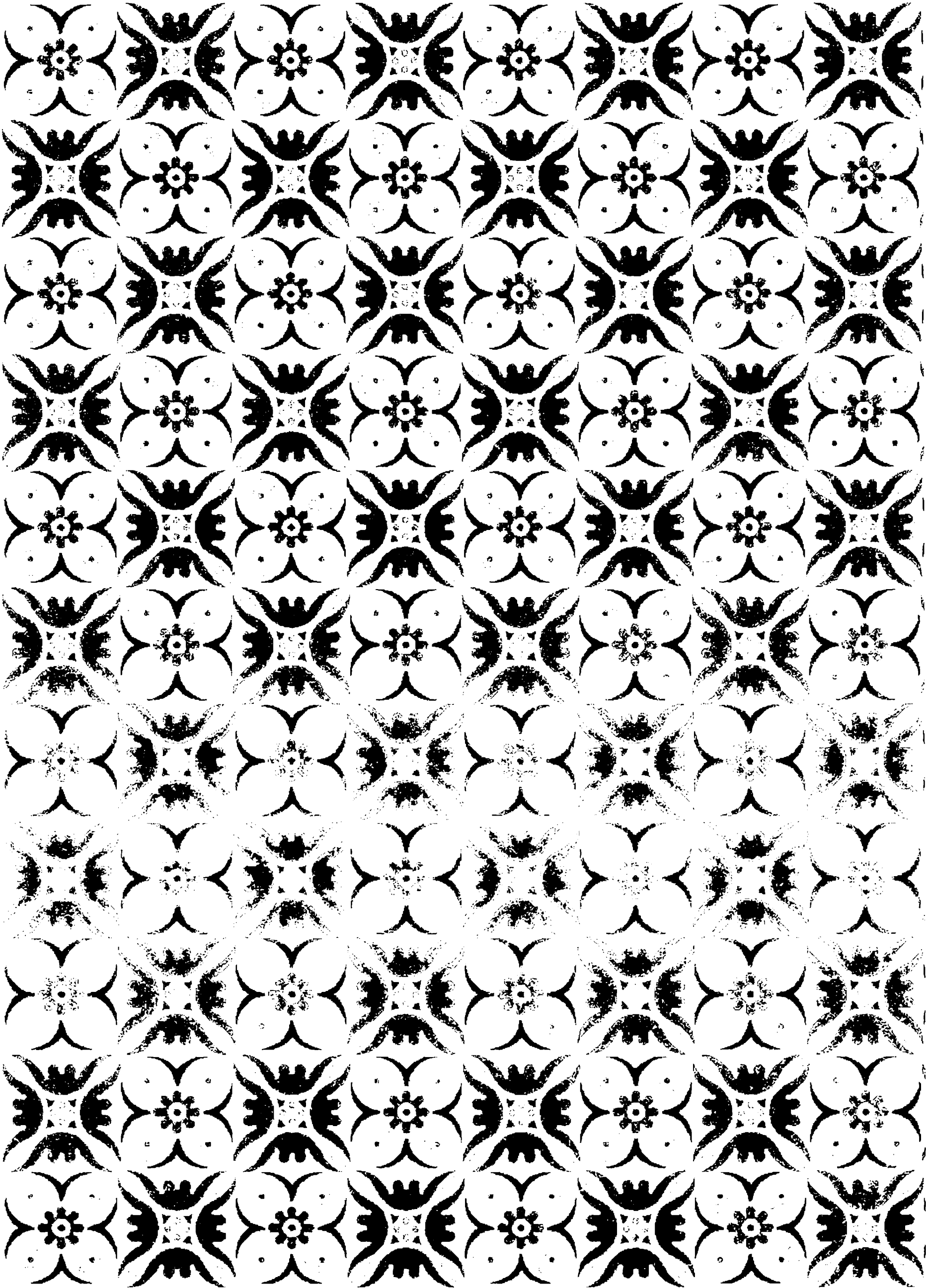
الفهارس العامة

١ ـ فهرس الآيات القرآنية .

٢ ـ فهرس الأحاديث .

٣ ـ فهرس المراجع .

٤ ـ فهرس الموضوعات .



فهرس الآيات القرآنية

الآيـة	رقمها	الصفحة

سورة الفاتحة

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	١ - ٣	١٧١
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٢	١٦٤
﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾	٣	١٦٤
﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾	٤	١٦٤
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	١٦٤
﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	١٦٤

سورة البقرة

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	٤ - ٥	١٥٢
﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾	٢٣ - ٢٤	٤٥
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	٣٠	١٤١
﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾	٣١	١٤١
﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	٣٢	١٤٢
﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾	٣٤	٤٦٧
﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾	٤١	٢٣٦
﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾	٤٥	٢١٣

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾	١٨٥	٢٢٧
﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	١٩٥	٣٨١
﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝٢١٩ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾	٢١٩ - ٢٢٠	١٣٩
﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾	٢٣٨	١٧٣
﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾	٢٤٥	٢٧٣ ٣٦٦
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾	٢٥٥	٣٦١ ٥٤١
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾	٢٦٠	٣٥
﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾	٢٦١	٣٧٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾	٢٦٧	٣٥٩
﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾	٢٨١	١٧٠

سورة آل عمران

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾	١ - ٢	٥٤٠ ٥٤١
﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾	١٨	١١٧ ٢٤٢ ٥٤٥
﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾	٢٦	٢٤٢
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾	٣١	٦٢٧
﴿إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾	٣٥	٣١٧

الآيــة	رقمها	الصفحة
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾	١٤٤	٤١٨
﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾	١٤٦	٤١٨
﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾	١٥٩	٦٥٩
﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾	١٥٩	٣٠٩
﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾	١٦٠	٤٢٦
﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾	١٦٣	٤١٧
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	١٦٩ - ١٧٠	٤١٠
﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾	١٧٠	٢٦١
﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾	١٨٠	٢٧٤ ٣٧٨
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾	١٩٠	١٨٣
﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾	١٩١	١٦١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	٢٠٠	٤٢٣

سورة النساء

﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾	٥	٣٠٠
﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾	١٨	٥٢٩
﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾	٢٦	٣٨٧
﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾	٣١	٤٤٩ ٥١٢

سورة المائدة

سورة الأنعام




سورة الأعراف

سورة الأنفال




الآيــة	رقمها	الصفحة
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ﴾	٧٤	١٢٩

سورة التوبة

الآيــة	رقمها	الصفحة
﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ﴾	٢١	٢٥٧
﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾	٣٤ - ٣٥	٢٦٠ ٢٧٥ ٣٧٧
﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾	٣٨	٢٥٧
﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾	٤٠	١٠٦
﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾	٤١	٤١٧
﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾	٥١ - ٥٢	٦٦ ٣١٠
﴿قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	٦١	١٢٤
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾	٧٢	٣٩١
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾	١٠٠	٤١٦
﴿فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾	١٠٨	٢٣٥
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾	١١١	٤٠٥




الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾	١٢٢	١٢٠

سورة يونس

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾	٧ - ٨	٣٩
﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾	١٠	٦٣٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ﴾	٢٣	٤٦٧
﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	٢٤	٢٤٧ ٢٨٤
﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	٣٧	٤٨
﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾	٣٨	٤٤
﴿ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾	١٠١	١٢٥ ١٥١

سورة هود

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾	١٣	٤٤
﴿ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	٥٦	٥٤٥
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ۝١٠٣ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ۝١٠٤ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴾	١٠٣ ١٠٥	٤٣٤
﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾	١١٤	١٧٤ ٥١٢ ٥١٣




الآيــة	رقمها	الصفحة

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة إبراهيم

سورة الحجر

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾	٩٩	٣١٣
﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾	٩٤- ٩٥	٥٥

سورة النحل

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾	٥٠	٢٤٠
﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ﴾	٧٢	٣٨، ٣٩
﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾	٨٣	٣٩
﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾	١١١	٤٦٠ ٦٩١

سورة الإسراء

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾	١	٥٢
﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾	١١	٥٣٥
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ۝٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾	٢٣- ٢٤	٥٦٠ ٥٦٢
﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا﴾	٢٥	٥١٥
﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾	٢٩	٣٠٠
﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾	٤٤	٢٤٢
﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾	٧٩	١٨٧ ٣١٦
﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾	٨٨	٤٥

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾	١٠٦	١٧٠ ١٧٢
﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾	١٠٨	٦٥٢
﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾	١٠٩	٢٤٠
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾	١١١	٢٤٣

سورة الكهف

﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾	٤٩	٤٨٠ ٦٦٩
﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا ﴾	٧٧	٦٧٧
﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾	٨٢	٥٦٢
﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾	١١٠	٧٠١
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾	١٠٧	٤١٧

سورة مريم

﴿ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾	٦	٤٨٥
﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾	١٢	٣١٧ ٤٨٤
﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾	١٤	٤٨٤ ٥٦٥
﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾	٧٦	١٥١
﴿ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾	٥٨	٢٤٠

سورة طه

﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴾	١٤	١٦١
﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴾	٣١	٨٩

سورة المؤمنون

سورة النور

سورة الفرقان







الآيـة	رقمها	الصفحة

سورة القصص

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾	٧٧	٢٦٠
﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾	٧٨	٢٦١
﴿ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ﴾	٨٢	٢٦٢

سورة العنكبوت

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾	١ - ٣	١٢٥ ١٢٨ ٤٩٦
﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾	٤٥	١٧٤
﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾	٤٦	٦٤٧
﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾	٤٨	٤٣
﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾	٥١	٤٥
﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾	٦٩	١٥١ ٢٦٠

سورة الروم

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾	١ - ٣	٤٧
﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾	٧	٢٤٩ ٢٨٣

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾	٨	١٤٠
﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾	١٧	٢٤٢
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾	٢٧	١٤٤
﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾	٣٨	٧٠١

سورة لقمان

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾	١٤	٥٦١ ٥٨٦
﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾	١٥	٢٩٩ ٥٦١
﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾	١٨	٧٠٠

سورة السجدة

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿الٓمٓ ۞ تَنزِيلُ﴾	١ - ٢	١٨٦
﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾	٧ - ٨	٦٩٤
وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾	١٥	٢٤٠
﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾	١٦	١٨٢ ١٨٨ ٥٩٩

سورة الأحزاب

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾	٥	٥٢٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۞ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۞ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾	٩ - ١٠	٦٧

سورة سبأ

سورة فاطر




الآيــة	رقمها	الصفحة

سورة يس

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾	٢٢	٣٩
﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾	٥٢	٣٩٢
﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾	٦٩	٤٣، ٥٩٥
﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾	٧٨ - ٧٩	١٤٤ ١٤٥

سورة الصافات

﴿ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ١٣٦ وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ ١٣٧ وَبِٱلَّيۡلِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾	١٣٦ - ١٣٨	٤١
﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	١٨٠ - ١٨٢	٢٤٣

سورة ص

﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾	٢٧	١٤٠
﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾	٢٨	١٤٣
﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ٣١ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ﴾	٣١ - ٣٣	٢٨١
﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾	٣٩	٤٧٦
﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾	٤٠	٤٧٦
﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾	٤٥ - ٤٦	٣١٣

سورة الزمر

﴿يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖ﴾	٦	٢٩
﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾	٩	١١٧




الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	١٠	٢٨١
﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾	١٥	٢٨
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾	٣٠	٤٢١

سورة غافر

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾	١ - ٣	٤٩
﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾	١٣	٣٤، ١٥١
﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾	١٨	١٦٩
﴿تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ - ﴿فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾	٥٠	٤٣٥
﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾	٥٧	١٤٤
﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	٦٠	٣٩٩ ٥٣١ ٥٣٣
﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾	٦١	٣٣

سورة فصلت

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾	٣٠	٤٤٣
﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾	٣٤ - ٣٥	٦٤٩
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	٣٧	٢٢٩
﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾	٣٨	٢٤٠




سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الجاثية

سورة الأحقاف




الصفحة	رقمها	الآيـة

سورة محمد

٤٢٥	٤ - ٦	﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾
٤٢٦	٧	﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾
٩٩	١٧	﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾
٥٦٩	٢٢	﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾
٢٧٣	٣٦ - ٣٨	﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾

سورة الفتح

٩٩	١٨	﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾
٤٨، ٩٠	٢٠	﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾
٤٧	٢٧	﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾
٤٧	٢٨	﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾
٨٨، ١٧٤	٢٩	﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾

سورة الحجرات

٧٠٦	٣	﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾




الآيــة	رقمها	الصفحة
﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي﴾	٩	١٣٣
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	١٠	٦٤٥
﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾	١٢	٣٤٩ ٦٠٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾	١٣	٦٣٩
﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا﴾	١٤	١٢٤

سورة ق

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجِۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾	٦ ـ ٨	٣٣، ٣٤
﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾	١٨	٥٩٨
﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾	٣٧	٥٠٧

سورة الذاريات

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	٢١	٢٨

سورة الطور

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾	٧ ـ ٨	١٦٨
﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾	٢٥ ـ ٢٧	٤٣٣
﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾	٢٧	١٧٠
﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾	٢٨	٤٣٤
﴿فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾	٣٤	٤٤

سورة النجم

﴿فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ﴾	٦٢	٢٤٠




الآيــة	رقمها	الصفحة
﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾	٢٠	٢٨
﴿ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ﴾	٢٣	١٢٥ ٦٣٦
﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ﴾	٢٤	٦٣٦

سورة الصف

﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ - ﴿صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾	٢ - ٤	٤٠٥
﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾	٦	٨٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	١١	٤٠٥

سورة المنافقون

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾	٩	٤٥٧
﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	١١	٤٥٧ ٥٩٧

سورة التغابن

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾	١٥	٢٦٢

سورة الطلاق

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾	٢	٣١٠
﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾	٣	٣٠٩ ٣١٠
﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾	٥	٣١٠




الآيــة	رقمها	الصفحة

سورة التحريم

﴿ مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾	٦	٤٨٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا ﴾	٨	٥١٠

سورة الملك

﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ ﴾	١	١٨٥
﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾	١٥	٢٩٢

سورة القلم

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾	٤	٦١٨
﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴾	١٠ - ١١	٦١٤

سورة نوح

﴿ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴾	١٠ - ١٢	٢٣٣
﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ﴾	١٧ - ١٨	٣١

سورة الجن

﴿ وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقۡعُدُ مِنۡهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمۡعِۖ فَمَن يَسۡتَمِعِ ٱلۡأٓنَ يَجِدۡ لَهُۥ شِهَابٗا رَّصَدٗا ﴾	٨ - ٨	٦٠

سورة المزمل

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴾	١ - ٤	١٧٠ ١٨٧
﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴾	٦	١٨٧
﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ﴾	٧	١٨٧

الآيـة	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا (١٢) وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا﴾	١٢ - ١٣	١٦٨ ٣٤٧ ٤٣٢

سورة الإنسان

﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا﴾	٨	٢٧٧

سورة المرسلات

﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ (٢٠) فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ (٢١) إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ (٢٢) فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ﴾	٢٠ - ٢٣	٢٨ ، ٢٩

سورة النازعات

﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾	٤١	٤٢٨

سورة الانفطار

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ (١٣) وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾	١٣ - ١٤	٤٥٥

سورة المطففين

﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾	١٤	٥٣٢

سورة الانشقاق

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ﴾	٢١	٢٤٠

سورة الأعلى

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾	١	١٦٧ ٢٢٣

سورة البلد

﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ (٨) وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ (٩) وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ (١٠) فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ (١١) وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ (١٤) يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ (١٥) أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾	٨ - ١٦	٢٧٥




الآيــة	رقمها	الصفحة

سورة العلق

الآيــة	رقمها	الصفحة
﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾	٩ - ١٠	٥٣
﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾	١٩	٢٤٠

سورة القدر

الآيــة	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾	١	٢٢٠
﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾	٣	٢٢٠
﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾	٤	٢٢٠
﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾	٥	٢٢١

سورة البينة

الآيــة	رقمها	الصفحة
﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾	٥	٧٠١
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾	٧	٦٤٠

سورة الهمزة

الآيــة	رقمها	الصفحة
﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾	١	٦١٤

سورة الفيل

الآيــة	رقمها	الصفحة
﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾	٣ - ٥	٣٨٢ ٣٨٣

سورة الكوثر

الآيــة	رقمها	الصفحة
﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾	٢	٢٢٦

سورة الكافرون

الآيــة	رقمها	الصفحة
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	١	١٧٩ ٢٢٣




الآيـة	رقمها	الصفحة

سورة الإخلاص

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾	١	١٧٩ ١٨٣ ٥٥٨

سورة الفلق

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾	١	٥٥٨

سورة الناس

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾	١	٥٥٨
﴿ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ﴾	٤	١٤٧



فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة





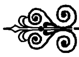


الحديث	الصفحة
العينانِ تزنيان	١٣٢
الغيبةُ أن يُذكَرَ الرَّجلُ بما فيه من خُلقه	٦٠٦
الفقرُ أزينُ للمؤمنِ من العِذارِ الحسنِ على خدِّ الفرَس	٢٨٢
الكبائرُ سبع	٥٦٣
الله أكبر (ثلاثاً)، ذو الملكوتِ والجبروتِ والكبرياءِ والعظمة	١٦٧
اللَّهمَّ اجعلني من التَّوَّابين، واجعلني من المتطهِّرين	٢٣٤
اللَّهمَّ أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين	٢٨١
اللَّهمَّ أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرةِ المساكين	٦٣١
اللَّهمَّ أحيني مسكيناً، وأمِتْني مسكيناً، واحشُرني في زُمرة المساكين	٢٨١
اللَّهمَّ ارزقني عينين هطَّالتين تبكيان بذروفِ الدموع، وتشفياني من خشيتِك	٤٨٩
اللَّهمَّ اشدُدْ وطأتكَ على مُضَر، واجعلها عليهم سنينَ كسِني يوسُف	٧٨
اللهمَّ أعمِ بصره، وأثكلْهُ ولدَه	٥٤
اللَّهمَّ أغثنا، [اللَّهمَّ أغثنا، اللَّهمَّ أغثنا]	٢٣١
اللَّهمَّ اغفرْ لي ذنبي كلَّه، دِقَّهُ وجِلَّه، وأوَّلَهُ وآخِرَه	١٦٦
اللهمَّ اكفني عامراً وأربداً	٧٧
اللَّهمَّ إنَّك حسَّنتَ خَلْقي، فحسِّن خُلُقي	٦٢١
اللَّهمَّ إنِّي أعوذَ بك أن أَزِلَّ، أو أَضِلَّ، أو أَظلِمَ أو أُظلَم، أو أجهلَ أو يُجهلَ عليَّ	٥٦٠
اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بك من الشَّيطانِ الرَّجيم، من هَمزهِ ونَفثهِ ونَفخه	١٤٨
اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من وعثاءِ السفر، وكآبةِ المنقلب، والحَوْرِ بعد الكَوْر	٥٤٧
اللَّهمَّ باسمِكَ أموتُ وأحيا	١٥٨
اللَّهمَّ بكَ أصبحنا، وبكَ أمسينا، وبكَ نحيا، وبكَ نموت، وإليكَ النُّشور	١٦٠
اللَّهمَّ حوالَينا ولا علينا	٧٩، ٢٣١










الحديث	الصفحة
أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يصلِّي قبلَ العصرِ ركعتين	١٨٠
أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يكنْ على شيءٍ من النَّوافلِ أشدَّ معاهدةً منه على ركعتين	١٧٩
أنَّ النَّبيَّ ﷺ نهى عن صيامِ يومِ الجمعة ، إلَّا أن يُصامَ يومٌ قبلَهُ أو يومٌ بعده	٣٣٧
إنَّ الهَديَ الصالح ، والسَّمتَ الصالح ، والاقتصاد ، جزءٌ من خمسةٍ وعشرين جزءاً من النُّبوَّة	٦٢٩
أن تؤمنَ بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورُسله ، واليومِ الآخِرِ ، والقدرِ كلِّه	١٢٣
أنَّ رسولَ الله ﷺ يومَ الفتحِ صلَّى سُبْحةَ الضُّحى ثمانِ ركعات	٢١٠
إن سألتني هذه القطعةَ ما أعطيتُكها ، ولن تعدوَ أمرَ الله فيك	٨١
إنَّ سورةً من القرآنِ ثلاثين آيةً شفعتْ لرجلٍ حتَّى غُفِرَ له ، وهي ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾	١٨٥
إن شئتَ فصُم ، وإن شئتَ فأفطر	٣٤١
إن شئتُم وصفتُ لكم بلادكم ، وإن شئتُم صفوها لي	٧٠
إنْ صدَقَ الله صدَقه	٤١٣
إنَّ عفريتاً من الجنِّ يكيدُك ، فإذا أويتَ إلى فراشِكَ فاقرأْ آيَةَ الكرسيّ	١٤٩
إنَّ عينيَّ تنامان ولا ينامُ قلبي	١٩١
إنَّ في الجنَّةِ لغرفاً يُرَى ظهورُها من بطونها ، وبطونُها من ظهورِها	٣٦٥
إنَّ فيها آيةً كألفِ آية	١٨٥
إنْ كان رسولُ الله ﷺ لَيوقظهُ الله ﷻ باللَّيل ، فما يجيءُ السَّحَرُ حتَّى يفرغَ	١٨٩
إنَّ لكَ أجرَ رجلٍ ممَّن شهدَ بدراً وسهمَه	١١١
إنَّ لكلِّ أمَّةٍ رهبانية ، ورهبانيةُ هذه الأمةِ الجهادُ في سبيلِ الله	٤٠٦
إنَّ للمسلمِ على المسلمِ من الحقِّ أنْ إذا رآه أن يتزحزحَ له	٥٧٦
إن لم تجديني فأتي أبا بكر	١٠١







الحديث	الصفحة
إنِّي أمزحُ ولا أقولُ إلَّا حقًّا	٦٦٧
أو غدوةٌ في سبيلِ الله خيرٌ من الدنيا وما فيها	٤٠٦
أوثقُ عُرىٰ الإسلامِ الحبُّ في الله والبغضُ في الله	٦٤١
أوصاني خليلي ﷺ بثلاث، لا أدَعُهنَّ حتَّىٰ أموت: صومِ ثلاثةِ أيَّامٍ	٢١١
أوَّلُ العبادةُ الصمت	٦٠٢
أَوْلِمْ ولو بِشَاة	٥٨٧
أيَّ أخٍ ترون هذا	٤٩٣
أيَّ أخٍ ترونه	٤٩٢
أي عمّ، نفسٌ تُحييها، خيرٌ لكَ من إمارةٍ لا تُحصيها	٤٨٠
إيَّاكَ وكثرةَ الضَّحك، فإنَّه يميتُ القلب، ويَذهبُ بنورِ الوجه	٦٦٩
إيَّاكم والغيبة، فإنَّ الغيبة أشدُّ من الزنا	٦٠٩
إيَّاكم والمُشارَّة؛ فإنَّها تُميتُ الغُرَّة، وتُظهِرُ العُرَّة	٦٤٧
ائتوني بما بقيَ لكم من الزاد	٦٩
ائذنْ له وبشِّرهُ بالجنَّة	١٠٥
أيَعجِزُ أحدُكم أن يتقدَّم، أو يتأخَّر، أو عن يمينه، أو عن شماله	١٨١
أيُّكم مالُ وارثهِ أحبُّ إليه من ماله	٢٦٣
أيُّما امرأةٍ استعطرت، ثمَّ مرَّتْ ليوجدَ ريحها، فهي زانية	١٣٢
إيمانٌ بالله ورسوله	٤٠٣
أين المتصدِّقُ بعرضهِ البارحة	٦٨٢
بالَ الشَّيطانُ في أذنه	٢٠٤
برئَ من الشُّحِّ من قَرَىٰ الضيف، وأدَّىٰ الزَّكاة، وأعطَىٰ في النائبة	٥٨١
بُلُّوا أرحامَكم ولو بالسلام	٥٧٣










الحديث	الصفحة




الحديث	الصفحة
قولوا: التَّحيَّاتُ المباركاتُ الصلواتُ الطَّيِّباتُ لله، سلامٌ عليكَ أيُّها النَّبيُّ ...... وعليكم	٦٣٥ ٢٤١
قوموا إلىٰ دعوةِ جابر	٦٩
قوموا إلىٰ سيِّدكم	٦٣٧
كافلُ اليتيمِ له أو لغيره، إذا اتَّقىٰ الله، فأنا وهو في الجنَّةِ كهذه من هذه	٥٧٤
كان ﷺ يتبسَّم	٦٦٩
كان أحبَّ الشهورِ إلىٰ رسولِ الله ﷺ أن يصومَهُ شعبان، ثمَّ يصلهُ برمضان	٣٣٤
كان النَّاس يصلُّون في المسجدِ أوزاعاً، فأمرني رسولُ الله ﷺ فضربتُ له حصيراً	٢١٥
كان النَّبيُّ ﷺ إذا استقبلَهُ الرجلُ فصافحه، لا ينزعُ يدَهُ من يدهِ	٦٢٣
كان النَّبيُّ ﷺ إذا دخلَ العشرُ شدَّ مئزره، وأحيا ليله، وأيقظَ أهله	٣٥٤
كان النَّبيُّ ﷺ يعتكفُ العشرَ الأواخرَ من شهرِ رمضان	٣٥٣
كان رسولُ الله ﷺ إذا أمسَىٰ قسَمَ ناساً من أهلِ الصُّفَّةِ بين ناسٍ من أصحابه	٣٦٥
كان رسولُ الله ﷺ إذا هبَّ من الليلِ كبَّرَ عشراً، وحمدَ [الله] عشراً	٥٥٩
كان رسول الله ﷺ لا يختمُ القرآنَ في أقلَّ من ثلاث	٢٠٠
كان رسولُ الله ﷺ يصومُ تسعَ ذي الحجَّة، ويومَ عاشوراء، وثلاثةَ أيامٍ من كلِّ شهر	٣٣٢
كان رسولُ الله ﷺ يصومُ ثلاثةَ أيامٍ من الشهر: الاثنين، والخميس	٣٣٦
كان رسولُ الله ﷺ يصومُ حتَّىٰ يقال: صامَ صامَ	٣٣٩
كان رسولُ الله ﷺ يصومُ من غرَّةِ كلِّ شهرٍ ثلاثةَ أيام	٣٣٦
كان رسولُ الله ﷺ يعودُ المريض، ويتبعُ الجنائز، ويجيبُ دعوةَ العبد	٦٢٧
كان رسولُ الله ﷺ يقطِّعُ قراءته: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾	١٧١




الحديث | الصفحة

الحديث	الصفحة




الحديث	الصفحة
متىٰ توتر	٢٢٣
مداراةُ النَّاسِ رأسُ العقل، بعدَ إيمانٍ بالله، وأهلُ المعروفِ في الدنيا أهلُ المعروفِ في الآخرة	٦٨٠
مرَّ رسولُ الله ﷺ علينا في نسوةٍ فسلَّمَ علينا	٦٣٤
معي رجلان: أبو بكر وبلال	١٩٠
من صلَّىٰ صلاةً لم يذكرْ فيها شيئاً من أمرِ الدُّنيا، ثمَّ سألَ الله تعالىٰ فيها شيئاً	١٧٥
مِن أبرِّ البرِّ أن يصلَ الرَّجلُ أهل ودِّ أبيهِ بعد أن توفِّي	٥٦٨
من إجلالِ الله إكرامُ ذي الشيبةِ المسلم، وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالي فيه	٦٢٢
من أحبَّ أن يتمثَّلَ له النَّاسُ قياماً فليتبوَّأ مقعدَهُ من النَّار	٦٣٨
من أحبَّ أن يجدَ طعمَ الإيمانِ فليحبَّ أخاه، لا يحبُّهُ إلَّا لله عز وجل	٦٤١
من أحبَّ لقاءَ الله أحبَّ الله لقاءه	٢٥٩
من أَحرَمَ بحجٍّ أو عُمرةٍ من المسجدِ الأقصىٰ إلىٰ المسجدِ الحرام، وجبتْ له الجنَّة	٣٩٤
من أحيا ليلتَي العيد، وليلةَ النِّصفِ من شعبان، لم يمتْ قلبهُ يومَ تموتُ القلوب	٢٠٩
من أصبحَ ولم يَهُمَّ بظلمِ أحد، غُفِرَ له ما اجترم	٧٠٥
من اغبرَّتْ قدماهُ في سبيلِ الله حرَّمَهُ الله علىٰ النار	٤٠٧
من أكثرَ من الاستغفارِ جعلَ الله له من كلِّ همٍّ فرَجاً، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً	٥٢١
من الخيانةِ أن يحدِّثَ الرجلُ بسرِّ أخيه	٦١٥
من اهتمَّ بجوعةِ أخيه، فأطعمَهُ حتَّىٰ شبع، وسقاهُ حتَّىٰ يروَىٰ، غفرَ الله له	٣٦٥
من أوتيَ إليه معروفٌ فليكافئْ به، فإن لم يجدْ فليُثْنِ به، فمن أثنَىٰ به فقد شكره	٥٨٥
من أوتيَ معروفاً فذكرَهُ فقد شكره، ومن تشبَّعَ بما لم ينلْ فهو كلابسِ ثوبَي زُور	٥٨٦
مَن أوسعَ علىٰ أهلِهِ يومَ عاشوراء، أوسعَ الله عليه في سنتهِ كلِّها	٣٣١
من تكفَّلَ لي بما بين لَحْيَيه وما بين رجليه، تكفَّلتُ له بالجنَّة	٦٠١




الحديث	الصفحة




الحديث	الصفحة
من كانت له ثلاثُ أخوات، أو ثلاثُ بنات، أو ابنتان، أو أختان	٥٧٠
من كثرتْ صلاتهُ بالليلِ حسنَ وجههُ بالنَّهار	٢٠٢
من لم يدَعْ قولَ الزُّورِ والعملَ به، فليسَ لله حاجةٌ أن يدَعَ طعامَهُ وشرابه	٣٤٨
من لم يشكرِ النَّاسَ لم يشكرِ الله..............................	٥٨٦
من محمَّدٍ رسولِ الله إلىٰ كسرىٰ عظيمِ فارس	٧٤
من مسحَ رأسَ يتيم، لا يمسحهُ إلَّا لله ﷻ، كانت له بكلِّ شعرةٍ مرَّتْ عليها يدهُ	٥٧٤
من نامَ عن حزبهِ أو شيءٍ منه، فقرأهُ ما بين صلاةِ الفجرِ وصلاةِ الظهر.........	٢١٢
من هجرَ السيِّئات	٦٠٣
من هذا، ابن جبل.......................................	٥٩٩
من هذه...	٢٠٢
من هؤلاء...	٢١٥
من يتصدَّقُ علىٰ هذا فيصلِّي معه	٧٠٧
من ينظرُ لي ما فعلَ سعد بنُ الربيع..............................	٤١٥
موضعُ سَوطٍ في الجنَّةِ خيرٌ من الدنيا	٢٩١
نعم، إن استطعت	٢٠٠
نعمتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ من النَّاس: الفراغ، والصِّحَّة.....................	٣١٤
نهىٰ ﷺ أن يَهجرَ الرجلُ أخاهُ فوق ثلاث..........................	٦٤٨
نهىٰ عن صيامِ ستةِ أيام: يومِ الفطر، ويومِ النَّحر، وأيَّامِ التشريق	٣٥١
نهىٰ عن صيامِ يومِ السبت	٣٣٨
نهىٰ عن صيامِ يومِ عرفةَ بعرفة..............................	٣٣٣
نيَّة المؤمنِ خيرٌ من عمله..................................	٢٧٢
هذا سبيلُ الله	١٥٠

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة
يا أبا ذرّ، هل صلَّيت	٣٦١
يا ابنَ آدم، تدري ما تمامُ النِّعمة	٥٤٩
يا ابنَ رَواحة، ألم تكنْ في الجيش	٤٠٦
يا أيُّها النَّاس، إنَّ ربَّكم ﷻ حييٌّ كريم، يستحيي من عبدهِ أن يمدَّ إليه يديهِ ...	٥٣٤
يا بني عبد المطَّلب، أطعِموا الطَّعام، وأَلِينوا الكلام	٢٧٨
يا حيُّ يا قيُّوم، برحمتِكَ أَستغيث	٥٤٢
يا سراقة، ألا أدلُّكَ علىٰ أعظمِ الصدقة، أو قال: علىٰ أعظمَ من الصدقة»؟ ...	٥٧٠
يا صفيَّةُ عمَّةَ محمَّد، ويا فاطمةُ بنتَ محمَّد، استوهبا أنفسَكما من الله	٤٨٠
يا عائشة، أخِّريه، فإنِّي إذا رأيتهُ ذكرت الدنيا	٦٢٦
يا عائشة، إنِّي علمتُ الاسمَ الذي دعا به صاحبُ سليمان عليه السلام	٥٤٠
يا عائشة، حوِّليه	٦٢٦
يا عائشة، ما فعلتِ القطعةُ الذهب	٢٦٦
يا عائشة، هذا جبريلُ يُقرئكِ السَّلام	١١٤
يا عقبة بنَ عامر، صِلْ مَن قطعك، واعفُ عمَّن ظلمك، وأعطِ من حرمك ...	٥٧٣
يا عليّ، لا تُتبعِ النَّظرةَ النَّظرة، فإنَّ الأوَّلَةَ لك، والثَّانيةَ عليك	٦٧٢
يا عم! افدِ نفسكَ وابنكَ وابنَ أخيك	٦٣
يا فلان، هل أسقطتُ من هذه السورةِ من شيء	١٧٥
يا كعب، الصَّلاةُ قُربان، والصِّيامُ جُنَّة، والصَّدقةُ تُطفِئ الخطيئةَ كما يُطفِئ الماءُ النَّارَ	٣٢٨
يا محمَّد، ما هذه الجريدةُ بيدك؟ اقذفها، لا تملأْ قلوبَهم رُعباً	٤٧٨
يأتي أحدُكم بماله، ويدَعُ عيالَهُ ليس لهم شيء، إنَّما الصدقةُ عن ظهرِ غنىً ...	٣٧٦
يتصدَّقُ أحدُكم من درهمهِ ومن ديناره، ومن صاعِ بُرِّه	٢٧٧



فهرس المراجع[1]

(أ)

* **الآداب**/ البيهقي؛ تحقيق السعيد المندوه. ـ بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٨ هـ.
* **آداب الحسن البصري**/ ابن الجوزي؛ تحقيق سليمان الحرش. ـ ط٣. ـ دمشق: دار النوادر، ١٤٢٨ هـ.
* **آداب الزفاف في السنة المطهرة**/ محمد ناصر الدين الألباني، طبعة دار السلام، ١٤٢٣ هـ.
* **الآداب الشرعية والمنح المرعية**/ ابن مفلح الحنبلي. طبعة عالم الكتب.
* **آكام المرجان في أحكام الجان**/ بدر الدين الشبلي؛ تحقيق إبراهيم محمد الجمل. ـ القاهرة: مكتبة القرآن.
* **الإبانة الكبرىٰ**/ ابن بطة؛ تحقيق رضا معطي وآخرين. ـ الرياض: دار الراية.
* **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**/ شهاب الدين البوصيري؛ تحقيق دار المشكاة للبحث العلمي. ـ الرياض: دار الوطن، ١٤٢٠ هـ.
* **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**/ مرتضىٰ الزبيدي. ـ بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ١٤١٤ هـ.
* **الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية**/ شمس الدين السخاوي؛ تحقيق محمد إسحاق محمد إبراهيم. ـ الرياض: دار الراية، ١٤١٨ هـ.
* **أحاديث الشيوخ الثقات: المشيخة الكبرىٰ**/ قاضي المارستان؛ تحقيق حاتم

(١) مراجع التحقيق ومعلوماتها من المكتبة الشاملة، وموقع الدرر السنية، وخاصة به.

العوني. ـ جدة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٢ هـ.

* **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**/ علاء الدين ابن بلبان الفارسي؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط. ـ دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨ هـ.
* **أحكام القرآن**/ الجصاص؛ تحقيق محمد صادق القمحاوي. ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥ هـ.
* **إحياء علوم الدين**/ الغزالي. ـ بيروت: دار المعرفة.
* **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**/ الأزرقي؛ تحقيق رشدي الصالح ملحس. ـ بيروت: دار الأندلس.
* **اختيار الأولىٰ في شرح حديث اختصام الملأ الأعلىٰ**/ ابن رجب الحنبلي؛ تحقيق جاسم فهيد الدوسري. ـ الكويت: مكتبة دار الأقصىٰ، ١٤٠٦ هـ.
* **الإخلاص والنية**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق إياد خالد الطباع. ـ دمشق: دار البشائر، ١٤١٣ هـ.
* **أخلاق حملة القرآن**/ الآجري؛ تحقيق أحمد شحاتة الألفي. ـ الإسكندرية: دار الصفا والمروة، ١٤٢٦ هـ.
* **أخلاق الوزيرين**/ أبو حيان التوجيدي؛ تحقيق محمد بن تاويت الطنجي. ـ بيروت: دار صادر، ١٤١٢ هـ.
* **أدب الدنيا والدين**/ الماوردي. ـ بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٤٠٦ هـ.
* **أدب المجالسة وحمد اللسان**/ ابن عبدالبر القرطبي؛ تحقيق سمير حلبي. ـ طنطا: دار الصحابة للتراث، ١٤٠٩ هـ.
* **الأدب المفرد**/ البخاري؛ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. ـ ط٣. ـ بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩ هـ.
* **الأذكار**/ النووي. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٥ هـ.

* **الأسامي والكنى**/ أحمد بن حنبل ؛ تحقيق عبدالله بن يوسف الجديع . ـ الكويت: مكتبة دار الأقصى ، ١٤٠٦ هـ .

* **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**/ ابن عبدالبر القرطبي ؛ تحقيق علي محمد البجاوي . ـ بيروت: دار الجيل ، ١٤١٢ هـ .

* **أسد الغابة في معرفة الصحابة**/ علي بن محمد بن الأثير . ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي . (وطبعات أخرى) .

* **الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ، المعروف بالموضوعات الكبرى**/ الملا علي القاري ؛ تحقيق محمد الصباغ . ـ دمشق: مؤسسة الرسالة .

* **الإشارة في علم الكلام**/ فخر الدين الرازي ؛ تحقيق هاني محمد . ـ القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث .

* **الإصابة في تمييز الصحابة**/ ابن حجر العسقلاني ؛ تحقيق علي محمد البجاوي . ـ بيروت: دار الجيل ، ١٤١٢ هـ . (وطبعات أخرى) .

* **اصطناع المعروف**/ ابن أبي الدنيا ؛ تحقيق محمد خير يوسف . ـ بيروت: دار ابن حزم ، ١٤٢٢ هـ .

* **إصلاح المال**/ ابن أبي الدنيا ؛ تحقيق محمد عبدالقادر عطا . ـ بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤١٤ هـ .

* **إعراب القرآن**/ النحاس ؛ تحقيق عبدالمنعم خليل إبراهيم . ـ بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٢١ هـ .

* **الأعلام**/ خير الدين الزركلي . ـ بيروت: دار العلم للملايين ، وطبعة أخرى قديمة .

* **أعلام النبوة**/ الماوردي . ـ بيروت: دار ومكتبة هلال ، ١٤٠٩ هـ .

* **الأغاني**/ الأصفهاني ؛ تحقيق سمير جابر . ـ ط٢ . ـ بيروت: دار الفكر .

* **اقتضاء العلم العمل**/ الخطيب البغدادي ؛ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني . ـ ط٤ . ـ بيروت: المكتب الإسلامي ، ١٣٩٧ هـ .

* **الإقناع في القراءات السبع**/ ابن الباذش. ـ طنطا: دار الصحابة.
* **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف**/ ابن ماكولا. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ.
* **الألفاظ**/ ابن السكيت؛ تحقيق فخر الدين قباوة. ـ بيروت: مكتبة لبنان، ١٤١٩ هـ.
* **الأمالي**/ أبو علي القالي؛ باعتناء محمد عبدالجواد الأصمعي. ـ ط٢. ـ القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٤ هـ.
* **أمالي ابن بشران**/ تحقيق أحمد بن سليمان. ـ الرياض: دار الوطن، ١٤٢٠ هـ.
* **الأمالي المطلقة**/ ابن حجر العسقلاني؛ تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٦ هـ.
* **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**/ المقريزي؛ تحقيق محمد عبدالحميد النميسي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ هـ.
* **الإمتاع والمؤانسة**/ أبو حيان التوحيدي. ـ صيدا؛ بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٤ هـ.
* **الأمثال**/ أبو عبيد القاسم بن سلام؛ تحقيق عبدالمجيد قطامش. ـ دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٠ هـ.
* **الأمثال في الحديث**/ أبو الشيخ الأصبهاني؛ تحقيق عبدالعلي حامد. ـ بومباي: الدار السلفية، ١٤٠٨ هـ.
* **الأموال**/ ابن زنجويه؛ تحقيق شاكر ذيب فياض. ـ الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٦ هـ.
* **الانتصار للقرآن**/ الباقلاني؛ تحقيق محمد عصام القضاة. ـ عمّان: دار الفتح، ١٤٢٢ هـ.
* **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**/ مجير الدين العليمي؛ تحقيق عدنان يونس

نباتة. ـ عمّان: مكتبة دنديس.

* **أنس المسجون وراحة المحزون**/ البحتري؛ تحقيق محمد أديب الجادر. ـ بيروت: دار صادر، ١٤١٨ هـ.
* **الأنساب**/ عبدالكريم السمعاني؛ تحقيق عبدالرحمن المعلمي وآخرين. ـ حيدر آباد الدكن: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٢ هـ.
* **أنساب الأشراف** = جمل من أنساب الأشراف.
* **الأهوال**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق مجدي فتحي السيد. ـ مصر: مكتبة آل ياسر، ١٤١٣ هـ.
* **أهوال القبور**/ ابن رجب الحنبلي؛ تحقيق عاطف صابر شاهين. ـ المنصورة: دار الغد الجديد، ١٤٢٦ هـ.
* **الأوائل**/ أبو هلال العسكري. ـ طنطا: دار البشير، ١٤٠٨ هـ.
* **الأوسط في السنن**/ ابن المنذر النيسابوري؛ تحقيق صغير أحمد بن محمد حنيف. ـ الرياض: دار طيبة، ١٤٠٥ هـ.
* **الأولياء**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد السعيد زغلول. ـ بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٣ هـ.
* **الإيضاح في القراءات**/ الأندراني؛ تحقيق منى عدنان غني، ١٤٢٣ هـ.
* **إيقاظ الهمم شرح متن الحكم**/ ابن عجيبة.
* **الإيمان**/ ابن أبي شيبة؛ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. ـ ط٢. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣ هـ.

(ب)

* **البحر الزخار: مسند البزار**/ تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وآخرين. ـ المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٨ ـ ١٤٣٠ هـ (وطبعات أخرى).
* **البحر المحيط في أصول الفقه**/ بدر الدين الزركشي. ـ؟: دار الكتبي، ١٤١٤ هـ.

* **بحر المذهب**/ الروياني؛ تحقيق طارق فتحي السيد. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ هـ.

* **البحور الزاخرة في علوم الآخرة**/ السفاريني؛ تحقيق عبدالعزيز بن أحمد المشيقح. ـ الرياض: دار العاصمة، ١٤٣٠ هـ.

* **البخلاء**/ الخطيب البغدادي؛ تحقيق بسام الجابي. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢١ هـ.

* **البداية والنهاية**/ ابن كثير الدمشقي؛ تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي. ـ القاهرة: دار هجر، ١٤٢٤ هـ.

* **البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير**/ ابن الملقن؛ تحقيق مصطفى أبو الغيط، عبدالله سليمان، ياسر كمال. ـ الرياض: دار الهجرة، ١٤٢٥ هـ.

* **بذل المجهود في حل أبي داود**/ خليل أحمد السهارنفوري؛ تحقيق تقي الدين الندوي. ـ الهند: مركز الشيخ أبي الحسن الندوي للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٧ هـ.

* **البر والصلة**/ ابن الجوزي؛ تحقيق عادل عبدالموجود، علي معوض. ـ بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٣ هـ.

* **البر والصلة**/ الحسين بن حرب (رواه عن عبدالله بن المبارك وغيره)؛ تحقيق محمد سعيد بخاري. ـ الرياض: دار الوطن، ١٤١٩ هـ.

* **بريقة محمودية**/ أبو سعيد الخادمي. ـ القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٣٤٨ هـ.

* **بستان العارفين**/ أبو الليث السمرقندي. ـ ط٣. ـ بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٤ هـ.

* **البصائر والذخائر**/ أبو حيان التوحيدي؛ تحقيق وداد القاضي. ـ بيروت: دار صادر، ١٤٠٨ هـ.

* **البعث والنشور**/ البيهقي ؛ تحقيق عامر أحمد حيدر . ـ بيروت: مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، ١٤٠٦ هـ . (وطبعات غيرها) .

* **بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث**/ نور الدين الهيثمي ؛ تحقيق حسين أحمد الباكري . ـ المدينة المنورة: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، ١٤١٣ هـ .

* **بغية الطلب في تاريخ حلب**/ كما الدين بن العديم ؛ تحقيق سهيل زكار . طبعة دار الفكر .

* **بهجة المجالس وأنس المجالس**/ ابن عبدالبر القرطبي .

* **البيان في عدّ آي القرآن**/ أبو عمرو الداني ؛ تحقيق غانم قدوري الحمد . ـ الكويت: مركز المخطوطات والوثائق، ١٤١٤ هـ .

* **البيان في مذهب الشافعي**/ أبو الحسين العمراني اليمني ؛ تحقيق قاسم محمد النوري . ـ جدة: دار المنهاج، ١٤٢١ هـ .

* **البيان والتبيين**/ الجاحظ . ـ بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣ هـ . (وطبعات أخرىٰ)

(ت)

* **تاج العروس من جواهر القاموس**/ مرتضىٰ الزبيدي ؛ مجموعة من المحققين، دار الهداية .

* **تاريخ ابن معين**/ رواية الدوري ؛ تحقيق أحمد محمد نور سيف . ـ مكة المكرمة: جامعة أم القرىٰ، ١٣٩٩ هـ .

* **تاريخ الإسلام**/ شمس الدين الذهبي ؛ تحقيق بشار عواد معروف . ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٤ هـ .

* **تاريخ بغداد**/ الخطيب البغدادي ؛ تحقيق بشار عواد معروف . ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢ هـ .

* **تاريخ الخلفاء**/ السيوطي ؛ تحقيق حمدي الدمرداش . ـ مكة المكرمة: مكتبة نزار




مصطفى الباز، ١٤٢٥ هـ. (وطبعات أخرى).

* **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**/ الدياربكري. ـ بيروت: دار صادر.

* **تاريخ دمشق**/ ابن عساكر؛ تحقيق عمرو بن غرامة العمروي. ـ بيروت: دار الفكر، ١٤١٥ هـ. (وطبعات أخرى).

* **تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك**. ـ بيروت: دار التراث، ١٣٨٧ هـ (وطبعات أخرى).

* **تاريخ المدينة**/ ابن شبة النميري؛ تحقيق فهيم محمد شلتوت. ـ جدة، ١٣٩٩ هـ.

* **التاريخ وأسماء المحدثين وكناهم**/ المقدمي؛ تحقيق ثامر كاظم الخفاجي. ـ قم: مكتبة المرعشي، ١٤٢٨ هـ.

* **التبصرة**/ ابن الجوزي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦ هـ.

* **تثبيت دلائل النبوة**/ القاضي عبدالجبار المعتزلي. ـ القاهرة: دار المصطفى.

* **تخريج أحاديث الإحياء**/ زين الدين عبدالرحيم العراقي، بعدة تسميات، وطبعات مختلفة، منها بترقيم محمد الحداد.

* **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري**/ الزيلعي؛ تحقيق عبدالله بن عبدالرحمن السعد. ـ الرياض: دار ابن خزيمة، ١٤١٤ هـ.

* **التخويف من النار**/ ابن رجب الحنبلي؛ تحقيق بشير محمد عيون. ـ دمشق: مكتبة دار البيان، ١٤٠٩ هـ.

* **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**/ السيوطي؛ تحقيق نظر محمد الفاريابي. ـ الرياض: دار طيبة.

* **التدوين في أخبار قزوين**/ عبدالكريم القزويني؛ تحقيق عزيز الله العطاردي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ.

* **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**/ القرطبي؛ تحقيق الصادق بن محمد بن إبراهيم. ـ الرياض: مكتبة دار المنهاج، ١٤٢٥ هـ.

* **التذكرة الحمدونية**/ محمد بن الحسن بن حمدون. ـ بيروت: دار صادر، ١٤١٧ هـ.
* **ترتيب الأمالي الشجرية**/ ترتيب محيي الدين العبشمي؛ تحقيق محمد حسن إسماعيل. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ.
* **الترغيب في فضائل الأعمال**/ ابن شاهين؛ تحقيق محمد حسن إسماعيل. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ.
* **الترغيب والترهيب**/ قوام السنة؛ تحقيق أيمن صالح شعبان. ـ القاهرة: دار الحديث، ١٤١٤ هـ.
* **الترغيب والترهيب**/ المنذري؛ تحقيق مصطفى عمارة. ـ ط٣. ـ القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٨ هـ.
* **تزيين الأسواق في أخبار العشاق**/ داود الأنطاكي.
* **تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي**/ بدر الدين الزركشي. ـ القاهرة: مكتبة قرطبة، ١٤١٨ هـ.
* **التعازي والمراثي**/ محمد بن يزيد المبرد؛ تحقيق إبراهيم محمد الجمل. ـ القاهرة: نهضة مصر.
* **التعريفات الفقهية**/ محمد عميم الإحسان المجددي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ.
* **تعزية المسلم عن أخيه**/ ابن عساكر؛ تحقيق مجدي فتحي السيد. ـ جدة: مكتبة الصحابة، ١٤١١ هـ.
* **تعظيم قدر الصلاة**/ المروزي؛ تحقيق عبدالرحمن الفريوائي. ـ المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٤٠٦ هـ.
* **التعليقة**/ القاضي حسين المروروذي؛ تحقيق علي محمد معوض، عادل عبدالموجود. ـ مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفى الباز.
* **تفسير ابن جزي: التسهيل لعلوم التنزيل**/ تحقيق عبدالله الخالدي. ـ بيروت: شركة

الأرقم، ١٤١٦هـ.

* **تفسير ابن فورك**/ تحقيق علال بندويش. ـ مكة المكرمة: جامعة أم القرىٰ، ١٤٣٠ هـ (ماجستير).

* **التفسير البسيط**/ علي بن أحمد الواحدي؛ تحقيق مجموعة من الباحثين. ـ الرياض: جامعة الإمام، ١٤٣٠هـ.

* **تفسير البغوي: معالم التنزيل**/ تحقيق محمد عبدالله النمر، عثمان ضميرية، سليمان الحرش. ـ ط٤. ـ الرياض: دار طيبة، ١٤١٧هـ. (وطبعات أخرىٰ).

* **تفسير البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل**/ البيضاوي؛ تحقيق محمد عبدالرحمن المرعشلي. ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

* **تفسير الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن**/ تحقيق أبي محمد بن عاشور. ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ.

* **تفسير الراغب الأصفهاني**/ محمد عبدالعزيز بسيوني. ـ الرياض: دار الوطن، ١٤٢٤هـ، ورسائل جامعية.

* **تفسير سفيان الثوري**. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.

* **تفسير السمرقندي: بحر العلوم**/ تحقيق محمود مطرجي. ـ بيروت: دار الفكر. (وطبعات أخرىٰ).

* **تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن**/ ابن جرير الطبري؛ تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي ومركز البحوث. ـ القاهرة: دار هجر، ١٤٢٢هـ.

* وبتحقيق أحمد شاكر.

* **تفسير القرآن**/ السمعاني؛ تحقيق ياسر إبراهيم، غنيم عباس. ـ الرياض: دار الوطن، ١٤١٨هـ.

* **تفسير القرآن العظيم**/ لابن أبي حاتم؛ تحقيق أسعد محمد الطيب. ـ ط٣. ـ مكة المكرمة: مكتبة مصطفىٰ الباز، ١٤١٩هـ.

* **تفسير القرآن العظيم**/ ابن كثير الدمشقي ؛ تحقيق محمود حسن. ـ ط، جديدة. ـ بيروت: دار الفكر، ١٤١٤ هـ. (وطبعات أخرىٰ).
* **تفسير القرطبي: الجامع لأحكام القرآن**/ تحقيق أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش. ـ ط٢. ـ القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤ هـ.
* **تفسير الماوردي: النكت والعيون**/ تحقيق السيد عبدالمقصود عبدالرحيم. ـ بيروت: دار الكتب العلمية.
* **تفسير مجاهد**/ تحقيق محمد عبدالسلام أبو النيل. ـ القاهرة: دار الفكر الإسلامي الحديثة، ١٤١٠ هـ.
* **تفسير مجمع البيان**/ الطبرسي. ـ المجمع العالمي لأهل البيت.
* **تفسير مقاتل بن سليمان**/ تحقيق عبدالله محمود شحاتة. ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣ هـ.
* **تفسير النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل**/ تحقيق يوسف علي بديوي. ـ بيروت: دار الكلم الطيب، ١٤١٩ هـ.
* **تفسير النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان**/ تحقيق زكريا عميرات. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٦ هـ.
* **تفسير يحيىٰ بن سلام**/ تحقيق هند شلبي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥ هـ.
* **تقريب التهذيب**/ ابن حجر العسقلاني ؛ تحقيق محمد عوامة. ـ دمشق: دار الرشيد، ١٤٠٦ هـ (وطبعات أخرىٰ).
* **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**/ ابن حجر العسقلاني. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ. (وطبعات غيرها).
* **تلخيص المتشابه في الرسم**/ الخطيب البغدادي ؛ تحقيق سكينة الشهابي. ـ دمشق: دار طلاس، ١٤٠٥ هـ.
* **التمثيل والمحاضرة**/ الثعالبي ؛ تحقيق عبدالفتاح الحلو. ـ ط٢. ـ تونس: الدار

العربية للكتاب، ١٤٠١ هـ.

* **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد**/ ابن عبدالبرّ؛ تحقيق عدة باحثين. ـ الرباط: وزارة الأوقاف، ١٣٨٧ ـ ... هـ.

* **تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين**/ أبو الليث السمرقندي؛ تحقيق يوسف علي بديوي. ـ دمشق؛ بيروت: دار ابن كثير، ١٤٢١ هـ.

* **تنبيه النائم الغمر**/ ابن الجوزي؛ تحقيق محمد بن ناصر العجمي. ـ بيروت: دار البشائر الإسلامية.

* **تنوير الحوالك شرح موطأ مالك**/ جلال الدين السيوطي. ـ القاهرة: المكتبة التجارية الكبرىٰ، ١٣٨٩ هـ.

* **التنوير شرح الجامع الصغير**/ الأمير الصنعاني؛ تحقيق محمد إسحاق محمد إبراهيم. ـ الرياض: مكتبة دار السلام، ١٤٣٢ هـ.

* **التهجد وقيام الليل**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق مصلح بن جزاء الحارثي. ـ الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٩ هـ.

* **تهذيب الآثار**/ ابن جرير الطبري؛ تحقيق محمود شاكر. ـ القاهرة: مطبعة المدني.

* **تهذيب التهذيب**/ ابن حجر العسقلاني. ـ ط، محققة ومصححة. ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٥ هـ.

* **تهذيب خالصة الحقائق للفاريابي**/ محمد خير يوسف. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢١ هـ.

* **التهذيب في فقه الإمام الشافعي**/ البغوي؛ تحقيق عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ.

* **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**/ أبو الحجاج المزي؛ تحقيق بشار عواد معروف. ـ دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠ هـ.

* **تهذيب اللغة**/ أبو منصور الأزهري؛ تحقيق محمد عوض مرعب. ـ بيروت: دار

إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ.

* **التوابين**/ موفق الدين بن قدامة المقدسي. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ.

* **التواضع والخمول**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد عبدالقادر عطا. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٩هـ.

* **التوبة**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق مجدي السيد إبراهيم. ـ القاهرة: مكتبة القرآن.

* **التوكل**/ أبو يعلىٰ بن الفراء؛ تحقيق يوسف بن علي الطريف. ـ الرياض: دار الميمان، ١٤٣٥هـ.

(ث)

* **الثقات**/ ابن حبان. ـ حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٣هـ.

* **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**/ الثعالبي. ـ القاهرة: دار المعارف.

(ج)

* **جامع الآثار في السير ومولد المختار**/ ابن ناصر الدين الدمشقي؛ تحقيق نشأت كمال. ـ مصر: دار الفلاح، ١٤٣١هـ.

* **جامع العلوم والحكم**/ ابن رجب الحنبلي؛ تحقيق وهبة الزحيلي. ـ بيروت: دار الخير، ١٤١٣هـ.

* **الجامع في الحديث**/ ابن وهب؛ تحقيق مصطفىٰ حسن أبو الخير. ـ الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٦هـ.

* **الجامع لمسائل المدونة**/ لأبي بكر بن يونس الصقلي؛ تحقيق مجموعة باحثين. ـ مكة المكرمة: جامعة أم القرىٰ، ١٤٣٤هـ.

* **الجليس الصالح الكافي**/ المعافىٰ بن زكريا النهرواني؛ تحقيق عبدالكريم سامي الجندي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ.

* **جمال القراء وكمال الإقراء**/ علم الدين السخاوي؛ تحقيق مروان العطية، محسن

خرابة. ـ دمشق: دار المأمون، ١٤١٨ هـ.

* **جمع الجوامع: الجامع الكبير**/ السيوطي؛ تحقيق مختار إبراهيم وآخرين. ـ القاهرة: الأزهر، ١٤٢٦ هـ.

* **جمل من أنساب الأشراف**/ البلاذري؛ تحقيق سهيل زكار وآخرين. ـ بيروت: دار الفكر، ١٤١٧ هـ.

* **جمهرة خطب العرب**/ أحمد زكي صفوت. ـ بيروت: المكتبة العلمية.

* **الجهاد**/ ابن أبي عاصم؛ تحقيق مساعد بن سليمان الراشد. ـ المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٩ هـ.

* **الجهاد**/ عبدالله بن المبارك؛ تحقيق نزيه حماد. ـ تونس: الدار التونسية، ١٣٩٢ هـ.

* **الجواهر المجموعة والنوادر المسموعة**/ شمس الدين السخاوي؛ تحقيق محمد خير يوسف. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢١ هـ.

* **الجوع**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد خير يوسف. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٧ هـ.

(ح)

* **حاشية العلامة مصطفى العروسي، المسماة نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية لزكريا الأنصاري**/ تحقيق عبدالوارث محمد علي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٤٠ هـ.

* **الحاوي الكبير**/ الماوردي؛ تحقيق علي معوض، عادل عبدالموجود. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ.

* **حسن التنبه لما ورد في التشبه**/ نجم الدين الغزي؛ تحقيق مجموعة باحثين. ـ دمشق: دار النوادر، ١٤٣٢ هـ.

* **حسن الظن بالله**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق مخلص محمد. ـ الرياض: دار طيبة، ١٤٠٨ هـ.

* **حفظ العمر**/ ابن الجوزي ؛ تحقيق محمد بن ناصر العجمي . ـ بيروت: دار البشائر الإسلامية ، ١٤٢٥ هـ.
* **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**/ أبو نعيم الأصبهاني . ـ القاهرة: مطبعة السعادة ، ١٣٩٤ هـ (وطبعات أخرىٰ صورت منها).
* **الحماسة البصرية**/ صدر الدين أبو الحسن البصري ؛ تحقيق مختار الدين أحمد . ـ بيروت: عالم الكتب.
* **حياة الحيوان الكبرىٰ**/ الدميري . ـ ط٢ . ـ بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٢٤ هـ.
* **الحيدة والاعتذار في الرد علىٰ من قال بخلق القرآن**/ عبدالعزيز بن يحيىٰ الكناني ؛ تحقيق علي بن محمد الفقيهي . ـ ط٢ . ـ المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم ، ١٤٢٣ هـ.

(خ)

* **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**/ عبدالقادر البغدادي ؛ تحقيق عبدالسلام هارون . ـ ط٤ . ـ القاهرة: مكتبة الخانجي ، ١٤١٨ هـ.
* **الخصائص الكبرىٰ**/ جلال الدين السيوطي . ـ بيروت: دار الكتب العلمية.
* **خلاصة الأحكام**/ النووي ؛ تحقيق حسين إسماعيل الجمل . ـ دمشق: مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢ هـ.

(د)

* **الدر الفريد وبيت القصيد**/ المستعصمي ؛ تحقيق كامل سلمان الجبوري . ـ بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٣٦ هـ.
* **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**/ جلال الدين السيوطي . ـ بيروت: دار الفكر.
* **الدعاء**/ الطبراني ؛ تحقيق مصطفىٰ عبدالقادر عطا . ـ بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤١٣ هـ.

* **الدعوات الكبير**/ للبيهقي ؛ تحقيق بدر بن عبدالله البدر. ـ الكويت: غراس للنشر، ١٤٣٠ هـ.

* **الدلائل في غريب الحديث**/ السرقسطي ؛ تحقيق محمد بن عبدالله القناص. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٢ هـ.

* **دلائل النبوة**/ أبو نعيم الأصبهاني ؛ تحقيق محمد رواس قلعجي ؛ عبدالبر عباس. ـ ط٢. ـ بيروت: دار النفائس، ١٤٠٦ هـ.

* **دلائل النبوة**/ قوام السنة إسماعيل الأصبهاني ؛ تحقيق محمد محمد الحداد. ـ الرياض: دار طيبة، ١٤٠٩ هـ.

* **دلائل النبوة**/ البيهقي ؛ تحقيق عبدالمعطي قلعجي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ. (وطبعات أخرىٰ)

* **ديوان أبي الأسود الدؤلي**/ صنعة أبي سعيد السكري ؛ تحقيق محمد حسن آل ياسين. ـ ط٢. ـ بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٣٩٨ هـ.

* **ديوان الإمام الشافعي**/ تحقيق عمر فاروق الطباع، طبعة دار الأرقم.

* **ديوان الصبابة**/ ابن أبي حجلة.

* **ديوان عبدالله بن المبارك**/ تحقيق سعد الفقي.

* **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**/ تحقيق عمر فاروق الطباع. ـ بيروت: دار الأرقم.

* **ديوان المعاني**/ أبو هلال العسكري. ـ بيروت: دار الجيل.

(ذ)

* **ذخيرة الحفاظ**/ ابن القيسراني ؛ تحقيق عبدالرحمن الفريوائي. ـ الرياض: دار السلف، ١٤١٦ هـ.

* **الذريعة إلىٰ مكارم الشريعة**/ الراغب الأصفهاني ؛ تحقيق أبو اليزيد العجمي. ـ القاهرة: دار السلام، ١٤٢٨ هـ.

* **ذكر الموت**/ ابن أبي الدنيا ؛ تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان. ـ عجمان: مكتبة

الفرقان، ١٤٢٣ هـ.

* **ذم الدنيا**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد عبدالقادر عطا. ـ بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٤ هـ.
* **ذم الغيبة**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق بشير محمد عيون. ـ دمشق: مكتبة دار البيان، ١٤١٣ هـ.
* **ذم المال والجاه**/ ابن رجب الحنبلي. ـ الرياض: دار القاسم.
* **ذم الملاهي**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق عمرو عبدالمنعم سليم. ـ القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٦ هـ.
* **ذم الهوىٰ**/ ابن الجوزي؛ تحقيق مصطفىٰ عبدالواحد.

(ر)

* **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**/ الزمخشري. ـ بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤١٢ هـ.
* **رسالة الطيف**/ أبو الفتح الإربلي.
* **الرسالة القشيرية**/ عبدالكريم بن هوازن القشيري؛ تحقيق عبدالحليم محمود، محمود بن الشريف. ـ القاهرة: دار المعارف.
* **رسائل الجاحظ**/ تعليق علي بوملحم. ـ بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣ هـ.
* **الرضا عن الله بقضائه**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق ضياء الحسن السلفي. ـ بومباي: الدار السلفية، ١٤١٠ هـ.
* **الرقة والبكاء**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد خير يوسف. ـ ط٣. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٩ هـ.
* **الرقة والبكاء**/ موفق الدين بن قدامة المقدسي؛ تحقيق محمد خير يوسف. ـ دمشق: دار القلم، ١٤١٥ هـ.
* **روح البيان**/ إسماعيل حقي. ـ بيروت: دار الفكر.

* **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**/ أبو القاسم السهيلي؛ تحقيق عمر السلامي. ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١ هـ.

* **روض الرياحين في حكايات الصالحين**/ عبدالله بن أسعد اليافعي؛ تعليق خليل عمران المنصور. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ.

* **روضة الطالبين**/ النووي؛ تحقيق زهير الشاويش. ـ ط٣. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٢ هـ.

* **روضة العقلاء**/ ابن حبان البستي؛ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. ـ بيروت: دار الكتب العلمية.

* **الرياض النضرة في مناقب العشرة**/ محب الدين الطبري. ـ ط٢. ـ بيروت: دار الكتب العلمية.

(ز)

* **الزاهر في بيان ما يجتنب من الخبائث الصغائر والكبائر**/ ابن فرحون القيسي؛ تحقيق محمد حسن إسماعيل. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ.

* **الزهد**/ أحمد بن حنبل؛ تحقيق محمد عبدالسلام شاهين. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ هـ (وطبعات أخرى).

* **الزهد**/ لأبي حاتم؛ تحقيق منذر سليم الدومي. ـ الرياض: دار أطلس، ١٤٢١ هـ.

* **الزهد**/ لابن أبي الدنيا. ـ دمشق؛ بيروت: دار ابن كثير، ١٤٢٠ هـ.

* **الزهد**/ لأبي داود؛ تحقيق ياسر إبراهيم محمد، غنيم عباس. ـ حلوان: دار المشكاة، ١٤١٤ هـ.

* **الزهد**/ لابن أبي عاصم؛ تحقيق عبدالعلي حامد. ـ ط٢. ـ القاهرة: دار الريان للتراث، ١٤٠٨ هـ.

* **الزهد**/ هناد بن السري؛ تحقيق عبدالرحمن الفريوائي. ـ الكويت: دار الخلفاء الراشدين، ١٤٠٦ هـ.

* **الزهد**/ وكيع بن الجراح ؛ عبدالرحمن الفريوائي . ـ المدينة المنورة: مكتبة الدار ، ١٤٠٤ هـ.
* **الزهد الكبير**/ البيهقي ؛ تحقيق عامر أحمد حيدر . ـ ط٣ . ـ بيروت: مؤسسة الكتب التراثية ، ١٤١٧ هـ.
* **الزهد والرقائق**/ عبدالله بن المبارك ؛ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي . ـ بيروت: دار الكتب العلمية (يليه ما رواه نعيم بن حماد) .
* **زهر الآداب وثمر الألباب**/ الحصري القيرواني . ـ بيروت: دار الجيل .
* **الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح**/ شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري ؛ تحقيق محمد عبدالقادر عطا . ـ بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦ هـ.
* **الزهرة**/ محمد بن داود الظاهري .
* **الزواجر عن اقتراف الكبائر**/ ابن حجر الهيتمي . ـ [بيروت]: دار الفكر ، ١٤٠٧ هـ.

(س)

* **سبل السلام**/ الأمير الصنعاني . ـ القاهرة: مطبعة الحلبي .
* **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**/ محمد بن يوسف الصالحي ؛ تحقيق عادل عبدالموجود ، علي محمد معوض . ـ بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤١٤ هـ.
* **سر الفصاحة**/ ابن سنان الخفاجي . ـ بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٠٢ هـ.
* **سراج الملوك**/ الطرطوشي . ـ القاهرة ، ١٢٨٩ هـ.
* **السلسلة الصحيحة**/ محمد ناصر الدين الألباني .
* **السلسلة الضعيفة**/ محمد ناصر الدين الألباني .
* **السلوك في طبقات العلماء والملوك**/ بهاء الدين الجندي اليمني . ـ ط٢ . ـ صنعاء: مكتبة الإرشاد ، ١٤١٦ هـ.
* **سنن ابن ماجه**/ تحقيق شعيب الأرناؤوط ، محمد كامل قره بللي . ـ دمشق: مؤسسة الرسالة ، ١٤٣٠ هـ.

* **سنن أبي داود**/ تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين. ـ دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤٣٠ هـ.

* **سنن الترمذي**/ تحقيق بشار عواد معروف. ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٨ هـ. (وطبعات أخرىٰ).

* **سنن الدارقطني**/ تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين. ـ دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤ هـ.

* **سنن الدارمي**/ تحقيق حسين أسد الداراني. ـ الرياض: دار المغني، ١٤١٢ هـ.

* **سنن سعيد بن منصور**/ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. ـ الهند: الدار السلفية، ١٤٠٣ هـ. (وطبعات أخرىٰ).

* **السنن الصغير**/ البيهقي؛ تحقيق عبدالمعطي أمين قلعجي. ـ كراتشي: جامعة الدراسات الإسلامية، ١٤١٠ هـ.

* **السنن الكبرىٰ**/ البيهقي؛ تحقيق محمد عبدالقادر عطا. ـ ط٣. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ. (وطبعات أخرىٰ).

* **سنن النسائي**/ تحقيق عبدالفتاح أبو غدة. ـ ط٢. ـ حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦ هـ.

* **سنن النسائي الكبرىٰ**/ تحقيق عبدالغفار البنداري؛ سيد كسروي حسن. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ.

* **السنن والأحكام عن المصطفىٰ عليه أفضل الصلاة والسلام**/ الضياء المقدسي؛ تحقيق حسين عكاشة. ـ جدة: دار ماجد عسيري، ١٤٢٥ هـ.

* **السنة**/ ابن أبي عاصم؛ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٠ هـ.

* **السنة**/ الخلال؛ تحقيق عطية الزهراني. ـ الرياض: دار الراية، ١٤١٠ هـ.

* **السنة**/ عبدالله بن أحمد بن حنبل؛ تحقيق محمد بن سعيد القحطاني. ـ الدمام:

دار ابن القيم، ١٤٠٦هـ.

* **سير أعلام النبلاء**/ شمس الدين الذهبي؛ تحقيق مجموعة من المحققين؛ إشراف شعيب الأرناؤوط. ـ ط٣. ـ دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.
* **سير السلف الصالحين**/ قوام السنة؛ تحقيق كرم حلمي. ـ الرياض: دار الراية.
* **سيرة ابن إسحاق**/ تحقيق سهيل زكار. ـ بيروت: دار الفكر، ١٣٩٨هـ.
* **سيرة عمر بن عبدالعزيز**/ ابن عبدالحكم؛ تحقيق أحمد عبيد. ـ بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٤هـ.
* **السيرة النبوية**/ ابن هشام الأنصاري؛ تحقيق طه عبدالرؤوف سعد. ـ بيروت: دار الجيل، ١٤١١هـ.
* **سيرة ومناقب عمر بن عبدالعزيز**/ ابن الجوزي؛ تحقيق نعيم زرزور. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

(ش)

* **شرح الزرقاني على المواهب اللدنية**. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.
* **شرح الزرقاني على الموطأ**/ تحقيق طه عبدالرؤوف سعد. ـ القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٤هـ.
* **شرح السنة**/ البغوي؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط، زهير الشاويش. ـ ط٢. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٣هـ.
* **شرح السير الكبير**/ شمس الأئمة السرخسي؛ تحقيق. ـ الشركة الشرقية للإعلانات، ١٣٩١هـ.
* **شرح صحيح البخاري**/ ابن بطال؛ تحقيق ياسر إبراهيم. ـ الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ.
* **شرح العمدة في بيان مناسك الحج والعمرة**/ ابن تيمية؛ تحقيق صالح بن محمد الحسن. ـ الرياض: مكتبة الحرمين، ١٤٠٩هـ.

* **شرح الفصيح**/ ابن هشام اللخمي؛ تحقيق مهدي عبيد جاسم، ١٤٠٩ هـ.
* **شرح مشكل الآثار**/ الطحاوي؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط. ـ دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥ هـ.
* **شرح معاني الآثار**/ الطحاوي؛ تحقيق محمد زهري النجار، محمد سيد جاد الحق. ـ بيروت: عالم الكتب، ١٤١٤ هـ.
* **شرح النووي على مسلم** = المنهاج: شرح صحيح مسلم بن الحجاج.
* **شعب الإيمان**/ البيهقي؛ تحقيق عبدالعلي حامد. ـ الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣ هـ.
* وبتحقيق محمد السعيد زغلول. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠ هـ.
* **الشكر**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق بدر البدر. ـ الكويت، ١٤٠٠ هـ.

(ص)

* **الصبر والثواب عليه**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد خير يوسف. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٨ هـ.
* **صحيح ابن حبان** = الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان.
* **صحيح ابن خزيمة**/ تحقيق محمد مصطفى الأعظمي. ـ ط٣. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٢٤ هـ.
* **صحيح البخاري**/ تحقيق محمد زهير الناصر. ـ دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ. (وغيره من الطبعات المرقمة).
* **صحيح الترغيب والترهيب**/ محمد ناصر الدين الألباني. ـ الرياض: مكتبة المعارف، ١٤٢١ هـ.
* **صحيح الجامع الصغير وزيادته**/ محمد ناصر الدين الألباني. ـ بيروت: المكتب الإسلامي.
* **صحيح مسلم**/ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي.

(وغيره من الطبعات المرقمة).

* **صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان**/ محمد ناصر الدين الألباني. ـ الرياض: دار الصميعي، ١٤٢٢ هـ.

* **الصداقة والصديق**/ أبو حيان التوحيدي؛ تحقيق إبراهيم الكيلاني. ـ بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٩ هـ.

* **صفة الصفوة**/ ابن الجوزي؛ تحقيق أحمد بن علي. ـ القاهرة: دار الحديث، ١٤٢١ هـ.

وطبعة دار الوعي في حلب، بتحقيق محمود فاخوري.

* **صفة النار**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد خير يوسف. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٧ هـ.

* **الصمت وآداب اللسان**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق أبي إسحاق الحويني. ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٠ هـ.

* **الصناعتين**/ أبو هلال العسكري؛ تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم. ـ صيدا؛ بيروت: المكتبة العصرية، ١٤١٩ هـ.

(ض)

* **الضعفاء الكبير**/ العقيلي؛ تحقيق عبدالمعطي أمين قلعجي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤ هـ.

* **ضعيف الترغيب والترهيب**/ محمد ناصر الدين الألباني. ـ الرياض: دار المعارف، ١٤٢١ هـ.

* **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**/ محمد ناصر الدين الألباني. ـ بيروت: المكتب الإسلامي.

(ط)

* **الطب النبوي**/ أبو نعيم الأصبهاني؛ تحقيق مصطفى خضر دونمز. ـ بيروت: دار

ابن حزم، ١٤٢٧ هـ.

* **طبقات الحنابلة**/ ابن أبي يعلىٰ الفراء؛ تحقيق محمد حامد الفقي. ـ بيروت: دار المعرفة.

* **طبقات خليفة بن خياط**/ تحقيق سهيل زكار. ـ دار الفكر، ١٤١٤ هـ.

* **طبقات الشافعية**/ ابن قاضي شهبة؛ تحقيق الحافظ عبدالعليم خان. ـ بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٧ هـ.

* **طبقات الشافعية**/ جمال الدين الإسنوي؛ تحقيق كمال يوسف الحوت. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٣ هـ.

* **طبقات الشافعية**/ هداية الله الحسيني؛ تحقيق عادل نويهض. ـ ط٣. ـ بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٢ هـ.

* **طبقات الشافعية الكبرىٰ**/ تاج الدين السبكي؛ تحقيق محمود الطناحي، عبدالفتاح الحلو. ـ القاهرة: هجر للطباعة والنشر، ١٤١٣ هـ.

* **الطبقات الكبرىٰ**/ محمد بن سعد؛ تحقيق إحسان عباس. ـ بيروت: دار صادر، ١٣٨٨ هـ.

(ع)

* **العاقبة في ذكر الموت**/ ابن الخراط؛ تحقيق خضر محمد خضر. ـ الكويت: مكتبة دار الأقصىٰ، ١٤٠٦ هـ.

* **العبر في خبر من غبر**/ شمس الدين الذهبي؛ تحقيق محمد السعيد بسيوني. ـ بيروت: دار الكتب العلمية.

* **العزلة**/ الخطابي. ـ ط٢. ـ القاهرة: المطبعة السلفية، ١٣٩٩ هـ.

* **العزلة والانفراد**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق مسعد السعدني. ـ القاهرة: مكتبة الفرقان.

* **العظمة**/ لأبي الشيخ الأصبهاني؛ تحقيق رضاء الله المباركفوري. ـ الرياض: دار العاصمة، ١٤٠٨ هـ.

* **العفو والاعتذار**/ علي بن الحسن العبدي ؛ تحقيق عبدالقدوس أبو صالح . ـ ط٣ ، دار البشير ، ١٤١٤ هـ.

* **العقد الفريد**/ ابن عبد ربه الأندلسي . ـ بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٠٤ هـ.

* **العقوبات**/ ابن أبي الدنيا ؛ تحقيق محمد خير يوسف . ـ بيروت: دار ابن حزم ، ١٤١٦ هـ.

* **علل الحديث**/ ابن أبي حاتم ؛ تحقيق فريق من الباحثين . ـ الرياض: خالد الجريسي ، ١٤٢٧ هـ.

* **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية**/ ابن الجوزي ؛ تحقيق إرشاد الحق الأثري . ـ ط٢ . ـ فيصل آباد: إدارة العلوم الأثرية ، ١٤٠١ هـ.

* **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**/ بدر الدين العيني . ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي .

* **العمر والشيب**/ ابن أبي الدنيا ؛ تحقيق نجم عبدالله خلف . ـ الرياض: مكتبة الرشد ، ١٤١٢ هـ.

* **عمل اليوم والليلة**/ لابن السني ؛ تحقيق كوثر البرني . ـ جدة: دار القبلة .

* **عمل اليوم والليلة**/ النسائي ؛ تحقيق فاروق حمادة . ـ ط٢ . ـ دمشق: مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦ هـ.

* **العين**/ الخليل بن أحمد الفراهيدي ؛ تحقيق مهدي المخزومي ، إبراهيم السامرائي . ـ بيروت: دار ومكتبة الهلال .

* **عيون الأخبار**/ عبدالله بن قتيبة الدينوري . ـ بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤١٨ هـ. وطبعة دار الكتب المصرية .

(غ)

* **غذاء الأرواح بالمحادثة والمزاح**/ مرعي الكرمي ؛ بعناية بسام الجابي . ـ بيروت: دار ابن حزم ، ١٤١٨ هـ.

* **غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب**/ السفاريني. ـ ط٢. ـ مصر: مؤسسة قرطبة، ١٤١٤ هـ.
* **غرر الخصائص الواضحة**/ الوطواط؛ تحقيق إبراهيم شمس الدين. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٩ هـ.
* **غريب الحديث**/ أبو عبيد القاسم بن سلام؛ تحقيق عبدالمعيد خان. ـ حيدر آباد: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٤ هـ.
* **غريب القرآن، المسمى بنزهة القلوب**/ محمد بن عُزير السجستاني؛ تحقيق محمد أديب جمران. ـ دمشق: دار قتيبة، ١٤١٦ هـ.
* **الغنية لطالبي طريق الحق عزَّ وجلّ**/ عبدالقادر الجيلاني؛ تحقيق صلاح محمد عويضة. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ.
* **الغيلانيات** = الفوائد

(ف)

* **الفاضل**/ أبو العباس المبرد. ـ ط٣. ـ القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٤٢١ هـ.
* **فتاوى السبكي**. ـ القاهرة: دار المعارف.
* **فتح الباري شرح صحيح البخاري**/ ابن حجر العسقلاني؛ ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي؛ تصحيح محب الدين الخطيب. ـ بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩ هـ. (وطبعات أخرى).
* **فتح القريب المجيب في شرح ألفاظ التقريب**/ ابن قاسم الغزي؛ بعناية بسام الجابي. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٥ هـ.
* **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب**/ شرف الدين الطيبي؛ تحقيق عدة باحثين. ـ دبي: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ١٤٣٤ هـ.
* **الفتوحات الربانية على الأذكار النووية**/ ابن علان الصديقي. ـ القاهرة: جمعية النشر والتأليف الأزهرية.

* **الفتوة**/ أبو عبدالرحمن السلمي ؛ تحقيق إحسان ذنون الثامري ، محمد عبدالله القدحات . ـ عمّان: دار الرازي ، ١٤٢٢ هـ.
* **الفرج بعد الشدة**/ ابن أبي الدنيا ؛ تحقيق عبيدالله بن عالية . ـ ط٢ . ـ القاهرة: دار الريان ، ١٤٠٨ هـ.
* **الفرج بعد الشدة**/ المحسن التنوخي ؛ تحقيق عبود الشالجي . ـ بيروت: دار صادر ، ١٣٩٨ هـ.
* **الفردوس بمأثور الخطاب**/ الديلمي ؛ تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول . ـ بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦ هـ.
* **فضائل أبي حنيفة وأخباره ومناقبه**/ ابن أبي العوام؛ تحقيق لطيف الرحمن البهرائجي . ـ مكة المكرمة: المكتبة الإمدادية ، ١٤٣١ هـ.
* **فضائل الأوقات**/ البيهقي ؛ تحقيق عدنان عبدالرحمن القيسي . ـ مكة المكرمة: مكتبة المنارة، ١٤١٠ هـ.
* **فضائل الصحابة**/ أحمد بن حنبل ؛ تحقيق وصي الله محمد عباس . ـ دمشق: مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣ هـ.
* **فضائل القرآن**/ ابن كثير . ـ القاهرة: مكتبة ابن تيمية ، ١٤١٦ هـ.
* **فضائل القرآن**/ ابن الضريس ؛ تحقيق غزوة بدير . ـ دمشق: دار الفكر ، ١٤٠٨ هـ.
* **فضائل القرآن**/ الفريابي ؛ تحقيق يوسف عثمان جبريل . ـ الرياض: مكتبة الرشد ، ١٤٠٩ هـ.
* **فضائل القرآن**/ القاسم بن سلام ؛ تحقيق مروان العطية ، محسن خرابة ، وفاء تقي الدين . ـ دمشق ؛ بيروت: دار ابن كثير ، ١٤١٥ هـ.
* **فضل قيام الليل**/ الآجري ؛ تحقيق عبداللطيف محمد الجيلاني . ـ المدينة المنورة: دار الخضيري ، ١٤١٧ هـ.
* **فقه السيرة**/ محمد الغزالي ؛ خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني . ـ دمشق:




دار القلم، ١٤٢٧ هـ.

* **الفوائد**/ ابن منده؛ تحقيق مجدي السيد إبراهيم. ـ القاهرة: مكتبة القرآن.

* **فوائد تمام**/ تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي. ـ الرياض: مكتبة الرشد، ١٤١٢ هـ.

* **الفوائد: الغيلانيات**/ أبو بكر البزاز؛ تحقيق مشهور آل سلمان. ـ الرياض: دار ابن الجوزي، ١٤١٧ هـ.

* **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**/ الشوكاني؛ تحقيق عبدالرحمن بن يحيىٰ المعلمي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية.

* **الفوائد والزهد والرقائق والمراثي**/ جعفر الخلدي؛ تحقيق مجدي فتحي السيد. ـ طنطا: دار الصحابة، ١٤٠٩ هـ.

* **فيض القدير شرح الجامع الصغير**/ محمد عبدالرؤوف المناوي. ـ القاهرة: المكتبة التجارية الكبرىٰ، ١٣٥٦ هـ.

(ق)

* **القبور**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق طارق محمد العمود. ـ المدينة المنورة: مكتبة الغرباء، ١٤٢٠ هـ.

* **قرىٰ الضيف**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق عبدالله بن حمد المنصور. ـ الرياض: أضواء السلف، ١٤١٨ هـ.

* **قصر الأمل**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد خير يوسف. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٧ هـ.

* **القضاء والقدر**/ البيهقي؛ تحقيق محمد بن عبدالله آل عامر. ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢١ هـ.

* **قوت القلوب في معاملة المحبوب**/ أبو طالب المكي؛ تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي. ـ ط٢. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ هـ.

(ك)

* **الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف**/ ابن حجر العسقلاني ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨ هـ.
* **الكامل في التاريخ**/ عز الدين بن الأثير الجزري؛ تحقيق عمر عبدالسلام تدمري. ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٧ هـ.
* **الكامل في ضعفاء الرجال**/ ابن عدي الجرجاني؛ تحقيق عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، عبدالفتاح أبو سنة. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ هـ.
* **الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها**/ يوسف بن علي بن جبارة الهذلي؛ تحقيق جمال بن السيد بن رفاعي. ـ القاهرة: مؤسسة سما للتوزيع، ١٤٢٨ هـ.
* **الكامل في اللغة والأدب**/ المبرد؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. ـ ط٣. ـ القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٧ هـ.
* **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**/ إسماعيل العجلوني. ـ القاهرة: مكتبة القدسي، ١٣٥١ هـ.
* **كشف الكربة في وصف أهل الغربة**/ ابن رجب الحنبلي؛ تحقيق طلعت فؤاد الحلواني. ـ ط٢. ـ القاهرة: الفاروق الحديثة للنشر، ١٤٢٤ هـ.
* **الكشف والبيان عن تفسير القرآن** = تفسير الثعلبي
* **كفاية النبيه في شرح التنبيه**/ ابن الرفعة؛ تحقيق مجدي محمد سرور باسلوم. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٠ هـ.
* **كلام الليالي والأيام**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد خير يوسف. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٨ هـ.
* **كليلة ودمنة**/ ترجمة عبدالله بن المقفع. ـ ط ١٧. ـ القاهرة: مطبعة بولاق، ١٣٥٥ هـ.

* **كنز العمال في سنن الأقوال والأعمال**/ المتقي الهندي؛ تحقيق بكري حياني، صفوة السقا. ـ ط٥. ـ دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ.
* **كنز الفوائد**/ محمد بن علي الكراجكي؛ تحقيق عبدالله نعمة. ـ بيروت: دار الأضواء.
* **كنز الكتاب ومنتخب الآداب**/ البونسي؛ تحقيق حياة قارة. ـ أبو ظبي: المجمع الثقافي، ١٤٢٥هـ.
* **الكنز المدفون والفلك المشحون**/ جلال الدين السيوطي؛ اعتنىٰ به محيي الدين الصغير. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٦هـ.
* **الكنىٰ والأنساب**/ الدولابي؛ تحقيق نظر محمد الفاريابي. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢١هـ.

(ل)

* **لباب الآداب**/ أسامة بن منقذ؛ تحقيق أحمد شاكر. ـ ط٢. ـ القاهرة: مكتبة السنة، ١٤٠٧هـ.
* **لباب الآداب**/ الثعالبي؛ تحقيق أحمد حسن لبج. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ.
* **لسان العرب**/ ابن منظور. ـ ط٣. ـ بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.
* **لطائف الإشارات: تفسير القشيري**/ تحقيق إبراهيم البسيوني. ـ ط٣. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
* **لطائف المعارف**/ ابن رجب الحنبلي. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ.
* **اللطائف والظرائف**/ الثعالبي. ـ بيروت: دار المناهل.

(م)

* **ما ذكر في فضل الجهاد والحث عليه**/ ابن أبي شيبة.
* **المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح**/ الدمياطي؛ تحقيق عبدالملك بن دهيش.

ـ ط، مزيدة ومنقحة. ـ دمشق: مكتبة دار البيان.

* **المتفق والمفترق**/ الخطيب البغدادي؛ تحقيق محمد صادق آيدن الحامدي. ـ بيروت: دار القادري، ١٤١٧ هـ.

* **المتمنين**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد خير يوسف. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٨ هـ.

* **المجالسة وجواهر العلم**/ أبو بكر الدينوري؛ تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٩ هـ.

* **المجتنى**/ محمد بن الحسن بن دريد الأزدي؛ تحقيق محمد أحمد الدالي. ـ حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية.

* **المجروحين**/ ابن حبان؛ تحقيق محمود إبراهيم زايد. ـ حلب: دار الوعي، ١٣٩٨ هـ.

* **مجمع الأمثال**/ أبو الفضل الميداني؛ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد. ـ بيروت: دار المعرفة.

* **مجمع البيان: تفسير الطبرسي**. ـ المجمع العالمي لأهل البيت.

* **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**/ نور الدين الهيثمي؛ تحقيق حسام القدسي. ـ القاهرة: مكتبة القدسي، ١٤١٤ هـ.

* **المجموع شرح المهذب**/ النووي. ـ بيروت: دار الفكر.

* **محاسبة النفس**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق مصطفى علي عوض. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦ هـ.

* **المحاسن والأضداد**/ الجاحظ. ـ بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣ هـ.

* **المحاسن والمساوئ**/ إبراهيم بن محمد البيهقي.

* **محاضرات الأدباء**/ الراغب الأصبهاني. ـ بيروت: دار الأرقم، ١٤٢٠ هـ. (وطبعات أخرى).

* **المحتضرين**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد خير يوسف. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤١٧ هـ.

* **محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**/ جمال الدين بن المبرد الحنبلي؛ تحقيق عبدالعزيز بن محمد بن عبدالمحسن. ـ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢٠ هـ.

* **المحيط في اللغة**/ الصاحب بن عباد؛ تحقيق محمد حسن آل ياسين. ـ بيروت: عالم الكتب، ١٤١٤ هـ (وطبعات أخرىٰ).

* **مختار الصحاح**/ محمد بن أبي بكر الرازي؛ تحقيق يوسف الشيخ محمد. ـ ط٥. ـ صيدا؛ بيروت: المكتبة العصرية، ١٤٢٠ هـ.

* **مختصر تاريخ دمشق**/ ابن منظور؛ تحقيق روحية النحاس، رياض عبدالحميد مراد، محمد مطيع الحافظ. ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٠٢ هـ.

* **مختصر الصواعق المرسلة**/ شمس الدين ابن الموصلي البعلي؛ تحقيق سيد إبراهيم. ـ القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٢ هـ.

* **المختصر في تاريخ البشر**/ الملك المؤيد أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن أيوب.

* **مختصر قيام الليل**/ أحمد بن علي المقريزي. ـ فيصل آباد: حديث أكاديمي، ١٤٠٨ هـ.

* **مختصر منهاج القاصدين**/ نجم الدين أحمد بن قدامة المقدسي. ـ دمشق: مكتبة دار البيان، ١٣٩٨ هـ.

* **المخصص**/ ابن سيده؛ تحقيق خليل إبراهيم جفال. ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧ هـ.

* **المخلصيات**/ أبو طاهر المخلِّص؛ تحقيق نبيل جرار. ـ الدوحة: وزارة الأوقاف، ١٤٢٩ هـ.

* **مداراة الناس**/ ابن أبي الدنيا ؛ تحقيق محمد خير يوسف . ـ بيروت: دار ابن حزم ، ١٤١٨ هـ .

* **المدخل**/ ابن الحاج المالكي ، طبعة دار التراث .

* **المدهش**/ ابن الجوزي ؛ تحقيق مروان القباني . ـ بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ .

* **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**/ اليافعي ؛ تحقيق خليل المنصور . ـ بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤١٧ هـ .

* **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**/ سبط ابن الجوزي ؛ تحقيق محمد بركات وآخرين . ـ دمشق: مؤسسة الرسالة ، ١٤٣٤ هـ .

* **مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد**/ نووي الجاوي ؛ تحقيق محمد أمين الصناوي . ـ بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٤١٧ هـ .

* **المراسيل**/ أبو داود السجستاني ؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط . ـ دمشق: مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٨ هـ .

* **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**/ صفي الدين القطيعي . ـ بيروت: دار الجيل ، ١٤١٢ هـ .

* **المراسيل**/ أبو داود ؛ تحقيق شعيب الأرناؤوط . ـ دمشق: مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٨ هـ .

* **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**/ أبو شامة المقدسي ؛ تحقيق طيار آلتي قولاج . ـ بيروت: دار صادر ، ١٣٩٥ هـ .

* **المرض والكفارات**/ ابن أبي الدنيا ؛ تحقيق عبدالوكيل الندوي . ـ بومباي: الدار السلفية ، ١٤١١ هـ .

* **المروءة**/ محمد بن خلف بن المرزبان ؛ تحقيق محمد خير يوسف . ـ بيروت: دار ابن حزم ، ١٤١٩ هـ .

* **مروج الذهب ومعادن الجوهر**/ المسعودي ؛ تحقيق أسعد داغر. ـ قم: دار الهجرة، ١٤٠٩ هـ.
* **مساوئ الأخلاق**/ الخرائطي ؛ تحقيق مصطفىٰ أبو النصر الشلبي. ـ جدة: مكتبة السوادي، ١٤١٣ هـ.
* **المستجاد من فعلات الأجواد**/ الدارقطني ؛ تحقيق أم عبدالله بنت محروس العسلي. ـ [الرياض]: دار سعد، ١٤١٣ هـ.
* **مستخرج أبي عوانة** = المسند الصحيح المخرج علىٰ صحيح مسلم
* **المستدرك علىٰ الصحيحين**/ الحاكم النيسابوري. ـ القاهرة: دار التأصيل، ١٤٣٥ هـ. (وغيرها من الطبعات).
* **المستغيثين بالله**/ ابن بشكوال ؛ تحقيق مانويلا مارين. ـ [مدريد]: معهد التعاون مع العالم العربي، ١٤١٢ هـ.
* **المسند**/ الشافعي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٠ هـ.
* **مسند ابن الجعد**/ تحقيق عامر أحمد حيدر. ـ بيروت: مؤسسة نادر، ١٤١٠ هـ.
* **مسند ابن راهويه**/ تحقيق عبدالغفور عبدالحق المروزي. ـ المدينة المنورة: مكتبة الإيمان.
* وبتحقيق محمد مختار ضرار المفتي. ـ بيروت: دار الكتاب العربي.
* **مسند أبي حنيفة برواية الحصكفي**/ تحقيق عبدالرحمن حسن محمود. ـ مصر: الآداب.
* **مسند أبي داود الطيالسي**/ تحقيق محمد بن عبدالمحسن التركي. ـ القاهرة: دار هجر، ١٤١٩ هـ.
* **مسند أبي يعلىٰ الموصلي**/ تحقيق حسين سليم أسد. ـ دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٤ هـ.
* **مسند الإمام أحمد بن حنبل**/ تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين. ـ دمشق: مؤسسة

الرسالة، ١٤٢١ هـ.

* **مسند الإمام الشافعي**/ رتبه محمد عابد السندي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، مصور من طبعة ١٣٧٠ هـ.
* **مسند الحارث** = بغية الباحث.
* **مسند الدارمي** = سنن الدارمي
* **مسند البزار** = البحر الزخار
* **مسند الشهاب القضاعي**/ تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي. ـ ط٢. ـ دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧ هـ.
* **المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم**/ أبو عوانة؛ تحقيق رباح بن رضيمان العنزي. ـ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٣٥ هـ.
* **مسند عبد بن حميد** = المنتخب من مسند عبد بن حميد
* **مسند الفاروق**/ ابن كثير؛ تحقيق إمام علي إمام. ـ الفيوم: دار الفلاح، ١٤٣٠ هـ.
* **مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام**/ محيي الدين بن النحاس؛ تحقيق إدريس محمد علي، محمد خالد إسطنبولي.
* **مشاهير علماء الأمصار**/ ابن حبان البستي؛ تحقيق مرزوق علي إبراهيم. ـ المنصورة: دار الوفاء، ١٤١١ هـ.
* **مشكاة المصابيح**/ الخطيب التبريزي؛ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. ـ ط٣. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥ هـ.
* **مشكل الصحيحين**/ ابن قرقول؛ تحقيق جميل عويضة، ١٤٣٠ هـ.
* **مشيخة ابن شاذان**/ تحقيق عصام موسى هادي. ـ المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٩ هـ.
* **مشيخة قاضي المارستان** = أحاديث الشيوخ الثقات
* **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**/ أبو العباس الفيومي. ـ بيروت: دار

الكتب العلمية.

* **المصنف**/ عبدالرزاق الصنعاني؛ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. ـ ط٢. ـ الهند: المجلس العلمي؛ بيروت: توزيع المكتب الإسلامي، ١٤٠٣ هـ.
* **مصنف ابن أبي شيبة**/ تحقيق محمد عوامة. ـ جدة: دار القبلة. (وطبعات أخرىٰ).
* **المصون في الأدب**/ الحسن بن عبدالله العسكري؛ تحقيق عبدالسلام هارون. ـ ط٢. ـ الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ١٤٠٤ هـ.
* **المطلع علىٰ أبواب المقنع**/ شمس الدين البعلي؛ تحقيق محمد بشير الإدلبي. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠١ هـ.
* **معارف الإنعام وفضل الشهور والأيام**/ جمال الدين يوسف بن حسن بن المبرد الصالحي؛ تحقيق مجموعة من المحققين. ـ دمشق: دار النوادر، ١٤٣٢ هـ.
* **معالم القربة في أحكام الحسبة**/ ضياء الدين محمد بن محمد بن الإخوة؛ تحقيق إبراهيم شمس الدين. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ.
* **معاني القرآن**/ الزجاج؛ تحقيق عبدالجليل شلبي. ـ بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨ هـ.
* **معترك الأقران في إعجاز القرآن**/ جلال الدين السيوطي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ.
* **معجز أحمد**/ أبو العلاء المعري.
* **معجم ابن الأعرابي**/ تحقيق عبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني. ـ الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٨ هـ.
* **المعجم الأوسط**/ الطبراني؛ تحقيق طارق بن عوض الله، عبدالمحسن الحسيني. ـ القاهرة: دار الحرمين.
* **معجم البلدان**/ ياقوت الحموي. ـ ط٢. ـ بيروت: دار صادر، ١٤١٦ هـ.
* **معجم الشيوخ**/ ابن عساكر؛ تحقيق وفاء تقي الدين. ـ دمشق: دار البشائر، ١٤٢١هـ.
* **معجم الشيوخ الكبير**/ الذهبي؛ تحقيق محمد الحبيب الهيلة. ـ الطائف: مكتبة

الصدّيق، ١٤٠٨ هـ.

* **معجم الصحابة**/ البغوي؛ تحقيق محمد الأمين بن محمد الجكني. ـ الكويت: مكتبة دار البيان، ١٤٢١ هـ.

* **المعجم الصغير**/ الطبراني؛ تحقيق محمد شكور أمرير. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥ هـ.

* **المعجم الكبير**/ الطبراني؛ تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي. ـ ط٢. ـ القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٥ هـ.

* **معجم اللغة العربية المعاصرة**/ أحمد مختار عبدالحميد وآخرون، عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ.

* **معجم لغة الفقهاء**/ محمد رواس قلعجي، حامد صادق قنيبي. ـ ط٢. ـ دار النفائس، ١٤٠٨ هـ.

* **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**/ أبو عبيدالله البكري. ـ ط٣. ـ بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣ هـ.

* **المعجم الوسيط**/ إبراهيم مصطفى وآخرون. ـ القاهرة: مجمع اللغة العربية: دار الدعوة.

* **معرفة الثقات**/ العجلي؛ تحقيق عبدالعليم البستوي. ـ المدينة المنورة: مكتبة الدار، ١٤٠٥ هـ.

* **معرفة السنن والآثار**/ البيهقي؛ تحقيق عبدالمعطي أمين قلعجي. ـ حلب: دار الوعي، ١٤١٢ هـ.

* **معرفة الصحابة**/ أبو نعيم الأصبهاني؛ تحقيق عادل بن يوسف العزازي. ـ الرياض: دار الوطن، ١٤١٩ هـ.

* **معرفة القراء الكبار**/ الذهبي. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ.

* **المعرفة والتاريخ**/ يعقوب الفسوي؛ تحقيق أكرم ضياء العمري. ـ ط٢. ـ دمشق:

مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ.

* **مغازي الواقدي**/ تحقيق مارسدن جونس. ـ ط٣. ـ بيروت: دار الأعلمي، ١٤٠٩هـ.

* **المغني عن حمل الأسفار في الأسفار**/ عبدالرحيم العراقي، بهامش إحياء علوم الدين. (وغيره من الطبعات).

* **مفاتيح الجنان في شرح شرعة الإسلام**/ يعقوب البروسوي؛ تحقيق أحمد هادي القصار. ـ بيروت: كتاب، ١٤٣٢هـ.

* **مفاتيح الغيب: تفسير الرازي**/ فخر الدين محمد بن عمر الرازي. ـ ط٣. ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

* **المفاريد عن رسول الله ﷺ**/ أبو يعلىٰ الموصلي؛ تحقيق عبدالله بن يوسف الجديع. ـ الكويت: مكتبة دار الأقصىٰ، ١٤٠٥هـ.

* **مفتاح دار السعادة**/ ابن قيم الجوزية. ـ بيروت: دار الكتب العلمية.

* **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**/ طاشكبري زاده. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ.

* **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة علىٰ الألسنة**/ شمس الدين السخاوي؛ تحقيق محمد عثمان الخشت. ـ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ.

* **المقتنىٰ في سرد الكنىٰ**/ الذهبي؛ تحقيق محمد صالح عبدالعزيز المراد. ـ المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٠٨هـ.

* **مكارم الأخلاق**/ الخرائطي؛ تحقيق سعاد الخندقاوي. ـ القاهرة: مطبعة المدني، ١٤١١هـ.

* **مكارم الأخلاق**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق مجدي السيد إبراهيم. ـ القاهرة: مكتبة القرآن.

* **مكارم الأخلاق**/ الطبراني؛ تحقيق فاروق حمادة. ـ ط٣. ـ الدار البيضاء: دار

الثقافة، ١٤٠٨ هـ.

* **مكائد الشيطان**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق مجدي السيد إبراهيم. ـ القاهرة: مكتبة القرآن، ١٤١١ هـ.

* **من اسمه عمرو من الشعراء**/ محمد بن داود بن الجراح.

* **المنتخب من مسند عبد بن حميد**/ تحقيق مصطفى العدوي. ـ ط٢. ـ دار بلنسية، ١٤٢٣ هـ.

* **المنامات**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق عبدالقادر أحمد عطا. ـ بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٣ هـ.

* **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**/ ابن الجوزي؛ تحقيق محمد عبدالقادر عطا، مصطفى عبدالقادر عطا. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢ هـ.

* **المنتقى من السنن المسندة**/ ابن الجارود؛ تحقيق أبي إسحاق الحويني. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ.

* **المنتقى من كتاب الرهبان لابن أبي الدنيا**/ انتقاء كاتب مجهول؛ تحقيق محمد خير يوسف. ـ عمّان: دار الفتح، ١٤٣٣ هـ.

* **المنتقى من مكارم الأخلاق للخرائطي**/ أبو طاهر السلفي؛ تحقيق محمد مطيع الحافظ، غزوة بدير. ـ دمشق: دار الفكر، ١٤٠٦ هـ.

* **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**/ شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ هـ.

* **المنهاج: شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. ـ ط٢. ـ بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢ هـ.

* **المهمات في شرح الروضة والشافعي**/ جمال الدين الإسنوي؛ تحقيق أحمد بن علي الدمياطي. ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤٣٠ هـ.

* **المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**/ القسطلاني. ـ القاهرة: المكتبة التوفيقية.

* **المؤتلف والمختلف**/ الدارقطني؛ تحقيق موفق بن عبدالله بن عبدالقادر. ـ بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٦ هـ.
* الموشَّىٰ: **الظرف والظرفاء**/ الوشاء؛ تحقيق كمال مصطفىٰ. ـ القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٧١ هـ.
* **موضح أوهام الجمع والتفريق**/ الخطيب البغدادي؛ تحقيق عبدالمعطي أمين قلعجي. ـ بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٧ هـ.
* **الموضوعات**/ ابن الجوزي؛ تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان. ـ المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ١٣٨٨ هـ.
* **موطأ الإمام مالك بن أنس**/ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي. ـ بيروت: دار التراث العربي، ١٤٠٦ هـ.
* **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**/ الذهبي؛ تحقيق محمد بركات وآخرين. ـ دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٤٣٠ هـ.

(ن)

* **نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار**/ ابن حجر العسقلاني؛ تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي. ـ ط٢. ـ دمشق؛ بيروت: دار ابن كثير، ١٤٢٩ هـ.
* **نثر الدر**/ أبو سعد منصور الآبي؛ تحقيق خالد عبدالغني محفوظ. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤ هـ (وطبعات أخرىٰ).
* **نزهة المجالس ومنتخب النفائس**/ عبدالرحمن الصفوري. ـ القاهرة: المطبعة الكاستلية، ١٢٨٣ هـ.
* **نصب الراية لأحاديث الهداية**/ الزيلعي؛ تحقيق محمد عوامة. ـ جدة: دار القبلة، ١٤١٨ هـ.
* **نفائس الأصول في شرح المحصول**/ القرافي؛ تحقيق عادل عبدالموجود، علي محمد معوض. ـ مكة المكرمة: مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، ١٤١٦ هـ.

* **نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن**/ الشرواني. ـ القاهرة: مطبعة التقدم العلمية، ١٣٢٤ هـ.

* **نكت الهميان في نكت العميان**/ صلاح الدين الصفدي؛ تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا. ـ بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٨ هـ.

* **نهاية الأرب في فنون الأدب**/ شهاب الدين النويري. ـ القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣ هـ.

* **النهاية في غريب الحديث والأثر**/ مجد الدين ابن الأثير الجزري؛ تحقيق طاهر الزاوي، محمود الطناحي، المكتبة العلمية، ١٣٩٩ هـ.

* **نوادر الأصول**/ الحكيم الترمذي؛ تحقيق عبدالرحمن عميرة. ـ بيروت: دار الجيل.

* **نيل الأوطار**/ الشوكاني؛ تحقيق عصام الدين الصبابطي. ـ القاهرة: دار الحديث، ١٤١٣ هـ.

(هـ)

* **الهم والحزن**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق مجدي فتحي السيد. ـ القاهرة: دار السلام، ١٤١٢ هـ.

* **الهواتف**/ ابن أبي الدنيا؛ تحقيق محمد الزغلي. ـ بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٦ هـ.

(و)

* **الوابل الصيب من الكلم الطيب**/ ابن قيم الجوزية؛ تحقيق سيد إبراهيم. ـ ط٣. ـ القاهرة: دار الحديث، ١٣٩٩ هـ.

* **الوافي بالوفيات**/ صلاح الدين الصفدي؛ تحقيق أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى. ـ بيروت: دار التراث العربي، ١٤٢٠ هـ.

* **الورع**/ أحمد بن حنبل؛ تحقيق سمير أمين الزهيري. ـ الرياض: دار الصميعي، ١٤١٨ هـ.

* **الورقة**/ محمد بن داود بن الجراح.
* **الوفا بتعريف فضائل المصطفى ﷺ**/ ابن الجوزي. ـ بيروت: دار المعرفة.
* **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**/ ابن خلكان ؛ تحقيق إحسان عباس. ـ بيروت: دار صادر، (تواريخ مختلفة، آخرها ١٤١٥ هـ).

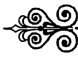
(ي)

* **اليقين**/ ابن أبي الدنيا ؛ تحقيق ياسين محمد السورس. ـ بيروت: دار البشائر الإسلامية.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة




الموضوع	الصفحة
فصل: في مقدار ما يقرأ في الصلوات المفروضة	١٧٧
فصل: في الدُّعاءِ في الصَّلاة	١٧٨
فصل: في التَّطوُّع	١٧٩
فصل: في الصَّلاة بين العشاءين	١٨٢
فصل: في التَّهجُّد	١٨٧
فصل: في المختار من القراءة في التَّهجُّد	٢٠٠
فصل: كثرة النوم في الليل	٢٠٣
فصل: إخفاء العبادة إلا لداع	٢٠٧
فصل: في فضل شعبان	٢٠٨
فصل: في صلاة الضُّحى	٢١٠
فصل: في فضل الصلاة والسجود	٢١٢
فصل: في قيام شهر رمضان	٢١٤
فصل: في بيان ليلة القدر	٢١٧
فصل: في بيان الوتر	٢٢٢
فصل: في صلاة التَّسبيح	٢٢٥
فصل: في بيانِ قولهِ تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾	٢٢٦
فصل: في بيانِ قولهِ تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	٢٢٩
فصل: في بيانِ قولهِ تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾	٢٣١
فصل: في صفةِ الصَّلاةِ وآدابها	٢٣٣

الموضوع	الصفحة




الموضوع	الصفحة




الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



أَسْفَار

لِنَشْرِ نَفِيسِ الكُتُبِ وَالرَّسَائِلِ العِلْمِيَّةِ

دَوْلَةُ الكُوَيْتِ

۞ ما فكرة مشروع «أسفار»؟

أسفار: مشروع يُعنى بطباعة الكتب الشرعية؛ التي تهمُّ المختصين من طلبة العلم، **ويتميَّز بأنَّ مطبوعاته تُباع بسعر التكلفة** أو قريب منه؛ فهو مشروع خيري (غير ربحي).

۞ ما أهداف «أسفار»؟

أسفار: مشروع يهدف لتحقيق غايات سامية؛ منها:

ـ طباعة الكتب التراثية المحققة في جميع الفنون الشرعية (القرآن، السنة، العقيدة، الفقه وأصوله، اللغة)، ونشر البحوث الشرعية الجادة لا سيما ذات الطابع التأصيلي، مع التركيز والعناية بانتقاء الرسائل العلمية (الدكتوراه والماجستير) التي حقها أن تنشر، وإشهار المصنفات المغمورة التي لم تطبع من قبل، مع توفير الكتب النافعة بأسعار مخفَّضة من غير أرباح تجارية، لتكون مدعومةً وفي متناول المتعلمين؛ تقرباً إلى الله بتيسير العلم على طالبيه.

۞ تمويل «أسفار»:

يرتكز تمويل أسفار على: التمويل المباشر من المحسنين، الذين نسأل الله أن يجزيهم خير الجزاء، ويجعل ما يقدمونه من مالٍ في موازين حسناتهم، وأن يجعل هذا المال المبذول منهم عملاً داخلاً في قوله ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث... أو علمٌ ينتفع به»، والكتب مصدر أصيل من مصادر العلم ورافد عظيم من روافد المعارف، وما عُبِدَ الله بعبادةٍ أعظم من العلم الشرعي.

۞ التواصل مع «أسفار»:

يمكن التواصل مع أسفار عن طريق وسائل التواصل التالية:

@sfaar16 — s.faar16@gmai.com

قائمة إصدارات مشروع أسفار

١ ـ **عمدة الطالب لنيل المآرب في الفقه على المذهب الأحمد الأمثل مذهب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل**، تأليف: العلامة منصور بن يونس بن إدريس البهوتي الحنبلي (ت ١٠٥١)، تحقيق: د. مطلق بن جاسر الجاسر. سنة النشر: ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م.

٢ ـ **المنهج الصحيح في الجمع بين ما في المقنع والتنقيح**، تأليف: العلامة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن عبد الله العسكري الحنبلي (ت ٩١٠)، تحقيق: د. عبد الكريم بن محمد العميريني (رسالة علمية). سنة النشر: ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م.

٣ ـ **شرح القصيدة التائية في القدر لشيخ الإسلام ابن تيمية**، تأليف: العلامة نجم الدين أبي الربيع سليمان بن عبدالقوي الطوفي (ت ٧١٦)، مع تحقيق نص القصيدة التائية، تحقيق: د. محمد نور الإحسان بن علي يعقوب (رسالة علمية). سنة النشر: ١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م.

٤ ـ **رسالتان في مسألة القولين** (وهي مسألة أصولية مذهبية مشهورة):

أ ـ **نصرة القولين للإمام الشافعي**، تأليف: العلامة أبي العباس أحمد بن أبي أحمد الطبري المعروف بابن القاص (ت ٣٣٥)، تحقيق: أ. د. جميل بن عبدالمحسن الخلف (بحث محكم).

ب ـ **حقيقة القولين**، تأليف: العلامة أبي حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥)، تحقيق: د. مسلم بن محمد الدوسري (بحث محكم). سنة النشر: ١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م.

٥ ـ **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، إملاء: الحافظ المجتهد تقي الدين محمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق العيد المالكي ثم الشافعي (ت ٧٠٢)، تحقيق: عبد المجيد بن خليل العَمري، إِمْهَا حسن آية الله، يونس الوالدي، أحمد عبد الرحمن حِيفو (رسائل علمية). سنة النشر: ١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م.

٦ ـ **الحواشي السابغات على أخصر المختصرات**، تأليف الشيخ أحمد بن ناصر القعيمي، سنة النشر: ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م.

٧ ـ **بلغة الوصول إلى علم الأصول**، تأليف: عز الدين أحمد بن إبراهيم الكناني الحنبلي (ت٨٧٦)، تحقيق: محمد بن طارق بن علي الفوزان. سنة النشر: ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م.

٨ ـ **تحصين المآخذ**، تأليف: العلامة أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥)، تحقيق: د. عبد الحميد بن عبد الله المجلي، د. محمد بن علي مسفر (رسائل علمية). سنة النشر: ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م.

٩ ـ **النكت في المختلف** (في الخلاف بين الشافعية والحنفية)، تأليف: العلامة أبي القاسم أحمد بن منصور السمعاني الشافعي (ت٥٣٤) ابن أبي المظفر السمعاني، تحقيق: د. حسن بن عون العرياني، د. عبد الله بن محمد المعتق (رسائل علمية). سنة النشر: ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م.

١٠ ـ **المسائل المولدات** (المشهور بفروع ابن الحداد)، تأليف: العلامة أبي بكر محمد بن أحمد الحداد الكناني المصري الشافعي (ت٣٤٤)، تحقيق: د. عبد الرحمن بن محمد الدارقي (رسالة علمية). سنة النشر: ١٤٣٩هـ، ٢٠١٨م.

١١ ـ **حواشي ابن نصر الله على الفروع لابن مفلح**، تأليف: محب الدين أحمد بن نصر الله التستري الحنبلي (ت ٨٤٤)، تحقيق: د. عبد الوهاب بن حميد، د. حسين بن حميد، د. ضيف الله الشهري (رسائل علمية). سنة النشر: ١٤٤٠هـ، ٢٠١٨م.

١٢ ـ **البدرانية شرح المنظومة الفارضية، ويليه: كفاية المرتقي إلى معرفة فرائض الخرفي**، تأليف: عبد القادر بن أحمد بن بدران الدومي الحنبلي (ت ١٣٤٦)، تحقيق: سامح جابر الحداد، مراجعة: د. منصور بن عدنان العتيقي. سنة النشر: ١٤٤٠هـ، ٢٠١٨م.

١٣ ـ **الممهد (شرح مختصر المدونة لابن أبي زيد القيرواني)**، تأليف:

القاضي عبد الوهاب بن علي المالكي (ت ٤٢٢)، تحقيق: د. عبد المجيد خلادي. سنة النشر: ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

١٤ ـ **المنتخب من المحصول**، تأليف: محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦)، تحقيق: عدنان العبيات. سنة النشر: ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

١٥ ـ **غرر المحصول**، تأليف: عبد الله بن أبي منصور الواسطي البُرْزي (ت ٦٥٧)، تحقيق: عدنان العبيات. سنة النشر: ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

١٦ ـ **فصل: المقال في هدايا العمال**، تأليف: تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي (ت ٧٥٦)، تحقيق: أنور بن عوض العنزي. سنة النشر: ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

١٧ ـ **الأوسط في أصول الفقه**، تأليف: أحمد بن علي بن برهان الشافعي (ت ٥١٨)، تحقيق: عدنان بن فهد العبيات. سنة النشر: ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

١٨ ـ **بغية أولي النهى في شرح غاية المنتهى**، تأليف: ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩)، ويليه: تكملته لإسماعيل الجراعي (ت ١٢٠٢)، تحقيق: عبد الله بن سعد الطُّخَيْس، كريم فؤاد محمد اللَّمْعي. سنة النشر: ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

١٩ ـ **مسائل الخلاف**، تأليف: القاضي الحسين بن علي الصَّيمري الحنفي (ت ٤٣٦)، تحقيق: مقصد فكرت أوغلو كريموف. سنة النشر: ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

٢٠ ـ **تنقيح الفصول في علم الأصول**، تأليف: شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: سعد بن عدنان الخضاري. سنة النشر: ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م.

٢١ ـ **المحصول في علم الأصول** (تعليقة على مستصفى الغزالي على رسم الفقهاء)، تأليف: محمد بن سعد الخواري (من فقهاء القرن السادس)، تحقيق: عدنان بن فهد العبيّات. سنة النشر: ١٤٤١هـ، ٢٠١٩م.

٢٢ ـ **عيون الأدلة في مسائل الخلاف بين علماء الأمصار**، تأليف: ابن القصار المالكي (ت ٣٩٧)، تحقيق: د. أحمد مغراوي (رسالة علمية). سنة النشر: ١٤٤١هـ، ٢٠١٩م.

٢٣ ـ **مختصر كتاب المحصول في علم الأصول**، تأليف: تاج الدين عبد الرحيم بن محمد بن يونس الموصلي الشافعي (ت ٦٧١)، ويليه: **غاية السول في علم الأصول**، تأليف: علاء الدين علي بن محمد الباجي الشافعي (ت ٧١٤)، تحقيق: حسن معلم داود حاج محمد. سنة النشر: ١٤٤١هـ، ٢٠١٩م.

٢٤ ـ **عيار النظر في علم الجدل**، تأليف: أبي منصور عبد القاهر البغدادي (ت ٤٢٩)، تحقيق: أحمد عروبي. سنة النشر: ١٤٤١هـ، ٢٠٢٠م.

٢٥ ـ **الإخلال بالنقل في مسائل أصول الفقه ـ الاجتهاد والتقليد والفتيا والتعارض والترجيح ـ دراسة استقرائية تحليلية**، تأليف: محمد بن طارق بن علي الفوزان (رسالة دكتوراه حاصلة على التوصية بطبعها). سنة النشر: ١٤٤١هـ، ٢٠٢٠م.

٢٦ ـ **شرح المنتخَب من المحصول**، تأليف: شهاب الدين القرافي (ت ٦٨٤)، تحقيق: عدنان العبيات. سنة النشر: ١٤٤١هـ، ٢٠٢٠م.

٢٧ ـ **المفهم لصحيح مسلم**، تأليف: أبي الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفاسي (ت ٥٢٩)، تحقيق: د. مشهور بن مرزوق الحرازي. سنة النشر: ١٤٤١هـ، ٢٠٢٠م.

٢٨ ـ **التوضيح في شرح التنقيح (شرح تنقيح فصول القرافي)**، تأليف: حلولو المالكي، أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن الزليطني، تحقيق: أ. د. غازي بن مرشد العتيبي، د. بلقاسم بن ذاكر الزبيدي، د. عبد الوهاب بن عايد الأحمدي. سنة النشر: ١٤٤١هـ، ٢٠٢٠م.

٢٩ ـ **الإبرازات المتعددة للكتاب، دراسة في مفهوم الإبراز، وتعدده، وتأسيسٌ لمنهج الحُكم على الكتاب بتعدُّد الإبراز، وطريقة تحقيقه**، تأليف: أ. د. حاتم باي، سنة النشر: ١٤٤١هـ، ٢٠٢٠م.

٣٠ ـ **مختصر الروضة (البلبل في أصول الفقه)** [نسخة مجردة عن حواشي التحقيق]، تأليف: سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي (ت ٧١٦)، تحقيق: محمد بن طارق بن علي الفوزان، سنة النشر: ١٤٤٢هـ، ٢٠٢٠م.

٣١ ـ **مختصر الترمذي**، تأليف: سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي (ت ٧١٦)، تحقيق: د. حسام الدين بن أمين حمدان، سنة النشر: ١٤٤٢هـ، ٢٠٢٠م.

٣٢ ـ **الإحكام في اختصار أصول الأحكام (المختصر في أصول الفقه)**، تأليف: ابن اللحام الحنبلي، سنة النشر: ١٤٤٢هـ، ٢٠٢٠م.

٣٣ ـ **إيضاح المشكل من أحكام الخنثى المشكل**، تأليف: جمال الدين الإسنوي (ت ٧٧٢)، تحقيق: أنور بن عوض العنزي، سنة النشر: ١٤٤٢هـ، ٢٠٢٠م.

٣٤ ـ **الكفيل بالوصول إلى ثمرات الأصول (مختصر برهان الجويني)**، تأليف: ابن المُنَيِّر المالكي (ت ٦٨٣)، تحقيق: مقصد فكرت أوغلو كريموف، سنة النشر: ١٤٤٢هـ، ٢٠٢٠م.

٣٥ ـ **الاصطلام في الخلاف بين الإمامين الشافعي وأبي حنيفة**، تأليف: أبي المظفر السمعاني (ت ٤٨٩)، تحقيق: أ.د. نايف بن نافع العَمري، سنة النشر: ١٤٤٢هـ، ٢٠٢٠م.

٣٦ ـ **نهاية الإقدام في مآخذ الأحكام**، تأليف: القاضي شهاب الدين الزنجاني (ت ٦٥٦)، تحقيق: حمود بن عبد الله المسعر، سنة النشر: ١٤٤٢هـ، ٢٠٢٠م.

